الذكرى
لولادة
المئوية
الإمام الخميني

مؤتمر
الجهاد والنهضة
في فكر الإمام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة

بمناسبة احياء ذكرى مرور مئة عام على ولادة الامام الخميني
البقاع

مكتبة
مؤمن قريش
momenquraish.blogspot.com

مؤتمر الجهاد والنهضة

في فكر الإمام الخميني

على ضوء التحديات المعاصرة

الإشراف الفني: مقداد غرافيك

هاتف: ٠١/٨٣٩٥٢٤ ـ ٠٣/٨٣٢٦١١

مكتبة
مؤمن قريش

مؤتمر الجهاد والنهضة
في فكر الإمام الخميني
على ضوء التحديات المعاصرة

بحوث ومناقشات المؤتمر

الذي عُقد في فندق الميريديان ـ بيروت

بتاريخ ١٥ ـ ١٦ شعبان ١٤٢٠هـ

الموافق ٢٣ ـ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٩٩م

حقوق الطبع محفوظة

الكتاب: "مؤتمر الجهاد والنهضة
في فكر الإمام الخميني
على ضوء التحديات المعاصرة"

الناشر: لجنة إحياء مئوية ولادة الامام
الخميني ـ لبنان

الاعداد: المركز الاستشاري للدراسات
والتوثيق

التاريخ: محرم ١٤٢١ هـ الموافق نيسان
٢٠٠٠م.

الطبعة: الأولى

القياس: (١٧ × ٢٤ سم)

ثبت المحتويات

كلمة ولي أمر المسلمين آية الله العظمى **الإمام السيد علي الخامنئي** (دام ظله)

بمناسبة مئوية الإمام الخميني (قده) ١٣

توطئة ١٧

وقائع اليوم الأول

الجلسة الإفتتاحية

كلمة رئيس المؤتمر **سماحة الشيخ نعيم قاسم** ٢٣

كلمة حفيد الإمام الخميني حجة الإسلام والمسلمين **سماحة السيد حسن أحمد الخميني** ٢٧

كلمة رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى **آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين** ٣٥

كلمة أمين عام حزب الله حجة الإسلام والمسلمين **سماحة السيد حسن نصرالله** ٣٩

كلمة معالي وزير التربية والثقافة **الأستاذ محمد يوسف بيضون** ٤٥

كلمة نيافة الكاردينال البطريرك مار نصرالله بطرس صفير، ممثلاً بسيادة

المطران انطوان نبيل العنداري ٤٩

كلمة مفتي الجمهورية اللبنانية سماحة الشيخ محمد رشيد قباني، ممثلاً بسماحة

الشيخ أحمد الزين ٥٣

كلمة غبطة البطريرك إغناطيوس الرابع هزيم، ممثلاً **بسيادة المطران الياس نجم** ٥٧

كلمة بطريرك الأرثوذكس الكاثوليكوس آرام الأول كشيشيان ممثلاً

بالأرشمندريت بارين فارتنيان ٦٥

المحور الأول

نظرية الجهاد والمقاومة في فكر الإمام الخميني: المفاهيم والوظائف على ضوء التحديات الخارجية المعاصرة، وقضايا الداخل الإسلامي ٦٩

ـ الجلسة الأولى

● **رئيس الجلسة: سماحة السيد محمد حسن الأمين** ٧٣

● الجهاد: مجالاته ومنطلقاته كما يراها الإمام الخميني (قده) / **الشيخ مرسل نصر** ٧٥

● دور الجهاد في حياة الأمة: بناء الذات والتكافؤ مع الآخر / **سماحة الشيخ محمد يزبك** ٨٣

● الإمام الخميني (قده) وثورته الإسلامية في فكر حركة الجهاد الإسلامي
في فلسطين. ونهجها / **الدكتور أنور أبو طه** ٩٥
● دور الجهاد في حياة الأمة / **سماحة الشيخ عفيف النابلسي** ١١٣

المحور الثاني

الدين والسياسة في فكر الإمام الخميني (قده): قراءات في الخطاب والتجربة ١٣٥

ـ الجلسة الثانية

● **رئيس الجلسة: الدكتور رفعت سيد أحمد** ـ مصر
● دور ولاية الفقيه عند الإمام الخميني (قده) في تطور الفكر السياسي الاسلامي
الأستاذ ممدوح الشيخ ـ مصر ١٣٩
● الإمام الخميني (قده) والأنظمة السياسية المعاصرة: قراءة في الفكر والواقع
سماحة الشيخ **مصطفى ملص** ١٤٧
● التأثير العملي لانتصار فكر الإمام الخميني (قده) وثورته /**الأستاذ فضل شرورو** ١٨٩
● المجدد الجمهوري: موقف الإمام الخميني (قده) من أشكال الحكم
ونماذجه المعاصرة / الدكتور **خليل أحمد خليل** ٢٢٩
● موقف الإمام الخميني (قده) من أشكال الحكم ونماذجه المعاصرة:
العراق نموذجاً / الأستاذ **بيان جبر** ـ العراق ٢٤٥
● المناقشات ٢٦٢

ـ الجلسة الثالثة

● **رئيس الجلسة: الأب سليم غزال** ٢٧٣
● اشكالية الوحدة والتنوع في المجتمع الاسلامي على ضوء فكر الإمام الخميني (قده)
الدكتور علي لاغا ٢٧٥
● التبعية والإستقلال في فكر الإمام الخميني (قده): مبدأ اللاشرقية واللاغربية
النائب الحاج عبدالله قصير ٢٩١
● الوحدة في منظور الإمام الخميني (قده): موجباتها وتعقيداتها وأولوياتها
سماحة السيد هاني فحص ٣١١
● منهج الإمام الخميني (قده) بين الثوابت الفكرية ومصالح الأمة
الدكتور حسن البنا ـ مصر ٣١٩
● المناقشات ٣٥٧

وقائع اليوم الثاني

المحور الثالث

الإمام الخميني (قده) ومشروع الإستنهاض العالمي ٣٦٩

ـ الجلسة الرابعة

● **رئيس الجلسة: سعادة النائب الحاج محمد فنيش** ٣٧٣

● موقع الأمة الإسلامية في المعادلات الدولية: عوامل الضعف ومنابع القوة، دور المستضعفين في عملية التغيير على المستوى العالمي

المهندس الأستاذ ليث شبيلات ـ الأردن ٣٧٩

● مقاربات مقارنة بين ولاية الفقيه وأشكال معاصرة في الحكم

الدكتور شبلي ملاط ٣٨٧

● دور الشعوب وموقعها في عملية الإصلاح والتغيير على مستوى العالم الإسلامي / **الأستاذ بشار قوتلي** ٣٩٣

● المناقشات ٤١١

المحور الرابع

فلسطين والقدس في فكر الإمام الخميني (قده): أولويات المواجهة ٤٢٥

ـ الجلسة الخامسة

● **رئيس الجلسة: سماحة الشيخ طه الصابونجي** ٤٢٩

● الإمام وفلسطين. دراسة في رؤية الإمام الخميني (قده) لقضية الصراع الإسلامي مع التجمع الصهيوني في فلسطين / **الدكتور رفعت سيد أحمد** ـ مصر ٤٣١

● موقف الإمام الخميني (قده) من القضية الفلسطينية والقضايا العربية: مرحلة الجهاد والنضال قبل انتصار الثورة / **الدكتورة دلال عباس** ٤٥١

● الإمام الخميني (قده) رجل في أمة / **الشيخ الدكتور حسان المجذوب** ـ سوريا ٤٧٥

● دور إيران الإستراتيجي في الصراع مع الكيان الصهيوني والقوى الكبرى الداعمة له في نظر الإمام الخميني (قده) / **الدكتور زهير غزاوي** ٤٨٣

● المناقشات ٥٠٥

المحور الخامس

نظرة الإمام الخميني (قده) إلى الغرب والإستكبار العالمي: شروط التفاعل وخطوط المواجهة ٥١١

ـ الجلسة السادسة

- رئيس الجلسة: الدكتور علي الشامي ٥١٥
- الإمام الخميني (قده) والإستعمار: جذرية الرؤية والمواجهة

سماحة الشيخ حسين كوراني ٥١٩
- رؤية الإمام الخميني (قده) الى الغرب والحضارة الغربية: خطوط المواجهة... وشروط التفاعل / **الأستاذ عادل رؤوف** ـ العراق ٥٦٧
- الإستكبار ومفهومه في الواقع الدولي المعاصر

الدكتور عبد الرحيم علي محمد ابراهيم ـ السودان ٥٩١
- الإستكبار العالمي: الولايات المتحدة نموذجاً / **الأستاذ جهاد المحيسن** ـ الأردن ٥٩٧
- المناقشات ٦٠١

ـ الجلسة السابعة:

- رئيس الجلسة: الدكتور طلال عتريسي ٦١١
- نظرة الإمام الخميني (قده) الى صراع الإستكبار والإستضعاف في الإطار الحضاري / **الشيخ محمد مهدي التسخيري** ٦١٣
- الأسس الإيمانية والفكرية والسياسية لمدرسة الإمام الخميني (قده)

الأستاذ رشاد بولس سلامة ٦٢٣
- مدرسة الإمام (قده) في مواجهة الإنحرافات الفكرية والتحديات الأميركية والصهيونية / **الدكتور فتحي يكن** ممثلاً بعقيلته **الدكتورة منى يكن** ٦٢٩
- نظرة الإمام الخميني (قده) للحوار والتفاعل بين الثقافات / **الأمير حارس شهاب** ٦٤١
- المناقشات ٦٤٧

ـ أوراق إضافية:

- التعددية والوحدة في الولاية والإمرة / **سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي** ـ العراق ٦٥٣
- الإسلام أيديولوجية الفقراء: الإمام الخميني (قده) نموذجاً / **محمد مورو** ـ مصر ٦٧٧

ـ الجلسة الختامية

- كلمة رئيس المؤتمر ٦٩٥
- البيان الختامي ٦٩٩
- وثائق المؤتمر ٧٠٣
- صور المؤتمر ٧٥٩

كلمة ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد علي الخامنئي [دام ظله] بمناسبة مئوية الإمام الخميني [قده] *

بسم الله الرحمن الرحيم

يا مقلّب القلوب والأبصار، يا مدبر الليل والنهار، يا محول الحول والأحوال، حوّل حالنا إلى أحسن الحال.

أهنئ بمناسبة حلول عيد النوروز، جميع أبناء الشعب الإيراني في داخل البلاد وفي كل بقعة أخرى من بقاع العالم، كما أبارك بمناسبة هذا العيد أيضاً لجميع الشعوب التي تحتفل بعيد النوروز، وخاصة الشعوب التي تتكلم اللغة الفارسية كطاجيكستان وأفغانستان. وبمناسبة حلول هذا العيد أقدّم التهاني والتبريكات على وجه الخصوص للعوائل المضحيّة التي خدمت البلد والثورة والشعب بأرواحها وبسلامتها وبأعزّائها، وأعني عوائل الشهداء، والمعوّقين وأسرهم المحترمة، والأحرار وغيرهم.

أسأل الباري تعالى مقلّب القلوب والأبصار أن يملأ قلوب أبناء الشعب الإيراني بالأمل والبهجة والاخلاص والمحبة، وينوّر أبصارهم باستشراف آفاق المستقبل الزاهر.

كانت السنة الماضية - كأية سنة أخرى - حافلة بأحداث طيّبة وأخرى مريرة؛ أما المرير منها - وخاصة في النصف الثاني من السنة - فهو الوضع المعاشي والظرف الاقتصادي والغلاء، والضغوط، والعناء الذي كابدته بعض الشرائح من أبناء بلدنا.

أسأل الله تعالى أن يعين مسؤولي البلد بهممهم العالية وجهودهم الحثيثة،

* المناسبة: رأس السنة الهجرية الشمسية ١٣٧٨، طهران. ٣ ذي الحجة ١٤١٩هـ.

وبمؤازرة أبناء الشعب ،للقضاء على دابر المشكلات المعاشية والمصاعب الاقتصادية وجميع أنواع المشكلات الأخرى التي يعاني منها الشعب الإيراني، وخاصة الطبقات الضعيفة، وإن شاء الله سيتفضل الباري تعالى بلطفه ويعين المسؤولين على إنجاز هذه الخطوات.

لا شك طبعاً في أن العام الماضي اكتنفته أيضاً نجاحات كبرى وإنجازات طيّبة تجسدت في المشاركة الجماهيرية الواسعة في مختلف الميادين السياسية، والمساهمة في عمليتين انتخابيّتين وفي مسيرتين مهمّتين، وفي مجال القضايا الأخرى للبلد.

أرجو أن يسير الشعب الإيراني قُدُماً بمزيد من الإقتدار والصلابة والأمل واليقظة باتجاه تحقيق أهدافه الكبرى، وأن يحالفه النجاح في مسيرته هذه، وأتمنى أن تكون السنة التي ستبدأ في هذه الساعة وفي هذا اليوم سنة حافلة بالأمل وبالإمكانات الهائلة، وستكون بعون الله سنة متناسبة مع آمال الشعب الإيراني وتطلعاته.

عام الإمام الخميني(قده):

من أهم خصائص هذا العام الجديد، إقترانه بالذكرى المئوية لولادة إمامنا العظيم، ويا حبّذا لو نطلق على هذا العام – بمناسبة هذا الإقتران – إسم عام الإمام الخميني (رحمة الله عليه). ومن البديهي أن الإسم والعنوان لا يفيان وحدهما بالغرض، وإنّما يجب على الجميع السعي بإذن الله لاستكناه الشخصية الكبيرة للإمام الخميني بكل آفاقها الرحبة على الوجه الصحيح، وتطبيقها إن شاء الله في حياتهم وفي حياة الشعب كله، وعلى امتداد الساحة المعنوية للبلد.

أعتقد، إنطلاقاً من تقييمي الذاتي، أن الإمام الخميني مظهر للحداثة في الحياة التاريخية للشعب؛ لأن هذا الشعب خضع على امتداد القرون الماضية – إذا لم نوغل في القدم، واقتصر حديثنا علي القرون الأخيرة – لحكومات سلاطين كانت شرعيتهم مستمدة مما في أيديهم من أساليب القوة والبطش، ولم يأتوا إلى سدّة

الحكم إلا عن طريق المذابح والممارسات الدامية، وقضى حكام هذا البلد حياتهم في ظل أساليب القهر الطغيان والتجبّر. وكان بعض الأشخاص في تلك الأثناء يتمتعون بالقدرة والمواصفات التي تؤهلهم لإثبات جدارة الشعب الإيراني على نحو ما في ميدان من ميادين الحياة على أدنى تقدير، إلا أن البعض الآخر منهم لم يكن يتصف حتى بأدنى شيء من هذه المواصفات، وخلفه من بعد موته إبنه أو أخوه أو إبن أخيه بدون جدارة ولا استحقاق، وبدون أن يكون للشعب أي دور في انتخابه أو قبوله والرضى به.

لقد عاش الشعب الإيراني على هذا المنوال على مدى قرون عديدة، وكانت آخر تلك الحكومات هي الحكومة العميلة الفاسدة التي جاءت إلي سدّة الحكم عبر إنقلاب عسكري، وحكمت الشعب طوال خمسين ونيّف من السنين حكماً دكتاتورياً، وعمدت في السنوات الأخيرة لحكمها إلى بيع كيان الشعب الإيراني بأبخس الأثمان.

الإمام الخميني كان إنعكاساً لتطلعات الشعب:

إستطاع الإمام الخميني، بفكره الوقّاد ونهجه الحكيم وإرادته الراسخة وعزمه القاطع، وبما يتصف به من خصال وأبعاد معنوية وإنسانية نبيلة، وبتعبّده وبالإيمان الحقيقي المغروس في ذاته بالدين، أن يكون إنعكاساً لتطلعات الشعب وتجسيداً لإرادته وإستجابةً لصرخته.

وحينما وجد الشعب آماله وتطلعاته متجسدة في شخصية هذا الرجل وفي نداءاته، سارت الجحافل على خطاه حتى استطاعت تلك الأمواج البشرية الهادرة القيام بإنجاز عظيم إستنقذ الشعب من الوضع المزري الذي كان يعيشه، ووضع إيران والفرد الإيراني على مسار نهج جديد في اتجاه المشاركة الجماهيرية، والخيار الجماهيري، وإعطاء أهمية لرأي الجماهير وعقيدتها وتوجهها. وفي الإتجاه الذي يصب في مصلحة الجماهير ومنافعها. وعلى طريق تعزيز مجد الشعب الإيراني وعظمته.

وقد سار الإمام الخميني والجمهورية الإسلامية قُدُماً على هذا الطريق بفضل الله تعالى.

نهج الإمام الخميني طريقنا الى نيل الأهداف الكبرى:

يُنظر إلى الشعب الإيراني اليوم في العالم كشعب عزيز، إضافة إلى ما يستشعره هو في ذاته من اقتدار واعتزاز. فالشعب الإيراني خلّص نفسه من المهانة والإحتقار الذي كان يلاقيه على يد القوى الكبرى الظالمة المتسلطة، ووضع قدمه على طريق توفير الحياة الحرّة الكريمة الطيبة، ومن الطبيعي أن هذا الطريق لا يطوى ببساطة وبدون أيّة عراقيل ومتاعب، إلا أن الشعب الإيراني والثلة المنتخبة من أبنائه – أي مسؤولي البلاد – إذا ساروا على هذا الطريق حاملين الخصائص ذاتها التي كان إمامنا الخميني مظهراً لها؛ أي الفكر الوقّاد والمنهج الحكيم، ثمّ الإرادة الصلبة والعزم الراسخ، إضافة إلى الخصال الإنسانية النبيلة، وأخيراً التدين والتعبّد والإيمان الراسخ بالقيم الإسلامية والقرآنية – وهذه هي المواصفات الأربع التي تميّز بها الإمام ونهجه – سيصلون بعون الله إلى نيل أهدافهم الكبرى.

أرجو أن يكون هذا العام – وهو عام الإمام الخميني، بما يمثله من إحياء لذكر الإمام وفرصة لإجراء المزيد من الدراسة لحياته وشخصيته وللغايات والأهداف التي كان يتطلع اليها – عام خير وبركة على الشعب الإيراني، وعام إنجازات يحققها المسؤولون في هذا البلد، ونأمل أن نستطيع السير خلاله على هذا النهج الواضح بعزم قاطع وفكر وقّاد إن شاء الله. وأطلب من المسؤولين في البلد أن يتصفوا ما استطاعوا بهذه الصفات، ويكرّسوا أنفسهم لأجل الشعب وفي سبيل خدمته والسعي لرفع مشكلاته.

إن المسؤولين الحريصين يسيرون من غير شك في هذا الإتّجاه، ويعملون على هذا المنوال، وأنا أحثّهم على شحذ هممهم وتكريس كل وجودهم لأجل هذه الغاية جهد استطاعتهم.

وأدعو كل أبناء الشعب العزيز إلى الوقوف إلى جانب المسؤولين – كما هو دأبهم على الدوام – ومعاضدتهم ومؤازرتهم ليتمكن الشعب والحكومة من التغلب على التحديات المعادية وبلوغ أهدافهما الكبرى إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

توطئة

انعقد مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني (قده) على ضوء التحديات المعاصرة يومي ١٥ و١٦ شعبان ١٤٢٠ هـ في بيروت، بروحية تقديم بعض من أفكار وآراء الإمام الخميني (قده) وتحليلها في الذكرى المئوية لولادته والتي أعلنها الإمام الخامنئي حفظه الله، عاماً للاحتفالات ولتعميم آثاره والتعرف على أفكاره وعطاءاته.

وقد غمرني شوق كبير مع ثلة من إخواني لإنجاح هذا المؤتمر لما يتضمن من مميزات:

١. في الشخصية المحورية لقائد شَغَلَ العالم في الربع الأخير من القرن العشرين، وأحدث ثورة تركت آثارها في المنطقة والعالم، وأعاد للإسلام نضارته وصفاءه.

٢. في المكان، حيث برزت بيروت كعاصمة للحرية في المنطقة العربية، وموطنٍ للتبادل الثقافي، وشكل لبنان رمزية للمقاومة ضد المحتل الإسرائيلي بفعل المجاهدين من أبطال المقاومة الإسلامية وكل المقاومين الشرفاء، واستطاع أن يكون مركز إشعاع تحتاجه منطقتنا.

وقد تركزت الدعوات على المنطقة العربية فجاء الممثلون من مختلف بلدانها، وذلك لوجود مؤتمرات أخرى معنية بالبلدان الإسلامية والأوروبية وغيرها، ولا تخفى أهمية هذه الإطلالة لفكر الإمام الخميني (قده) في إطار شريحة لغة الضاد لغة القرآن.

ولأن فترة المؤتمر - إعداداً وإقامة - لا تتعدى بضعة أشهر، تواصلت الجهود بشكل مكثف ليخرج العمل ناجحاً بحمد الله تعالى، بشهادة من شارك أو اطَّلع أو

سمع أو قرأ ... تحمل العبء جنود مجهولون، لم تبرز أسماؤهم لكن بصمات أعمالهم واضحة، وقد شعر بهم كل من شارك عن قرب لأنهم أخلصوا من كل قلوبهم. إنهم أعضاء هيئة المؤتمر:

١- سماحة الشيخ علي دعموش: مسؤول اللجنة العلمية.

٢- الحاج محمود قماطي: المسؤول الإداري.

٣- سماحة الشيخ علي خازم: مسؤول الإدارة الداخلية.

٤- الحاج علي فياض: عضو اللجنة العلمية.

٥- السيد خضر الموسوي: المسؤول الإعلامي.

٦- سماحة الشيخ عبدالناصر الجبري: عضو لجنة الإتصالات.

٧- الدكتور حسن البنا: عضو اللجنة العلمية.

٨- الدكتور طلال عتريسي: عضو اللجنة العلمية.

٩- الأخ أحمد فياض: أمين السر.

وأنتهز الفرصة لأوجه الشكر إلى اللجنة المركزية في طهران والتي ساعدتنا لإنجاح هذا المشروع، كما أشكر كل المشاركين بالكلمات والحضور والمداخلات فرداً فرداً، والأجر عندالله أكبر.

وقد جمعنا في هذا الكتاب كل ما جرى ومن دون أي تعديل منا، إبتداءً من اللحظة الأولى وما رافقها من إعداد لمحاور المؤتمر، وانتهاءً بالبيان الختامي، وبينهما نص الكلمات والمداخلات، وصور المشاركين، وتعليقات الصحف ... محاولين تعميم الإستفادة من هذه التجربة الغنية والإنجاز القيِّم. والله ولي التوفيق

رئيس المؤتمر

الشيخ نعيم قاسم

وقائع اليوم الأول

الجلسة الافتتاحية

- كلمة رئيس المؤتمر **سماحة الشيخ نعيم قاسم**
- كلمة حفيد الإمام الخميني حجة الاسلام والمسلمين **سماحة السيد حسن أحمد الخميني**
- كلمة رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى **آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين**
- كلمة الأمين العام لحزب الله حجة الاسلام والمسلمين **سماحة السيد حسن نصر الله**
- كلمة معالي وزير التربية والتعليم والثقافة **الأستاذ محمد يوسف بيضون**
- كلمة نيافة الكاردينال البطريرك مار نصرالله بطرس صفير، ممثلاً بسيادة **المطران انطوان نبيل العنداري**
- كلمة مفتي الجمهورية اللبنانية سماحة الشيخ محمد رشيد قباني، ممثلاً بسماحة **الشيخ أحمد الزين**
- كلمة غبطة البطريرك إغناطيوس الرابع هزيم، ممثلاً **بسيادة المطران الياس نجم**
- كلمة بطريرك الأرثوذكس الأرمن الكاثوليكوس آرام الأول كشيشيان ممثلاً بـ **الأرشمندريت بارين فارتنيان**

كلمة رئيس المؤتمر

سماحة الشيخ نعيم قاسم

نائب الأمين العام لحزب الله

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين الميامين وعلى أصحابه المنتجبين وعلى جميع الأنبياء والصالحين، إلى قيام يوم الدين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه شخصية استثنائية ومميزة، أحدث ثورة في نقطة حساسة من العالم، في إيران، لتنتشر آثارها في كل الأنحاء ولتؤسس لاستمرارية وفعالية عبر الأجيال القادمة وفي مواقع كثيرة. أحاط بكل أبعاد الخط الإسلامي المحمدي الأصيل ووعى الواقع، جمع بين تقوى القلب والإستقامة مع الأمة، ثبّت العودة إلى أصول العقيدة وأسس الشريعة المقدسة، وواكب متطلبات الحياة المعاصرة، كان منظماً في حياته الخاصة وراعياً للقانون وتنظيم الدولة، إستوعب كل خصوصيات الساحة الإيرانية وتفاصيلها، وألمَّ بواقع القوى في العالم وتأثيرها. أحب شعبه وأحبه الشعب، بل لامس مشاعر المستضعفين في العالم وآمالهم فأحبوه. واجه بموقفه أعتى الظالمين وأسقط عرش الشاه، سجد لله تعالى، فلم يعد بالإمكان أن يتمكن منه المستكبرون. إنه أمة في رجل، إرتقى إلى العلياء مُشعاً على العالم، هو الباعث لنهضة جديدة بدأت مفاعيلها في الربع الأخير من القرن العشرين ودخلت في صياغة واقع المنطقة، وأصبحت محطة لخصوصية حضارية.

أول ما يلفت نظرك في شخصية الإمام الخميني المقدس تلك الروح الجهادية التي تعطي الأقصى ولا تخشى في الله لومة لائم، وتتجه نحو الأمة لتتحمل

مسؤوليتها كاملة في الدفاع عن استقلالها وعن الوطن ولا استثناء أو أعذار، وفي هذا يقول الإمام الخميني (قده):

«إذا هوجم بلدنا الاسلامي واعتُدي عليه، وجب على جميع أبناء البلد رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، أن يدافعوا بلا شرط، حتى أنه يجب على العجوز الذي لا يتمكن من فعل الكثير أن يشارك في الدفاع بقدر المستطاع»[1].

وكي تكون الصورة واضحة، لا يمكن التحرير بمعزل عن العمل العسكري المباشر، وأي إخراج له من ساحة الصراع والمواجهة مع المحتل إسقاطٌ لإعداد العدة وشروط النصر. وليس الأمر مقتصراً على الإحتلال بل يجب أن نكون مستعدين، فالعالم يسحق الضعفاء، والقدرة العسكرية تدرأ الأخطار. يقول الإمام الخميني (قده):

«الأمة التي تسير في خط الاسلام المحمدي الأصيل المخالف للإستكبار وعبَّاد المال والتحجر، يجب أن يكون جميع أفرادها معبئين، وأن يتعرفوا على الفنون العسكرية والدفاعية اللازمة حتى يكونوا على استعداد عسكري إذا داهم الخطر الشعب الفخور الخالد»[2].

إن المتوقع تقديم التضحيات الكثيرة من أجل الأهداف السامية، ولا استسلام عن مواجهة الصعوبات مهما بلغت، **«تحملنا ونتحمل كل انواع العذاب والهوان، وما زلنا نتوقع المزيد من الظلم والتعسف، ونحن على استعداد لمواجهة السجن والقتل والإعدام»**[3].

بهذه الروحية الجهادية تقوى الجماعة وتواجه التحديات، ويبرز جلياً مقدار استفادة شباب المقاومة الإسلامية من هذا النور المحمدي الخميني، مما أربك إسرائيل وجعلها تتراجع في بعض قراراتها ومواقفها على الرغم من عدم التكافؤ

---

(١) كتاب «على طريق المقاومة» اصدار حزب الله، صفحة ١٧.

(٢) المصدر نفسه، صفحة ٣٧.

(٣) «دروس في الجهاد والرفض»، صفحة ٤٤.

في ميزان القوى، فالجهاد واستعدادات التضحية تضيف قوة مؤثرة في ساحة المعركة، وتؤدي إلى تغيير معادلات وتصحيح رؤىً وتحقيق إنجازات.

ومع معرفة مكامن الخطر يتحدد العدو وأولويات المواجهة، وقد حدد الإمام الخميني (قده) الخطر الكبير الذي يواجه شعوب هذه المنطقة وينعكس على واقعها منذ فترة طويلة، ففي سنة ١٩٨١ قال: «**قرابة عشرين عاماً وأنا أذكر بخطر الصهيونية العالمية. وخطورتها اليوم بالنسبة لكل الثورات التحررية في العالم، والثورة الإسلامية الاصيلة في إيران ليست بأقل مما سبق، بل إن هذه العوائق الطفيلية الناهبة تحاول اليوم، بمختلف الأساليب، تدمير مستضعفي العالم، فعلى أمتنا وشعوب العالم الحرة أن تقف بحزم وإرادة صلبة وبصيرة نافذة في وجه هذه الدسائس الخطيرة**»[١].

أما التغيير فيحتاج إلى مقومات وزمن، والنهضة المبتغاة عندما تكون أسسها سليمة تحقق أهدافها مع البناء والعمل الدؤوب واستكمال الخطوات الضرورية، ولا معنى لليأس أو استعظام قوة الإنحراف:

«**فالأفكار تبدأ صغيرة ثم تكبر، ثم يتجمع الناس حولها، ثم تكتسب القوة، ثم تأخذ بيدها زمام الأمور. ولم تكن القوة حليفة الأفكار من أول يوم. وفي هذا كله ينبغي أن تتخذ من الشعب بكل قواه قاعدة رصينة يرتكز عليها ويركن إليها، مع العمل الدؤوب على التوعية الجماهيرية**»[٢].

بناءً على الترابط الوثيق بين الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني (قده)، إخترنا عنوان مؤتمرنا: «**الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني (قده) على ضوء التحديات المعاصرة**». هذا المؤتمر نقيمه بالتنسيق مع اللجنة المركزية لإحياء ذكرى مئوية ولادة الامام، التي تشكلت إستجابة لإعلان الإمام الخامنئي حفظه المولى هذا العام لإحياء ذكرى مئوية ولادة الإمام الخميني (قده)، وقد اخترنا يوم الخامس

(١) محمد تقي بدر، «قضية فلسطين والصهيونية في رؤية الامام الخميني (قده)»، صفحة ٣.
(٢) «الحكومة الاسلامية»، صفحة ١١٩.

عشر من شهر شعبان يوم ولادة الامام المهدي (عج)، يوم المستضعفين في العالم، كمحطة هامة ركز عليها مفجر الثورة الإسلامية وربط الأمة بها، آملين أن تسهم الأبحاث الفكرية في تسليط الضوء على ما قدمه هذا الرجل العظيم للبشرية جمعاء.

إن انعقاد المؤتمر في لبنان يؤكد أهمية هذه الساحة في الأسهامات الفكرية المتنوعة وفي الحوارات الثقافية البناءة، وإن عدد المشاركين من الباحثين والمفكرين مع تنوع بلدانهم من الدول العربية والإسلامية، وتنوع آرائهم التي تلتقي عند أهمية الشخصية الرائدة للإمام الخميني (قده)، يضفي أهمية خاصة على الأبحاث المقدَّمة والمناقشات التي ستدور حولها.

إننا نُقيم مؤتمرنا كبعض وفاء لهذا القائد والمفكر المُلهم الذي تجاوز حدود إيران، بطروحاته التي تخاطب الانسان ولا تمنعها الجغرافيا من الإنتشار والتأثير، وللجميع أن يناقش تلك الأفكار بروحية تقييمية علمية، مبتعدين عن الأحكام المسبقة التي تستند إلى أحكام المحيط أو التقليد أو العصبية، عندها تتحقق الفائدة المرجوة.

أشكر جميع الذين استجابوا للمشاركة في مؤتمرنا هذا، وأسأل الله تعالى لكم التوفيق ،والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة حجة الإسلام والمسلمين

سماحة السيد حسن أحمد الخميني

حفيد الإمام الخميني (قده)

أيها الإخوة والأخوات الكرام

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أَحْمَدُ اللّه تبارك وتعالى حَيْثُ وفَّقني للحضور والمشاركة في هذا المؤتمر العظيم واللقاء بالأعِزّة الكرام والتحدث إليكم عن كَثَبٍ، وإنني أُلقي كلمتي باللغة العربية على أمَل أن تكون مدعاةً وفرصة لمزيدٍ من الارتباط والتقرب بيننا، وبدايةً استميحُ عذراً على لهجتي وأدائي في القراءة.

إن إسمَ لبنان وشعبه العظيم يُعيد إلى الذهن أسماء كلِ أولئك الذين تركوا من خلال أعمالهم الخالدة بَصَماتِهم الخَيِّرة لبناء الإنسان في هذا البلد من المُفَكِّرين والمُثَقفين وأصحاب الرأي والقلم. كما يُذَكِّرنا اسمُ لبنان وشعبه بكلِ المجاهدين الكبار الذين سطروا بدمائهم وتَضحياتِهم وتَصَدِّيهم للمُحتل الصهيوني المُعتدي ملاحمَ محفُورةً في صُلب التاريخ وضمير ووجدان الأحرار في العالم. من هنا، لا بد من أن نتذكّر اسمَ الإمام المُغَيَّب الإمام موسى الصدر، الذي نَذَر حياتَه دفاعاً عن المظلوم والمحروم ونَيل العزة والكرامة للإنسان، كما أدى الإمام دَوراً رِيادِيّاً في استنهاض الشعب اللبناني وتَحفيزه للوقوف في وجه العدو الإسرائيلي الغاشِم، فَنأمَل للجميع التوفيق في السير على خُطاه والإلتزام بمبادِئه وأهدافه السّامية.

إن كلمتي تتناول رُؤيةَ الإمام الخميني ونَظرَته العرفانية الكَونية لمبادئ الفكر السياسي والإجتماعي، حيث أُحاولُ أن أُقَدِّمَها لكُم بشكل مختصر. ومقدمةً لذلك أقول: يمكن تصنيف الشخصيات التاريخية البارزة في مجموعاتٍ ثلاث: السلاطين، الحكماء، والأنبياء.

إن أهم ما يُمَيِّزُ هذه المجموعات بعضها عن بعض هو الحد بين الإدعاء والتطبيق

العملي، وبين مَدى صدق وصَوابِيَّة ما كانت تُعلِنُه وتَتَحَدَّثُ عنه وما أظهرته فعلاً في أعمالها.

كان السلاطين والحكام المستبدون غارقين دوماً وعلى مرّ تاريخ البشر، في مستنقع الفساد والشر للناس، فكان يهُمُّهُم فقط الحِفاظ على اقتدارهم السياسي وتَوسيع نطاق نفوذهم الشامل، غيرَ آبهين للناس ولا لحقوقهم المشروعة ولا لكرامتهم وعزتهم وشرفهم. إن العدالة والمساواة ومراعاةَ حقوق الفرد وتكافؤ الفُرَص والرفاهية، وغيرها من القِيَم، كانت بمثابة شعارات يَتَسَتَّر وراءَها الحُكام للإنقَضاض على دُعاة العدل الحقيقيّين وطلاب الحرية المُضحِّين ومُحِبّي الناس المشهورين، وأخيراً طردهم ونفيهم من المجتمع الذي كانوا فيه. وفي الواقع، هناك تناقض صارخ وواضح بين قول السلاطين وفعلهم. هؤلاء الحكام المستبدون لا يفْتقرون فقط إلى قَدرٍ قليلٍ مِنَ التأثير على أفكار الناس في طريقهم نحو الوعي واليقظة بل لم يُظهروا حتى بصيصاً من الضوء لقلوب الناس لهدايتهم إلى المحبة والتسامح، فكان التأثيرُ المشؤوم الذي تركه هؤلاء المستبدون المُتسَلِّطون والذي سوف يستمر في تقييد وإغلال المفكرين المتنورين المُضَحِّين في سبيل الحرية والعدالة وتحرير الإنسان من العبودية على مرّ التاريخ.

أما الحكماء والأنبياء، فقد مارسوا الدور البَنّاء والإيجابي في تاريخ الإنسان، حيث كان قاسِمُهم المشترك الصدق والإيمان بكل ما كانوا يَطرَحُونه من دعوات، ولم يكونوا إلاّ ساعين وراء السعادة الحقيقية للإنسان ورقيّه، ولم يَألوا جُهداً في طريقهم المقدس. إلا أن هناك تمايزاً بين هاتين المجموعتين، أي الحكماء والأنبياء، يتمثل في البحث عن الطريق المُوصل إلى التطلعات والأهداف التي كانوا ينشدونها ويطرحونها بشكل صريح. وبمعنى آخر، إن الفلاسفة والحكماء حَقَّقوا آمالهم وطُمُوحاتهم الإنسانية من خلال طرح النظريات البحتة، لكن الأنبياء حَققوها من خلال الحقائق المجردة والملموسة، فلقد بَيَّن أفلاطون وسقراط المدينة الفاضلة ونظام القُدوَة في خِضَمّ وثَنَايا المُفردات وأسطُر الصفحات، لكن الأنبياء مثّلوها من خلال حياة البشر وعلاقات الإنسان وروابطهم الاجتماعية. إن نَجاحَ الأنبياء

وسعادتهم وكذلك أتباعهم الصادقين من جهة، ومن جهة أخرى إخفاق الحكماء والفلاسفة وعدم تمكّنهم من تحقيق طموحاتهم بصورة عينية، يُشَكِّل بحد ذاته مادةً تحتاج إلى دراسة وبحث مُعَمَّقَين حتى تظهر وتكشف رموز وأسرار هذا اللغز الذي يصنع التاريخ ويُربِّي الإنسان، وهذا الموضوع أو المادة لن تكون سوى موضوع العقل والعشق.

إن الفلاسفة يصنعون من مرآة ذهن الإنسان زجاجة تكشف من خلالها حقائق العالم، كما يُؤَجِّجُونَ نار العقل المشتعل في لوح المعرفة الكامن لدى الإنسان. لكن الأنبياء يبادِرُون إلى هداية الإنسان من خلال عشقه وقدرة الانجذاب الكامنة لديه ويُعرِّفون القدوة الحقيقية للإنسان. لذلك، الفيلسوف يصنع التلميذ، وأما النبي فيصنع العاشق. الفيلسوف يُرشد الإنسان إلى إدراك الحقائق وفهمها، أما النبي فيُرشد للبحث عن الحقيقة. إن الفيلسوف يُصارع الناس في أذهانهم وعقولهم، وأما النبي فيصارعهم في قلوبهم وفطرتهم. هذا يُرَبِّي الباحث وذاك يُربي المتفاني.

ومن خلال ما تقدم يمكن الولوج إلى شخصية الإمام الخميني، ذلك الرجل الذي أوجد أعظمَ الثورات التي تتحكَّم بها القيم في القرن العشرين الذي يستحق تسميته بقرن الثورات، كما أحيا الإمام أبهى صور الجُرأة والمهابة في ضمير المسلمين وقلوبهم، وأحيا فيهم روحَ المقاومة في معركتهم ضد عَمالقة الإستكبار وعلى رأسه أميركا ورَبيبتها إسرائيل، ولَقَّن الشعوبَ الإسلامية ومستضعفي العالم دروسَ الجهاد والوقوف في وَجه الطُغاة ورَفضِ الإستسلام والرُضُوخ لهيمنة القوى الظالمة، كما أعلن بصراحةٍ مَوقِفَهُ الحازم والصارم تِجاه الكيان الصهيوني الغاصب، ورَفض الإعتراف به وضرورة مُحارَبته لإزالته من الوجود.

فعمَّت هذه الروح التي أوجدها الإمام الخميني المجتمعَ الإسلامي بِرُمَّتِه، من شرقه إلى غربه، حيث تَمَخَّضَت عن خلق ملاحم أبدية نرى في لبنان المقاوم بعضاً منها، حيث إن العدو الإسرائيلي رضخ وركع أمام الشعب اللبناني المقاوم العظيم، الذي يرى اليوم الكيان الإسرائيلي صاغراً أمام شبابه، وسوف يَتَذَكَّر دوماً الذُلّ والعار والخزي الذي ألحقه بالعدو من خلال تحلّيه بالصُمودِ والمُثابَرَة.

ورغم أن أغلبَ المُحَللين ، بدلاً من السعي إلى إدراك ووعي الفلسفة أو المبادئ الأساسية للثورة الإسلامية وأسباب انطلاقتها، عكفوا على التأمل والتفكير في كيفية ظهورها ومسيرتها السياسية والإقتصادية، فإن معرفة الفلسفة الأساسية للثورة تساعد على لعب دور مؤثر في ديمومتها والمحافظة عليها، وتلك المعرفة ليست إلا النظرة العرفانية للإمام الخميني في أساس فكره الثوري.

إن نظرة الإمام العرفانية لواقعة «بهمن» سبعة وخمسين الموافق شباط تسعة وسبعين الميلادي لا تَترك أيَّ مجال للشك، ومن السهولة بمكان أن نجد في أحاديث الإمام ما يشير إلى أن الثورة الإسلامية تُشَكِّل ظاهرةً مستقلة عن العوامل الوضعية، حيث تتمتع بالإرادة الإلهية «هنا يكون الحساب إلهياً، هنا تكون اليد الإلهية حاضرة. إن الأشخاص ليس بإمكانهم أن يوجدوا مثل هذه النهضة، مثل هذه القدرة، ليس بإمكان البشر أن يصنع من نساءِ بلدٍ ما ورجاله، أو من صغار بلد ما وكباره، أناساً مضحيِّن. هذه هي يد الله، هذه إرادة الله التي آخت بين جميع شرائح شعبِنا وأبطلَت جميع حسابات المحاسبين الماديين. هي يد الله وإرادة الله تبارك وتعالى». (صحيفة النور /ج٦/ ص١١٣).

إنَّ نظرةً سريعة على الحياة العادية، الفردية والإجتماعية للإمام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) تدلنا إلى هذه الحقائق، حيث كان سماحته دائماً متمسّكاً بكل قوته بالأفكار العرفانية، التي ألقَت بظِلالها على مجمل أحاديثه وسلوكياته. إن النضَال والمواجهة المستمرة التي لا تعرف الكَلَل والمَلَل خلال نصف قرن تقريباً إنما تتجلّى في قدرة وتَحَمُّل ذلك الإنسان الذي يركن إلى القدرة المطلقة الحاكمة الأزلية للكون.

هو الذي عمل على قدمٍ وساقٍ في هذا الطريق ولم يَصبُ إلى هدف سوى مرضاة الحق تعالى، وكان دائم التفكير في السلوك إلى الله ولقائه فقط، وكان فانياً في الله واصلاً إليه، وكان طليعياً صادقاً لتحرير الإنسان. كان الإمام يؤمن ويعتقد بأن «السالك الذي يريد أن تقترن تَسميتُه بالحقيقة عليه أن يوصل إلى قلبه أشكال رحمة الحق وأن يَتَجلّى بالرحمة الرحمانية والرحيمية. ومُؤَشِّرُ حصولِ نموذجٍ من

ذلك في القلب، هو النظرُ إلى عباد الله بعين المبالاة واللطف، وأن يكون طالباً للخير والصلاح للجميع، وهذا الرأي هو رأي الأنبياء العظام والأولياء الكمّل (عليهم السلام)، لكنّ لدى هؤلاء رأيين: أولاً، سعادة المجتمع ونظام العائلة والمدينة الفاضلة، ثانياً، سعادة الفرد، وهم يطمحون إلى تحقيق كلتا السعادتين بشكل كامل» (آداب الصلاة /ص٣٥).

وعلى أساس هذه الأفكار العرفانية الأصيلة الملتزمة، تمكَّن المرشد الكبير من إقامة حركة عظيمة من خلال دفع المجتمع إلى الحق، ومن خلال تمهيده للطريق وكفاحِه المرير والمضني، دعا سالكي الحق إلى انتفاضة شاملة ضد الظلم والجور والإحباط، أدّت في النهاية إلى الإطاحة بأحد أكبر الموانع في طريق السير نحو الله، أي طاغوت العصر. فقد أسقط الإمام النظام الشاهنشاهي وأركع الاستكبار العالمي، وأميركا الناهبة، وألقى الذُعر في قلب عدو المسلمين اللدود الصهيونية والكيان الغاصب للقدس.

وكان الإمام الخميني الصادق (رضوان الله تعالى عليه) يؤمن بأن عدم التزكية، والدافع الخاطئ والمهزوز والأنانية والهوى وحب الدنيا والخوف والإحباط، التي تعود جذورها إلى الشرك وانعدام الإيمان، هي من جملة الأمور التي تَحُدُّ من قيام الإنسان وكفاحه المستمر، حيث في حال وجودها لن يستطيع الإنسان المبادرة إلى الثورة أبداً، وإذا تحققت انتفاضةٌ مّا فإنها لن تستمر، وفي حال استمرارها ونجاحها فإنه يكون مستحيلاً بقاؤها وبلوغها لأهدافها المَرجُوَّة، وتاريخ جميع الحركات الثورية في العالم يؤيد هذه الحقيقة.

كان الإمام يعتقد بأن التوجه إلى غير الله، يحجب الإنسانَ بحُجُب «ظَلامية» وحُجب «نورانية»، فالأمور الدنيوية بأجمعها إذا ما تسببت بانشداد الإنسان إلى الدنيا وأغفَلته عن الله تبارك وتعالى، فإنها تبعث على الحُجب الظلامية. وعندما تكون الدنيا وسيلة التوجه إلى الله تعالى والوصول إلى دار الآخرة، التي هي دار التشريف، فإن حجب الظلام هذه تتبدل بحجب النور، وإن كمال الانقطاع هو تَبَدُّد كل الحجب، النورانية منها والمظلمة، لكي يمكن الورود إلى الضيافة الإلهية التي هي

معدن العظمة (جهاد النفس / ص ٧١).

وبناءً على هذا، فإن فلسفة الثورة في نظر الإمام عبارة عن الشيء نفسه الذي كان الأنبياء يريدونه: «إن الهدف النهائي للإنبياء هو العودة إلى كلمة واحدة، وهي معرفة الله، هذه هي المقدمة كلها. فإذا صارت هناك دعوة إلى العمل الصالح، وإذا صارت دعوة إلى تهذيب النفس وإلى المعارف، فإن العودة كلها هي إلى النقطة الأصلية الموجودة في فطرة جميع الناس، وليُزيلوا عنها الحجاب، حتى يصل الإنسان إليه، وذلك هو معرفة الحق، وهي الغاية القصوى». (صحيفة النور ج ١٩ / ص ٢٨٣).

هذه الغاية هي نفسها التي استلهمها الإمامُ الخميني (رحمة الله عليه) في قيادة الثورة وتحقيق النصر والإنتصار السياسي. ويمكن القول إن الأبعاد العرفانية تمنح الهوية للأبعاد السياسية في الجهات كلها. وبهذا الأسلوب والنهج الرسولي، كان الإمام مصمّماً على أن يُجَسّد في نهاية القرن العشرين، حيث البشرية تحترق في نار المادية، وتنأى عن القِيَم السماوية، قدرةَ العرفان في خلق عالم مرغوب ومَلِيءٍ بالأمل، ومجتمع ملتزم بالقيم الأخلاقية والمبادئ والأصول الدينية المعروفة. والحق أن سماحته قد وُفِّق في حمل هذه الرسالة العظيمة. ويجب أن لا نغفل أن الإمام (رضوان الله تعالى عليه) كان من ضمن القلّة القليلة من العرفاء، الذي عندما يرتقي سلّم المعنى ويَشمّ رائحة السير والسلوك في أعماق روحه ونفسه، فإنه يعود ويَنزِل منه مرة أخرى ويعود إلى صفوف الشعب ويتحدث عن الحقيقة بلغة الشعب. إن العرفان السياسي للإمام يترعرعُ في أحضان الشريعة ويعبِّد الطريق نحو العينيّة. إن مبادئ العرفان العملي للإمام الخميني أخذت إطارها الديني والشرعي بشكل سريع جداً، حيث نزلت على روح أتباعه ونظامه على هيئة المعاشرة الأخلاقية والقيمية.

كان سماحته يتَقَوى بتلاوةِ الأدعية والذِكر، وكان عارفاً لم يَترُكْ صلاةَ نافلة الليل طوال سبعين عاماً من عمره الشريف بشهادة عقيلته الكريمة. كان نادراً ما يتحدث عن نفسه، كان الإمام فانياً بشكل كامل، وأفرغ ذاتَه من نفسه. ولهذا لا يمكن

العثور في جميع أحاديثه على هدف كان يَصْبو إليه من أجله هو. كان يعتبر هدفه هدفَ الأنبياء: «ما أراده الأنبياءُ هو جعل الأمور إلهيةً، فهم بُعِثوا لجعل العالم والإنسان. وهو خلاصة العالم وعصارته. إلهيَيْن بجميع أبعادهما».

هذا الأصل «إنتفضوا من أجل الله» هو أصل ثابت، وهو موئل ومركزُ الإلهام والروح الجارية في جميع مراحل الحياة السياسية للإمام، وبالتالي دلالة على أسلوبه ونظرته، في حين أن جميع الأشياء تبدأ من هذا الأصل، وذلك الشيء ينهض من العرفان السياسي للإمام.

نعم ، إنّ الإمامَ الخميني (رضوان الله تعالى عليه)، المرشد الكامل، وزعيمَ العرفاء الملتزمين، الثوريَ والمصلحَ الكبير في العصر الحاضر، أثبتَ حقيقة أن المكانة الحقيقية للعرفان ليست نابعة من النَشاطات والفَعاليات والأعمالِ الفردية للإنسان فَحَسب، بل بما أنَّ الله هو الحاكمُ المطلقُ الموجود، فيجب أن تَشْملَ سيادتُهُ جميعَ مراحلَ حياةِ الإنسان، ويجب أن تُبنى جميعُ العلاقات الإجتماعية على أساس القيم الإلهية.

وتأسيساً على هذا، فإن الذات العرفانية للإمام قد ألقت بظلالها على الفكر الثوري لسماحته، فلم يُبقِ حدوداً بين العُبودية والسياسة، ولم يُقِرَّ أبداً بوجود اختلاف بين عالَم العبودية وعالم السياسة والاجتماع، يَعْتَبِر الوجودَ مطلقاً خاضعاً لله، ورسالة الإنسان الإلهي تحقيق التوحيد وعبودية الله في جميع نواحي حياته المباركة.

تَغَمَّدَهُ اللّهُ برحمته الواسعة وأسكنه فسيحَ جناته.

نَدعو الباري تعالى أن يَأخُذَ بأيدينا ويُسددنا لمعرفة أفكارِ الإمام والحفاظ عليها وأن نَلتزم بها عَمَلياً.

كما نسأل الله العلي القدير أن يُوَفِّقَنا وإياكم لما يُحِبُّ ويَرضى، وآخر دَعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كلمة سماحة آية الله الشيخ

محمد مهدي شمس الدين

رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وعلى جميع أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين.

نحتفل بالذكرى المئوية لميلاد الإمام الخميني، فنستعيد معالم حياة هذا القائد العظيم الذي اشتملت شخصيته على أسمى المعاني الروحية والعرفانية، إلى جانب قدرته القيادية.

ونستعيد المآثر التي حققها هذا القائد العظيم، والإنجازات التي تجاوز بها حدود إيران إلى العالم الإسلامي كله، فنلاحظ إخراج إيران وتحريرها من الطوق الذي كان يحبسها ويذلها، وإعادتها إلى فلكها الرحب في العالم الإسلامي وعلى مستوى العالم. وبعد أن كانت حبيسة نظام وسياسة جعلاها تابعاً للغرب، غدت محور استقطاب عالمي وإسلامي، تتفاعل معه وتؤثر فيه.

إن القيادة التاريخية الرائدة والواعية التي تمثلت بالإمام الخميني (رضوان الله عليه) تجاوزت الحدود الجغرافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية، وأنتجت خطاباً تنويرياً على مستوى الأمة الإسلامية، أسهم في ترسيخ قناعة لدى الأغلبية الساحقة من المسلمين بأن خلاص الأمة الإسلامية لا يكون إلا بالعودة إلى الإسلام على مستوى التنظيم المجتمعي السياسي.

إن الإمام الخميني أعاد، من خلال خطابه الثوري، تقديم الإسلام باعتباره أطروحة تنظيمية حضارية متحدية للصيغتين السائدتين الليبرالية والماركسية، وهذا

ما أعاد إلى المسلمين الثقة بأنفسهم، والشعور بقدرتهم على مواجهة القوى المستكبرة في العالم، وعلى بناء صيغتهم السياسية الخاصة بهم.

ولقد استطاع ايضاً تحرير الحركة الإسلامية العالمية من ترددها، وأعطاها دفعاً قوياً لتتقدم في حركتها وتتعمق في فهمها ووعيها، ولتغدو بالتالي أكبر فاعلية وتأثيراً في السياسات العالمية والإقليمية، لتغدو واقعاً مؤثراً في السياسات الدولية، ولتضيف إلى موقف المسلمين البعد الإيديولوجي والحضاري والثقافي والسياسي بعد أن كان هذا الموقف مقصوراً على التصدي السياسي الخجول والمحدود في أحسن الحالات.

وفي هذه المناسبة، فإننا إذ نذكر ذلك كله فإننا نستعيد ايضاً الروح المعنوية العالية المتفاعلة مع الإيمان بالعناية الإلهية، التي واجه بها الإمام الخميني واقع إيران الشاه وانتصر عليه، لنواجه بها واقعنا الراهن بكل ما يحيط بنا من تحديات، ويهددنا من مخاطر، وفي مقدمة ذلك، نلاحظ أولاً تصاعد درجة الهيمنة على العالم الإسلامي وخاصة في المنطقة العربية، ونلاحظ ثانياً تصاعد المشروع الصهيوني ونموّه في مواجهة العرب خاصة والمسلمين عامة، وهذا ما ينبغي أن يدفعنا أكثر باتجاه توحيد الكلمة والتضامن والتعاون على المستوى العربي والإسلامي.

إن ذكرى الإمام الخميني ينبغي أن تعيد الثقة إلينا بأننا قادرون على التغلب على عدونا والانتصار على وجوه الضعف فينا.

وفي هذا الصدد، فإننا نلاحظ باستبشار كبير، إيجابيات مسيرة الجمهورية الإسلامية على المستوى الإسلامي العام، بتعزيز التضامن الإسلامي - الإسلامي وتعزيز التضامن العربي - الإيراني، وفي هذا الصدد، فإننا ننوّه بالخطوات المباركة لقيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كما ننوّه بالخطوات التي قابلتها من زعماء وملوك الدول العربية، ونرى في هذه اللقاءات إنجازاً مباركاً للعرب والمسلمين.

ونحن إذ نشجع التقارب الإيراني - الاسلامي والإيراني - العربي ونباركه وننوه به، فإننا نرى في هذا التقارب المصلحة الكبرى للعرب والمسلمين في مواجهة

تحديات المرحلة.

من هذا المنطلق، وفي هذه الذكرى، نستعيد كل هذه الجهود والتطلعات التي بذلها وأطلقها الامام الخميني في سبيل وحدة الأمة الإسلامية وتعزيز صمودها، وفي مقدمة ذلك أراني ملزماً بأن أشير إلى نقطة مركزية في فكره وفي منهجه، وهي القدس.

وكما ذكرت مراراً، فإن الموقف الإسلامي يؤكد أن تهويد القدس من الناحية الشرعية مستحيل، وأنه لا توجد أية قوة تسمح بأن تكون القدس أو فلسطين يهودية وصهيونية، وأن أي اتفاق تفرضه معادلات السياسة وضرورات الدول لا يمكن أن يسمح بإيجاد وضع شرعي لقضية التهويد.

ونكرر الدعوة الى تشكيل هيئات عالمية وإسلامية ووطنية على مساحة العالم، بحيث يكون في صلب اهتماماتها إحياء موضوع القدس في الوجدان العالمي والشعبي، فتصبح قضية القدس حقيقة يومية في فكر الأمة ومؤسساتها الأهلية والرسمية.

وقد أعلنا عن تشكيل هذه الهيئة التي ستعمل بإذن الله على تنفيذ هذا الالتزام الديني تجاه أولى القبلتين.

وفي ذكرى الإمام الخميني (رض) نؤكّد على مواجهة قضية التطبيع مع العدو، الذي يجب أن تجند الأمة لمكافحته كل طاقاتها، وتستنفر من أجل الحيلولة دونه جميع إمكاناتها، لتحول دون تحقيق مأرب الصهيونية في أن تكون جزءاً من هذه المنطقة وتدخل في نسيجها الحياتي. وكون الصهيونية أمراً واقعاً لا يبرر الاعتراف بها والخضوع لها، فطالما كان الشر أمراً واقعاً في هذا العالم، وكان الشيطان أمراً واقعاً في هذا الكون، ونحن نحارب الشر ونحارب الشيطان.

ونرى أن مقاومة الاحتلال ومشروعه واجب شرعي وقومي ووطني وإنساني، يستدعي منا جميعاً التعاون والوحدة وتضافر كل الجهود والقوى والامكانات لمواجهته وإفشال مخططاته.

ونعتبر أن هذه المقاومة تشكل النقطة البيضاء والمضيئة في الوضع العربي والإسلامي المعاصر، ولا يمكن التراخي فيها والتسامح بشأنها أو المساومة عليها على الإطلاق مالم يتحقق الحد المطلوب من الموقف، وهو التحرر الكامل وغير المشروط.

ومع هذه المقاومة نؤكد الحرص على التلازم بين سوريا ولبنان في الموقف لمواجهة إسرائيل، التي كانت ولا تزال في هذه الأيام وأكثر من أي وقت، تحاول تفكيك هذا التلازم.

ونحن نعتبر أن الإمام الخميني أطلق في إيران إرادة القوة التي تنتج وسائلها وأدواتها، ولا تقتصر على الاستيراد، ولا تبقى عارية وغير مجهزة لتطوير الصناعات عموماً، والصناعات الدفاعية خصوصاً.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الميزة الأساسية التي اتسمت بها الدولة الإسلامية في إيران هي انطباق خصائص الدولة الإسلامية عليها، فضلاً عن أن مصدر شريعة السلطة والقوانين نبع من المحتوى الثقافي للأمة وليس من مصدر ثقافي آخر، وهذا ما انعكس على تكوين ثقافة إسلامية عامة في المجتمع الإيراني، كان محط إعجاب سائر المسلمين في العالم.

وعلى هذا الأساس، تعتبر الجمهورية الإسلامية في إيران دولة إسلامية بالمعنى الكامل وحكومة إسلامية بالمعنى الكامل، وهي اليوم تستكمل خطواتها على طريق أسلمة المؤسسات كلّها إضافة إلى تطهير البيئة الإجتماعية للحيلولة دون عودة الثقافات الغربية التي سبق لهذه الثورة أن قطعت صلاتها بها.

لقد شكل تطهير البيئة الإجتماعية هاجساً للقيادة الإيرانية التي عملت باتجاه إزالة كل المظاهر الغربية على المستوى الثقافي والإجتماعي والإقتصادي، وإبراز المحتوى والمضمون الاسلامي، مما أدى إلى استعادة المواطن لهويته الاسلامية وجدّد انتماءه إلى جذوره وأصالته.

والحمد لله رب العالمين.

كلمة حجة الإسلام والمسلمين

سماحة السيد حسن نصرالله

أمين عام حزب الله

لقد كان إمامنا الخميني (قده) بحق مجدداً للدين وللقيم وللمفاهيم الإسلامية في هذا العصر، حيث استطاع أن يقدم الإسلام من جديد كرسالة إلهية ومشروع حضاري وصيغة حياة للفرد وللأمة، محافظاً على صفاء هذا الإسلام وعلى أصوله ومبانيه وحتى على مصطلحاته الأساسية. ولم يقف عند حدود التنظير وتقديم الأطروحة وإنما تمكن من إطلاق هذا المشروع في ساحات التحدي الكبرى، حركة ثم ثورة عارمة ثم دولة في إطار انتصار مدوٍ، أطلق معه أكبر وأعظم صحوة إسلامية ودينية في هذا العصر على الإطلاق.

وفي رأيي، إن من جملة العوامل المهمة التي مكنت الإمام من تحقيق هذا الإنجاز التاريخي:

نظريته حول أهمية وخطورة عاملي الزمان والمكان في عملية الاجتهاد الفقهي حتى عدّ العملية الفقهية التي تتجاوز هذين العاملين ليست اجتهاداً ولم يعترف باجتهاد صاحبها، أظن أن هذه النظرية مكنت الإمام من وصل الماضي بالحاضر ومن القدرة على فهم الإسلام وتقديمه بما يثبت حياته وخلوده في كل زمان ومكان.

- إن من جملة المفاهيم الكبرى التي أحياها الإمام، مفهوم الجهاد والنهضة، وبالتأكيد لا يمكن دراسة هذا المفهوم بمعزل عن المنظومة الفكرية المتماسكة التي امتلكها الإمام وقدمها على صعيد الفكر السياسي الإسلامي والفقه السياسي الإسلامي، وخصوصاً في ما يتعلق بمسائل النظام والحكومة والقيادة، وكذلك بمسائل الدفاع عن الأمة والأوطان والقيم، حيث لا يمكن استيعاب مسألة الجهاد والنهضة بعيداً عن المشروع المطلوب إنجازه من خلال الجهاد والنهضة.

- وإذا أردنا أن نعرف عظمة إنجاز الإمام على هذا الصعيد، أي إحياء هذا المفهوم، يجب أن نأخذ بعين الإعتبار الحال التي كانت عليها الأمة قبيل حركة الإمام وخصوصاً ما كانت عليه الحوزات العلمية الإسلامية وجملة الأفكار التي كانت سائدة بقوة آنذاك، حيث كان مفهوم فصل الدين عن السياسة والدولة قد غزا عقول المسلمين وتأثرت به الحوزات العلمية الدينية بدرجة كبيرة، وكان مفهوم التسليم للحاكم المسلم بالمطلق ولو كان ظالماً طاغياً مستبداً، كان هذا المفهوم له موقع كبير لدى كثير من المسلمين، وقد سمى الإمام علماء هذا المفهوم بوعاظ السلاطين. وكان أيضاً مفهوم التقية بصيغته السلبية ينقل الكثيرين حتى عن أصل التفكير بنهوض أو جهاد، إضافة الى افتقار الساحة الحركية الإسلامية الى صيغة للقيادة الشرعية الملزمة، تقوم (أي هذه الصيغة) على أسس فكرية وفقهية متينة وقوية.

- والأخطر في كل هذه التحديات والمشكلات هو أن من يحاول تجاوز هذه المفاهيم التي ألبست ثوب القداسة والطهارة سيقع حكماً في دائرة الإتهام والتكفير والإستهداف وهذا ما حصل للإمام بالفعل.

إلا أن الإمام، بما لديه من عزم راسخ واستعداد كبير حتى الشهادة واجه كل هذه التحديات واستطاع في نهاية المطاف تحطيم اسوارها، ليقدم بالمنطق والدليل والبرهان فهمه لموقف الإسلام الأصيل في هذا كله.

ما أردت أن أقوله إن الإمام لم يكن فقط يواجه الشاه أو أسياد الشاه الأميركيين أو المشروع الحضاري الغربي الوافد الى بلادنا، بل كان يصارع في الساحة الداخلية ما هو أشد خطراً في موقع الفكرة، وما هو أشد ألماً في موقع المعاناة حتى قال إن قلبه قد تألم بسبب العلماء المتحجرين وأدعياء القداسة أكثر مما عاناه من الشاه وظلمه.

- لقد عمل الإمام على تصحيح هذه المفاهيم الخاطئة، وعلى هذا الأساس أطلق صرخة الجهاد وحركة النهضة، وأكتفي هنا بسرد بعض العناوين:

١. تأكيد علاقة الدين بالدنيا والحياة ومسائلها المختلفة ومنها الحكومة، ورفض

مفهوم فصل الدين عن السياسة والدولة وإبعاد علماء الدين عن تحمل المسؤوليات العامة.

٢ـ تقديم مفهوم مختلف لمسألة التقية وظروفها وشروطها.

٣ـ رفض فكرة القعود والانتظار السلبي في زمن الغيبة الكبرى للإمام المهدي (عج) بحسب الاصطلاح الشيعي.

٤ـ رفض فكرة إسباغ القداسة والطهارة على أصحاب العبادة والزهد المتخلين عن السؤولية العامة اتجاه الأمة، واعتبار أن هذا الابتعاد ليس قداسة بل وقوع في أحضان الشيطان وأمر يصيب أساس تدين الإنسان والتزامه الإيماني فضلاً عن قداسته وطهارته، مستشهداً بما كان عليه الرسل والأنبياء والأئمة عليهم السلام. أعاد الفكرة الأصيلة التي تؤكد على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومواجهة الظلم والفساد وعلاقة هذا الواجب الديني الخطير بما يسمونه بالسير والسلوك الى الله تعالى والوصول الى مقامات القرب عنده.

٥ـ تقديم رؤية إسلامية محكمة حول مسألة القيادة الشرعية في هذا العصر فيما بلوره وركزه في ما بات يعرف بولاية الفقيه.

٦ـ المعالجة الفقهية والتفسير لإحدى المعضلات الرئيسية التي تواجهها الحركة الإسلامية، وهي كيفية التوفيق بين انتماء هذه الحركة الى الإسلام والأهداف الإسلامية وبين تبنّيها لمشروع وطني، أو قيامها بنهضة وطنية أو طرحها لشعارات وطنية، في ظل انشطار الأمة الى أقطار وأوطان.

٧ـ إحياء فكرة التدخل الإلهي في صنع النصر، طبقاً للوعد الإلهي في القرآن وأثر ذلك تربوياً ونفسياً في حركة الجهاد والنهضة.

٨ـ الرهان الكبير على الإرادة الشعبية والثقة بالأمة وبقدرتها على النهوض والتغيير والاستفادة من كل قطاعات الأمة وعدم الاكتفاء بالنخب.

٩ـ عدم الإتكاء أو المراهنة على الشرق أو الغرب في النهضة.

١٠ـ الدعوة الى امتلاك الوعي السياسي والتاريخي لمعرفة ما يجري في العالم لنستطيع تشخيص العدو والصديق بدقة.

١١ـ تنظيم الأولويات بوضوح والإخلاص لهذه الأولويات.

١٢ـ التأكيد على البعد الإنساني والأخلاقي في حركة النهضة في الأساليب والأهداف.

١٣ـ التأكيد على الوحدة وعدم التنازع والإبتعاد عن كل أشكال الفتنة وتعزيز روح التعاون والبحث الدؤوب والمخلص عن المشتركات بين الشعب الواحد أو الأمة الواحدة وبين المستضعفين جميعاً.

١٤- التأكيد على طهارة القيادة وتواضعها ونزاهتها وأبوتها، وفي الوقت نفسه حضورها في الساحة واستعدادها للتضحية بلا حدود.

الى جانب كل هذه المفاهيم والأفكار، هناك في موضوع النهضة إضافة مميزة من الإمام بصفته عارفاً شامخاً، إذ إنني أظن ولا أجزم أن الإمام طبق وأجرى في حركته الجهادية والنهضوية في مواجهة الشاه والاستكبار منهجه نفسه في السير والسلوك العرفاني الى الله تعالى أو اقتبس منه الكثير، فنجد الإمام يدعو الشعب مثلاً الى اليقظة والإبتعاد عن الغفلة والتفكر بحالته وبما فعله الشاه وأسياده في ايران كأول شرط للنهوض. وهذه التعابير والمضامين نفسها يعتبرها الإمام في دروسه الأخلاقية أول شرط للسير باتجاه الحق تعالى ومجاهدة النفس، ثم يدعو الشعب الى أن يتسلح كشرط ثانٍ بالعزم والإرادة، ويتخذ قراره بحسم المعركة، وهذا العزم يعتبره الإمام شرطاً للسير الى الله تعالى في جميع المراحل والمقامات على اختلافها، وهكذا أقول إني أظن، وهذه نقطة جديرة بالتأمل.

على كل حال، أعاد الإمام الحياة الى المفهوم الإسلامي الأصيل للجهاد والنهضة، وأثبتت التجربة أن ما قاله الإمام لا ينحصر في واقعة الثورة الإسلامية في إيران، حتى يقول البعض منا إن نجاح التجربة هناك مرتبط بالخصوصيات الإيرانية وليس بالمفهوم فقط، فبين أيدينا تجربة المقاومة الإسلامية التي انطلقت في

لبنان بعد اجتياح ١٩٨٢، والتي كانت وما زالت تنتمي الى فكر هذا الإمام قولاً وعملاً، ويملأ الإمام عقلها وقلبها والعيون، هو أعطاها الأمل ورسم لها الطريق وفتح أمام عشاقها أبواب الإستشهاد وحدد لها الأفق.

وفي نهجه كانت المقاومة الإسلامية فعل عبادة في مواقع الجهاد والدفاع، لا في كهوف الانزواء وزوايا المساجد. وفي نهجه تعلمت المقاومة الإسلامية مشروع الوحدة الوطنية وكيفية صنع مشروعٍ وطني، وفي نهجه استمدت النصر من الله ووثقت بشعبها وأهلها ومجاهديها، وفي نهجه كانت المقاومة تعبيراً إنسانياً وأخلاقيا مؤثراً، وفي نهجه عرفت قائدها وولي أمرها وبايعته، وفي نهجه نظمت أولوياتها وأخلصت لها، وفي نهجه شخصت العدو وعرفت الصديق، وفي نهجه تقدمت في دروب التضحية والفداء، وأيقنت أن الجهاد اقصر طريق لصنع النصر للأمة، وأن الشهادة اقصر طريق لوصول العشاق الى الله تعالى.

لقد كانت هذه المقاومة الإسلامية في لبنان ثمرة فكر الإمام وفقهه وروحه وأنفاسه، وستبقى وفية لتلك الروح العظيمة، تصنع مجد الوطن وكرامة الأمة، تعيد الأرض والمقدسات، وتقاتل بالدم لتهزم به السيف، وسيبقى الخميني إسمها وعنوانها وروحها وعشقها ودمها الذي يجري في العروق وأنسها والأمل.

في مئوية الإمام وفي مؤتمره المبارك سلام على روحه وبدنه، ودعاؤنا الى الله تعالى أن يثبتنا على نهجه ويحشرنا معه ومع أجداده الأطهار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة معالي الأستاذ

محمد يوسف بيضون

وزير التربية والتعليم والثقافة

أيها الإخوة:

وأنتَ تُقلِّبُ أطوارَ عصورِ المسلمينَ وأمسِهم القريب والبعيد، لا بُدَّ وأن تقفَ على محطاتٍ مميَّزة ظاهرةٍ بارزةٍ، محطاتٍ تُعجب شديدَ العجبِ برجالاتها. فهم إستثنائيون، تغييريون، ظواهر، أحدث قُدومهم أثراً بارزاً على طرقِ الحياةِ بشكلٍ عام وعلى صعيد مستوى أوطانِهم ودائرةِ علاقاتها بشكلٍ خاص، وذلكَ من خلال ما استنبطوه من فضيلة ما اصطفاهم الله به من إدراك عميق وقدرة مميزة على الإستشراف والإجتهاد وفنّ المسؤولية والقيادة، ممّا سَحَرَ أَلْبَابَ أبناءِ عصرهم واستولى على ذوي الحِجى فيه، وأيقظ في البشرية آمالاً وتطلعاتٍ هاجمةً هبطت في الأنفسِ لتصبح أحلاماً ربما كانت كامنةً تنتظر هؤلاء البشر الأبطال.

من هؤلاءِ المفضلين عند الله، الإمام روح الله الموسوي الخميني قدس الله سره.

عندما نبدأُ بالحديث عنه رضوان الله عليه، لا شكَّ بأن مجدَهُ وبطولته وقداستَهُ الكثيرَ الكثيرَ من الكلمات وتمحو العديدَ العديدَ من السطور، فتستحيلُ هذه الكلمات الهاربة وتلك السطور الممحوَّة أمام عظيم المناسبة وجلل الموضوع وشامخ النصر والعنفوان، إلى مساحات تأمل لا تلبس الكلمة فيها ثوب اللفظة ولا تأخذ المعاني لديها حيز المكان، بل هي كلها بمجملها أكثر ألقاً ووهجاً وتسامقاً على الواقع بواقع أكبر وبموقفٍ أعمّ.

أيها الإخوة:

فالواقع البشري الجديد الذي ترتبَ على ظاهرة روح الله الإمام الخميني أوقع

الدهشة، والحدثُ البكر في أنحاء العالم كله وفي وسط المسلمين غيرَ كُلَّ المعادلات والتوازنات وحفر في جسد العالم العربي والاسلامي أخدوداً من الأمل العربي والمروءة والنصر وكرم العطاءِ الممهور بالتضحية والدمِ الزكيِ الطاهر الذي روى أرض المسلمين وسال على جنباتها.

فالثورة الخمينية المباركة بقيادة الإمام الخميني كانت نافذةً لمعنى البطولة العربية والإسلامية، البطولة الزاحفة قدماً لتتجاوز التحرير إلى ما هو أبعد وتتجاوز النصر إلى ما هو أبهى، وتتعدى الزمن إلى ما هو أعمّ وأرحب. تتعداه إلى أملٍ عظيمٍ مفعم بصبرٍ وقوة وعناد لا حدود له ولا تخوم. هذه الثورة التي قاومت ودحرت أعتى وأكبر وأقسى جبروتٍ شهدهُ العالم المعاصر ومع هذا انتصر الإمام الخميني وانتصر الشعب الإيراني البطل، وعلت راية الإسلام خفاقةً ترفرفُ لتفيء وتدغدغ أحلام المستضعفين في كل بقعة من بقاع الأرض، لأن ذلك بمفهوم آية الله الخميني من أولويات مهمة الإسلام.

أيها الإخوة:

لقد جاء الإمام الخميني من عصر فجر الاسلام إلى عصرنا بقدرةٍ إلهية ليسقط أعتى نظامٍ أمبراطوري في العصر الحديث. لقد نفخ في روح العصر بالإسلام فكان المسلمون يقبلون على كلماته المرسلة من منفاه أكثر مما يقبلون على خبزهم اليومي، وحتى حينما كان الإمام الخميني يحلق في سماء إيران عائداً إلى وطنه من رحلة المنفى، كانت الأرض من تحته تموج بملايين المسلمين وكأن ملاك هبط من السماء، ولكن هذه المرة بطائرة نفاثة على حد ما قال أحد الصحافيين الأجانب.

أيها الإخوة:

إن الإمام الخميني هو بحق، صاحب أول تجربة حكم إسلامي في عصرنا الحاضر، هو تجربة رائدةٌ وغير مسبوقةٍ، لأنه منذ الخلفاء لم تقم دولة الإسلام الوضعية فصارت الدولة الإسلامية مجرد فكرة نظرية شكك البعض بأنها تصلح للزمن الراهن ذي التركيبات الإجتماعية والسياسية والإقتصادية المعقدة.

إلى أن جاء هذا الإمام الذي أثبت بجدارةٍ أنَّ الإسلام كدين ودولة هو لكل العصور فيما التجارب الأخرى فشلت في تطبيق الإسلام، بل هي ربما أضرت بالفكر الإسلامي وبمساحته ورحابته وشمولية هذا الدين العظيم.

أيها الإخوة:

ويورقُ دمُ الشهادة الإسلامية العربية في كلّ بقعة من بقاع المسلمين أنىّ كانت وأنىَّ وقعت، والتي استفاقت ونهضت كما استفاقت ونهضت المقاومة في الجنوب اللبناني البطل المقاوم، وخلعت عن كاهليها بُردة الخنوع والإستسلام والإنتظار لتقابل وتقاوم وتجيب وتناضل مسلحة بشكل أساسي باصول الإسلام وعقيدته المؤيدة بمبادئ الإمام القائدوتوجيهاته وإرشاداته.

ويورقُ دمُ هذه الشهادة الإسلامية الطاهرة وتثمرُ عطاياه ويزهرُ مخضباً خطَّ الأفق فينبلجُ من غياهب العتمة فجر أمةٍ إسلامية جديدة، ويبدأ لحنُ ولادة أمةٍ اسلامية جديدة.

أيها الإخوة:

في الذكرى المئوية لولادة الإمام القائد، التي تتزامن مع ولادة الإمام المهدي، اليوم الذي أعلنه الإمام الخميني يوماً عالمياً للمستضعفين، يسعدني أن أتوجه بالتحية والتقدير لكل من ساهم وعمل لانعقاد مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة، هذا المؤتمر الذي ستسهم مناقشاته وأبحاثه بتسليط الضوء على فكر الإمام الذي استطاع بناء دولةٍ ترتكز على المؤسسات وتسير في طريق التطور الديموقراطي وتفسح المجال أمام الرأي الآخر وتسمح للتيارات الفكرية المتعددة بأن تتفاعل بشكل ديموقراطي.

أيها الإخوة:

يكفينا من عندنا، من شرق أوسطنا، من لبناننا العربي وحكمه الوطني، أن نقول لأجلكم أيها الإمام القائد ولأجل التمسك بمبادئكم القدس تنادينا، تسأل عن دماءِ شهدائنا ليرفرفَ فوقَ قمم مآذنها ومن على مذابح كنائسها طيفٌ من عطر

شذاكم، أنتم الذين تطلون داعين للحق ومنقذين للشرف.

أيها الإخوة:

في الختام أجدد شكري للقيّمين على هذا المؤتمر ولجميع المنتدين فيه والمتابعين لأعماله وللجنة إحياء الذكرى لتبقى دروس الإمام خالدة تنير الدرب وتهدي للتي هي أقوم.

والسلام عليكم ورحمة الله.

كلمة البطريرك الماروني نيافة الكاردينال **مار نصرالله بطرس صفير**

ممثلاً بسيادة **المطران أنطوان نبيل العنداري**

أصحاب الدولة والمعالي والسماحة والسيادة والسعادة،

أيها الحفل الكريم،

يسرّنا أن نلبّي الدعوة إلى المشاركة بالذكرى المئوية لولادة الإمام الخميني، أحد كبار المصلحين في تاريخ الإسلام. إنطلق الخميني من نظرية الإمامة متبنيّاً مبدأ «عموم ولاية الفقيه»، ومشخّصاً الواقع الذي يعيش فيه المسلمون، كاشفاً بعض أوجه هذا الواقع، وبين ما يقول به الإسلام ويدعو إليه... وبالتالي إلى الثورة على الظلم وعلى الظالمين، كما يسميّهم على حدّ سواء. من هنا مبدأه المعروف «لا شرقية ولا غربية»، وهو ترجمة لدعوته إلى الإستقلاليّة ورفضه التبعيّة.

إن تبعيّة دولة أو أمّة من الأمم لغيرها من الدول والأمم تعني الإنقياد لها والسير خلفها وفقدان القدرة على المبادرة، بحيث تتحول العلاقة بينهما إلى علاقة التحاق وخضوع وتابع ومتبوع. وعادة ما تكون الأسباب الإقتصادية المدخل لنشوء حالة التبعيّة وصولاً إلى التبعيّة السياسية فالثقافية. وأكثر ما يبرز هذا الأمر في علاقة البلدان النامية بالدول الصناعية حيث تدخل الدول النامية في علاقة اقتصادية مع بلدان أقوى منها: تقنيّة وإنتاجاً وتصديراً وتنافسيّة وتحكّماً بالرساميل والأسواق وهيمنة على السوق النقدية العالمية، مما يترك هامشاً ضيّقاً للدول النامية. إنّها علاقة الأطراف بالمركز، إنّها علاقة الإستغلال والهيمنة!

وبالمقابل، فإن لفظة الإستقلال تحمل مضامين سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية. ولكن معناها الفلسفي الحصري يعني «عدم الحاجة إلى الآخرين وعدم الخضوع لشريعة مفروضة من الخارج». ويدلّ معناها السياسي على «تمتّع الدولة

بالسيادة أي ما لها من سلطان تواجه به الأفراد داخل إقليمها وتواجه به الدول الأخرى في الخارج». وهذا يعني أن الدولة المستقلة تتمتع بهامش كبير من المبادرة والحريّة لتحديد خياراتها بما فيها الخيارات السياسية والاقتصادية.

إن رفض الإمام الخميني للتبعية، غربية كانت أو شرقيّة، ودعوته إلى الاستقلالية عن الغرب والشرق في آن، هو موقف استشرافي يستمدّ جذوره من مبرّرات إيديولوجية وسياسية واقتصادية وثقافية، ونكتفي بذكر اثنين منها:

١ـ مبرّر إيديولوجي: متصل بفلسفة النظام الإسلامي (خاصة في مؤلفه «الحكومة الإسلامية»). ودور وليّ الفقيه في رسم هذا النظام ليس على أساس المفهوم التقليدي بين الدارين: دار الإسلام ودار الحرب، بل على أساس مفهوم دار المستضعفين ودار المستكبرين. وبهذا تأخذ الرؤية الإسلامية الجديدة بُعداً كونياً شمولياً لأنها تجمع في جانب كل المستضعفين في الأرض من مسلمين وغير مسلمين، وفي الجانب الآخر كل المستكبرين في الأرض من أهل الهيمنة العالمية. ومثل هذا التوازن اللامنحاز يجد جذوره الثقافية في الحضارة الفارسية.

٢ـ مبرّر سياسي: وهو أن الذين درسوا تاريخ إيران المعاصر لاحظوا وجود خط بارز فيه ألا وهو هاجس التدخل الخارجي: أمبراطوريات البحر في الجنوب (بريطانيا ثم أميركا) وأمبراطورية البر في الشمال (روسيا ـ الاتحاد السوفياتي). وطبيعي أن يعمل الإمام الخميني على التغلب على هذا الهاجس برفض الإثنين معاً وإعلان بديله الإسلامي كجزء مركزي من عالم المستضعفين في وجه أنماط الحياة الخارجية التي تدمّر الحياة الإسلاميّة وقيمها الخلقيّة والثقافية.

أيها الحفل الكريم،

ثلاث ملاحظات تطرح نفسها علينا وعليكم في ضوء هذه الرؤية التي أطلقها الإمام الخميني.

الملاحظة الأولى: إذا كانت حدود الإستقلالية (إستقلالية الدول) حدوداً هشّة في الماضي القريب بحيث لا يمكن الحديث عن إستقلال تام لأية دولة، فما الذي يمكن

قوله اليوم في زمن العولمة؟ أليس أن المهمة صارت أكثر تعقيداً وصعوبة وإن لم تصبح مستحيلة؟! ألا تتطلّب مواجهة راقية وفاعلة بمختلف الأساليب وفي مختلف ميادين المعرفة للإرتقاء إلى مستوى التحدّي الذي تفرضه على العالم قوى التأثير والهيمنة الثقافية؟!

الملاحظة الثانية: هل يمكن أن نواجه عالم الغد والمستقبل بإنسان مقموع في فكره وخياله وتعبيراته، أم بإنسان مستقبلي قادر على الخروج من دائرية التاريخ الماضي إلى آفاق الإنسان الحرّ المبدع والمساهم في صناعة التاريخ وبنائه في آن؟

الملاحظة الثالثة: إن تشديد الإمام الخميني على رفض التبعية والدعوة إلى الاستقلال، يطرح على ضميري وضميركم وضمير كل لبناني وعربي وأعجمي مسألة مصير لبنان: الإنسان، الدولة والكيان. ألا يستحق هذا البلد الذي وصفه قداسة البابا يوحنا بولس الثاني بأنه بلد رسالة، ووصفه الرئيس الإيراني خاتمي بأنه موئل للفكر وحصن للثقافة ومنبر للحوار بين الديانات والحضارات والثقافات، ألا يستحق أن ندافع جميعاً عن استقلاله وسيادته وأن نرفض تبعيته لأي كان، فنقرن القول بالعمل والمبدأ بالممارسة؟!

أجل، أيها الإخوة، نحن مدعوون وإياكم، ليس فقط إلى كلمة سواء بل إلى مواقف تاريخية تستوحي البعدين الروحي والوطني من فكر الإمام الخميني، ومن أعماق إيماننا وديانتنا، لتحقق لنا جميعاً الخير العام والنفع الوفير.

وشكراً

كلمة مفتي الجمهورية اللبنانية سماحة الشيخ محمد رشيد قباني
ممثلاً بسماحة الشيخ أحمد الزين

في الذكرى المئوية لميلاد الإمام الخميني رحمه الله تعالى، ماذا عساي أن أتحدث؟

أأتحدث عن الرجل الذي أسس الجمهورية الإسلامية في إيران، أم عن العالم الكبير الذي قرن علمه بالعمل والجهاد ووصل الى درجة عالية من العرفان والصلة بالله تعالى والتوكل عليه...

أم أتكلم عن خلقه الإسلامي الذي برز بتواضعه وحبه للناس واهتمامه بهم؟

إن الحديث عن شخصية الإمام الخميني وفكره وإنجازاته يحتاج إلى أكثر من مؤتمر وأكثر من كتاب وخطاب، لذلك، فإن كلاً منا سيتناول عدداً من مواقف الإمام الخميني التي لها علاقة بنا نحن اللبنانيين، وبالقضية الفلسطينية والمستضعفين والإسلام والمسلمين.

ونبدأ بالقضية الأولى المتعلقة بنا في لبنان، ونجد أن الإمام الخميني رحمه الله وقف إلى جانبنا منذ اللحظة الأولى لدخول القوات الإسرائيلية إلى لبنان واحتلالها للعاصمة بيروت، فشجب العدو الإسرائيلي ودعا لمواجهته، وأعلن تأييده ومساندته للمقاومة الإسلامية بجميع الوسائل حتى إجبار العدو على الخروج من الأرض اللبنانية.

إن هذا الموقف من الإمام الخميني وخليفته السيد الخامنئي يجعلنا معشر اللبنانيين مدينين له ولخليفته من بعده وللشعب الإيراني العظيم على مساندتهم لنا في مواجهة العدو الصهيوني.

وأما القضية الثانية التي حمل همومها الإمام الخميني والتي كانت من الأسباب الأساسية التي دفعت الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية لمحاربته، فهي القضية الفلسطينية وموقفه المتشدد منها، والذي تمثل بعدة أمور: أولها، إقفال السفارة الإسرائيلية في طهران ودعوته منظمة التحرر الفلسطينية لتقيم في المبنى نفسه. وثانيها، الشعار الذي أطلقه وصار مثلاً يردده جميع الناس وهو «اسرائيل غدة سرطانية يجب ان تزول». والثالث، هو احتضانه ومساندته للمقاومة الفلسطينية واستمرار هذه المساندة بعد وفاته.

إننا في لبنان لا نستطيع أن ننفض أيدينا من القضية الفلسطينية لما لها من تأثير على حياتنا، فلسطين قلب الوطن العربي، وهي بلد المسجد الأقصى وكنيسة القيامة، وتفصلنا عنها حدود مشتركة. وإن احتلالها من قبل العدو الإسرائيلي وطرد أهلها وإخراجهم منها ولجوء الآلاف منهم الى لبنان، أثر على جميع نواحي حياتنا، ثقافياً واقتصادياً واجتماعياً. وإن الخطر الأكيد والفادح على لبنان إنما يكمن في إسرائيل ومشروعها العدواني والتوسعي والتي وصفها بصدق الإمام الخميني بانها الغدة السرطانية، وذلك لان العدوانية من طبيعتها، والتوسع والهيمنة والتسلط من أهم أهدافها، وما حديث قياداتها عن السلام إلا لخداع الرأي العام العالمي. وإن لبنان لن ينعم بالأمن والإستقرار، وكذلك المنطقة العربية برمَتها، مع وجود العدو الإسرائيلي. وسيبقى الخطر الإسرائيلي يهدد المنطقة واستقرارها ويعوق نموها وتقدمها ،وإن عُقدت المعاهدات وأبرمت الإتفاقات والتسويات مع العدو.

والعرب مدعوون لمراجعة الذات والتفكير بعمق وتجرد بالحالة التي وصلوا إليها، والخسارة الجسيمة التي تكبدوها،سياسياً ومالياً وأخلاقياً، بسبب السياسة الخاطئة والقائمة على التفرقة والتفرد بالرأي.

فهل بعد الذي أصابهم قد أدركوا الحاجة للقاء والتشاور وتوحيد القرار السياسي والتعاون والتكامل؟ ونحن في لبنان وسوريا قطعنا خطوات على هذا

الطريق، فأين سائر الاخوة من العرب.

إننا في لبنان نشعر بحاجتنا لمساندة إخواننا العرب والمسلمين وسائر الشعوب المحبة للعدالة والسلام والحرية ما دام عدونا يحظى بمؤازرة ومساندة الولايات المتحدة الأميركية وكثير من الدول المخدوعة بأكاذيبه وأضاليله.

وفي الذكرى المئوية لميلاد الإمام الخميني، أول المساندين للمقاومة في لبنان، نعلن أننا سنبقى بجميع فئاتنا وطوائفنا ومذاهبنا وأحزابنا يداً واحدة وقلباً واحداً مع المقاومة حتى تحرير كل حبة تراب من ارضنا اللبنانية في الجنوب والبقاع الغربي، مشيدين بموقف الدولة اللبنانية من المقاومة ومساندتها لها.

ونحن مقبلون على شهر رمضان المبارك، نتذكر التفات الإمام الخميني للقدس الشريفة واهتمامه الكبير بها ودعوته المسلمين في كل أنحاء العالم ليجعلوا يوم الجمعة الأخير من شهر الصيام يوماً للقدس، لتبقى حية في ضمائرهم، حتى يأتي اليوم الذي يحررونها فيه ويطهرونها من رجس الصهاينة.

وحين يتوجه العالم نحو العولمة وتقطع أوروبا اشواطاً كبيرة على طريق التوحد، وحين نرى ما حل بنا من خسارة وانهزام بسبب التفرقة والتشتت، ندرك قيمة دعوة الإمام الخميني المسلمين للوحدة الإسلامية، لا من قبيل العصبية الدينية وإنما إنطلاقاً من دعوة القرآن الكريم، والإلتفات للمصلحة ودرء الضرر اللاحق بالأمة من الطامعين بها، وللمساهمة الأكيدة في بناء حضارة تقوم على كرامة الإنسان وتنشر العدالة بين الناس.

والدعوة للوحدة هي دعوة إنسانية وحضارية يتفق الناس، وإن اختلفوا في انتماءاتهم الدينية والقومية، عليها، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿**يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ ومن أجل ذلك ننطلق نحن المسلمين في لبنان بالدعوة ..... منسجمين مع قيمنا الإسلامية والمصلحة الوطنية في بناء وطننا والنهوض به وللدفاع عنه بوجه الأعداء، وبخاصة العدو الإسرائيلي.

إن اهتمام الإمام الخميني بالمستضعفين من الناس والدفاع عنهم لهو تعبير صادق عن وظيفة العالم في حمل القيم الإنسانية والأخلاقية والدفاع عنها في هذه الأيام التي نرى فيها المستكبرين في العالم لا يتورعون عن تشريد مئات الألآف بل الملايين من الناس من خلال القرارات السياسية والعسكرية الجائرة وصولاً لنهب الثروات .

رحم الله الإمام الخميني العالم العامل والقائد المدافع عن العدالة وكرامة الإنسان.

كلمة غبطة البطريرك **اغناطيوس الرابع هزيم**

ممثلاً بسيادة **المطران الياس نجم**

أيها الإخوة الكرام في لجنة إحياء مئوية الإمام الخميني(قده)، الذين تناديتم لإقامة هذا المؤتمر التاريخي تحت عنوان: «الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني(قده) على ضوء التحديات المعاصرة».

نحييكم ونكبر فيكم جهدكم الذي تبذلونه من أجل تعميم فكر رجل الدين والثورة العظيم، حامل راية الإسلام، الإمام الخميني(قده).

أما الموضوع فهو حول جهاد ونهضة من أجل عزّة البشرية وانتصار الحق وإزهاق الباطل.

ومن تعمق بفكر وجهاد الإمام الخميني(قده) وجهاده رآه وكأنه واقف على قمة الدنيا، ثائر مصلح بكل أنواع المفاسد التي تستشري في شرايين المجتمع البشري. فالأمانات التي تركها فكر الإمام الخميني(قده) قد تحولت تبصراً في تحولات الزمان ينهل منها جيل صاعد وثائر أنساماً ورياحاً وشروداً في الجرود، يردونها جياد حرية ويأخذونها صلابة فيردّونها عنفواناً.

إننا في المناسبة، ومن ضمن المحاور الخمسة التي سيدور البحث عنها في هذا المؤتمر الكبير، قد اخترنا المحور الرابع والذي يحمل عنوان: «فلسطين والقدس في فكر الإمام الخميني(قده)، أولويات المواجهة».

أولاً: موقع القضية الفلسطينية في فكر الإمام الخميني(قده):

إن القضية في فكر الإمام الخميني(قده) هي قضية حق مطلق، اغتصبه شر مطلق، ولا بد من أن يعود الحق إلى نصابه، وأن تعود فلسطين إلى أصحابها

الحقيقيين، ولا بد من أن يزول الإغتصاب والإحتلال، ويزول الشر فتتحرر فلسطين مهما كلّف الأمر من تضحيات ونضال واستشهاد، فإسرائيل المزعومة تشكل الخطر الأساسي الذي يهدد الدول العربية والإسلامية، هذه الدول مجتمعة، التي عليها دعم استعدادها العسكري لتحرير فلسطين، فالتضامن العربي والإسلامي - ينبغي أن يلجم المطامع التوسعية العدوانية، ومن أجل ذلك يجب إنشاء قيادة عربية - إسلامية - مسيحية، وطنية - قومية موحدة، لمواجهة احتمالات العدوان المرتقب، ولقهر العدو، وإعادة الحق إلى نصابه. فالمطلوب إذن وجوب استعمال جميع الطاقات العربية والإسلامية والمسيحية في قارتنا هذه لمواجهة تحدّي الإستعمار والصهيونية، وإصرار إسرائيل على سياساتها العدوانية. قضية فلسطين هي قضية العرب جميعاً، وقضية المسلمين جميعاً، وقضية المسيحيين جميعاً، ولا يجوز لأي طرف التنازل عن التزام الدفاع عن الحق المسلوب.

أما الشعب الفلسطيني فله حق العودة إلى وطنه وتقرير مصيره، وإقامة دولته المستقلة على تراب فلسطين. وعلى الدول العربية والصديقة، وبنوع أخص الجمهورية الإسلامية في إيران، مساندة السلطة الفلسطينية التي تلتزم الحفاظ على الوحدة الوطنية الفلسطينية، وعدم التفريط بذرة تراب واحدة من فلسطين، الحبيبة على قلوب العرب والمسلمين.

أما ما يقوم به عرفات اليوم مع من يتآمر معه من المتخاذلين الفلسطينيين من اتفاقات ذل وإذعان في «أوسلو وواي ريفر» فليس سوى تآمر على فلسطين والعرب والمسلمين والمسيحيين، لأنه يبيع فلسطين لأعداء الأمة الصهاينة الأنجاس. فقضية فلسطين قضية عربية إسلامية مسيحية مصيرية، وهي جوهر الصراع مع العدو الصهيوني، ومن يدعمه من المستكبرين، وإن أبناء الأمة العربية ومعهم جمهورية إيران الإسلامية معنيون بها وملزمون بالنضال من أجلها وتقديم كل التضحيات المادية والمعنوية المطلوبة في سبيلها. وإن النضال من أجل استعادة الحقوق العربية في فلسطين مسؤولية قومية ومسؤولية إسلامية ومسؤولية مسيحية عامة.

بالمحصلة، فإن تضافر الجهود العربية وتضامن العرب ووحدتهم المصيرية، كذلك تكاتف هذه الجهود مع الأشقاء المخلصين والأصدقاء، وبنوع أخص مع جمهورية إيران الإسلامية، وعملاً بفكر القائد الإمام الخميني(قده) سينتصر الحق بعونه تعالى ﴿**وإن ينصركم الله فلا غالب لكم**﴾.

ثانياً: المنطلقات الدينية والسياسية «لإزالة إسرائيل من الوجود»:

كانت المنطلقات الدينية في الإسلام والمسيحية تدعو إلى الخير والحق وتنهى عن المنكر، وتضع الأسس السليمة لبناء المجتمعات البشرية بناءً خلقياً حضارياً روحانياً، يسمو بالإنسان إلى تبوُّؤ درجات الرقي والتطور لبلوغ الكمال، والوصول إلى الله، جل جلاله. وكانت الصهيونية العالمية التي انبثقت عنها إسرائيل، الشر المطلق، تدعو إلى إفساد المجتمعات وعرقلة تقدمها ونموها. لذا كان من الواجب على الديانات السماوية أن تضع حداً لهذه الغطرسة الإسرائيلية، وذلك من خلال العمل على معالجة أوضاعها، غير أن المعالجةالناجعة بالإرشادات والتعاليم السماوية للديانتين، المسيحية والإسلامية، لم تفعل فعلها عبر سنوات طوال، لذا كان لا بد من الإستئصال لهذا الجسم الخطير الذي هو أشبه بالمرض السرطاني. من هنا لا بد من القول إن إسرائيل يجب أن تزول من الوجود ليرتاح العالم من هذا الشر المطلق.

هذا على الصعيد الديني. أما على الصعيد السياسي، فلا بد من استعراض تاريخ الصهيونية الشرير، والعالم كله يعرف تماماً مدى خطورة التعاطي مع هذا الصنف اللئيم من البشر، إذ جرّب المتحررون في هذا العالم إصلاح السياسة الصهيونية فلم يفلحوا. لذا يجمع كل المتحررين على سطح الكرة الأرضية على أن التخلص من الصهيونية ومن إسرائيل، هو الطريق الأسلم للوصول إلى سلم عالمي حيث يعم العدل والمساواة والرخاء والبحبوحة أرجاء الكون الفسيح.

ثالثاً: الأبعاد التعبوية والسياسية والجهادية ليوم القدس العالمي:

القدس مهبط الديانات السماوية. القدس موئل الآلهة والأنبياء. القدس محط أنظار العالم في كل أرجاء الكون. القدس دنّسها الإحتلال الصهيوني وأبعد عنها

المؤمنين، مسيحيين ومسلمين. القدس، هذه المدينة التاريخية في فلسطين المحتلة، تناجي ضمائر العالم أن تعمل على تحريرها من التسلط الصهيوني ومن شر إسرائيل المطلق.

ولما كان الإمام الخميني(قده) هذا الصرح العلمي الكبير، هذا الجبل في العلم والمعرفة والدين والإيمان، هذا الثائر التاريخي، يعرف أهمية هذه المدينة المقدسة والمحرومة على المؤمنين، فقد عمل جاهداً على إطلاق «يوم القدس العالمي» ليثبت للعالم أجمع ما تقوم به إسرائيل ضد البشرية جمعاء، في تهويدها لهذه المدينة العربية العريقة في التاريخ.

الإمام الخميني(قده)، بما يمثله من ثقل إسلامي وعالمي، دعا إلى تعبئة الجماهير العربية والإسلامية والمسيحية للمطالبة بتحرير القدس من دنس الاحتلال الصهيوني، وهكذا يجب على العالم أجمع، في كل أرجائه، أن يعرف ما تعاني منه هذه المدينة ليطالب بتحريرها وإعادتها إلى سموّها كمركز عالمي للحضارات الدينية، حيث لا يحق للصهاينة أن يدوسوا أرضها كي لا تتدنس وهم الآن يدنّسوها. فيا أيها العالم ،هبّ لنصرة القدس في يوم القدس العالمي، مجاهداً مناضلاً، فينتصر الحق ويزهق الباطل.

ومن الكلمات القصار، مواعظ وحكم من كلام الإمام الخميني(قده): «يجب علينا أن ننهض جميعاً للقضاء على إسرائيل، وتحرير الشعب الفلسطيني البطل»[1].

رابعاً: مسؤولية العالم الإسلامي والشعب الفلسطيني في تحرير فلسطين:

فلسطين دولة عربية ودولة إسلامية مسيحية في قلب الأمة العربية، وفي قلب الأمة الإسلامية. ولما حلّت بفلسطين النكبات، ودارت حولها المؤامرات، ولما كان وعد «بلفور» المشؤوم بإقامة كيان صهيونيّ على أرض فلسطين العربية وذلك منذ اثنين وثمانين عاماً، كان لا بد للعالم الإسلامي وللأمة العربية، وبنوع أخص الشعب

(١) الكلمات القصار، «القدس وفلسطين»، (دار الوسيلة). ص ١٩٣.

الفلسطيني، من النضال الدؤوب لأجل تحرير فلسطين من العبث الصهيوني، ومن التسلط والاغتصاب الإسرائيلي، ومن مؤامرات المستعمرين في التاريخ الحديث على هذا القطر العربي الحبيب، فلسطين.

إن كل مسلم ومسيحي في الأمة الإسلامية، وكل عربي في الأمة العربية، مدعو إلى الالتحاق بالمقاومة القومية والإسلامية من أجل العمل على تحرير فلسطين.

إن كل طاقة مادية إسلامية وعربية يجب أن توضع في تصرف النضال والمقاومة من أجل تحرير فلسطين.

إن كل الإمكانات المادية والإقتصادية والثقافية والإعلامية والعسكرية يجب أن توضع بتصرّف المقاومة القومية الإسلامية الموحدة من أجل تحرير فلسطين.

نقول للعالم أجمع: إن أطفالنا ونساءنا وشبابنا وكهولنا هم الطاقة المؤهلة التي يتوجب عليها تحمّل مسؤولية تحرير فلسطين من براثن هذا العدو الشرس، العدو الصهيوني. نقول للعالم أجمع، إنه «لا بد لليل أن ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر» ولا بد أن تتحرر فلسطين وتعود إلى قلب الأمة العربية، رائدة في الأمة الإسلامية، وهذا ما دعا إليه الإمام الخميني(قده).

خامساً: الكيان الصهيوني: حتمية الصراع، ومخاطر التسوية والاعتراف:

الكيان الصهيوني، كيان مزيف زائل لا محالة. والصراع معه صراع تاريخي لشعوب المنطقة الإسلامية والعربية. فالأجيال الصاعدة والنشء الطالع سيتربى على هذا الصراع الدائم ريثما ينتصر الحق ويزهق الباطل. فهذه الأجيال ستقول: لا للإستكبار، لا للصهيونية، لا لإسرائيل، نعم لفلسطين العربية المسلمة والمسيحية، وعاصمتها القدس الشريفة. فالجهاد والمقاومة والنضال أمور مقدسة تتربى عليها الأجيال إلى أن يتحقق العدل وتنهزم وتزول إسرائيل. أما إذا أوردنا ما يدور الآن من أحاديث عن سلام وتسوية مع العدو فهذا ليس سوى تكتيك مرحلي من أجل تحقيق مكاسب. فإسرائيل اللعينة تسعى إلى هذا ونحن بحق نسعى إلى سلام عادل وشامل، ونعني به أن فلسطين يجب أن تعود إلى أصحابها الحقيقيين، إلى

الفلسطينيين العرب، مسلمين ومسيحيين.

للعالم نقول، ونخص المستكبر الأميركي: فلسطين عربية وستبقى عربية ما دام صراعنا مع العدو الإسرائيلي صراعاً تاريخياً لن ينتهي إلا بزوال إسرائيل. على الجميع أن يعلموا أن هدف الدول الكبرى من إيجاد إسرائيل لا يقف عند احتلال فلسطين، فهؤلاء يخططون - نعوذ بالله - للوصول بكل الدول العربية إلى نفس المصير الذي وصلت إليه القدس[1].

نيابة عن مولانا صاحب الغبطة، أغناطيوس الرابع، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، نقدم الإجلال والاحترام لفضيلة الإمام المجاهد الخميني(قده)، لأن صوته يدوي في وجه الظالمين، في وجه المستكبرين. وهناك منذ ألفي سنة «صوت صارخ في البرية قوموا طريق الرب»، (يوحنا ١: ٢٣).

وفضيلة المجاهد الإمام الخميني(قده) يقول بوصيته: «أن يظلوا أوفياء لهذا النهج بكل صلابة واستقامة والتزام وثبات، هو صرخة ضد الظالمين في العالم، وإبقاء هذه الصرخة المحطمة للظلم نابضة بالحياة».

«... إن وصيتي السياسية الإلهية لا تختص بالشعب الإيراني العظيم الشأن، بل هي توصية لجميع الشعوب الإسلامية ومظلومي العالم من أي شعب ودين».

كان يريد أن يضع حداً للظالمين والمستكبرين على الأرض، وهذا ما جاء على لسان النبي داوود: «إلى متى الخاطئون يا رب يتغطرسون. إنهم بالظلم ينطقون ويتباحثون. جميع عمّال الإثم بذلك يتحدثون. لقد آذوا يا رب شعبك وأضروا بميراثك. فقتلوا الأرملة واليتيم، وفتكوا بالغريب، وقالوا إن الرب لا يبصر وإله لا يفطن»، (مزمور ٩٣: ٣).

وجاء في رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كونتوس: «أو لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله» (١كو: ٦-٩).

---

(١) الكلمات القصار. «القدس وفلسطين». دار الوسيلة. ص١٩٣

وفي رسالته لأهل كولوسي: «وأما الظالم فسينال ما ظلم به وليس محاباة» (كو٣: ٢٥).

ويقول يسوع في إنجيل لوقا: «من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة، زنى، فسق، قتل، سرقة، طمع، خبث، مكر، عهارة، عين شريرة، تجديف، كبرياء، جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان». (لوقا٧: ٢٢).

كلمة بطريرك الأرثوذكس الأرمن **الكاثوليكوس آرام الأول**

ممثلاً **بالأرشمندريت بارين فارتنيان**

أحيّي بثناء كبير هذا المؤتمر الذي يعقد لمناسبة الذكرى المئوية لولادة الامام الخميني، إنني واثق بأنَّ هذا المؤتمر سوف يمنح المشاركين فيه، وعامة الناس، فرصةً لوضع أفكار الإمام الخميني وآراءه وهمومه ومواقفه تحت المنظار حول القضايا الإسلامية والإنسانية عامة.

الكفاح احتل موضعاً خاصاً في مفهوم الإمام الخميني وعمله وحيانه. تلك الكلمة التي كانت ثابتة دوماً في صميم حياته وعمله، كلمة كانت ولا تزال تحتل موقعاً هاماً في الديانتين الإسلامية والمسيحية. أنا سعيد لأنكم خصّصتم مكاناً خاصاً لهذه الكلمة في جدول مواضيع برنامج هذا المؤتمر، وبهذا الإطار أوَدُّ أن أتقاسم معكم بعض الأفكار.

قلتُ وأكرر إنَّ مفهوم الكفاح هو قاسم مشترك بين المسيحيين والمسلمين، عندما ندرس تاريخ الأديان، ونشأتها وتطوراتها وتعاليمها، سنجد هناك ـ بكل تأكيد ـ أن الكفاح كان له المكان والدور الأساسي بشكل دائم ولا يزال. بهذا المضمار أوَدُّ أن أُوضحَ بعض نقاط مفهوم الكفاح من المنظور المسيحي.

أولاً: يجب أن لا يختلط معنى الكفاح بالإستبداد والسيطرة والقهر والإضطهاد ولا بالدمار والموت والحرب. الكفاح عبارة عن موقف شجاع ونبيل وراسخ بالمعنى الأخلاقي والروحي والفكري، هو موقف ليس لمعاكسة الشر ومجابهته فقط، بل للعمل على الخير والنضال من أجل كل شيء إيجابي.

ثانياً: الكفاح بالمفهوم المسيحي هو موقف إنساني ضد الشر والخطيئة، وضد المنظمات والهيئات التي تحاول إبعاد وجود الله من حياة النسان ، والتي تحاول نشر

الكره والضغينة عوض المحبة الإلهية، والظلم عوض العدل، والموت عوض الحياة في حياة المجتمع والمجتمعات.

ثالثاً: الكفاح ليس ضد أعداء الله فقط، بل أيضاً من أجل ترسيخ ملكوت الله على هذه الأرض، ملكوت الله هو الذي يُرسّخ المحبة، والعدل، والسلام والقيم الأخلاقية في حياة المجتمع الإنساني. لذا بهذا المفهوم، حوّل سيّدنا يسوع المسيح حياته كلّها ورسالته الى كفاح مستمر. كفاح ضد كل المنظمات والسلطات والأشخاص الذين كانوا يريدون زرع الشر والفساد، وإسقاط القيم الأخلاقية والإجتماعية والإنسانية من حياة الإنسان. لذلك نرى أنّ اتباع المسيح يعني المشاركة في الكفاح العام للمجتمع. اليوم الكفاح ذاته مستمر في حياتنا، لأن مجتمعنا المعاصر محاصر بالشرور والأخطار نفسها. فديانتا الإسلام والمسيحية ليستا ديانتين بعيدتين عن الحياة، بل ديانتان مندمجتان في عمق الحياة اليومية. الإسلام والمسيحية كلاهما يشدّدان على القيم الأخلاقية وعلى الحقائق السماوية التي أعطيت لنا، لتسير بها ومن خلالها حياة الإنسان والمجتمع. لذا كلتا الديانتين لا يمكن أن تكونا غير مباليتين بالأخطار المحدقة بحياة الإنسان وتبقيا ساكنتين.

اليوم في كل مكان من العالم نُشاهد انعدام القيم الأخلاقية والروحية. غالباً ما يطغى نمط حياة الغرب والفكر والعادات الغربية على مجتمعاتنا الشرقية المحافظة فتؤدي الى سقوط وانهيار القيم الأخلاقية فيها. إنني أؤمن بأنه هنا يكمن المردود لكفاح الإمام الخميني الذي قام به لخير الإنسان والمجتمع. الإمام خلال حياته وتعاليمه ـ كما ذكرت ـ شدّد على مفهوم الكفاح، الذي كان يعني له العودة إلى جذور الإسلام الأصيلة.

الكفاح يعني الحفاظ على القيم الأخلاقية للدين. الكفاح يعني الإنفتاح والحوار مع الأديان الأخرى التي تعمل على نشر القيم والحقائق السماوية ذاتها في حياتنا الإنسانية . أنا أؤمن بأننا نستطيع إيجاد تعاون مشترك حول هذه النقطة الأساسية بين الديانتين المسيحية والإسلامية.

أمام انهيار القيم الأخلاقية، لا تستطيع الديانتان البقاء ساكنتين غير مباليتين، فالمجتمع يتدمر، عندما تنعدم فيه القيم الأخلاقية. الديانتان يجب أن تُبادرا إلى التعاون من أجل إعادة تعزيز المبادئ الأخلاقية للإنجيل المقدّس والقرآن الكريم. ها هي الدعوة المشتركة أمامنا. الإمام الخميني بحياته وعمله رسمَ الدرب الصحيح إلى الله وهو طريق القيم الأخلاقية. القيم الأخلاقية لم تكن تعاليم فقط، بل حياة، وجعلها حياةً بحق من خلال العمل على ترسيخها وممارستها.

الإمام الخميني ذكّرنا بأنه ليس من السهل الإخلاص لتلك القيم الأخلاقية، وخاصة في عالمنا اليوم. ذلك يتطلب كفاحاً دائماً ومستمراً، كفاحاً من أجل الحوار بين الأديان وفي الوقت ذاته الحفاظ على عافيتها وذاتيتها وهويتها الخاصة، كفاحاً من أجل العيش المشترك القائم على السلام والعدل والمحبة.

المحور الأول

نظرية الجهاد والمقاومة
في فكر الإمام الخميني (قده):

المفاهيم والوظائف

على ضوء التحديات الخارجية المعاصرة.
وقضايا الداخل الإسلامي

الجلسة الأولى

- **رئيس الجلسة: سماحة السيد محمد حسن الأمين**
- الجهاد : مجالاته ومنطلقاته كما يراها الإمام الخميني (قده) / **الشيخ مرسل نصر**
- دور الجهاد في حياة الأمة: بناء الذات والتكافؤ مع الآخر / **سماحة الشيخ محمد يزبك**
- الإمام الخميني (قده) وثورته الإسلامية في فكر حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين. ونهجها / **الدكتور أنور أبو طه**
- دور الجهاد في حياة الأمة / **سماحة الشيخ عفيف النابلسي**

كلمة رئيس الجلسة

سماحة السيد محمد حسن الأمين

مستشار المحكمة الجعفرية الشرعية العليا في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه والتابعين لهم الى يوم الدين.

السلام عليكم أيها الإخوة الأعزاء ورحمة لله وبركاته.

يشرفني أن أكون في موقع إدارة هذه الجلسة المباركة وأعطي لنفسي ثلاث دقائق فقط، هي في الأصل من الوقت الثمين للأبحاث التي سنستمع إليها عبر المداخلات والآراء التي سيدلي بها أركان هذه الجلسة المباركة، لأشير الى أن الأبعاد المادية لفكر الإمام الخميني (قده) ونهضته على غزارتها واتساعها، ليست هي الأبعاد الكاملة والنهائية لهذه الشخصية التاريخية الفذة، وثمة أبعاد وآفاق تنتظر مزيداً من حضورها وتجلياتها، وذلك لأن نهضة الإمام الخميني (قده) وإنجازاته لم تكن استجابة لشروط آنية تنتهي مهمتها بتحقيق هذه الإستجابة، وحتى لو كانت المهمة بمستوى إنجاز مدوٍّ كالثورة الإسلامية الايرانية.

إن حركة الإمام الخميني تتجاوز ذلك وتتجلى بوصفها حركة تاريخية مستقبلية، تتحدد غاياتها في إنجاز مهمة التجدد الحضاري الإسلامي، وهي تتويجٌ ظافرٌ وموفقٌ لمحاولاتٍ وحركاتٍ في هذا القرن وفي القرون الماضية منذ أكثر من ستة قرون، ولكن المحاولات والحركات السابقة رغم أهميتها وأصالة الكثير منها، كحركة جمال الدين الأفغاني مثلاً، لأسباب وظروف مختلفة، لم تستطع أن تحقق هذا الإنجاز الذي حققته حركة الإمام (قده). وليس هذا المجال مجال البحث

والإستطراد في هذا الفصل الأساسي الذي لم يسمح للحركات الإسلامية بأن تحقق مهمة التجدد الحضاري، إلا أنني في مقدمة هذه الجلسة من مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني (قده)، على ضوء التحديات المعاصرة أردت أن أشدد على ضرورة الأبعاد والتجليات المستقبلية لفكر الإمام الخميني، إنطلاقاً من المهمة والغاية التي تحكم هذا الفكر والتي شكلت حافز حركته وصنعت قوة حضوره وتأثيره، وهذا يجعلنا نتطلع الى مزيدٍ من المؤتمرات التي تضع لنفسها هدف العمل على خطين:

الأول: خط معرفة العصر ومشكلاته وتحدياته العامة والشاملة، ومعرفة المشكلات التي تواجه مسيرة التجدد الحضاري للمسلمين.

والخط الثاني: هو معرفة الأبعاد المستقبلية لفكر الإمام الخميني وحركته، واستلهام غاياته وأهدافه بما يمكننا من المضي في هذا السياق المستقبلي وصولاً لتحقيق تطلعات هذه الحركة التاريخية.

إن نظرية الجهاد والمقاومة في فكر الإمام الخميني، والوظائف في ضوء التحديات الخارجية المعاصرة وقضايا الداخل الإسلامي، موضوع هذه الجلسة، هي في نظرنا مدخلٌ للتوجه نحو هذه القراءة المستقبلية التي أشرت إليها، بما يجعلنا نتطلع الى أبحاث هذه الجلسة بالكثير من الثقة والرجاء، داعين اللّه تعالى أن يوفق إخوتنا الباحثين ويسدد خطاهم وينفع اللّه بعلمهم وجهادهم.

وأسارع ضناً بالوقت الثمين لهذه الجلسة لأقدم لكم البحث الأول لسماحة الشيخ مرسل نصر:

الجهاد: مجالاته ومنطلقاته

كما يراها الإمام الخميني (قده)

الشيخ مرسل نصر

رئيس المحكمة الإستئنافية الدرزية العليا في لبنان

المحور الأول:

من نعم الله على الشعوب والأمم أن يقيض لها بين فترة وأخرى أفذاذاً من الرجال يكونون سبباً لتقدمها بعد تحريرها من الظلم والظالمين. وقد أنعم الله منذ مئة عام على المسلمين بولادة الإمام الخميني (قده) من أبوين شريفين صالحين، ينتميان الى أسرتين عريقتين حسباً ونسباً، فورث عنهما التقوى والتمسك بالثقلين اللذين أوصانا بهما رسول الله (ص) بقوله: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا...».

وما أن ترعرع واشتد عوده حتى تمسك بقول الإمام علي (عليه السلام) «الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصّة أوليائه وهو لباس التقوى ...».

وعرف الإمام أن جده الحسين (ع) ربح الآخرة لأنه خسر الدنيا (الآخرة خير وأبقى) وزال الجميع وبقي الحسين وجهاده في ضمير الأمة الإسلامية.

وقد منّ الله على الإمام بحلاوة المنطق، وطلاوة الفصاحة، وبلاغة الكلمة، كما منّ عليه بعزيمة قوية وصبر على الشدائد والتحمل للمكاره، فوجه نيته للجهاد في سبيل الله من خلال الجهاد في سبيل الأمة الإسلامية، وبدأ بجهاد نفسه، فألانها وأمسك زمامها وقضى على شهواتها ونزواتها فأعزها بالطاعة وجمّلها بالقناعة، والتزم بالعرفان، فألهمه الله الصواب وسهّل عليه الصعاب، وأصبح جديراً بتمثيل الأئمة وإصلاح الأمة، فبادر إلى الجهاد باعتباره فريضة من أعظم الفرائض وعملاً

من أشرف الأعمال، وقد علم أن الإسلام كان ولا يزال ثورة على الظلم والطغيان، وطريقاً لإعلاء كلمة الحق، وسبباً لتحقيق العدالة والمساواة، وحافظاً للمستضعفين من المستكبرين والطغاة. وقد وعدهم الله بالغلبة والنصر بقوله تعالى: ﴿**ونريد أن نمنَّ على الذين استُضعفوا في الأرض، ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين، ونمكِّن لهم في الأرض**﴾.

أيها الإخوة:

لم يتسنَّ لنا شرف مقابلة الإمام (قده) والتعرف إلى فضائله عن كثب، تلك الفضائل التي اختزنها من الينبوع الإسلامي الإلهي، ولم يكن لنا نصيب لنعيش عرفانية هذا القائد العظيم، ولولا القيِّمون على تدوين مؤلفاته لكنا قابعين في الجهل عن مزاياه الحميدة.

وعندما اخترت موضوع الجهاد في فكر الإمام شعرت بأنني وقفت أمام خضم لست أهلاً للسباحة فيه، وأمام تساؤل تخضع دون أعاليه أعين الناظرين، وقرعت باباً لا يفتح إلا للعلماء العارفين. ولذلك، أستميحكم عذراً لعجزي في ما أبديه بكلمتي هذه القصيرة والقاصرة التي استوحيتها من وصية الإمام وبعض مؤلفاته. فاقتصرت على استنباط جانب من جهاده الديني والسياسي والإقتصادي والإجتماعي والعسكري.

الجهاد الديني:

استفاق الإمام (قده) على شعب مضلل وممزق في دينه ودنياه، قد عرف الطغاة كيف يستولون عليه ويستحوذون على مشاعره وإمكانياته المادية والمعنوية، وجعلوا منه أداة طيعة لأطماعهم السياسية والإقتصادية، وأبعدوا القرآن الذي هو دستور هذه الأمة عن الساحة، وصادروا حكومة العدل الإلهي وطمسوا عقيدة الإسلام وأهدافه، وحرَّفوا مراميه وأبعاده حتى قال الإمام في ذلك:

«إن القرآن الكريم الذي نزل من مقام الأحدية الشامخ إلى الكشف التام المحمدي (ص) لتكامل العالمين، وليكون نقطة جمع كل المسلمين، بل العائلة البشرية إلى ما

ينبغي أن تصل إليه... هذا القرآن أخرجوه من الساحة حتى كأنه فقد دوره في الهداية، وبلغ الأمر أن دور القرآن بيد الحكومات الجائرة، ورجال الدين المقنّعين، الأكثر سوءاً من الطواغيت، عاد وسيلة لإقامة الجور والفساد، أصبح القرآن، هذا الكتاب المصيري، مع الأسف، على يد الاعداء المتآمرين والاصدقاء الجاهلين، لا دور له سوى (التلاوة) في المقابر ومجالس الاموات. وبدل أن يكون وسيلة جمع المسلمين والبشرية، ونهج حياتهم، اصبح وسيلة تفرقة واختلاف».

وعليه، فقد اعتبر الإمام (قده) أن الجهاد في هذا الوضع من أولى الواجبات، وأن ما حل بالأمة من نكبات كان بسبب التخلي عن الثقلين الثابتين في أحاديث رسول الله (ص) عند أهل السنّة والشيعة، فواجه الإنحلال والردّة بصبر وثبات، وعرّض نفسه للسجن والتشريد، وأيقظ الشعب وحذره من اللامبالاة بما يجري له وحوله، ودخل الحوزات وحاضر فيها، وأفهم الطلبة المسلمين عن الحقيقة وأن الإسلام دين ودنيا، وأبلغهم أن السياسة تحتل مساحة كبيرة من دور الاسلام والرسول الأعظم (ص)، والقرآن والسنّة مشحونان بها. وقاومه بعض رجال الدين المقنّعين في السر والعلن لأنهم لا يريدون لكتاب الله سوى التلاوة وجعله مظهراً من مظاهر العبادة، وخاطبهم الإمام بقوله: «وصيتي إلى تلك الفئة، المتلبسين بلباس رجال الدين، الذين يعلنون معارضتهم للجمهورية الإسلامية ولمؤسساتها بدوافع مختلفة، ويكرسون وقتهم للإطاحة بها، ويتعاونون مع المعارضين المتآمرين ومحترفي الألاعيب السياسية... وصيتي إليهم هي: إنكم لن تنالوا شيئاً في المستقبل أيضاً. إن كنتم تفعلون ما تفعلون من أجل الدنيا، ويأبى الله أن تصلوا إلى أهدافكم المشؤومة، فاعتذروا إلى الباري .. ما زال باب التوبة مفتوحاً، وضمّوا أصواتكم إلى الشعب المنكود المظلوم، وساندوا الجمهورية الإسلامية التي انبثقت بتضحيات الجماهير، ففي ذلك خير الدنيا والآخرة».

وأما الجهاد السياسي:

فقد انطلق من شعور الإمام الخميني (قده) بالظلم الفادح على الشعب الإيراني

المستضعف من الطواغيت، حتى بات هذا الشعب يتبرم مما هو فيه ويتطلع بصبر وثبات إلى فجر الثورة ليرتفع هذا الظلم ويحصل على حقوقه المشروعة، ولا سيما أنه قد عانى قبل ذلك من احتلال أجنبي ظالم وتسلط بهلوي، سرق خيرات ايران، وأمعن في اسرافها على ملذاته ومجونه، فقتل من قتل وشرد من شرد، من دون وازع من ضمير ولا وجل من حكم الله فيه.

وأمام هذه النكبات قرر الإمام (قده) الجهاد السياسي وهو خارج الجمهورية، ووقف بقوة وصلابة، وهو لا يزال في موقع لو كان لغيره لاستسلم إلى مشيئة المستعمرين والمستكبرين، فرفض التعاون مع عملاء اميركا كشهبور بختيار، وجابها إصرار أميركا على إخماد الثورة بالصبر الصامت المغمس بالإيمان بالله والأئمة المعصومين، شاعراً من خلال عرفانه بقدوم النصر للثورة الإسلامية. وأخيراً عاد الإمام إلى طهران وانتصرت الثورة وجن جنون الدول الكبرى وأيقنت ان مخططاتها وأحلامها قد انهارت، وبزغ نور الإسلام فأحرق الظلمات وصدق قوله تعالى: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾، واستمر جهاد الإمام انطلاقاً من فكرتين أساسيتين:

الأولى: إن الأهم من الإنتصار المحافظة عليه.

الثانية: تطبيق تعاليم كتاب الله وسنّة رسوله وأقوال الأئمة المعصومين على الدولة الإسلامية الفتية.

فكان من مقتضيات المحافظة على الإنتصار التصدي المرير للدول المتآمرة مع الطواغيت لضرب مولود الثورة في المهد، فكانت الحرب العراقية التي شنها صدام حسين بتغرير من الولايات المتحدة فانقلب السحر على الساحر، وأصبح آكلاً للسم الذي طبخه للآخرين. وجهاد الإمام لم يخلُ من صعوبة نادرة اعترضته، وبقي على صلابته وصبره، فهو لم يتملق لإحدى الدول، ولم يستعمل سياسة المنافقين، فقد أعلن أن الثورة الإسلامية لا شرقية ولا غربية، فهي ثورة على الكفر والإلحاد وانقلاب على الظلم والفساد.

وتصدى الإمام بجهاده للجولات العبثية المستمرة التي قام بها معارضو الجمهورية الإسلامية في المنطقة وبينهم ـ مع الأسف ـ زعماء حكومات بعض البلدان الإسلامية الغارقون في مصالحهم الشخصية والمستسلمون طوعاً وانقياداً لأميركا. وكان (قده) يأسف للمتلبسين بالدين أن يركبوا هذا المركب الخشن ضد الإسلام والمسلمين، فأطلق وصيته بالقول: «وصيتي إلى المسلمين وخاصة الإيرانيين، وبالأخص المعاصرين منهم، أن يتخذوا موقفاً مجابهاً إزاء هذه المؤامرات، وأن يعمّقوا بالإنسجام وحدتهم عن أي طريق ممكن، ويبعثوا اليأس في الكفار والمنافقين».

وقد ابتلي الإمام في محنته ببعض رجال الدين والمتدينين الجاهلين بالإسلام الذين تأثروا بالدعايات المغرضة، وباتوا يعدون التدخل في شؤون الحكم والسياسة بمثابة ذنب وفسق... وتلك مأساة كبرى ابتلي بها الإسلام..

ومن مواقف الإمام الجهادية فتواه الجريئة والشجاعة بولاية الفقيه يدافع عن الإسلام باعتباره مصدراً تشريعياً صالحاً لا يتعارض مع ولاية الفقيه المستمدة من ولاية النبي (ص) والأئمة من بعده، باستثناء بعض الخصوصيات التي تبقى لأصحابها المعصومين، وعلى أي حال، فإن إقامة حدود الله وتطبيق أحكام دينه لا تتحقق إلا بوالٍ وحكومة، وإلا حلّ الاختلال وساد الإختلاف ووقعت الأمة في هرج ومرج يورثها الفشل والانحلال.

ومن جهاد الإمام السياسي التمرد على المخزون الفكري الذي ورثه الأبناء عن الآباء في وجوب التبعية لإحدى القوتين الشرقية أو الغربية، فضاعت هوية الشعوب في التبعية العمياء، فنقرأ قول الإمام (قده): «من المخططات التي تركت، مع الأسف، تأثيراً كبيراً على البلدان وعلى بلدنا العزيز ولا تزال آثارها باقية إلى حد كبير، إبعاد البلدان المستعمرة عن هويتها، ودفعها إلى التبعية للغرب أو الشرق، حتى لم تعد تقيم وزناً لنفسها وثقافتها وقدرتها، وراحت تنظر إلى القطبين المقتدرين الغربي والشرقي على أنهما من جنس أرقى، وعلى أن ثقافتهما أسمى، وأن هاتين القدرتين قبلة العالم، وأن الإرتباط بأحد هذين القطبين من الفرائض الحتمية».

فجاهد بفكره وقوله وعمله حتى غرس الثقة بالإسلام في قلوب تابعيه بدلاً من الثقة بالشرق أو الغرب.

وأما الجهاد الإقتصادي:

فلعله الأصعب في واقع الثورة الإسلامية وفي جهاد الإمام الخميني (قده)، لأن من مخلفّات الثورات الإرباك الإجتماعي والإقتصادي والثقافي، وفترة الإستقرار قد تطول أو تقصر تبعاً للظروف التي تنتاب المجتمع.

والثورة الإسلامية بعد أن انتصرت تصدى لها الإستعمار بكل وسائله الجهنمية، ومنها التغرير بحاكم العراق حيث ارتكب حماقته التاريخية بدعم من دول الإستكبار لإجهاض هذه الثورة، كما عمدت بعض الدول إلى سحب الخبراء الإقتصاديين والعاملين في المصانع الإيرانية المدنية والعسكرية مساهمة منها في هدم الإقتصاد الإيراني الإسلامي، ولإظهار عجز هذه الأمة عن مواكبة التطور الصناعي والتكنولوجي، حتى تدفع الشعب إلى الإنقلاب على الثورة.

ولكن الإمام، بجهاده وصبره وبعونه تعالى، وبالتعاون مع المخلصين، استطاع أن يسد الفراغ الذي تركه المتآمرون بانسحابهم واستقالتهم من مواقعهم الصناعية، واعتمد المسلمون الإيرانيون على أنفسهم، وأظهروا قدرة فائقة في الصناعة في كل المجالات، ولم يشعر الشعب بأي تأخر في الإنتاج أو فراغ في المؤسسات، ورغم الحصار الإقتصادي فقد أثبتت الجمهورية الإسلامية قدرتها على تحمل الصعاب والإكتفاء الذاتي في كثير من المجالات الإقتصادية والمعيشية.

ولجهة الجهاد الإجتماعي:

فقد كان يتمثل في مراقبة مراكز التعليم والتربية وخاصة الجامعات، حيث يتسلم متخرجوها مقدرات البلاد، فجاهد ضد إبعاد الشباب عن الأصالة في الثقافة والأدب والقيم، وضد جرهم نحو الشرق والغرب، وقد أعاد الطمأنينة إلى نفوس الناس بجهاده في إصلاح القضاء الذي ترتبط به أرواح الناس وأموالهم وأعراضهم، وطلب من مساعديه بذل الجهد بتعيين أعلى مسؤول قضائي من الملتزمين وأصحاب

التجربة والنظر في الأمور الشرعية والإسلامية والسياسية.

وقد أعلم الإمام الحوزات العلمية المقدسة، بأن أعداء الإسلام والجمهورية الإسلامية شمّروا عن ساعد الجد في هذا العصر للإطاحة بالإسلام.

وأوصى العلماء الفضلاء بأن يبذلوا جهدهم في وضع البرامج الحوزوية والإهتمام بالدروس المرتبطة بالفقه والدراسات الفقهية والأصولية.

وبالإضافة إلى ذلك، توجه إلى اصلاح القوة التنفيذية. وقد صرّح بأن من الممكن أن يصادق المجلس على قوانين راقية ومفيدة للجميع، وينفذها مجلس مراقبة الدستور، ويبلّغ الوزير المسؤول، ولكنها ما أن تقع بيد المنفذين غير الصالحين، يمسخونها ويعملون خلافاً للمقررات، بدفعها إلى اللعب الاداري أو إلى الطريق الملتوية التي اعتادوا عليها وبالتعمد في المخالفة لخلق الإستياء بين الناس، فأوصى بمراقبة الموظفين وتعيين من يتوافر فيهم الإيمان والنزاهة.

والجهاد في نظر وفكر الإمام (قده) يجب أن يتناول العادات والتقاليد الدخيلة على الإسلام في شعب الجمهورية الإسلامية، ولاسيما تلك التي تثير غرائز الجنس، وتخل توازن المرء نتيجة عادة غريبة دخيلة عن طريق الصهيونية، ومقاومة المؤسسات التي ظاهرها ديانة وباطنها خيانة كالماسونية، وبعض الحركات التي تدّعي الإسلام وتعمل على تخريبه من الداخل، أو تتبنى التخريب والإرهاب لإثارة الناس ضد الاسلام والمسلمين وتصوير هذا الدين بأنه يدعو إلى الهدم والتدمير لا إلى الإصلاح والتعمير. ويعتبر أن الجهاد يجب أن يتوجه من المخلصين لتنقية المجتمع من هذه الشوائب وغرس عادات الفضيلة والقضاء على الرذيلة.

ولجهة الجهاد العسكري:

إن سماحة الإمام لم يكن همه فقط في تغيير النظام في إيران، وإن كان قد بدأ الثورة لذلك، وقضى على الشاهنشاهية الطاغية التي امتد حكمها مئات السنين، التي لم يعرف الشعب خلالها إلا التجهيل والافقار، وما يرافق ذلك من انحراف في سلوك أفراد الشعب، سياسياً ودينياً وأخلاقياً، بل كان همه تحقيق العدل الإلهي، فقرر

الجهاد العسكري بعد أن عيل صبراً في مناقشة الطواغيت في حق المسلمين في العيش الكريم وفي حق الإسلام في أن تكون له دولة كما أمر رب العالمين في كتابه العزيز، واقتداءً برسول الله والأئمة من بعده، وعرف أن ما أخذ بالقوة لا يستعاد بغيرها، فالطاغوت الذي انتزع من الشعب حقه بالقوة لا يمكن أن يعيده بالمنطق والتسامح، فالمعتدي والمغتصب لم يقدم على الإعتداء والإغتصاب إلا بنيّة الإبقاء على ما اغتصبه من حقوق ومكتسبات، فجعل الإمام من الجهاد العسكري وسيلة لتحرير الشعوب في داخل إيران وخارجها من الدول الإسلامية، وعندما تبنى، بقوة، القضية الفلسطينية والمقاومة اللبنانية وأفتى بإعطاء الزكاة لهما وساعد في القضية الأفغانية والفيليبينية، كان يعتبر أن الثورة الإسلامية يجب أن يمتد أوارها إلى جميع المظلومين والمستضعفين في العالم الإسلامي، وإلا لا مبرر لوجودها، حتى لم يكن همه فقط مساعدة المستضعفين المسلمين، ولكن اعتبر أن من الواجب أن يقف مع المستضعفين إلى أية جهة انتموا بدافع شمولية الإسلام وانسانيته وإيمانه بتآخي الرسل والكتب والأديان في التوراة والإنجيل والقرآن في قوله سبحانه: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم**﴾.

﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**﴾. صدق الله العظيم.

وصدق رسول الله بقوله: «الغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها».

كما حث الإمام على الشهادة بالنظر إلى المنزلة الرفيعة التي يحتلها الشهيد في الجنة، وقد رغّب الرسول (ص) في الشهادة بقوله: «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد.. فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشرات المرات لما يرى من الكرامة وفضل الشهادة».

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

دور الجهاد في حياة الأمة :

بناء الذات والتكافؤ مع الآخر

سماحة الشيخ محمد يزبك

عضو شورى حزب الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وخاتم النبيين سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الهداة الميامين وصحبه الأوفياء العاملين.

أما بعد.. في الذكرى المئوية لولادة الإمام الخميني (قده) أحببت الحديث المتواضع عن دور الجهاد في حياة الأمة: بناء الذات، والتكافؤ مع الآخرين بنظر الإمام الخميني (قده) مع اعترافي المسبق بالقصور آملاً أن أكون قد ساهمت وفاء ببعض ذلك الجميل.

توطئة البحث: الكتابة والبحث عن الكبار والعظماء ليست سهلة، وكيف إذا كان البحث عمّن فاق الكبار والعظماء وحقق حلم الأنبياء باقامة دولة الحق وحكومة العدل الإلهي في الأرض، ذاك الذي تسنى له الوصول من خلال سير وسلوك عرفاني امتاز به عن أقرانه ومن خلال اجتهاد وفقاهة، أوجدت صلة بين الإسلام وعملية تطبيقه وبين الذهنية الاجتهادية المكلفة بتيسير حركة التطبيق وايجاد الحلول للمشكلات والتساؤلات التي تفرزها حركة الحياة ومقتضيات الزمان ومتطلبات المكان وأعطى للحكم (الولايتي) بُعده الحقيقي لموقعه القيادي وقوة وشجاعة ملكته القلوب المستضعفة وخافته مذعورة قوى الاستكبار والطاغوت، حيث لم يخف إلا الله تعالى فأخاف الله عز وجل منه كل عدو وشيطان كما تجلى ذلك واضحاً في سيرة حياته التي كانت تشكل نموذجاً خاصاً لشخصية فريدة لا يماثلها إلا الأنبياء والرسل والأولياء.. وثائر مجاهد قد انتصر على (الأنا) و (الذات)

وأسقطها في وجوده كان المتمحض في عبودية الله تعالى، فلم يشعر بوجود الأنا، ومن خلاله،كل العروض تبددت وانهارت أمام الهدف والمبدأ وكل التهديدات لم يكن لها حساب، المهم أداء التكليف. ذلك مما يحدو بنا لأن نربط بين هذا الموقف وما قاله الرسول (ص): «**والله يا عم لئن وضعوا الشمس بيميني والقمر بيساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله تعالى أو أهلك دونه**». ذلك الزاهد الذي لم تستوقفه الحياة ولا زينتها والأمجاد التي سجدت تحت قدميه وإنما ردد ما قاله جده أمير المؤمنين علي (ع) لّما شعر بدنو الأجل وحرارة السيف في رأسه الشريف «فزت ورب الكعبة)» ولكن بعبارات أخرى رديفة لتلك حيث قال (قده): «بقلب هادىء ونفس مطمئنة وروح فرحة وضمير يأمل فضل الله استأذن الأخوات والإخوة وأسافر إلى المقر الأبدي وأنا بحاجة مبرمة إلى صالح دعائكم بالخير..».

الإمام الخميني (قده) هو المعلم والمربي والقائد المصلح والمجدد والداعي بصمت حتى انفجر ذلك الصمت بركاناً قوض أركان الباطل وأزال معالم الفساد والظلام وشعت أنوار الحق من أنفاس الإمام (قده) تملأ الخافقين، فأبصرت العيون وتجلت الحقائق في القلوب.. إنها حركة بصمت ودعوة بحكمة ونصر بصبر وظفر بشكر وانتظار بوعي وجهاد مع موعد اللقاء القريب على قلوب المحبين والموطئين، وإن رآه الأعداء الحاقدون بعيداً....

الجهاد: لغة واصطلاحاً وما ورد في فضله:

ورد في مفردات غريب القرآن - جهد: الجَهدُ والجُهْدُ الطاقة والمشقة وقيل الجَهد بالفتح المشقة، والجُهد الوسع، وقيل الجُهد للإنسان. قال تعالى: ﴿**والذين لا يجدون إلا جُهدهم**﴾ وقال تعالى: ﴿**وأقسموا بالله جَهْدَ أيمانهم**﴾ أي حلفوا واجتهدوا في الحلف أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم. والاجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة؛ يقال: جهدت رأيي وأجهدته: أتعبته بالفكر والجهاد، والمجاهدة استفراغ الوسع في مُدافعة العدو. والجهاد ثلاثة أضرب. مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس. وتستفاد ثلاثتها من قوله تعالى: ﴿**وجاهدوا**

في الله حق جهاده﴾ (الحج: ٧٨) وقال تعالى: **﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾** (التوبة: ٤١) وقال تعالى: **﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله﴾** (الأنفال: ٧٢) وروي عن النبي الأكرم(ص) قوله: «**جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم**» والمجاهدة تكون باليد واللسان. قال (ص): «**جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم**».

ويستفاد من المعنى اللغوي أن الجهاد كما يكون بالفعل يكون بالقول، والأخير يكون جهاداً بنائياً ودعوتياً وبرهانياً واعلامياً فيما الأول يكون بزجّ الامكانات والقدرات والخبرات في ساحة المعركة، وهناك قسم ثالث من الجهاد وهو أضعفها بالقلب، وقد أشار إلى ذلك ما ورد عن الرسول الأكرم (ص): «**جاهدوا في سبيل الله بأيديكم فإن لم تقدروا فجاهدوا بألسنتكم فإن لم تقدروا فجاهدوا بقلوبكم**» وذلك برفض الباطل قلبياً وعدم الركون إلى الظالمين. وورد أيضاً عن النبي الأكرم (ص): «**إن أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم بألسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قلب فجعل أعلاه أسفله**».

وفي الإصطلاح الشرعي للجهاد فقد ذكر في جواهر الكلام: «الجهاد بذل النفس وما يتوقف عليه من المال في محاربة المشركين أو الباغين على وجه مخصوص أو بذل النفس والمال والوسع في إعلاء كلمة الإسلام واقامة شعائر الإيمان».

وأخيراً قال أمير المؤمنين علي (ع) في نهج البلاغة عن الجهاد وفضله: «أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجُنّته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذُل وشملة البلاء ودُيِّث بالصَّغار والقماءة وضرب على قلبه بالأسداد وأُديل الحقُّ منه بتضييع الجهاد وسِيمَ الخسفَ ومُنع النصف».

الإنسان بنظر الإمام (قده):

تخرج الإمام الخميني (قده) من مدرسة الوحي الإلهي وقد أشبع روحه وفكره

بتلك التعاليم حتى غدت كل شيء في نهج حياته وفكره وسلوكه، فالإنسان قد كرمه الله تعالى بقوله عز من قائل: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**﴾ (الاسراء: ٧٠) وجعله الله تعالى مستخلفاً. قال تعالى: ﴿**وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه**﴾ (الحديد: ٧).

وقد منّ الله تعالى على الإنسان ووهبه نعمته الكبرى بأن جعله مختاراً بأفعاله وأقواله وحراً بإرادته وعزيمته، وفي هذا المجال قال الإمام الخميني (قده): «الإنسان موجود عجيب من بين جميع موجودات ومخلوقات الباري تعالى، وليس هناك موجود مثل الإنسان، ومحل التعجب في وجود الإنسان أنّه يمكن أن يجعل منه موجوداً إلهياً ملكوتياً، ويمكن أن يضع موجوداً جهنمياً شيطانياً».

والجهاد الأكبر - جهاد النفس - يلعب دوراً فاعلاً في تطهير النفس وتزكيتها لتكون خالصة من كل الشوائب قادرة على اجتياز كل الحجب لتصل في نهاية المطاف إلى مثلها الأعلى (الله تعالى)؛ وعملية الجهاد هي تعبير عن تلك الإرادة الحرة وتحمل المسؤولية بأمانة والقيام بمهامها على أحسن وجه وقد يسهل على المرء أن ينظّر ويتصور ويغرق في الأحلام ولكن يصعب عليه أن يكون محاسباً ومؤدباً عملياً لنفسه ومقيداً لتصرفاتها مانعاً عن تجاوزها لحدودها المعطاة، والعناية الإلهية كانت ترعى هذا الإنسان وتنير له الدرب لكي لا يغيب في ظلمات النفس الأمارة بالسوء من خلال بعث الأنبياء والرسل وإنزال الكتب لتكون في خدمة هذا الإنسان، إذ موضوع النبوات والرسالات هو الإنسان وهدايته لما عليه من عجز وضعف قال تعالى: ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلّمُهُم الكتاب والحكمة ويزكّيهم إنك أنت العزيز الحكيم**﴾ (البقرة: ١٢٩) فالهدف من البعثة هو الإنسان وهدايته وتتلخص بتلاوة الآيات لإيقاظ الأفكار والأرواح وتتبع تعليم الكتاب والحكمة، ولا تتحقق التربية إلا بالتعليم، والهدف الأسمى هو التزكية والانماء والتطهير، فالهدف الأساسي لبعثة الأنبياء هي دفع الإنسان نحو مسيرة التكامل (العلمي والعملي)، وقال تعالى مؤكداً على ذلك: ﴿**كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو**

عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ (البقرة: ١٥١) وقال تعالى: ﴿**لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾** (آل عمران: ١٦٤) وقال تعالى: ﴿**هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبلُ لفي ضلال مبين﴾** (الجمعة: ٢).

في هذه الآيات الأربع التي حددت أهداف البعثة كان الإنسان هو موضوع تلك المهمة الرسالية، وفي الآية الأولى قُدم التعليم على التزكية بينما في الآيات الثلاث قُدمت التزكية، ومن الطبيعي أن يقدم التعليم لأنه مقدمة للتزكية، ومن الطبيعي أن تقدم التزكية لأنها الهدف .ففي صورة بيان المقدمة يقدم التعليم وفي صورة بيان الهدف يقدم التزكية. وقد أنزل مع الكتاب الميزان من أجل قيام الناس بالقسط، وإذا اقتضى الأمر القوة لاجتثاث الفساد من الأرض فكان أنزال الحديد كما قال تعالى: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾** (الحديد: ٢٥) والهدف ايقاظ الضمائر والتفكير والتأمل بكل الموجودات، قال تعالى: ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا﴾** (سبأ: ٤٦).

ويقول الإمام الخميني (قده) في مورد حديثه عن تزكية النفس وآثارها في المجتمعات: «لو اجتمع الأنبياء العظام كلهم في مدينة وفي بلد واحد فلن يختلفوا أبداً لأنهم زكوا أنفسهم وهم إنما حصلوا على الحكمة بعد تزكية النفس. إن مشكلتنا جميعاً أننا نترك أنفسنا، يصير الإنسان عالماً وذا تفكير عميق، ولكنه لا يرى نفسه ولا يزكيها. والخطر الآتي منه على بقية البشر هو أشد هولاً من خطر المغول، فإن غاية وهدف بعث الأنبياء هو تزكية النفس ثم يأتي التعليم بعدها». ويقول الإمام الخميني (قده) عن الإنسان إنَه صفوة الصفوة وخلاصة الخلاصة لهذه الموجودات قال: «الإنسان خلاصة كل موجودات العالم» ولهذه المنزلة العالية والمقام الرفيع لهذا الإنسان ورد في الحديث القدسي «**خلقتُ الأشياء لأجلكَ وخلقْتكَ لأجلي**»...

وقد ركز الإمام (قده) على بناء الذات لأنه من خلالها يصل الإنسان إلى مثله الأعلى (الله تعالى) وقال: «كل فرد لا بد من أن يبدأ من نفسه وأن يسعى لأن تتوافق عقائده وأخلاقه وأعماله مع الإسلام، وبعد أن يصلح نفسه عليه أن يتحرك باتجاه إصلاح الآخرين». وقد سبق الإمام بأفعاله بتربية نفسه وتزكيتها أقواله، حيث كان يقول: «كل اصلاح مبدأه الأول نفس الإنسان» ويتحدث عن أسباب سقوط الإنسان وضعفه وعجزه ووقوعه بالأخطار اهماله لنفسه: «منشأ كل الأخطار التي تواجه الإنسان هي نفس الإنسان، كما أن مبدأ الصلاح لا بد من أن ينطلق من نفس الإنسان» ولهذا كان الجهاد الأكبر عبارة عن جهاد النفس التي بين الجنبين.

وركز الإمام (قده) على صنع الإنسان من خلال ما ركز عليه في عالم الأخلاق والعرفان في كتابه «الجهاد الأكبر» الذي جعله حلقات تدريس في الحوزات العلمية واعتبر أن الاهتمام بالجانب الأخلاقي هو الأهم إذ بدونه تكون النتائج غير مقبولة، وفي كتابه «الأربعون حديثاً» يظهر اهتمام بالأحاديث والروايات التي تركز على جانب بناء الإنسان عقائدياً وسلوكاً، وفي كتابه «الآداب المعنوية للصلاة» يلاحق الإنسان بعبادته لتكون خالصة لوجه الله تعالى، وهكذا في كتبه الأخرى وبياناته التوجيهية قبل الإنتصار، وبعد الإنتصار.

وقد استطاع الإمام (قده) أن ينتصر على نفسه وأن يؤدبها بعرفانه وسلوكه الذي بلغ بها ذلك المقام المحمود، والذين عايشوه عن قرب يتحدثون عن شخصية خاصة كان لها انقطاع مع الله تعالى واعتكاف وخلوات لم تبعده عن تحمل مسؤولياته وأداء تكليفه بأحسن وجه، حيث لم يروا وجه الله والقرب منه هكذا تفعل التربية والتزكية والسلوك، تخرج الإنسان من عالم الحضيض والمادة والملك إلى عالم الملكوت والجبروت فيكون إلهياً بصورة بشر، هكذا كان الإمام (قده) وهذا هو سرّ انتصاره وبقائه كنهج وخط وسلوك، كما كان الأنبياء والأولياء.كان كأجداده الأئمة الأطهار (ع) لم يدعُ الناس إلى معروف وعمل إلا وقد سبقهم إليه ولم يردعهم وينههم عن فعل إلا ويكون قد سبقهم بالإنتهاء والكف عنه، وكان أبعد ما يكون عن قول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون**﴾ (الصف: ٢).

الجهاد بنظر الإمام (قده):

حدد الإمام (قده) الجهاد بمحورين أساسيين، أحدهما الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس وصناعة الإنسان لبلوغ الكمال المطلق، إذ بدونه لا يستطيع أن يصل إلى مثله الأعلى (المطلق... الله)، والإمام استطاع أن يروض نفسه بتقوى الله تعالى وأن يصهرها بذاته المقدسة من خلال المراقبة الدائمة والشعور بالضعف والعجز بين يدي القدرة الإلهية وأن لا حول ولا طول له إلا بالله العلي العظيم، طهر نفسه وزكاها وجعلها تنظر بعين الله تعالى تستشرف المستقبل البعيد والقريب، فلا ترى تفاوتاً في حياة الإمام (قده) من بداية قيامه بالمسؤولية والتكليف إلى آخر لحظة من حياته فلا تكاد ترى إلا منهجية واحدة لتعاطيه الصادق مع الله تعالى فلم يتغير من حالة إلى حالة بل كان مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**﴾ (الحديد: ٢٣) وكلمته الخالدة: «لا تغتروا بأنفسكم، فهذا اشتباه وعلى الإنسان أن يتوجه إلى الله ويفني نفسه في سبيل دينه ولا يقول أبداً (أنا) بل يقول دائماً (ديني)».

والمحور الآخر: الجهاد الأصغر وقسّمه الإمام (قده) إلى قسمين:

الأول: الجهاد الابتدائي لنشر الدعوة وازالة آثار الشرك والوثنية وتهيئة الأرض لعبادة الله الواحد الأحد ولكن هذا الجهاد لا يكون إلا بحضور الإمام المعصوم (ع) وإذنه.

والثاني: الجهاد الدفاعي وعبر عنه الإمام (قده): «بالدفاع عن بيضة الإسلام وحوزته» ولا يشترط فيه حضور الإمام المعصوم ولا إذنه ولا نائبه بل هو تكليف شرعي لكل قادر بأية وسيلة ممكنة لدفع الأعداء الذين يغزون بلاد المسلمين أو يهددون ثغورهم.. وهذا تكليف عام يشمل الطفل والمرأة فضلاً عن الرجل مع القدرة والإمكان، وقد فصل الإمام (قده) المسائل في «تحرير الوسيلة» وقال: «يجب على المسلمين الدفاع فيما لو ضيق على حوزة الإسلام من الإستيلاء السياسي والإقتصادي الذي يجر إلى أسرهم السياسي والاقتصادي مما يكون سبباً لوهن

الإسلام والمسلمين وضعفهم». وبعد أن أكد الإمام (قده) على وجوب الدفاع قال: «فليكن بالوسائل المتاحة وبالمقاومة المنفية (بترك شراء أمتعتهم) وترك استعمالها وترك المراودة والمعاملة معهم مطلقاً».

ويرى الإمام (قده) أنه لو كانت الروابط السياسية بين الدول الإسلامية والأجانب تستلزم استيلاء الأجانب على بلاد المسلمين أو نفوسهم وأموالهم أو موجبة لأسرهم السياسي يحرم على رؤساء الدول تلك اقامة الروابط والعلاقات.

ويرى الإمام (قده): وجوب دفاع الدول الإسلامية عن الدولة الإسلامية التي يخاف عليها من هجمة الأجانب، ومن هنا كان يطالب الإمام (قده) العالم الإسلامي بالوقوف بكل قدراته وإمكانياته إلى جانب الشعب الفلسطيني من أجل تحرير أرضه والمقدسات، داعياً لإزالة اسرائيل من خارطة الوجود، وقد وضع الأسس لذلك بدعم القضية المقدسة والحق المغتصب (فلسطين) حتى اعتبر أن الانتصار على الشاه المقبور لم يكن انتصاراً كاملاً بل يتم الانتصار بعد تحرير فلسطين وقوله المشهور «اليوم طهران وغداً فلسطين». وأمر بتحويل سفارة العدو الاسرائيلي إلى سفارة فلسطين ووضع اللبنات الأولى لطلائع جيش العشرين مليوناً لتحرير القدس وفلسطين...

موقف الإمام من الكيان الاسرائيلي:

كان الإمام (قده) يدرك أبعاد زرع هذا الكيان الغاصب على أرض فلسطين في تلب الأمة الإسلامية، وأن هذا الزرع ليهود الشتات في هذه المنطقة على يد قوى الاستكبار غربه وشرقه بدءاً ببريطانيا وانتهاءً بكل الذين أيدوا ومهدوا ودعموا واعترفوا بهذا الكيان وبالوعد المشؤوم (بلفور) تنفيذاً للمخطط الصهيوني الذي يبدأ بفلسطين ولا ينتهي إلا بالسيطرة والهيمنة على العالم من خلال جرثومته السرطانية، ولذاكان يقول: «إن جرثومة الفساد اسرائيل لن تكتفي بالقدس، ولوأعطيت مهلة فإن جميع الدول الإسلامية ستكون معرضة للخطر».

ولهذا كان الإمام يطالب العالم الإسلامي بأن يتجند لمواجهة هذا العدو وعليه أن

لا ينخدع بكلام معسول من هنا وهناك، قال: «نبهوا الناس وحذروهم إلى خطر اسرائيل وعملائها». يجب على الجميع أن يشعروا بهذا الخطر ويعيشوه لحظة بلحظة، ولا يجوز وضع الرأس بالرمل كالنعامة بادعاء أن رأسي مغطى وبعيد عن المشكلة. ولم يقتصر الإمام (قده) بمطالبة الشعوب بالنهوض في مواجهة هذا العدو بل كان ينصح الحكومات بذلك أيضاً يقول: «أنا أنصح الحكومات أن يطردوا اسرائيل الغاصبة من الدول الإسلامية ومن الأراضي المغتصبة وأن يدعوا جانباً العنصرية ولسان العجز الذي يدينه الإسلام ويرفضه».

غير مقبول في قاموس الإمام (قده) منطق أننا لا نقدر على شيء، لماذا لا نتأمل بتاريخنا وتاريخ هذا العدو، ولماذا لا نفكر أين كان هذا العدو وكيف استطاع أن يجمع شتاته وكيف استطاع أن يحقق غلبة ويسلب أرضاً وينتهك حرمات... هل هو الأقوى عدداً وعدة أم نحن الأقوى، فما بال هذا المنطق اللاديني واللاعقلاني... إننا لا نقدر على مقاومته. من الذي سلبنا هذه القدرة ولماذا؟! وهل نحن ساعدناه على ذلك؟ سر المشكلة أننا تفرقنا عن حقنا فضاع وضعنا ولم نعد قوة عند الآخرين الأعداء، بل تقاسمونا نتفاً لخدمة مصالحهم وحراستها من هيمنة كل فريق على الآخر، و أدوات في صراع الحرب الباردة والأنظمة، شرطي هنا وشرطي هناك يتلقى الأوامر والإرشادات ،وعدونا اجتمع على باطله واستطاع أن يجمع القوى من حوله حتى غدا من نافلة القول (اسرائيل ضرورة القوى العظمى والشيطان الأكبر) فتحقق حلم صهيون الذي كان وهماً في يوم من الأيام وانقلب الضياع ولغة الشتات وإن استبدلت الكملة (باللاجئين) إلا أنها الشتات الفلسطيني بدلاً من ذلك الشتات وهذا الضياع بدل ذلك الضياع وهذا الضعف والوهن والاذلال بدل تلك القوة والقدرة والعزة.

ويستغل الإمام (قده) الفرص ويوجه كلماته وخطبه محذراً من هذا العدو الاسرائيلي، ففي حرب حزيران قال «لقد شنت اسرائيل حرباً عسكرية ضد الدول الإسلامية، وعلى دول وشعوب الإسلام اقتلاعها ووأدها» وتوجه الإمام إلى الدول الإسلامية التي تملك ثروات نفطية لتستخدم هذا السلاح في المعركة حيث قال: «على

الدول الإسلامية التي تمتلك ثروات نفطية أن تستفيد من النفط والامكانيات الأخرى التي تمتلكها سلاحاً ضد اسرائيل والمستعمرين». وقال الإمام بعد اقدام العدو الاسرائيلي على احراق المسجد الأقصى: «يجب على الدول الإسلامية أن تقضي على غدة الفساد اسرائيل». ودعا الإمام لإحياء كل يوم جمعة من آخر شهر رمضان كيوم عالمي للقدس قال: «إن يوم القدس عالمي وليس يوماً يخص القدس فقط بل يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين». وقال: «إن يوم القدس فرصة لأجل القيام الواحد للشعوب الإسلامية ضد المفسدين.. وإذا هتف مليار مسلم فإن اسرائيل تخاف من هتافهم».. والإمام لفت إلى هذا اليوم العالمي من أجل أن يتحمل كل شخص مسؤوليته تجاه القدس وفلسطين بحيث لو تسنى لكل شخص من المسلمين أن يحمل دلواً من الماء ويلقي به على العدو الاسرائيلي وهذا الكيان الغاصب لجرف إلى البحر.

بناء الذات والتكافؤ:

يرى الإمام (قده) أن الأمة الإسلامية تمتلك عناصر القوة والاقتدار من خلال بناء ذاتها على تعاليم الإسلام المحمدي الأصيل وسلوكها سلوك الأنبياء والأولياء في طريق الاستقامة واقامة القسط والعدل والاخوة والوحدة والاتحاد قال: «اتحدوا فإن انتصاركم على أصحاب القدرة أمر حتمي في ظل الإتحاد» شدد الإمام على سنة من السنن التاريخية وقانون من القوانين العامة: إننا ببناء ذاتنا واتحادنا واعتصامنا بالله تعالى يتحقق النصر لا محالة فالتربية الذاتية والإستعداد والإعداد قال تعالى: **﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾** (الأنفال: ٦٠) وملك الخبرة وفهم العدو ومخططاته ومقارعة الخطة بالخطة وامتلاك فن المواجهة والمباغتة واستخدام كل وسائل القوة المادية والمعنوية بعد الاتكال على الله سبحانه وتعالى يكون النصر الكامل بأداء التكليف، وكان الإمام يقول: «بالنسبة لي لا معنى للمكان المهم أن أؤدي تكليفي».. وكان الإمام يؤكد على مقام الشهادة العالي والرفيع حتى لا يكون الهم هو النصر المادي وإن لم يتحقق فلا شيء، بل

كانت له فلسفته في مواجهة أعداء الله والإنسانية حيث قال: «ليعلم أذناب أميركا أن الشهادة في سبيل الله ليست موضوعاً قابلاً للمقارنة بالنصر والهزيمة في ساحات القتال، إن مقام الشهادة هو بنفسه قمة العبودية لله وسير وسلوك في عالم المعنويات». ويحذر الإمام من الاختلاف بقوله: «كلنا نعلم ما هي الآثار المعجزة التي كانت وتكون لوحدة الأمة في مقابل ما هي النكبات التي أوقعتها التفرقة والتنازع على رؤوس المسلمين طوال تاريخهم».

وكان يلفت إلى سر الإنتصار ورمزيته بقوله: «إن علينا جميعاً أن نعي هذا السر وهو أن وحدة الكلمة رمز الإنتصار وأن علينا أن لا نضيع هذا الرمز من الدنيا». والإمام كان يقول: «الشرق قد أضاع ذاته، وعليه أن يجد ذاته». كانت تؤله التبعية المطلقة والتقليد الأعمى للغرب، ولهذا كان يطالب بأن يستعيد هذا الإنسان ذاته من فم ذلك الغول الغربي ونحن نملك الوسائل التي تجعلنا نتفوق عندما نعتمد على ذاتنا بعد الله تعالى. فهذه ايران كانت مرتعاً للشيطان الأكبر يتصرف فيها تصرّف المالك المطلق اليد كيفما شاء، لأنه أوهم الآخرين بأن الحياة بيده ويملك الإقتدار، ولكن لمّا عاد الشعب إلى ذاته واستنار بنور الإيمان سقط الوهم وظهر الوحش على حقيقته وأنه ليس مالك الإقتدار؛ وطلائع الجهاد في فلسطين ولبنان كشفت عن وهن العدو الإسرائيلي بعدما كانت صورته (الجيش الذي لا يقهر) فقد قهر وأذل. وفي مطلع كل يوم إذلال. ولهذا كان جهاد حزب الله في لبنان حجة على العلماء فضلاً عن سائر الناس كما قال الإمام (قده)، فعلينا أن نعود إلى ذاتنا لنملكها وإلى أمتنا بوحدتها وإيمانها واعتصامها بالله تعالى لتتفجر كل الطاقات من أجل خير وصلاح البشرية جمعاء. فإننا نملك ما نتكافأ مع العدو وأزيد من خلال إيماننا وتوكلنا على الله تعالى بعد تعقلنا وتدبرنا... والحمد لله رب العالمين.

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ الوصية الإلهية الخالدة للإمام الخميني (قده).

٣ ـ الراغب في تفسير مفردات غريب القرآن.

٤ ـ بحار الأنوار.

٥ ـ جواهر الكلام.

٦ ـ نهج البلاغة.

٧ ـ الكلمات القصار للإمام الخميني (قده).

٨ ـ خطب وبيانات الإمام الخميني (قده).

٩ ـ تحرير الوسيلة.

الإمام الخميني (قده) وثورته الإسلامية في فكر حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين ونهجها

الدكتور أنور أبو طه

باحث في الشؤون الإسلامية / فلسطين

احتل الإمام الخميني وثورته الإسلامية مكانةً بارزةً في مشروع حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين[1] قبل انتصار الثورة وبعدها. وبرزت هذه المكانة في مستويات عدة، فكرية وأخلاقية وسياسية وبرامجية عامة، وساهمت في الصياغة النظرية والعملية لمشروع الثورة الإسلامية في فلسطين، وتركت ظلالاً وملامح ما تزال فاعلة في جملة المواقف الفكرية والعلاقات السياسية لحركة الجهاد.

وقبل بيان أبعاد ومستويات وعي حركة الجهاد بالإمام الخميني وثورته لا بد من إطلالة سريعة على حركة الجهاد لجهةأصولها التاريخية ومعالم منهجها ومشروعها.

حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين (١٩٧٥ - ٢٠٠٠م)[2].

حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين حركة إسلامية فلسطينية مقاتلة تبلورت

---

(١) ممن احتل مكانة بارزة لدى الشقاقي وحركة الجهاد إضافة إلى الخميني، مؤسس حركة الإخوان المسلمين الشهيد حسن البنا وكان الشقاقي قد سطر إهداء كتابه «الخميني الحل الإسلامي البديل» لكليهما باعتبارهما وفق وصفه «رجلي القرن»، بل إن الشقاقي أسس من لقاء البنا مع آية الله كاشاني في الحج عام ١٩٤٨ نموذجاً ومثالاً للتقارب بين الخميني وبقية الحركات الإسلامية في العالم. ويذكر مما يشير إلى وحدة النهج بين الخميني والبنا إلى أن الخميني كان «في موقع المقرب من آية الله الكاشاني يراقب ويشارك في كل ما يجري» انظر: رحلة الدم الذي هزم السيف، الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي، إعداد وتوثيق: رفعت سيد أحمد القاهرة: مركز يافا للدراسات والأبحاث، ط١، جـ ١، ص٤٧٧ - ٤٧٨.

(٢) لدراسة أوسع ومستفيضة عن حركة الجهاد انظر: بحثنا في موسوعة الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية، بعنوان «حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين: الأصول - الأيديولوجيا - التحولات»، دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، ط١ جـ٢، ١٩٩٩م، ص١٥٧ - ٢٨١.

تنظيمياً في مطلع الثمانينيات داخل فلسطين المحتلة، بعد أن كانت حواراً فكرياً وسياسياً امتد منذ منتصف السبعينيات في أوساط بعض الطلبة الفلسطينيين الدارسين وقتها في مصر، وقد شمل هذا الحوار مسائل منهجية تتعلق بفهم الإسلام والعالم والواقع وكيفية رؤية التاريخ وفهمه بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص.

كان الفهم المنهجي للإسلام كعقيدة وأصول دين وفقه وشريعة، استناداً إلى القرآن والسنة، هو نقطة البدء، كما كان اهتمام الحركة المبكر بالتاريخ سبيلاً لرؤية العالم على حقيقته مما سهل استيعاب ووعي أداة التغيير وصولاً إلى إدراك خصوصية فلسطين في الإشكال الإسلامي المعاصر واعتبارها بالتالي «القضية المركزية للحركة الإسلامية والأمة الإسلامية» وقد استند هذا الاعتبار كما تطرحه الحركة إلى أبعاد ثلاثة، هي البعد القرآني (أوضح ما يكون في سورة الإسراء)، والبعد التاريخي، والبعد الواقعي. وقد كان هدف الحركة من هذا الطرح حل الإشكالية التي كانت قائمة وقتها حيث «وطنيون بلا إسلام وإسلاميون بلا فلسطين» فرفعت شعارات: الإسلام والجهاد وفلسطين، الإسلام كمنطلق، والجهاد كوسيلة وفلسطين كهدف للتحرير.

وقد مرت حركة الجهاد الإسلامي منذ انطلاقتها حتى الآن بخمس مراحل أساسية:

المرحلة الأولى: وشملت العمل الجماهيري والسياسي والإعلامي والتعبوي داخل الأراضي المحتلة ومساجدها وجامعاتها، وتسمى بمرحلة الطليعة الإسلامية نسبة إلى أهم مطبوعاتها التي كانت توزعها داخل فلسطين وتشرح فيها أفكارها ومواقفها.

أما المرحلة الثانية: فتبدأ مع بداية تنظيم الخلايا العسكرية المسلحة وانطلاقة العمل المسلح وإلقاء القبض على أمينها العام الشهيد فتحي الشقاقي على أثر ترؤسه خلية عسكرية نفذت ثماني عمليات عسكرية طوال الأعوام ١٩٨٤ و١٩٨٥ و١٩٨٦م.

والمرحلة الثالثة: وهي مرحلة الانتفاضة، وتبدأ منذ المعركة العسكرية المسماة «معركة الشجاعية» بين مسلحين من «الجهاد» والقوات الإسرائيلية في ٦/ ١٠/ ١٩٨٧م.

والمرحلة الرابعة: هي مرحلة التجذر والانتشار، حيث امتدت قواعد الحركة وأنشطتها خارج فلسطين وباشرت توسيع شبكة علاقاتها السياسية مع قوى ودول متعددة، وفي هذه المرحلة استمر عملها العسكري إلا أنها أضافت إليه نموذج العمل الاستشهادي الاقتحامي منذ العام ١٩٩٢م، حيث أعلن عن تشكيل الجهاز العسكري المسمى القوى الإسلامية المجاهدة (قسم). واستمرت هذه المرحلة حتى اغتيال الشقاقي من قبل الموساد في مالطا بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٥م.

أما المرحلة الخامسة :فهي التي بدأت بتولي الأمين العام الجديد للحركة الدكتور رمضان عبد الله شلّح والتي تتسم بالثبات السياسي والمعاندة العسكرية، أي الوفاء لنهج الحركة والشهيد الشقاقي فكرياً وسياسياً، والإصرار على تنفيذ العمليات العسكرية بالرغم من جملة العقبات اللوجستية التي تواجهها. وما تزال هذه المرحلة وملامحها مستمرة حتى الآن.

ولحركة الجهاد الإسلامي نظامها الداخلي ولوائحها التنظيمية التي تضبط مؤسساتها الداخلية كالمؤتمر العام الذي يمثل السلطة التشريعية، ومجلس الشورى العام، ومنصب الأمين العام الذي ينتخب من قبل مجلس الشورى العام المنتخب بدوره من قبل المؤتمر العام الذي يعقد كل أربع سنوات. ويتبع الأمين العام مجالس شورى محلية إضافة لأجهزة مختلفة سياسية إعلامية وعسكرية وتنظيمية ومالية ويتبع كل جهات عدة لجان وأفرع لها في جميع الساحات، وتمثل الخلية أصغر وحدة تنظيمية تقوم على تجنيد الأعضاء وتدريبهم وتثقيفهم.

تتلقى الحركة الدعم المالي من اقتطاع نسبة محددة من دخل أعضائها الشهري وتبرعات المناصرين لها والمؤيدين لنهجها الفكري والسياسي، كما تتلقى المساعدات الاجتماعية الخاصة بالمعتقلين والشهداء والمصابين من الجمهورية الإسلامية

الإيرانية عبر مؤسسة الشهيد في إيران.

ليس في أدبيات حركة الجهاد الإسلامي مما يشير إلى أنها طرحت نفسها بديلا من منظمة التحرير الفلسطينية، ولكنها ترفض الدخول في المنظمة لتأييد المنظمة لعملية السلام مع إسرائيل ولاستثنائها للإسلام من برامجها. وعليه فإن رفض الإعتراف بشرعية العدو الصهيوني على أي شبر من فلسطين واعتبار الكفاح والجهاد المسلح طريقاً لتحرير فلسطين وعدم التنازل عن الميثاق الوطني الذي أكد على حق الشعب الفلسطيني في كامل وطنه، وإعادة الإعتبار للإسلام كإطار للصراع الحضاري ضد الهجمة الصهيونية، هي شروط حركة الجهاد الأساسية للتعاون مع جميع القوى الفلسطينية ضمن إطار جامع كمنظمة التحرير أو أي إطار بديل يحافظ على تلك الثوابت ويحقق تلك الأهداف.

وفي هذا السياق، رفضت الحركة طريق التسوية كخيار لاستعادة الحق العربي الإسلامي في فلسطين وتحريرها من اليهود، فدأبت على رفض كل المشاريع وآخرها إتفاقية أوسلو وما تلاها من اتفاقيات، وترفض التعامل مع سلطة الحكم الذاتي أو الحوار السياسي معها. وتؤكد الحركة أيضاً أنها لا تقبل بأقل من تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني من البحر إلى النهر، وعليه، فهي ترفض شعار «الدولة الفلسطينية المستقلة» في الضفة والقطاع لأنه شعار يفرِّط بباقي فلسطين ويجعل من هذا الكيان الفلسطيني جسراً لعبور الإسرائيليين إلى كل بلاد العرب والمسلمين.

ومع رفض الحركة لكل مشاريع التسوية استمرت في تنفيذ الأعمال العسكرية ضد إسرائيل، وقامت منذ ولادتها إلى الآن بتنفيذ أكثر من ٢٠٠ عملية عسكرية أودت بحياة العشرات من الإسرائيليين ومئات الجرحى. وقد اشتهر جهازها العسكري المسمى «القوى الإسلامية المجاهدة – قسم» بتنفيذ هذه العمليات وأهمها العمليات ذات النموذج الإستشهادي الإقتحامي، ومنها عملية بيت ليد الشهيرة التي أودت لوحدها بحياة ٢٢ إسرائيلياً. وقام الإحتلال على أثر ذلك باغتيال أهم قادة الجهاز العسكري وهما هاني عابد ومحمود الخواجا، كما قام باغتيال الأمين العام

للحركة الشهيد الشقاقي في مالطا بتاريخ ٢٦/١٠/١٩٩٥م.

يذكر أن أهم قادة «الجهاد» إضافة للشقاقي الأمين العام الحالي الدكتور رمضان عبد الله شلح، والشيخ نافر عزام، وعبد الله الشامي، وزياد النخالة، ومحمد الهندي، وإبراهيم النجار، وعطاف عليان، وخالد جردات، وجميل عليان.

«الجهاد» والإمام: الترقب التاريخي

يذهب الكثير من الباحثين والدارسين لظاهرة الصحوة الإسلامية المعاصرة وحركات الإحياء إلى اعتبار الثورة الإسلامية في إيران من العوامل المهمة التي ساهمت في انتشارها وصعودها وزيادة فاعليتها في الإجتماع العربي والإسلامي. ولا تخرج حركة الجهاد عن هذا السياق كإحدى حركات الإحياء هذه، إلا أننا نلحظ اختلافاً بارزاً لحركة الجهاد عن هذه الحركات والجماعات لجهة متابعة النواة التأسيسية للحركة - التي قادها فتحي الشقاقي - لتطورات المشهد الإيراني وصراع الحركة الإسلامية بقيادة الخميني مع نظام الشاه، ومتابعتها لمجمل تطورات هذا الصراع وأحداثه التي أخذت تتسارع حتى انتصار الثورة.

فحركة الإمام الخميني ومسيرته التحررية كانت محط اهتمام ومراقبة الشقاقي ومن حوله رفاقه، منذ أن كانوا يتلقون العلم في الجامعات المصرية منتصف السبعينيات، حتى جاء الإنتصار الإسلامي في إيران محققاً حلم ونبوءة الشقاقي بوصول رجال الإمام إلى السلطة ونجاح ثورته[١].

وليس أدل على ذلك مما جاء في الكتاب الذي أصدره الشقاقي في مصر قبيل انتصار الثورة بأيام وأسماه «الخميني الحل الإسلامي والبديل»[٢]- الذي يعد أول

---

(١) يركز الشقاقي في كتابه «الخميني الحل الإسلامي والبديل» على المسيرة الظافرة للثورة وحتمية الانتصار وبعدما يستعرض مواقف جميع الأطراف من الثورة وخططها في مواجهتها يؤكد أن كل الاعيب هذه الأطراف لن تمر على الإمام والحركة الإسلامية، وجماهير الشعب و«أن وعي وصلابة الخميني تشيران إلى أن أغلب الأوراق ما زالت في يده» راجع الكتاب. وهو منشور في الأعمال الكاملة... والاقتباس ص٥٢٩.

(٢) صدر الكتاب عن دار المختار الإسلامي بالقاهرة عام ١٩٧٩م. وقد أصدره الشقاقي باسم فتحي عبد العزيز (دون ذكر العائلة) وكان وقتها يدرس الطب في جامعة الزقازيق بمصر. واعتقل على أثر إصدار الكتاب وأفرج عنه ثم أعيد اعتقاله في العام نفسه لمدة أربعة أشهر.

كتاب صدر باللغة العربية عن الإمام الخميني والثورة الإسلامية في العالم العربي – وانتصر فيه للثورة، وللإمام الخميني، مستعرضاً فيه طبيعة الثورة وتاريخ الحركة الإسلامية الإيرانية، وموضحاً طبيعة المذهب الشيعي ومسائله، رافضاً أي توجه تكفيري له، داعياً إلى الاقتداء بالنموذج الثوري الإسلامي في التغيير كما عكسته الثورة الايرانية، ذلك النموذج الذي تضمن وفق قول الشقاقي «تجربة فكرية وسياسية في غاية العلمية، وفي إطار من الأطروحات الشيعية العصرية – التي اقتربت من أهل السنة»(١).

وقد عكس الشقاقي في كتابه المتقدم وعياً فكرياً وسياسياً بالإمام الخميني ومسيرة الحركة الإسلامية في إيران، وتتبعاً تفصيلياً للشأن الإيراني وأحداثه وصولاً إلى انتصار الثورة. بل إن العنوان الذي اختاره للكتاب من اعتبار الخميني ومنهجه الثوري نموذج البديل الإسلامي يكشف لنا عن مرحلة وصل لها الشقاقي من تبلور للوعي، وجهوزية في الموقف تجاه الثورة الإسلامية وقائدها.

كان للموقف المبكر لحركة الجهاد في تأييد الإمام الخميني وثورته آثار عدة، فإضافة إلى ما لاقته المجموعة الأولى (التي سميت بتنظيم الطلائع الإسلامية في زمن إقامتها في مصر) من ملاحقة واعتقالات من قبل أجهزة الأمن المصرية، فقد سرّع هذا الموقف من استواء الحالة التنظيمية الجهادية الفلسطينية وافتراقها كاملاً عن التنظيم الإخواني الفلسطيني. وتحول هذا الافتراق لاحقاً إلى صراع حزبي فكري وسياسي استمر حتى اندلاع الإنتفاضة الفلسطينية. كما ساهم هذا الموقف في تجذير حالة الرفض لنموذج الدولة القطرية العربية القائمة، وسنأتي على تفصيل الأثرين الأخيرين لاحقاً.

الإمام الخميني... المفكر والمناضل

أما تتبع شخصية الإمام ونهجه في فكر حركة الجهاد فيمكننا أن ندرجهما ضمن قضايا أربع محورية تم التركيز عليها ويعود كل تفريع إليها وهي:

الإسلام – الثورة – فلسطين – الوحدة.

---

(٢) فتحي عبدالعزيز، الخميني .... مصدر سابق، ص٧. (إذا لم تذكر الأعمال فيكون الاقتباس من نسخة المختار الإسلامي مباشرة).

الحل الإسلامي:

يعتبر الشقاقي أن «عملية طرح البدائل والتشكيك في الإيديولوجية الإسلامية وقدرتها على الاستمرار وحفظ الأمة هي محور الصراع الذي بدأ في القرن التاسع عشر واستمر حتى الآن»[١]. وضمن هذا السياق فإن الإمام الخميني والثورة الإسلامية التي تجسد نهجه قدمت نموذجاً حضارياً جديداً للبشرية و«أعلنت عن وفاة العلمانية وكل البدائل التي أحضرها الآخر نيابة عن الإسلام»[٢]، ومثل الإمام الخميني «التيار الذي يريد إعادة الحياة للدين الإسلامي كإيديولوجيا تعالج جميع جوانب الحياة وذلك عن طريق إقامة الحكومة الإسلامية»[٣].

أما الثورة الإسلامية فإن جوهرها ومهماتها التاريخية وواجبها الإلهي تتلخص في الإسلام الذي بعثته الثورة من جديد في مواجهة التحدي الغربي الحديث، وفي الإسلاميين الإيرانيين الذين تولوا حمل راية الثورة من أجل تحقيق انتصار الإسلام في الأرض ومن أجل تحقيق الغاية القصوى من الحياة: مرضاة الله عز وجل[٤].

ولا يتوقف موقف «الجهاد» من المشروع الإسلامي الذي حمله الإمام وابتعثه في الحياة في حدود تأكيد فشل البدائل الإسلامية، وقدرة الإسلام وحيويته على إقامة وتسيير نظام حكم إسلامي طالما شككت التيارات العلمانية في وجوده في البنية الإسلامية فضلاً عن إمكانية إقامته، بل ذهبت «الجهاد» في إبراز موقف الإمام المدين والمستنكر لكل موقف مخالف لطبيعة الإسلام هذه وإن صدرت من علماء دين، مذكرة بمهاجمة الإمام لهذا الصنف من العلماء ممن «يصورون الإسلام نظاماً

---

(١) ... الأعمال الكاملة، مصدر سابق، جـ ١، ص٤٦٦.

(٢) انظر: مقابلة مع فتحي الشقاقي في مجلة الوحدة، العدد ١٤٨، تشرين الثاني، ١٩٩٢م، و... الأعمال الكاملة...، مصدر سابق، جـ١، ص٤٩٧. وفتحي عبد العزيز، الخميني...، مصدر سابق، ص١٨.

(٣) فتحي عبد العزيز، الخميني...، مصدر سابق، ص ٣٧.

(٤) عز الدين إبراهيم، «السنة والشيعة ضجة مفتعلة ومؤسفة»، الطليعة الإسلامية، العدد (صفر)، السنة الأولى، ديسمبر ١٩٨٢م، ص٢٨.

روحياً لا علاقة له بالسياسة والشؤون الإجتماعية طالباً اعتبارهم أعداء من الداخل»[1] ومطالبته بتطهير المراكز الدينية من فقهاء ووعاظ السلاطين.

ولقد كان موقف «الجهاد» تجاه هذه المسألة التي جسدها الإمام الخميني بشكل عملي، تعزيزاً لدعوة «الجهاد» لفصائل الثورة الفلسطينية إلى تبني الإسلام خياراً للتحرير، وتركهم للبدائل العلمانية الأخرى. كما كانت حجة تقدم عن دور الإسلام القادر على تفجير طاقات الشعوب وقيادتها نحو التحرر والاستقلال وبذلك فقد حضر الإمام الخميني لدى «الجهاد» ومنذ نقطة البدء كبرهان عملي وإجابة قاطعة تؤكد صلاحية الإسلام وراهنيته في خوض غمار الحياة وتأسيس نظام شامل وفق تصور الإسلام نفسه للإنسان والحياة والعالم.

الصياغة الثورية

كان هدف «الجهاد الإسلامي» ومبتغاها في المرحلة التأسيسية هو الصياغة الثورية للفكر الإسلامي، أو تحقيق «النظرية الثورية» للحركة الثورية التي وضعت مقاومة الاحتلال الصهيوني على رأس أهدافها. ووفق ما يقول رمضان عبد الله شلّح الأمين العام الحالي لحركة الجهاد فـ «إن لكل ثورة نظريتها الثورية التي تعبر عن طابع وهوية الأمة الثائرة وخصائصها وتنبع من تراثها وحضارتها»[2].

وبالرغم من أن الصياغة الثورية قد تبدو حاجة وطنية تفرضها طبيعة الصراع في فلسطين، فإن شلّح والشقاقي يذهبان إلى أن النهج الثوري هو من صميم الإسلام وطبيعته، وقد جسد ذلك الإمام الخميني في ثورته، فشلّح يعتبر أن الثورة «تبدأ في اللحظة التي يتحرك فيها الإنسان الثوري ضد الظلم والاضطهاد البشري مستحضراً التكليف الشرعي بتحقيق العدل الإلهي، ومستلهماً النموذج الإنساني

---

(١) فتحي عبدالعزيز، الخميني.... مصدر نفسه، ص٣٧ – ٣٨.

(٢) رمضان عبد الله، «الإمام الخميني وإيران، الثورة المتجددة» – في كتاب: الثورة الإسلامية والمشروع الحضاري للإمام الخميني، الندوة الدولية بمناسبة الذكرى السنوية التاسعة لرحيل مفجر وزعيم الثورة الإسلامية المباركة الإمام الخميني (قدس سره) في قاعة المؤتمرات بمكتبة الأسد بدمشق ٧/٨/١٩٩٧م، دمشق: سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ص٢٦٦.

الرائد ورصيد التجربة التاريخية المعجزة في انتصار الحق على الباطل»[1]، وإضافة لما يضفيه شلّح من تأصيل شرعي للنهج الثوري رافعاً له إلى حد التكليف فإنه يذهب أيضاً لجهة رؤيته إلى الثورة الإسلامية في إيران إلى بيان أصالتها التاريخية حين يقول: «إن الثورة الإسلامية في إيران تبقى الثورة الفريدة والأعقد في تاريخ الثورات في العالم، لأن مسيرتها الربانية لم تبدأ قبل ربع قرن من التحرك الثوري للإمام الخميني والتي سبقت الانتصار، بل بدأت باستشهاد الإمام الحسين في كربلاء قبل حوالى أربعة عشر قرناً من الزمان»[2].

هذا التأصيل الشرعي والتاريخي ذو الطابع الوظيفي الواقعي في دفع الظلم وإحقاق الحق والعدل يؤكده الشقاقي في معرض حديثه عن نهج الإمام الثوري وفهم الإمام للإسلام بمعناه الشمولي والثوري مستشهداً بقول الإمام في كتابه «الحكومة الإسلامية» «إن الإسلام هو دين المجاهدين الذين يريدون الحق والعدل، دين الذين يطالبون بالحرية والاستقلال، والذين لا يريدون أن يجعلوا للكافرين على المؤمنين سبيلاً»[3].

هذا الوعي «الجهادي» بالنهج الثوري ودلالته ارتفع عند «الجهاد» إلى حد الضرورة كما تقدم في ما أطلق عليه الحاجة إلى النظرية الثورية، وبتأثير مباشر من تجربة الإمام الخميني، وهو ما عبر عنه الشقاقي بوضوح حين تساءل في كتابه «الخميني، الحل الإسلامي والبديل» عن «كيفية الصياغة الثورية للفكر الإسلامي» مستلهماً الجواب عن هذه الكيفية من تجربة الثورة الإسلامية التي نجحت في إتمام عملية الصياغة تلك، داعياً الحركة الإسلامية عربياً وفلسطينياً إلى تحقيقها لأن الحركة الإسلامية تستطيع بهذه الصياغة ومن خلالها «إقامة الجسور القوية مع الجماهير المسلمة بحيث تدرك هذه الجماهير معنى ارتباطها بالحركة الإسلامية،

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٦٦.

(٣) ... الأعمال الكاملة...، مصدر سابق، جـ١، ص٤٧٨ - ٤٧٩.

ودور هذا الارتباط في الحفاظ على تاريخها وتراثها ومصالحها، وبحيث يصبح الجسد الإسلامي جسداً واحداً»[1].

وثورية الإمام الخميني توقف عندها الشقاقي في أكثر من بعد في شخصية الإمام سواء في موقفه من رجال الدين التابعين للشاه الخانعين لسلطته، أو في موقفه من الغرب أو من أعداء الثورة أو حتى في موقفه المدين لتلك الفئة الشيعية الساكنة التي تنتظر قدوم المهدي دون أن تبذل الجهد أو تقاوم الظلم.

وأثر نهج الإمام الثوري في فكر وممارسة «الجهاد» تجسد وتحقق واكتسب مشروعيته على أكثر من صعيد منها:

- إصرار حركة الجهاد على الجهاد المسلح كخيار إسلامي ووطني وحيد لتحرير فلسطين، غير آبه بتقاعس إسلاميين آخرين، ذلك لأن الجهاد يكتسب الشرعية الدينية، والتاريخية، والواقعية، ولأن درس الثورة الإسلامية في إيران يؤكد «أن الخلاص لن يأتي إلا من خلال فوهات البنادق التي تحملها الأيدي المتوضئة»[2].

- أسهمت الشراكة في النهج الثوري وما أفرزه هذا النهج من خطط وبرامج سياسية وثقافية في علاقات قوية مع الجمهورية الإسلامية في إيران، وشراكة وتوافق في المواقف السياسية من قوى وجهات مختلفة كالولايات المتحدة الأميركية، والغرب، والكيان الصهيوني، والنظم السياسية العربية، واتجاهات العلمانية في المنطقة.

- أسهمت الصياغة الثورية للفكر الإسلامي في اكتمال الهوية الحركية والتنظيمية الخاصة لحركة الجهاد المفارقة للتجارب القائمة في فلسطين من وطنية علمانية أو إسلامية تقليدية، ووضّحت نقاط التفاصل فكرياً مع الحركة الوطنية، وعملياً مع الحركة الإسلامية التقليدية.

---

(١) المصدر نفسه، ص٤٧٤.

(٢) الافتتاحية، المختار الإسلامي، العدد٢٧، السنة الثالثة، ١٧ آب / أغسطس ١٩٨١م.

فلسطين: قضية المسلمين المركزية

المحور الثالث الذي تفاعلت عبره حركة الجهاد مع الإمام الخميني ونهجه هو الموقف من القضية الفلسطينية، هذ القضية التي تقدمها حركة الجهاد كقضية مركزية للحركة الإسلامية، وللمسلمين كافة، والتي كان البحث عن الإجابة الإسلامية عنها هو جوهر وأساس ولادة حركة الجهاد الإسلامي.

ولقد اهتمت «الجهاد» بموقف الإمام من فلسطين والصراع الرائد فيها اهتماماً بالغاً، وتتبعت هذا الموقف في معظم تفاصيله ورأته أنه موقف «ينم عن وعي استراتيجي وتكتيكي بالغ الأثر والأهمية» ووضعته في محل الاقتداء الذي يجب على الحركات الإسلامية أن تأخذ منه الدرس والعبرة على المستوى النظري ومستوى الممارسة فالإمام الخميني كما يصفه الشقاقي فهم «طبيعة الاستعمار ودوره والتحدي الغربي الحديث للإسلام والغزو الفكري الذي تلاه، وأدرك في الوقت نفسه أن إسرائيل هي التجسيد الواقعي لهذا التحدي، بل هي (إسرائيل) حضور التحدي في أشد صوره»[1].

وفق هذا الفهم والإدراك العميق لطبيعة المشروع الصهيوني كانت تلك العلاقة المميزة التي نشأت بين الحركة الإسلامية في إيران وفلسطين. ولبيان جوانب هذه العلاقة التي دفعت حركة الجهاد لمتابعة نهج الإمام وأخبار تحركه الثوري طوال سني التحضير للثورة وبعدها نذكر بعضاً مما أشادت به حركة الجهاد واعتبرته عنوان هذا الوعي العميق والعلاقة المتميزة.

- اتخاذ الإمام الخميني لإسرائيل عنواناً للعداء، وعنواناً لبيان خيانة الشاه للإسلام والمسلمين من خلال كشف علاقة الشاه بإسرائيل والتعاون المستمر بينهما في الوقت الذي تخوض فيه إسرائيل حرباً مع المسلمين وتغتصب حقهم.

- مساندة الإمام الخميني للكفاح المسلح الفلسطيني وفتواه الشهيرة بجواز

(١) فتحي عبد العزيز، الخميني ...، مصدر سابق، ص٤٦.

«صرف الزكاة وسائر الصدقات في هذا الأمر المصيري» ممثلاً في مواجهة إسرائيل.

– فتواه بوجوب العمل على إزالة الكيان الصهيوني التي قال فيها: «يجب على الدول الإسلامية وعلى عامة المسلمين إزالة عنصر الفساد – إسرائيل – وألاّ يقصروا في مساندة الثوار».

– وقوفه لجانب العرب والمسلمين في كل حروبهم ضد إسرائيل، ومثال ذلك البيانان اللذان أصدرهما أثناء حرب رمضان/ أكتوبر ١٩٧٣م، وحث فيهما الشعوب والدول الإسلامية على مساندة الشعوب العربية في مواجهة العدو الصهيوني المغتصب، ودعا إلى قطع النفط عن الدول المؤيدة للصهيونية، ودعوته للشعب الإيراني أن لا يقف محايداً وأن يضرب المصالح الأميركية والإسرائيلية.

إضافة للمواقف التاريخية السابقة للإمام فإن وقوف الثورة ونظام الجمهورية الإسلامية إلى جانب الشعب الفلسطيني وثورته وانتفاضته، واستمرار دعمها للحقوق الفلسطينية حقق كل ذلك تواصل حركة الجهاد سياسياً وثقافياً مع الجمهورية وقيادتها.

وقد حظي إعلان الإمام الخميني عن إقامة يوم القدس العالمي في آخر كل جمعة من شهر رمضان بالاهتمام والترحيب والتواصل الحار من قبل حركة الجهاد منذ أن بدأت انتشارها داخل الأراضي المحتلة، إذ اعتبرت أن يوم القدس «هو إحياء للإسلام والشريعة الإسلامية، لأن القدس إرث للإسلام والمسلمين، وجزء من عقيدتهم، ولا يجوز لأحد التفريط بها»[١].

ودعت «الجهاد» إلى إحياء هذا اليوم كل عام، معتبرةً إحياءه بمثابة «واجب ديني مقدس»[٢] وذلك لأن يوم القدس ليس مجرد مناسبة للذكرى «إنه عنوان الصراع الذي تخوضه أمتنا من أجل النهوض والتحرر والكرامة والعيش في أوطانها سيدة

(١) كلمة الشقاقي في يوم القدس العالمي آذار / مارس ١٩٩٣م، ...الاعمال الكاملة... مصدر سابق، جـ٢، ص١٣٠٢.

(٢) بيان صادر عن حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين بتاريخ ٢٣ / ٢ / ١٩٩٥م.

لا تابعة وغير راضخة لإرادة قوى الاستكبار العالمي»[1].

وقد حافظت «الجهاد» على إحياء هذا اليوم منذ مطلع الثمانينيات بمهرجان كبير في ساحة المسجد الأقصى ليلة السابع والعشرين من رمضان، وعلى إصدار البيانات في هذا اليوم، وكتابة المقالات في نشراتها وإصداراتها.

لم يكن غريباً في رأي «الجهاد» أن يعطي الإمام الخميني هذا الاهتمام وهذه المركزية في نشاطه لفلسطين ذلك لأن فلسطين ليست مجرد مركز جغرافي بل ساحة المعركة الفاصلة ومركز الصراع الكوني «إنها آية من الكتاب تجيء في قلب التاريخ الإسلامي وعلى رأس حركته»[2].

وإن الإمام الخميني هو ذلك «الرجل الذي مثّل خلاصة العدل المضطهد في التاريخ البشري. والقضية (الفلسطينية) هي التي جسدت منذ تفجرها أشد أشكال الظلم والاضطهاد»[3].

الوحدة الإسلامية: فريضة وضرورة:

شغل خطاب الوحدة الإسلامية حركة الجهاد منذ انطلاقتها، وقد طرحته ضمن مستويات ثلاثة:

الأول: الوحدة في مقابل التجزئة التي فرضت على الأمة منذ مطلع القرن. وأكدت أن «شكل النضال الأمثل» يجب أن يكون ضد التغريب بالأسلمة، وضد إسرائيل بالمقاتلة، وضد التجزئة بالوحدة.

الثاني: وحدة الحركة الإسلامية، ورفعت شعار «الوحدة من خلال التعدد»، أي تحقيق تلك الوحدة التي لا تلغي التعدد في الاجتهاد بل تحققها في مستوى الأهداف العامة، ونقاط الاتفاق، ومواجهة أعداء الأمة.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) «الإسلام والقضية الفلسطينية». المجاهد. العدد ٣٤. ١٨ أبريل (نيسان) ١٩٩٠م. ص٢.

(٣) المصدر نفسه.

الثالث: وحدة مذاهب الأمة من السنة والشيعة وعدم إثارة نعرات الفرقة والاختلاف، ذلك لأن ما يجمعها عقيدة وسلوكاً أكثر مما يفرقها، وما يقابلها من تحديات في الواقع يستوجب الاتحاد والاجتماع لدفع الأخطار التي تتهدد الأمة. وقد شُغلت حركة الجهاد الإسلامي بمسألة الوحدة في المستوى الثالث أكثر من انشغالها بالمستوى الأول والثاني،لأن تأييد «الجهاد» للإمام الخميني وللثورة الإسلامية في إيران اصطدم بالعقلية المذهبية والحزبية في الساحتين العربية والفلسطينية، ودفع تيارات سلفية سنية، وإخوانية فلسطينية، إلى اتهام الثورة بالمذهبية الطائفية الأمر الذي تصدت له حركة الجهاد في دراساتها وبياناتها وعراكها السياسي والدعوي اليومي، مذكرة بخطاب الإمام الخميني الوحدوي سواء تجاه اهتمامه بقضايا المسلمين كافة داخل إيران، أو بموقفه ممن يبث الفرقة المذهبية بين السنة والشيعة موردة قوله «الأيدي القذرة التي تبث الفرقة بين الشيعي والسني في العالم الإسلامي لا هي من الشيعة ولا من السنة، إنها أيدي الاستعمار التي تريد أن يستولي على البلاد الإسلامية من أيدينا، والدول الاستعمارية التي تريد نهب ثرواتنا بوسائل مختلفة وحيل متعددة هي التي توجد الفرقة باسم التشيُّع والتسنُّن»[1].

اعتبرت حركة الجهاد هذه الاتهامات أحد الأساليب الغربية في مواجهة الثورة، فإثارة الفتنة بين السنة والشيعة كان المقصود منها – بحسب الجهاد – «محاصرة المد الثوري ومنع تأثيره من الوصول إلى المناطق السنية، سواء الغنية بالبترول، أو تلك التي تواجه إسرائيل»[2]. وإن إثارة هذه المسألة هي تنفيذ لمخطط استعماري، وإن كان بحسن نية، كما أنه موقف يثير الشك والريبة في منطلقات هؤلاء ودوافعهم وأغراضهم[3].

---

(١) عز الدين إبراهيم. «السنة والشيعة. ضجة مفتعلة ومؤسفة». الطليعة الإسلامية. السنة الأولى. العدد صفر. ديسمبر ١٩٨٣م. ص٢٨.

(٢) عز الدين إبراهيم. «السنة والشيعة...» الطليعة الإسلامية. مصدر سابق. ص ١٤.

(٣) المصدر نفسه. ص ١٥.

كما رأت حركة الجهاد أن الهدف من إثارة هذه المسألة هو محاصرة النموذج الثوري الجهادي في فلسطين، إذ ووجه بحملات عنيفة وخاصة من «الإخوان المسلمين»، الذين رأوا في اندفاعة الحركة الثورية تهديداً لنفوذها، فقامت «الجهاد» بدورها في الدخول في عراك فكري أيديولوجي حول المذهب الإمامي، مؤكدة على إسلامية الشيعة الإمامية، وأن قولهم بالإمامة أو العصمة أو المهدي ومسائل المذاهب الأخرى لا توجب كفراً ولا فسقاً ولا خروجاً عن الإسلام. لأنها مسائل ليست من أصول الإسلام، مستشهدين بفتوى شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد شلتوت، بجواز التعبد على المذهب الجعفري وشهادة العشرات من المفكرين والفقهاء الإسلاميين ممن يذهبون إلى هذا الرأي[١]، مؤكدين أن موقفهم تجاه الثورة الايرانية والمذهب الإمامي «لم يتجاوز موقف رأي أئمة وعلماء وقادة المسلمين من أهل السنة قيد أنملة»[٢]، وأن ما يجمع حركة الجهاد والثورة الإيرانية هو الإسلام، والهدف الواحد، والقرآن الواحد، إضافة لمعاداة الغرب والصهيونية[٣].

جعل هذا الموقف الدفاعي جماعة «الجهاد» تُتهم بالتشيع، الأمر الذي لم ترَ فيه «الجهاد» إلاَّ محاولة لصرف الشعب عنها، وإنكار آرائها حول خصوصية ومركزية فلسطين، وضرورة الجهاد المباشر ضد الاحتلال[٤]. فقامت بالتأكيد على الطبيعة السياسية لموقفها، والتزامها بموقف أهل السنة التقليدي، الذي لم يذهب مذهب التكفير تجاه هذا المذهب، وإن خالفهم في قضايا عدة، وإن كون «الجهاد» تنتمي إلى تيار «أهل السنة والجماعة» وكون أبنائها سنّيين، لا يمنع أن يمدوا أيديهم إلى كل المسلمين المخلصين من سنة وشيعة[٥].

---

(١) فتحي عبد العزيز، «الخميني...» مصدر سابق ص٥٩ - ٦٠، وانظر: البحث الخاص الذي كتبه الشقاقي في بيان هذه القضية بعنوان «السنة والشيعة ضجة مفتعلة ومؤسفة» الطليعة الإسلامية. مصدر سابق.

(٢) مقابلة فتحي الشقاقي مع اللواء، ٣ / ١٠ / ١٩٩٠، الأعمال الكاملة...، مصدر سابق، جـ٢، ص ٧٣٥.

(٣) لقاء الباحث عبد القادر ياسين مع الشقاقي، الأعمال الكاملة... مصدر سابق، جـ٢، ص٧٢٩. وانظر: لقاء رمضان عبد الله مع صحيفة الأنباء الكويتية، العدد ٧٥٨٤، ٣٠ يونيو ١٩٩٧.

(٤) مقابلة للشقاقي مع اللواء ٣ / ١٠ / ١٩٩٠، الأعمال الكاملة...، مصدر سابق، جـ٢، ص٧٣٥.

(٥) لقاء الباحث عبد القادر ياسين مع الشقاقي، الأعمال الكاملة...، مصدر سابق، جـ٢، ص٧٢٩.

وقد جرّ موقف حركة الجهاد من الوحدة الإسلامية وتحالفها مع الثورة الإسلامية في إيران وجمهوريتها إلى اتهامها بالتبعية لإيران والتموّل منها. وهو أمر واجهته «الجهاد» بالتأكيد على استقلاليتها، فلا يوجد سؤال حول طبيعة العلاقة مع إيران إلا ويأتي الشقاقي وشلّح على ذكر استقلالية الحركة: «وإن قرارها وآلية عملها وتوجهها السياسي نابع من قناعاتها الداخلية وتبعاً لحواراتها الداخلية»[1]، بل ورفض الشقاقي أن يعتبر «الجهاد» تقع ضمن ما سمي بـ «إسلام الثورة الإيرانية»، رافضاً هذا التقسيم، معتبراً «أن حركة الجهاد تجسد الإسلام المحمدي الأصيل، الإسلام الذي يتجاوز كل ما هو هامشي وجزئي ووهمي إلى ما هو جوهري وكلي وحقيقي»[2]، في إشارة إلى نقاط الالتقاء مع الثورة الإسلامية الإيرانية.

تحدد موقف حركة الجهاد من الثورة الإيرانية، التي نظرت إليها في مستوى «الحليف والصديق» في مواجهة «الشرك والكفر والاستكبار» ضمن عاملين اثنين هما[3]:

١- طبيعة الموقف والالتزام الإيراني بالإسلام كنظام حياة وممارسة، وطبيعة موقفها من الوحدة الإسلامية في إطار يتجاوز البعد القومي (الفارسي) والمذهبي والطائفي.

٢- الموقف من القضية الفلسطينية.

---

(١) مقابلة للشقاقي مع صحيفة شيحان الأردنية ٢٣/١٠/١٩٩٣، الأعمال الكاملة... مصدر سابق، جـ٢، ص٥٨، ولقاء رمضان عبد الله مع مجلة الدراسات الفلسطينية، مصدر سابق، ص١٠٥.

(٢) لقاء الباحث عبد القادر ياسين مع الشقاقي، الأعمال الكاملة... مصدر سابق، جـ٢، ص١٢٩، وانظر لقاء رمضان عبد الله مع صحيفة الأنباء الكويتية، العدد ٧٥٨٤، ٣٠ يونيو ١٩٩٧.

(٣) مقابلة للشقاقي مع صحيفة اللواء ٣/١٠/١٩٩٠، الأعمال الكاملة... مصدر سابق، جـ٢، ص٧٣٥، ولقاء لرمضان عبد الله مع صحيفة الأنباء الكويتية، العدد ٧٥٨٣، ٢٩ يونيو ١٩٩٧.

خاتمة:

وختاماً فقد كان تأثير الثورة الإسلامية الايرانية وفكر الإمام الخميني تأثيراً كبيراً على «الجهاد الإسلامي»، من ناحية المنهج الثوري الذي اتبعته الثورة في التغيير، وفي المواقف السياسية تجاه الغرب وإسرائيل وأنظمة التجزئة التي لا تحكم بالإسلام، فكانت مصداقاً ثورياً لكل ما يريد «الجهاد» أن يؤكده آنذاك تجاه التقليدي المحافظ من ناحية، والتيار الوطني الذي استبعد الإسلام في معركته الوطنية ضد الاحتلال من ناحية أخرى، فالجذرية في المعارضة، والرفض لفساد الأنظمة واحتلال فلسطين، ودعوة الحركة الإسلاميةللالتحام بالجماهير، ودور علماء الدين الثوري وضرورته، ومواجهة فقهاء ووعاظ السلاطين، والاهتمام بالفئات الجامعية والمثقفة من الطلاب وغيرهم، والأهم من ذلك مواجهة الاحتلال الصهيوني «من خلال فوهات البنادق التي تحملها الأيدي المتوضئة»، كل هذه المفاهيم والمعاني جاءت الثورة الإسلامية الإيرانية لتعطيها زخماً جديداً داخل الإيديولوجيا الجهادية (الثورية) لحركة الجهاد، وتشحذ منظري «الجهاد» إلى الانتقال للعمل والتنظيم، فكانت اندفاعاتهم للدفاع عن الثورة ومنجزاتها ودلالاتها شديدة في الساحة العربية والفلسطينية خاصة.

دور الجهاد في حياة الأمة

الشيخ عفيف النابلسي
رئيس هيئة علماء جبل عامل

العظماء لا يقاسون بزمان ولا بمكان، حيث فكرهم منطلق انطلاق الريح يقفز فوق الحواجز ويهدم الحدود الجغرافية المصطنعة.

سير العظيم يبدأ من الذات فيخرجها من دهاليز الخوف والأنا والحدود الجغرافية ومن دائرة الزمان والمكان، ثم يصل إلى الوطن، فيهدم ويبني ويصلح ويعمر ويؤسس لازدهاره، يجدده ولا يتجدد فيه، ويحج منه ولا يحج إليه كي يصل إلى الأمة والإنسانية فيبني فيها جذور المعرفة والمحبة، ويؤسس قلاع الوفاء والشهادة والإبداع، ويجدد فيها روح المسؤولية والإرادة والحياة.

هكذا كان الإمام الخميني أقرب الناس وأقرب العظماء الى هذا المصداق مجدداً في الطريق ومجدداً في الهدف، حيث ابتعد عن المادية والجاهلية وجانبهما واعتبرهما شيطنة وهيمنة واستعماراً واستكباراً، وصحح مسيرة الأمة وصوب لها أهدافها العليا وأشواقها الخالصة وطموحاتها الكبرى.

كان ينقي هذه المسيرة من كل شائبة ويبعد عنها كل غربة ويركز فيها كل صواب، ومضى شهيداً سعيداً مخاصماً للجاهلية وللمادية ولم يصالحهما ولو بشكل جزئي، بروحانية هي أقرب إلى مزاج النبوات وخصيصة هي أبعد من كل العنعنات.

مضى إلى ربه بعد أن كسر نجوم الكسروية وقرون الشاهنشاهية بشجاعة ليس لها مثيل وجرأة نادرة الوجود في زمان كثر فيه الجبن من الحكام والعصبية من الملوك والخوف من الامراء والتهور المجنون في شهوات السيطرة والحكومة واقتناء الاموال.

ولولا تكالب الإستكبار وقوته التسليحية واستخدامه كل الإنتاج المادي من الأرض إلى السماء والبر والبحر في مواجهة الثورة الإسلامية لكنا رأينا خريطة جديدة ترسم لهذه الدنيا خصوصاً لشرقنا الأوسطي، خريطة قائمة على الحق وعلى سعادة الإنسان، إفساحاً للمجال امام تكافؤ الفرص ومنافسة في الخير أمام رضى الخالق. ولكانت بلادنا الآن على وشك الخلاص من جرثومة السرطان الصهيوني ولنعمنا بالعدل والخير والمحبة ونمنا على وسادة الأمن والأمان والطمأنينة تعلونا روحانية خالصة ويظلل وجودنا عدل الحكومة الإسلامية العالمية.

ولا نيأس في غيابه، فالحفاظ على الروحيات والمعنويات، وضخّها في شرايين الأمة من خلال الحوزات والجامعات ومدارس العلم، قائم على قدم وساق استنهاضاً للأمة وتحملاً للمسؤولية ووفاءً لخط الشهيد المجدد والقائد الفعلي لحركة المسيرة والنهضة والثورة.

وكيف يصل اليأس إلى قلوبنا وفينا بقية الأمل وحامل الأمانة وولي أمر الأمة من هو أكثر التصاقاً بأستاذه وأكثر وفاء لإسلامه وأبنائه، عنيت به سيدنا الأجل القائد المعظم والمرجع الإسلامي الكبير السيد علي خامنئي دام ظله الوارف.

الفصل الأول: الجهاد وأثره في بناء الذات الإسلامية

الجهاد مدرسة إسلامية كبرى صهرت الأمة من خلال مصنعها الرائد، وحولت الشباب الخامل والمنصرف إلى الصيد واللهو إلى شباب واعٍ يحمل معاني الشمم والأنفة والكرم والطموح والمسؤولية، وعندما بنيت الذات انطلقت إلى الأبعاد تأخذ دورها الإجتماعي والسياسي، وحققت الذات الإسلامية مركزاً مرموقاً في تكريم الإنسان وتحطيم قيود الفرعونية وأغلالها المذلة، وانطلق الإنسان العربي بعد حمله المسؤولية ووعيه للأمانة ضارباً في الأرض ليعيد للإنسانية كرامتها المهدورة وأمنها المهزوز.

شعب البادية ليس في دنياه إلا صيده ورمحه وسيفه وفرسه وقبيلته، ليس له

طموحات ولا آمال ولا أشواق عريضة، خرج من رمال الجزيرة ليقود حركة العالم ويؤسس لاحترام الإنسان ولم تمنعه قوميته ولا لغته ولا آفاقه الضيقة من خوض المضمار الإنساني بعدما نفث في روعه وكيانه آيات الخلود والتزكية والورع رسول الإنسانية محمد (ص)، وبعدما ركز القرآن بمدرسته التربوية فوائد الجهاد والصلاة والإيثار وحب البشرية.

القرآن مدرسة الكون لصناعة الإنسان:

إليك بعض الآيات القرآنية الداعية إلى الجهاد.

﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾ (البقرة ٢١٩).

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ (آل عمران ١٤٢).

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ شهداء والله لا يحب الظالمين﴾ (آل عمران: ١٨٢).

﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما﴾(النساء ٩٥).

آيات كريمة دعت الأمة إلى التفاعل النشط مع الجهاد في مدرسة القتال الهادفة ومدرسة الدفاع عن الأهل والعرض والوطن.

ولا نريد بهذه العجالة شمولية في العرض وكثرة في الآيات، وإنما نريد إشارة خاطفة على مشروعية الجهاد في حركة المجاهدين للوصول إلى القيمة العليا للانسانية.

أحاديث نبوية مباركة:

روى محمد بن يعقوب الكليني (رض) عن الإمام الصادق (ع) عن رسول الله (ص) قال (ص) «الخير كله في السيف وتحت ظل السيف ولا يقيم الناس إلا السيف والسيوف مقاليد الجنة».

رواية أخرى: «من ترك الجهاد ألبسه الله ذلاً وفقراً في معيشته ومحقاً في دينه... إن الله أعز امتي بسنابك خيلها ومراكز رماحها».

كلام مَنْ كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

الإمام علي بن أبي طالب (ع): «أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشملة البلاء وُدِّيثَ بالصغار والقماءة وضرب على قلبه بالأسداد وأديل الحق منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومُنع النصف».

روايات الجهاد والحث عليه والشهادة والدعوة إليها تكاد تكون هي الأكثر عدداً والأوفر حظاً في دعم مسيرة الدولة الإسلامية وتحضير الإنسان المسلم لخوض المعركة الفاصلة بين الأمة الإسلامية وأعدائها المبدئيين.

وقد لاقت الآيات والروايات من خلال التربية النبوية ترحيباً كاملاً واستجابة قل نظيرها بين شعوب العالم آنذاك ،ولعلنا لا نجد استجابة لقائد -بسرعة زمنية مدهشة- ما كان للنبي (ص) من هذا التجاوب والتزاحم على طريق الجهاد حتى كأن الصحابة الأكارم في طريقهم إلى مأدبة أو وليمة عرس وزفاف.

ولقد ذكر لنا التاريخ نماذج من الشيوخ والكهول والمراهقين لا يزال نورها إلى الآن يملأ هذا الوجود الإسلامي ويمنحه فيضاً كبيراً من المعنويات من غزوة بدر حتى آخر غزوات النبي (ص) حيث كان التهافت على المعركة كتهافت الهيم العطاش على الماء واستمر هذا الزخم المعنوي يمد الأمة بأفضل ما يساعدها على تحرير العالم حيث نجح العدد القليل على العدد الكثير في معارك اليرموك والقادسية والشام وحمص وفتوح البلاد العربية بأجمعها وصدق الله العلي العظيم حيث

يقول: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾.

مشروعية الجهاد في غيبة الامام المهدي (ع):

لا شك في أن الآيات القرآنية المباركة شرعت الجهاد وكانت أحاديث النبي (ص) وأقوال الإمام علي (ع) تلميذ القرآن داعمة ومشجعة لأبناء المدرسة القرآنية، وقد حققت التربية الإسلامية الجهادية قفزة نوعية في هذا الإتجاه واتسعت دائرة القدوة ليصبح الصحابة الأكارم قمة المجاهدين إلى يومنا هذا.

ويكفي أن نلقي نظرة على روايات الخندق وما قيل فيها في حق الإمام علي (ع) بطل الإسلام وسيف الله المسلول على الأعداء.

فعندما نزل الإمام علي (ع) إلى عمرو بن ود قال رسول الله (ص) «نزل الإيمان كله إلى الشرك كله».

وبعدما قتله وأجهز عليه وقطع رأسه وكبّر معه المسلمون قال (ص): «ضربة علي لعمرو تعادل عمل الثقلين إلى يوم القيامة».

وقراءة هذه السيرة العطرة بتاريخ الإسلام تشحن الأجواء شجاعة وتهز النفس الإنسانية وتخلص الجبان من هذه الرذيلة الأخلاقية ويخوض في لهيب الحروب غير عابىء إلا بالذكر الحسن والحور العين.

واستمر المدّ الإسلامي في الاتساع حتى حقق اعظم دولة على وجه الأرض في العالم القديم عدة وعدداً وأرضاً وشعباً، وكانت تُحرك كل هذا التاريخ وتصنع الحضارات وتنهي تاريخاً من الجمود الحضاري لإحداث زلزال قوي من التغيرات الإجتماعية والسياسية ولتؤسس لنهضة حضارية تمتلىء بالقيم والمعنويات وتتكامل فيها المسيرة الإنسانية الكبرى، ولكن الإنتكاسات التي حصلت عن طريق بعض من خالف القيم الإجتماعية وسلك طريقاً لم يُسلك من قبل، وخلق تحولات وانحرافات عن المسيرة القرآنية، هو الذي أوقف المد الإسلامي وقهر روائع التربية القرآنية وسمح لهمجية الغرب بأن تذبح الحضارة وشعبها في الأندلس وفي المغرب العربي، وأدى بالتالي إلى ضعف الأمة المتناحرة وتراجعها الإستراتيجي وتجمدت

المسيرة ووقفت ترمق الهدف من بعيد مشلولة القوى خائرة العزم منهكة الجسد وحيدة جائعة.

وعلى حساب هذا التراجع تقدم العدو، القليل الخبرة، الهزيل العلم ولكنه مستجمع لقوته حازم لأمره موحد بعلاقاته متبصر لمصيره، وتوقف المد الإسلامي وانكفأ الفقهاء يخططون لمرحلة النهضة اليقظة والوحدة:

وكان ما كان مما لست أذكره فَظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

وعدنا من جديد إلى مسيرة الجهاد حيث لم يصلح آخر أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

عزتنا أولا بالجهاد وعزتنا أخيراً بالجهاد وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا.

حكم الفقهاء في عصر الغيبة:

بحث الجهاد واسع وكبير ولا يعنينا منه كل هذا الشمولية، وإنما أردنا أن نعرف هذا الرجل الثمانيني الذي هز الدنيا بمخصرته وهو فقيه من فقهاء أهل البيت (ع) في عصر الغيبة.

١ ـ يذكر الفقهاء في كتاب الجهاد مبحثين:

ـ الأول ،هل يعتبر إذن الإمام أو نائبه الخاص في مشروعية أصل الجهاد أو لا، بعد أن اتفقوا على أن الجهاد الدفاعي لا يحتاج إلى إذن من أحد.

أما الأول، فالأكثر على عدم مشروعية الجهاد بدون إذن الإمام في حضوره، فلو كان النبي (ص) أو الإمام علي (ع) أو غيره من الأئمة لا يمكن للأمة أن تبدأ بعملية الجهاد دون إجازة منه.

وأما في عصر الغيبة، لو قيل بمشروعية الجهاد، هل يعتبر فيه إذن الفقيه الجامع للشرائط. يظهر من صاحب الجواهر (قده) اعتباره بدعوى عموم ولايته لمثل ذلك في زمن الغيبة.

وهذا الكلام غير بعيد بالتقريب الآتي: وهو أن على الفقيه أن يشاور في هذا

الأمر المهم أهل الخبرة والبصيرة من المسلمين حتى يطمئن بأن لدى المسلمين من العدة والعدد ما يكفي لغلبة الكفار الحربيين .وبما أن عملية هذا الأمر المهم في الخارج بحاجة إلى قائد وآمر يرى المسلمون نفوذ أمره عليهم فلا محالة، يتعيّن ذلك على الفقيه الجامع للشرائط فإنه يتصدى لهذا الأمر من باب الحسبة على اساس أن تصدي غيره بذلك يوجب الهرج والمرج ويؤدي إلى عدم تنفيذه بشكل كامل ومطلوب.

ولهذا طرح الشهيد الصدر (قده) في بداية تأسيس الجمهورية الإسلامية وقبل كتابة الدستور أن تكون قيادة القوى المسلحة وجميع الأجهزة الأمنية كلها بيد ولي الأمر خوفاً من الهرج والمرج لو كانت بيد غير الفقيه، فكما هو معلوم أن الفقيه أكثر خوفاً من الله وأكثر ورعاً في الدماء والاعراض وأكثر حكمة وتعقلاً في الأمور.

وهكذا كان رأي الإمام الخميني (قده)، حيث تولى قيادة الجيش والحرس والقوى المسلحة، وكان يعين نائباً عنه في كل موضع يسميه قائداً، وعلى هذا درج الوضع في الجمهورية الإسلامية بعد رحيل القائد إلى الرفيق الأعلى واختيار الأمة للفقيه المتجدد آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظله)، حيث هو الآن ممسك بجميع القوى المسلحة والأجهزة الأمنية رعاية للأمن القومي وحفاظاً على مقدسات الإسلام.

٢ ـ لدى استلام الإمام (قده) زمام الأمور وجه الأمة توجيهاً كاملاً وشاملاً وأعطى أوامره وتوجيهاته إلى كل الإدارات والمؤسسات والمحافظات والأقضية بتطبيق عملي لبنود القانون والعمل الجاد لتطبيق الدستور الإسلامي، وأقام أول صلاة جمعة في جماهيرها المليونية وقال يومها: «لو لم نحصل من الثورة إلا على صلاة الجمعة لكفى». وبدأت صلاة الجمعة تؤتي ثمارها حيث يجتمع الملايين كل يوم جمعة فيستمعون إلى الخطب الحماسية والواعية والمحفزة نحو التضحية والجهاد، وكان يريد بذلك تأسيس الأمة من جديد وبناءها بناءً فكرياً وأخلاقياً لتغسل كل ما أودعه الشاه وزبانيته في عقولها ونفوسها، ووضع نصب عيني الأمة مجابهة أميركا وسماها الشيطان الأكبر حتى يمكّن البلد من استقلاله وحريته.

وعندما ضرب الاستعمار طوقاً على إيران وعزلها وفرض عليها الحرب العراقية المدمرة، قال مقولته الشهيرة:

«لا يمكن تحقيق الاستقلال دون العزلة وأوضح أن الشعب المنعزل يمكنه التطور ويصبح مترقياً وأن الشعب غير المنعزل لا يمكنه التطور والرقي، فالشعب غير المنعزل يعني الشعب المتكل على الآخرين أي يأخذ طعامه منهم وسياراته منهم أيضاً وكهرباءه منهم وسيكون هذا الشعب أسيراً حتى النهاية».

ثم يخاطب الشعب فيقول لهم: فلا يمكنكم الاستقلال ما لم تصبحوا منعزلين، إننا لا نخاف من الإنعزال، كنا نعاني من جميع المصائب في ذلك اليوم الذي لم نكن فيه منعزلين، والآن حيث إننا منعزلون فإننا مستقلون أيضاً.

إننا في عرفنا الحالي نخاف من العزلة سياسياً واقتصادياً ومادياً لأننا إتكاليون، كما هو واقع الأمة العربية والإسلامية اليوم لمجرد التخويف بقطع المساعدات وحصار المطارات ومنع بيع الشركات وشراء المنتجات منها، أقول لمجرد التهديد من الدول الإستكبارية نركع ونذلّ ونسلّم شعبنا للذبح وثرواتنا بيد العدو يستهلكها حيث يشاء، فيخرج المعادن والنفط ويبني الشركات الإستثمارية الكبرى في مزارعنا ،ويصدّر كل خيراتنا إلى بلاده والعالم، ونحن نتفرج دون أن يكون لنا حول ولا طول، أفواهنا مكمومة وأيادينا مكبلة. أما ما أراده الامام من هذا الإنعزال فهو أن تعتمد الأمة الإيرانية على ذاتها في الزراعة والصناعة وصيانة الآلات الحربية والتحول من هذا إلى طريقة الابداع والفن والتقدم، هذا هو معنى الإنعزال الذي يريد لا الإنعزال الذي يوصل إلى الموت كما هو المشاهد في الدول الفقيرة التي تنتظر رزقها صباح كل يوم من البواخر الأميركية المحملة قمحاً.

هذه هي ثقافة الإستقلال وثقافة الحرية: الإعتماد على الذات حيث دعاهم الى خطوبة الحرية مهما كان المهر غالياً، وقديماً قيل: « ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر فالحرية هدف كبير ولا بد من دفع الثمن مقابل ذلك.

يقول (قده) في موقع آخر:

«يجب على الشعب الإيراني الشريف والمسلمين وجميع الشرفاء الأحرار في العالم أن يعلموا أن عليهم أن يقدموا ثمناً غالياً للاستقلال والحرية فيما لو أرادوا الوقوف مستقلين عن أية قوة عظمى ودون أن يميلوا إلى اليمين أو اليسار».

وأوصى من جانب ثالث البلاد والشعوب الإيرانية بقوله:

«إنني أقبّل أيدي وسواعد كل الذين يعملون بإخلاص ودون ادعاء من أجل استقلال البلاد واكتفائها الذاتي، وأوصيكم مرة أخرى بالإتكال على الله وأن لا تخضعوا لنير الشرق والغرب أبداً، يجب على الشعب أن يتخذ قراره، فإمّا حب الدعة والإستهلاك والذلة أو تحمل الصعاب والإستقلال. وقد يطول الأمر لبضع سنوات لكن شعبنا سينتخب حتماً الطريق الثاني الذي هو الإستقلال والشرف والكرامة».

الجانب النفسي من الجهاد:

الجهاد في النفس ومعها والسيطرة على نوازعها له أثر كبير في السيطرة التامة على مقاليد الأمر، لأن النفس الخادعة والجبانة ذات الصفات الرذيلة لا توصل حاملها إلى المجد والسمو وإنما تنحدر به في وديان الضلالة ودهاليز الرذيلة ويشرف الإنسان بشرف نفسه وسموها.

ومن هنا اعتبر النبي الأكرم (ص) أن ضبط النفس وتعويدها على الخير والإمساك بمقودها إلى السماء أفضل وأكبر من أي جهاد، حيث سماه بالجهاد الأكبر فتحطيم الأعداء وقتلهم وسحقهم والسيطرة على مقدراتهم وإظهار الشجاعة المادية بكل عدة وعدد وفخر واعتزاز سماه الجهاد الأصغر، وجهاد النفس هو الجهاد الأكبر. وإليك هذا الحديث المشهور عن النبي (ص):

روى صاحب كتاب «من لا يحضره الفقيه» شيخنا رئيس المحدثين الشيخ الصدوق عن الشيخ أبي القاسم جعفر بن قولوي عن الشيخ الأجل ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني صاحب الكافي عن علي بن ابراهيم عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، أن النبي

(ص) بعث سرية فلما رجعوا قال: «مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر» فقيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال (ص) «جهاد النفس».

العودة إلى بحث النفس والدخول إلى عالم الإلهام والاشراق يبعدنا عن مرادنا في البحث المطلوب وضعه في خانة الأوضاع السياسية، ولكن لا بد من المرور والحديث عن لمحة وخاطرة تنفعنا في الطريق والهدف.

الإمام الخميني (قده) عالم فقيه فيلسوف روحاني إشراقي من الطراز الأول، أدب نفسه وروّضها حتى منعها عن الخسة ورفعها عن الذلة وسما بها في الآفاق الأخلاقية العالية تنافس الأملاك، طهراً وعفةً ونبلاً.

وقد استفاد من خلال تجاربه أنه ما زال يتقوت يومياً بلقمة خبز وحبة تمر ويتوضأ بكوب من الماء وينام على حصير ويتوسد عمته أو عباءته، فإنه قادر على مواجهة الضغوط المادية مهما طال الزمن ،ولأنه كان على طريقة السيد المسيح والإمام ،أمير المؤمنين (ع) لحافه السماء وفراشه الأرض وسراجه القمر، وقف في وجه الضغوط الإستعمارية ولم يسمح لها بإذلاله وإذلال شعبه، ولو كان كالشاه منغمساً في الرخاء والدعة والجوانب المادية لذل واستكان ولأودع شعبه السجون والمقاصل والزنزانات، ولجعلها أمة خائفة مذعورة شريدة تأكلها هوام الأرض وليس لها قرار.

ومن هنا أراد أن يبني الأمة الإيرانية كمقدمة طليعية كبرى في هذه المواجهة المبدئية والإستراتيجية مع الإستكبار العالمي،حيث بث فيها الأخلاق والوعي والصبر والتحمل، ووضعها أمام طريقين إما الذلة والدعة وإما الاستقلال والصبر، وكان يريد من خلال هذا التوجه أن تعتمد الأمة على ذاتها لتبدع في مسيرة الدولة وتصبح مصداق خير أمة أخرجت للناس في هذا العصر.

تأمل ما يقوله في هذا الصدد: «الجهاد الأكبر مقدم على أنواع الجهاد»

«جاء الإسلام أساساً للبناء ويهتم الإسلام ببناء الإنسان. الجهاد من أجل البناء بناء الإنسان لنفسه مقدم على جميع أنواع الجهاد وهذا الجهاد هو الذي عبر عنه

الرسول (ص) بالجهاد الأكبر، فهو جهاد عظيم وصعب، وجميع الفضائل تتبع ذلك الجهاد الأكبر وهو جهاد الإنسان لنفسه الطاغوتية».

«ويجب عليكم أيها الشبان أن تبدأوا من الآن بهذا الجهاد ولا تسمحوا بضياع قوى الشباب منكم، فكلما زالت قوى الشباب زادت جذور الأخلاق الفاسدة لدى الإنسان ويصعب الجهاد أكثر يستطيع الشباب أن ينتصر بسرعة في هذه الجهاد ولا يتمكن الكهل بهذه السرعة». «لا تؤخروا إصلاح حالكم إلى مرحلة الكهولة فإحدى مكائد النفس الإنسانية ضد الإنسان ذاته ويوحي بها الشيطان للإنسان أن يؤخر إصلاح نفسه إلى آخر عمره، فيوسوس له أن استفد الآن من شبابك وتب في آخر عمرك».

من هنا ننطلق.

أرأيت إلى الإمام كيف يوجه الأمة بنظرة شمولية ليخلصها من التبعية الثقافية والإقتصادية حيث تأسرها العادات الأسرية ،وتتملك عقولها الطرازات الحديثة كانت الأمة مبهورة بثقافة الغرب حتى صارت تستصغر ذاتها وتحتقر مبدعيها والخلاقين فيها ولا تصدق أية حالة إبداعية فيها من داخلها ومن نوابغ أبنائها.

إنهيار معنوي كبير، وعلى هذا كيف تستقيم أمة لا تملك ثقافة إستقلالية وتاريخاً تعود إليه وجذوراً تسند إليها ظهرها في المتاعب والمصاعب.

كان على الإمام إعادة الأمة إلى الأصالة،فتحدث عن الإسلام المحمدي الأصيل وأرجع الحياة برَمتها إلى العصر الذهبي للأمة حيث كانت تمسك بزمام الحضارة العالمية والتفتت الأمة بعينيها البصيرتين وإذا هي أمام تاريخ عظيم في صياغة الإنسان وبناء الحضارات ونشر العلوم والإبداع في المخترعات، وإذا هي الأساس الأول لحضارة القرن العشرين.

واستغربت الأمة من هذه الممارسة التضليلية المجرمة التي قادها أتاتورك في تركيا ومحمد رضا بهلوي في إيران لإبعاد الأمة الإسلامية عن جذورها ووضعها في الميدان الإجتماعي والسياسي دون رصيد ودون قيم بين يدي الإستعمار، يقطّع

لحمها ويهشم عظمها ويفرقها بدداً ولا يرضى عنها أبداً.

إستفاقت الأمة ورأت أمامها فيضاً من المعنويات تمسك بيدها إلى العلم والسمو والعقل والطهارة والعفة والحكم ورأت قائداً ملهماً معلماً اين من فلسفته أفلاطون وشيخ الاشراق وأين من أدبه وحكمته كل من صرح بالحكمة وسمي بالحكيم.

ورأت أستاذاً زاهداً ومعلماً قادراً ومرجعاً ثقة وعادلاً، ورأت زهده وتواضعه وتخليه عن الدنيا مع شدة بأسه وتنمره في منع الإستكبار من الحصول على ثرواتنا ،أي انها رأته زاهداً إيجابياً يحرص على دنيا الأمة وراحتها لا زاهداً سلبياً يترك الاستعمار يفسد ويعيث في الأمة فساداً.

حقوق المرأة جانب اجتماعي :

أعطى للمرأة حقها السياسي المهدور، وللعامل حقه في الإنتاج ومنع عنه استغلال رأس المال، وحرم الإحتكار وقطع أيدي اللصوص والسراق.

وأسس الثورة الثقافية، وحمل رجال الفكر والأدب والقانون والفقه والأخلاق مسؤوليتهم التاريخية.

فكان النظام والدستور وفق الحكم الشرعي، وراعى حقوق الإقليات الدينية والطائفية، فبينما كانت حرية المرأة في عهد الشاه في ممارسة الرذيلة فقط، أصبحت في عهد الخميني مؤمنة واعية فاهمة عالمة، تتحمل مسؤوليتها أمام تاريخ الأمة وأمام الأسرة وتقوم بدورها الجهادي بكل قناعة ورغبة.

يقول الإمام في هذا الصدد: «إن تأثير الأسرة وخاصة الأم على الاطفال والأب على الأحداث كبير جداً، ولو تربى الأولاد بشكل لائق وتعليم صحيح في أحضان الأمهات وبحماية الآباء المتدينين ثم يرسلون إلى المدارس فإن عمل المعلمين سيكون أسهل».

فهو في الوقت الذي ينبه فيه إلى دور الأسرة لا يهمل دور الحكومة ودور المدرسة في التربية. يقول:

«حقاً إن الأنانية رأس جميع الخطايا، وسوف تبقى هذه الحروب والمفاسد والمظالم ما دامت الأنانية موجودة لدى الإنسان، وإنما أراد الأنبياء تحقيق الحكومة العادلة لكبح جماح المجتمع وإصلاحه وزرع القيم والمعنويات في نفوس الناشئة وإذا بقيت الحكومة بيد الجبارين فسوف تبقى الحكومة ممعنة في التسلط والاغراق في الشهوات المادية والمسير نحو الانحطاط». ويوجه المعلم فيقول للمعلمين: «لو كانت تربيتكم غير إسلامية لا سمح الله فإنكم ستشتركون في أي جريمة أخلاقية يقوم بها تلميذ من تلاميذ مدرستكم، ولو كانت تربيتكم إسلامية فسوف تشاركون الطفل في كل عمل حسن يقوم به».

التوجه العام:

هذا هو التوجيه الصحيح لتربية الناشئة، ثورة تقوم فلا بد من أن تتغير فيها المناهج ويبدأ الإصلاح من البيت والمدرسة وتتحمل الحكومة مسؤوليتها التاريخية في التربية والتعليم لتحفظ الناشئة وتمنعهم من الإنزلاق والإنهيار.

ولم يترك الإمام من توجيهاته وسائل الأعلام (التلفزيون، الراديو، الافلام الصحافة، السينما، المسرح، الأدب، الفن، الشعر) ووجه كل ذلك التوجيه الصحيح وركز على الجميع أن يكونوا بخدمة المجتمع وتهذيب اخلاقه.

ومنع التغريب عن الأمة وحفز الأساتذة الجامعيين للإبداع فتحولت إيران بعد هذا التوجيه إلى ثورة ثقافية وإبداعية للعمل الجاد للاكتفاء الذاتي من حبة القمح إلى ريشة الفنان ومن خيط الصوف إلى المدفع، ومن صناعة الحذاء الجلدي أو المطاطي إلى صناعة القطار والدبابة والطائرة، ومن صناعة الرغيف إلى صناعة السفن ومن غزو البحار إلى غزو الفضاء.

حالة من التكامل والإبداع والإعتماد فيها على الذات والعنصر الداخلي يقود كل ذلك أخلاق عالية متواضعة، تتعاطى مع أهلها وشعبها وجيرانها بالحب والخير والإحسان.

الحرب العراقية الإيرانية:

بدأت الثورة الإسلامية ككتلة لهب وكرة نار، تحرق العدو المستغل وتبعد الأجير الخائن وتجمع الشمل المتفرق والمنتشر في أرجاء الأرض.

وفي إبان اندلاع الحريق الأكبر واختفاء شاهبور بختيار تغير كثير من الملامح واختفى جمع من المدراء العامين وسرقت بعض الطائرات وعطلت بعض العقول الألكترونية الموجهة.

وبعدما انتصرت الثورة وفي ذلك الزخم المعنوي وفي ظلام الليل الأليل هرب كثير من كبار ضباط الجيش والأمن والدرك ومدراء الإدارات الكبرى خوفاً على أنفسهم لسمعتهم السيئة وإجرامهم الكبير، ووضعوا أنفسهم بتصرف الغرب، أميركا فرنسا، بريطانيا، المانيا، وأظهروا كثيراً من المعلومات عن تخريب وتدمير القواعد الجوية وتشويش الرادارات.

واعتبر الغرب أنها فرصته للإنقضاض على إيران ورُعزعتها واعتقال رموز الثورة ،وخصوصاً الإمام وحوارييه، بعدما وجهوا منظمة مجاهدي خلق لاغتيال الرؤوس الكبرى في الثورة كالشهيد مطهري وصدوقي وكبار الشخصيات التي لم تكن معروفة أمام الجماهير والتي كانت تعمل بجد وصدق لنجاح الثورة.

وكان العميل المدرب والمؤهل لخدمة أسياده صدام التكريتي المدعوم من قبل أعراب الجاهلية المدججين بأموال النفط، وبدون أية مقدمات، إفتعل النظام العراقي مجموعة احداث على الحدود، وعرفنا ونحن في العراق من طرق خفية أن العراق جهز عدة فرق مدرعة مغطاة بسلاح الجو العراقي، مع مستشفيات ميدانية مع تسليح الجيش الشعبي تسليحاً كاملاً.

وشن العراق على جارته الآمنة حرباً من الجهات الثلاث الجو والبحر والبر وحقق مكاسب هامة، حيث وصل إلى مسافة عمقها الطولي مئة وثلاثون كيلومتراً في يوم واحد.

وكانت بعض الأجواء العربية في عبادان وأهواز وخورمشهر وخوزستان

بشكل عام ميالة إلى العروبة عداوة للشاه المجرم الذي حرم المنطقة العربية من كل رفاهية، بينما النفط يصدر منها ليسعد بهم العالم.

فوجئت الجارة الوادعة إيران بهذا الهجوم، كما فوجئت بصمت دولي رهيب، مما يعني أن الأمر (دبر بليل)، وتم الإجماع الدولي على تمزيق الجمهورية الإسلامية، خصوصاً أن الجمهورية الإسلامية بثورتها الفتية تمردت على قوانين الدول الكبرى، وألقت سفارة الصهاينة وحاصرت السفارة الأميركية من قبل الشباب السائرين على نهج الإمام وقطعت أيدي مجرمي الحرب وسفاكي الدماء ومصاصي عرق البائسين.

إستعراض تاريخي :

الهجوم استمر بدون معارك ولا معارضة حتى بلغ مرحلة متقدمة في عمق البلاد الإيرانية ومن جميع النواحي المطلة على الخليج مما أربك الساحة الإيرانية الداخلية، ولولا لطف الله وبعض المقاومة البسيطة وخوف القيادة العراقية أن يكون وراءها حملة كبرى لوصلوا إلى مشارف طهران من دون قتال.

لدى سماع النبأ المرعب قامت قيامة الشعب الإيراني بكل فصائله، علماء وقيادات ومراجع وجيشا وحرساً ثورياً قوى أمن داخلي، رجالاً ونساءً، جامعات ومساجد، أسواقاً وتجاراً، صغاراً وكباراً، قاموا كلهم بعد أن سمعوا توجيهات الإمام بوجوب الدفاع والتصدي للغزو العراقي الأميركي الصهيوني.

ونزل الجيش بقواه النظامية، وجاءت الأمواج البشرية تشق طريقها نحو النصر، وقام الحرس الثوري المسؤول عن حماية النظام الإسلامي بتعبئة الأمة، ولم يبقَ في البيوت أحد إلا ونزل إلى الشارع متطوعاً لحرب الدفاع المقدس.

كان الثوار الإيرانيون أعجوبة الثوار في العالم، وأصبحوا بعد ذلك أعجوبة الأجيال في الدفاع عن الوطن والحفاظ على الأهل والمال والثورة الدينية والعقيدة.

وكان دور المسؤولين فقط تعبئة الجماهير وتدريبها وتنظيم وجودها في المعركة وتحديد المسؤوليات وجمع التبرعات اليومية التي فاقت حد التصور، حيث

لم يبق بيت ولا رجل ولا امرأة إلا وساهم في دعم المجهود الحربي، ومما ينقل أن إمرأة لم يكن عندها سوى سجادة صغيرة تصلي عليها قدمتها للمجهود الحربي وبقيت تصلي على الأرض في البلاد الباردة.

وتنافست مدن اصفهان وطهران ومشهد وتبريز وشيراز على أولية الساحة الميدانية عدة وعدداً وقلة وكثرة، حيث كانت كل مدينة تقدم جميع حاجات أبنائها المنطلقين منها مهما كانوا وبعض المدن كان يخرج منها عشرات الآلاف بشكل منظم، فكانت تتكفل بكامل مطالبهم وحاجاتهم وبأحسن صورة وبأفضل زاد.

الأمة كلها في الساحة تنتظر الأمر من الامام، ولقد قرأت ما أذهلني كثيراً عن بعض النساء الشابات اللاتي منعن من المشاركة كيف يبكين وتمنين الإلتحاق بالجبهة للعمل مع المجاهدين كيفما كان، وكذلك بعض الأمهات والآباء كيف كانوا يدفعون أبناءهم وفلذات أكبادهم بكل قوة وشجاعة نحو المعركة، والمعركة لهب لا ينطفىء والهجوم يتلوه هجوم، قنابل تشظى وأحياء تحترق وبيوت تدمر ورؤوس تطير وصواريخ ترج الأرض ومدافع تدك البناء.

قامت قيامة الحرب وتترّس الغرب خلف صدام وقدموا له كل السلاح المتطور مع مئات المليارات الموفرة من عائدات منابع النفط الخليجي.

وصمدت الأمة الإيرانية صمود إمامها وصبر قائدها، ولم تتراجع قيد أنملة بل كانت تحقق المعاجز واحدة تلو الأخرى.

وفي خضم المعركة تتمكن منظمة منافقي خلق من قتل أكثر من مئة شخصية قيادية إيرانية، على رأسهم الفيلسوف والعالم والمفكر والفقيه المرحوم السيد محمد حسين بهشتي. فتنهار القوى وتخور العزائم ويأتون إلى الإمام واجمين حائرين، وإذا بالامام يصرخ فيهم: ما هذا الخور؟ ما هذا الخور؟ ارجعوا وعينوا موعداً للإنتخاب وأمنّوا البديل المؤقت وسيّروا أمور الدولة دون خوف ولا وجل.

قالوا بعد خروجهم جئنا إلى الإمام صغاراً وعدنا كباراً مسؤولين.

هذا هو الإمام، رجل الساحة وفارس الساعة، ينقذ الأمة بأحرج أوقاتها ويمدها

بالمعنويات في أيام ضعفها، فتعود كما هي مفعمة قوية نشطة، صلب عودها قادح زندها متين عزمها، لا تقهرها عواصف الأنواء وتدهشها الليالي الهوجاء.

إستمرت الحرب تسع سنوات خسر فيها الطرفان خيرة الشباب ووفرة الأموال وانتهت كما يراد لها حرب لا غالب ولا مغلوب، وعلى الطرفين لملمة جراحهما وبناء بلديهما من الصفر وحل مشاكلهما المعقدة والتي سوف تبقى ربما إلى قرن إذا لم تحصل بعض التحولات لصالح أحدهما لعميق الجرح النازف في إيران وللجريمة الهوساء التي ارتكبها الطاغية صدام حتى لا يجتمع شمل ولا يرأب صدع ولا تحسن علاقات حسن الجوار.

مخطط جهنمي وقع فيه صدام وأوقع معه الجمهورية الإسلامية، حيث جرها إلى حرب على غير مزاجها.

فارتاحت بذلك اسرائيل ورقصت على نزف دمائنا وتناثر أشلائنا وتمزيق أوصالنا، وبعد نهاية الحرب وتجرع الإمام الخميني السم في قبول قرار وقف إطلاق النار، وإرتاح الى مقارعة الجامدين من شيوخ البلاط المترفين الذين استغلوا الحرب المشتعلة ليعبروا عن سوء طويتهم نحو الإمام ونحو الجمهورية الإسلامية.

وتحدث الإمام عنهم وكله ألم ولوعة وحرقة من مواقفهم وجمودهم وكأن كل ما حدث من حرب ودمار لا يعنيهم،واعتبرهم أشد إيلاماً من الحرب العراقية على إيران.

فوائد الحرب :

الإمام في خطابه التاريخي أثبت انتصار إيران، حيث ظن صدام أنه هو المنتصر، وأطلق فرحة العيد والنصر في مهرجانات عمت كل العراق، ورقص أتباعه على أوهام النصر فترة من الوقت ثم جرعهم بعد ذلك كأس الذلة والمتاعب والهوان إلى يومنا هذا.

إلتفت إلى ما يقوله الإمام: «إن خسائرنا الكثيرة لا تعني أننا غلبنا في هدفنا الأساسي الذي هو عبارة عن رد الإعتداء وإثبات صلابة الإسلام. كل يوم كانت لنا

في الحرب بركة لمسنا آثارها في مختلف الميادين» ثم يقول:

«نحن في الحرب صدرنا ثورتنا إلى العالم، نحن في الحرب أثبتنا مظلوميتنا وظلم المعتدين، نحن في الحرب كشفنا البرقع عن تزوير أكلة العالم، نحن في الحرب عرفنا أصدقاءنا وأعداءنا، نحن في الحرب عمقنا جذور ثورتنا الإسلامية المباركة، نحن في الحرب نمّينا حسن الأخوة وحب الوطن في قلب كل فرد من أفراد شعبنا، نحن في الحرب اثبتنا للناس في العالم وخصوصاً في منطقتنا أن بالإمكان مواجهة كل القوى المتجبرة لسنوات طوال. لقد كان من نتائج حربنا تحرير أفغانستان وسيكون من نتائج حربنا تحرير فلسطين. حربنا كانت سبباً في الوعي في باكستان والهند.

في الحرب فقط تطورت صناعتنا العسكرية بشكل مميز، وأهم من ذلك كله في ظل الحرب تحقق إستمرار الروح الإسلامية الثورية، كل ذلك ببركة الدماء الطاهرة للشهداء الأعزاء طيلة ثماني سنوات، كل ذلك نتيجة جهود الأمهات والآباء والناس الأعزاء في إيران طيلة سنوات الصراع ضد أميركا والغرب وروسيا والشرق. كانت حربنا حرب الحق ضد الباطل، وهي لا تنتهي.

كانت حربنا حرب الفقر والغنى، كانت حربنا حرب الإيمان والرذيلة، وهذه الحرب قائمة من آدم وحتى نهاية الحياة».

ومن هذا الخطاب الثائر والعاقل والجامع المانع تفهم قدرة إيران العسكرية وصمودها أمام جحافل الاعداء وأسراب الطائرات وتنوع الآليات المدرعة الموجهة خصيصاً لحرب إيران من جميع بلاد العالم.

ومن هذا الخطاب نفهم زيادة ثروة إيران الإقتصادية وتوسيع دائرة علاقاتها، وعندما تجمع الدول الخصوم على حرب دولة وتنخسىء جميعها تعرف ما هي قدرة إيران وعظمة شعبها وصبره على تحمل الأعباء والمواجهة الشرسة.

ها هي إيران تخرج شامخة كالجبل متمردة كالعاصفة صافية كالماء بل زرقة السماء وفية لشعبها أمينة على مبادئها قوية بمعنوياتها وثقافتها.

تمتلك خبرات الحرب في الطب والهندسة والصناعة والزراعة، فتقفز بعد سني الحرب إلى مصاف الدول العظمى وفرة في الإنتاج وعدالة في التوزيع.

نهمٌ في طلب العلم واستغراقٌ فيه وبذل للمال في سبيل الله والإنسانية وزهد فيه وعوض الله عليها خسائرها البشرية في سنة واحدة فكانت نسبة المواليد الذكور أعلى نسبة في العالم، ولهذا كله عاد إليها من فر منها وهرب عنها وأحبها من كرهها ومدت الأيادي الخيرة لتعاون دولي لإعمار إيران.

ولكن إيران لا تحتاج الآخرين لإعمارها، ففيها من الخبرات والكفاءات ما يغنيها عن الشركات الإستعمارية.

بذلت جهود مضنية للإكتفاء الذاتي الذي لم يحصل لأحد في الأعم الأغلب، وهي اليوم على حافة الإنتصار الكبير، تسليحياً وتقنياً واجتماعياً وثقافياً، غير عابئة بعوادي الزمن ومؤامرات الأعداء التي تحطمت على صخرة صمودها واحدة بعد الأخرى.

علاقات إيران:

بعد المؤتمر الإسلامي الكبير، وبعد نجاح الرئيس في إدارة هذه التظاهرة الدولية، أصبحت إيران دولة الوعي والقوة والثقافة والعلاقات الدولية المميزة؛ الكل يخطب ود إيران ويعرف أنها مظلومة من الغرب والشرق، والإخوة والأصدقاء يعترفون ولكنهم ظلوا على كثير من المماطلة.

الدول العظمى دول صناعة القرار تعترف بأنّ إيران دولة عظمى إقليمياً وهي آخذة بأسباب العلم، وعما قريب سوف تتحول الى دولة عظمى دولياً لها من تاريخها وصمودها وصمود أهلها وخبرة علمائها ووفرة إنتاجها وكثرة معادنها وثرواتها ما يجعلها في مصاف الدول العظمى.

ونعود لقول الإمام: «كل ذلك كان بفضل الإنعزال والحرب، والخير في ما وقع».

خاتمة:

وأخيراً: «ليس الإقتصاد هو الأساس، إن التوحيد هو الأساس» هذا ما قاله الإمام رحمه الله، حيث اختلفت نظرة الناس إلى الحياة، فبعضهم نظرته أن يؤمن الخبز والعلف ولا يهتم بشيء آخر لهذا الإنسان الذي تحول بنظر الإقتصاديين إلى حيوان، ولا فرق في ذلك بين أن توفر له اللحم والخبز أو توفر له التبن والعلف، فالكل علف لحيوان، ولكن توجيه الإنسان نحو عوالم التوحيد والإلتزام بعالم الغيب هو الذي يحرك الإنسان نحو الأفضل.

إن الاطار العالمي لرسالة الإسلام لا ينحصر بنوع ولا بصنف ولا طعام ولا شراب بل إطارها العالمي يبدأ من السماء قبل الأرض ويلبس العمل صفة الواجب ومفهوم العبادة، وبهذا الفهم تتحول الأمة الى قوة دافعة تتخطى حدود المألوف، وهكذا كان، حيث أخذ الامام بأعناق الأمة ونفث فيها تعاليم الإسلام وأحكامه الخمسة الواجب والمستحب والحرام والمكروه والمباح، وحرك الأمة باتجاه التطبيق، فأبدعت الأمة حيث التزمت بهذا الواجب وأصبح النمو عندها أعلى من أي بلد، وحسب ما سمعت من بعض الأعزاء أن إيران أفضل وضعاً من المانيا بعشرات المرات، لأن المانيا بقيت معزولة عن العالم ثلاثين سنة ولا تزال محكومة بقرار سياسي أميركي يجثم على صدرها ويمنعها من تطور السلاح الحربي بينما نحن تطورنا أكثر، وكنا وبقينا أحراراً كراماً، لا نذل أمام تهديد، ولا نتراجع أمام حصار.

نعتمد على ربنا أولاً، وعلى سواعد شبابنا وخيرة علمائنا، ونمد يد المحبة الى جميع الأصدقاء دون فرق بين أخ قريب أو بعيد، ولا يزال الإيرانيون يرفضون أوامر أميركا ويرفضون أية محادثة مع أميركا إلا بعد أن تقدم أميركاً شيئاً ملموساً، ومنها الإفراج عن الأرصدة الإيرانية المجمدة.

ظلت إيران على عنفوانها وشموخها، وعادت أميركا الحالمة بوضع قدم في إيران تتوسل توسل الثعالب لفتح علاقة مع إيران، وتبعث من خلال وزيرتها

ومساعديها برسائل التناغم وتلوح بفك الحصار ،وتبقى إيران الجبل الشامخ والبرج الباذخ علواً وشمماً.

هذا هو الأساس الصح والموقف الصح والطريق الصح ليهنأ الإمام.

في ١٥ رجب ١٤٢٠هـ

الموافق ٢٤/ ١٠/ ١٩٩٩م.

المحور الثاني

الدين والسياسة
في فكر الإمام الخميني (قده) :
قراءات في الخطاب والتجربة

الجلسة الثانية

● **رئيس الجلسة: الدكتور رفعت سيد أحمد** ـ مصر

● دور ولاية الفقيه عند الإمام الخميني (قده) في تطور الفكر السياسي الاسلامي / **الأستاذ ممدوح الشيخ** ـ مصر

● الإمام الخميني (قده) والأنظمة السياسية المعاصرة: قراءة في الفكر والواقع / سماحة الشيخ **مصطفى ملص**

● التأثير العملي لانتصار فكر الإمام الخميني (قده) وثورته / **الأستاذ فضل شرورو**

● المجدد الجمهوري: موقف الإمام الخميني (قده) من أشكال الحكم ونماذجه المعاصرة / الدكتور **خليل أحمد خليل**

● موقف الإمام الخميني (قده) من أشكال الحكم ونماذجه المعاصرة: العراق نموذجاً / الأستاذ **بيان جبر** ـ العراق

● المناقشات

دور ولاية الفقيه عند الإمام الخميني (قده) في تطور الفكر السياسي الإسلامي

الأستاذ ممدوح الشيخ

باحث في الفكر الإسلامي - المركز الدولي للدراسات - القاهرة

«وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الخلافة في كل زمان». **(الشهرستاني)**

شأن كثير من المصلحين الرساليين، ترك الإمام العظيم آية الله الخميني أثراً ضخماً في تاريخ أمته تتكشف أبعاده بإعادة النظر إليه من زوايا عديدة وإخضاعه للتحليل على مستويات مختلفة. فعلى المستوى السياسي الواقعي بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران التي كان له فيها - بعد الله سبحانه وتعالى - الفضل الأكبر علامة فارقة على ما يمكن أن تقوم به الجماهير من دور حاسم في صنع مستقبل أمتها بعد أن ظل التغيير لقرون مضت حكراً على نخبة ثقافية أو مالية أو طبقة متماسكة قادرة على تنظيم نفسها، كما أعادت هذه الثورة بناء العلاقة بين الدين والدولة على نمط ظن كثيرون أنه اختفى بنشوب الثورة الفرنسية قبل قرنين من الزمان أو يزيد كانت خلالها السلطة مفهوماً دنيوياً مصلحياً محضاً مداره التنافس أو التكيف وقانونه الأول حق القادر (بحكم حيازة رضى الأغلبية أو عوامل القوة الهادية) في فرض ثوابت للاجتماع الإنساني دون وصاية من دين أو أي إطار أخلاقي.

غير أن الأثر الأكبر أهمية من وجهة نظر كاتب هذه المشاركة هو الأثر الذي تركته فكرة ولاية الفقيه في الفكر الإسلامي نفسه إذ سدت ثغرة ظلت تسم الفكر السياسي للمسلمين - شيعة وسنة - وحلت إشكالية فكرية/ تاريخية ظلت تلقي

بظلالها على جهود المفكرين والمجتهدين والمجاهدين على السواء وتجعلهم يعجزون عن إيجاد بنية تحول رؤاهم الفكرية إلى واقع ملموس، فكانت ولاية الفقيه ذلك الجسر الذي شيده الإمام ليكون - على الأرجح - الإسهام الأكثر أهمية في مسيرة عطائه الطويلة.

المشكلة الكبرى

تحت هذا العنوان كتب العلامة ضياء الدين الريس في كتابه «النظريات السياسية الإسلامية»: «وقد أصبحت الإمامة هي المشكلة الرئيسة الكبرى التي دار عليها البحث السياسي في الإسلام خلال العصور المختلفة»[1]. وتعكس هذه العبارة التقريرية التي تبدو صحيحة إلى حد كبير قدر التمزق الذي عانته الأمة منذ وقت مبكر من تاريخها حينما انتقلت إلى عصر ملوك بني أمية بما أحدثوه من انقلاب تاريخي لم تزل الأمة تدفع ضريبته وتعاني آثاره حتى الآن.

ومنذ كتب علي بن إسماعيل التمار كتابه «الإمامة» وقضية السلطة تخضع للدرس والمراجعة بشكل لم ينقطع. وخلال ما مر من تاريخ الأمة الإسلامية قبل الإمام الخميني انقسم المجتهدون في شأن هذه القضية إلى فريقين: أحدهما لم يرَ حرجاً في طاعة أئمة تغلب على ظن أن في الأمة من هم أفضل منهم اقتناعاً بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، ودرءاً لظهور فتنة هي أضر على الأمة من طاعة هؤلاء الأئمة، ويعد هذا الفريق معبّراً إلى حد كبير عن موقف أهل السنة الذي كان شرطه اللازم ألا يجاهر الإمام المتغلب بمنع الصلاة. أما الفريق الثاني، فكان يلزم نفسه في مرحلة النشأة بموالاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم الأئمة الإثني عشر الذين استمر تتابعهم بعد وفاة الإمام الحسن حتى غيبة الإمام الحسن العسكري وهذا الفريق التزم منذ انقطاع تسلسل الأئمة ترك الثورة على أئمة التغلب،[2] وقد روي عن الإمام جعفر الصادق قوله: «ما خرج ولا يخرج منا أهل

---

(١) ضياء الدين الريس (دكتور). النظريات السياسية الإسلامية. دار المعارف. مصر. ط ٤. ١٩٩٦/١٩٧٦. ص ٧٩.

(٢) هذا التقسيم مبني على قدر كبير من التعميم قصد الكاتب إليه عمداً مع ادراكه التام لوجود استثناءات لها اجتهادات تختلف كثيراً أو قليلاً عن رواية التيارين الرئيسين المشار إليهما. وهذا التعميم يتناسب مع الطبيعة المختصرة المركزة لهذه المشاركة.

البيت إلى قيام قائمنا أحد ليدفع ظلماً أو ينعش حقاً إلا اصطلمته البلية وكان قيامه زيادة في مكروهنا»[1].

وخلال أكثر من عشرة قرون ظل المجتهدون والمصلحون يبحثون عن صيغة تمكنهم من إقامة ما يحقق الهدف الذي صاغه الماوردي بقوله: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين والدنيا»[2]. فحتى بالنسبة لأهل السنة الذين لم يروا لأهل البيت حقاً منصوصاً عليه في خلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن بإمكانهم أن يتجاهلوا حقيقة أن الخلافة التي بدأت بأبي بكر تحوّلت على يد معاوية ابن أبي سفيان إلى ملك عضوض ثم أفرغت من مضمونها لتسقط آخر شاراتها بسقوط الدولة العثمانية.

وبهذا أصبح المسلمون، شيعة وسنة، يعيشون في ظل سلطة لا يقرون بمشروعيتها الدينية ويخضعون لها واقعياً، وكان لدى كل من الفريقين أسبابه. غير أن المشكلة في الحقيقة كانت واحدة. فالسجال التاريخي الطويل حول (الإمامة) و (الخلافة) كمدرستين متمايزتين لم يعد له معنى مع غيبة الإمام الثاني عشر وانتهاء الخلافة إلى المصير المشار إليه. ومع افتقار الفكر الإسلامي بمدرستيه الكبيرتين إلى حل للمشكلة ترسخت دعائم سلطة أئمة التغلب أكثر.

ولم يكن الأمر كما تصور كثيرون من أصحاب النوايا الحسنة أمر توازن قوى؛ فثمة حركات إصلاحية إسلامية حازت من أسباب القوة ما كان كفيلاً بوصولها إلى تسلم مقاليد الأمور في بلادها، ورغم ذلك أدى افتقارها إلى رؤية فكرية قادرة على حل المشكلة الكبرى إلى البقاء في أسرها. بل إن بعض هذه التجارب اختار طواعية أن يعقد تحالفاً مع سلطة سياسية قائمة بحيث يصبح لكل منهما مساحة حركة يستقل بها، غير أن من يملك يحكم، كما يقول المثل السائر، فالعلاقة التي بدأت علاقة تحالف لم تلبث أن تحولت إلى علاقة تبعية تامة أعادت انتاج (المشكلة الكبرى).

---

(١) فهمي هويدي. إيران من الداخل. مركز الأهرام للترجمة والنشر. مصر. ط ٢. ١٩٨٨ ص ٨٣.

(٢) الماوردي. الأحكام السلطانية. مطبعة الوطن. مصر. ١٢٩٨ هـ. ص ٣.

التاريخ نذوب فيه أم نصنعه

السؤال الرئيس الذي يطرحه العطاء الفكري للإمام الخميني هو: هل نذوب في التاريخ أم نصنعه؟ فرغم أن ما تعرض له أهل البيت من ظلم على مدى التاريخ الإسلامي كان من الفداحة بحيث كان - بالفعل - حاجزاً نفسياً كبيراً يؤثر سلبياً في قدرة أي مناصر لهم على الفعل الإيجابي في التاريخ فاختاروا الذوبان في التاريخ والسير مع تياره القوي مع الاكتفاء بالإنكار «والتقية»، فأول ما يمكن تلمسه من ملامح الثورة الفكرية التي أحدثها الإمام الخميني في الفكر الإسلامي تحويل الرمزي إلى حقيقي وتحويل الحقيقي إلى رمزي، أعني بذلك تحويل المشاعر الصادقة لدى الشيعة تجاه الإمام الحسين عليه السلام من إحياء ذكراه بشكلها الرمزي يوم استشهاده وإلى تحويل السنة كلها إلى احتفال مختلف بنهجه ومبدئه، وهكذا ظهر حسينيون من نوع مختلف عما استقر في الأذهان طوال أحد عشر قرناً، وتحول الحقيقي إلى رمزي حيث جعل انتظار الإمام حافزاً لدور إنساني فاعل في التاريخ يضطلع به الشيعي وهو في انتظار الإمام، فإذا كان هو غائباً عن حياتنا اليومية فإننا نحياها وعلينا مسؤوليات جسام لا يجوز أن نتنصل منها، وبدل أن يتحول المسلم في انتظاره للإمام الغائب إلى جزء من تيار التاريخ بأن يقتنع بأن مجرد الانتظار فعل إيجابي أو بأن انتشار الفواحش قد يكون هدفاً لكونه شرطاً من شروط عودة الإمام الغائب، أصبح نواة تيار جديد يقاوم تيار التاريخ سعياً إلى تغييره إلى الأفضل.

غير أن هذه النقلة التاريخية في الواقع الإسلامي كانت في حاجة إلى بنية فكرية متماسكة ترتكز عليها، وهنا يأتي موقع «ولاية الفقيه» فالمشكلة الكبرى المشار إليها في صدر هذه المشاركة كانت في كيفية بناء صيغة قادرة على تحقيق هدفي حراسة الدين وسياسة الدنيا، نابعة من ثوابت الدين الإسلامي. وينبغي الإقرار ابتداء بأن الإمام الخميني بهذه النظرية تجاوز «عقدة نفسية» كان مصدرها إحساس معظم المصلحين والمفكرين الإسلاميين السابقين عليه بأن حراسة الدين لا تتحقق إلا بسلطة دينية وفي الوقت نفسه خوفهم من ميراث تجربة الغرب مع سلطة

الكنيسة، الأمر الذي كان يلجم ألسنتهم عن الدعوة إلى قيام هذه السلطة فلم يملكوا إلا بسط أوجه الإختلاف بين مفهوم السلطة في الإسلام وبين السلطة الثيوقراطية الكنسية. وكان واقع التجربة التاريخية يؤكد أن «حاكمية النص» لا تكفي لضمان الإلتزام به، وأن وعد الله للمؤمنين بحفظ كتابه لا يعفيهم من مسؤوليتهم عن العمل لإنفاذ أحكامه، فالقرآن ـ كما يقول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ـ لا ينطق بنفسه وإنما ينطق به الرجال.

على صعيد آخر أرست ولاية الفقيه مبادىء تعد جديدة على الفكر السياسي الإسلامي الذي تجمد عند عام ٤٠ هجرية، فالولاية بعد تحول الخلافة إلى ملك ثم بعد غيبة الإمام لم تعد للأمة بمفهومها الذي نعرفه في الفكر السياسي المعاصر ذي الجذور الغربية، لأن ذلك يفترض قيام الاجتماع الإنساني على أساس تعاقدي محض لا مكان فيه لثوابت، كما أن هذا المفهوم يعني ضمناً إسباغ القداسة على ما تقرره «الأمة» بصفتها صاحبة ولاية لا يقيدها قيد، ورغم أن كثيراً من المصلحين الإسلاميين رفعوا هذا الشعار خلال العقود القليلة الماضية في مواجهة اتهام العلمانيين لهم بأنهم دعاة حكومة ثيوقراطية إلا أن ذلك لم يؤد إلى تحقيق شيء من أهدافها. فولاية الأمة تؤول عملياً عند تطبيقها إلى ولاية النخبة، ومفهوم النخبة يختصر ليقتصر على محترفي العمل السياسي وأصحاب المصالح، فتتحول ولاية الأمة في نهاية الأمر إلى تحالف من التكنوقراط والأغنياء والعسكريين ويعملون جميعاً لتبرير الشيء ونقيضه ويتحايلون على عقل أمة بثقافة التكيف.

الحق فوق النظام

على الصعيد الفلسفي حسمت ولاية الفقيه نزاعاً امتد في التاريخ الإسلامي منذ تحول الخلافة إلى ملك عضوض حتى الآن هو النزاع بين قيمتين (الحق) و (النظام)؛ فالدراسات المقارنة لتاريخ الفكر لدى الأمم تشير إلى وجود قضية مركزية في كل عصر، فعند الإغريق مثلاً كانت المشكلة الرئيسة مشكلة العدالة أو الفضيلة فكانوا دائمي البحث عن المدينة الفاضلة ومواصفات الرجل الفاضل، وفي العصور

الوسطى في أوروبا حلت محلها مشكلة العلاقة بين السلطتين الزمنية والروحية وهكذا[1]....

فإذا نظرنا إلى تاريخ الفكر السياسي الإسلامي نظرة مجملة وجدنا أن المشكلة الأكبر هي في علاقة قيمة الحق بقيمة النظام. فمنذ وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ظهر مانعو الزكاة الذين كانوا يرونها ضريبة كانوا يدفعونها للنبي صلى الله عليه وسلم فلا تحل لأحد بعده، وفي فترة الحكم الأموي كانت سياسات الأمويين تستهدف في المقام الأول ترسيخ قيمة النظام على حساب كل شيء، حتى أنّ بعض حكام الولايات أبوا رفع الجزية عمن أسلم من أهل الأمصار حرصاً على موارد الدولة، وقس على ذلك الموقف من المعارضين والمخالفين في الرأي ...

وفي العصر الحديث مع ظهور الدولة القومية في صيغتها المنقولة من الغرب، تغلغلت الدولة في حياة الأفراد وأعادت صياغة ثقافتهم وحياتهم وفقاً لمقتضيات قيمة النظام وفي المقام الأول على حساب الحق، وهنا تأتي نظرية ولاية الفقيه التي تجعل الفقهاء «حكاماً على الملوك» انحيازاً طبيعياً إلى حقيقة أن الحق في الإسلام فوق النظام.

وتمتاز ولاية الفقيه بأنها إطار يتيح لكل من يستطيع أن يحوز مؤهلات الفقيه أن تكون له ولاية، وهو كسر لقواعد عديدة خرجت بالسياسة عما رسمه لها الإسلام إذ صارت، وبخاصة في العصر الحديث، حكراً على القادرين على الوصول إلى المناصب في إطار معادلة البيع والشراء، كما أن الفقهاء ليسوا سلالة بعينها ولا طبقة مغلقة، وهي خصيصة من خصائص النظرية يمكن أن تساعد على تقريب المسافة بين شطري الأمة الإسلامية (الشيعة والسنة).

فلا مراء في أن عصمة الأئمة وضرورة انتسابهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالشروط المعروفة في المذهب الإمامي كانت دائماً مما يصعب على أهل السنة

---

(١) النظريات السياسية الإسلامية. سبق ذكره.

قبوله، أما ولاية الفقيه بطبيعتها المنفتحة التي لا يحكمها سوى استكمال شروط حمل صفة فقيه وأيضاً إقرارها بأن الفقيه في ولايته لا تسند له صفة العصمة يجعل النظر إليها بوصفها اجتهاداً سياسياً قابلاً للتطبيق في المذهبين أمراً وارداً صحيح أن هذه الولاية هي في الأساس نيابة عن الإمام الغائب إلا أن في فكر أهل السنة ما يمكن الإستناد إليه لطرح اجتهاد قريب من هذه النظرية التي سدت فراغاً كبيراً لزم الفكر الإسلامي قروناً عديدة.

بين الحاكمية والولاية

مما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق أن ثمة نظائر لولاية الفقيه في الفكر السني قد تتطور فتلتقي في نهاية مسار تطورها مع ولاية الفقيه. وبين ولاية الفقيه ونظائرها اختلافات جوهرية غير أن وجودها لا يحول دون امكان رصد أوجه الإتفاق واحتمالات التلاقي، فهناك ما أطلق عليه المستشار الدكتور علي جريشة «المشروعية الإسلامية العليا» كما وردت في كتاب له يحمل العنوان نفسه[1] وقد بدأ المصطلح يطرح نفسه في الفكر السياسي عند أهل السنة وظهر مصطلح مشابه له هو الحاكمية.

في كتابه «دين ودولة» يقول علي جريشة: إنه يلزم لنظام سياسي إسلامي ثلاثة أشياء:

١ ـ شرعية إسلام تظله.

٢ ـ أمة تحمله.

٣ ـ سلطة تحميه.

وأول ما يلاحظ على هذا التصور إعطاء قضية المشروعية مكان الصدارة بحيث تأتي الأمة تالية لها وهو ترتيب يخالف فيه صاحبه الراسخ في فكر أهل السنة والجماعة كما أنه يضع للشرعية شروطاً ثلاثة تجعله يقترب كثيراً من ولاية

(١) صدر في مصر عن دار الوفاء للنشر والتوزيع.

الفقيه، وبالشرط الثالث يصبح قاب قوسين أو أدنى من الإقرار بها حين يطالب بسلطة تحمي الحق فتقيم شرع الله على أن يكون قيامها مرهوناً برضى المسلمين[١] والحديث عن سلطة تحمي الحق خروج عن رأي أغلبية المجتهدين والمفكرين من أهل السنة الذين يرون أن الحاكمية ليست الحاكمية الإلهية بل حاكمية القرآن وفيها يكون الإنسان مسؤولاً عن المتطلبات والمستلزمات التي تقتضيها القيم العامة المشتركة بين البشر[٢] ويكاد هذا الحكم ينسحب على مجمل فكر المعاصرين من مجتهدي ومصلحي أهل السنة. ومع ازدياد أنصار مفهوم الحاكمية فإن الأمل كبير في أن تكون ولاية الفقيه الإطار الذي يمكن من خلاله تحقيق الحاكمية، ومثل هذا الأمل لا يعني إغفال خصوصيات عديدة يتسم بها البناء المذهبي الشيعي فكراً وتنظيماً، كما أن مقدم هذه المشاركة لا يرى الخير المطلق في زوال الاختلافات بين المذاهب، فضلاً عن أن يكون ذلك ممكناً، وإن كان يرى فرصة تاريخية تلوح في الأفق يمكن استثمارها لتقارب حقيقي بين جناحي نهضة الأمة.

وعلى الله قصد السبيل

---

(١) علي جريشة (المستشار الدكتور). دين ودولة. دار الوفاء للطباعة والنشر. مصر. ط ٢. ١٩٨٨. ص ٧١-٨٣. ويمكن الرجوع أيضاً إلى: أبو الأعلى المودودي. تدوين الدستور الإسلامي. دار القارىء العربي للتوثيق والإعلام والتأليف والتراث والنشر. مصر. ١٩٩١.

(٢) هشام أحمد عوض جعفر. الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية. رؤية معرفية. المعهد العالمي للفكر الإسلامي. سلسلة الرسائل الجامعية. قضايا الفكر الإسلامي. من مقدمة الناشر التي كتبها دكتور طه جابر العلواني ص ٢٢.

الإمام الخميني (قده) والأنظمة السياسية المعاصرة :

قراءة في الفكر والواقع

سماحة الشيخ مصطفى ملص

المسؤول الإعلامي في تجمع العلماء المسلمين في لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين، سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واتّبع سنّته بإحسان إلى يوم الدين،

مقدمة

لم يكن الإمام الخميني قائداً تقليدياً، ولا زعيماً عادياً، ولم تكن ثورته على الظلم والقهر والاستبداد كغيرها من الثورات، فأوجه التمييز والتمايز كثيرة، لقد كانت ثورة تعرف ماذا تريد أن تزيل وماذا تريد أن تنشىء، وما هو الهدف الأكبر لسعيها.

قاد الإمام ثورة أدهشت العالم بحسن تنظيمها ووحدة مرجعيتها، فرغم أن الملايين كانت تتحرك في الشوارع بأمر من الإمام وهو في منفاه البعيد عن أرض إيران، إلا أن هذه الملايين لم تكن لتخالف التوجيهات الدقيقة ولا لتخرج عن التعليمات التي كانت تقضي بعدم اللجوء الى الرصاص في مواجهة الرصاص ومدافع الشاه الطاغية.

ووصلت الثورة الى هدفها المنشود، وبدأ الإمام إقامة الدولة التي كان يدعو إليها وهي الجمهورية الإسلامية، وهي دولة يرى الإمام أن الإسلام شريعتها وأن العدالة

منهجها، ونصرة المستضعفين والفقراء والمظلومين والمضطهدين هدفها، كانت نظرية هذه الدولة واضحة في فكر الإمام، وقد عبّر عن جوهرها في كتابه الشهير «الحكومة الاسلامية» وفي العديد من مؤلفاته وخطاباته ومحاضراته وندواته التي تحدث فيها الى الشعب أو ألقاها على طلبة العلوم الدينية، حيث بثّ فيها أفكاره حول الدولة أو الحكومة وما يتعلق بها، حتى غدت واضحة كل الوضوح.

لقد طرح البعض عند انتصار الثورة أفكاراً مغايرة لأفكار الإمام تتعلق ببناء الدولة ونظامها وأجهزتها، فمنهم من يريد الجمهورية الديمقراطية على النمط الغربي، ومنهم من يريد ديمقراطية على النمط الشرقي، والبعض يرى في النظام الرأسمالي ضالته وآخرون يرون في الاشتراكية النظام الأمثل، الى آخر ما هنالك من طروحات فكرية تتعلق بالنظام والدولة.

لقد واجه الإمام كل هذه الطروحات وردّ عليها مفنداً حجج أصحابها ومبيناً أن شعب إيران المسلم قد اختار الإسلام وانحاز الى جانبه وانه لا يريد بديلاً من الإسلام، ونظامه ودولته، ولم يكن الإمام في تعبيره عن رأي الشعب إلا قائداً صادقاً ومدركاً لإرادة شعبه. لذلك قرر عند كل قضية مهمة أن يلجأ الى الشعب لأخذ رأيه فكان الاستفتاء الشعبي هو الطريقة التي يعبر الشعب من خلالها عن رأيه.

لقد أصرّ الإمام على الجمهورية الاسلامية ورفض كل المقولات والطروحات الأخرى رفضاً واعياً مدركاً لكل النقائص والثغرات والعيوب، من خلال اطلاعه على تجارب الأمم والشعوب ودراسته للمعاناة الإنسانية التي سببتها أنظمة الجور.

ونأمل من خلال هذا البحث القصير أن نساهم في إيفاء هذا القائد والمفكر والعالم، الذي لم أجد له وصفاً أجمل ولا أروع من وصف «العبد الصالح» وهو ما وصفه به قائد الأمة الإسلامية الإمام الخامنئي حفظه المولى في ذكرى أربعين يوماً على وفاته، نأمل أن نفيه بعض حقه علينا وعلى هذه الأمة، وأن نؤدي للأمة أيضاً بعض حقها في الدلالة على أفكاره وعلمه.

الإمام الخميني والفهم الإسلامي للسياسة والحكم

السياسة فنّ إدارة قضايا المجتمع بما يكفل تحقيق المصلحة العامة، وهذا الدور هو الدور الأساسي الذي جاءت أحكام الإسلام به، فليس هناك حكم من الأحكام إلا والهدف الأسمى له هو الحفاظ على مصلحة المجتمع. لهذا كانت السياسة بالمعنى الإيجابي من التكليفات الشرعية للمسلم، ونقصد هنا الفهم والوعي والإهتمام بالشأن العام، وهو مضمون حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم القائل: «من بات ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» فأمر المسلمين هو شأنهم العام بكل ما تعنيه هذه الكلمة من أبعاد على الصعد الإجتماعية والإقتصادية والسياسية والتربوية والعسكرية.

أما ما يتحدث به دعاة النظريات الغربية في السياسة، أو دعاة النظريات السياسية غير الإسلامية عن وجوب فصل الدين عن السياسة، أو فصل الدين عن الدولة، فتلك مقولة تنطلق من منطلقات تجهل حقيقة الدين الإسلامي ودوره في المجتمع والحياة، وتريد أن تملي على المسلمين فهماً يتعارض مع دينهم، نحن متيقنون تمام اليقين أن الذين كتبوا أو أسسوا النظريات السياسية التي تتحدث عن فصل الدين عن السياسة وفصل الدين عن الدولة، لم يدرسوا الإسلام دراسة وافية وكافية، وإنما درسوا الأنظمة التي سادت في المنطقة الإسلامية، تلك الأنظمة التي انحرفت عن المسار الإسلامي واتخذت لنفسها سبل القياصرة والأكاسرة ودفعت بالفهم الإسلامي للسلطة والسياسة الى الزوايا المعتمة، بل وأشد من ذلك إنها دفعت بالعديد من الكتّاب الى القيام بوضع الكتب التي تبرر الإنحراف وتعطيه شرعية مزعومة ناتجة عن تحريف في معاني الآيات، والأحاديث النبوية، وسير الخلافة، والخلفاء الراشدين.

حتى صوروا هذا التحريف على أنه الإسلام، وأدى تواطؤ الحكام المتتابعين رغم اختلافهم وتناقضهم، الى إيهام الناس بأنه ليس هناك من تصوُّر آخر، أو فهم آخر مناقض لما ساد مدة طويلة من الزمن. لذلك لم يستطع الدارسون من غير

المسلمين، التوصل الى الحقيقة الإسلامية في السياسة والسلطة. وقد جاء حكمهم في المسألة غير متطابق مع الواقع.

وفي العصر الحديث، وعندما استعاد الإسلام المبادرة، وتحرك الفهم الإسلامي بعد طول غياب، وأطلق المسلمون دعوتهم للعودة الى الإسلام في كل مناحي الحياة، في الإقتصاد والسياسة والإجتماع والتربية، برز الفهم الإسلامي للسياسة والسلطة، هذا الفهم الذي يعتبر السياسة من أهم واجبات المسلم واهتماماته ويعتبر السلطة الدائرة التي يبرز من خلالها دور الإسلام في تصويب الحياة وتقويمها ، باعتبارها الحارس للقيم والمبادئ والالتزام، وباعتبار أن وقوع السلطة تحت أيدي غير المسلمين سوف يجعل السلطة معطلة للإسلام، لا سيما أن هناك أحكاماً في الإسلام يناط أمر إقامتها بالسلطة بشكل مباشر ولا يملك الأفراد إقامتها بأنفسهم.

من هذا المنطلق جعل الإمام الخميني (قده) القسم الأول من كتابه المشهور المسمى «الحكومة الإسلامية» بعنوان «أدلة لزوم إقامة الحكومة» وقد بدأه بالعبارة التالية: «وجود القانون المدون لا يكفي لإصلاح المجتمع، فلكي يصبح القانون أساساً لإصلاح البشرية وإسعادها فإنه يحتاج الى سلطة تنفيذية. ولذا أقرّ الله تعالى الحكومة والسلطة التنفيذية والإدارية الى جانب إرسال القانون، أي أحكام الشرع»[1].

وبهذا اعتبر الإمام (قده) الحكم من مهمات الإسلام وضروراته، واستدل على ذلك بما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم من إقامة الحدود وتنفيذ الأحكام وكذلك بما فعل الخلفاء من بعده حيث قاموا بالوظيفة نفسها.

وحول الإشتغال بالسياسة انتقد سماحة الإمام (قده) في وصيته الخالدة الدعايات البلهاء التي تفصل بين الإسلام والسياسة فقال: «وتارة يعتمدون بخبث

(١) الحكومة الإسلامية – الإمام الخميني (قده) ص ٦١. الناشر: مركز بقية الله الأعظم – بيروت طبعة ١٩٩٨.

وشيطنة الى الدفاع عن قداسة الإسلام فيقولون إن الإسلام وسائر الأديان الإلهية يهتمون بالمعنويات وتهذيب النفوس والتحذير من المراتب الدنيوية والدعوة الى ترك الدنيا والإشتغال بالعبادات والأذكار والأدعية التي تقرّب الإنسان من الله، والحكومة والسياسة وفن الإدارة مناقضة لتلك الغاية وذلك الهدف الكبير والمعنوي... حيث إن هذه جميعاً لبناء الدنيا وذلك مناقض لسيرة جميع الأنبياء العظام.

ومع الأسف، فإن هذه الدعاية بشكلها الثاني قد تركت أثرها في بعض الروحانيين والمتدينين الجاهلين بالإسلام فكانوا يرون التدخل في الحكومة والسياسة بمثابة المعصية والفسق، ولعل البعض الآن كذلك، وهذه فاجعة كبرى كان الإسلام يبتلى بها»[1].

فلقد اعتبر رضوان الله عليه أن وجود من يعتقد أنه لا علاقة للدين بالسياسة هو من الفواجع الكبرى التي ابتلي بها الإسلام. وهذا الإعتبار ينسجم تمام الإنسجام مع الحديث الذي استدللنا به والقائل: «من بات ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم». ذلك الحديث الذي يؤدي الى اعتبار كل مسلم يتغافل عن الأمة، ويعرض عن الإهتمام بها ليس مسلماً، وهنا علينا أن نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وآله قد استخدم عبارة «يهتم» أي أن يكون شأن المسلمين همه الذي يهمه فيدفعه للسعي والبذل والتضحية والتفاعل بكل ما تعنيه كلمة التفاعل، فليس الأمر مجرد حديث على اللسان، أو حزن في الوجدان، بل هو اهتمام. فإذا لم يكن كذلك خرج من زمرة المسلمين ولم يعتبر منهم. فانتفاء الاهتمام نفي للإسلام.

هذا هو الفهم الإسلامي للسياسة والحكم ولو أردنا الإستدلال على ذلك من المراجع الأخرى وآراء الفقهاء في السياسة والفقه الدستوري الإسلامي لاستطعنا أن نستخرج من الأدلة ما يكاد يصل الى حد الإجماع.

---

(١) الوصية الخالدة للإمام الخميني - ص ٢٤. الناشر مكتب وكلاء الإمام الخميني (قده) في المسائل الشرعية والأمور الحسبية.

نماذج الحكم المذكورة في القرآن

بما أن الإسلام دينٌ فيه مكانة عظيمة، وبما أن أحكام الإسلام منها ما يناط أمر إنفاذها بالحاكم، فإن الإسلام دين دعوة وانفتاح وليس ديناً منغلقاً على أمة أو فئة أو عرق، فإن من واجب الحاكم أن يكون داعياً الى الله، ومن واجب الدولة أيضاً أن تكون داعية الى الله، ولما كان اهتمام الإسلام بهذا الأمر عظيماً فإنه لا بدّ قد حدد للحكم أوصافاً يتصف بها لكي يكون هذا الحكم إسلامياً.

ولكن قبل الدخول في صفات الحكم الإسلامي ورأي الإمام الخميني في ذلك، نرى من المفيد أن نستعرض نماذج الحكم التي ورد ذكرها في القرآن وما هي صفاتها لاعتقادنا بأن ثقافة الإمام ومفاهيمه حول السياسة والحكم إنما مصدرها القرآن الكريم وسيرة النبي صلى الله عليه وآله ونهج الأئمة من آل بيته عليهم السلام، لذلك سنرى تأثر الإمام بالنهج القرآني واستفادته من العبر القرآنية التي حددت مصير الظالمين وعاقبة المتقين. بالإضافة الى التجارب الإنسانية المعاصرة.

لقد تحدث القرآن عن نماذج من الحكام متعددة، منها من استبد بالناس، وراح يتصرف على هواه دون رادع، والمثل على هؤلاء هو فرعون حيث قال الله تعالى عنه:

﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءَهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين * ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكّن لهم في الأرض ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾.[1]

لقد كان فرعون من الحكام الذين يتصرفون في الناس على هواهم، وكان متفرداً في رأيه بعيداً عن مشاورة الناس أو الأخذ بنصائحهم، وكان يرد على ناصحيه: **﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾**[2].

---

(١) القرآن الكريم - سورة الزخرف الآيات: ٥١-٥٢-٥٣-٥٤.

(٢) القرآن الكريم - سورة غافر الآية ٢٩.

وكان يستعظم شأن نفسه ويستخف بغيره ولم يجد منكراً عليه في قومه إلا رجلاً واحداً دعاه الى التصديق بموسى عارضاً عليه الحجة والبرهان، «ونادى فرعون في قومه، ﴿**قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون. أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين. فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين**﴾[1]

ومن النماذج التي ذكرها القرآن الكريم نموذج الحكم الشوري حيث تحدث عن ملكة سبأ وأنها كانت تستشير قومها في كل أمر ذي بال من أمور دولتها، فقال تعالى في القرآن الكريم:

﴿**فمكث غير بعيد، فقال أحَطْتُ بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين * إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرشٌ عظيم * وجدتُها وقومُها يسجدون للشمس من دون الله الذي يخرج الخبءَ في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو ربُ العرش العظيم * قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين * اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون * قالت يا أيها الملؤا إني ألقي إلي كتاب كريم * إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم * ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين * قالت يا أيها الملؤا أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون * قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأسٍ شديدٍ والأمر إليكِ فانظري ماذا تأمرين * قالت إن الملوك إذا دخلو قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون**﴾[2]

لقد كانت ملكة سبأ رئيسة دولة قوية (ونحن أولوا قوة وأولوا بأس) وكانت ترجع الى قومها في أمرهم. (قالت يا أيها الملؤا أفتوني في أمري ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) أي حتى تدلوا فيه برأيكم. وقد جعلوا القرار في يدها بعد أن بينوا

(١) القرآن الكريم - سورة القصص الآيات ٤-٥-٦.

(٢) القرآن الكريم - سورة النمل من الآية ٢٢ حتى الآية ٣٤

لها وجه القوة والبأس فيهم وهذا يعني انها بالخيار بين اللجوء الى القوة أو الى الحكمة والسياسة. وتظهر الآيات أنها لجأت الى السياسة.

وهذا النموذج كما ذكرنا هو نموذج شوروي.

ثم نجد في القرآن الكريم ذكرا لسليمان بن داود عليهما السلام على أنه أوتي الملك ولكن لم تبرز صفة حكمه كما كانت ملكة سبأ، وإنما برز أن سليمان عليه السلام كان ممتثلا لأمر الله تعالى لا يحب البغي ولا الطغيان وهذه صفات الأنبياء ومن كان على نهجهم. قال تعالى: ﴿**ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين* وورث سليمان داوود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إنّ هذا لهو الفضل المبين * وحُشِرَ لسليمان جنودُهُ من الجن والإنس والطير فهم يوزعون * حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يَحْطِمَنَّكُم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون * فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين**﴾[1].

فنموذج حكم سليمان أنه حكم خاضع للمبادئ الإلهية بما تشمله هذه المبادئ من التزام خلق العدالة والمساواة والتعاون والصلاح، وهذا ما نستفيده من دعاء سليمان عليه السلام: «وأن اعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين».

وهناك أيضاً ذكرٌ لحكام آخرين في القرآن الكريم ولكن في ما أوردناه من نماذج نعتقد أنها تشمل الآخرين الذين لم نأت على ذكرهم.

فأنظمة الحكم الوارد ذكرها في القرآن هي ثلاثة: حكم طاغوتي مستبد، وهو حكم فرعون ومن شاكله من الجبابرة، وحكم شوروي لا يستند الى أسس إيمانية وهو حكم بلقيس ملكة سبأ، وحكم نبوي الهي خاضع لأحكام الشرع الرباني كحكم

(١) القرآن الكريم - سورة النمل - الآيات ١٥ حتى ١٩.

سليمان عليه السلام.

ومما لا شك فيه أن إيراد هذه النماذج والحديث عنها على سبيل العبرة والموعظة والإستفادة من التجربة أغنى ثقافة المسلم السياسية، وجعلنا نستفيد من ذلك في تركيز البنيان الفكري لمفهوم أنظمة الحكم والمبادئ التي ينبغي أن تكون عليها لتكون متوافقة مع أحكام الشرع الإلهي والأخلاق الإيمانية النبوية، والتي تضمن للناس العدالة والحرية والمساواة.

ولقد استفاد الإمام رضوان الله عليه من الموارد القرآنية في بناء فهمه للحكم ودوره، وارتكز على القرآن الكريم في وضع أسس النظام الإسلامي المتفرّد عن غيره من الأنظمة بكونه نظاماً إلهيَّ المصدر، يخضع للكتاب والسنّة ويأخذ منهما ولا يعلو عليهما، وكذلك في تحديد مواقفه من أنظمة الحكم الأخرى وخصوصاً المعاصر منها.

موقف الإسلام من نماذج الحكم السابقة

إن أنظمة الحكم هي الأنماط التي تدير بها الشعوب حياتها، باعتماد آليات معينة لاتخاذ القرارات وفض النزاعات وتقسيم الثروة وإدارة الإقتصاد. وقد يختار الناس نمطاً معيناً لإدارة حياتهم العامة بإرادتهم الحرة، مستفيدين من التجارب الإنسانية، الخاصة والعامة، التي تدخل في ثقافتهم، وتصبح من موروثهم، ويغدو اقتناعهم بها مسألة بديهية، بحيث يعجزون عن تصور بديل مغاير أفضل منها أصلح لهم.

وهناك شعوب لا تختار لنفسها النمط الذي تلتزم به في حياتها، وانما يفرض عليهم نمط معين لا يرضون عنه كلياً أو جزئياً، ولا يرون فيه صالحهم ولا صلاحهم. وقد يفرض ذلك عليهم بالقوة والإكراه أو بالحيلة والمخادعة لدرجة أنهم إذا امتلكوا زمام أمرهم وعرفوا ما وقعوا فيه وأرادوا تغييره، هالهم ما يكلفهم ذلك من ثمن وتضحية فتراهم يعجزون عن التغيير لما يثيره التغيير من اختلاف في الرأي، وهو ما يؤدي الى الصدام الداخلي.

لقد وضع الإستعمار لبلادنا تقسيمات جغرافية خلافاً لقناعات شعوبنا

الإسلامية والعربية، وأخضع هذه التقسيمات لأنظمة سياسية تعمل بأمره وتوجيهاته خلافاً أيضاً لرغبات الشعوب ومصالحها. ثم بمرور الزمن صارت هذه الحدود وهذه الأنظمة من المقدسات ،وصار التعرض لها يشبه الخيانة، وراحت الشعوب بإمرة الأنظمة تتقاتل عند الحدود للحفاظ عليها وعدم خرقها ولحفظ الأنظمة.

إن تغيير الأنظمة الحاكمة من الأمور الصعبة والمكلفة جداً، خصوصاً أن الأنظمة لا تفتح أبواب التغيير أمام شعوبها وإنما تضع كل العقبات التي يمكن أن تعيق التغيير وتسد منافذه، فلا يبقى هناك سوى السعي من أجل التغيير بالوسائل المعادية للقانون، كاللجوء الى العنف، واستخدام القوة، والوصول الى حالة الثورة بكل أنواعها.

والدين الإسلامي، الذي هو عقيدة وشريعة، بمعنى أنه يحمل رؤية كاملة للكون والحياة والإنسان ويتضمن الشريعة التي تتناول السلوك والحقوق والواجبات والأخلاق، إنما هو دين التغيير والإصلاح، فلا عقيدته ترضى بالفساد والظلم والقهر والطغيان ولا شريعته، وواجب المسلم هو الإصلاح في هذه الحياة بإزالة المفاسد وأسبابها ورفع الظلم والحيف والجور عن كل فرد إنساني ما استطاع الى ذلك سبيلاً. ولا يتم ذلك إلا بالاصطدام بالمفسدين والظالمين والطغاة، حكاماً ومحكومين.

لذلك وجدنا الأنبياء والمرسلين يثورون على الظلم المتمثل في الحكام الطغاة كما يثورون على أتباع الظالمين. فكل نظام حكم يتشكل من حاكم وأعوان وأتباع، فهذا موسى عليه السلام يتصدى لفرعون وهامان وجنودهما.

قال تعالى: **﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم* تلك آيات الكتاب المبين* نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون* إنّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم، إنه كان من المفسدين* ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم**

الوارثين* ونمكّن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾[1]. صدق الله العظيم.

وقد انتهت المواجهة بهلاك فرعون وهزيمة جنوده وانتصار موسى عليه السلام والمؤمنين به من بني إسرائيل وتحررهم من الهيمنة الطاغوتية لفرعون.

أما المواجهة بين سليمان عليه السلام وبين ملكة سبأ، فقد انتهت نهاية مختلفة، حيث انحازت ملكة سبأ الى جانب الدعوة الإيمانية لما رأت من الآيات الدالة على صدق سليمان ودعوته، وأسلمت مع سليمان لرب العالمين، قال تعالى: ﴿**فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين* وصدّها ما كانت تعبد من دون الله، إنها كانت من قوم كافرين* قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجّةً وكشفت عن ساقيها، قال إنه صرح ممرد من قوارير، قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾**[2].

وهكذا نجد أنَّ كل نبي أو رسول من الأنبياء والمرسلين، كان يحمل رسالة الحق من أجل إزالة المنكر والفساد والباطل. قال تعالى: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين، وكفى بربك هادياً ونصيراً**﴾ [3] وقال تعالى: ﴿**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً، شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً، ولو شاء ربك ما فعلوه، فذرهم وما يفترون**﴾[4].

لقد جاء موقف الإسلام من هؤلاء الحكام وطريقتهم في حكم الناس مستنداً الى مخالفتهم للحق وانحرافهم عن الصراط السوي الذي يقتضي إقامة العدل بين الناس ورفع الظلم عنهم. مما يؤدي بهم الى سلوك سبل الفساد التي تؤدي الى تدمير العلاقات الإجتماعية السليمة القائمة على العدل والمساواة والإنصاف. ولا

(١) القرآن الكريم – سورة القصص – الآيات ١-٦
(٢) القرآن الكريم – سورة النمل – الآيات – ٤٢-٤٤.
(٣) القرآن الكريم – سورة الفرقان الآية ٣١.
(٤) القرآن الكريم – سورة الانعام الآية ١١٢.

شك أن أول طريق الفساد هو إنكار توحيد اللّه تبارك وتعالى واتخاذ الآلهة والأرباب المزيفة، فكانت الدعوة الى التوحيد أهم عناوين دعوة الإصلاح.

نماذج الحكم المعاصرة

لا شك أن نماذج الحكم في هذا العصر متعددة، وهي وإن اختلفت في الأسس والمنطلقات، فقد لا تختلف في الأهداف والنتائج. كما أن تطور المفاهيم السياسية ودخول عناصر أخرى، كعنصرالإقتصاد الذي يعتبر أقوى العناصر الفاعلة والمؤثرة في الموضوع السياسي، قد أدى الى أن تصبح الفوارق التي تظهر في أساس النظريات السياسية، ضئيلة جداً عند الدخول في عالم التطبيق والتنفيذ.

واستجدت نظريات ترى في الجمع بين الخصائص المتعددة لكل نظرية فرصة لإيجاد نظام سياسي أكثر تحقيقاً للأهداف الإنسانية والإجتماعية والإقتصادية.

وإذا استرجعنا المصطلحات التي توصف بها الأنظمة السياسية للحكم فقد نجد العديد منها، كالديمقراطية، والديكتاتورية، والتوتاليتارية، والفاشية... وغيرها.

ثم تأتي بعد ذلك الصفات الأخرى التي تلحق بأي نظام لتحدد نمط تعاطيه الإقتصادي، كالرأسمالية والإشتراكية والشيوعية.

وقد يكون من المفيد أن نذكر تحديداً للمصطلحات المذكورة آنفاً الفوارق القائمة بينها أو الخصائص التي تتميز بها كل منها.

١ـ الديمقراطية: وهي ممارسة الحكم باسم غالبية الشعب، المعبر عن إرادته بالإقتراع العام، والذين يمارسون الحكم هم الأشخاص الذين يقع عليهم اختيار الشعب، دون إعطاء أي أهمية لمحتدهم ولعلمهم، ولثروتهم، فالديمقراطية تتعارض مع مبدأ السلطة التي لا تنبع من إرادة الشعب، فهي نظام حكم يهدف الى إدخال الحرية في العلاقات السياسية، أي علاقة القيادة، الطاعة، الملازمة لكل مجتمع منظم سياسياً. فالسلطة تستمر بدون شك في الحكم الديمقراطي، ولكنها تبنى على موافقة الأشخاص الخاضعين لها، فتكون متوافقة ومنسجمة مع حرياتهم[١].

---

(١) مدخل الى علم السياسة – د. عصام سليمان. ص ٢٣٠ – الطبعة الرابعة ١٩٩٨.

٢ـ الأرستقراطية: مجموعة صغيرة تتولى السلطة وهي مكونة من أشخاص يتحدرون من عائلات لها جذور تاريخية في المجالين الإجتماعي والسياسي. ولقد عرف أرسطو الأرستقراطية بأنها نظام سياسي يتولى السلطة فيه عدد ضئيل من الأشخاص ويستخدمونها من أجل المجتمع بكامله.

٣ـ الأوليغارشية: وقد عرفها أرسطو بأنها نظام سياسي يتولى السلطة فيه عدد ضئيل من الأشخاص، ويستخدمونها من أجل مصالحهم الخاصة. أما الأوليغارشية في المفهوم الحديث فهي تعني النظام السياسي الذي تحتكر فيه السلطة نخبة محدودة العدد، متجانسة ومنعزلة نسبياً عن باقي المجتمع وتستخدم السلطة من أجل مصالحها.

٤ـ الأوتوقراطية: نظام حكم يتميز بوجود شخص على رأس الهيكلية السياسية والإدارية يتمتع بسلطة مطلقة، فليس هناك قوانين أو تقاليد تحد من سلطته أو تسمح بمحاسبته.

٥ـ البلوتوقراطية: منتظم سياسي يتولى مقاليد الحكم فيه الأكثر ثراءً.

٦ـ التكنوقراطية: هي منتظم سياسي تشكل فيه المعرفة المحتكرة من قبل مجموعة محدودة المصدر الوحيد للسلطة السياسية، أو على الأقل العامل الحاسم في تولي هذه السلطة.

وبتعريف أدق، التكنوقراطية هي منتظم سياسي، يستخدم فيه من هم في المراكز الإدارية الكبرى، معارفهم وكفاياتهم العلمية، من أجل ممارسة السلطة عملياً بدل الطبقة السياسية.

٧ـ الثيوقراطية: منتظم سياسي تنبع فيه السلطة من الله، وهي تمارس إما بواسطة حاكم يمثل الله، وإما بواسطة جماعة مغلقة ذات منشأ ديني. وهذا المنتظم تسيطر فيه القيم الدينية المقدسة والعلاقات السلطوية للهرمية الدينية.

٨ ـ الديكتاتورية: منتظم سياسي يتخذ فيه القرار من قبل أقلية ضئيلة،

ويفرض على الشعب، بحيث يمارس السلطة بشكل إستبدادي مطلق، وعن طريق الإرهاب والقمع، وفي غياب الشرعية، والديكتاتورية هي نقيض الديمقراطية.

٩ـ التوتاليتارية: هي ذروة السيطرة السياسية على مجتمع ما، من خلال إيديولوجية شاملة معتمدة رسمياً، وحزب جماهيري واحد، واحتكار مؤسسات الرقابة الإجتماعية والتوجيه والضبط واعتماد اقتصاد ممركز.

١٠ـ الفاشية: حركة سياسية تقوم على رفض مبادئ الليبرالية، ومبادئ الإشتراكية النابعة من الماركسية في آن، وتدين الديمقراطية البرلمانية والنزعة الفردية كما وردت عند فلاسفة القرن الثامن عشر، وترفض التعددية الحزبية وضمانات الحقوق والحريات الفردية.

ويقترن رفض هذه المبادئ لدى الفاشية، بتقديس القومية وتمجيدها واعتبارها القيمة العليا في المنتظم السياسي، والتصميم على إقامة دولة قومية تفرض سلطتها، والتأكيد على ضرورة قيام نظام إجتماعي يندمج فيه الفرد في الجماعة.

فالحركات الفاشية تقدم نفسها على أنها حركات اشتراكية، وتعلن عن إرادتها في الجمع بين القومية والإشتراكية، وتتميز هذه الحركات بعبادة القائد، الرجل الملهم المخلص الذي يجسد الجماعة، ويحمل رسالة قيادتها[١].

إن نظرة الى معاني هذه المصطلحات السياسية لأنظمة الحكم تعطينا فكرة حول الفهم السياسي الغربي لممارسة السلطة ومرجعيتها وهي تقوم على أساسين هما: الإستئثار بالحكم، أو المشاركة فيه من قبل الشعب.

أما الإستئثار فيقوم على الإستبداد، سواء كان من فرد أو من قبل جماعة وأما المشاركة فتقوم على مفهوم الديمقراطية وهي المشاركة في القرار من قبل أفراد الشعب، مع الإشارة الى أن هذه المشاركة ليست لها صورة واحدة ولا مفهوم واحد، وهي تتراوح تطرفاً بين أقصى اليمين وأقصى اليسار، وقد تكون كاملة شاملة الى

---

(١) راجع: مدخل إلى علم السياسة. د. عصام سليمان- ص٢٨٧ وما يليها.

حد غريب وتارة تكون صورية لا مضمون لها.

لذلك تعتبر الديمقراطية من النظريات التي يختلف في تطبيقها بين بلد وآخر وزمن وآخر وهي خاضعة كل الخضوع للأمزجة وقابلة للتشكل بأشكال كثيرة ومتعددة، حتى أن باستطاعة أي حاكم مهما كان مستبدا أن يدعي أنه يمارس نوعاً من أنواع الديمقراطية.

وقد رأينا أنظمة متعارضة كل التعارض في ما بينها وكل منها يدعي أنه ديمقراطي. ففي البلدان الأسكندينافية التي يتمتع فيها الإنسان بحرية مطلقة هناك ديمقراطية، وقد تمارس من قبل مجالس محلية تصل الى مشاركة كل إنسان في القرار، كما في بعض الكانتونات السويسرية. وفي الولايات المتحدة الأميركية ديمقراطية تقوم على نظام الحزبين مع إمكانية زيادة العدد، ولكنها ديمقراطية ممركزة وموجهة وخاضعة لمصالح الشركات الكبرى والمراكز الرأسمالية، التي تسيطر على الناس بواسطة أجهزة الإعلام التي تعطي المواطن الأسس التي يقوم عليها تصوره للمشكلات والقضايا وكيفية التعامل معها.

وفي بريطانيا والعديد من الدول الأوروبية أنظمة ملكية دستورية تنتهج النهج الديمقراطي في الحكم، بحيث إن الملك يملك ولا يحكم، والحكم للشعب عبر ممثليه، وكذلك في الأنظمة الجمهورية.

والإتحاد السوفياتي ودول المنظومة الإشتراكية كانت تدعي أنها أنظمة ديمقراطية شعبية، وكذلك الصين الشعبية الشيوعية تدعي أنها دولة ديمقراطية وأن الشعب هو الحاكم بواسطة الحزب الشيوعي الممثل الحقيقي للجماهير الشعبية.

ولا ننسى الأنظمة العربية التي يدعي أكثرها أنه ديمقراطي ومع ذلك لا يملك الشعب حق إبداء الرأي في أية مسألة من المسائل، وحتى الإنتخابات التي تجري أو الإستفتاءات تكون نتائجها مفبركة، بحيث تأتي وفق رغبة الحاكم ومصالحه. وذلك واضح من خلال القيود الموضوعة على انتخابات الرئاسة مثلا، كأن يحظى الرئيس

بترشيح الحزب أو مجلس النواب ثم بعد ذلك يأتي الإستفتاء على الرئيس المرشح الوحيد دون منافس أو المرشح القوي مع منافس صوري لإعطاء المظهر الديمقراطي للعملية الانتخابية.

وكما أن الديمقراطية مفهوم يأخذ أبعاداً وصوراً كثيرة، كذلك الإستبداد، ليس له شكل واحد ولا صورة واحدة، فهناك استبداد الحاكم الفرد، الذي يملك حق القرار في كل شيء (دكتاتورية الفرد) كبعض الأنظمة الملكية في العالم العربي، وهناك استبداد الجماعة، حيث تسيطر مجموعة سياسية أو عسكرية على السلطة، وتتحكم هذه المجموعة بالنظام وتسيره وفقاً لما تقتضيه مصالحها.

وهناك استبداد الطبقة من الشعب مثل دكتاتورية البروليتاريا وتعني طبقة العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين على نظام الحكم. وإقصاء بقية الطبقات من أفراد الشعب، وفرض الخضوع لمصالح الطبقة الحاكمة، كما هي الحال في الصين وكوبا والاتحاد السوفياتي السابق.

إذن، المسألة ليست في العنوان المطروح للنظام، وإنما هي في المحتوى، هذا المحتوى المعبر عن الحقيقة والجوهر لأن الشعارات عادة تكون مطاطة وكثيراً ما يخالف التطبيق النظرية، فإذا كان الشعار جيداً ويحمل أبعاداً إنسانية كالحرية والعدالة والمساواة في الفرص، فإن المصالح والأهواء كفيلة بحرف المسار عن خطه الصحيح، ودفعه باتجاه مغاير.

الحكومة الإسلامية في مفهوم الإمام الخميني (قده)

قبل أن نتحدث عن موقف الإمام الخميني (قده) من أنظمة الحكم العاصرة، الذي هو عنوان بحثنا المقدم لهذا المؤتمر الذي يعقد في الذكرى المئوية لولادته (رضوان الله عليه) لا بد أن نبين ماهية النظام الإسلامي للحكم، والأسس التي تقوم عليها الحكومة الإسلامية كما يراها الإمام الخميني (قده).

الدور الإقتصادي :

يقول الإمام رضوان الله عليه: «جاء الإسلام من أجل إقامة حكومة العدل الواسعة، حيث دونت ونظمت في هذا الدين القوانين الخاصة بالأمور المالية، كالضرائب وبيت المال، وكيفية جمع الضرائب من جميع فئات المجتمع وطبقاته بشكل عادل»[1].

ويقول أيضاً: «اطمإنوا إن ما هو صلاح المجتمع في نشر العدالة، ورفع أيادي الظلمة وتأمين الاستقلال والحرية، والقضايا الإقتصادية، وتعديل الثروة بشكل عقلاني يقبله العقل ويقبل التحقق»[2].

ويضيف: «الإسلام هو الذي يقف بوجه المصالح الشخصية، وهو الذي يمنع هؤلاء المتخمين من حياة الترف والعيش كيفما يشاؤون، إنه يقوم بالتعديل. سوف نصادر هذه الثروات التي تسلط عليها المالكون بغير حق، وسنوزعها من جديد بين المحتاجين بالحق والإنصاف».

«إن تاريخ الأنبياء معلوم إذ جاؤوا لتعبئة الفقراء ليذهبوا ويوقفوا الناهبين المغيرين عند حدهم ويوجدوا العدالة الإجتماعية»[3].

إن هذه الأقوال الواردة عن الإمام (قده) تدل على أن الإمام يرى للإسلام وبالتالي للحكومة المنفذة لهذا الدين دوراً في تنظيم وتعديل الحياة الإقتصادية بحيث تتحقق العدالة وينتشر القسط بين الناس، وتعيد توزيع الثروة، وتمنع حياة الترف والتخمة، ويعتبر أن تاريخ الأنبياء كان يقوم على منع الظلم والنهب وتحقيق العدالة الإجتماعية، وهذا يعني أنه يرى في الإسلام نظرية إقتصادية كاملة يشكل تطبيقها هدفاً واضحاً لرسالة الإسلام، ولذلك نراه يقول في خطاب ألقاه بتاريخ ٣

---

(١) كتاب صحيفة الثورة الإسلامية – مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني (قده) العالمية – ص٥٠٠.

(٢) المصدر نفسه – ص٥٠٠.

(٣) المصدر نفسه – ص٥٠١.

جمادى الأولى ١٣٩٩هـ الموافق ٤ / ١ / ١٩٧٩ بمناسبة إعلان قيام نظام الجمهورية الإسلامية في إيران: «ولكننا جميعاً مكلفون بمراعاة أحكام الإسلام. يجب أن تكون أسواقنا إسلامية، ويجب أن تطهر أسواقنا من الإجحاف، وعلى الحكومة وجميع الحكومات التي تأتي بعدها أن تسير وفقاً للموازين الإسلامية»[١].

فأحكام السوق الإسلامي لا إجحاف فيها، وهي تختلف عن غيرها من الأسواق التي تعطي التاجر حرية الربح وربما حرية الاحتكار وحرية المضاربة بهدف تفليس التجار الآخرين، الى آخر ما هنالك من صور تقع تحت عنوان الإجحاف.

وللحكومة دورها في ضبط حركة السوق ضمن الموازين الإسلامية، فهي تتدخل من أجل ضمان عدم ارتكاب المخالفات، وهو دور إيجابي، بينما نرى بعض الأنظمة السياسية لا تعطي الحكومة حق التدخل في حركة السوق، وتترك الحركة التجارية تجري بحرية مطلقة أيا تكن النتائج، لأن السوق بمنظورهم قادر على تنظيم نفسه بشكل تلقائي.

الدور السياسي:

«لا يوجد اضطهاد في الإسلام، والحرية في الإسلام لجميع الطبقات، للمرأة وللرجل، للأبيض والأسود، وللجميع. يجب على الناس من الآن فصاعداً أن يخافوا من أنفسهم لا من الحكومة، أن يخافوا من أنفسهم أن يرتكبوا خلافاً (مخالفة). إن حكومة العدل تقاوم الخلاف وتجازي المخالفين... سوف لن يكون بعد اليوم بوليس سري أو التعذيب الذي كان يقوم به البوليس السري»[٢].

«الحكومة لا تستطيع الإجحاف في حق الشعب. الدولة في ظل الحكومة الإسلامية خادمة للشعب، ويجب عليها أن تكون في خدمة الشعب، وإذا رأى الشعب ظلماً حتى من رئيس الوزراء فعليه أن يشكوه الى المحاكم، وعلى المحاكم أن تطلبه ونرى نتيجة عمله إذا ثبت عليه جريمة»[٣].

---

(١) مختارات من أقوال الإمام الخميني - ص٤٢ - إصدار وزارة الإرشاد الإسلامي.
(٢) مختارات من أقوال الإمام الخيمني - مصدر سابق - ص٤٢.
(٣) المصدر نفسه - ص٤٢.

وجاء في الوصية السياسية الخالدة للإمام رضوان الله عليه: «... لأن المرفوض هو الحكومات الشيطانية والديكتاتورية والظلم، حيث إن ذلك يكون بهدف التسلط. والدوافع المنحرفة والدنيوية التي حذروا منها (الأنبياء) هي جمع الثروة والمال وحب السيطرة والطغيان، وفي نهاية المطاف الدنيا التي تتسبب بغفلة الإنسان عن الله.

وأما حكومة الحق لنفع المستضعفين والحيلولة دون الظلم والجور، وإقامة العدالة الإجتماعية، كما فعل سليمان بن داوود ونبي الإسلام العظيم الشأن صلى الله عليه وآله، وأوصياؤه العظام، فإنها من أعظم الواجبات، وإقامتها من أسمى العبادات، كما أن السياسة السليمة التي كانت هي هذه الحكومات هي من الأمور اللازمة»[1].

يرى الإمام (قده) من الناحية السياسية أن دور الحكومة يتضمن:

١ـ إقامة العدل بين الناس دون تمييز بين فئة وفئة أو طبقة وطبقة أو حاكم أو محكوم.

٢ـ تأمين الحرية لجميع الطبقات والأفراد والمرأة والرجل والأبيض والأسود دون تمييز بسبب اختلاف في عرق أو لون أو جنس.

٣ـ تأمين العدالة الإجتماعية على نهج الأنبياء والأئمة عليهم السلام.

٤ـ رفض الإجحاف والظلم والجور والإستبداد والتفرد بالرأي، وهو ما عبر عنه في كتاب الحكومة الإسلامية حيث يقول: «الحكومة الإسلامية ليست كأي نوع من أنواع الحكومات الموجودة، فهي مثلاً ليست استبدادية، بحيث يكون رئيس الدولة مستبداً ومتفرداً برأيه ليجعل أرواح الشعب وأمواله ألعوبة يتصرف بها بحسب هواه»[2].

---

(١) الوصية السياسية الخالدة – ص٢٦ – الناشر مكتب وكلاء الإمام الخميني في المسائل الشرعية والأمور الحسبية.

(٢) الحكومة الإسلامية – ص٧٨.

٥- الدولة خادمة للشعب، أي انها تعمل ما فيه صالحه، وهي خادم أمين.

٦- الدولة الإسلامية دولة قانون، ومخالفة القوانين ممنوعة ومحاسب عليها.

٧- الدولة الإسلامية ليس فيها بوليس سري ولا تعذيب.

الشورى والإنتخاب:

إن الدولة الإسلامية ذات نظام يقوم على أساس الشورى، ويعلق الإمام (قده) أهمية كبرى على الشورى والإنتخابات ويقول في وصيته الخالدة: «المشاركة في الإنتخابات تكليف إلهي.

ووصيتي الى الشعب الشريف أن يكونوا حاضرين في جميع الإنتخابات، سواء انتخاب رئيس الجمهورية أو ممثلي مجلس الشورى الإسلامي أو انتخاب الخبراء لتعيين شورى القيادة، وأن يكون منتخَبوهم وفق الضوابط التي تجب مراعاتها مثلاً لينتبهوا أنه إذا حصل تسامح في انتخاب الخبراء لتعيين شورى القيادة أو القائد ولم يتم انتخاب الخبراء وفق الموازين الشرعية فمن المحتمل جدا أن تلحق بالإسلام والبلد خسائرلا تعوض... وعندها يكون الجميع مسؤولين أمام الله تعالى»[١].

فإذا كانت هذه هي نظرة الإمام للإنتخابات، وهي بهذه الأهمية الى حد أنه جعلها من التكاليف الشرعية التي لا يصح التخلف عنها، ذلك لأن الجماهير المؤمنة بالإسلام إذا تركت مهمتها وأهملت دورها في انتخاب أي مسؤول فذلك يفسح في المجال أمام المنحرفين وغير الكفوئين للوصول الى مراكز القرار، ويصبح أمر الدولة والنظام والحكومة في خطر عظيم مما يهدد وجود هؤلاء، ويؤدي الى انتقال السلطة الى قوى الفساد التي لا تؤمن بالإسلام ولا بنظامه، والتي ترتبط بالقوى المستكبرة المعادية للأمة ولله ولرسوله وللإسلام».

(١) الوصية السياسية الخالدة - ص٤٤.

أما الشورى، فلا شك هي ثابتة بنص آيات القرآن الكريم، وهي خصيصة من خصائص هذا الدين، وقد جاء نظام الجمهورية الإسلامية الذي رعاه الإمام (قده) يؤكد على الشورى عبر إيجاد مجلس خاص بها منتخب من قبل الشعب. وربما كانت الجمهورية الإسلامية الدولة الوحيدة التي وسعت دائرة المشاركة في انتخابات مجلس الشورى وغيره من المجالس، فجعلت سن الإقتراع هو سن السادسة عشرة للذكور والإناث وهذا أمر لم تسبق اليه، إذ إن جميع الأنظمة تحدد سن الثامنة عشرة للمشاركة في الانتخابات، تصويتاً.

الحكومة الإسلامية والتشريع :

تقوم الحكومة الإسلامية على مبدأ أن الحاكمية لله تبارك وتعالى.

فالشريعة الإلهية المنزلة على النبي محمد صلى الله عليه وآله هي القانون المعترف به والنافذ في ظل الحكومة الإسلامية، بل إنها تكون إسلامية بالتزامها بهذه الشريعة وبغيرها تكون حكومة طاغوتية.

والحكومة بهذا المعنى هي حكومة دستورية، لها قانون تلتزم أحكامه وليس لها أن تخالفه أو تهمله، فهي بالتعبير الذي يستخدمه الإمام (حكومة مشروطة) ويتحدث الإمام عن الفرق بين الحكومة الإسلامية وغيرها فيقول:

«الفرق الأساسي للحكومة الإسلامية مع حكومات«الملكية المشروطة» و«الجمهورية» هو في كون ممثلي الشعب أو الملك هم الذين يقومون بعملية التشريع في مثل هذه الأنظمة، بينما في الحكومة الإسلامية يختص التشريع بالله تعالى. فالشارع المقدس في الإسلام هو السلطة التشريعية الوحيدة. فلا حق لأحد بوضع القوانين، ولا يمكن وضع أي قانون غير حكم الشارع موضع التنفيذ.

لذا، ففي الحكومة الإسلامية، بدلاً من مجلس التشريع الذي يشكل إحدى السلطات الثلاث في الحكم، يكون هناك «مجلس تخطيط» يضع الخطط لمختلف الوزارات من خلال احكام الإسلام، وتحدد كيفية أداء الخدمات العامة في جميع

أنحاء البلاد من خلال هذه المخططات»[1].

ويجب أن يتبادر الى الذهن هنا أن التشريع المقصود هنا من قبل الإمام ليس التشريع بالمطلق بمعنى إيجاد القوانين والأنظمة واللوائح التي تنظم شؤون الدولة وتهمل الناس في الأمور المباحة أو المسكوت عنها في الشريعة. بل المقصود هنا تغيير أحكام المسائل بحيث إذا كانت المسألة في الشريعة الإسلامية محرمة فلا سلطة لأي مجلس ليجعلها مباحة، وإذا كانت حلالاً أو واجباً فلا سلطة لأحد ليجعلها محرمة، أما إذا كانت من الأمور التي لا حكم فيها، فهناك إمكانية لتقدير مصلحة الشعب أو الأمة وإعطائها الحكم المناسب. وهنا يأتي دور ولاية الفقيه في تحديد هذه المسائل.

ومن المعروف أنه في الأنظمة غير الإسلامية فإن للحاكم إذا كان مستبداً أن يفعل أو يقرر ما يشاء، كما أن لممثلي الأمة في الأنظمة الديمقراطية تقرير ما يشاؤون في شأن من الشؤون، لأن الإعتبار عندهم هو فقط لرغبة الشعب ليس إلا.

ولاية الفقيه

الإسلام نظام الحياة، على صعيد الفرد، والجماعة، والأمة، وعندما يقر الإمام الخميني هذه القاعدة فإنه لا يماري ولا يوارب، فهو يعلن أن الإسلام هو المرجع الأول والأخير. وإذا كانت الحكومة الإسلامية ترجع في أساس وجودها وفكرتها الى الإسلام، غير أن هذا لا يعني أنها حكومة رجال الدين بمعنى (الأكليروس) المعروف في الغرب المسيحي، وإنما هي حكومة مدنية بمعنى أنها مفتوحة أمام كل فئات المجتمع ويمكن لكل الجماعات التي تتشكل منها الأمة (الدولة) أن تساهم فيها، كذلك فهي حكومة يساهم فيها أهل الإختصاص ويراعى في ذلك وضع الرجل المؤهل في المكان أو المنصب المناسب.

وإذا كانت الحكومة مدنية فمرجعها الأساسي والمهيمن هو الإسلام وأحكامه.

---

(١) الحكومة الإسلامية - ص٧٨.

فإذا كان الأمر كذلك، فما هو دور رجال الدين في تسديد الحكومة وإرشادها والنظر في مدى التزامها بالأحكام الإسلامية؟. وعندما نتحدث عن رجال الدين فإننا نعني بكل تأكيد الفقهاء أي المتخصصين في علم أحكام الإسلام.

يرى الإمام الخميني (قده) أن للفقيه في الإسلام دور الولاية على الآخرين بحكم كونه العالم بالقوانين أي الشريعة، وأن الحاكم ملزم بالرجوع الى الفقيه في كل أمر لمعرفة حكم الشرع في هذا الأمر، وهذا يعني أن الفقيه ولي على الحاكم.

ويشرح الإمام (قده) حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيه:

«اللهم ارحم خلفائي (ثلاث مرات) قيل ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي فيعلمونها الناس من بعدي»[1] ويستنتج من خلال بحثه للحديث بوجوب ولاية الفقيه وفقاً للشروط التي تتضمن العدالة، والفقه، والالتزام الكامل بأحكام الإسلام[2].

وليس للفقيه ولاية مطلقة، وإنما هي ولاية مقيدة بالتقيد بأحكام الإسلام وأخلاقه وآدابه ويتشدد الإمام (قده) في ذلك فيقول:

«أما هؤلاء الذين يتهمون حكومة ولاية الفقيه بالدكتاتورية فإنهم لا يعرفون حقيقة الإسلام ولا يعرفون حقيقة فقيه الإسلام، ويظنون أن الحكومة تقبل بأي فقيه مهما كان فاسداً» ثم يقول بشكل واضح وصريح لا يقبل المجاملة أو التفسير أو التأويل: «إن الفقيه إذا خطا خطوة منحرفة واحدة، وإذا ارتكب ذنباً من الذنوب الصغيرة سقطت عنه الولاية» ويضيف «هل تعتقدون أن الولاية شيء هين كي يمكن تسليمها لأي شخص كان؟»[3].

«إن الإسلام هو الذي يقف في وجه الدكتاتوريين، ونحن نريد أن يقوم الفقيه بإيقاف الدكتاتوريين عند حدودهم، وألا يدع رئيس الجمهورية يتحول الى ديكتاتور

(١) الحكومة الإسلامية – الإمام الخميني – ص٩٦.

(٢) راجع المصدر نفسه – القسم الثالث – ولاية الفقيه من خلال الروايات.

(٣) حديث الشمس – الولاية والحكومة في كلام سماحة الإمام الخميني (قده). إصدار المعاونية الثقافية في منظمة الإعلام الإسلامي – الطبعة الأولى – ص٤٥-٤٦.

ولا رئيس الوزراء ولا قائد الجيش»[1].

وهكذا نرى أن الإمام يعتبر أن الولي الفقيه مسؤول عن الحفاظ على خط الإسلام في عدم معارضة الحكومة لأي حكم من أحكامه، مع اعتبار أن الولي الفقيه يجب أن يتحلى بالصفات السامية وأن يكون بعيداً كل البعد عما يخل بعدالته واستقامته وأعلميته، حتى ولو كان الأمر لا يتعدى ارتكاب ذنب صغير من الذنوب، فإذا فعل ذلك انعزل من منصبه تلقائياً، وفقد حقه في الولاية.

والذي يشخص ذلك ويقرره هو مجلس الخبراء، وهو مجلس منتخب من قبل الشعب، ومن صلاحيات هذا المجلس انتخاب الولي الفقيه، وتعيينه وعزله. وكل ذلك وفق شروط تضمنها دستور الجمهورية الإسلامية، وهذا يظهر أن الولي الفقيه مراقب من قبل مجلس الخبراء في أعماله وما يصدر عنه، وهذا ينفي عنه تهمة التسلط أو الديكتاتورية، ورقابة مجلس الخبراء هي رقابة الأمة، لأن هذا المجلس منتخب من قبل أفراد الأمة وهو يتمتع بثقتهم ويعبر عنهم.

موقف الإمام الخميني (قده) من الأنظمة السياسية المعاصرة

عرفنا أن الأنظمة السياسية تقوم على واحد من مبدأين، فإما أن يكون إستبدادياً ،كأن يتولى السلطة فرد أو جماعة أو حزب أو طائفة، ثم يديرون الحكم وفق ما يرونه هم بحيث تكون رغبة الحاكم أياً يكن، سواء أكان فرداً أم جماعة أم حزباً أم طائفة، هي النافذة ولا يملك الآخرون حق نقدها أو الآلية العملية لإيقافها، فإما أن يكون القانون قد رتب بحيث يشكل حائلاً دون انتصار الرأي الآخر، وإما أن يتم اللجوء الى الأجهزة الخاصة بقمع المخالفين وإسكاتهم كي يضمن نفاذ رغبة الذين هم في السلطة. وإما أن يكون النظام السياسي المعتمد هو نظام يقوم على مبدأ المشاركة أو ما يسمى بالديمقراطية، حيث يعود للشعب الحق في اختيار حكومته واختيار قانونه ونمط الحكم، وغالباً ما تكون الأنظمة التي تؤمن المشاركة العامة

(١) راجع كتاب الثورة في فكر الإمام الخميني (قده) تأليف مختار الأسدي – ص٥٩.

للشعب في القرار هي أنظمة دستورية بحيث يحدد القانون الأساسي صلاحيات المؤسسات والهيئات الحاكمة التي تتولى إدارة البلاد أو التي تسن القوانين أو التي تنفذها.

والمستطلع لرأي الإمام الخميني (قده) في أي من هذين النظامين يدرك أن الإمام قد درس التجارب العالمية والتجارب المحلية وخرج بمحصلة تؤكد صوابية التمسك بالنظام المستند الى مبادئ الإسلام وأحكامه وأخلاقياته، هذا الإسلام المتميز عن كل ما عداه مما يعرفه الناس من أنظمة حكم في مختلف أصقاع الأرض. لذلك رفض الإمام الخميني أن يقاس الإسلام على غيره مما هو قائم وموجود، إذ إن البعض يرى أن الإسلام يشبه ما هو سائد في الغرب من أنظمة سياسية أو اقتصاد. ويرى البعض الآخر أنه يشبه ما هو قائم في الشرق، فكان رد الإمام (قده) رداً يؤكد على التفرد والتمايز بطرحه شعار «لا شرقية لا غربية، جمهورية إسلامية».

فالذين اشتبه عليهم أمر نظام الإسلام شبهوه بالشرق أو بالغرب، أما الإمام فقد خبر الإسلام خبرة الدارس المتضلع المتمرس، وكان شاهداً على ما عند الغرب والشرق من استبداد وظلم وتحلل من كثير من القيم الإنسانية السامية والمبادئ الأخلاقية.

رأي الإمام في أنظمة الإستبداد (الديكتاتورية: «الإملائية»)

الديكتاتور هو الذي يملي على الناس مشيئته، ويجبرهم على الخضوع لها. فهو مستبد في ما يراه ويقتنع به. وإذا امتنع الناس عن إنفاذ إرادته عمد الى إجبارهم على ذلك بالإكراه سواء باستخدام القوة المباشرة أو غير المباشرة، كالضغط والتضييق، أو أنه يعمد الى إلحاق العقاب أو الأذى أو الضرر بهؤلاء الذين يرفضون الخضوع لإرادته.

ومن الطبيعي أن يكون موقف الإمام من الإستبداد والديكتاتورية هو موقف الرافض لهما والمحارب ضدهما لأسباب كثيرة منها ما هو ديني ومنها ما هو إنساني

ومنها ما هو شخصي.

أما الديني، فلأن الإسلام قد رفض مبدأ الاستبداد وحارب المستبدين والمستكبرين والمستعلين على الناس، وكانت رسالات الأنبياء جميعاً كما بينا تهدف فيما تهدف إليه القضاء على الاستبداد وتمكين الناس من حرياتهم وإيصالهم الى حياة العزة والكرامة وتحريرهم من العبودية للمخلوقات وربطهم بالخالق الحق الذي يخلق الناس والمخلوقات الأخرى ويرزقهم ويحميهم ويحييهم ومع ذلك لا يكرههم على ما لا يقتنعون به ولا يرتضونه لأنفسهم حتى الإيمان به وهو ما يدل عليه قوله تعالى في سورة البقرة: **﴿لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾**[1].

وقوله تعالى: **﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾**[2].

بل إن في القرآن الكريم آية تعتبر روعة الكمال في بيان احترام الإنسان للرأي الآخر والتزامه حمايته وضمانه أمن وسلامة حامله وهي قوله تعالى:

﴿وإنْ أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْهُ حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾[3].

والإستبداد المرفوض، مرفوض بكل أشكاله، سواء أكان استبداد فرد كالحاكم أو الملك أم السلطان أو كان استبداد فئة أو طائفة أو نخبة، وهي ما يطلق عليها في المصطلح السياسي «الأوليغارشية»، وقد أوردنا بياناً لمعناها سابقاً أم كان استبداد أحزاب سياسية أو طبقة من طبقات المجتمع، كالحزب الشيوعي في بعض البلدان، حيث القرار والإختيار هو للجنته المركزية أو غيرها من اللجان أو الهيئات العليا، وأما

(١) القرآن الكريم - سورة البقرة - الآية ٢٥٦.
(٢) القرآن الكريم - سورة يونس - الآية ٩٩.
(٣) القرآن الكريم - سورة التوبة - الاية ٦.

دكتاتورية الطبقة فهي كالتي تحدث عنها ماركس وأتباعه، والتي أطلق عليها دكتاتورية البروليتاريا أو دكتاتورية الطبقة العاملة.

ويشهد العالم اليوم نمواً واستفحالاً لإستبداد من نوع ليس بالجديد ولكنه يأخذ اليوم وضعاً أعظم تأثيراً واستحكاماً، وهو دكتاتورية رأس المال المتمثلة في الشركات الكبرى عابرة القارات والشركات المتعددة الجنسية، هذه الشركات التي أصبحت من القوة والعظمة والتأثير، بحيث إنها تفرض على الشعوب، ليس شخص الحاكم فحسب وإنما شكل الحكم والدستور والقانون والنمط الإقتصادي والخطط المالية والإقتصادية، وهي تتحكم بمعظم ثروات الأرض، وتسخرها لمصالحها، وتتحكم بواسطتها حتى بسياسات واستراتيجيات الدول الكبرى.

وما ذكرناه في ما يتعلق بالشركات، يدخل في باب الأسباب الإنسانية التي تدفع بالإمام الى رفض الإستبداد وكل ما يقوم عليه، حيث دلت أحداث التاريخ ووقائعه كيف أن أنظمة الإستبداد الإستعمارية قامت بنهب ثروات الشعوب المستعمرة، ثم جلت عنها وتركتها طعمة للفقر والجوع والجهل والتخلف يفرقها تنازع المصالح وصراعات الزعماء الذين أورثهم المستعمر رقاب الشعوب.

ولا يبيح الإسلام لأحد أن يستغل أحداً، ولا أن يسلبه حقه، ولا أن يستولي على ممتلكاته. وللنبي الأكرم صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»[1].

ولقد عرفت بلادنا استبداد المستعمرين ونهبهم لثروات بلادنا بغير وجه حق، ليس هذا فحسب، وإنما أيضاً أعمالهم المقيتة من أجل تغيير لغاتنا، كما حصل في الجزائر، وسعيهم من أجل القضاء على ثقافتنا، وصرفنا عن دين الإسلام.

من هذا المنطلق الإنساني رفض الإمام الخميني (قده) الإستبداد، كما رفضه أساساً من المنطلق الديني والشرعي. والدين والشريعة ما كانا إلا لما فيه مصلحة

(١) راجع نص خطبة الوداع للنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الإنسان في الأولى والآخرة.

وأما الشخصي، فقد عاش الإمام (قده) معاناة طويلة مع الإستبداد والمستبدين من رضا خان الى محمد رضا الى صدام، حيث عاش رضوان الله عليه السجن والنفي والإبعاد، والإيذاء، وتصفية الأتباع والأعزاء، ومنهم ولده السيد مصطفى الخميني رحمة الله عليه.

ومن أجل بيان موقفه من الدكتاتورية، ونفي شبهتها عن نظام الولي الفقيه، فقد جهد وأكد وبيّن أن الديكتاتورية تتأتى من التعالي والفوقية وحالات الترف والبذخ والإستبداد التي يعيشها المستبدون.

ويضيف: «أما إذا كانت هذه الحكومة مثل حكومة علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لم يكن يشبع حتى من خبز الشعير، فما هو مظهر الدكتاتورية فيها، ومن أجل أي شيء يمارسها، ما دامت هذه الحكومة تخلو من كل شكل من أشكال الترف وليس فيها تسلط فوقي وأوامر سلطوية وتمايز فكيف تأتي الدكتاتورية.. وحينما كان النبي يجلس مع المهاجرين والأنصار في المسجد، وهو زعيم دولة، ويدخل الداخل ليخاطب الجالسين أيكم محمد؟! لعدم تميزه عن أصحابه. فما هو مظهر الدكتاتورية»[1].

ثم يقول في مكان آخر: «إن الإسلام هو الذي يقف في وجه الدكتاتوريين ونحن نريد أن يقوم الفقيه بإيقاف الدكتاتوريين عند حدودهم، وألا يدع رئيس الجمهورية يتحول الي دكتاتور ولا رئيس الوزراء ولا قائد الجيش»[2].

وينفي الإمام (قده) عن الإسلام أي نمط من أنماط التسلط والسيطرة السلطوية، ويضيف: «ما دامت حكومة الإسلام ليست مطلقة وإنما دستورية مشروطة، يكون القائمون عليها ملزمين بمجموعة من الضوابط والقواعد المبينة في

(١) الثورة في فكر الإمام الخميني (قده) مختار الأسدي - ص٥٨.
(٢) المصدر نفسه - ص٥٩.

القرآن والسنة، فإن رئيس الدولة لا يستبد برأيه عابثا بأموال الناس ورقابهم.

الحكومة الإسلامية ليست إستبدادية، بحيث يكون رئيس الدولة مستبداً ومتفرداً برأيه، ليجعل أرواح الشعب وأمواله ألعوبة يتصرف فيها بحسب هواه فيقتل من يشاء وينعم على من يشاء ويهب من يشاء من أموال الشعب وأملاكه، فرسول الله (ص) وأمير المؤمنين (ع) وكذلك سائر الخلفاء لم يكن لهم هذه الصلاحيات»[1]. ويعلن الإمام أن رأي الشعب هو الحكم الفصل وأن الحاكم يجب أن يخضع لرأي الشعب في كل أمر يعود للشعب حق القرار فيه فيقول:

«إننا تابعون لرأي الشعب، فنحن نطيع الرأي الذي يبديه أبناء شعبنا، فلا يحق لنا أن نفرض شيئاً على شعبنا، ولم يجز لنا ذلك ربنا ولا رسول الإسلام»[2].

فأي دليل أقوى على رفض الإمام للإستبداد والدكتاتورية والتسلط، وهو في هذا الرأي يلتزم وينسجم تمام الإنسجام مع تعاليم الإسلام وأحكامه وأخلاقه وآدابه.

رأي الإمام الخميني في الديمقراطية

إن الديمقراطية كنظرية سياسية تحمل من الإيجابيات أكثر مما في سواها من النظريات، حيث إنها تظهر وكأنها أكثر إنسانية وانفتاحاً على مصلحة الفرد والمجتمع. ولقد عرفت الديمقراطية بأنها حكم الشعب بالشعب أو أنها حكم الشعب لنفسه بنفسه، وهذا التعريف لم يعد ينطبق على ما يعلق بالديمقراطية من حقوق في عصرنا الحاضر، حيث إن دعاتها يؤكدون على أنها تعني تأمين كل الحقوق الإجتماعية والسياسية والثقافية والفكرية، وأن الإنسان في ظل الديمقراطية يمتلك أقصى ما يمكن من حدود الحرية الإجتماعية، ويمتلك حريته الشخصية كاملة غير

(١) الحكومة الإسلامية – الإمام الخميني (قده) ص٧٨.

(٢) منهجية الثورة الإسلامية – مقتطفات من أفكار وآراء الإمام الخميني – ص١٥٨.

منقوصة.

إذن، لقد تطورت فكرة الديمقراطية تطوراً بالغاً عما كانت عليه في الأصل، وجرى الربط بينها وبين نظريات وأفكار أخرى كالعلمانية، وهي تعني الفصل بين الدين والدولة، بين الديني والسياسي. وكذلك ربط بينها وبين الليبرالية أي التحرر وهي بالمفهوم الغربي استعداد الإنسان للتخلي عن القيم والمبادئ والأخلاقيات التي نشأ عليها، أو كان يحترمها، في سبيل التطور والتقدم على كل الصعد، واستقبال كل ما هو محدث. وربط أيضاً بين الديمقراطية والرأسمالية كنظرية اقتصادية فصارت الديمقراطية تعني حرية رأس المال في التحرك والعمل في الإتجاهات التي يراها مناسبة لمصالحه أفقيا وعاموديا، وبالتالي، صارت الديمقراطية تعني حماية مصالح الشركات وحماية الإحتكارات، أضف الى كل ذلك أن الديمقراطية صارت تعني حرية الإعلام والإعلان والترويج للأفكار والنظريات مهما كان موقف الهيئة الإجتماعية منها.

هذا هو المفهوم الليبرالي للديمقراطية، وإن كان هناك مفاهيم أخرى لها كالمفهوم الشيوعي، وهو وإن كان قد انتهى عملياً إلا أنه على الصعيد النظري ما زال موجوداً، وإمكانية أن يُطرح من قبل البعض ما زالت قائمة، ولا ننسى أن هناك دولاً مهمة وعظمى مازالت تعتمد النظام الشيوعي، وتدعي أنها تمارس ديمقراطيتها الخاصة التي طورتها بما يتوافق وواقعها الفكري والإجتماعي والسياسي كالصين، بالإضافة الى كوبا وكوريا الشمالية.

وبحسب الرأي الليبرالي، فإن هذه الديمقراطية تستبطن التسلط والإستبداد ومحاربة الحرية.

ونعتقد أن مصطلح الديمقراطية من المصطلحات الفضفاضة جداً والتي يستطيع المرء أن يطور فيه في كل الإتجاهات مع إمكانية أنه ما زال ضمن دائرة الفكرة التي ترتكز في الأساس على مبدأ حكم الشعب بالشعب.

وإذا كانت نظرية أن يحكم الشعب نفسه بنفسه تنطلق من مبدأ أن الناس أحرار

وأنه لا تجوز مصادرة الحرية، وأن الناس متساوون في الفرص ومتساوون في الحقوق والواجبات وأنه لا امتياز لفرد على آخر إلا بما يقدمه من عمل لا بما ينتسب اليه من عرق أو يملك من ثروة، فإن هذا المنطلق هو منطلق سليم ولا بد للنفس الإنسانية أن تسلم به، ولكن عندما تدخل العوامل الآخرى، بحيث إن هذا العامل الدخيل يؤثر على أساس الفكرة ويحرفها في أي اتجاه، فإنه عند ذلك لا بد من إعادة النظر، ولا بد من إمعان النظر في ما هو قائم لمعرفة ماهية الموقف الواجب اتخاذه.

لقد انطلق الإمام رضوان الله عليه في موقفه من كل النظريات السياسية آخذاً بعين الإعتبار كل الأبعاد الإنسانية والكونية لأية نظرية، لا سيما التجربة العملية والممارسة الفعلية التي تعطي الصورة الصادقة حول إمكانية تطبيق وصلاح النظرية أو عدمه، وبنى موقفه في النهاية مستنداً إلى مدى ما تقدمه للإنسانية من خير ونفع وصلاح أو ما تجلبه عليها من محن وأسقام ومعاناة.

وقد رأينا الإمام (قده) يتحدث عن الديمقراطية فيقول:

«نحن لا نخشى أن يتكلموا في الغرب ضدنا، وأن يعترض علينا الذين يدعون أنهم يراعون حقوق الإنسان، يجب أن نعاملهم على ميزان العدل، وسوف نفهمهم - في ما بعد - ما معنى الديمقراطية، فالديمقراطية الغربية فاسدة، والديمقراطية الشرقية فاسدة أيضاً، والديمقراطية الصحيحة هي الديمقراطية الإسلامية. وإذا وفقنا فسوف نثبت للشرق والغرب بعدئذ أن ديمقراطيتنا هي الديمقراطية، لا الديمقراطية التي عندهم، والتي تدافع عن الرأسماليين الكبار، ولا التي عند أولئك المدافعين عن القوى الكبرى وقد جعلوا الناس كلهم في كبت شديد»[1].

(هذا النص جزء من خطاب الإمام الخميني (قده) كان ألقاه بتاريخ ٣ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ الموافق ٤/ ١/ ١٩٧٩ بمناسبة إعلان قيام النظام الجمهوري في إيران).

(١) مختارات من أقوال الإمام الخميني - ص٤٢ - صادر عن مركز اعلام الذكرى الثالثة لانتصار الثورة.

نظر الإمام الخميني الى الديمقراطية بمعناها الحقيقي المجرد، الذي يعني الحرية والعدالة والمساواة بين الناس، أي بمعنى أنها نظرية تؤمن هذه الحقوق الإنسانية وبيّن أن للغرب تفسيره الخاص للديمقراطية، هذا التفسير الذي يقيم الإعتبار لبعض المصالح، واعتبر أنهم في الغرب سيهاجمون إيران والثورة الإسلامية ويتكلمون ضدهما، وأكد عدم خشيته من ذلك، ومن اعتراض أدعياء حقوق الإنسان. وهو في كلامه هذا يؤكد أنه لا يوافق على تفسيرهم للديمقراطية، وأن ممارستهم لها هي ضد جوهرها الذي يتكلمون عنه. ويرد عليهم - وهو المؤمن بأن الإسلام نظرية كاملة من أجل قيام مجتمع حر يتمتع بالعدالة والمساواة - يرد عليهم من باب المشاكلة - غير آبه لعقدة المصطلح التي قد يتعقد البعض منها فيقول: «سوف نفهمهم ما معنى الديمقراطية» أي أن الديمقراطية كما تدعون هي حرية وعدالة ومساواة ونحن سنريكم كيف سنحقق ذلك في ظل نظام الجمهورية الإسلامية في ممارسة عملية نابعة من التزامنا لأخلاق الإسلام وقيمه ومبادئه وأحكامه، فهذه هي الأحكام والأخلاق والمبادئ التي تؤمن للإنسانية الخير والرفاهية والحرية والعدالة والمساواة».

لذلك عندما يرفض الإمام الديمقراطية، فإنه يرفضها لما تحمله من مفاسد ولما هي فيه من اضطراب.

فديمقراطية الغرب فاسدة، لأنها جعلت همها الأكبر الدفاع عن الرأسماليين الكبار، وهؤلاء هم الذين يأكلون ثروات المجتمع ويسخّرون الناس من أجل الحفاظ على مصالحهم، وهم الذين يتسببون بالكوارث الإجتماعية والإقتصادية التي تقضي على الضعفاء وتسحقهم، وقد رأينا كيف أن هذا الغرب الديمقراطي لا يتورع عن سرقة شعوب الأرض قاطبة مباشرة أو عن طريق هؤلاء الرأسماليين.

أما الديمقراطية في الشرق، فيصفها الإمام بأنها مدافعة عن القوى الكبرى، وأنها هي التي جعلت الناس يعيشون في كبت شديد جراء التضييق عليها ومحاصرتهم والتحكم في الصغيرة والكبيرة في البلدان التي حُكمت من قبل أدعياء

هذه الديمقراطية وهم دول المنظومة الإشتراكية.

«إن ديمقراطيتنا هي الديمقراطية» دون الوقوع، كما قلنا في هذا الخطاب، في عقده المصطلح، ومن أجل مخاطبتهم بما يفهمون يؤكد الإمام أن الإسلام هو الذي يكفل للمجتمع الإنساني القيم التي يزعم الديمقراطيون أن نظريتهم تدعو اليها.

إن ديمقراطية الغرب ليست إلا وهماً، ويتساءل الإمام رضوان الله عليه فيقول:

«أين هي الديمقراطية التي ملئ العالم باسمها الى هذا الحد وأي البلدان تعمل وفق الديمقراطية؟ وهذه القوى الكبرى أيها تعمل بموجب الموازين الديمقراطية، فالديمقراطية معنى مختلف بين بلد آخر، فلها معنى في روسيا ولها معنى آخر في أمريكا، ولها معنى معين في رأي أرسطو وغيره. نحن نقول إنها شيء مجهول، ولها في كل مكان معنى معين، ولا يمكننا أن نضمنها في دستورنا، بحيث إن كل واحد يستطيع أن يستفيد بأخذ معانيها ويصوغها بشكل تبدو فيه لصالحه، ولذلك، فإننا نقول الإسلام ونكتفي به...»[1].

لقد اختار الإمام (قده) الإسلام لقناعته التامة بأنه خير شريعة يمكن أن تقدم للبشرية حياة عزيزة وكريمة ورفض الديمقراطية كمضمون، وقد عبّر عن ذلك بقوله: «لا ديمقراطية اليوم في إيران وإن شاء الله الى الإبد»[2].

إن الذي في إيران اليوم هو نظام الجمهورية الإسلامية، وهو النظام الذي يسيّر الدولة وفقاً لأحكام الإسلام التي تكفل للمسلم وغير المسلم حقوقاً إنسانية متساوية، إنها تكفل الحرية فالناس جميعاً أحرار منذ ولادتهم، وتكفل العدالة لأن الإسلام هو دين العدالة التي هي أمر الهي: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون**﴾[3] وتكفل

(١) الحكومة والولاية - الإمام الخميني - ص٧٧ - وراجع ايضا سلطة الفقهاء وفقهاء السلطة عند الإمام الخميني - فرح موسى - ص٢٧٧-٢٧٨.

(٢) راجع سلطة الفقهاء وفقهاء السلطة - فرح موسى - ص٢٨٧.

(٣) القرآن الكريم - سورة النحل آية ٩٠.

أيضا المساواة، لأن الإسلام يساوي بين الناس، وأنه لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم.

أما حرية الشعب في اختيار الحكومة ونظام الحكم وانتخاب المجالس الممثلة للأمة، فذلك حق مصان ويقول عنه الإمام (قده): إن حكومة الجمهورية الإسلامية التي ندعو إليها مستلهمة من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام، وتستند الى الرأي العام للشعب، ويتم تحديد شكل الحكومة أيضاً من خلال رأي الشعب»[1].

ويقول أيضا: «إننا ننوي استبدال النظام الملكي بحكومة إسلامية، وبمعناها الحقيقي، إننا سوف نعرض على الرأي العام، ولأن إيران جميعها مسلمة فهم سوف يعطون رأيهم لهذه المسألة وسوف يتم تشكيل حكومة الجمهورية الإسلامية بعد تصويتهم»[2].

الإمام الخميني والأنظمة الإقتصادية

إن هذا العصر هو عصر الإقتصاد، وتقوم السياسة فيه بخدمة الإقتصاد، بل إننا نستطيع القول إن السياسة والإقتصاد قد تداخلا الى حد لم يعد يمكن الفصل بينهما، فكل واحد منهما في خدمة الآخر يستند اليه.

وهذا التداخل ليس بغريب على الإسلام، حيث إن الإسلام أيضا يربط بين الإقتصاد والسياسة في ربطه بين جملة السلوك الإنساني العام في الإجتماع والسياسة والإقتصاد والحكم، وضرورة احتكام السلوك الى مبادئ وأحكام الإسلام والتزامه بها.

ولكن الفرق بين الإسلام والأنظمة الأخرى، أن الإسلام يقيد الناس بمبادئه وأحكامه، فيما الأنظمة الأخرى تخضع لمبدأ المنفعة المادية والكسب والربح، غير آبهة

(١) منهجية الثورة في فكر الإمام الخميني - ص١٥٨.
(١) المصدر نفسه - ص٣٦٩.

بالآثار والنتائج التي ترجع على الإنسانية أو البيئة في الحاضر أو المستقبل. ويبقى الإنسان هو الأساس، وتبقى الإنسانية والمصلحة الإنسانية الهدف الذي ينبغي أن تركز كل الجهود لخدمته، وسعادته وأمنه واطمئنانه بالنسبة للدين الإسلامي الحنيف.

أما الآخرون، فالأمر مختلف بالنسبة إليهم، لذا ترى أن الربح هو الأساس الذي يهدفون اليه من وراء التقدم العلمي والتكنولوجي والفني، ولو أدى ذلك الى الحاق الأذى والضرر الحالي أو المستقبلي بالإنسانية عامة.

فالرأسمالية ترتكز على زيادة الربحية لما فيه مصلحة الرأسماليين، أما الشيوعية فتضع مصلحة الدولة في رأس الأولويات ولو أدى ذلك الى تجويع الناس واستغلالهم بما يشبه السخرة، وفرض نمط من المعيشة عليهم يجعلهم يعيشون في أدنى درجات سلم الحياة الإقتصادية والإجتماعية.

وهناك الإشتراكية التي هي شبيهة الديمقراطية في الغموض والضبابية حيث نجد الكثير من أنظمة الحكم تتبنى الإشتراكية، ولكنها تختلف من بلد لآخر، ومن حزب لآخر، وهي تتراوح بين الشيوعية والرأسمالية بأبعد نقطتين على طرفي نقيض.

لقد نظر الإمام الخميني في أنظمة العصر الإقتصادية ودرس آثارها على الإنسانية وخرج بنتيجة صريحة في رفضه لهذه الأنظمة وكشف عيوبها، فنراه في وصيته الخالدة التي تركها للأمة لتطلع عليها بعد وفاته، وليس في حياته، لتكون أبعد ما تكون عن المصلحة الذاتية أو الشخصية.

وقبل أن نعرض لما أورده الإمام في وصيته في ما يتعلق بالأنظمة الإقتصادية نحب أن نشير الى نظرته في الإقتصاد ومدى أهميته بالنسبة للإنسان وقياس ذلك على متطلبات الإنسان الأخرى:

«إن الذين ينادون بالإقتصاد ويعتبرونه الأساس لكل شيء، ذلك لأنهم لا يعرفون الإنسان، ويتخيلون أن الإنسان أيضاً حيوان وهو بحاجة الى الطعام فقط،

غاية الأمر أن طعام هذا الحيوان يختلف عن طعام الحيوانات الأخرى. فهذا يأكل الرز والكباب وذاك يأكل الأعشاب، ولكنهما معاً من جنس الحيوان. فالذين يصفون الإقتصاد بأنه أساس لكل شيء إنما يعتبرون الإنسان حيواناً، إذ إن الحيوان يجعل كل شيء عنده فداءً لإقتصاده.

إن التوحيد هو الأساس، والعقائد الإلهية الحقة هي الأساس، وليس البطن الأساس، أولئك الذين يعتبرون الإقتصاد هو الأساس إنما انحطوا بالإنسان من حد الإنسانية الى حد الحيوانية كسائر الحيوانات»[1].

لقد اعتبر الإمام (قده) أن الإقتصاد ليس هو الأساس الأول والإهتمام الأول للإنسان، ليس لعدم أهميته أو أثره على الإنسان، بل لأن الإقتصاد خاضع لمعتقد الإنسان وقيمه وسلوكه. فالأهمية الأولى إذن هي للمعتقد، وقد عبر الإمام عن ذلك بقوله: «إن التوحيد هو الأساس، والعقائد الحقة هي الأساس».

إن أثر التوحيد على الإقتصاد والحياة الإقتصادية وسلوك الفرد الإقتصادي أثر كبير وعظيم، وهو أثر ثوروي إذا ما التزم الموحد آداب التوحيد وأحكامه، لا سيما ما يتعلق منها بالرزق والكسب والإنفاق، والكنز والزهد.

إن الفرق شاسع جداً بين الملتزم بالزهد سلوكاً، والمتبع للشهوة استهلاكاً، ومردود كلا السلوكين على صاحبه ومجتمعه. وهذا الفارق أدركه الإمام (قده) إدراكاً جيداً.

وبالعودة الى رأي الإمام (قده) في الإشتراكية والشيوعية والرأسمالية يقول في وصيته الخالدة: «أحد الأمور التي يلزم التوصية والتذكير بها هو أن الإسلام لا يوافق لا الرأسمالية المطلقة الظالمة، التي تتولى حرمان الجماهير المضطهدة والمظلومة، بل إنه يدينها بشكل جدي في الكتاب والسنة ويعتبرها مخالفة للعدالة الإجتماعية، بالرغم من أن بعض معوجي الفهم الذين لا اطلاع لهم على نظام

(١) راجع منهجية الثورة الإسلامية. مقتطفات من آراء وأفكار الإمام الخميني - ص٤٩٨-٤٩٩.

الحكومة الإسلامية ولا على المسائل السياسية الحاكمة في الإسلام كانوا ولا يزالون يوحون من خلال كتاباتهم وأقوالهم أن الإسلام يؤيد الرأسمالية والملكية بلا حدود، وبهذه الكيفية التي استنتجوها من الإسلام بفهمهم المعوج طمسوا وجه الإسلام النوراني وفتحوا الطريق للمغرضين أعداء الإسلام ليعتبروه نظاماً كنظام الرأسمالية الغربية مثل نظام أميركا وبريطانيا والناهبين الغربيين»[1].

فالرأسمالية في نظر الإمام (قده) ظالمة تحرم الجماهير المضطهدة والمظلومة وتنهب الثروات والأموال وتجعلها في يد فئة واحدة تديرها بشكل يحقق لها احتكار الثروة والتصرف بها وفقاً لما فيه مصلحتها، وهذا مخالف لمبدأ العدالة الإجتماعية الذي يضمن لجميع أفراد المجتمع أن يستفيدوا من ثرواته.

وكما هو معروف، فإن الإسلام يحث على عدم تجميع الثروة وتكديسها وكنزها. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دُولةً بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾[2].

وفي سورة أخرى يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون**﴾[3].

فرفض الإمام للرأسمالية ينطلق من رفض الإسلام لنهجها المخالف للنهج الذي يقره الإسلام ولآثارها على المستضعفين والمظلومين والفقراء، ونحن في العالمين

---

(١) الوصية الخالدة - ص ٧٠.

(٢) القرآن الكريم - سورة الحشر - الآية ٧.

(٣) القرآن الكريم - سورة التوبة - الآيات ٣٤-٣٥.

العربي والإسلامي، بل والعالم المسمى العالم الثالث، ما زلنا نعيش آثار الإستعمار الغربي الرأسمالي لبلادنا جراء سرقته لثروات بلادنا.

أما الشيوعية، فيقول الإمام فيها في الوصية الخالدة: «ولا هو (الإسلام) نظام مثل النظام الشيوعي والماركسي اللينيني الذي يعارض الملكية الفردية ويقول بالإشتراك، مع الإختلاف الكبير الذي كان في الأدوار القديمة والى الآن، حتى الإشتراك في المرأة والشذوذ الجنسي والذي استتبع ديكتاتورية واستبداداً مدمرين، بل الإسلام نظام معتدل يعترف بالملكية ويحترمها بنحو محدود في نشوء الملكية والإستهلاك بحيث إذا طبق ذلك على حقيقته تتحرك عجلة الإقتصاد وبالشكل السليم، وتتحقق العدالة الإجتماعية التي هي من لوازم النظام السليم»[1].

يرى الإمام أن الشيوعية كنظام سياسي اقتصادي تعارض تملك الأفراد وتقول بالإشتراك تصل الى حد الإنحراف الأخلاقي، وتؤدي أيضاً الى قيام ديكتاتورية واستبداد مدمرين للمجتمع الذي يحكم من قبلها، وقد شاهد العالم الحديث نتائج الحكم الشيوعي في الإتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية وغيرها من الدول، وكيف أن الشعوب التي حكمت من قبل الشيوعية تمردت عليها عند أول سانحة وقامت بتدميرها بحقد وانتقام.

ويتحدث الإمام (قده) عن مجموعة أخرى بأفهام معوجة وعدم اطلاع على الإسلام واقتصاده هذه المجموعة يقول عنها الإمام: «...ويركبون رؤوسهم بفهمهم القاصر يروّجون للمذهب الإشتراكي ويدافعون عن الكفر والديكتاتورية والقمع الذي أعرض عن القيم الإنسانية وجعل الحزب أقلية يعامل الناس كالحيوانات»[2].

وفي هذه الفقرة يتهم الإمام (قده) المدافعين عن الإشتراكية بالعناد وبقصر الفهم، فهم يجهلون الإسلام وأحكامه ومبادئه الإقتصادية، ويشير الى أن الأحزاب الإشتراكية تفرض آراءها بالقمع والديكتاتورية وتنتهك القيم الإنسانية وتعامل

(١) الوصية الخالدة – ص ٧٠– ٧١.

(٢) الوصية الخالدة – ٧١.

الشعب معاملة لا تليق بالإنسان الحر، حيث تتحكم الأقلية الحزبية بالأكثرية من الناس دون مراعاة لرغباتهم.

إن رفض الإمام (قده) للأنظمة الأخرى يأتي منسجماً مع عقيدته الإسلامية التي هي أساس فكره، وهو لا ينطلق في رفضه من فراغ وإنما ينطلق مستنداً إلى أن الإسلام كنظام شامل للحياة يقدم حلولاً لمشكلات الإنسان على كل الصعد الإجتماعية والإقتصادية والسياسية. فنحن نملك الإسلام الإلهي المشفوع بتجارب إنسانية راقية تمثلت في التجربة التطبيقية القدوة والمثل التي عاشها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وفي تجربة خلفائه من بعده أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب حيث بينت هذه التجارب مدى رحابة الإسلام وقابليته للتطور واستيعاب الوقائع والمتغيرات والأحداث.

ثم كانت تجربة أخرى مختلفة الى حد ما لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) قدم فيها نموذجاً للحرية والعدالة الإجتماعية، وترك أثرا على الصعيدين العملي والنظري يشكل مدرسة مفتوحة للإنسانية على مدى العصور.

وإذا كان الإمام قد ترك للأمة ميراثاً عظيماً في السياسة والإقتصاد، حيث تحدث في العناوين وحدد الأبعاد الكبرى، إلا أن واجب الأمة بعلمائها واختصاصييها، الدخول في التفاصيل والسعي من أجل تأصيل هذه الآراء بالطرق الأكاديمية وتحويلها الى نظريات يسهل تقديمها للإنسانية، ويسهل على الناس فهمها وإدراك أبعادها وفوائدها، مما يجعل أيضاً إمكانية تطبيقها على أرض الوقائع أمراً ممكناً.

رسالة الإمام (قده) الى غورباتشوف

عندما وصل الإتحاد السوفياتي الى الحائط المسدود، حيث وجد حكامه أن الفرص أمام النظرية الشيوعية التي قام على أساسها هذا الإتحاد بأبعادها السياسية والإقتصادية قد أصبحت معدومة ولا مناص من التحول إلى بديل آخر، طرح الرئيس السوفياتي آنئذٍ نظريته الشهيرة المسماة البيروسترويكا والتي هدف

من ورائها الى تحويل الإتحاد السوفياتي تدريجياً من بلد شيوعي الى بلد يأخذ بالرأسمالية والإقتصاد الحر.

وقبل أن يتبين لأحد خواء هذه الوعود وفشلها، وفيما كانت أجهزة الدعاية والإعلام تمدح النظرية وتمعن في إطرائها والترويج لها على أنها المخرج الفعلي الوحيد للإتحاد السوفياتي من معاناته. بعث الإمام الخميني برسالته الشهيرة الى غورباتشوف رئيس الإتحاد السوفياتي يومها يدعوه الى التنبه الى ما هو مقدم عليه والى أنه إن استمر في مسيرته باتجاه الرأسمالية والإقتصاد الحر على النمط الغربي فإن ذلك لن يعود عليه وعلى دولته إلا بالخراب والفشل.

ومما جاء في رسالة الإمام (قده): «وإذا كنتم تفكرون في أبعد مما ذكر فإن أول أمر مما سيحقق النجاح لكم يقيناً هو أن تعيدوا النظر في سياسة أسلافكم التي تركزت على إبعاد المجتمع عن الله والدين، هذه السياسة التي ألحقت في الحقيقة أقسى الضربات وأخطرها بكيان المجتمع السوفياتي، واعلموا أن التعامل الواقعي مع قضايا العالم لا يتيسر إلا من هذا الطريق».

ثم يضيف الإمام الخميني (قده) «من الممكن أن تبدو دنيا الغرب وكأنها الحديقة الغناء المنشودة، ولكن الحقيقة هي شيء آخر. فلو حاولتم في هذه الفترة أن تحولوا العقد العمياء التي واجهتها الإشتراكية والشيوعية باللجوء إلى مركز الرأسمالية الغربية، فإنكم بالإضافة الى عدم تمكنكم من إزالة معاناة مجتمعكم ستحتاجون إلى أفراد آخرين لتعويض ما ستقعون فيه من أخطاء في هذا المجال، وذلك لأن الماركسية اليوم وأساليبها الإقتصادية والإجتماعية تواجه طريقاً مسدوداً. وإن عالم الغرب هو أيضاً يعاني من هذه القضايا ولكن بشكل آخر، كما يعاني من قضايا أخرى»[1].

لقد حاول الإمام الخميني أن ينبه القيادة السوفياتية الى خطأ مسلكها في منهجها الأول أيام الشيوعية وفي نهجها الجديد التي سعت فيه الى الإلتحاق بالرأسمالية، وأشار الى أن الدول الغربية ليست بأفضل حال من الإتحاد السوفياتي

(١) الإمام الخيمني - د. مصطفى الرافعي - الدار الإسلامية - ص ٣٥٠ - ٣٥١.

وأن لديها مشكلات أخرى.

وحينما يقارن المرء بين الشيوعية والرأسمالية الغربية وبسبب الأجواء التي عاشتها الشعوب تحت حكم الشيوعية، فقد يبدو له أن الغرب هو جنة الفردوس. ولكن هذه الجنة مزيفة ومغشوشة ووراء برقعها الخادع تختفي مشكلات لا عد لها ولا حصر، وإذا كانت هناك بعض الحسنات فإن السيئات هي أكبر من ذلك بكثير.

وقد أعرض غورباتشوف عن الأخذ برسالة الإمام الخميني (قده) وما تحويه من نصائح وإرشادات، واستمر في المخطط المرسوم له، ولعل أهم ما أعرض عنه هو دعوة الإمام للرئيس السوفياتي للاطلاع على الإسلام والدخول فيه، لأن فيه حلاً للمشكلات والمعضلات الإنسانية كافة، فماذا قال الإمام: «السيد غورباتشوف: إنني وبعد ذكر هذه المسائل والمقدمات، أطلب منكم أن تحققوا بدقة وتمعن في الفكر الإسلامي، وهذا ليس لأن المسلمين والإسلام بحاجة إليكم، بل لأجل القيم العالمية الرفيعة للإسلام التي بإمكانها إنقاذ الشعوب وإسعادها وحل المشكلات الأساسية للبشرية»[1].

ثم يرد على دعوى الشيوعية أن الدين أفيون الشعوب ويبّين أن الإسلام مختلف جداً عما تكلم عنه هؤلاء فيقول: «لقد أثبتم من خلال الحريات النسبية التي أعطيت للمراسيم الدينية في بعض الجمهوريات السوفياتية أنكم لا تعتقدون بعد الآن بأن الدين أفيون الشعوب. يا ترى، هل الدين الذي جعل من إيران الجبل الصامد أمام القوى الكبرى هو أفيون المجتمع؟

فهل الدين الذي يطالب بإقامة العدل في العالم، ويطالب بحرية الإنسان من القيود المادية والمعنوية هو أفيون المجتمع؟ أجل، إن الدين الذي يصبح وسيلة لسلب القوى المادية والمعنوية للبلدان الإسلامية، وغير الإسلامية، ويضعها تحت تصرف القوى الكبرى وباقي القوى العالمية وينادي بفصل الدين عن السياسة هو أفيون

(١) المصدر نفسه، ص ٣٥٠.

المجتمع، ولكن مثل هذا الدين ليس ديناً واقعياً، بل هو دين يسميه شعبنا ديناً أمريكياً».

ما الذي حصل نتيجة إعراض غورباتشوف عن الأخذ بمضمون رسالة الإمام (قده).

لقد تفككت دولة الإتحاد السوفياتي وانهارت قوتها وبنيانها، وكانت الدولة الثانية في العالم وتتحكم بمصير عشرات الشعوب. بل لقد صارت شعوب دول الإتحاد السوفياتي السابق مجرد شعوب جائعة تنتظر المساعدات الأميركية والغربية من أجل تأمين الغذاء والدواء، ثم تقاتلت في ما بينها وانتهى أمرها بأن انتقلت من مشكلات الشيوعية والفقر لتضم إليها عيوب ومشكلات المجتمعات الغربية الرأسمالية.

لقد اختصرت رسالة الإمام إلى غورباتشوف مشكلات الشعوب السوفياتية وصورت المستقبل على كلا الحالين ولقد صدقت رؤية الإمام (قده)، وها هي الأحداث تؤكد أن الحل الحقيقي لمشكلات العالم إنما هو في الإسلام.

﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[1].

والسلام عليكم ورحمة لله وبركاته

(١) القرآن الكريم، سورة ق، الآية ٣٧.

التأثير العملي لإنتصار فكر الإمام الخميني (قده) وثورته

الأستاذ فضل شرورو

عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية - القيادة العامة / فلسطين

تمهيد:

لا شك في أن رجلاً مثل الإمام الخميني (قده) قضى عمره كله في الدرس والإجتهاد والتحريض والجهاد وقيادة ثورة مظفرة، انتصرت على قوى الداخل الإيراني الشاهنشاهي، وقوى الدعم والتحالف الخارجي الممثلة بكل القوى العظمى، قوى الإستكبار بكل جبروتها وسطوتها وترسانات قدراتها المالية، السياسية، الإعلامية، العسكرية، الإقتصادية، الإجتماعية، الجاسوسية الخ.. لا شك في أن هذا الرجل الذي فجر من منفاه، ثورة جماهيرية شعبية انتصرت رغم اختلال موازين القوى المختلفة تماماً لصالح قوى الشاه، ولقوى الشر، لا شك في أن هذا الرجل قد شكل مادة للدرس، للتأمل، لاستخلاص العبر والدروس، للإستفادة من سيرته وجهاده وفكره وممارسته وإلهاماً على مستوى العالم بأسره، وشكل قدوة ومثالاً يحتذى ويقتدى..

الأثر الأول الذي حفره انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني في عقول الناس، هو: الفكر. ما هو المضمون الفكري الذي استمد منه الخميني خطابه وكانت نتائجه متمثلة في هذه الحشود التي كانت طوع صوته عبر «الكاسيت» أو تعليماته للطلاب والحوزات؟

ثم ما هو المضمون الفكري الذي استطاع الإمام الخميني الإنتصار به على تحالف قوى الداخل والخارج المزودة بكل آلات المواجهات، والقادرة على قلب الحقائق وغسل العقول، والتأثير النفسي والفكري والإعلامي، على مستوى الفرد

والشارع؟

صحيح أن الإمام الخميني قد استمد فكره كله من الإسلام، من القرآن الكريم، واجتهاد الأئمة...

لكن ذلك كان في مرحلة من المراحل، نفس المنهل الفكري الذي اعتمدته حركات أخرى وجماعات وأحزاب أعلنت أنها تستمد فكرها من القرآن الكريم والسنة والاجتهاد، فلماذا كان النصر والظهور للإمام الخميني، ولم يحالف النصر هذه الحركات؟

نحن، هنا، لا نناقش أسباب الفشل، أو مجموعة الظروف الذاتية والموضوعية التي رافقت عمل هذه الحركات والمجموعات والأحزاب، لكننا نناقش أثر الثورة الإسلامية بقيادة الخميني، على جملة الحركة الإسلامية، فقد سبق ثورة الخميني محاولات:

جماعة التبليغ، جماعة الإخوان المسلمين، حزب التحرير الإسلامي وغيرها من الحركات التي ارتبطت باسم قادتها، إلا أنها في معظمها لم توفق في تأسيس الإنتصار للثورة الإسلامية، وتالياً بناء الدولة الإسلامية..

قد يكون تناول أسباب عدم نجاح هذه الحركات، موضوع بحث آخر، لكننا في هذا المقام، نطرح السؤال لأنه مقدمة لمعرفة التأثير الذي خلفته خطى الخميني على مجمل الحركة الإسلامية عموماً...

وعلى النقيض تماماً، فإن فشل الحركات الإسلامية في إنجاز مشروعها، انعكس سلباً عليها وعلى من تأثر بفكرها، وقد اتخذ هذا الإنعكاس أشكالاً عدة، منها الإتجاه نحو التطرف، والإرتجال، ومنها حالة إحباط عامة وتالياً انفكاك أو بعثرة جهود إسلامية وقوى شابة...

هاتان الحالتان، سادتا بشكل واسع وجعلتا الإشارة إلى الحركات الإسلامية، ما قبل ثورة الإمام الخميني، كالإشارة إلى مشبوه أو مطلوب...

وأمام هذا الإضطراب، فإن النتيجة في تعاطي هذه المجموعات مع محيطها،

جاءت مخيبة للآمال، نتيجة طبيعة الإختلال واضطراب تحليل الظروف السياسية والإجتماعية، وأسلوب التعاطي مع الأنظمة، حيث انطلق تحليل هذه الجماعات من «عزلة» وليس من الواقع.

وقد زاد من هذا الأمر، أن بلادنا العربية بخاصة والإسلامية بعامة، كانت تتعرض لمزيد من الإنعكاسات، وانصياع الدول الإسلامية الكبرى للمشيئة الأميركية أو الغرب عموماً، والسير بفلكها.

ونستطيع القول، إن هذه الجماعات ـ وقد يكون لها اجتهادها وفلسفتها ـ قد سارت وتحالفت مع أنظمة، عادتها في ما بعد، وعادت أنظمة خطبت ودها فيما بعد..

إن الموضوعية، تقتضي منا، عدم القفز على وجهة النظر المقابلة، أي وجهة نظر هذه الجماعات، لكن الحكم، في النهاية، مرهون بالنتائج..

صحيح أن الغرب، عموماً، بات ينظر للإسلام وكأنه صنو «الإرهاب»، لذلك فهو يحارب الحركات الإسلامية ويحاول تدجينها، لكن هذا التحول لم يكن سابقاً، وإنما حصل بعد انتصار الثورة الإسلامية وانتشار تأثيرها، وتخطي إشعاعها جهات الأرض، وخاصة بعد الانعكاسات التي خلفتها على ساحتي الصراع المباشر مع العدو الصهيوني، فلسطين، لبنان..

أما قبل ذلك، فقد كان البعض من هذه الجماعات ينظر إلى الغرب كحليف، وكملاذ، وكمساعد..

إن الأمثلة، في هذا المجال، عديدة، لكن مثال «أفغانستان» هو الأوضح وهو الماثل حتى الآن على أرض الواقع وفي المشاهدات اليومية التي تدمي القلوب والعقول وتثير التساؤلات.

إن التخبط، وأحياناً الإرتجال، وكذلك الظروف الضاغطة، وانتفاء لغة التواصل، جعل تأثير هذه المجموعات يتراجع إلى الوراء.

أما الثورة الإسلامية، بقيادة الإمام الخميني.. فقد جاءت لتعطي الأمل، ولتؤكد نتائج الإنتصار على أرض الواقع وتجسده ثورة إسلامية.. استقبلت على المدى العربي والإسلامي.. بلهفة وإعجاب، وبرغبة حثيثة في الإستفادة من دروسها

ونهجها وأسباب انتصارها.

إن لكل ثورة إشعاعاتها وإيحاءاتها، وكذلك دروسها المستفادة، وإلهاماتها..

إن محاولة الاستفادة من دروس ثورة حققت انتصارها، لا يعني، بالضرورة، أن هذه الثورة تصدّر ثورتها.

وكذلك الحال، فإن محاولة الأخذ بإيحاءات وإلهامات ثورة ناجحة، خاصة إذا كانت منطلقاتها هي نفس المنطلقات، وأهدافها نفس الأهداف، لا يمكن أن يعتبر كأن هذه الثورة توزع (نسخاً) عنها...

واعتماداً على ما تقدم، فإن التأثير العملي لانتصار فكر وثورة الإمام الخميني على التغيرات والحركات الجهادية في الوطن العربي والعالم الإسلامي والعالم لا يعتبر بالضرورة، رغبة الثورة الإسلامية في تصدير نموذجها، وإن كان في بعض جوانبه، يأخذ طابع التقليد الكلي لما قامت به الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني.

إن ما سوف نتناوله من تأثيرات عملية، واقعية على الأرض، محدد بساحتي فلسطين ولبنان، إنما يمثل نموذجاً واقعياً، معيشاً، على التأثير العملي لانتصار فكر الإمام الخميني وثورته.

فلسطين:

لقد تأثرت الساحة الفلسطينية عموماً، والمقاومة منها خصوصاً، بثورة الإمام الخميني، أسلوبه، خطابه، جرأته، وكذلك قيادته لهذه الجموع، خاصة أن الشاه كان حليف العدو الصهيوني، وإحدى أهم الركائز الممثلة للسياسة الاستكبارية في المنطقة برمتها.

وبإنصاف وموضوعية، فقد كانت التيارات الإسلامية بعيدة عن التأثير والفعل ضمن المقاومة الفلسطينية، وكانت تصانيف التيارات السائدة في المقاومة الفلسطينية هي: التيار القومي، التيار الوطني، التيار الماركسي الذي يحلو له أحياناً أن يطلق على نفسه اسم التيار الديمقراطي. كان التيار القومي هو الأقرب، لعدة

أسباب، إلى الفكر الإسلامي، لكن ذلك كان عاماً، وعائماً، ولذلك فقد كان تأثير الفكر الإسلامي مسألة شخصية، وليس مسألة تنظيمية، ولم تشكل رافداً لتيار موجود...

بعض الجماعات الإسلامية، حاولت، في البدايات، أن تكون ضمن تشكيلة التيار الوطني في بداية الثورة الفلسطينية، عبر رموز معينة، وعبر تأثيرات معينة، ما لبثت أن اصطدمت بالحياة الداخلية لهذا التيار، كذلك بالوقائع «الجيو سياسية» التي أملت على المقاومة الفلسطينية الوجود ضمن أقطار عربية ليست على علاقة ودية مع هذا التيار.

لذلك، فقد انكفأ التيار الإسلامي عن المساهمة البارزة في المقاومة الفلسطينية، وحين نقول «البارزة» فإننا نعني أن هناك مساهمة، فردية، أو متناثرة، أو مبعثرة، ضمن التيارات التي كانت سائدة، إلى ما قبل انطلاق ثورة الإمام الخميني، في مرحلة التصاعد والذروة وتحقيق الإنتصار.. وخاصة بالتيارين القومي ويليه التيار الوطني.

إنه ردح طويل على انكفاء التيار الإسلامي، بالرغم من وجود موروثات إسلامية مشجعة تشكل محطات عظيمة التأثير في التاريخ الجهادي الفلسطيني، كثورة الشيخ عز الدين القسام ١٩٣٦، وقيادة النضال الفلسطيني منذ الأربعينيات من قبل رمز إسلامي شهير هو الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين، ثم مفتي الإسلام الأكبر...

لم تكن الظروف تسمح «بترف» مناقشة لماذا يحجم التيار الإسلامي عن المشاركة في الثورة الفلسطينية، فضلاً عن أن الظروف المحيطة جعلت هذا التيار في حالة عداء مع العديد من الأقطار العربية، إلى درجة المواجهة المسلحة وخوض المعارك الدامية وحملات الإغتيالات الواسعة، لأسباب، لا مجال للخوض فيها في هذا المجال، لكن هناك سبباً رئيساً، نرى أنه يلح لإيراده، وهو عدم قدرة الجماعة الإسلامية الواسعة الإمتداد والتأثير، على التكيف مع المعطيات المستجدة.. وهذا جعلها تعيش بمعزل عن مجتمعها، وتالياً تحول عدم التكيف إلى حالة عداء.. مما صرفها عن الإهتمام بالقضية المركزية، قضية فلسطين..

ومع الإحترام لوجهة النظر المقابلة الخاصة بالجماعة، فإن النتائج أفضت إلى حالة كارثية أصابتها، وأصابت المجتمع المحيط ومنع القضية الفلسطينية من الإستفادة من انخراط هذا التيار الهام في ساحة الجهاد مع العدو الصهيوني..

ودون تفصيل، وكذلك دون توقف عند التسميات، فإن الوضع الإسلامي العام السائد قبل الثورة الإسلامية، بقيادة الإمام الخميني (قدس سره) كان بيد الولايات المتحدة الأميركية، في السياسات الداخلية، وفي الحركة السياسية الخارجية الدولية.. وعندما فشلت أميركا، في عهد أيزنهاور، في إنشاء حلف بغداد بحجة ملء الفراغ، حيث اعتبر خروج بريطانيا وفرنسا من المنطقة يخلف فراغاً يجب الإسراع لملئه، لدرء الأفكار المرتقبة، وقيام الولايات المتحدة بإقامة أحلاف مباشرة بعد أن واجهت الشعوب العربية والإسلامية هذا الصراع وأسقطته بقيادة الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، استطاعت الولايات المتحدة بعد ذلك، تجنيد «الإسلام» ليكون معها في حربها الباردة ضد الإتحاد السوفياتي، تحت راية سياسية ـ دينية لمحاربة الإلحاد وصارت بعض رسميات الإسلام السائد، تعتبر الولايات المتحدة الأميركية حامية للإسلام في وجه المد الشيوعي، وأن الخطر الأول على الإسلام ليس من الصهيونية وليس من الإستكبار الأميركي، بل من الإلحاد الشيوعي.

في ظل هذا الواقع، أو ضد هذا الواقع، أطلق الإمام الخميني (قدس سره) نداءه إلى الثورة ضد الطاغوت، وضد قوى الشر...

إن متابعة خطى الإمام الخميني (قدس سره) من قم إلى طهران، إلى السجون، إلى النجف، إلى النفي، وإلى الغربة، فالثورة والإنتصار، إن متابعة كهذه، مع محطاته الأساسية في الذود عن الإسلام المحمدي الأصيل، في مواجهة إسلام أميركا المزيف، تقتضي ولا شك، دراسات متعمقة، ومجلدات، بل إن كل محطة من هذه المحطات تحتاج إلى دراسة وتدقيق واستنتاجات.. بل إن كل عنوان من عناوين الإهتمام السياسي للإمام الخميني (قدس سره) يحتاج إلى دراسة متعمقة ومتخصصة.. لتعطيها حقها أولاً، ولاستنباط العبر والدروس التي من شأنها إضاءة طريق الناشئة من المسلمين في شتى بقاع الأرض...

لقد رفعت صورة الإمام الخميني رحمه الله، في القواعد الفدائية الفلسطينية، وفي مكاتب حركات التحرر في كل مكان، وهو يطلق الثورة بصوته وتسجيلاته، قبل أن يحشد ويقوض دعائم الشاه المدعوم، على مر الزمن، من قبل البريطانيين، فالأميركان..

وكان الفدائيون، وهم يتعرضون إلى الغارات الصهيونية المحملة بالقذائف الأميركية، ينظرون إلى تلك النظرات الثاقبة من عيني الإمام الخميني، فيجدون فيها التشجيع والتصميم والإصرار على تحقيق الأهداف، فقد كان بالنسبة للفدائيين، ثائراً قادماً من الخيال والحلم، ليحقق العدل وينصف المستضعفين.

«هيا يا شعوب العالم المستضعفة جميعاً، انهضي واستردي حقك ولا تخافي عربدات الأقوياء، لأن الله معك، والأرض إرث لك، ووعد الله لا يُخلف، أسأل الله جل وعلا أن ينصر المحرومين، ويوحد كلمة أهل الحق»[1].

كان هذا النداء من الإمام الخميني (قدس سره) ذا وقع خاص، بل لهجة جديدة، لم تتعودها آذان وعقول المستضعفين في العالم، فهناك قائد، لا يحصر طموحه بحدود، بل يجعل هذا الطموح في خدمة المستضعفين في كل أرجاء الأرض.. وبدأت الآذان والعقول تترقب وتتابع.. حيث جاء التحريض الواضح «أن الأمم الضعيفة مظلومة في حالة الحرب وفي حالة السلم، إنها مثل الديك الذي ينحر في الأعراس والمآتم».

ثم جاء النداء المباشر «... يا مستضعفي العالم، انهضوا وأنقذوا أنفسكم من مخالب الظالمين المجرمين، ويا مسلمي العالم الغيارى استيقظوا من سبات الغفلة وحرروا الإسلام والبلدان الإسلامية من مخالب المستعمرين وعملائهم...».

هذه النداءات العامة، ثم المباشرة، لم تصدح في الفضاء، دون تحديد لهوية الخصم، أو تحديد لماهية العدو الأكبر.. بل حددت: «أميركا تمثل المرتبة الأولى بين أعداء الشعوب المحرومة والمستضعفة، في العالم، وهي لا تتورع عن ارتكاب أي

(١) نداء الثورة الإسلامية (عرض لطائفة من نداءات الإمام الخميني الى أبناء العالم الإسلامي).

جريمة على طريق فرض هيمنتها السياسية والإقتصادية والثقافية والعسكرية على البلدان الخاضعة لسيطرتها».

ثم كان التحريض الجارح «أيتها الحركات التحررية وأيتها الشعوب المناضلة على طريق الحرية والاستقلال قوموا وانذروا شعوبكم، وجميع الشعوب الإسلامية، وقولوا لها: إن الخضوع للظلم هو أسوأ من الظلم، وأقبح منه، وحذروا الحكومات كي تنفض عنها غبار الذل والإستكانة... وأهيبوا بالجميع ليعودوا إلى الإسلام ويلتزموا بالأخوة الإسلامية»[1].

نداءات جديدة أو لهجة جديدة، من وسط عالم يكاد يكون أميركياً، بالقوة العسكرية، وبالثقافة، وبالملبس والمأكل ونهب الثروات، وتعيين الموظفين الحكام..

نداءات، تحمل لهجة تحريضية، في الوقت الذي تحمل فيه الأمل بالنصر... وتحديداً لمعنى الإستقواء، وعدم القبول بموقع المظلوم. هذا هو الإسلام الذي بشر به الإمام الخميني (قدس سره). ومنذ البدايات، نجده في مواجهة السياسات الأميركية، العامة، والخاصة..

السياسات الأميركية العامة، بالاستقواء على الشعوب، ونهب ثرواتها، ومصادرة حرياتها، وجعلها تابعة تدور بفلكها.

والسياسات الأميركية الخاصة، المتعلقة بمنهجها ضد الشعوب الإسلامية واستضعافها، وجعلها عبر استكانتها، وعبر حكامها، شعوباً متفرقة تخضع للظلم ولا تثور عليه، أو أنها تقمع بمجرد محاولاتها الخلاص.

اصطدمت منذ البدايات إرادتان:

- إرادة أميركا، التي تهيمن على إسلام طائع، قانع بما هو عليه، حكاماً، وفقهاء سلاطين وشعوباً لا تجد القدوة أو المثال.

(١) كلمة الإمام الخميني في مؤتمر حركات التحرر العالمية بطهران ١ صفر ١٣٠٠هـ.

- إرادة ثورة إسلامية، بقيادة الإمام الخميني، يحرض، يثور، لا يخشى القمع، ويدعو المظلوم للثورة ويبشره بنصر من الله، يحدد العدو المباشر، ويجعل أميركا في المكان الأول في عداء الشعوب، وفي المقدمة منها الشعوب الإسلامية.

لم يكتف الإمام الخميني رحمه الله، بالنداءات، بل مارسها وقاد الثورة الإسلامية، التي قوّضت أهم دعائم أميركا في المنطقة، بل في قلب العالم الإسلامي، قوضت حكم الشاه الذي كان يعتبر مركز الثقل في السياسة الأميركية، وأقامت في إيران ذات الموقع المتميز إسلامياً، ثورة إسلامية لا تقتصر أهدافها على إقامة حكم الشريعة الإسلامية على أرض إيران، بل تهدف إلى تحرير المسلمين من معيقات تمنعهم من تشكيل قوة عظمى يخشاها ويحسب حسابها الشرق والغرب. إيران، بموقعها المتميز، المتماسّ مع تركيا، ومع العرب ومع الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى، والمتشاطئة على بحر قزوين، بحر الثروات القادمة، وبحر التصادم المرشح.. إيران ذات الثروة التي تحولت إلى يد الثورة.. الثورة التي حملت الإسلام وتعمل بالإسلام، تقدم النموذج وتجسد القدوة والمثال...

وبدلاً من الإنكفاء، للثورة الإسلامية، التي صارت جمهورية، عمد الإمام الخميني رحمه الله إلى التصعيد..

كان الإنكفاء مبرراً، يكفيه أن يبرر بالالتفات لبناء وتأسيس قواعد الجمهورية الحديثة النشوء، ويكفيه مبرراً أن يطهر البيت من الداخل، لكن الإمام الخميني (قدس سره) لم يلجأ إلى الانكفاء، بل وسع اهتماماته بكل شأن من شؤون المسلمين، وبكل قضية لهم...

وبعكس ما قد يذهب إليه المفسرون، بأن المعارك الخارجية أنهكت الثورة، فإنها بشكل أو بآخر ساهمت في أمرين:

- تنقية صفوف الثورة من أدعيائها ومن أصحاب العود الطري الذين لا يصمدون أمام الشدائد.

ـ دفعت الثورة مبكراً، إلى الإعتماد على الذات، فكبرت في سنواتها الأولى وشبت عن الطوق وهي لا تزال في البدايات، وهذا أكسبها قوة وخبرة وخالط رجالها شعور تحدي الصعاب.

وأمام اتهام تصدير الثورة الإسلامية، وقف الإمام رحمه الله، بكل صراحة ليقول: «من المفروض علينا مساندة المستضعفين في العالم ودعمهم والعمل على تصدير ثورتنا إلى كل أرجاء الدنيا.. ولندع جانباً التفكير بأننا لا نصدر ثورتنا الإسلامية، فالإسلام دين لا يعترف بأي انفصال بين البلدان الإسلامية، وهو حامي المستضعفين جميعاً أينما كانوا، ومن جهة أخرى يجب التذكير بأن جميع القوى الأجنبية بما فيها القوى الكبرى، متأهبة للقضاء علينا، وإذا بقينا في بيئة مغلقة سوف نفشل حتماً، ومن هنا، يتعين علينا أن نصفي حسابنا مع هذه القوى تماماً، ونثبت لها أننا نواجه الدنيا مواجهة عقائدية على الرغم من كل ما نعانيه من الشدائد والأزمات»[1].

أليس سيدنا علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه)، هو القائل: «ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا...».

والإمام الخميني رحمه الله، يفتح جبهة المواجهة على مصراعيها، مع قوى الإستكبار، مع مزيفي الإسلام، مع فقهاء السلاطين، مع الظالمين لظلمهم، ومع المظلومين لاستكانتهم وعدم ثورتهم.

الخميني والعدو الصهيوني:

قد يكون مسموحاً أو على كراهية، أن تتمكن ثورة إسلامية من امتلاك مقدرات بلدها، وقد يكون مفهوماً، وعلى مضض أن تحاول ثورة إسلامية أن تعطي النموذج والقدوة، لكن من غير المسموح ولا المفهوم ولا المقبول أن تحاول ثورة إسلامية التنطح للقضية الفلسطينية.

---

(١) السنة الهجرية الجديدة ١٩٨٠.

لدى الغرب عموماً، ولدى أميركا خصوصاً، موقف غير قابل للمناقشة، حتى الآن، هو أن مصلحتها تكمن في بقاء واستمرار الكيان الصهيوني قوة متفوقة كماً ونوعاً، هذا التفوق يجب أن يكون فوق قدرات الدول العربية مجتمعة من الناحية العسكرية والتقنية، وهذا التفوق النوعي يجب أن يكون فوق قدرات الدول الإسلامية غير الخاضعة، مجتمعة أيضاً.. فهذا العدو يشكل بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية من حيث الربحية، وحساب الإنفاق، أقل بكثير من تحريك الحاملات واستقدام القوات الأميركية للمنطقة من حيث التكاليف، ومن حيث المعنى السياسي والعسكري على ما تثيره لدى دول المنطقة، أو حتى القوى العالمية...

وباختصار، فإن الكيان الصهيوني هو قاعدة عسكرية، سياسية، تقنية، متقدمة في منطقتنا، تكاليفها أقل من استئجار القواعد وإرسال الجنود، والإعتناء بعائلاتهم وما يمكن أن يترتب من آثار وتوتر من جراء إقامة القواعد العسكرية في البلدان الأجنبية.

لقد بدأت متاعب الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، منذ اللحظة الأولى التي حاول فيها أن يتخذ خطوات لمجابهة العدو الصهيوني بما يمثله من مصالح للغرب عموماً وللولايات المتحدة خصوصاً ورحل إلى الدار الآخرة رحمه الله، وفي قلبه طعنة الهزيمة.

لقد بدأت متاعب الزعيم معمر القذافي، حين بدأ في التعاطي مع فصائل المقاومة الفلسطينية التي ترفض الإستسلام وعندما أعطى اهتمامه لمواجهة هذا العدو، عبر فصائل المقاومة الفلسطينية. وعانت سوريا، ولا تزال، بقيادة الرئيس حافظ الأسد من مواقفها تجاه القضية الفلسطينية ومن سماحها بإيواء فصائل المعارضة الفلسطينية.

وعندما تتقدم ثورة، من هذا «الحرم» تكون قد تقدمت للمواجهة مع أميركا مباشرة، وكأنها تشن هجوماً مباشراً على أحد قواعدها إن لم تكن ولاياتها.

قد يكون التأكد مما ذكرناه آنفاً، عبر عملية قلب الصورة، أكثر وضوحاً، فعندما آثرت مصر، أكبر الدول العربية، الخروج من معادلة الصراع مع العدو الصهيوني، صارت وفق المعادلة الأميركية، صديقة لأميركا وصديقة للغرب... وعندما تبتعد أي دولة في المنطقة عن العدو تصبح صديقة للأميركان وحليفة لهم.

أما الإمام الخميني رحمه الله، فقد باشر في التحرش بهذا العدو عبر الآتي:

أ- مرحلة التحريض الداخلي: وهي مرحلة وجه الإمام اهتمامه فيها إلى تحريض العرب، وتحريض المسلمين على وجود الكيان الصهيوني فوق أرض فلسطين.

العمالة هي السبب: «... مشكلة المسلمين الأساسية تكمن في الحكومات المسيطرة على مقدراتهم. والشعوب ليست المشكلة، إذ إنها قادرة على حل مشكلاتها بفطرتها الذاتية، لكن الحكومات المسيطرة على العالم الإسلامي هي التي تخلق المشكلات بخضوعها وعمالتها»[1].

سببان لبقاء المشكلة الفلسطينية: «الأول: مشكلة الدول الإسلامية بعضها مع بعض ... أما الثاني: فهو الانفصال بين الجماهير والحكومات»[2].

التفرقة والخيانة: «إن المشكلات التي يعانيها الشعب الفلسطيني.. ترجع إلى تجاهل رؤساء العرب... أحس بالخجل عندما أتذكر أن ٨٠٠ مليون مسلم و١٠٠ مليون عربي يقفون عاجزين أمام قلة يهودية»[3].

يوم القدس: «... إنه يوم الفصل بين المنافقين والملتزمين... الملتزمون يتخذون هذا اليوم، يوماً للقدس، وينهضون بما يتوجب عليهم تجاهه، والمنافقون المرتبطون بالقوى العظمى، والذين لهم علاقات ودية سرية بإسرائيل،

(١) حديث الإمام الخميني إلى المشاركين في مؤتمر القدس ٢٧ رمضان ١٤ هجرية.
(٢) حديث الإمام لوفد فلسطيني ١٦/٩/٧٩.
(٣) حديث الإمام.

سيتجاهلون هذا اليوم، بل سيصدون الجماهير عن الاحتفاء به»[1].

ب- مرحلة المساندة: وهي مرحلة نقلت الثورة الإسلامية إلى التماس مع العدو عبر المساندة، وقد جاءت صريحة مباشرة بالقول والفعل: «إننا نؤيد بإخلاص الشعبين اللبناني والفلسطيني الأعزلين وهما يكافحان عدوان إسرائيل بؤرة الفساد وقاعدة الشر الأميركي في أرض المسلمين، وطوال عشرين عاماً تقريباً وأنا أنبه على خطر إسرائيل، فهلموا جميعاً لنزيل هذا الكابوس البغيض ونمكن الشعب الفلسطيني البطل من العودة إلى أرضه عزيزاً مكرماً»[2].

هذه المواقف للإمام الخميني رحمه الله جعلت أميركا تعتبره محرضاً، مسانداً، ضد قاعدتها المتقدمة في المنطقة.. وهو أمر، بالمنطوق الأميركي، غير مقبول، وغير مسموح به... خاصة أن المواجهة المباشرة كانت قد بدأت على أرض الثورة في طهران:

- تحويل سفارة العدو الصهيوني إلى سفارة فلسطينية، وطرد كل من له صلة بالعدو وأجهزته.

- إقتحام السفارة الأميركية في طهران والمحاولات الأميركية الفاشلة في إنقاذ موظفيها.

لقد كانت الرسائل الأميركية واضحة إذ انكفأت الثورة الإسلامية عن التحريض والمساندة والمواجهة مع العدو الصهيوني، ولم تتدخل في إسناد فصائل المقاومة الفلسطينية، ولم تعرقل مسيرة الإذعان بالتسوية المذلة مع الكيان الصهيوني وبالإشراف الأميركي، إذا حصل ذلك فيمكن لأميركا أن تغض الطرف عن معظم ما سواه.

هذه الرسائل، وإن لم تكتب، وإن لم توجه مباشرة، فقد كانت مفهومة بالسياق

---

(١) نداء الإمام بمناسبة يوم القدس ٢٢ رمضان ١٣٩٩ هجرية.

(٢) حديث الإمام بمناسبة الذكرى الأولى لانتصار الثورة الإسلامية ١١ شباط ١٩٨٠.

العام، كلما تأججت حملة أميركا على الثورة الإسلامية في إيران.

التأثير المباشر على الساحة الفلسطينية:

هذه المواقف وهذه الأحداث التي جاءت بها الثورة الإسلامية، وهذه الأقوال والتصريحات والهداية والتحريض التي كان الإمام الخميني يوالي إصدارها أو نشرها ويجري تداولها بين أوساط المجتمع الفلسطيني، وفي ساحة المقاومة الفلسطينية بشكل خاص، كان لها التأثير الكبير، الواسع، والواضح..

تخلخلت بنى أساسية، وزاغت عيون وأفئدة، وحاولت بعض الأوساط المتحكمة ضمن م.ت.ف. أن تعتبر أن انتصار الثورة الإسلامية يجب أن يجيّر لنهجها وأن تكون هي المتحكمة بتوجهات الثورة الإسلامية...

كانت الثورة الإسلامية المنتصرة، على استعداد كامل لوضع كل زخمها وثقلها المادي والمعنوي، لإعادة نهوض تاريخي، ثوري في صفوف المقاومة الفلسطينية يجعلها أكثر تأثيراً وأكثر فاعلية.. لكن هذه الأوساط النافذة في م.ت.ف. وقد ارتبطت فكرياً ومادياً بنهج تسووي، أرادت العكس، بل إنها حاولت أن تجعل الثورة الإسلامية، في فترة من الفترات، تتحدث وفق القاعدة التي اعتمدتها هذه الأوساط بأن السياسة فن الممكن، ولم تدرك أن الثورة الإسلامية جاءت وانتصرت لأنها، في الأساس، ثورة على الامتهان والخنوع.

وأستطيع أن أؤكد أن التباعد المبكر بين الإمام الخميني وبين عرفات كان له العامل الحاسم في تقييم جديد للثورة الإسلامية في عموم الساحة الفلسطينية...

في البدايات، كانت الثورة الإسلامية ترحب بالكل في طهران، وكانت تعتبر كل من يجاهد من أجل فلسطين، مرحب به مهما كانت ميوله واتجاهاته الفكرية... وأصبحت طهران محل اهتمام المقاومة الفلسطينية، واستقبلت طهران التيار الوطني، والتيار الماركسي، والتيار القومي... ولم ترد أحداً.. وكأنها للكل، ما داموا يواجهون الصهيونية ويعملون لتحرير الأرض المقدسة...

لقد أعطت الثورة الإسلامية، المقاومة الفلسطينية روحاً معنوية جديدة أمدتها،

في الوقت المناسب، بهذه النفحة الروحية، وبزخم انتصارها، في الوقت الذي كانت فيه أكبر الدول العربية مصر، تخرج من ساحة الصراع، لتوقع اتفاقات كامب ديفيد ١٩٧٩ أول اتفاق تسوية واستسلام مع العدو الصهيوني..

قد لا يستطيع البعيد عن ساحة المقاومة الفلسطينية تقدير ما أصيب به المقاومون الفلسطينيون جراء خروج مصر، وزيارة السادات للقدس، ومباحثات كامب ديفيد، واستقباله الشاه المخلوع.. هذه الأحداث كلها، أصابت الساحة الفلسطينية بالإحباط العميق، من جهة، وأمدت النهج الإستسلامي في الساحة الفلسطينية بالمزيد من الادعاءات من جهة ثانية.

في هذا الوقت بالذات، جاء انتصار الثورة الإسلامية، ليكون معنوياً التعويض وليكون بداية الأمل، وليكون عملياً، الأرض الجديدة، التي أمدت الأطراف الفلسطينية التي ترفض المساومة وتحاول متابعة الكفاح المسلح ومواجهة الصهيونية، بكل ما يجعلها تجابه نهج الإستسلام في الساحة الفلسطينية وتالياً الساحة العربية والإسلامية...

وكما يلاحظ.. فلا نزال في مدى التأثير الذي عكسه انتصار الثورة الإسلامية على الساحة الفلسطينية بشكل عام:

- كان التأثير، وفي الوقت المناسب للرد على حالة الإحباط نتيجة خروج مصر من ساحة الصراع.
- كان التباعد المبكر بين الإمام الخميني وعرفات، عاملاً مساعداً لتوضيح حقيقة توجهات الثورة الإسلامية.
- شكلت طهران عاصمة الثورة الإسلامية موئل أمل وموطن ثورة أمدت كل الرافضين للتسويات المذلة، ومن كل التيارات في الساحة، بكل صنوف المعونة المادية والمعنوية..

ونلاحظ أيضاً أننا نتحدث دون فواصل زمنية، فنحن نأخذ حقبة الانتصار للثورة الإسلامية، بقيادة الإمام الخميني، واستمراراً حتى تاريخ إعداد هذه

الدراسة.. وعليه، وما دمنا نتحدث عن التأثير العام للثورة ـ على الساحة العامة للمقاومة الفلسطينية ـ فإن الشواهد تؤكد أن ولادة فكرة «تحالف القوى الفلسطينية»، إنما نشأ في طهران، وأهم بيانات هذا التحالف الأولى، كان باجتماع الفصائل الفلسطينية في طهران عشية انعقاد مؤتمر مدريد العام ١٩٩١، حيث كان يعقد في طهران مؤتمر البرلمانيين الإسلاميين لدعم الانتفاضة الفلسطينية...

وكان ممثلو الفصائل الفلسطينية في طهران يشاركون بأعمال هذا المؤتمر، وقد جرت المشاورات والمباحثات لمواجهة حدث مدريد بين الجميع، وبينهم من تعرف على سبيل المثال على ممثلي حماس لأول مرة.

أما إذا تناولنا التأثير المباشر على فصائل أساس في المقاومة الفلسطينية، فلا شك أننا سنلجأ إلى التسميات:

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة:

كان السيد أحمد جبريل الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة، أول من انتبه لاطروحات الإمام الخميني، وقد صنفت الجبهة ضمن التيار القومي، وهو التيار الأقرب دوماً للأخذ بالظروف الحسية الموضوعية للمجتمع العربي، الذي يشكل الإسلام، في الفكر العام، العمود الفقري له.. ويستمد ثقافته وأسلوب معاشه من الإسلام، ويعتمد في جوهر فكره على أن لا انفصام بين العروبة والإسلام، فكلاهما واحد...

أحمد جبريل، كان صاحب الطرح، الذي ملخصه: إن الله سبحانه وتعالى قد أمدنا، في الوقت المناسب، بما يعوضنا عن خروج مصر، كبرى الدول العربية من ساحة الصراع مع العدو الصهيوني، وإن توقيت انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني، في الوقت الذي يذهب فيه السادات لتوقيع اتفاقات كامب ديفيد، إنما يعني تجاوز الإحباط، وضرورة الإلتفات الكلي نحو الفضاء الجديد الذي تفتحه عملية انتصار الثورة الإسلامية...

كان جبريل يواصل هذه الاطروحات ويتابع أعمال الثورة المنتصرة في طهران، ولم تكن بعد قد بدأت أي علاقة بين جبريل وطهران، وكانت هذه الأطروحات مترافقة مع عتب لاستقبال طهران باحتفاء السيد عرفات وأولئك الذين ينهجون نهج التسويات وليس نهج الكفاح المسلح والجهاد..

وقد تكون الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة ـ هي الجبهة الفلسطينية المستقلة الوحيدة، التي وقفت ضد الحرب العراقية ـ الإيرانية، علانية، وأدى ذلك إلى قطع العلاقات بين الجبهة والعراق، وإلى حرمان العديد من عناصرها من زيارة ذويهم، وأغلقت معظم مكاتب الجبهة في العراق، وتم القبض على العديد من منتسبي الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة.. وإعدام أحدهم، وأدى موقف الجبهة ضد الحرب على إيران، إلى حرمانها من مورد مالي لا بأس به، من التخصيصات العراقية ومن تبرعات الشارع العراقي.

علاقة الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، بالإمام الخميني، بدأت علاقة فكرية دينية منذ أن كان رحمه الله يقيم منفياً في العتبات المقدسة، في العراق، حيث ظهرت في ساحة المقاومة الفلسطينية «إشكالية» العمليات الإستشهادية، ولم تستطع الجبهة في محيطها، سوريا، لبنان، الأردن، فلسطين، أن تحصل على الرأي أو الإفتاء القاطع.. حول العمليات الإستشهادية..

أرسل أحمد جبريل [1] رسالة حول الموضوع إلى الإمام الخميني، إلى النجف يستفتيه ويسأله الرأي، حول الإستشهاد في فلسطين والعمليات الإستشهادية ضد العدو الصهيوني الإستيطاني في فلسطين في العام ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩.

لم يتأخر جواب الإمام الخميني، وأرسل الفتوى إلى السيد جبريل، معتبراً «أن كل من يقتل في مواجهة العدو الصهيوني وقتاله، هو شهيد، وأن العمليات الإستشهادية ضد العدو الصهيوني، هي قمة الشهادة لأنها تنطلق من النية في الإستشهاد».

كان هذا في وقت مبكر، حيث كان السائد هو إطلاق صفة «العمليات إلانتحارية»

(١) حديث مع السيد أحمد جبريل، خاص بهذه الدراسة ٤ - ٥ / ٤ / ١٩٩٩.

على العمليات «الإستشهادية» والفرق شاسع وواضح.

نسيان ـ أبريل ١٩٧٤ كانت أول عملية إستشهادية في «الخالصة» في فلسطين، وقد قام بها أبطال من الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، اعتماداً على الفتوى السابقة الذكر.

العام ١٩٧٩ وصل إلى طهران وفد من أعضاء اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة، واجتمع مع كبار المسؤولين في الثورة الإسلامية، لكن الأحداث تسارعت، وكذلك المصاعب، حيث واجهت الثورة الإسلامية ظروف ما بعد انتصار الثورة، وواجهت المقاومة الفلسطينية أحداث لبنان المتسارعة خاصة بعد توقيع إتفاقات كامب ديفيد، ثم حرب اجتياح العام ١٩٨٢ وما تلاها من مواجهات، حرب الجبل، حرب تحرير بيروت، حرب المخيمات ١٩٨٥.

عملية «الجليل» التي قامت بها الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، لتحرير الأسرى مقابل ثلاثة أسرى صهاينة كانت قوات الجبهة قد قبضت عليهم.. بعد مفاوضات عسيرة وطويلة عبر «الصليب الأحمر» استطاعت الجبهة أن تفرض كل شروطها فحررت في العام ١٩٨٥ أكبر عدد من الأسرى في تاريخ تبادل الأسرى، شملت ١١٥٠ أسيراً، معظمهم من ذوي الأحكام المؤبد، وأصرت على بقاء ٦٠٥ منهم في فلسطين، في قراهم ومخيماتهم مع تعهد أمام «الصليب الأحمر» بأن لا يقبض عليهم لنفس التهمة.

هؤلاء هم خميرة الإنتفاضة، ومعظم هؤلاء من درس تجربة الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني وهو في السجن لعشرات السنين، واستفادوا من دعوته لتحرك الجماهير وعمليات الصدام مع المخابرات والجيش، ومعظم هؤلاء من تشرب في السجن من «القرآن الكريم» والفكر الإسلامي.. هؤلاء هم نشطاء الإنتفاضة باعتراف العدو الصهيوني، وبإشاراته المتكررة، ويكفي أن نذكر مثالاً واحداً من هؤلاء المحررين، لندلل على ما نرمي إليه، المثال هو الشيخ أحمد ياسين الذي عرف في ما بعد بأنه الرمز الأول لحركة «حماس».

في اللقاء الخاص الذي تم بين الإمام الخميني رحمه الله والسيد أحمد جبريل، وقد كانت أواصر العلاقة ممتدة منذ رسالة الفتوى المشار إليها، رسخت علاقة من نوع خاص بين الرجلين «بهرني، ببساطته، وتواضعه، وصلابته، بعلمه، بتمسكه بفلسطين، بإصراره على تحريرها، بالقدس التي تسكن قلبه وعقله معاً» هكذا عبر السيد جبريل عن أول لقاء له مع الإمام الراحل.

لقد أثمرت علاقة الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة والثورة الإسلامية، تمايزاً في علاقات الثورة الإسلامية مع ساحة المقاومة الفلسطينية، وتجلى ذلك في دعم طهران لتحالف القوى الفلسطينية، في انحياز الثورة لمبادئها، ولأولئك الذين ينوون متابعة الكفاح والجهاد ورفض الإذلال والتسليم بتهويد القدس.

وقد ساهمت الجبهة الشعبية ـ القيادة العامة، في تمتين هذه العلاقة بين إيران والفصائل التي أعلنت مواقفها ضد أوسلو، وعملت مع غيرها من الفصائل ذات العلاقة، على توسيع العمق الاستراتيجي للمقاومة الفلسطينية، كما للثورة الإسلامية.

وحماس:

حاولت، لجعل هذه الدراسة قادرة على الاقتراب من الموضوعية، إجراء حوار مباشر مع أصحاب العلاقة، اتصلت بالأخ المهندس عماد العلمي، أول ممثل لحركة حماس في الجمهورية الإسلامية، وعضو الكتب السياسي لحركة حماس، الذي زودني – مشكوراً – بدراسة مختصرة، أعدها بالتعاون مع الأخ أسامة حمدان «أبو حمدان» ممثل حركة «حماس» الذي خلف الأخ علمي في طهران.

في ما يلي نورد ، النص الحرفي، لدراسة الإخوة في «حماس» حول تأثر حركة حماس بفكر الإمام الخميني (رحمه الله) وبانتصار الثورة الإسلامية[1]:

(١) إجابة مختصرة مكتوبة من حركة حماس، خصيصاً لهذه الدراسة.

العلاقة مع إيران:

- بدأت العلاقة على شكل اتصالات منذ العام ١٩٩٠.

- أول اتصال على شكل زيارة كان من خلال مشاركة الناطق الرسمي بلسان الحركة (المهندس إبراهيم غوشة) في وفد الوساطة الإسلامية إبان أزمة عام ١٩٩٠.

- شاركت الحركة في مؤتمر طهران لدعم القضية الفلسطينية الذي انعقد أواخر عام ١٩٩١ بوفد رأسه المهندس إبراهيم غوشة حيث تم الإتفاق على افتتاح مكتب الحركة.

- جرى افتتاح المكتب مطلع عام ١٩٩٢ حيث مثل الحركة آنذاك المهندس عماد العلمي عضو المكتب السياسي.

التأثر بانتصار الثورة:

كان لانتصار الثورة الإسلامية في إيران أثره الكبير في بعث روح الأمل والثقة في حملة المشروع الإسلامي بإمكانية تحقيق النصر عبر الحركة الشعبية التي راهنوا عليها عقوداً من الزمن.

ولقد كان من العوامل التي جعلت الثورة أكثر تأثيراً في الواقع الفلسطيني بشكل خاص:

١- مروره بأزمة اتفاقية كامب ديفيد.

٢- والخطاب الإسلامي الذي حملته الثورة، وهو ما انسجم مع الإنتماء الحقيقي للشعب الفلسطيني المسلم، ومما لا شك فيه أن تمسك الثورة الإسلامية بالقضية الفلسطينية من منطلق عقائدي من جهة، والذهنية الفلسطينية الخالية من أي إشكاليات مذهبية من جهة أخرى، قد ساعد في دفع الحركة الإسلامية في فلسطين للتفاعل المتميز مع انتصار الثورة ومحاولة الاستفادة من نتائج الثورة والإفادة من دروسها لدفع عجلة المواجهة مع المحتل إلى الأمام وتثوير الشارع

الفلسطيني في الأرض المحتلة.

من هنا،يمكن الإشارة إلى أنه لم يكن هناك إسقاط مباشر يعكس تأثراً حرفياً أو نصياً بفكر الإمام الخميني، إلا أن التأثير بدا واضحاً في الآليات والوسائل، وحتى أسلوب إدارة الصراع.

فقد مثلت الثورة والإمام نموذج الإنتصار في عصر غاب فيه النموذج الإسلامي الموازي للنماذج الشيوعية والرأسمالية آنذاك، ويمكن إيجاز أثر الثورة وفكر الإمام في النقاط التالية:

١- دور العالم الإسلامي في القضية الفلسطينية.

٢- التأصيل لوحدة الأمة حول هدف تحرير فلسطين كواجب شرعي ديني.

٣- مثلت آلية الثورة في الحشد الشعبي والتحرك الجمعي لمواجهة الآلة العسكرية مدرسة أفادت منها الإنتفاضة.

٤- رغم المصيبة النفسية التي مني بها الشعب الفلسطيني بعد حصار بيروت عام ١٩٨٢ ومؤتمر القمة عام ١٩٨٦ إلا أن تمسك إيران بالقضية الفلسطينية مثل مؤشراً على أن التحالفات يمكن أن تكون من خارج المنطقة العربية.

٥- كان للدعم الذي قدمته الجمهورية الإسلامية على المستوى السياسي والمعنوي والمادي للشعب الفلسطيني أثره الكبير في تعميق العلاقة بين الشعب الفلسطيني وإيران، ويمكن الإشارة هنا إلى المواقف السياسية المبدئية لإيران، ويوم القدس العالمي وتبني القضية الفلسطينية والدفاع عنها في المحافل الدولية، ودعم قضية مبعدي مرج الزهور وموقفها أخيراً من مسلسل التفريط والتنازل والخيانة.

إلى هنا، ننهي إجابة «حماس» المكتوبة، إلا أني حاولت، عبر الحوارات، أن أستقي المزيد من المعلومات، وفي لقاء خاص مع الأخ مصطفى اللداوي[١]، يوم

(١) مقابلة خاصة ، مع المرحوم الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي حول جذور «حركة الجهاد الإسلامي».

الثلاثاء ١٣/ ٤/ ٩٩ تركز الحديث، على تأثر حركة حماس بفكر الإمام الخميني، وبانتصار الثورة الإسلامية، أفاد بالآتي:

– لقد ساهمت «الدعايات» والحملات الإعلامية، في تباطؤ نشوء علاقة بين «حماس» كحركة مقاومة إسلامية فلسطينية والجمهورية الإسلامية...

– الأمر يختلف بالنسبة للإخوان المسلمين الذين يشكلون «الأصل» في حركة حماس، فقد بدأت هذه العلاقة بين الإخوان المسلمين والثورة الإسلامية عبر محطتين:

– المحطة الأولى: ذهاب وفد من قيادة «الاخوان المسلمين» من مصر، إلى إيران، للتهنئة بانتصار الثورة الإسلامية (العام ١٩٧٩ – ١٩٨٠) وقد كان الوفد كبيراً، إلا أن السلطات المصرية آنذاك – حكم أنور السادات – منعت بعض أعضاء الوفد من السفر، فتقلص الوفد إلى عدد محدود.

– المحطة الثانية: وصول وفد كبير من قيادة «الإخوان المسلمين» من مصر وغيرها من بلدان العالم، إلى طهران، وكان عنوان الزيارة، محاولة لإيقاف الحرب بين العراق والجمهورية الإسلامية العام ١٩٨٠ – ١٩٨٨ وقد تسنى لهذا الوفد إجراء مقابلات ومحادثات مع معظم القيادات في الثورة الإسلامية، وعلى رأسهم الإمام الخميني..

لم تظهر نتائج هاتين المحطتين سريعاً، ولم تنعكس آثارها على التنظيم الفلسطيني للإخوان المسلمين في فلسطين، خاصة في قطاع غزة، مركز الثقل في تنظيم «الإخوان»..

لقد كان التنظيم الفلسطيني للإخوان، متأثراً، بشكل أو بآخر، وبنسب متفاوتة، بخطوة الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي، الذي أعلن في الأسبوع الأول لانتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني، انحيازه لهذه الثورة ولهذا الفكر، ونشر كتاباً مختصراً تحت اسم «الخميني: الحل الإسلامي والبديل» العام ١٩٧٩. لقد

اعتبر «الإخوان المسلمون» التنظيم الفلسطيني، أن ما قام به الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي، حركة «انشقاقية» أو تنظيم «نخبوي» ابتعد عن جماعة «الإخوان المسلمين». رغم أن «اجتهاد» الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي، كان قد بدأ أثناء دراسته في «الزقازيق» كما سيرد في «التباعد» عن فكر الإخوان منذ العام ١٩٧٧ - ١٩٧٨.

مع نهايات العام ١٩٩٠ وبدايات العام ١٩٩١ تم إبعاد بعض نشطاء حركة حماس من قطاع غزة - يتابع اللداوي - ، هؤلاء أقام قسم منهم في لبنان وسوريا، حيث توفر جو إيجابي، لبداية اتصالات بين هؤلاء النشطاء المبعدين الأوائل وبين الحرس الثوري .. وعلى محور آخر، بدأ هؤلاء النشطاء في مد جسر علاقة مع سوريا، بعد قطيعة طويلة، وبحر من الشوك.

هذه الاتصالات واللقاءات المباشرة، على أرض لبنان، التي تشهد مقاومة بطلة، ووهج الإنتفاضة الفلسطينية التي أبعد من أجلها النشطاء... كانت جسراً أولياً بين «حماس» والثورة الإسلامية.

هذا التمهيد الذي شكل الجسر الأولي، كان جاهزاً، عندما تمت عملية الإبعاد الواسعة النطاق لأكبر مجموعة من قياديي حركتي حماس، و الجهاد الإسلامي، في كانون الأول / ديسمبر ١٩٩٣ حيث شهدت تلال بلدة مرج الزهور - البقاع الغربي - لبنان أصدق الإستقبال وأوسع الترحيب..

سوريا والجمهورية الإسلامية، الدولتان اللتان كانتا إلى حين، على قائمة التباعد مع «الإخوان المسلمين»، كانتا الأكثر احتضاناً لمبعدي مرج الزهور وبرزت أهمية الجسر الذي بناه المبعدون السابقون، في تعزيز هذا الاحتضان، وانتصرت وجهة نظرهم..

وباعتبار أن البحث هنا، يتناول تأثير فكر الإمام الخميني وانتصار الثورة الإسلامية على الساحتين الفلسطينية واللبنانية، فسنقصر حديثنا على هذا العنوان، فقط..

أول الذين اندفعوا لاحتضان المبعدين، كانوا الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين -

القيادة العامة، حزب الله، وعلى مسافة غير ظاهرة، في البدايات كان الحرس الثوري[1]، فضلاً عن وجود عدد لا يستهان به بين المبعدين من نشطاء وقيادات حركة الجهاد الإسلامي ، يمكن القول، إن كل عناصر التأثر قد تضافرت، في المكان والزمان المناسبين، حيث بدأ التعرف والاحتكاك والزيارات تأخذ منحى آخر، فحتى لا تُترك فواصل ، ولا يسمح بوجود تباعد أو فوارق.. «فكل الأطراف التي أحاطت وحضنت المبعدين، كانت على علاقة وثيقة مع الجمهورية الإسلامية، وكانت متأثرة بفكر الإمام الخميني، رحمه الله، حيث انعكس ذلك، وبتسارع، على متانة العلاقة اليومية والحياتية مع الثورة الإسلامية».

يمكن اعتبار تسلسل مراحل العلاقة بين «حماس» والثورة الإسلامية، كما ذكرت آنفاً، عملية بناء تراكمي، أسس لعلاقة ومودة وتفاعل وتأثير متبادل، بين حماس والجمهورية الإسلامية، قائمة على الإحترام المتبادل..

عندما تم الإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، أحد أبرز مؤسسي حركة حماس، أراد أن يمهر هذه العلاقة بمباركته، وأراد أن يشهد العالم على هذه العلاقة، فكانت طهران إحدى محطاته المهمة في جولته، حيث زار طهران بداية العام ١٩٩٨ والتقى القائد الإمام علي الخامنئي وأجرى حوارات مع سماحته، كما التقى معظم قادة الجمهورية الإسلامية واطلع على إنجازاتها.. مما أعطى دفعة قوية أكدت متانة العلاقة واستمرارها بين الجمهورية الإسلامية وحركة المقاومة الإسلامية «حماس» خصوصاً على الصعيدين الجهادي والمواقف السياسية..

حركة «الجهاد الإسلامي»:

إن مراقبة ومتابعة تطور الخلاف النظري، الذي تحول إلى خلاف عملي، بين «الإخوان المسلمين» والدكتور الشهيد فتحي الشقاقي، منذ بداية السبعينيات،يمكن لها أن تفضي إلى النتائج التي جعلت، منذ البدايات، الدكتور الشهيد، كلما تباعد من

(١) مشاهدات من معسكر المبعدين - مرج الزهور . ١٩٩٢ - ١٩٩٣.

«تنظيم» الإخوان المسلمين، يتقارب مع فكر الإمام الخميني، لأنه وجد في هذا الفكر ضالته، حيث أمضى الوقت في محاولة بلورة فكر إسلامي يستطيع التحول إلى آلية حركية، تتمحور حول قضية الأمة.. لا أن يبقى فكراً يبحث في كل شيء ولا يلامس قضية الأمة المركزية – فلسطين.

رفع الدكتور[1] الشهيد فتحي في وجه من يختلف معهم، قوله تعالى: ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سُبُلَنا**﴾ معتبراً «الجهاد» المدخل الرئيس للهداية، وإلى السبيل القويم.

حركة الإخوان المسلمين، حركة واسعة ممتدة، خاصة في مصر، وتنطح الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي لإثارة قضايا فكرية وقضايا تتعلق بالحلقة المركزية الموجبة الإهتمام، كان مثار تساؤل، كذلك مثار تخوف.

الإخوان تساءلوا عن أسباب إثارة هذه المواضيع، وفي التوقيت الذي أعيد لهم بشكل أو بآخر ٧٧ – ١٩٧٨ حرية الحركة في مصر..

د. فتحي الشقاقي، كان يتخوف من محاولة تغيير طبيعة «الإجتهاد» الفكري الذي يطرحه، إلى اتهمات بالتطرف.

وبين هذا وذلك، استخلصت قضايا الخلاف التالية:

– موضوع فلسطين: رأى الدكتور الشقاقي أن تكون فلسطين هي الحلقة المركزية في توجه اهتمام جماعة الإخوان المسلمين كلها، وفي عموم صفوفها وتنظيماتها.

– القضايا العامة: رأى الدكتور الشقاقي أن توزع الإهتمام إلى قضايا عامة متعددة، إنما يشتت الجهد.

---

(١) حديث خاص مع الشهيد فتحي الشقاقي، أكده الدكتور رمضان عبدالله شلح في لقاء خاص لهذه الدراسة، نيسان ١٩٩٩.

وكانت الجماعة ترد على النحو التالي:

- فلسطين، هي قضية من قضايا عديدة تهم المسلمين، ولا يجوز قصر الإهتمام على قضية واحدة، بل لا يجوز إطلاق صفة «مركزية» عليها.

- طبيعة انتشار الحركة تفرض عليها الاهتمام بقضايا الإنتشار أيضاً أي بالقضايا التي تهم كل تنظيم في منطقته.

وحين اشتد التجاذب، تجاوز النقاش القضايا المطروحة ، وبدأت حملة «تشكيك»[1] وصلت إلى حد خطير في الإتهامات، ونورد هنا مثالاً على ذلك:

- اعتبرت الجماعة أن الله سبحانه وتعالى هو «القضية المركزية» ولا يجوز «شرعاً» التحول عن ذلك.

- لم تكن الجماعة تعتبر الذين يُقتلون في سبيل فلسطين «شهداء».

كان هذا التجاذب يشتد ويعنف، ويهدأ، لكن الأمور باتت واضحة لدى الدكتور فتحي الشقاقي، إنه بدأ الإتجاه نحو الإستقلالية.. نحو حركة تقوم على الأفكار التي بدأت تجد من يؤمن بها، خاصة بين القريبين من الطلبة المحيطين بالشهيد الشقاقي.

في ذلك الوقت (١٩٧٨ - ١٩٧٩) كانت الجماعة تصدر مجلة «الدعوة» وهي تعبر عن وجهة نظر «الإخوان المسلمين». بالمقابل، وضمن التيارات المتعددة داخل الجماعة، كان حسين عاشور، صاحب «دار نشر عاشور» يصدر مجلة بعنوان «الاعتصام».

حين تعرف عاشور على د. فتحي الشقاقي، أصدر مجلة تحت اسم «المختار الإسلامي» كان الشهيد فتحي الشقاقي رئيس تحريرها الفعلي، وهو كاتب إفتتاحياتها، وعبر هذه الإفتتاحيات، ظهرت بشكل واضح أفكار د. الشقاقي والمجموعة التي تلتف حول هذه الأفكار وفي طليعتها السيد بشير نافع والدكتور

(١) حديث خاص مع الشهيد فتحي الشقاقي حول أسباب تشكيله لحركة الجهاد الإسلامي.

رمضان عبدالله، وشخص ثالث، نحجم عن ذكر اسمه لأسباب أمنية..

كانت هذه النواة تتابع أخبار الثورة الإسلامية، وقررت أن الوقت قد حان، بل الوقت ضاغط، للتباعد الفكري والتنظيمي عن تشكيل وفكرهم الإخوان المسلمين، ضمن تباين الإجتهاد لدى النواة، فالبعض يريد «إعلان الإنفصال الكلي» عن الإخوان، فكراً وتنظيماً، والبعض الآخر كان رأيه أن يبقى الجميع ضمن الإطار العام للإخوان، (الدكتور عبدالله لم يكن يوماً منتسباً للإخوان) وقد استقر الرأي على «المزاوجة» بين الإجتهادين:

- تشكيل تنظيم جديد تحت اسم «الطلائع الإسلامية».

- إصدار نشرة داخلية تحمل عنوان «التغيير» بهدي الآية الكريمة:

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾

- عدم الإعلان عن «الإنفصال» والعمل على استقطاب الشباب من تنظيم الإخوان وخارجه.

وتمت مبايعة الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي أميناً عاماً، العام ١٩٧٨، ومع ذلك فقد استمرت كل الأنشطة التي كان يقوم بها د. الشقاقي، لكن نشرة «التغيير» لفتت الأنظار وهي تتابع شخصية الإمام الخميني، فكره، أسلوبه الثوري..

وفي الأسبوع الأول الذي وصل خلاله الإمام الخميني إلى طهران منتصراً العام ١٩٧٩، تحول مقال نشرة «التغيير» إلى «كراس» كتبه د. فتحي الشقاقي، وخطه د. رمضان عبد الله ليلاً وطبع ونشر عن «دار عاشور» القاهرة تحت اسم «الخميني.. والبديل[1]»، وأحس «الإخوان» بوجود حركة ما ضمن تنظيمهم..

لقد أثار هذا الكتاب زوبعة كبرى في وسط الإخوان وأثار د. فتحي الشقاقي القضايا التالية:

---

(١) الموسوعة - مؤلفات د. فتحي الشقاقي.

«إن للإمام الخميني فتاوى قيمة بالنسبة للقضية الفلسطينية، ومواقف واضحة من الصهيونية تتفق مع وجهة نظرنا، وهذه بداية التغيير، وهذا مانؤمن به».

«إن الخميني جاء ليكسر تابو المنطقة، تابو سيطرة أميركا والإنكليز في المنطقة».

وكتب في «المختار الإسلامي» معلناً محور «طهران في القدس» وعلينا التقاط الفرصة والاتجاه نحو إيران الثورة الإسلامية.

اعتبرت الجماعة هذه المقالات، و «كراس» د. فتحي الشقاقي عن الخميني «جريمة» بينما تابع هو البحث عن الوسائل للاتصال مع الثورة الاسلامية..

فصلت الجماعة، د. فتحي الشقاقي، وقد كانت حركته، «حركة الطلائع الإسلامية» تستقطب العديد من الطلبة، وكلما زاد ضغط الإخوان على الحركة، زاد التفاف الطلبة حولها، خاصة بعد أن زاوجت الدين بالقضية الفلسطينية وأخذت تنهل من تجربة الثورة الإسلامية. في العام ٨٠ - ١٩٨١ رجع الدكتور فتحي الشقاقي إلى غزة، وقد صادفت عودته مع عيد الأضحى وأعلن عن صلاة العيد في ساحة عامة.. وكانت تلك غير مسبوقة في غزة. وفتحت نيران الاتهامات على الشهيد الشقاقي والحركة عموماً.. مما اضطره للعودة إلى مصر حيث نشر كراساً تحت عنوان «السنة والشيعة: ضجة مفتعلة» وزع بقطاع غزة بكثافة، فرد عليه الإخوان بتوزيع كتاب «مجاناً» تحت عنوان «سراب في إيران» تأليف اسم مستعار «الأفغاني».

جاء مقتل أنور السادات، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨١ ليشد الإنتباه إلى وجود تيارات واسعة تطالب بالتغيير، وبدأ الصراع المكشوف في غزة بين التنظيم الذي شهد انتشاراً واسعاً، وبين محاولات التشهير والتضييق..

لقد تأثرت بشكل واضح، حركة الجهاد الإسلامي، بالثورة الإسلامية واستلهمت فكرها وحاولت نهج أسلوبها.. حتى قبل التعرف على أشخاصها، وخاضت «حركة الطلائع» ثم بعد تغيير الإسم الى «حركة الجهاد الإسلامي» معارك

فكرية، نظرية وتنظيمية دفاعاً عن تأثرها وتبنيها لأفكار الإمام الخميني (رحمه الله) ثم بدأت رحلة العمل المشترك، حيث قدرت الثورة الإسلامية لحركة الجهاد هذه المواقف.. وهذا التبني للفكر الثوري للإمام، وجعلت لحركة الجهاد الإسلامي.. المقام الأول، في العلاقة الفكرية والتنظيمية حيث ترجم ذلك على أرض القطاع، وفي الإنتشار التنظيمي الذي شهدته حركة الجهاد الإسلامي، وفي أكثر من موقع أو مركز بحث واجتهاد.. وقد جعلت هذه العلاقة وهذا التبني الفكري، والتنظيمي، حركة الجهاد الإسلامي، وبسرعة قياسية، أحد الفصائل الفلسطينية الرئيسة والناشطة، ساعد في ذلك الإنفتاح الفكري الذي اتسم به الدكتور الشهيد فتحي الشقاقي، الذي بنى شبكة علاقات مع العديد من الفصائل الفلسطينية التي سبقت سنين عديدة، كما استطاع مع إخوانه مد شبكة علاقات تقوم على الفهم المتبادل مع العديد من الدول العربية،مما جعل الدكتور فتحي شخصياً هدفاً يجب التخلص منه صهيونياً..

لقد تابع إخوة الدكتور فتحي، بقيادة الأمين العام رمضان عبد الله وإخوانه تعميق العلاقة مع الثورة الإسلامية، وتابعوا بل عمقوا النهج الذي بلور بالتلاقح مع فكر وممارسة وانتصار ثورة الإمام الخميني..

لبنان:

لقد احتضن لبنان المقاومة الفلسطينية منذ مجزرة أيلول ١٩٧٠ في الأردن، كان لبنان كله قد رحب بدرجات متفاوتة بقدوم المقاومة، إلا أن الإحتضان الرئيس للمقاومة الفلسطينية كان في الجنوب اللبناني.. ولم يقتصر الأمر على الإحتضان، بل تطور ليصبح انخراطاً، حيث انضم إلى الفدائيين الفلسطينيين العديد من شباب الشعب اللبناني .. الذين تدربوا في صفوف المقاومة والذين استشهدوا في مواجهة العدو الصهيوني وفي عيونهم وقلوبهم صورة «القدس».

لقد توحدت القلوب والعقول والأسلحة وانصهرت في بوتقة الجهاد ومحاربة الصهيونية المحتلة لأرض فلسطين، وللقدس الشريفة.

وضمن السياق نفسه، فإن العدد الكبير، من كوادر الثورة الإسلامية، كان قد انخرط في صفوف المقاومة الفلسطينية، قاتل ضمن صفوفها، وتدرب بمعسكراتها، وعاش في قواعدها ،وتلقى الضربات الصهيونية ضمن صفوف الفدائيين الفلسطينيين، واستشهد بعض هؤلاء المتطوعين في صفوف الثورة أو المقاومة الإسلامية.

لقد نشأت بعض الحركات الإسلامية في لبنان، قبل الثورة الإسلامية في إيران وخلالها، ومع ذلك فإن تمايز حزب الله يعتبر الأكثر سطوعاً بينها كلها.

هناك حركة «أمل» و «حزب الدعوة» وحركة «التوحيد» و «أمل الإسلامية» و«الجماعة الإسلامية» وكلها تأثرت بشكل أو بآخر، وبنسب متفاوتة، بانتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني، لكن وحده «حزب الله» من أرسى أسس تجربة جهادية تكاد تكون فريدة ومتكاملة.

كان الشهيد عباس الموسوي (رحمه الله) يعتبر أن «الإسلام كله جهاد» وأن «المقاومة بعض أشكال هذا الجهاد» مع تحديد واضح تماماً للهدف «تحرير القدس»[1].

وكان الشهيد الموسوي، ينقل بكل امتنان وإكبار، ما يكنه الإمام الخميني من محبة «للقدس» وكم يتألم لبقائها «تحت الأسر والاحتلال».

كان حزب الله، منذ تأسيسه، أو للدقة منذ الإعلان عن تشكيله، يجاري تجربة الثورة الإسلامية، فكراً وممارسة، تصدياً وشجاعة، حماسة وتواضعاً.. هذه السمات التي تجلت بكل عناصر حزب الله وكوادره وقياداته ، وكانت القيادات الأولى، الأمناء العامون وأعضاء المكاتب السياسية ومجالس الشورى، كانت هذه القيادات مثلاً يحتذى في البسالة والشجاعة والعلم والتقوى والتواضع، والأهم، أنهم كانوا الأوائل في التضحيات.

---

(١) حديث خاص مع الشهيد - صيدا - ١٩٨٩ - حرب مخيمات الجنوب / مغدوشة.

قد يكون غريباً أن نبدأ بهذا الوصف، قبل أن نعمد إلى عرض موضوع التأثر وانعكاس انتصار الثورة الإسلامية على واقع المقاومة في لبنان، لكن الغرابة تزول عندما نتعرف إلى طبيعة ما كان سائداً.

لقد أوجد حزب الله، نمطاً جديداً من سلوك المقاومة، ابتعد عن الإساءة، وعن المصادرة والأذى.. وكان لسلوك قياداته، القدوة الحسنة في التفاف الناس حول الحزب، وتسارعهم للانخراط في صفوفه.

لقد أخذ «حزب الله» عن مؤسسات الثورة الإسلامية، وعمل على تطبيقها على أرض واقع المقاومة، وأشاد «مؤسسة الشهيد» و «مؤسسة جهاد البناء» ،اللتين ساهمتا كثيراً في تنامي التضحية في صفوف منتسبي حزب الله والمجاهدين..

سابقاً، كانت الحقول تقصف والدور تهدم دون من تجد من يعوض أو يرمم.. مع وجود هذه المؤسسات، زاد تعاطف الناس وزادت قناعتهم بالمقاومة.

نشر حزب الله الفكر الإسلامي، ممارسة .. جهاداً، وأخلاقاً وتعاملاً .. ولم يقتصر على «النظريات».

نشر حزب الله المقاومة ومواجهة العدو الصهيوني، والعمليات الإستشهادية كما نشر المستوصفات، والمدارس، خاض غمار القتال مع العدو الصهيوني، كما خاض المعركة السياسية. أوصل إلى الندوة البرلمانية العديد من الإطارات الحزبية والمناصرين.. وكان له رأي في معظم ما يعرض على البرلمان، كما في الشارع السياسي والإجتماعي والثقافي..

وكلما كبر وعظم دور حزب الله في الساحة اللبنانية، زاده ذلك تواضعاً وطلباً لمشاركة الآخرين..

وفي الآن معاً، لم يقطع حزب الله علاقاته في الساحة الفلسطينية، بل يكاد يكون وحده مما كان يطلق عليه الحركة الوطنية اللبنانية، هو الحزب الذي تتعمق علاقاته مع فصائل المقاومة الفلسطينية حيث يقيم علاقات وثيقة مع حركة الجهاد

الإسلامي والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة، وحركة حماس إلى جانب علاقات ممتدة ومتصلة مع جميع فصائل المعارضة الفلسطينية..

واستطاع حزب الله بفعل استمرار جهاده، وحركته العامة وفرض إيقاعه على أرض المعركة، استطاع أن يفرض على العدو، والولايات المتحدة الأميركية نهجه المقاوم، دون أن يتجرأ على وصف هذا النهج «بالارهاب».

لقد كافحت الحركة الوطنية اللبنانية بكل أحزابها وقواها وتشكيلاتها، وكانت لها مساهماتها بالإشتراك مع المقاومة الفلسطينية، وأثناء اجتياح لبنان ١٩٨٢ كان لها فخر التصدي للمحتل الصهيوني، في بيروت والجبل، وكذلك الجنوب..

ولا يمكن لأحد أن ينكر دور هذه الحركة الوطنية وكفاحها ووقوفها ضد المشروع التقسيمي وكذلك في مقاومة العدو الصهيوني، ومع انتصار الثورة الإسلامية في إيران، أقامت الثورة علاقة جهادية تقوم على الفهم لطبيعة نضال فصائل الحركة الوطنية اللبنانية.. وقد ساعدت هذه العلاقة في مرحلة وجود الإحتلال الصهيوني ممتداً حتى بيروت ،على استمرار التصدي للإحتلال.

غير أن بحثنا يتركز على حزب الله باعتباره النموذج الأبرز في أثر الثورة الإسلامية وفكر الإمام الخميني على الساحتين الفلسطينية واللبنانية..

وكما أسلفنا، فإن التنظيم السياسي الإسلامي في لبنان قبل الثورة الإسلامية كان موجوداً، لكن حزب الله تمايز بمواقف وقضايا عديدة منها:

١- تعطي حالة التمايز التي تطبع حزب الله بطابعها، دليلاً على عمق التأثير الكبير لمنطلقات الثورة الإسلامية في دعم الحركات الإسلامية: فالحزب يقاتل العدو الصهيوني، والحزب يمثل حالة فكرية جهادية متطورة، والحزب يمثل حالة متفتحة على الحوار مع الآخر، وإيجاد محطات التوافق في خدمة الأهداف الكبرى.. وهذا التمايز أسقط حالات التهويش الكبيرة والواسعة التي استهدفت الحزب، حيث استطاع حزب الله، بتراكم جهاده، وممارسته ومناقبيته، إبطال كل حملات

«التهويش» أو الحملات التي حاولت النيل منه..

يوضح العلامة السيد محمد حسين فضل الله، تمايز الحالة الإسلامية في لبنان بالقول:

«إن الحركة الإسلامية في لبنان تتميز بأنها حركة عقلانية واقعية تطرح شعاراتها ولكنها تفكر بطريقة سياسية، تدرس المتغيرات في المنطقة وتدرس واقع الأرض التي تتحرك عليها وتحاول أن تصوغ أسلوبها السياسي وتحرك وسائلها السياسية بما يتناسب مع الظروف المحيطة بالمنطقة من جهة، والأرضية اللبنانية من جهة أخرى، ولذا استطاعت أن تحصل على مواقع متقدمة في المجلس النيابي وعلى علاقات طيبة مع جميع القوى الأخرى[1]»..

ويعتبر العلامة فضل الله أن أبرز ما أحرزته الحركة الإسلامية في لبنان من خلال تجربتها هو أنها باتت مؤهلة لأن تلعب دوراً رائداً على الصعيد الإقليمي كنموذج يحتذى به لصالح تطور المجتمع الإسلامي، وتحسين صورة الإسلام المشوهة في الغرب، وخاصة أن مشروعيتها تنهل من معين المقاومة في الجنوب، ضد الإحتلال الصهيوني، فتكسبها شعوراً بالإعتزاز والتفوق، وهي وضعت المعركة في إطارها الصحيح، بدل أن تنقلب ضد الداخل في حركة تدميرية تستنزف المجتمع وتقضي على روح الإسلام فيها[2].

٢- الإنفتاح على الآخر، في الذكرى الأربعين لاستشهاد نجل السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله البطل الشهيد هادي، ومن قمة الألم والمعاناة وصدق الممارسة والدعوة، أعلن السيد حسن نصر الله عن دعوته لاشتراك «كل اللبنانيين» في المقاومة، وأعلن عن تشكيل السرايا اللبنانية مفتوحة «لمن يرغب»..

هذا الخطاب السياسي.. كان بالإمكان - مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف

---

(١) لقاء مع جريدة «السفير» ١٩/٦ - ١٩٩٥/٦/٢١.

(٢) المصدر نفسه.

المحيطة – أن يتحول إلى خطاب تحدٍّ صارخ في وجه المتفرجين والمحيطين، والمهرولين، لكنه وظف المناسبة لمزيد من الإنفتاح على الآخر، وإعطاء الفرصة كي تتسع المقاومة للكل..

يقول الأمين العام «لحزب الله:

«نحن ندعو إلى أوسع تحالف ممكن بين الإسلاميين أنفسهم، وبين التيار الإسلامي والتيارات القومية والوطنية التي ما زالت موجودة في العالم العربي.. والتي ما زالت ترفض أي شكل من أشكال الحلول الإستسلامية مع العدو الإسرائيلي، لأن مواجهة هذا المشروع بحاجة إلى حركة بمستواه، من كل التيارات وعلى مستوى الأمة.وإن كان الإسلاميون يشكلون على المستوى الشعبي وعلى مستوى الحركة في هذه الأيام الطليعة لهم، إلا أن هذا لا يكفي لأن يتحمل الإسلاميون وحدهم مسؤولية هذه المواجهة، بل يجب أن ينفتحوا بأوسع قدر ممكن على كل تيار وطني وقومي، وعلى كل شخصية موجودة في منطقتنا لتشكيل تكتل إسلامي وقومي كبير لمواجهة عملية التسوية ونتائج عملية التسوية لاحقاً[1]».

٣– ومن حيث التراتبية، كان يمكن وضع نقطة التمايز هذه تحت الرقم واحد، وهي نقطة تمايز رئيسة، ويفصل الشيخ نعيم قاسم نائب الأمين العام لحزب الله هذه النقطة التمايزية على النحو التالي: «فهمنا الإسلامي، أن الإنسان المؤمن هو الذي يبيع نفسه وما له تقرباً إلى الله، أي من أجل القضايا المحقة تحقيقاً للطاعة، وأي قضية أسمى من قضيته تعمل لتحرير الأرض والإنسان[2]».

نقطة التمايز هذه لحزب الله، تكمن في طابعه كحركة جهادية، ويمكن إضافة «إستشهادية» أيضاً، تستند إلى عمق التراث الروحي الجهادي للإسلام الحنيف، فالحزب يعتبر «الجهاد» استجابة لتعاليم الإسلام ولروحه، في تحرير الأرض

(١) لقاء مع جريدة «السبيل» عمان – الأردن ١٧/٨/١٩٩٤.

(٢) لقاء مع صحيفة «السفير» اللبنانية.

والمقدسات..

العلامة السيد فضل الله يوضح ذلك بقوله: «... إن الجهاد هو أن تقاتل في سبيل الله، ومن الطبيعي أن تحرير الأرض من المحتل، هو أحد سبل الله[1]».

واعتماداً على ما تقدم، نستطيع الإستخلاص بشأن ثوابت التمايز المتحصل عن التأثر بروحية الثورة الإسلامية ونهجها وأسلوبها، وفكر الإمام الخميني على النحو التالي:

١- توجيه الحركة الإسلامية باتجاه جهادي في مقارعة الإغتصاب الإستعماري الصهيوني للأرض والحقوق.

٢- الواقعية الثورية في فهم معطيات الواقع والتحرك في ضوء ذلك.

٣- الإنفتاح الدائم على الحوار مع مختلف القوى والتيارات في إطار وهدي الإرادة الجهادية، نحو «وحدة» الأداة في مواجهة المشروع الإستعماري الصهيوني - الغربي ووحدة العالم الإسلامي في مواجهة ما يتعرض له من تهديدات.

٤- إعتماد العقيدة الإسلامية منطلقاً فكرياً وجعل العقيدة وتعاليمها الأساسية منطلقاً وهادياً للتحرك الكلي لحزب الله.

٥- تفهم مسألة التعاون والدعم لكونها تشارك في المقاومة، تشارك في مواجهة التهديدات التي تواجه وتطال المسلمين جميعاً.. وإن بدت بؤر تفجر هذه التهديدات بعيدة، بهذه النسبة أو تلك عن هذا الطرف أو ذاك.

---

(١) مقابلة مع صحيفة «السفير» اللبنانية ٧/٩/١٩٩٥.

استخلاصات:

لم يكن التأثير المباشر على الساحتين الفلسطينية واللبنانية للثورة الإسلامية وفكر الإمام الخميني، دون عقبات أو متاعب، أو محاربة..

فعلى الجانب الفلسطيني: اتُّهمت الفصائل الفلسطينية ذات العلاقة الوطيدة مع الثورة الإسلامية، والتي تأثرت بفكر الإمام الخميني بتهم وأوصاف عديدة، منها:

- الإرتباط بالأجنبي.

- التمويل بقصد القيام بالأعمال «الإرهابية» حسب تصنيف العدو ومن يلوذ به، ومن ثم، من وقع مع العدو اتفاق أوسلو وما تلاه، وفي هذا المجال نقترح الوقوف عند صفة «الارهاب» حيث استطاع العدو الصهيوني والولايات المتحدة الأميركية، وتالياً الإعلام الغربي وبعض الإعلام المحلي ترويج صفة «الإرهاب» على المجاهدين، أو الذين يتصدون بالكفاح المسلح للعدو الصهيوني، ونقترح فتح المجال لمناقشة معمقة للتفريق بين «الإرهاب» وحق الشعوب في الدفاع عن حقوقها، التفريق بين «الإرهاب» وحق الدفاع عن النفس، وتحرير الأوطان المحتلة.. وهذه مهمة، نقترح النظر إليها بعين الإهتمام، لأن ترويج صفة «الإرهاب» دفع بالكثيرين لقطع أشكال الدعم لهذه المقاومة كي تستمر، وجفف شرايين المساعدات الشعبية والتبرعات، وحاصر المقاومة الفلسطينية في الوقت الذي تتدفق فيه الأموال على عرفات ومجموعة التسويات المذلة، والتي كشف الإعلام المحلي والعالمي، أنها أموال تصرف على ضرب المقاومين الحقيقيين، وعلى الشرطة وأجهزة الأمن والسجون والفساد والإفساد.

- رهن الإدارة الفلسطينية وانتفاء استقلالية القرار.

- انتفاء صفة «الجماهيرية» ووضع صفة «المرتزقة».

وغيرها كثير..

أما على جانب الثورة الإسلامية، فقد اتُّهمت من الغرب، والسيد عرفات وجماعة أوسلو والولايات المتحدة والعدو الصهيوني بأنها:

- المخرّب الأول لمسيرة «السلام».

- تمويل «الارهاب».

- محاولة الهروب إلى الأمام ، قفزاً على أزماتها الداخلية.

- محاولة تصدير الثورة.

وغيرها كثير.

وما ذكر هنا، يمكن أن يقال عن الساحة اللبنانية، حيث تستخدم كلمات وصفات في الإعلام الغربي، وتنقلها بعض وسائل الإعلام المحلي، تحمل من الإساءة الكثير، ومنها:

- حزب الله العميل لإيران..

- المخربون «الشيعة».

- قرارات حزب الله ليست بيده، إنه أداة إيرانية..

وغير ذلك ، أيضاً الكثير..

وقد دفع كل جانب ضريبة التأثر، والعلاقة، ومع كل ذلك، فقد توطدت علاقة احترام وتبادل الرأي، والتشاور في المحطات السياسية ذات التأثير، وتشكلت عبر ذلك، أواصر تقدير زادتها المسيرة المشتركة والمواجهات الصعبة متانة وصلابة .. وتمكنت المقاومة الفلسطينية والمقاومة الإسلامية في لبنان من تحقيق عمق استراتيجي إسلامي واسع للثورة الإسلامية.

وتمكنت الثورة الإسلامية من انتزاع دور إقليمي، مقابل محاولات عزلها ضمن الحدود الإيرانية وانتزاع دور لاعب إقليمي ، يحسب حسابه، نتيجة الوقائع الراسخة على الأرض، مقابل محاولات تحجيم الثورة الإسلامية، بما سمي «بالإحتواء المزدوج» الذي كان يراد له، التعميم، بحيث لا يقتصر على علاقة الغرب مع الجمهورية الإسلامية، بل توسعه ليشمل العالم الإسلامي، وخاصة الوطن العربي..

لقد أنتجت علاقة وتأثر الساحة الفلسطينية واللبنانية بانتصار الثورة الإسلامية وبفكر الإمام الخميني (رحمه الله) العديد من الإيجابيات:

- جاء انتصار الثورة الإسلامية، وبسط إشعاعها، في زمن الإحباط الذي ولده توقيع السادات اتفاق كامب ديفيد، فكان انتصار الثورة الإسلامية تعويضاً لا يمكن تقدير مداه وحجمه، في الوقت الذي أخرجت به مصر، كبرى الدول العربية من المعركة..

- جاء انتصار الثورة الإسلامية، وترجمة الفكر الإسلامي، عملاً ثورياً حقق الإنتصار على إحدى دعائم قوى الإستكبار في المنطقة لجعل الإسلاميين المنكفئين نتيجة العديد من الأسباب لإعادة التفكير، لإعادة الحسابات، للنهوض، لإحياء الدعوة الجهادية والتصدي لجعل القضية الفلسطينية، القضية المركزية التي من شأن حلها، انتشار حل العديد من القضايا المتفرعة أو الناشئة نتيجة احتلال فلسطين.

- أضفى انتصار الثورة الإسلامية التي نهلت من معين الفكر الإسلامي، طابعاً جديداً على إمكانية قيام الثورات، في وقت كان يُعتبر أنه نهاية عهد الثورات في العالم، فكان ذلك إيذاناً للمستضعفين بأن يهبوا، ولأولئك الذين اعتقدوا أنهم حوصروا بأن يشحذوا همهم من جديد.

- في الوقت الذي بدأ معه حصار المقاومة الفلسطينية، نتيجة كامب ديفيد.. وبعده توجهات الإستسلام لدى القوى المتنفذة في م.ت.ف. والأنظمة التي تساندها، جاء انتصار الثورة الإسلامية ليعطي للمقاومة باب أمل جديداً، وقوة مساندة، تمثلت في الجمهورية الإسلامية.

- ساهمت الثورة الإسلامية، والفكر الإسلامي الذي اعتمده قائدها، في تعزيز واستحضار هذا الفكر في لبنان، متجسداً بأرقى حالات التجسد، في المقاومة الإسلامية، وحزب الله خصوصاً، لتستمر المقاومة ضد المحتل، وليكون وجوده الإحتلالي عبئاً عليه، مادياً وبشرياً.. يجعله يفكر بضرورة الإنسحاب، لولا بعض من ينادي بالحفاظ على «هيبة» أو «أسطورة» جيش العدو التي استطاع مجاهدو

حزب الله زعزعة صورتها.. وبالمقابل، فإن الثورة الإسلامية - بتأثر هذه الحركات الجهادية بفكرها، بأسلوبها، بممارستها - أعطت المثل الحي والعملي، على قدرتها واتساع إشعاعها، وكان لذلك إيجابياته:

- مباشرة العلاقة مع القاعدة الشعبية، مع المستضعفين، مع الجهاديين وهي أرقى العلاقات.

- تدعيم فكر الثورة الإسلامية، وانتشاره، خاصة لدى من يعتبرون القدوة ومن يتقدمون مجتمعاتهم بالتصدي لقوى الإستكبار.

- إتساع رقعة التأثير الإقليمي للثورة الإسلامية، وخاصة تمركز هذا التأثير، بساحات الجهاد، ومن يحملون الفكر وحب الإستشهاد.

- إنفتاح الثورة الإسلامية، عبر مساحات التأثر، وساحات الجهاد، على المفكرين والكتاب وأهل الرأي، وإيجاد منابر ثقافية للإجتهاد والإستماع والتناظر مع الرأي الآخر.

- إعطاء الثورة الإسلامية حجماً غير محدود، مفتوحاً على مدى الساحات التي تأثرت بها، وعلى فعاليات هذه الساحات، وليس ضمن الحدود الدولية للجمهورية، التي ترغب القوى الإستكبارية على حصر الثورة خلف جدرانها.

- إفساح المجال، عملياً، لتجاوز حدة التنازع المذهبي بين سني وشيعي ... والإنخراط بما هو أرقى من أي نزاع مذهبي، ما دام الإسلام الأوسع هو المعين الفكري، وهو الدليل العملي..

- إنفتاح قوى إسلامية، معروفة الإتجاه، على الثورة الإسلامية، رغم مواقفها السابقة المعروفة التعصب، وتوقع تعميم هذا الإنفتاح ونتائجه الإيجابية على المدى المنظور.

وفي الحالتين، فإن هذه الإيجابيات تجعلنا نختم بالآتي:

- إن المنادين بضرورة الفصل بين علاقة هذه الحركات الجهادية والأحزاب والفصائل التحررية والجمهوريةالإسلامية، إنما ينادون لغرض آخر.. لغرض

طمس كل ما ذكر من إيجابيات.

– إن المنادين بضرورة تقدير وضع الجمهورية الإسلامية في رغبتها بالحوار مع الجميع، و «تهدئة» العلاقات مع فصائل الثورة والجهاد، إنما ينادون بالحجر على الثورة الإسلامية، تحت حجة «الإنفتاح».

– إن المنادين بضرورة وضع حد للقائلين، إن الأحزاب والفصائل والحركات التي تأثرت بفكر وانتصار الثورة الإسلامية، بأنها «أداة» بيد الثورة الإسلامية، إنما يريدون، إضعاف هذه الأحزاب والحركات والفصائل، وجعل قوى الإستكبار «تستفرد» بكل منها على حدة، وبضرب اللحمة بينها وبين الثورة الإسلامية..

– إن المنادين بضرورة عدم تصدي الجمهورية الإسلامية لمخططات التسويات المذلة، والتعاطي السياسي مع الأمر الواقع، إنما يمهدون لوصول هذه التسويات إلى حدود الجمهورية الإسلامية، ومن ثم استفرادها أيضاً.

وليس من شك، في أن الثورة الإسلامية، بمفهومها العام، صارت عبر التأثر بالفكر وبالإنتصار، تنوجد في ساحات الصراع الرئيسية، وانتقلت من مجرد إشعاع وكفى، انتقلت بما يشبه التكامل الذي من شأنه، إن تعمق وتطور وصمد أمام التحديات والنداءات المشبوهة المشار إلى بعضها أعلاه، فستكون، وفي كل موقع من مواقعها .. منارة وصخرة..

منارة لهدي المزيد من المجاهدين والمناضلين.

وصخرة تتحطم على صلابتها كل مؤمرات قوى الإستكبار..

المجدد الجمهوري: موقف الإمام الخميني (قده) من أشكال الحكم ونماذجه المعاصرة

الدكتور خليل أحمد خليل
كاتب وأستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية

«محاورات أفلاطون المشهورة باسمها التقليدي، الجمهورية، عنوانها الدقيق هو الحكم أو الدستور، حكومة المدينة ونظامها...».. La Republique, ed. G. Flam, paris, 1966, p: 5.

«والحال، ألا تعلم أنَّ من بين المُدُن، بعضها استبدادي وبعضها الآخر ديمقراطي، وبعضها أيضاً ارستقراطي؟ كيف لا تُدرك ذلك؟ أليس العنصر الأقوى في كل مدينة هو الحكم؟

لا شك في ذلك.

وأن كل حكم يضعُ القوانين لمصلحته الخاصة: الديمقراطية تضع قوانين ديمقراطية، الإستبدادية تضع قوانين طاغوتيّة، وكذلك الحكومات الأخرى؛ وبعد وضع هذه القوانين، تُعلن الحكومات (أو الحاكمون) أن من مصلحة المحكومين أن يخضعوا لها، وأن منتهكها سُيعاقب بتهمة الظلم. وإليك أيها الرجل الممتاز، ما أقرّره: في كل المدن يكون العدل واحداً: يكون دوماً في مصلحة الحكومة المُقامة؟ وعليه، تكون الحكومة هي الأقوى، فسيتخلص الأفطنُ بين الناس، أن العدل واحد في كل مكان: إنّه يخدم مصلحة الأقوى».. La Republique, op.cit, p.87.

أ ـ مدخل إلى المجدِّد الجمهوري الإسلامي:

في مناخ لا ديني، أنتج أفلاطون خطابه الجمهوري، وفي مناخ ديني (غير نبوي، وغير إسلامي) أنتجت أوروبا خطابها السياسي، ومنه الجمهوري، من

مصدرين يوناني وإسلامي..! وقد يستغرب بعض السذج أن يكون الإسلام، حين عقلن، بالقرآن وبالعلم والفلسفة معاً، ثقافة أوروبا، إنما مدّنها، وعلّمها وعلمنها. وهذا لا يستغربه المنصفون من علماء الإجتماع النقدي، مثل بورّيكو. ذاك أن التركيب المُميَّز للمجتمع الإسلامي بكونه مجتمعاً نبويّاً لها: كتابنا، «جدليّة القرآن»، (جعل قطبيه على علاقة تواصلية دائمة، وهما الله والإنسان، أو المطلق ـ النسبي، وجعل العقل أصل الإنسان العقل = الروح)[1]، وجعله المرسل الإلهي رسول الزمان، أي أنّه هو إمكان الإنسان نفسه في المكان ـ الزَّمان... وكان الشيطان ضداً عارضاً، لا جوهراً محايثاً، ولا مُلازماً لهذه العلاقة الإسلامية البيّنة، المقوننة، بين مصدر العدل الإلهي وموضوع العدالة بين مخلوقات الخالق العادل (كما ساد التوازن الإعتقادي في القرون الوسطى الاوروبية بين قطبي المجتمع: الله ـ الشيطان، غوته: فاوست).

على رأس القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)، نهض رجلٌ من قلب الجمهور الإسلامي ـ حيث الدّين والسياسة لا يتعارضان في اتساعهما أمام الجمهور نفسه، وحيث الحوزة الدينية هي نفسها حوزة سياسية، ومفتوحة للجميع، بلا شروط، فيما كرسيّ الملك الأمبراطوري معطىً لواحد، مقابل بساط المسلمين الفقراء الواسع. وانخرط هذا الرجل في الجهاد والإجتهاد معاً، داخل حركة الشعب الإيراني المسلم، مفرّقاً بين إسلام حقيقي، ثوري، جماهيري، وإسلام سلطاني، مزّيف، تابع لأعداء المسلمين، من أميركيّين وصهاينة وملاحدة.

من قلب الإسلام الحيّ، الممتد فوق جغرافية إنسانية وحضارية، تفوق أية جغرافية بشرية معاصرة أخرى، قام الإمام الخميني (١٩٠٢ ـ ١٩٨٩) كادحاً إلى ربّه وإلى شعبه وأمتّه الإسلاميّة، قائداً النخبة والجمهور، بمورد إسلامي علمي، يتخطّى أصوليّة ماركسيّة انتقدت مجتمعاً أوروبياً رأسمالياً، لا نبوياً ولا دينياً، وأصولية استعمارية تستخدم الأديان وثقافاتها وحركاتها، ضد شعوب الأديان نفسها، كما لا يقف عند أية أصولية «إسلامية» وجدها في ظاهرة «فقهاء السلاطين».

---

(١) خ. أ. خ. العقل في الإسلام، الطليعة، ١٩٩٤.

فميدانه هو الجمهور المناضل ضد الشاه لأجل «المشروطة» أو الحكم الدستوري الأعدل؛ يهذّب الناس بالإسلام لأجل دنيا عادلة، وجنّة آخرة، مقابل قوى ظالمة أحالت حياة الجماهير هنا جحيماً وقلقاً.

من قلب الإسلام إلى عين التاريخ، سيظل ينهض رجال لملء عين تاريخهم بالحق وباليقين. إن الخميني الذي يتجاهله، حتى اليوم، بعض المعاجم (أعلام المورد، إنكليزي ـ عربي، الأعلام للزركلي؛ الموسوعة السياسية إلخ)، يراه معجم لاروس الفرنسي (١٩٩٦) «روح الله قائد ديني ورجل سياسي إيراني. ولد في خمين سنة ١٩٠٢ وتوفي في طهران سنة ١٩٨٩. عاش في النجف (١٩٦٤)، وفي فرنسا (٧٨ ـ ١٩٧٩)، قاد المعارضة ضد إصلاحات الشاه. انتصر ثورياً في شباط/فبراير ١٩٧٩، وأنشأ جمهورية إسلامية». أما خميني «المُنجد» فهو: «روح الله. فقيه إيراني. إمام مدينة قم. قاد الثورة من منفاه ضد الشاه، وأعلن جمهورية إيران الاسلامية سنة ١٩٧٩». المؤسف أن «معجم العالم الإسلامي»، المعرَّب عن الألمانية (نشرة مجد، بيروت) لم يسمع بالخميني، هذا الذي ملأ عين الجمهور الإسلامي بجمهورية إسلامية، فرضتها ثورة، بقيادة حزب جمهوري إسلامي، من أعلامه: بهشتي، خامنئي، باهنر، أردبيلي، هاشمي رفسنجاني (١٩٣٢ م) وآخرون، مع ملايين الأعضاء.

هذا المجدّد الجمهوري للحكم الإسلامي في القرن العشرين، اعتبر أن التجديد والإجتهاد والنهوض والتحديث واحد؛ وأن التجديد لا يكون بلا مجدِّد أو مجدّدين (باب الإجتهاد أو الحداثة، المعاصرة، مفتوح دوماً في الإسلام؛ لكن: أين هم الفقهاء، العلماء المجددون/ المجتهدون؟)، وأكّد عالميّة المواطنيّة الإسلامية، روح الجمهورية)، على قاعدة الإخاء الإيماني بين الجمهور.

ب ـ جمهورية الخميني: مصادرها ـ نماذجها:

إن فكرة الدولة والجمهورية عرفها الفكر السياسي العالمي، وتحقّق منها نموذج الدولة الجمهورية، وكان المجتمع الإسلامي، منذ القرن السابع الميلادي، قد شهد

نموذج دولة نبوية (دولة النبيّ) راحت تفرض نفسها مقابل دول العصر (الدولة الكسروية، القيصرية، الطاغوتية، حكومة الملأ المكية، الخ)، ثم شهد نموذج دولة الخلافة، ومن بعدها دولة الملك أو الأمبراطورية، حتى أمبراطورية الشاه، التي آمن العرفاني الكبير، روح الله الخميني، بأنه شاهد سقوطها، ومحطمها مع الشعب، وفي عصره لم يشهد العالم الإسلامي نموذجاً لجمهورية إسلامية، صادرة عن فلسفة الحكم أو الحكومة الإسلامية، كما أملَ الإمام في محاضراته عن «ولاية الفقيه»، بل شهد عصره نماذج: الامبراطورية والملكيَّة والجمهورية، وكان في أحسن الأحوال يضع في مهام الدولة الدفاع عن الإسلام، أو جعل رئيس الدولة مسلماً، أو الإعلان عن كون دين الدولة المدنية هو الإسلام. وهنا يتوضح جديد الخميني الجمهوري: «الثورة ـ الحكومة ـ الجمهورية» ثلاثية متكاملة، أولها الإسلام، وموضوعها التاريخي الإسلام، وهدفها الماورائي الإسلام أو العدل الإلهي. إن الثورة تؤشر على مشاركة الجمهور الإسلامي في الصراع لتجديد الإجماع (الجمهورية)؛ وهي بذلك ثورة التنوّع الفكري ضمن الواحد الإسلامي، الواحد الذي لا يتخلى عن وحدته، والذي يكرّرها بالتواصل المعرفي أو التفاكر الروحي. فهل مصادفةٌ أن يكون الإمام شاعراً، عرفانياً وسياسياً؟ يوضح السيد م. ح. فضل الله: «لذا ففي الحكومة الإسلامية يجب أن يكون باب الإجتهاد مفتوحاً دائماً، لأن طبيعة الثورة تقتضي أن تطرح وجهات النظر الفقهية في مختلف المجالات، ولا يحقّ لأحد الحيلولة دون ذلك، ولكن بشرط أن يكون الطرح بصورة صحيحة على الأمور في نطاق الحكومة والمجتمع من أجل بناء مجتمع إسلاميّ يمكنه أن يخطط لصالح المسلمين ويدعو إلى الوحدة والإتحاد». (را: كتاب المنطلق، الإمام الخميني، الفكر والثورة، ط ١. ١٩٩٠ ص ٢٤). وانطلاقاً من المنهج القرآني في نقد الأصول السابقة أو المعاصرة لنزوله، يقوم الإمام الخميني بنقد النماذج السياسية المعاصرة، بقوله: «إن الإختلاف في وجهات النظر بين مختلف الأجنحة هو اختلاف سياسي، لأن الجميع يشتركون في أصول وعقائد مشتركة» (م.ن. ص ٢٤). هنا نشير إلى أن الفقيه المجدد الذي يعنيه الإمام هو مفكّر إسلامي، مؤمن طبعاً، يستبطن في تهذيبه

وسلوكه، العالِمَ والفيلسوف، أو ما يُعرف في المألوف الشيعي باسم العارف أو العرفاني. ومن هنا جاء تشديده على مفهوم «الولاية الفقهية الواعية». ففي خطاب ٥ أيلول/سبتمبر ١٩٧٩، أكد الإمام الخميني على نقد الوعي الإسلامي الراهن، وبيّن أنه «وعي زائف»، لا بد من تجاوزه ومحوه، لإنشاء وعي إسلامي جديد في مكانه: «ثقافتنا واقتصادنا كانا غربيين، ولقد نسينا أنفسنا حقاً...». «إنهم نسوا ألفاظهم ولغتهم». «ان جميع مشكلاتنا ومصائبنا وجميع مشكلات الشرقيين، هي أننا فقدنا أنفسنا وجلس غيرنا في مكاننا». وموضوع الثورة التي بدأ يدعو إليها في محاضراته الفقهية، قبل عشر سنوات، هو إعادة النفس الإسلامية إلى مكانها التاريخي الصحيح. الاعادة بالحوار وبالتعبئة، والحسم بالثورة، لأنك لا تستطيع أن تضع تاريخك في تبعية تاريخ آخر، مهيمن؛ بل عليك القطع المعرفي والثوري مع المُهيمن عليك (محتلّ، حاكم، ظالم، الخ) لتقيم تاريخك بنفسك على أرضك وفقاً لاعتقادك: «إننا نعتزم إيباس الجذور الفاسدة للصهيونية والرأسمالية والشيوعية في العالم؛ لقد قرّرنا أن نستأصل - بعون الله العظيم وعنايته - الأنظمة القائمة على هذه القوائم الثلاث». (خطاب الإمام في ٥ ذي الحجة ١٤٠٨، را: كتاب المنطلق، م.س.ص ٥٧ وما بعدها). «إنني أعلنها بصراحة، إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تؤسس وتعمل بكل وجودها لإحياء الشخصية الإسلامية لمسلمي العالم كله، ولا ترى سبباً لأن تمتنع عن دعوة مسلمي الدنيا إلى تأييد مبدأ امتلاك السلطة في العالم». (م.ن).

إن كل مبادىء الثورة والجمهورية نجدها واضحة في كتاب آية الله الخميني «الحكومة الإسلامية»، (دار الطليعة، بيروت ١٩٧٩)، وكان قد ألقاها في النجف الأشرف على طلاب علوم الدين، بعنوان «ولاية الفقيه» ما بين ١٣ ذي القعدة و ١ ذي الحجة ١٣٨٩ هـ.

هنا نستذكر لوحة المصادر - النماذج التي أدرجها الإسلام في تاريخه السياسي:

١ ـ من القرآن إلى العالم، رسالة إلهية تستلزم سياسة لتدبير الجماعة، فالإسلام بجوهره سياسة إلهية يحملها مسلمون لمقارعة أتباع أو أحزاب السياسة غير الإلهية (الشيطانية الطاغوتية، مثلاً). وحين رفضت مكّة في المرحلة الأولى أن تكون مضافة الحكومة الإسلامية، كانت الهجرة وكان تأسيس «الجمهورية»، حكومة الجمهور من المهاجرين والأنصار والآخرين في المدينة: المدينة المنورة هي إذاً جمهورية مواطنين جدد.

٢ ـ العودة إلى مكّة المكرّمة، لم تكن مجرّد عودة مواطنين إلى موطنهم، بل كانت فوق ذلك إعلاناً بتوسيع مجال الإسلام، وقبول مكة حكم الجمهورية، وانتماء سكانها، كما سكان المناطق المفتوحة، إلى مواطنية جمهورية جديدة (إسلامية بالدرجة الأولى).

٣ ـ إن انتقال الجمهورية من المدينة إلى مدينة الكوفة، يؤكد أن الجمهورية الإسلامية ممكنة أينما وجد مسلمون فوق أرض إسلامية؛ ولكن تجربة الكوفة (را: هشام جعيط: الكوفة والفتنة ـ دار الطليعة) التي انتهت بتراجع المجال الجمهوري العلوي (الشيعي) لصالح الإنقلاب على الإسلام نفسه، جعلت الفقه السلطاني يسود محل الفقه الجمهوري.

٤ ـ في ضوء هذه الملاحظات يمكن النظر العلمي في تجربة التشيع والتجديد الإسلامي في إيران منذ مطلع القرن العشرين حتى انتصار الثورة. ولذا سنعمد إلى تحليل مضامين ثلاثة مصادر كبرى: الحكومة الإسلامية، دستور الجمهورية الإسلامية الايرانية، والوصية السياسية الإلهية.

نقد أشكال الحكم وأصوله:

لتأصيل الحكم الإسلامي، جاهد الإمام لنقد أصول الأحكام الأخرى، غير الإسلامية، فهو كما يستفاد من دروس «الحكومة الإسلامية»، ينتقد ما ليس إسلامياً بعقل إسلاميّ علميّ، منطقي وتجريبي، كما ينقدُ على الديمقراطية السياسية البحتة، أو على الحكم السياسي المحض (را: الأمير، لمكيافيللي) الذي ظهرت نماذجه في

الظاهرة الأموية القديمة (نموذج معاوية الذي ادّعى أنّه هو وقومه الزمان، دون أن يوضح بماذا يرفع الناس ويضعهم، مكتفياً بالسيف والمال، تاركاً الإسلام تحت السلطة) وفي الظواهر العربية والعالمية الحديثة والمعاصرة. وعنده أن الفقيه المسلم لا يملأ عين عصره إلا بفكره، فلا تكون استقلالية الحكم ممكنة وصحيحة بدون رافعة إسلامية (تلازم السياسة الإلهية والسياسة الجمهورية). هنا نماذج من «الحكومة الإسلامية».

١ ـ هل توجد في الإسلام ملكية أو حكم وراثي أو ولاية عهد؟ يُجيب الإمام:

«كيف يكون هذا في الإسلام، ونحن نعلم أن النظام الملكي يناقض الحكم الإسلامي ونظامه السياسي. لقد أبطل الإسلام الملكية وولاية العهد، واعتبر في أوائل ظهوره جميع أنظمة السلاطين في إيران ومصر واليمن والروم غير شرعيّة (...) إن الملكية وولاية العهد هما أسلوب الحكومة المشؤوم الباطل، الذي نهض سيد الشهداء الحسين (ع) لمحاربته والقضاء عليه...» (الحكومة الاسلامية ط ٢ ـ ١٩٧٩، ص ١٢).

٢ ـ الرسول (ص) منفذ قانون:

«فقد كان رسول الله (ص) منفذ قانون. كان يعاقب فيقطع يد السارق ويجلد ويرجم، ويحكم بالعدل. الخليفة يُراد لأمثال هذا. الخليفة ليس مبلغ قوانين، أو مشرعاً، إنما الخليفة يُراد للتنفيذ. هنا تبدو أهمية تشكيل الحكومة. وإيجاد المؤسسات التنفيذية وضرورة تنظيمها، والإيمان بضرورة تشكيل الحكومة وإيجاد تلك المؤسسات جزء لا يتجزأ من الإيمان بالولاية. والعمل والسعي من أجل هذا الهدف هو مظهرٌ من مظاهر ذلك الإيمان بالولاية» (م.ن.، ص ١٩).

٣ ـ ضرورة الثورة / ضرورة الوحدة الإسلامية:

هاتان الضرورتان تلازمتا في فقه المجدد الجمهوري. هنا قولان له:

أ ـ «الشرع والعقل يفرضان علينا ألا نترك الحكومات وشأنها. والدلائل على

ذلك واضحة، فإن تمادي هذه الحكومات في غيّها يعني نظام تعطيل الإسلام وأحكامه، في حين توجد نصوص كثيرة تصف كل نظام غير إسلامي بأنه مشرك، والحاكم أو السلطة فيه طاغوت. ونحن مسؤولون عن إزالة آثار الشّرك من مجتمعنا المسلم...» (م.ن.، ص ٣٣).

ب - «ونحن لا نملك الوسيلة إلى توحيد الأمة الإسلامية وتحرير أراضيها من أيدي المستعمرين، وإسقاط الحكومات العميلة لهم، إلاّ أن نسعى إلى إقامة حكومتنا الإسلامية (...) تشكيل الحكومة، إذاً، يرمي إلى الإحتفاظ بوحدة المسلمين بعد تحقيقها» (م.ن. ص ٣٥).

٤ - خصيصة الحكومة الإسلامية:

«الحكومة الإسلامية لا تشبه الأشكال الحكومية المعروفة.

- فليست هي حكومة مطلقة يستبد فيها رئيس الدولة برأيه، عابثاً بأموال الناس ورقابهم (...).

- فحكومة الإسلام ليست مُطلقة وإنّما هي دستورية، ولكن لا بالمعنى الدستوري المتعارف الذي يتمثل في النظام البرلماني أو المجالس الشعبية؛ وإنما هي دستورية بمعنى أنّ القائمين بالأمر يتقيدون بمجموعة الشروط والقواعد المبيّنة في القرآن والسنة، والتي تتمثل في وجوب مراعاة النظام وتطبيق أحكام الإسلام وقوانينه.

- ومن هنا كانت الحكومة الإسلامية هي حكومة القانون الإلهي.

ويكمنُ الفرق بين الحكومة الإسلامية، والحكومات الدستورية، الملكية منها والجمهورية:

- في أن ممثلي الشعب أو ممثلي الملك هم الذين يقنّنون ويشّرعون.

- في حين تنحصر سلطة التشريع بالله عزّ وجل.

وليس لأحد، أياً كان، أن يشرع، وليس لأحد أن يحكم بما لم ينزل الله به من

سلطان (...).

فحكومة الإسلام حكومة القانون، والحاكم هو الله وحده، وهو المشرّع وحده لا سواه، وحكم الله نافذ في جميع الناس وفي الدولة نفسها.» (الحكومة الإسلامية، م.س. ص ٤١ ـ ٤٢).

٥ ـ ولاية الفقيه:

الولاية هي الحكومة والإدارة وسياسة البلاد، «وظيفة عملية ذات خطورة بالغة».

«ولاية الفقيه أمر اعتباري جعله الشرع، كما يعتبر الشرع واحداً منا قيماً على الصغار، فالقيّم على شعبٍ بأسره لا تختلف مهمّته عن القيم على الصغار إلاّ من ناحية الكمية». (م.ن.، ص ٥٠).

«وبما أن حكومة الإسلام هي حكومة القانون، فالفقيه هو المتصّدي لأمر الحكومة، لا غير. هو ينهض بكل ما نهض به الرسول (ص)، لا يزيد ولا ينقص شيئاً (...) وإذا خالف الفقيه أحكام الشرع ـ والعياذ بالله ـ فإنه ينعزل تلقائياً عن الولاية لانعدام عنصر الأمانة فيه. فالحاكم الأعلى في الحقيقة هو القانون، والجميع يستظلون بظله، والناس أحرار من يوم يولدون فيه، أحرار في تصرفاتهم المشروعة (...)». (م.ن.، ص ٧٠ ـ ٧١).

٦ ـ لمن السياسة: للدولة أم للدين؟

هذه المساءَلة حسمها وأجاب عنها الإمام في «الحكومة الاسلامية»، (ص ١٣٦) بقوله: «أحد رجال الدولة في إيران يخاطبني في السجن، وكان معي السيد القمّي ـ سلّمه الله ـ ولا يزال مضطهداً: «السياسة خبث وكذب ونفاق، أتركوا ذلك لنا». هذا صحيح، ولئن كانت السياسة لا تعني إلاّ هذه الأمور، فهي بهذا المعنى من شؤونهم، ولكنّ السياسة في الإسلام والسياسة لدى الأئمة (ع) الذين هم ساسة العباد ـ كما ورد في الزيارة ـ لا تعني ما قاله لي ذلك الرجل. ذلك الرجل أراد خداعنا والتمويه علينا. وفي اليوم التالي ظهرت الصحف لتعلن «أنه تمَّ الاتفاق والتفاهم على أن لا

يتدخل رجال الدين في السياسة بعد اليوم». وبعد الإفراج عني رقيت المنبر وكذّبت تلك الأنباء الصحافية التي نُشرت في حينه، وقلتُ: إن الرجل ليكذب، وإن كل مَنْ يقول بذلك من رجالنا يجب نفيه من البلاد». إنها الدعوة إلى سياسة إسلامية جديدة، غير سياسة رجال الدولة التابعين لأعداء الإسلام، وبالضرورة غير سياسة «فقهاء السلاطين» الذين دعا الإمام إلى طردهم وفضحهم ونزع عمائمهم (م.ن.، ص ١٤٣).

نقد النماذج الحكومية المعاصرة :

قد لا يكون الإمام الخميني مسبوقاً، في عصره، بفقيه إسلامي ثوري، يضارعه في وضوح أفكاره، وفي الكدح إلى ربه، مع شعبه، لتحقيقها. وهذا سرُّ انتصاره في قيادة ثورته وفي إنشاء جمهوريته على غير مِثالٍ جاهز. فهو الفقيه الثوري، قائد ثورة، بالجماهير، لا بالعسكر، وهو بالإسلام فوق الحكومة، لكنَّه معها، يرشدها بموافقة الجمهور أو الأمة. من هنا كان انتقاده على أصول الحكم الفردي ـ الوراثي، السياسي، العسكري، البيروقراطي الخ، وكان تفريقه الدقيق ما بين المرشد الثوري والحاكم الجمهوري، بين قائد الأمة (وليّ الفقيه) ورئيس الدولة (رئيس الجمهورية)؛ فهو فقيه الأمة على قاعدة العقل.

وتالياً، بلور الإمام رفضه الايديولوجي للحكومات غير الإسلامية، بدعوى فلسفة سياسية إلهية، أو ما يسمّى التاريخ الدائري: الحكومة الإسلامية، والجمهورية الاسلامية مصدرها ومآلها إلهي معاً، والجمهور الإسلامي هو مع القائد المتجدّد، دورياً، صانع الثورة ومنشئ الجمهورية وحاميها بالإسلام لأجل الإسلام.

بعد الثورة، جاءت الجمهورية الإسلامية، صيغة فريدة من نوعها، على الصعيد العالمي عموماً، وفي المجال الإسلامي نفسه خصوصاً. فهي النقيض الإسلامي المباشر لنموذج «الخلافة» كما انتهى به الحال في العهد العثماني، والنقيض الثوري للنموذج «الملكيّ» في صيغته العربية (السعودية الوهابية، الأردن، المغرب) وفي

صيغته غير العربية (إيران نفسها)؛ كما أن الجمهورية الإسلامية هذه هي البديل الثوري للنموذج الجمهوري الآخر، العربي وغير العربي.

عليه، ما هي هذه الجمهورية الإسلامية في نطاقها الدستوري والسياسي الإلهي؟

١ ـ المآل الدستوري للجمهورية:

نستند إلى دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية (نشرة المستشارية، دمشق ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م) ولا نقف عند عيوب التعريب والأخطاء المطبعية وغيرها. يلفتُ المحقّقُ إلى مصدرين للقوننة أو التشريع للحكم:

- قوننة صادرة عن شرائع إلهية.

- وقوننة صادرة عن مذاهب مادية.

وربّما فاته التّنبه إلى تآثر هذين المصدرين وتفاعلهما عبر التاريخ الإنساني نفسه، فظهر مصدر ثالث، عقلاني ـ إلهي ـ إنساني معاً، على قاعدة قرآنية واضحة: «أفلا تعقلون»، وأن هذا المصدر بالذات، هو الذي انبثقت عنه فلسفة الحكومة الإسلامية، وقامت على أنواره الثورية، جمهورية الإسلام والمسلمين في إيران، مرآةً ونموذجاً لعالم إسلامي مقبل على تجديد هويته، بعكس تيارات العولمة ونماذجها السياسية الاستعمارية الجاهزة.

يشير دستور الجمهورية (ص ٢٥) إلى «العلاقة الوثيقة بين الأمّة والإمام»، فهذه علاقة إسلامية، إيمانية، عقلانية ـ إنسانية، فضاؤها المشترك (الله أكبر)، الوطن اللامتناهي للإنسان المسلم، المسالم بالحق وبالعدل، المنفّذ لسياسة (أمر) خالقه، «ولاية الفقيه العادل: اعتماداً على استمرار ولاية الأمر، والإمامة، يقوم الدستور بإعداد الظروف المناسبة لتحقيق قيادة الفقيه جامع الشرائط والذي يعترف به الناسُ باعتباره قائداً لهم...» (دستور الجمهورية، ص ٣٠). وينتقد الدستور النمط المكتبي (البيروقراطي) للإدارة بوصفه «وليد الأنظمة الطاغوتية»، التي تقف

في وجه «بناء المجتمع الإسلامي»، ويعلن أن نظام الحكم في إيران هو «الجمهورية الإسلامية» التي صوّت عليها الشعب بنسبة ٩٨,٢٪، منطلقاً من إيمانه الأصيل بحكومة القرآن العادلة الحقة، بعد ثورته المظفَّرة بقيادة المرجع الديني الكبير، آية الله العظمى الإمام الخميني (دستور، مادة ١)، ويربط الدستور (مادة ٢) بين الإيمان والإجتهاد؛ ويقرر في المادة الخامسة (دستور، ص ٤٠) ولاية (الفقيه العادل المتقي البصير بأمور العصر، الشجاع القادر على الإدارة والتدبير ممن أقرت له أكثرية الأمة وقبلته قائداً لها) ـ وبالمقارنة مع الرئيس في المدينة الفاضلة، للفارابي، والحل الديمقراطي الذي يقترحه لرئاسة النخبة بدلاً من الرأس الواحد، في حال تعذره، نقرأ في دستور الجمهورية: «وفي حالة عدم إحراز أيّ فقيه لهذه الأكثرية، فإن القائد أو مجلس القيادة المكوَّن من الفقهاء الحائزين على الشروط المذكورة أعلاه، يتولّون هذه المسؤولية، وذلك وفقاً للمادة السابعة بعد المئة» (م.ن.، ص ٤٠). تنصّ المادة ٦٤ على «مجلس الشورى الإسلامي» (٢٧٠ نائباً، بنسبة واحد عن كل ٢٥٠ ألف نسمة، ونائب واحد عن اليهود والزرداشت، وواحد عن المسيحيين الأشوريين والكلدانيين، ونائبين عن الأرمن المسيحيين جنوباً وشمالاً... في الترسيم التالي، صورة دقيقة لموقع (وليّ الفقيه) على خريطة الجمهورية: القضاء والدفاع.

لا يخفى، في هذه الجمهورية، أن كل شيء سلطوي يصدر عن الجمهور ويعود إليه دورياً، من القائد، إلى رئيس الجمهورية إلى النواب، والوزراء والقضاة وكبار القادة في القوات المسلحة وفي الحرس الثوري.. الشعب هنا، بعد الله، مصدر مطلق لنسبيّات السلطات، وللفصل بينهما بقوانين، للحؤول دون الطاغوت (مصطلح قرآني بمعنى الطغيان والطاغية في آن، وكذلك الجِبْت. لم يرد في دستور الجمهورية).

٢ ـ المآل السياسي الإلهي:

قد يتساءل الباحث عن سبب وصف وصية الإمام بـ «الوصية السياسية الإلهية»، وهل هذه الإحالة متناقضة بتركيبها الفكري هذا؟ تبين لنا مما تقدم حول

مصادر الحكومة وتحقيق الجمهورية بالثورة، أن جديد هذه الجمهورية هو أن سياستها بتدبير إلهيّ، دون أن يدعي القائمون بها أي ادعاء خاص، مميّز لهم عن إخوانهم في الإسلام وفي الإيمان. والذي يتأمّل في شخصية الإمام وفي تواضعه لإخوانه، يعي مدى القوة الروحانية ـ العقلانيّة التي جعلته يثبتُ في منازلته الفقهية الثورية، ويصبر أيوبّياً، ويدرس الحال إدريسياً، بتفاكر قرآني، آيته تفكير العقل، والإصرار على بلوغ الهدف مهما كلّف الأمر. هذا هو جوهر التحقق الإسلامي في القرآن، وهو متسلسل من محمّد (ص) إلى الأئمة (ع) الشهداء، وصولاً إلى شاهد عصرنا، الإمام روح الله الخميني.

لم يسبق لمسلم قرآني ونبويّ، وإماميّ، في القرن العشرين، أن أعطى للسياسة الإسلامية ما أعطاها الإمام في فكره وجهاده. منزلة القرآن في نظامه المعرفي هي منزلة مصدرية: «القرآن... هو في الحقيقة دستور الحياة المادية والمعنوية للبشرية»، ومن أهدافه الأولى إقامة «حكومة العدل الإلهي»: «إن القرآن الكريم الذي نزل من مقام الأحدية الشامخ إلى الكشف التام المحمّدي (ص) لتكامل العالمين وليكون نقطة جمع كل المسلمين، بل العائلة البشرية (...) بلغ الأمر أنّ دور القرآن بيد الحكومات الجائرة ورجال الدين الخبثاء، الأسوأ من الطواغيت، عاد وسيلة لإقامة الجور والفساد وتبرير (ظلم) الظالمين وأعداء الله تعالى. أصبح القرآن، هذا الكتاب المصيري (...) لا دور له سوى (التلاوة) في المقابر ومجالس الأموات». (نص الوصية السياسية الإلهية، نشرة صحيفة الثورة الإسلامية، ص ٩).

يكرّر الإمام في وصيّته ان الإسلام سياسة إلهية، وأنّ من الخبث التلاعب على علاقة الإسلام بالسياسة: «وكلمة رجل الدين السياسي قد أصبحت مساوية لكلمة من لا دينَ له، ولا تزال الآن كذلك» (الوصية السياسية، م.س.، ص ٩). ويسمّي الإمام الأشخاص بأسمائهم، وبأفعالهم (ص ١١ـ١٢) ممن زيّفوا استعمال القرآن الكريم وخانوا الإسلام والمسلمين: «المذهب المعادي للقرآن، والمجرم المتسوّل... وشركاء إسرائيل المجرمة، الذين لا يتورّعون عن ارتكاب أية خيانة خدمة لأميركا وإسرائيل». هكذا يؤكد الإمام عقلانيته الثورية، قبل الثورة، وفي مرحلة

الجمهورية، وقبل الرحيل عن الفانية. فهو إماميّ، صراطيّ، قرآني صامد، مقاوم على «هذا الطريق الإلهي المستقيم (...) والمتحرِّر من الإرتباط بالشرق الملحد والغرب الظالم الكافر». (نص الوصية السياسية الإلهية، ص ١٣). ويسمّي عصرنا باسمه الحقيقي «عصر مظلومية العالم الإسلامي» بيد أميركا والإتحاد السوفياتي وسائر أتباعهما، مسترجعاً ثوابت فلسفته السياسية الجمهورية:

أ ـ ظاهرة إلهية هو الإسلام والحكومة الإسلامية، وهدفهما سعادة الدارين.

ب ـ الشعب الملتزم هو مؤسس الحكومة الإسلامية ـ الجمهورية الإسلامية ـ على أساس الإسلام وأحكامه السامية.

ج ـ صيانة الإسلام قمة جميع الواجبات؛ فالإسلام هو مع كل تجديد مدني، دنيوي، لا يتعارض مع تعاليمه الأساسية المعروفة.

د ـ عبادية ـ سياسية هي أغلبُ أحكام الإسلام (حكومة نبيّ الإسلام (ص)، حكومة علي بن أبي طالب (ع)): «لأن المرفوض هو الحكومات الشيطانيّة والديكتاتوريّة والظالمة ذات الأهداف السلطوية والمنحرفة. والدنيا المحذَّرُ منها هي تكديس الثروة والمال والعلوّ في الأرض، وانتهاج طريق الطاغوت». المطلوب هو حكم الحق المقام لصالح المستضعفين ولمنع الظلم والجور، وإحلال العدالة الإجتماعية.

هـ ـ الإسلام غريبٌ «محفوف بالأعداء من الداخل والخارج»، والجماهير المليونية «في العصر الراهن أفضل من أهل الحجاز في عصر رسول الله (ص) وأفضل من أهل الكوفة على عهد أمير المؤمنين والحسين (ع)(...) ونحن نفخرُ جميعاً بأن نكون في عصر كهذا، وفي كنف أمّة كهذه (...) اعتبروا أنفسكم من الجماهير والجماهير منكم». (نص الوصية، ص ٢٥).

و ـ لا يتفَق الإسلام مع نظام الرأسمالية الظالم، المتسّيب والمؤدي إلى حرمان الجماهير المظلومة المسحوقة. وليس الإسلام كالنظام الشيوعي الذي ينفي الملكية الفردية، بل «الإسلام نظام متعادل يعترف بالملكية ويحترمها مع تحديد سبل الحصول على الثروة، وسبل إنفاقها» (نص الوصية، ص ٤٥).

ختـــام

«على أنَّ ذهاب واحـد من العـاملين في حـقل الخـدمـة سـوف لا يخلّ بالسـدّ الحديدي الجماهيري».

بهذه العبارة ختم رسالته، صاحب الفؤاد الوادع والنفس المطمئنة والضمير المتفائل، مؤمناً بأنَّ ما جاء من الله ومن الجماهير باقٍ ما بقي الجهد والتضحية. فهو ثوري واقعي. لم يكن طوباوياً، لا في تجربته، ولا في وصيّته: «وفي ذلك اليوم الذي يظهر فيه المصلح العام إن شاء الله تعالى، لا تظنّوا أن معجزة ستحدث وأن العالم سيصلح في يوم واحد؛ بل بالجهد والتضحيات سيُقمع الظالمون ويُدفعون إلى الانزواء. وإذا كان اعتقادكم كاعتقاد بعض الجهلة المنحرفين الذين يذهبون إلى ضرورة السعي من أجل تحقيق الكفر والظلم كي يمتلىء العالم بالظلم وتتوفر بذلك مقدمات الظهور، فإنا لله وإنا إليه راجعون» (نص الوصية، ص ٥٧).

هكذا يظهر الوجه الإنساني، العقلاني، العلمي ـ العلماني لجمهورية إسلامية (علمانية) بمعنى أنها حادثة بأمره وبعلمه، حادثة في عالمنا، لا بالمعنى التركي المعادي للإسلام، نفسه، والذي يجري استغلاله في الإتجاهين لمحاربة المسلمين أنفسهم في بلادهم، ولتحريض العالم الغربي ضدهم بوهم أنهم ضد العلم والعالمية الإنسانية أو المعرفية، فجمهورية هذا المجدّد الثوري الكبير هي جمهورية إسلام حيّ، متماسك في نظرته إلى علاقة الإمام بالأمة، والشاهد الموجد بالمشهود الموجود؛ جمهورية قابلة للعولمة بدءاً من جغرافية إسلامية، يكدح سكّانها، يجهدون ويجاهدون لتحقيق أهدافهم بأنفسهم، بعدما أُعطوا ما يلزمهم من العقول والقرآن والسنّة والتجربة، لمواصلة بناء الجمهورية الإسلامية من اقصى المعمورة إلى أقصاها، دون انتظار أية معجزة من خارج أنفسهم وعقولهم، من خارج إيمانهم وعملهم بحرية وإبداع.

المصادر والمراجع

١ ـ خليل أحمد خليل: معجم المصطلحات الدينية، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٧ (رقم ٤ من سلسلة المعاجم العلمية، في عشرة أجزاء).

ـ العقل في الإسلام، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٩٤.

ـ جدلية القرآن، ط ٣، دار الفكر اللبناني، ١٩٩٦.

٢ ـ بودون ـ بوريكو: المعجم النقدي لعلم الإجتماع، تعريب سليم حداد، مجد. بيروت، ١٩٨٦.

٣ – PLATON, la Republique, ed. G./Flammarian, paris, 1966.

٤ – DICT. Larousse, fr. fr., Paris 1996.

٥ ـ المنجد، عربي ـ عربي، دار المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٩٨.

٦ ـ معجم العالم الإسلامي، مجد ـ بيروت، ١٩٩١ (تعريب د. جورج كتورة).

٧ ـ الحكومة الاسلامية، للإمام الخميني، ط ١، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٩.

٨ ـ كتاب المنطلق، الإمام الخميني، الفكر والثورة، ط ١، بيروت ١٩٩٠.

٩ ـ دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، نشرة المستشارية، دمشق ١٤٠٥ هـ ٢٤٤ ـ ١٩٨٥ م.

١٠ ـ الوصية السياسية الإلهية، للامام الخميني، نشرة صحيفة الثورة الإسلامية، د ـ ت.

١١ ـ هشام جعيط: الكوفة، دار الطليعة ـ بيروت (١٩٩٣).

الفتنة، تعريب خ.أ.خ.، دار الطليعة (١٩٩٤).

١٢ ـ مكيافيللي: الأمير، طبعة دار الحداثة ـ بيروت.

١٣ ـ عبد الله العروي: مكيافيللي وابن خلدون، تعريب خ.أ.خ.، دار الساقي ـ بيروت.

١٤ ـ الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة.

موقف الإمام الخميني (قده) من أشكال الحكم ونماذجه المعاصرة :

العراق ... نموذجا

الأستاذ بيان جبر

عضو المجلس المركزي.

ممثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين * ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونُرَي فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾. (سورة القصص ٤ - ٦)

تمهيد:

تميز المشروع الحضاري الخميني بعنوانه السياسي المغاير وفرادته في ادارة الحكم وقدرته على تأسيس ثقافة صراعية تتماهى مع الإستضعاف الإنساني إلى درجة الذوبان وتتناقض مع الإستكبار الى مستوى القطيعة والتنابذ بأشكاله كافة.

وهذا المشروع، بتمايزه الواضح وفرادته الأوضح، أغلق مسارب المعرفة على دولة تدعو الى الإسلام من موقع السيادة، وجعل ثقافة الدولة تنهج فعلاً مغايراً عن مناهج الدول الإيديولوجية عبر اعتبار الإنسان هو غاية الحياة والدولة وهو ركيزتها القادرة على بناء الحضارة الإنسانية الوسيطة.

فلأول مرة تقوم دولة للإسلام يقودها فقيه ينتمي مذهبياً الى تيار فلسفي يعتبر الدولة ركيزة المجتمع والأمة، ويعلق آمالاً طويلة على ازدهارها ونموها وقوة مؤسساتها في تحقيق أهدافه الإيديولوجية والسياسية في الحياة، وقد حققت هذه

الدولة ببنائها السياسي وشعاراتها الواقعية ولغتها الإيديولوجية المنفتحة على التيارات الإنسانية والسياسية والإجتماعية في العالم، أهدافاً لم يكن تحقيقها سهلاً بغياب مرتكزات هذه الدولة وقدرتها التي أثبتت تمايزها منذ اليوم الأول لانتصارها السياسي الشعبي العارم في ١١ من شباط ١٩٧٩، وفي مقدمة الأهداف وضع الدولة في خانة الدعوة، وبناء كتلة قيادية سياسية تتمتع بفهم حضاري للإسلام، قادرة على بناء دولة الإنسان المدني، وما أبلغ القول الخميني في هذا المجال حين يقول بعد انتصار الثورة الإسلامية «نحن حزب الله وأنصار الله وظيفتنا تعبيد الناس الى الله سبحانه وتعالى وتكريس حاكمية الحق وإقامة نظام يحقق العدالة الإنسانية والمساواة والحريات وفق هدى الشريعة المقدسة».

والحقيقة ، إن «الدولة» التي أقامها الإمام الخميني في استفتاء شعبي وتاريخي بعيد سقوط النظام البهلوي، تجاوزت الأبعاد القطرية للدولة التي تعير اهتمامها وأولوياتها للجوانب السيادية والمصالح والإمتيازات البراغماتية التي عادة ما تؤجل العمل بالمزايا الإعتبارية والمباني الشمولية للشعارات الفوقية التي قامت عليها هذه الدولة، وهذا التجاوز خلق تماساً مع الشعوب والأمم التي تتوق لعنوان الدولة العادلة أكثر من توقها حتى لمصالحها وامتيازاتها الخاصة، لأن الهدف من إقامة الدولة تحقيق العدالة والمساواة الإجتماعية في الحياة السياسية وترتيب البيت الداخلي الإنساني الأمر الذي جعل من مفهوم الدولة غائماً عند الكثير من الشعوب التي تنوء بحمل الدكتاتوريات والإستبداد الدولي.

ولهذا كان التوق الإنساني كبيراً عند هذه الشعوب، وهي ترى عنوان (الدولة) في إيران وفي المشروع الخميني يقدم الإعتبارين الإنساني – الحضاري، على العناوين القطرية الضيقة، واعتبر هذا الأمر مقدمة لطرح سياسي – كوني يحفز الإسلام على الحركية والتقدم والأخذ بأسباب القوة والواقعية نحو خلق نظام دولي قائم على العدالة الإجتماعية الإنسانية مما ألهب الشعور السياسي العالمي وحفّزه على بعث مكامن الأسئلة السياسية المتعلقة بالعدالة والمساواة والإستبداد والظلم في وجه الأنظمة الدكتاتورية وجعله ينادي بطرح شبيه للطرح السياسي المنجز في

إيران وبقيادة قريبة لقيادة الإمام الخميني والسبب هو أن إيران، بالرمز وبالمنجز السياسي، تحولت الى «خيار» استراتيجي عند الشعوب ومأوى من الإعتداءات الدولية وعملائها على الثروات والحضور والدور والعلاقة بالعالم.

إن التصور القائل بأن «الدولة» منجز ما بعد الإنتصار الإسلامي في إيران ولا تمت الى تاريخ المشروع الخميني بصلة أكذوبة أمبريالية يراد منها التغطية على الفشل الدولي في محاصرة الإنجاز الإسلامي في إيران. والحقيقة، إن علاقة الثورة بالدولة وعلاقة الرمز الخميني بالدولة علاقة تاريخية تعود الى بدايات هذا القرن.

بل في رأيي تتجاوز محاضرات الامام التي ألقاها في النجف الأشرف عام ١٩٦٣ في جامع الترك، واعتبر هذه المحاضرات نتيجة للجهد وليست مقدمة لطرح مشروع الدولة النظرية في الواقع الحوزوي، فالإمام الخميني قرأ الواقع الإسلامي واطلع على الهزيمة الكونية لعاصمة الدولة الإسلامية وخبر مظاهر التحلل والبعد عن الإسلام وغياب الشريعة عن واقع الحياة.

ومن غير المنطقي أن تغيب هذه العناوين عن رجل شهد هذه الإنهيارات الكونية وعاش سقوط الدولة الإسلامية في اسطنبول وعمره ٢٣ سنة، كان حينها طالباً في الحوزة العلمية. إن حلم الدولة الإسلامية وإقامتها وتكريس ثقافة سياسية تدعو إليها من صميم الواجبات الميدانية التي حرص الإمام على تعزيزها في واقع الجمهور الإيراني وفي أبجديات ثورته الإسلامية ضد الشاه وأذنابه والسياسة الخارجية التي أمدته بالجهد والتخطيط والدعم السياسي والعسكري.

عام ١٩٦٣ في النجف كان الترجمة الحية والحقيقية لجميع المعاني والدلالات والخيارات السياسية التي اختزنتها الفكرة الخمينية في أعماقها عن الإسلام بوصفه دولة ودستوراً وجيشاً وحدوداً وأمة.

ومنذ ذلك الوقت (فترة الستينيات) تحولت فكرة الدولة الإسلامية في ذهنه، «نوعا مميزاً» عن جميع أنواع الأنظمة السياسية العربية والإسلامية والدولية التي شهد هزيمتها وانقلاباتها العسكرية وإطاحاتها المتكررة وفشلها عن اللحاق بركب

عجلة النمو والإستجابة لمتطلبات التنمية الأساسية.

الإمام الخميني - حين أقام للإسلام «دولة» وفي واحدة من أهم مواقعها المميزة والمتفردة بموقعها الجغرافي والسياسي والحضاري وكونها نقطة متحركة وناشطة وملتقى للقارات في الفكر والإقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية. كان يعرف سلفا أن ما يقدم عليه يتنافى والسائد في الممارسات السياسية للدول وأن مصير «الدولة» التي سيقودها المزيد من الويلات والتآمر والملاحقة والحصار من قبل الأذناب والقوى المستأثرة بسلطان القوة العسكرية والحضور الأمني والمخابراتي في العالم. لهذا كان واعياً لخطورة الازمة، مدركاً لأبعادها الأمنية والسياسية في حياة الشعب الإيراني وقيادته، وحتى في حياته كفقيه ومرجع وإنسان تهمه مصالح شعبه، كما مصالح المشروع الإسلامي الذي يناضل من أجل تعزيز رصيده في واقع الحياة الإنسانية العربية والإسلامية والدولية، لهذا أعطى للاسلام وتجربته واتجاهاته الحركية جهده وامتيازاته وكل عناصر شخصيته المرجعية والسياسية والشخصية، ونذر نفسه دفاعاً عن المميزات الإسلامية ودولتها وحضارتها الآتية بقوة الى الحياة الدولية.

هذا الجهد، وبموازاة إنجازه الوطني والإسلامي الداخلي وبالنظر لما شكله من مزايا وحضور في الساحة الإسلامية والعالمية - كونه قلب الكثير من المعادلات وثبت مكانها معادلات لا قبل للعالم بها، من الطبيعي أن يحدث هزات تتفاوت في حجمها ومستواها وردات فعلها وسرعة استجابة الجمهور السياسي الإسلامي إزاءها. ومن الطبيعي أن يخلق تياراً سياسياً هو وليد التناقضات الجمة في السياسة العربية والدولية وفهمها لهذا المشروع الوليد الذي كانت تقرأ عنه وتعتقد أنه تجربة لا يمكن أن تبني ذاتها المستقلة وجيشها واقتصادها وسياستها ومجتمعها المدني وعلاقاتها الدولية بمعزل عن القوى الكبرى.

وبالفعل، ما أن انطلقت التجربة تمارس فعلها الإسلامي - السياسي الإجتماعي في الحياة العربية والإسلامية والدولية حتى بدأت الهزات تتوالى

مستهدفة السياق الوطني في الداخل وحجم الإنجاز في الخارج والشعار والخطاب وحتى أرواح الرموز والقيادات المدنية والسياسية في الداخل، وانطلقت الصيحات من هنا وهناك تعلن عن (رغبتها) العارمة في الإنقضاض على الوليد – المشروع والتخلص من ملامح السياق الجديد للإسلام والعمل على إعادة الشاهنشاهية التي كانت الى الأمس القريب الوحش الغربي الذي تخشاه كل الدول المطلة والمتشاطئة والمجاورة لايران.

والغريب أن الإستئناس العربي والدولي لمجيء الشاهنشاهية التي كانت عدوة لها ضد إيران الخميني ومشروعه الإسلامي ترافق مع أول شرارات التحدي الذي أعلنته «الدولة» الإسلامية في إيران للمشروع الغربي والأمبريالية والصهيونية وعملائها ومخططاتها في المنطقة، والمفاجأة الأكبر أن «الدولة» الإسلامية أوضحت أنها تختلف في الشكل والمضمون عن الأشكال السياسية الحاكمة في العالم، ظنا منها أنها بهذا الإعلان تؤسس رؤية في السياسة والإسلام وتخلق في الصميم الشعبي المتلهف من الخليج الى المحيط على الأقل لمعرفة أخبارها ونتائج ثورتها، قاعدة صلبة لمنع تسرب مظاهر المؤامرة الى أسوارها، وقد صدقت الثورة – الدولة في ظنها هذا ،وأعتقد أن ما قدمته الشعوب الإسلامية على مذبح الدفاع عن الثورة وإنجازها وقيادتها ومشروعها الخميني، وفي مقدمة هذه الشعوب – الشعب العراقي النبيل كان كبيراً – وكبيراً جداً، مثلما أعتقد أن الشعب العراقي دفع الثمن أضعافاً لحساب الثورة للتماس الشديد في الأهداف والأحلام والطموحات وما يريده الشعبان العراقي والإيراني تحقيقه على مستوى الهوية والتراث والبديل الإنساني والإسلامي الكوني في المنطقة.

إن ما سيرد في هذا البحث لا أعتبره دراسة مجزية لجميع مظاهر موقف الخمينية من أشكال الحكم المعاصرة، بل هو مدخل مهم لمعرفة ذلك، لأننا إذا أردنا أن نسترسل في المباني والنماذج والشواهد والأمثلة فإن البحث سيطول بالتأكيد لأننا في قراءتنا للدولة وأشكال الحكم وموقف الإمام منها سنجد أنفسنا أمام تاريخ حركي لا ينتهي، وهذا التاريخ ملك تجربة حرة فريدة مميزة في تعاطيها مع العالم

وقضاياه واتجاهاته، ومن حق الباحث أن يسترسل مع مراعاة الموضوعية بشأن هذا الموضوع لأنه أمام حالة مستمرة ورجل لا ينتهي. ولقد قصدنا في هذه المقدمة أن نثير هذه المسائل لنصل الى فحوى ما نريد، وما نريده هو الإطلالة على حجم الإنجاز الخميني في القرن الحالي وقدرته في استيعاب وهج القرن القادم كما حجم المؤامرة وأداتها في بغداد وهي تحاول جاهدة استئصال المشروع الخميني والقضاء عليه وإعادة نظام السيطرة الأجنبية مرة ثانية على الموارد والدور والثروة والحضور الدولي والعربي والإسلامي.

وقد اخترنا (النظام الصدامي الحالي في العراق) نموذجاً صريحاً للعداء الأجنبي للثورة والخمينية وموقفها من هذه النماذج، وربما سنصل بالإستنتاج الى طبيعة الرؤية التي حملتها الخمينية للأشكال السياسية الدولية المعاصرة من خلال رؤيتها إزاء ديكتاتورية بغداد ودورها السلبي في محاولة الإجهاز على الثورة.

الإمام الخميني وجذور علاقته بالقضية العراقية:

للإمام الخميني (رض) رصيد تاريخي ضخم من العلاقة بالشعب العراقي ومرجعيته الدينية وحوادثه السياسية، وبالخصوص علاقته بمركز حضارة العراق – النجف الأشرف... وهذا الرصيد أكسب الإمام (رض) المزيد من الدقة والتشخيص والقدرة في قراءة الموضوع العراقي وأزماته وقد كان العراق على الدوام يشكل القاعدة الروحية والفكرية النسبية والسببية للإمام، هذه القاعدة التي تنطلق منها شرارات الثورة والتخطيط وإسقاط الطاغوت، وبالفعل، تمكن الإمام منذ الستينيات التي لجأ فيها الى العراق بعد خروجه من إيران الى تركيا من الإفادة من الموقع العراقي ومرجعيته الدينية وميزاته السياسية الأخرى في الصراع ضد الشاه، وفي تسويق أفكاره في النهضة والدولة والشريعة الإسلامية.

منذ ١٩٦٣ الى حين خروجه من العراق ١٩٧٨ قسراً الى الكويت ومن ثم الى فرنسا ،إمتلك الإمام الخميني على مدار خمسة عشر عاماً من الإقامة في العراق أوسع ملف عن الأوضاع العراقية السياسية والإجتماعية والإقتصادية والمرجعية

وشؤون القيادة والحركة الإسلامية في العراق وعلاقة الأمة بالسلطة، وامتلك فهماً واسعاً أيضاً عن المهمات وإمكانية فهم استحقاقاتها في حياة العراقيين، سواء الإستحقاقات المترتبة على المرجعية إزاء الأمة او المترتبة منها على الأمة إزاء المرجعية.

في مقابل ذلك ،يمتلك الإمام الخميني نظرية سياسية في فهم السلطة العراقية وديكتاتوريتها وقمعها وعلاقتها بالمرجعية الدينية والشعب العراقي وحرياته وأهدافه الإجتماعية، وقد تجلى ذلك في الظرف الحساس الذي مرت به مرجعية الإمام الحكيم (رض) وعلاقتها بالسلطة وألوان الحيف والظلم والقهر والأكاذيب والتشويه الذي تحملته واحتملت نتائجه، سواء في رمز الإمام الحكيم أو في نجله الأبرز العلامة السيد مهدي الحكيم، وهي مرجعية متصدية كابدت سنوات طويلة من أجل الدفاع عن المرجعية والحوزة العلمية وكرامة المقدسات الإسلامية ومصالح الشعب العراقي والشعوب الإسلامية، وقد ارتبط الإمام الخميني مع الإمام الحكيم بعلاقة حافظت على الدوام على مركزيتها ونمطها المحافظ على أسس المذهب ومصالح الطائفة وسقف الدفاع عن الأمة في العراق والعالم الإسلامي.

وإذا كانت علاقة الإمام الخميني إتسمت بحماية المرجعية ومحاولة خلق خطاب إستنهاضي يدعو الى الشراكة في الحياة السياسية لا البقاء في هامشها، فقد إتسمت بالتخطيط والعمل الدؤوب لتنمية أسس انطلاقة الحوزة وتحديث مناهجها ورفد تيار الحركة الإسلامية بالفتيا ومجمل أشكال الدعم ورعاية مشروع الوعي بحزم وواقعية عبر ثنائية الخميني - السيد الصدر بداية السبعينيات. ولقد كان الإمام الخميني (رض) مدركاً لأبعاد التيار الإسلامي في العراق بجميع عناوينه وتفاصيله، وفي الكثير من الأحيان مشاركاً في شروح العمل، وأتذكر أن الحركة الإسلامية في العراق، وبناء على توجيهات من السيد الصدر، أصدرت بياناً وزع في المدن والمحافظات العراقية إضافة الى المدن المقدسة مثل كربلاء والنجف الأشرف وبغداد، دعت فيه الى ضرورة تقليد الإمام الخميني كونه رجل ثورة وزعيم شعب وقائد مشروع نهضوي إسلامي، وهي خطوة موضوعية جريئة وهامة في حياة

الحركة الإسلامية في العراق وعلاقتها بالإمام والشراكة الحقيقية في الطموحات والأهداف بين الإمام والحركيين الإسلاميين العراقيين.

هذا الأمر دفع الإمام الخميني للإطلاع أكثر على صورة الأوضاع العراقية من موقعه كمرجع وزعيم ثورة، مستفيداً من العداء المستحكم في العلاقات بين بغداد وطهران الشاه آنذاك، لكن الإمام وجد في ولوج نموذج ديكتاتورية السلطة وطبيعة أدائها السياسي وشدة قمعها للشعب العراقي المثال الذي يتشكل في معرفته إزاء حكم دموي لا يكترث بأرواح الناس، وأعتقد أن الإمام الخميني من بين العلماء الفقهاء المجاهدين الذين شخصوا دموية النظم ودعا الى إسقاطه لخلاص العراقيين من قهره واستبداده، ولعله من العلماء الذين اشتغلوا في هذا الإطار مع المرجعية الدينية، حيث كان يحث الحوزات على وعي المرحلة وتثقيف الناس ونشر بلاغ الإسلام وتنبيه الشعب العراقي لمخاطر السلطة. هذا إضافة الى أن الإمام لم يسلم من دمويتها وقهرها الذي امتد إليه بعد توقيع إتفاقية الجزائر ١٩٧٥، عبر التضييق والمحاصرة وفي الثمانينيات من خلال إجباره على مغادرة العراق الى الكويت.

بعد بروز شخصية الإمام الخميني كقائد إسلامي لأعظم حركة إسلامية شعبية مليونية في العصر الحديث، وصعود هذه الشخصية كرمز في ساحة الصراع مع النظام الشاهنشاهي وثنى الوسادة اليه في إيران، وانشداد العالم لثورته وخطابه ومنهجه الإسلامي الجديد، كان النظام الحاكم في العراق يعتبر الثورة والمشروع والإمام الخطر الحقيقي الذي يهدد مصالح (الحزب والثورة) أولاً والمصالح الإستراتيجية الغربية ثانياً، والسبب كما يعتقد خبراء السياسة والمطلعون على الشؤون العراقية يكمن في العلاقة الإستراتيجية بين الشعب العراقي والإمام. فتصوير الإمام والثورة بالخطر وتوظيف الإعلام والسياسة وإمكانيات الآمن والشائعة والتشويه لصالح طعن صورة الإمام في أذهان الشعب العراقي والإساءة للثورة ومنجزها بشتى صنوف الإساءة المقصودة كفيل بضرب التجربة الإسلامية في الصميم العراقي، لأن النظام يعرف مسبقاً العلاقة بين الأمة في العراق والحركة الإسلامية وبين الإمام الخميني والمرجعية الدينية، وأن الثورة جاءت لكي تسوق

أفكار السيطرة الفارسية والهيمنة الإيرانية على المنطقة، في الوقت الذي أعلن فيه الإمام أن فلسطين هي المشروع المركزي للثورة إن لم تكن السبب المركزي لثورة الشعب الإيراني ضد الشاه، لهذا نفهم أهداف العداء الصدامي للإمام والثورة، وهي أهداف تتعلق بذبح الوشائج التاريخية بين الطرفين وخدمة إسرائيل وإرساء تحالف مخزٍ مع الصهيونية وأنظمة الغرب وضرب الحركة الإسلامية والمرجعية.

بغداد ومشروع الحرب... اطلاق الرصاص على التاريخ

في «المجلس الوطني» العراقي، وهو أكثر المؤسسات إنتهاكاً من قبل صدام حسين لكثرة اختراقه وعدم احترام الشعب العراقي عبر إصدار القوانين القرقوشية، في هذا «المجلس» مزق صدام إتفاقية الجزائر التي وقعها هو نفسه مع حكومة الشاه بحضور هواري بومدين، وأعلن بدء الحرب ضد إيران الخميني ، واضعاً في خدمة هدف هذه الحرب التي خاضها بالنيابة عن الغرب - باعترافه بعد نهاية الحرب - خطاباً إعلامياً وقدرات سياسية واقتصادية وإمكانيات عسكرية يساعده مدد غربي غير طبيعي للإجهاز على الثورة وإخضاعه الدولة لأكبر عملية قنص مسلح في تاريخ المنطقة والعالم، وفي رسالة للشيخ الهاشمي رفسنجاني أيام كان رئيساً للجمهورية الإسلامية يؤكد صدام ،عبر سعدون حمادي وزير الخارجية آنذاك، أن الحرب ورطة ورطنا بها الآخرون، وأن ما كنتم تطالبون به وتحاربون من أجله طيلة السنوات الثمانية السابقة هو حق مشروع للشعب الإيراني.

وفي الوقت الذي كان فيه خطاب الحرب يجيش أغلب المواقف العربية باتجاه كسر إرادة الشعب الإيراني ومحاولة إخضاع قرار القيادة السياسية والدينية في طهران لقرار الزعامة الصدامية باعتبارها المدافعة عن البوابة الشرقية للوطن العربي، كانت الدول الخليجية، وبدعم أميركي واضح ،تبني الجسور العسكرية والميدانية العملاقة لضخ المزيد من الأسلحة والتقنية الغربية لصالح القرار في العراق بضرب الثورة واستهداف الدولة.

وأكبر دليل على أن الحرب خيضت بالنيابة عن المشروع الغربي، وكل

المتضررين من وجود دولة إسلامية في المنطقة، أن صدام حسين خرج من الحرب بقوة عسكرية أكبر من القوة التي دخل بها الحرب ١٩٨٠، أي أنه دخل باثنتي عشرة فرقة عسكرية وخرج بثماني عشرة فرقة، ودخل بثلاثمئة طائرة وخرج بألف طائرة وهكذا، وفيما كان النظام محاصرا في المؤسسات الدولية ذات الصبغة التجارية والإقتصادية والصناعية كالأوبك، ويخضع لميزان الإتفاقات الإقليمية والدولية، قفز بين ليلة وضحاها وعشية الشهور التي سبقت احتلال الكويت الى واجهة التحكم بقرارات النفط وأسعاره. وما قوله للشيخ رفسنجاني بأنه كان يخوض الحرب بقرار من الغرب إلا اعتراف واضح بالمشروع الذي كان يمشي فيه وبالإستراتيجية التي تحركه.

الإمام الخميني، صاحب منطق الدولة الإسلامية، أخضع مؤشر الحرب الى قرار الأمة أولاً، لهذا جاءته الأمة كلها ،وهي أشد زخماً وأقوى فعلاً وأمضى عزيمة في مواجهة استحقاقات التحدي الصدامي والدولي، والذي تتبع مجريات السنوات الثمانية من الحرب العراقية الإيرانية يلحظ بوضوح نماذج الإرادة الإلهية التي تمتع بها جيش الجمهورية وقوات التعبئة والحرس الثوري والمتطوعون الذين كانوا يأتون من كل مكان في إيران للتضحية من أجل سيادة الدولة الإسلامية وكرامتها ولأداء الواجب الشرعي والتاريخي والوطني والإسلامي والثوري إزاء الإمام الخميني وثورته ووجوده الشريف.

أما الشعار السياسي الذي رفعه الإمام وتبنته الدولة وقيادتها السياسية والروحية والشعب الإيراني وكل الغيورين من أبناء الأمة الإسلامية من الذين شاركوا في الحرب، خصوصاً أبناء العراق المجاهدو، فهو حماية الثورة بوصفها إنجاز الأمة وأملها في الإستقلال والحرية والكرامة وتحرير القدس الشريف من براثن الصهيونية والإذلال والسيطرة الإسرائيلية، وقد حقق الإمام بهذا الشعار إنجازات تاريخية كبيرة.

وفيما كان الإمام الخميني يحقق الإنتصارات السياسية والعسكرية، ويستعيد

زمام المبادرة الميدانية في الخطاب والميدان والعلاقات الدولية أيام الحرب، ويكتسب شعبية جماهيرية تجاوزت حدود إيران عميقاً في خط طنجا – جاكارتا ، كان النظام العراقي يربط جدلية الحرب بشعار سياسي تعسفي تحول الى مادة للسخرية الإعلامية والسياسية حتى عند دوائر القرار لسياسي الذي يمده بالدعم العسكري وخطط الحرب والسلاح واسلحة الإبادة الشاملة، فقد كان شعار النظام هو الحرب لأجل إسقاط طهران وتحرير القدس (طريق القدس يمر عبر طهران)، وهذا الإرتباك الذي ظهر عليه شعار حرب النظام أشير في الواقع إلى مجموعة من الملاحظات، يقف في مقدمتها:

– فقدان التوازن الميداني والعسكري في مواقع الحرب بعد أن استعادت الجمهورية والدولة الإسلامية زمام المبادرة ،عبر الإنتصارات التي حققتها في المحمرة وعبادان وشوش ودزفول وبقية النقاط والمناطق الإستراتيجية في إيران.

– إتضاح النوايا السياسية المبيتة في السيطرة على المنطقة، عبر التحول في القوة الى قدرة عسكرية تهيمن على السيادات والثروة والدور في المنطقة العربية، فصدام حسين الذي غالى في الإرهاب داخل إيران لن يتوانى – في وعي المنطقة وشعوبها بعد ثماني سنوات من الحرب والممارسة الدكتاتورية والدموية – عن إبادة أي شعب أو التطاول على أية دولة لا تخضع لشروطه وإملاءاته (الكويت والسعودية).

– غليان الشارع العراقي ضد النظام واهتزاز نمط الشعار عند الغالبية من أبناء الجيش العراقي الذي رفض الحرب ضد إيران الخميني منذ اليوم الأول لاندلاعها، ولولا قرارات الإعدام والإبادة وفرق الموت التي شكلها من المقربين منه ووضعها خلف الجبهات وإبادة وتصفية عوائل الهاربين من الخدمة، لتغير ميزان الحرب منذ الأشهر الأولى لها، وهذا الأمر دلل بوضوح على ديكتاتورية النظام وقداسة الموقع الذي يمثله الإمام في نفوس أبناء الشعب العراقي واتجاهاته الإجتماعية والسياسية الوطنية والإسلامية.

التحول الذي طرأ على الموقف الغربي العام من مشهد الحرب العراقية الإيرانية وقناعة المجموعة الغربية بدور إيران في العالم وأنها نظام لا يمكن أن يسقط بالسهولة التي تصورتها في الأيام الأولى لشن الحرب بقرار منها، وهذا التحول جعل النظام يمارس جميع فنون واتجاهات الدعاية لكي يحافظ على الأقل على سقف الإتجاهات الشارعية والسياسية التي خدعها في المنطقة العربية والعالم من أنه يحارب لحقوق تاريخية للعراق في إيران، وانه لم يقاتل إيران إلا بعد قراءة المشهد السياسي الغربي الذي كان يرغب بخنق مشروع الدولة الإسلامية وإعادة الشاه الى إيران مثلما حدث في ١٩٥٣ عندما أعادت واشنطن الشاه وأسقطت حكومة الدكتور محمد مصدق الوطنية.

بهذا التفاوت الصارخ في مبنى الشعار السياسي للحرب العراقية الإيرانية بين دولة الإمام الخميني ونظام صدام، تتضح باعتقادي أبعاد نظرة المشروع الخميني لتاريخ المنطقة وجغرافية الأنظمة والدول والمنظومات في العالم، فالإمام الخميني يريد إقامة دولة تسعى الى تهذيب قوامه شرعية الفكر والثقافة والحكم الشرعي، والسعي بهذه الشخصية الى هدف الأنبياء والأوصياء وحركات التحرر في الإسلام والجماعات الإسلامية الموحدة ،وهو تحرير القدس من براثن الصهيونية.

وهذا الأمر لم ولن ينسجم مع أغلب الأنظمة في العالم العربي والإسلامي ناهيك عن القرار الدولي باعتبار القدس عاصمة لاسرائيل، وباعتقادي، إن الإمام الخميني إعتبر الحرب، وهذا هو الصحيح ، إعلاناً غربياً - صهيونياً بشن الحرب على مضمون قيام الدولة الإسلامية في إيران، وهو التحرير الكامل لجميع الأراضي المحتلة بالعدوان والإرهاب والإنقلابات الغربية المباشرة وغير المباشرة للعالم الإسلامي. ولهذا جيش الخطاب والميدان وإمكانيات الشريعة الإسلامية والشعب الإيراني من أجل التعبير عن قداسة المعركة وأبعادها التي يخوضها الإمام الخميني ضد الكفر العالمي وأذنابه في المنطقة العربية.

لقد نجح الإمام الخميني عندما رفع شعار المعركة التي خاضها ضد التحالف

المتنوع ،وتحول هذا الشعار الى عقيدة وثقافة في حياة المجتمعات العربية والإسلامية التي تخوض أزماتها مع التحالف الغربي وأدواته، وفيما الشعار يأخذ أبعاده الإستراتيجية في الفكر وفي عقائد الأمم والشعوب الطامحة للإستقلال والحرية، اتخذ شكلاً آخر مغايراً في لبنان وحقق أهدافه الخمينية كاملة عبر انبثاق تجربة المقاومة الإسلامية وحزب الله، وفي الموقف القومي – العربي الذي تقوده سوريا الأسد في الساحة الإقليمية والعربية والدولية، عبر عقلية تبني خيار المواجهة مع الصهيونية على جبهتي الحرب والسلام، على أن الإمام الخميني (رض) يعتقد بإسقاط النظام في العراق لأنه نظام دموي بالفطرة ومعادٍ لتطلعات الشعوب العربية والإسلامية، ويشكل فوق هذا وذاك حجر الزاوية في مشروع الغرب السياسي والعسكري والفكري، ويمثل البوابة المتقدمة للمشروع الصهيوني في العراق والمنطقة العربية.

الإمام الخميني ونظام الردع الإقليمي

لم يخف الإمام، منذ انتصار الثورة الإسلامية في ١١ شباط ١٩٧٩، قلقه من مغبة قيام كانتونات غربية في المنطقة العربية الإسلامية تمثل الإرادة والسقف الغربي وتنفذ أوامره ومخططاته الإستراتيجية الطويلة والقصيرة الأمد، وكان ينبه من أهداف التحالفات والمناورات والإتفاقيات الإقتصادية والأمنية والسياسية التي تعقد بين منظومات دول المنطقة وأطراف الغرب.

ونظراً لسعة امتداد الثورة في أوساط الشارع العربي والإسلامي وحجم الإنجاز السياسي الذي حققته، اعتبر الإمام قضية التصدي للتحالفات والإتفاقيات المعقودة بين هذه الأطراف حلقة من حلقات مشروع تأسيس هلال إسلامي – عربي – إيراني قادر على ترجمة طموحات الشعوب الإسلامية وأهدافها في العزة والمنعة والكرامة والقوة، والهلال هذا مكون من إيران – العراق – سوريا – لبنان – فلسطين – الأردن سيشكل الإمتداد الطبيعي والجدار الصلب في مواجهة هذه الأحلاف وبناء نموذج إسلامي عريق في تصديه لمنهج هذه الأطراف.

كان الإمام يعتقد أن بلورة هذا الهلال سيفجر إمكانات المنطقة العربية والإسلامية السياسية والإقتصادية والإجتماعية والتنموية والصناعية، وفي هذا الإطار، أكد في خطاب سياسي شهير له أواسط الثمانينيات حجم الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي وحجم التحالف المقدس في إطار هذا الهلال حين قال «أمد يدي الى جميع الشعوب الإسلامية وأضع إمكانات الجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني في خدمة أهداف الإسلام وشعوب العالم في الحرية والإنعتاق من ربقة سيطرة القوى الكبرى».

وبموازاة ذلك اشتغلت الدبلوماسية الإسلامية الإيرانية بقوة في هذا الإطار، حيث سعت الى خلق أجواء إيجابية، خصوصاً بعد نهاية الحرب العراقية- الإيرانية، وتنمية خط العلاقة ما بين ايران ودول العالم الإسلامي، وأعتقد أن ما أنجز في سياق العلاقات الإيرانية- السعودية عامل هام في مشروع تأسيس قوة إقليمية عربية- إسلامية تدافع عن الثروة والدور والحضور في المنطقة وتسعى للتبادل والتعايش والعيش المشترك في إطار الإسلام والشريعة والمصالح الثنائية.

إن هذا الإنجاز السياسي الذي تحقق في العلاقات الإيرانية- السعودية والإيرانية- العربية، خصوصاً مع عواصم القرار القومي والمواجهة والتأثير في دمشق والقاهرة، مؤشر حيوي على قيمة ما بذلته الجمهورية الإسلامية من جهد اتسم بالكثير من الواقعية والهدوء والصبر والتحدي، وأعتقد أن ما ينتظر مجمل تحالفات وعلاقات إيران الخميني من استحقاقات في العلاقات الثنائية مع أطرافها أو مع الأطراف العدوة يفوق في الحقيقة ما كابدته أيام الحرب العراقية- الإيرانية.

الردع الإقليمي الذي اقترحه الإمام الخميني في سنوات الحرب وما دعت وتدعو اليه إيران اليوم مشروع للتكامل واللقاء على المشتركات، وليست لدى الجمهورية أية نية للتوسع والهيمنة لا على الاراضي العربية والإسلامية ولا على القرار السياسي والإقتصادي والأمني لبلدانها. ولعل في دعوة القيادة الإسلامية في إيران لإنشاء جيش العشرين مليوناً قدرة ومؤشراً في آن معاً على حيوية الطرح

الخميني وتجديده وتطوره والتناغم الكبير ما بين أهدافه الإسلامية وما تختزنه من سمو رفعة وبين الشعوب الإسلامية.

وفي يقين الإمام إن هذا الجيش العقائدي الإسلامي الكبير المؤلف من الوسط العربي والإسلامي يختزن كل أبعاد الهم الإسلامي التاريخي القديم. وفي مقدمة أبعاد هذا الهم تحرير فلسطين وحماية المنطقة من آثام الإستكبار العالمي وموبقاته ومؤامراته وخططه السياسية الإرهابية الآثمة.

وإذا كان صدام حسين نجح في البداية بإيهام أوساط من الشارع الإسلامي والعربي أن إيران تريد التوسع على حساب الأمن القومي العربي واحتلال الأرض العربية ونبش ما يسمى بالصراع العربي – الفارسي الذي لا يمت بأية صلة لأجواء الصراع الإسلامي في إيران ضد الدكتاتورية والتآمر في بغداد وصور المعركة بهذه الأبعاد، فإن النهاية التي انتهت إليها هذه الحرب واكتشاف الشعوب والأنظمة العربية دموية النظام وإرهابه، عبر احتلال الكويت، جعلت أفكار الإمام أكثر رواجاً في أرجاء المدارس السياسية في العالم العربي، وأكثر حضوراً في أذهان الشعوب بل وأقوى من حملات التشويه والتمزيق التي تعرضت لها في بداية الثورة، والسبب كما أعتقد واقعية الطرح الخميني في السياسة ومعرفته بأحوال التاريخ والأنظمة والحكومات ومصالح الشعوب، لأنه قيادة جاءت الى الزعامة السياسية الفعلية لكي تساهم في بناء نظام عربي وإسلامي يأخذ بالتنوع القومي والإجتماعي والديني والسياسي سعياً الى إثبات حضور النظرية السياسية القيادية الإسلامية في الحياة، مثلما كشف بالدليل أن إيران أفضل للعرب من حاكم عربي كصدام احتل الكويت ودمر البيئة بعد عشرين سنة من القطيعة والحرب وجحيم الإستئصال.

الإمام الخميني.. تاريخ من العلاقة بشعب العراق

لم يلتحم بحدود علمي شعب عربي مسلم مع قيادة ثورية إسلامية وفدت إليه من خارج خارطة سيادته القطرية مثل الشعب العراقي وعلاقته بالإمام الخميني وللعلاقة أسرار.

إن الإمام الخميني عاش منذ ١٩٦٣ حتى العام ١٩٧٨ في العراق وفي أقدس منطقة عراقية وأرقاها على مستوى الفكر والمعرفة والثقافة وجذور الشريعة، وهي النجف الأشرف، وفي هذه المدينة حدث التلاحم الكبير وسالت الدموع الغزيرة من عيون الإمام على شهداء العراق أواسط السبعينيات بعد إعدام خيرة أبناء الحركة الإسلامية وإرهاب السلطة الموجه ضد الحوزة ودورها وقداستها وحضورها الإسلامي، وقد كان الإمام، وهو يقود الشارع الإيراني من المنفى في العراق، يعيش هموم الشارع العراقي ويتبنى مطالبه السياسية والإجتماعية، ولطالما دخل بحوارات طويلة وجادة مع العلماء والفقهاء من أجل تدارس ما ينبغي فعله بموازاة حجم الأزمة مع السلطة بل حجم الضحايا الذين يسقطون في أتون إرهاب الدولة، وهناك حوادث كثيرة ومحطات تاريخية شاهدة على حميمية التلاحم الخميني مع أعتى نظام في التاريخ المعاصر.

وقد تميز نبض الشارع العراقي وتلاحمه مع الإمام الخميني بعد الإنتصار الإسلامي في ١١ شباط ١٩٧٩، عندما خرجت التظاهرات والمسيرات رغم أجواء الرعب التي فرضتها السلطة ضد الشارع تهتف بالحياة للمشروع الخميني ودولته وانتصاره الإلهي، وقدم هذا الشارع ،ومنذ اللحظات الأولى للإنتصار، عشرات الشهداء في كافة المدن والمحافظات العراقية، ناهيك عن مئات بل آلاف المعتقلين في السجون.

وأعتقد أكثر من ذلك، حين واجهت المرجعية الدينية الممثلة آنذاك بالإمام السيد محمد باقر الصدر إستحقاق الإنتصار الإسلامي في إيران برسالة بعثها للإمام الخميني أكد له فيها إستعداده للعمل كوكيل شرعي في أقصى قرية نائية من قرى العراق حين يأذن الإمام الخميني في ذلك، وهذا الأمر لم يحدث ولن يحدث في بقعة أخرى، مما يشير في الواقع الى جذرية علاقة الأمة ومرجعيتها في العراق بالإمام الخميني كونه، في عقيدتها، المنقذ والمخلص ومحقق حلم الأنبياء (ع) بإقامة دولة للإسلام.

إن الدم العراقي الذي أهرق على امتداد عمر الثورة منذ ٧٩ والى اليوم، مروراً بأيام الحرب العراقية- الإيرانية ،سيبقى الدليل على ذوبان الشعب العراقي والحركة الإسلامية في العراق بنهج الإمام ونظريته، كما نظرته للعالم، وإن العراقيين الذين قاتلوا الى جانب الجمهورية الإسلامية بجميع معاركها والأزمات التي كان تهدد مسيرتها لم يكونوا يقاتلون بدافع قطري أو إنتهازي أو أنهم اتخذوا الثورة والإمام ذريعة لدعم مشروع سياسي خاص لا علاقة له بالإسلام والسيادة الوطنية، بل وقفوا الى جانب الإمام ليقينهم أنه الممثل الشرعي للأهداف والدور والمشروع الإسلامي، وإن دل هذا الذوبان على شيء فإنه يدل على أصالة العراقيين ومرجعيتهم وقيادتهم وحركتهم الإسلامية قبل أن يكون ثقافة تعلموها في مدرسة فقهية أو سياسية.

التعقيبات

● الشيخ محمد قبيسي

هناك سؤال طرحه الأستاذ فضل شرورو، قال كيف انتصر الإمام ولم ينتصر غيره، ولعل أمراً ربانياً في هذا الموضوع لا يمكن أن تفي به دقائق ثلاث، ولكن كعناوين يكفي. أعتقد أن هناك تميزاً قامت على أساسه هذه الثورة، يرتبط بالأمة وخصائصها، حيث قامت لله مخلصة، صادقة، متفانية، والركن الثاني هو الفهم الأصيل للشريعة الإسلامية، باعتبارها رؤية عامة، وباعتبارها منظومة قيم، وباعتبارها قوانين ومسائل فقهية وتفصيلية.

والركن الثالث هو الإمام نفسه، باعتباره الكفوء واللائق للتصدي لموقع القيادة، وأقصد على مستوى الفقيه العارف بمسائل الإسلام على المستوى النظري، وهو العارف بدور الفقيه على مستوى الولاية والقيادة، وهو اللائق على مستوى التزامه بتلك الأهداف والشعارات وما طرحه من مفاهيم وتعاليم وتوجُيهات، فكان مثال الإنسان الصالح، النموذج، القدوة، الأسوة، والقائد النبراس الذي يخط بداية الطريق وهو في المقدمة.

والركن الرابع الذي أتصور أنه يشير إليه الأخ شرورو هو العنصر الغيبي، الإمداد الغيبي، الذي لا ينزل بصورة إعتباطية، بل نصل إليه من خلال الإيمان بالغيب والإعتماد على الله والإتكال عليه، بمعنى السعي لتحصيل ذلك الإمداد، وهنا نقطة أريد أن أشير اليها وهي أن الإمام عرف أن الإسلام كتعاليم مجردة لا يمكن أن يدخل الى ساحة الحياة، وأن دور الفقيه العارف بمسائل الإسلام هو الذي يستطيع أن يتعرف على أحوال الواقع وأحوال المجتمع، ويتعَرف على ما هو الممكن من تحقيقه على مستوى الشريعة.

أتصور أن هذا هو الذي تميز به الإمام، وتميز به فهمه للشريعة، وتميزت به الأمة، وهكذا حصل الإنتصار.

● **د. زهير غزاوي**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، يبدو أنني سأختلف قليلاً مع الزميل الذي سبقني وأحب أن أنبّه الى مسألة هامة في الأمسية السياسية هذه، في أن الإمام (قده) لم يُعطَ حقه من زاوية أساسية في التساؤلات التي طرحت، وهي لماذا انتصر؟

انتصر الإمام لسببين أساسيين، لا بد من ذكرهما هنا:

الأول: أنه رجل حزب، تنظيم، لقد صنع تنظيماً مكنه من الإنتصار، بحيث إنه نظم الشعب الإيراني، نظمه وراهن عليه، لهذا اعتمد على تنظيم حزبي بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، مستنداً الى تراث قام به من سبقه، وهو الإمام جعفر الصادق (ع)، الذي بدأ التنظيم، بكل ما تحمله أيضاً هذه الكلمة من معنى.

الثاني: طبيعة مدرسة أهل البيت (ع)، هذه الطبيعة المتميزة لمدرسة أهل البيت مكّنت الإمام من إنتاج حالة شعبية، طبيعة رجل الدين الفقيه في هذه المدرسة، وهو دور متميز شهد له من درس هذا المذهب، وأشير الى «هنري كوربان» في دراسته للناحية الربانية في مدرسة أهل البيت (ع)، والناحية التنظيمية أيضاً.

لهذا ،الزميل فضل شرورو لم يُشِر، وأنا قرأت البحث، ولكن هناك محاولة إغفال، كأنما كلمة «التنظيم» هي تهمة يجب أن لا تلصق بالقائد الرباني المتصوف، بينما في الواقع أن الإنتصار يتم بالجماهير المنظمة، وقد فعل ذلك الإمام.

● **(أحد الحاضرين)**

بخصوص الأستاذ شرورو، كانت له إشارة الى تصدير الثورة من قبل الإمام الخميني(رض) وعلّق على هذا الموضوع جهاراً ونهاراً وبدون مواربة أو تخفٍّ، طبعاً خلفية هذا التعليق ترجع الى اللغط في ذلك الزمن بالنسبة الى قضية تصدير الثورة، فأخذ مساحة كبيرة للجدل، وكان مثاراً للجدل حينها. أحب أن أشير إلى أن

تصدير الثورة ليس معناه تجييش الجيوش والتدخل في قضايا البلدان والشعوب الأخرى، وليس أيضاً معناه إيجاد الفوضى في الدول الأخرى، المفهوم الذي أعلنه الإمام (قده) في قضية تصدير الثورة، وكما أعلنه، أننا نريد أن نوصل صوتنا الى أسماع العالم، وأيضاً وضّح ووضع النقاط على الحروف من خلال المؤسسات التي ينبغي أن تعمل على تعريف العالم بقضايا إيران والإسلام من خلال وزارة الخارجية، فهي مسؤولة ،كما صرّح الإمام (رض)، عن إطلاع العالم على نهجنا وتطلعاتنا، ومسؤولة عن بيان الدوافع والأسس والأهداف للثورة الإسلامية. إذاً، فالقضية واضحة جداً.

● **د. طراد حماده**

عندي ملاحظة بسيطة متعلقة بإشارة، أردت فقط إنصاف الشاعر الألماني غوته في ما يتعلق بالإشارة إلى مسرحية «فاوست» التي وردت في بحث د. خليل أحمد خليل، خاصة أننا في الذكرى المئوية لهذا الشاعر، ومعروف أنه قد تأثر كثيراً بثقافة الشرق ،وبشكل أخص بثقافة بلاد فارس. صحيح أن الروح الفاوستية هي الروح الأوروبية بشكل عام، بما يختص بموقع العقل في الحضارة، لكن صراع فاوست بين الله والشيطان كان على قاعدة أن الإنسان منتصر على الشيطان، وفي السياسة هناك خلافات كبرى، لكن الروح العامة...

د. خليل: فاوست قد تحالف مع الشيطان.

د. حمادة: تحالف نعم ،ولكنه تحالف نتيجة رهان في السماء، وما كان الله سبحانه وتعالى ليقبل بقيام هذا الرهان لولا الثقة المسبقة بانتصار فاوست على الشيطان. المقصود بمداخلتي أن الروح العامة للإنسان، سواء كان غربياً أو شرقياً، في اليابان أو أوروبا أو لبنان وآسيا، هي روح مع الله وأن هذه الروح العامة للإنسان لا يمكن أن تكون إلاّ ضد الشيطان، ولكن قد تأتي في ظروف وثقافات معينة تحاول أن تحرف هذه الروح عن فطرتها الأساسية المتمثلة بانتصار الإنسان على الشيطان، الصراع يكون ليس ضد روح الإنسان في بلد أوروبي أو أميركا أو في أي مكان من

العالم، الصراع يكون ضد ثقافات إنسانية من واقع الإنسان نفسه وليس بمعنى الروح العامة لهذه الحضارات وهذه الثقافات.

● **د. عبد الرحيم علي (السودان)**

لا شك في أن ما أبداه الأخ المتحدث عن أسباب انتصار الإمام الخميني (قده) والجانب الرباني في ذلك صحيح، وقد ذكره السيد الخميني الحفيد في محاضرته صباح اليوم، لكن هذا لا يمنع أن هناك عوامل تاريخية وسياسية قابلة لأن تُرصَد وتُختبر، أدّت أيضاً وساعدت وكانت أسباباً لهذه الإرادة الالهية.

أنا أؤيد ما ذهب إليه بعض الإخوة من قبل، وأقول إن من الأسباب القوية أن الإمام الخميني (قده) قضى فترة طويلة جداً في تكوين مدرسين وعلماء منبثين في أوساط الشعب، وهؤلاء كانوا يحملون فكره ومدرسته، وما زالوا موجودين والحمد لله، وأضيف الى ذلك أنه كانت هذه المجموعة مستقلة عن الشاه في عيشها ورزقها، ومن المعروف أن علماء الدين إذا كانوا يعتمدون على الدولة، فإنهم يصبحون في كثير من البلاد، بسبب المؤسسات التي تزودها الدولة، يصبحون موظفين لدى الدولة، وخروجهم عليها يصبح مستحيلاً. هذا لم يحدث في ايران، وهذه نقطة مهمة يجب أن تذكر.

النقطة الثانية، أعتقد أن الإمام الخميني (قده) كانت له رؤية شديدة الوضوح وتوكلية، وإذا تابعنا تاريخ الثورة نجد أنه في مرحلة من المراحل كان من الممكن أن يتراجع الإمام وتُقهر التظاهرات الشعبية بضربة قاسية، وقد حدثت عدة ضربات، واحتجّ كثيرٌ من الناس، ولكن في تلك اللحظة كانت إرادة الإمام أن يستمر في الجهاد، ورغم أن هذا الجهاد كان سلمياً وغير مسلح، كما حدث في كثير من الحركات الإسلامية، لكن الإرادة في هذه الحالة كانت قوية لدرجة أن اميركا تراجعت وشعرت بأن هذا يعني أن تمضي في سحق جميع الشعب الإيراني، وتراجعت وأرادت حلاً وسطاً، وقدمت بختيار، وجاء عدد كبير جداً من الناصحين والعلماء والسياسيين ونصحوا الإمام بأن يقبل هذا الحل الوسط فرفض، مرة

أخرى كانت هناك مغالبة بين إرادتين، رفض الحل الوسط، وكان سبباً في النصر.

أنا اذكر أن حامد آلفر (متخصص في دراسة الثورة الإيرانية) كتب أنه قابل الإمام الخميني في نوفل لو شاتو في باريس قبل انتصار الثورة وقال له في هذه اللحظة عندما قدمت أميركا حلاً وسطاً : لماذا لا تقبلون هذا حفاظاً على أرواح الناس؟ كان جوابه بسيطاً قال: «نحن ليس علينا أن نبحث عن النصر، نحن علينا أن نتمسك بموقفنا المبدئي والإسلامي» ،وهذا مهم جداً.

ردود المحاضرين

رد / الأستاذ فضل شرورو

رغم أنني اختصرت في التلخيص لكني مسرور جداً لأن الإقتراح الذي اقترحته بأن تكون هذه الأسئلة مدار نقاش ومدار تركيز قد نال ما يستحقه.

أستسمح الرئاسة لأقول: عندما بدأت في كتابة هذا البحث في طهران وفي العشية كنا نتسامر مع الضيوف، فكان هناك بروفسور سويدي وآخر دانماركي، فسألوا بماذا أنت منشغل، فأجبتهم بانشغالي بإعداد بحث للمشاركة في الذكرى المئوية في بيروت مع الإخوة في حزب الله، وقد بدأت في التساؤل، وطرحت سؤالاً: قال السويدي، وقد كنت أحسبه مازحاً، قال: تأكد أنك لو وصلت الى الأجوبة لكنت رشحتك لجائزة نوبل، فقلت: ومن أين الحيادية لجائزة نوبل إذا كنت اكتشفت طريق النصر الذي اشتقه الإمام الخميني، قال: وهل تشك بحياديتها، إذا اكتشفت السبب فسوف تقود الإنسانية الى بعد الخلاص. ثم بين الجد والمزح قال: لماذا لا تقترح أن يعقد مؤتمر خاص فكري لطرح هذا التساؤل والإجابة عنه؟ إن كل المداخلات التي استمعت إليها أحترمها وأقدرها ،ولكنها كلها تقع ضمن بعض الأسباب وليست كل الأسباب التي أدت الى انتصار الإمام الخميني (قده) وتحقيقه لقيام الدولة الإسلامية في إيران.

الأمر الآخر، طرح أخ كريم موضوع الإقتصاد، العدد الصغير والعدد الكبير الذي يواجه الصهيونية، الإمام لاحظ ولا أذكر الحديث حرفياً عندما قال «إنني والله خجل من هذا العدد الكبير للمسلمين والعرب أمام هذا العدد الصغير لليهود، ولكن الخطأ أو الخيانة تكمن في الحكام» ليس النص وإنما فحواه، والتفت الى الشعب والتفت الى الجماهير ونادى بقيام الجهاد والكفاح المسلح. لست أقصد أخي العزيز بتصدير الثورة أن نجيش الجيوش وأن نبدأ بالفوضى وما الى ذلك، لا، تصدير

الثورة يعني أول ما يعني فكرها ومبادئها وسلوكها وأخلاقها، وبالتالي، إنعكاساتها على الجهاد المستمر، نحقق النصر بإذن الله.

رد / الدكتور خليل أحمد خليل

الأخ العزيز الذي أثار مشكلة الشيطان، في الحقيقة ممكن مراجعة كتاب «جان بودريار» «المجتمع الإستهلاكي» الذي ترجمته بالعربية، وهو الذي يتحدث عن هذه الظاهرة الأوروبية وليس أنا، ويقول إنه اليوم في المجتمع الإستهلاكي حلَّت السلعة محل الشيطان، وحلت واجهات المتاجر محل المرآة التي كان بطل فاوست يرى نفسه وذاته فيها.

يبدو أن هناك كثيراً من الإخوة لم يقرأوا الوصية الإلهية للإمام الخميني. أحب أن اذكرهم بما يلي: حتى أنه إذا ظهر الإمام المهدي (ع) - يقول الإمام «لا تظنوا أن معجزة ستحدث وأن العالم سيصلح في يوم واحد، بل بالجهد والتضحيات سيُقمع الظالمون ويُدفعون الى الإنزواء، وإذا كان اعتقادكم كاعتقاد بعض الجهلة المنحرفين الذين يذهبون الى ضرورة السعي من أجل تحقيق الكفر والظلم كي يمتلئ العالم بالظلم وتتوفر بذلك مقدمات الظهور فإنا لله وإنا اليه راجعون» (نص الوصية ص ٥٧).

فالمقصود هو إشارة، أو فهم رمزي للأمور وليس المقصود الأمور بذاتها، لأن الشيطان الأعظم هو أميركا الاستعمارية، مثلاً لو كان الغرب اليوم هو مثلما كان غوته يجب أن يكون، وكان فعلاً متحالفاً مع الله، فأيُّ إلهٍ هذا الذي يسمح باستعمار الشعوب وتدميرها واستغلالها، هل تسمية الإمام الخميني الرمزية، لأن الشيطان الأكبر هو شيء رمزي، فهو ليس شيئاً نتخيله نحن ونغض النظر عن أميركا وعن الإستعمار الماشي.

الجلسة الثالثة

● **رئيس الجلسة: الأب سليم غزال**

● اشكالية الوحدة والتنوع في المجتمع الاسلامي على ضوء فكر الإمام الخميني (قده)/

الدكتور علي لاغا

● التبعية والإستقلال في فكر الإمام الخميني (قده): مبدأ اللاشرقية واللاغربية /

النائب الحاج عبدالله قصير

● الوحدة في منظور الإمام الخميني (قده): موجباتها وتعقيداتها وأولوياتها/

سماحة السيد هاني فحص

● منهج الإمام الخميني (قده) بين الثوابت الفكرية ومصالح الأمة/

الدكتور حسن البنا ـ مصر

● المناقشات

كلمة رئيس الجلسة

الأب سليم غزال

الرئيس العام للرهبانية المخلصية

المسافر في هذه الأرض الواسعة يمر في السهول وفي الصحاري وإذا به ينتصب أمامه جبلٌ شاهق، قد تحب هذا الجبل أو قد لا تحبه، ولكن الجبل يبقى جبل، والإمام الخميني جبلٌ أشم في مسيرة الإنسان، ولا سيما في الجزء الأخير من القرن العشرين.

الإمام هو دوحة من هذه الأرض الغنية بالقيم، ساهم في يقظة الأمة الإسلامية والمشرقية لمواجهة الفتور من جهة والتصدي للهجمة الإستعمارية والصهيونية من جهه أخرى، ومن نتائج ثورته الفكرية والروحية والوطنية والقومية دعم حق الشعب الفلسطيني في أرضه وإقامة دولته، ودافع بنوع خاص عن القدس مدينة الاسلام ومدينة الأديان السماوية، نحن نغبط الأمم والشعوب التي تكرم أبطالها وتأخذ منهم عبرة لتتابع مسيرتها، فالذين أشرفوا في هذين اليومين على هذه الندوة وعلى ما أقيم من ندواتٍ في غير لبنان إنّا نغبطهم لأنهم يحيون ذكرى من كان جبلاً من جبال هذا القرن العشرين.

إشكالية الوحدة والتنوع في المجتمع الإسلامي
على ضوء فكر الإمام الخميني (قده)

الدكتور علي لاغا

باحث وأستاذ محاضر في جامعة الجنان في طرابلس

مقدمة

قال الله تعالى: ﴿**لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرضٌ والمرجفون في المدينة لنغرينّك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً * ملعونين أينما ثقفوا أُخذوا وقتّلوا تقتيلاً* سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً**﴾ (سورة الأحزاب، الآيات ٦٠ ـ ٦٢).

إن الله تعالى خلق الكون بموجب سنن لا تتغير، لا تتبدل ولا تتحول ﴿**فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنّة الله تحويلاً**﴾ (سورة فاطر، الآية ٣).

إنها الناموس الدائم والقانون الماضي في مسيرة حياة البشر ﴿**... ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكنّ الله ذو فضل على العالمين**﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٥١)، إذا كانت هذه الآية تصدرت بخبر انتصار نبي الله تعالى داود(ع) على جالوت، فإن الآية الثانية تتصدر بخبر إخراج المؤمنين برسالة محمد من ديارهم: ﴿**أُذن للذين يُقاتَلون بأنهم ظلموا وإنَّ الله على نصرهم لقدير* الذين أخرجوا من ديارهم بغير حقٍ إلا أن يقولوا ربُنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهُمْ ببعض لهُدِّمت صوامعُ وبيعٌ وصلواتٌ ومساجدُ يُذكر فيها اسمُ اللهِ كثيراً ولينصُرَنَّ الله من ينصرُهُ إنّ الله لقويٌّ عزيزٌ**﴾ (سورة الحج، الآيتان: ٣٩ ـ ٤٠)[1].

ومن بعض هذه السنن والقوانين ﴿**إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما**

(١) الصوامع: صوامع الرهبان، والبيع: كنائس النصارى، والصلوات: هي كنائس اليهود، والمساجد: هي مساجد المسلمين.

بأنفسهم﴾ (سورة الرعد، الآية ١١).

يقول الشهيد مطهري رحمه الله تعالى: «هذه الآية تبين السبب في تقدم الأمم وتأخرها. فلا يمكن أن تجتاز أمة مرحلة الإنحطاط لتدخل مرحلة الحضارة ما لم تبعد عن نفسها عوامل الإنحطاط، وكذلك، فأي أمة لا تتراجع من المرحلة الحضارية إلى مرحلة التأخر ما لم تقم باكتساب عوامل التأخر»[١].

لكن من السنن أيضاً استمرار الصراع بين الحق والباطل، والصدق والنفاق... وهذا ما أشار إليه القرطبي رحمه الله تعالى عند تفسيره ﴿**ولن تجد لسنة الله تبديلا**﴾ فقال: «... وفي الآية دليل على جواز ترك إنفاذ الوعيد، والدليل على ذلك بقاء المنافقين معه حتى مات (ص)»[٢].

مما تقدم تبدو الحاجة مستمرة، لا بل إن من مقتضيات سنن الله تعالى أن يقوم من يدافع عن الحق، كما أنه سيبقى من ينشر الفساد ويعين الباطل، والمعركة مستمرة، وهذا ما قصه القرآن الكريم من أن إبليس اللعين: ﴿**قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين**﴾ (سورة الحجر، الآيتان ٣٩ ـ ٤٠).

والى أحد العاملين بإخلاص إن شاء الله تعالى لنصرة الحق على الباطل، ولإعلاء كلمة الحق، يمضي البحث في سبر أغوار طرحه لمسألة الوحدة والتنوع في المجتمع الإسلامي، الإمام الخميني رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته.

الوحدة أمر إلهي:

قال تعالى: ﴿**إنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٩٢).

وقال سبحانه: ﴿**وإنّ هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون**﴾ (سورة المؤمنون، الآية ٥٢).

هذا هو المطلوب الإلهي في المطلق، وبغيره، يقول جل وعلا: ﴿**وأطيعوا الله**

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٤، ص٢٤٨.

(٢) الشهيد، مرتضى المطهري، العدل الالهي، ترجمة محمد عبد المنعم الخاقاني، الدار الإسلامية، بيروت، ط٢، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص ١٤١.

ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحُكُم واصبروا إنّ الله مع الصابرين﴾ (سورة الأنفال، الآية ٤٦).

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا...﴾ والمهمة: ﴿ولتكن منكم أمةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (سورة آل عمران، الآيتان ١٠٣-١٠٤).

الوحدة صفة ملازمة للإيمان:

قال رسول الله (ص): «مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١].

ومن حديث له (ص): «... كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»[٢].

الوحدة قيمة كونية:

«الوحدة قيمة كونية ساحقة تحكم قوانينها كل ميادين الوجود وعلى أساسها يتم التفاعل العظيم بين الكون والحياة والإنسان، ولولاها لاضطربت كل مفردات التكوين»[٣].

الوحدة قيمة إسلامية:

«ومن المعلوم أن الإسلام... جاء وفقاً لما أودع الله في هذا الوجود من سنن وأحكام، ولذلك فمن الطبيعي أن يشغل موضوع الوحدة الإنسانية مساحة كبيرة من اهتماماته، وهذا ما كان، فالآية الكريمة التي تقول: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم

---

(١) مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري، الحديث رقم ١٧٧٤.

(٢) المرجع نفسه، الحديث رقم ١٧٧٥.

(٣) معاونية العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي، حول الوحدة الإسلامية، أفكار ودراسات، ص٩.

﴿خبير﴾ (سورة الحجرات، آية: ١٣) إنما تشير - وبعمق - إلى هذه الحقيقة الشريفة»[١].

الوحدة في فكر الإمام الخميني رحمه الله تعالى:

في نداء له رحمه الله تعالى يقول: «يا مسلمي العالم الذين تملكون إيماناً بحقيقة الإسلام انهضوا واجتمعوا تحت راية التوحيد وفي ظل تعاليم الإسلام، واقطعوا أيدي الخونة المستكبرين عن أوطانكم وعن خزائنكم الممتلئة، وأعيدوا مجد الإسلام ودعوا الخلافات والأهواء النفسانية فأنتم تملكون كل شيء»[٢].

ويقول «إذا كان المليار مسلم منسجمين مع بعضهم البعض فمن يستطيع أن يكسرهم»[٣]. ويرى أن أية مصيبة تقع بهم ستكون حتماً نتيجة لتفرقهم «اليوم وكما في الماضي فإن كل سوء الحظ الذي أصاب المسلمين إنما هو من التفرقة وعدم الإجتماع تحت راية الإسلام المفتخرة»[٤]. والوحدة الإسلامية تحقق النصر للأمة: «الإسلام يريد منكم الإتحاد، يريد منكم الإعتصام بحبل الله، لماذا تمسّك كل واحد منكم بفرع أو التفت إلى الشرق أو إلى الغرب؟ لماذا لا تعتصمون بحبل الله معاً؟ تعالوا ودعوا هذه الأعمال واتحدوا مع بعضكم وليصبح الجميع معاً إخوة... واضربوا الخاضعين المخالفين للإسلام، واطمئنوا إلى أنكم إذا اتحدتم مع بعضكم فإنكم سوف تنتصرون ولن تستطيع قوة شرقية أو غربية أن تحكمكم»[٥].

دوائر الوحدة:

١ - وحدة المسلمين في إيران:

كان الإمام الخميني يوجه خطابه إلى الشعب الإيراني حاثاً إياه على الثورة ضد الشاه كي يؤسس حكومة إسلامية: «ليسعوا في سبيل استمرار هذه الثورة التي

---

(١) المرجع نفسه، ص ٩.

(٢) نقلاً عن «الاستقامة والثبات في شخصية الإمام الخميني» - ترجمة الشيخ كاظم ياسين، مركز الإمام الخميني الثقافي، ط ١، سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ص١٧٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٧٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٧٦.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٤٠.

تحقق رضى الله ورضى صاحب الزمان، وليحافظوا على مشعل الهداية هذا منيراً أكثر فأكثر...» ٢٨/ رجب/ ١٣٩٨ هـ، وفي خطاب آخر «سوف تستمر الثورة الإيرانية حتى النصر الذي هو حتماً من نصيب هذا الشعب الشجاع، وعليكم أن توصلوا هذه المسألة إلى الشعب بأسرع ما يمكن» ٢٣/ ٨/ ١٩٧٨ م.

وقال: «إن النضالات الحالية لإيران إنما هي حركة إسلامية كاملة بهدف تغيير كامل النظام الشاهنشاهي واستقرار حكومة الجمهورية الإسلامية» ١٦/ ١١/ ١٩٧٨[١].

٢ ـ الدائرة الإسلامية الكبرى: وحدة المسلمين:

في نداء وجهه الإمام الخميني إلى المسلمين في الحج بدا فيه عالمياً متجاوزاً كل الخطوط والحواجز التاريخية، لقد خاطب الحجاج جميعاً «السلام على جميع المسلمين في العالم، المؤمنين بالنبي الأعظم وخاتم الرسل والأنبياء، وبالقرآن كتاباً، وبالكعبة قبلة».

«وسلام على الذين أدركوا ما تنطوي عليه الدعوة الإلهية للوفود على بيت الله من معنى عميق، فقالوا: لبيك».

«اليوم، نحن في رحاب تقارب جميع مسلمي العالم، وتفاهم كل المذاهب الإسلامية، لإنقاذ بلدانهم من براثن القوى الكبرى القذرة»[٢].

دائرة الوحدة الإنسانية:

في معرض افتخاره بالشعب الإيراني المتمسك بالإسلام والقرآن وبمذهبه، يعلن الدعوة الشاملة للوحدة الإنسانية: «هذا القرآن الذي تدعو حقائقه إلى الوحدة بين المسلمين بل وبين عموم بني الإنسان» (من الوصية السياسية الإلهية)[٣].

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢١٠ – ٢١١.

(٢) نداء الإمام الخميني الى المسلمين في موسم الحج، بتاريخ ٢/ ١١/ ١٤٠٠هـ. نقلاً عن: حول الوحدة الإسلامية، أفكار ودراسات، مرجع سابق، ص ١٣ – ١٤.

(٣) نقلاً عن: الاستقامة والثبات في شخصية الإمام الخميني، م.س.ص: ٣٣٧.

وفي مقدمة وصيته يقول رحمه الله تعالى: «... ومن اللازم أن أذكر بأن وصيتي السياسية الإلهية لا تختص بالشعب الإيراني العظيم الشأن بل هي توصية لجميع الشعوب الإسلامية ومظلومي العالم من أي شعب ودين»[١].

والإسلام يشارك الهم البشري في تحقيق الصلاح ودفع الفساد «إن الإسلام يجيز جميع معطيات التمدن والحضارة، إلا ما أدى منها إلى فساد الأخلاق وذهاب العفة، فالإسلام إنما نهى عن الأمور التي تتعارض مع صلاح الناس، بل إنه يؤكد على ما كان منسجماً مع صلاح الناس منها»[٢].

أعداء الوحدة:

يعيد الإمام الخميني رحمه الله تعالى مسألة الإختلافات التي تنهش في الجسم الإسلامي إلى مخططات المستعمرين بمساعدة المأجورين من بين المسلمين، وذلك من دون التحدث عن انعدام المناعة، لا بل ضعفها في المجتمع الإسلامي، وإن كان قد ألمح إلى وجوب اعتماد الثقافة الإسلامية ومحاربة الثقافة الغربية «...وقفوا على أقدامكم، واحملوا على المثقفين الموالين للغرب والشرق، وجددوا هويتكم، واعلموا أن المثقفين الذين باعوا أنفسهم للأجنبي أذاقوا شعبهم ووطنهم الأمرّين»[٣].

لكن تبقى مسألة معالجة الضعف وتطبيب الجروح المفتوحة التي منها تندس جراثيم شياطين الإنس والجن، إن هذه الجراحات ما زالت تتسع فجوتها عبر تاريخ مرير من الصراع على السلطة من جهة، ومن جهة أخرى ضعف الجهد العلمي التجريبي وتحول قوة الإنتاج إلى غير المسلمين الذين لم يشعروا بفداحة الخطر الذي يدهمهم، بسبب قوة الزخم والدفع الذي انطلقت به الدولة الإسلامية والمجتمع المسلم في صدر الإسلام.

لذا، فإن النتيجة الطبيعية لحالات الضعف التي ألمت بالأمة المسلمة، وعلى

---

(١) الإمام الخميني، الوصية الخالدة، مركز الإمام الخميني الثقافي، ص ١٣.

(٢) الكلمات القصار، مواعظ وحكم من كلام الإمام الخميني، دار الوسيلة، ص ٢٤ - ٢٥.

(٣) نداء الإمام الخميني إلى المسلمين في موسم الحج، م.س. ص ١٥ - ١٦.

سبيل المثال لا الحصر، فإن صراع الصفويين في إيران مع الدولة العثمانية الذي أشعل حرباً لأكثر من قرنين أعاد الجيش الإسلامي الذي كان يحاصر فيينا لإخماد الثورات والحروب الداخلية. جاء في كتاب القضية الفلسطينية في كلام الإمام الخميني (قده) «ومع ظهور الدولة الصفوية في إيران التي جعلت من المذهب الشيعي مذهباً رسمياً في البلاد، وقعت الحرب بين تلك الدولة والدولة العثمانية بسبب دسائس أوروبا - وخاصة الإنكليز - وطالت تلك الحروب أكثر من قرنين، وفي الوقت الذي ابتدأت فيه أوروبا نهضتها العلمية والثقافية بعد معاهدة الصلح مع العثمانيين، كانت دنيا الإسلام تعاني من انشقاق كبير، وضعفت قوة المسلمين بسبب تلك الحروب الطويلة، وبدلاً من التوجه نحو الدفاع عن الحضارة الإسلامية، نشط الحكام المسلمون في الحروب الداخلية ومتابعة الأحقاد المذهبية»[1].

عودة إلى أعداء الوحدة الإسلامية كما جاء في نداء الإمام الخميني في موسم الحج.

١ - **النعرات القومية**: يقول الخميني رحمه الله تعالى «بعض الفئات انتهجت هذا (الخط القومي) أيضاً، فجعلت المسلمين مقابل بعضهم، بل وجرتهم إلى المعاداة أيضاً غافلة عن أن موضوع حب الوطن وأهل الوطن وصيانة حدوده وثغوره مما لا يقبل الشك والتردد، وهو غير مسألة إثارة النعرات القومية لمعاداة الشعوب الإسلامية الأخرى، فهذه المسألة عارضها الإسلام والقرآن الكريم والنبي الأعظم».

«النعرات القومية التي تثير العداء بين المسلمين والشقاق بين صفوف المؤمنين تتعارض مع الإسلام وتهدد مصالح المسلمين، وهي من مكائد الأجانب الذين يزعجهم الإسلام وانتشاره».

٢ - **الخلافات المذهبية**: يقول رحمه الله تعالى: «هناك ما هو أخطر من النعرات القومية وأسوأ منها، وهو إيجاد الخلافات بين أهل السنّة والشيعة، ونشر الأكاذيب

(١) القضية الفلسطينية في كلام الإمام الخميني، دار الوسيلة. م.س. ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

المثيرة للفتن والعداء بين الإخوة المسلمين»[١].

ويقول رحمه الله تعالى: «لقد ذكرت مراراً: أن لا أهمية للعنصر واللغة والقومية والإقليم في الإسلام فجميع المسلمين ـ سنّة كانوا أم شيعة ـ هم قوة متكافئون، متساوون في المزايا والحقوق الإسلامية» وأنه «ليس في الإسلام سني وشيعي، أو كردي وفارسي، فالكل إخوة»[٢].

التنوع وإشكاليته في المجتمع الإسلامي:

إن الوحدة التي نادى بها الإمام الخميني كإحدى ركائز المجتمع الإسلامي لا تعني أوحدية المذهب والفكر والرأي، بل هي وحدة شاملة مع حفظ حرية الرأي والفكر وإبقاء الخصوصية لكل تنوعات المجتمع الإسلامي، يقول المرحوم الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في وصف وحدة المسلمين: «الإتحاد أن يتبادل المسلمون المنافع ويشتركوا في الفوائد، ويأخذوا بموازين القسط، وقوانين العدل». ويشبّه المسألة بأخوين «شقيقين قد ورثا من أبيهما داراً أو عقاراً يقتسمانه عدلاً،... ولا يستأثر فريق على آخر فيستبد عليه بحظه».

ويقول: «وليس معنى الوحدة في الأمة أن يهضم أحد الفريقين حقوق الآخر». وينبه إلى أن الأفاعي وحيتان الغرب التي تريد التهام كل أقطار المسلمين تكفي لأن تكون جامعاً للمسلمين... (عند الشدائد تذهب الأحقاد)... أفلا تسوقهم المحن والمصائب التي انصبت عليهم صب الصواعق من الأجانب إلى إقامة موازين العدل والتناصف في ما بينهم..»[٣].

التنوع في المجتمع الإسلامي ليس في أساس الدين:

يقول الإمام الخميني رحمه الله تعالى بعد حديثه عن وجوب مقاومة ظلم الحكام «فعندما نرى هارون الرشيد يحبس الإمام الكاظم (ع) عدة سنوات، أو نرى

---

(١) الإمام الخميني، نداء في موسم الحج، م. س. ص ١٥.

(٢) الكلمات القصار، مواعظ وحكم من كلام الإمام الخميني، م. س. ص ١٣٣.

(٣) آية الله الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، كيف يتحد المسلمون، نقلاً عن: حول الوحدة الإسلامية ... م. س. ص٤٧.

المأمون يأخذ الإمام الرضا (ع) إلى «مرو» ليكون تحت نظره، ومن ثم يقوم بسمه، فليس ذلك لأن الأئمة (ع) سادة وأولاد النبي (ص) بينما الرشيد والمأمون معادون للنبي، إذ هارون والمأمون كانا شيعيين كلاهما، وإنما كان ذلك بسبب أن (الملك عقيم)[1].

جاء في هامش الصفحة: «مراد هارون من أن (الملك عقيم) هو أنه عندما يقع الخصام على الحكم والسلطة تنسى الأقارب، ولا يسمح الأب لإبنه بذلك الأمر، ويتبرأ منه وكأنه عقيم من الأساس، ولم يكن له ولد، ومقصود الإمام من (الملك عقيم) الإشارة إلى هذا المعنى» ا. هـ.

إن هذا التوضيح كافٍ لأن يسلط الضوء على أسباب الجراحات والإقتتال الذي يحصل بين الحكام ومن يريد تخليص السلطة من أيديهم، فإذا كان هارون الرشيد قد حبس الإمام الكاظم (ع) عدة سنوات فإن عبد الله بن طاهر حليف المأمون قتل الخليفة الأمين وأرسل رأسه إلى المأمون (شقيقه)، ويعود الخلاف بين الأمين والمأمون إلى أن الأمين كان قد خلع المأمون من ولاية العهد وعين إبنه موسى مكانه، وهذا كان كافياً لقتله وإعلان البراءة منه، بينما المأمون قام بمبايعة الإمام علي الرضا (ع) ولياً للعهد فأغضب ذلك العباسيين، الذين هم وأولاد أمير المؤمنين علي (ع) أبناء عمومة، فالعباس هو شقيق أبي طالب والد أمير المؤمنين علي كرَّم الله تعالى وجهه، وقاموا بإعلان خلعه في بغداد وعقد الخلافة إلى إبراهيم بن المهدي، وفي طريق المأمون إلى بغداد وعقد الخلافة إلى إبراهيم بن المهدي، توفي ولي عهده علي الرضا (ع)وقد اتهم المأمون بقتله تقرباً إلى العباسيين[2].

---

(١) الإمام الخميني، الحكومة الإسلامية، مركز بقية الله الأعظم، بيروت، ط ١،سنة ١٤١٨ هـ ١٩٩٨م، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٢) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج٢، ط٧، سنة ١٩٦٤، مصر، ص ١.

جاء في كتاب تاريخ الخلفاء للسيوطي، مصر، ط ١، سنة ١٣٧١ خـ - ١٩٥٢م، ص ٣٠٧ ما يلي: «وفي سنة إحدى ومئتين خلع أخاه المؤتمن من ولاية العهد، وجعل ولي العهد من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق، حمله على ذلك إفراطه في التشيع حتى قيل: إنه هم أن يخلع نفسه ويفوض الأمر إليه، وهو الذي لقبه الرضى، وضرب الدراهم باسمه وزوجه ابنته، وكتب الى الأفاق بذلك، وأمر بترك السواد ولبس الخضرة فاشتد ذلك على بني العباس جداً، وخرجوا عليه وبايعوا إبراهيم بن المهدي، ولقب «المبارك» فجهز المأمون لقتاله، وجرت أمور وحروب، فكتب المأمون إلى أهل بغداد يعلمهم أنهم ما نقموا عليه إلا بيعة لعلي وقد مات...».

أياً كان الأمر فكما قال الإمام الخميني (الملك عقيم)، فالمأمون ووالده كانا شيعيين، مع أنهما توليا خلافة المسلمين ولم يخدش ذلك في عقدها لهما، كما أن التشيع لم يمنع التهمة عن المأمون بدس السم لولي عهده علي الرضا (ع)، كما لم يمنع والده من سجن الإمام الكاظم، عدة سنوات، وكذلك، فإن الأخوّة لم تمنع المأمون من قتل أخيه الأمين وكان خليفة، وهذا كان شأن كل من تولى السلطة، بالقتل يصل وبالقتل يذهب إلا من رحم الله...

والجور المشكو منه كان عاماً على كل الناس سواء في العهد الأموي الذي لم يعمر إلا حوالى تسعين سنة تقريباً، بينما العصر العباسي عمر حوالى خمسمئة سنة، والعباسيون هم هاشميون وليسوا أمويين...

في النداء الأخير للشهيد محمد باقر الصدر رحمه الله تعالى يؤكد إمكانية المشاركة في حكم واحد بقوله: «وأريد أن أقولها لكم، يا أبناء علي والحسين وأبناء أبي بكر وعمر، إن المعركة ليست بين الشيعة والحكم السني. إن الحكم السني الذي مثله الخلفاء الراشدون والذي كان يقوم على أساس الإسلام والعدل، حمل عليٌّ (ع) السيف للدفاع عنه، إذ حارب جندياً في حروب الردة تحت لواء الخليفة الأول (أبي بكر)»[1].

ومما يدعم ما ذهب إليه كلٌّ من الشهيد الصدر والإمام الخميني رحمهما الله تعالى موقف علي بن أبي طالب من عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما عندما استشاره الخليفة عمر بالخروج إلى غزو الروم بنفسه، فقال له عليٌّ رضي الله عنه «إنك متى تسرْ إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم بشخصك فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم، ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً مجرباً، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت ردءاً للناس ومثابة للمسلمين»[2].

---

(١) النداء الأخير للشهيد محمد باقر الصدر، نقلاً عن: حول الوحدة الإسلامية، م. س. ص ٢٦.

(٢) نهج البلاغة، دار المعرفة، بيروت، ج ٢، ص ١٨.

لقد خاف عليٌّ كرَّم الله وجهه على الخليفة من أن يقتل فلا يبقى للمسلمين مرجع يرجعون إليه...

التنوع بين المسلمين وغير المسلمين:

يقول الإمام الأكبر محمود شلتوت: «والإسلام لا يرى أن مجرد المخالفة في الدين، تبيح العداوة والبغضاء، وتمنع المسالمة والتعاون على شؤون الحياة العامة فضلاً عن أن تبيح القتال لأجل تلك المخالفة، والقرآن يقول: ﴿**قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي ديني**﴾ (سورة الكافرون، كاملة)، ويقول: ﴿**فلذلك فادعُ، واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من الكتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير**﴾ (سورة الشورى، آية ١٥).

وقد وصى الله الإنسان بوالديه حسناً، وأن يعاشرهما بالمعروف، ولو كانا مشركين، وجاهداه على أن يشرك بالله مثلهما: ﴿**إن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً**﴾ (سورة لقمان، آية ١٤).

وكذلك يبيح أن يرتبط بأهل الكتاب (اليهود والنصارى) عن طريق المصاهرة، فيتزوج منهم ويكونون أخوالاً لأبنائه، ويكون لزوجته الكتابية من الحقوق والواجبات نفس الحقوق والواجبات المقررة للزوجة المسلمة، ويكون لها كذلك الحق الكامل... والقيام بفروض عبادتها، والذهاب إلى كنيستها لأداء طقوسها[1].

دستور الجمهورية الإسلامية في إيران:

الأصل الثالث عشر:

«الإيرانيون الزرادشت واليهود والمسيحيون هم وحدهم الأقليات الدينية المعترف بها، وتتمتع بالحرية في أداء مراسمها الدينية ضمن نطاق القانون. ولها أن

(١) محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، ص ٤٤ - ٤٦.

تعمل وفق قواعدها في الأحوال الشخصية والتعاليم الدينية».

الأصل الرابع عشر:

بحكم الآية الكريمة: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يُخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم * إن الله يحب المقسطين**﴾ (سورة الممتحنة، آية ٨ ـ ٩).

«على حكومة جمهورية إيران الإسلامية وعلى المسلمين أن يعاملوا الأشخاص غير المسلمين بالأخلاق الحسنة والقسط والعدل الإسلامي، وأن يراعوا حقوقهم الإنسانية، يسري هذا الأصل على الذين لا يتآمرون ولا يقومون بأي عمل ضد الإسلام أو ضد جمهورية إيران الإسلامية» ا. هـ.

الإمام الخميني وغير المسلمين في المجتمع الإسلامي:

إن نظرة الإمام الخميني لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي هي النظرة الموحدة المؤسسة على هدي القرآن الكريم، ويفرق بين الصهيوني الإسرائيلي وبين اليهودي لمجرد أنه صاحب دين، وكما هو معلوم، فإن الشريعة الإسلامية تعاقب كل باغٍ حتى ولو كان مسلماً، فالبغي هو جريمة بحد ذاته، أما كون الإنسان يهودياً أو نصرانياً، أو مستأمناً فلا يجوز الاعتداء على حرماته وحريته، له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين، لا بل أكثر من ذلك، فإن الشريعة الإسلامية أعطت اليهود والنصارى ما يشبه الحكم الذاتي في المصطلح السياسي الحديث، وشرعة أهل الذمة هي قانون الجنسية أو الإقامة في بلد آخر في العصر الحديث.

وهذا ما ذهب إليه الإمام الخميني، والإقتباس التالي يحدد تلك العلاقة: «... فإن وفد شخص إسرائيلي إلى بلادنا ـ وأشير هنا إلى أن المقصود هو الإسرائيلي لا اليهودي ـ فلا يحق لأحد التعرض لليهود الموجودين في إيران، فهم تحت حماية الإسلام والمسلمين، لا يحق لأحد التعرض لليهود أو النصارى، فهؤلاء أتباع مذاهب

رسمية، وقد تعرض البعض للبهائيين، وقد واجهت الدولة ذلك...»[١].

«سوف تقطع كل العلاقات مع إسرائيل، غير أن اليهود مختارون في البقاء في إيران والعيش في أجواء أكثر حرية من العهد الملكي، ذلك لأن الإسلام يحترم جميع الأديان»[٢].

وقد فرق الإمام الخميني بين اليهود والصهيونية، ورداً على سؤال في هذا الشأن قال: «إن الموقف من اليهود يختلف عنه مع الصهاينة، فإذا ما انتصر المسلمون على الصهاينة، فإنهم سينزلون بهم نفس المصير الذي أنزلوه بالملك، ولا شأن لهم باليهود، فاليهود طائفة تمارس حياتها كبقية الطوائف ولا شأن لأحد بهم»[٣].

وعلة التفريق بين اليهود والصهيونية قال عنها الخميني: «إننا نعتقد بضرورة التمييز في معاملة اليهود من جهة والصهاينة والصهيونية من جهة أخرى، فالصهاينة ليسوا أهل الديانة اليهودية أصلاً، فتعاليم موسى (ع) إلهية سامية...» «... وهذا الأمر يختلف عما تخطط له هذه العصابة الصهيونية اختلافاً جذرياً، فالصهاينة مرتبطون بالمستكبرين يعملون جواسيس وخداماً لهم»[٤].

خلاصة الموقف أن غير المسلم في مجتمع المسلمين يحاسب إذا ارتكب جرماً يستوجب العقاب، شأنه شأن أي مسلم، ولهذا، فإن الأمة الإسلامية عاشت عبر التاريخ بكل تنوعاتها، وهي الأمة الوحيدة التي تترك شريعتها للآخر الفرصة للمحافظة على هويته وذاتيته بعيداً عن أي إرهاب أو مصادرة...

---

(١) خطاب الإمام بتاريخ ١٦/ ١٢/ ١٩٧٨ صحيفة النور، ج ٤، ص ٧٩. نقلاً عن: القضية الفلسطينية، كلام الإمام الخميني، م. س. ص ٤٧.

(٢) لقاء الإمام مع المراسلين الأجانب ١٦/ ١/ ١٩٧٨ صحيفة النور، ج ٤، ص ٢١٩، نقلاً عن: المرجع نفسه، ص ٤٧.

(٣) لقاء الإمام مع إذاعة وتلفزيون ألمانيا بتاريخ ٩/ ١١/ ١٩٧٩ - صحيفة النور، ج ١٠، ص ١٧٠، نقلاً عن المرجع السابق، ص ٤٨.

(٤) خطاب الإمام الخميني في عدد من أعضاء المجمع اليهودي في ايران بتاريخ ١٤/ ٥/ ١٩٧٩، صحيفةالنور ج ٦، ص ١٦٤، نقلاً عن المصدر نفسه، ص ٥٠.

الخاتمة

إن وحدة الأمة بكل تنوعاتها أمر لا بد منه، وبغير ذلك ستتكالب الأكلة على قصعتها، وليس ذلك بسبب قلة المسلمين ولكن لأنهم غثاء كغثاء السيل... وعندما يقال العالم الإسلامي أو الحضارة الإسلامية، فإن هذا يعني كل المساهمين في بنائها من مسلمين وغير مسلمين لا فرق، وأن هذا العالم هو واحة حب وتسامح ومحافظة على كرامة الإنسان كإنسان لا أكثر ولا أقل...

ورحم الله تعالى الإمام الخميني وكل من ماثله في إعادة مشاعر اللحمة إلى الأمة، فقد أعاد شريحة كبيرة إلى موقعها الطبيعي كي تساهم في بناء صرح الوجود الحر الحضاري للمسلمين في العالم وذلك بعد غيبة طويلة، فمن وصيته «...أن لا يغفلوا عن صلاة الجمعة والجماعة التي هي مظهر البعد السياسي للصلاة، فصلاة الجمعة من أعظم عنايات الحق تعالى على الجمهورية الإسلامية في إيران»[1].

وحض رحمة الله تعالى عليه بوصيته على ولوج مكان الإنتاج والعمل على إشباع حاجات الناس، وإقفال باب الحديث عن موقف الإسلام من العلم والصناعة «إذ كان من الواجب في مستهل الحياة الدنيا أن تطبق العدالة الإجتماعية منعاً للظلم والنهب والقتل، فهل أصبح هذا النهج قديماً اليوم لأننا في قرن الذرة؟ والإدعاء أن الإسلام معارض للتجدد على طريقة محمد رضا بهلوي المخلوع الذي كان يقول: «هؤلاء يريدون أن يسافروا في هذا العصر بواسطة الحيوانات، هذا ليس إلا إتهاماً أبله لا غير، لأنه إذا كان المراد من مظاهر التمدن والتجدد الإختراعات والإبتكارات والصناعات المتطورة التي تؤثر في تقدم البشر وتمدنهم... فلا الإسلام ولا أي دين

(١) الإمام الخميني، الوصية الخالدة، ص ١٢.

توحيدي يعارض ذلك أبداً ولن يعارض، بل إن العلم والصناعة مورد تأكيد الإسلام والقرآن المجيد»[1].

ويبقى أمر لا بد من الإشارة إليه، فإن الأيام تعد العلماء لأن يفهموا من القرآن ما لم يفهمه من سبقهم، على حد قول السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى، وهذا ناموس غلاب.

واليوم بعد مرور عقد على وفاة الإمام الخميني استجدت أمور وباتت مقبولة، وانعقدت صداقات بعد عداوة تاريخية، والعالم في تغير.. وهذا أمر مشهود، مع أن ما أصبح مقبولاً اليوم كان من المحرمات في ما مضى...

إنها الخبرات والتجارب التي تثري فقه الفقهاء وتنضج عقل العقلاء... رحم الله تعالى الإمام الخميني، ورحم الأمة الإسلامية جمعاء، وكتب الهداية للبشرية المعذبة... إنه سميع مجيب.

والحمد لله رب العالمين

(١) الوصية الخالدة. ص ٢٠.

التبعية والإستقلال في فكر الإمام الخميني (قده) :
مبدأ الإشرقية والإغربية

النائب الحاج عبدالله قصير
نائب في البرلمان اللبناني

إن الإحتفاء بمئوية الإمام الخميني (قدس سره) يشكل مناسبة مهمة للباحثين والدارسين والمفكرين لتناول فكر الإمام الوقاد وحركته الجهادية التي أسست لعودة الإسلام إلى الحضور الفاعل في الساحة السياسية العالمية بعد قرون من الإنكفاء. كما أن فكره النير أصبح، بأبعاده الحيوية وفعاليته، مرتبطاً بحياة الأمة ومستقبلها وبتجربة الإسلام السياسي في نهاية القرن العشرين ومطلع الألفية الثالثة.

فقيام الدولة الإسلامية في إيران أعطى بعداً سياسياً مجتمعياً وعلمياً للمشروع الحضاري الإسلامي، أكد أهمية استقصاء جميع أبعاده من قبل الباحثين بما هو تجربة معاشة لها خصائصها وميزاتها، لا سيما شخصية قائدها الإمام التي تميزت عن غيرها من الزعامات بمجموعة من الخصائص التي تستحق الدرس والنظر.

إن شمولية فكر الإمام وسعة موضوعاته وتشعبها، كماً ونوعاً، لا تعفينا من المقاربة العلمية لتناول بعد من أبعاد هذا الفكر النير المتجدد الذي أنتج كل هذا الواقع الجديد للإسلام المحمدي الأصيل.

لقد اخترت أن ألامس في بحثي أحد الأركان المهمة لفكر الإمام الخميني، والذي شكل تميزاً نوعياً في البيئة السياسية السائدة والمحيطة بتجربة الإمام ونهضته.

وهو موضوع(التبعية والاستقلال) الذي استند إلى مضمون قرآني رسالي **﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباحٌ المصباحُ في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يُوقَدُ من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد**

زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء وضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾[1] وأنتج شعاره اللاشرقية واللاغربية.

يجري التمييز عادة بين التبعية كعلاقة وبين التبعية كمجموعة من الأبنية. ويُقر أحد منظري التبعية (دوسانتوس) هذا التمييز ليقدم تعريفين للتبعية هما:

١- «التبعية هي الموقف الذي تكون فيه اقتصاديات مجموعة معينة من الدول مشروطة بنمو وتوسع اقتصاد آخر تخضع له».

٢- «إن التبعية تتعلق بتكثيف البناء الداخلي لمجتمع معين بحيث يُعاد تشكيله وفقاً للإمكانيات البنيوية لاقتصاديات قومية محددة»[2].

لا شك بأن الرؤية الإسلامية للتبعية تختلف عما ذكره دوسانتوس من تعريف اقتصادي أو بنيوي لها، وقد أشار الإمام في حديثه عن التبعية بأنها حالة شاملة في المجتمع، تبدأ في شخصية الفرد ونفسيته ومنهج التفكير عنده وفقدان الثقة بنفسه، وتتغلغل الى البناء الإجتماعي في التشكل العلاقاتي والمسلكي والأخلاقي، وترتقي الى الثقافة والفكر ثم السياسة والإقتصاد.. الخ، وهي عملية متداخلة ومتشابكة بجزئياتها، ولا يمكن إحداث قطع حاد بين أصنافها وأشكالها، نظراً لتداخل عناصر البناء المجتمعي المختلفة.

وهو ما يعبر عنه الشهيد الصدر في مقدمة كتابه (اقتصادنا) حيث يقول: «وقد عبرت التبعية في العالم الإسلامي لتجربة الإنسان الأوروبي الرائد للحضارة الحديثة عن نفسها بأشكال ثلاثة زمنياً، ولا تزال هذه الأشكال الثلاثة متعاصرة في أجزاء مختلفة من العالم الإسلامي الأول: التبعية السياسية، الثاني: التبعية الإقتصادية والثالث: التبعية في المنهج»[3].

---

(١) سورة النور. الآية ٣٥.

(٢) د. أسامة الغزالي حرب- الأحزاب السياسية في العالم الثالث - القاهرة - ص٥٦-٦٦.

(٣) محمد باقر الصدر - اقتصادنا - دار التعارف للمطبوعات - بيروت - ١٩٨١م - ص٩.

ويحتل مفهوم رفض التبعية حيزاً أساسياً في فكر الإمام السياسي، ويمتد أفقياً مع بدايات تحرك الإمام السياسي وطرح أفكاره الثورية في الحوزة العلمية وأوساط المجتمع الإيراني، ويستمر حضوراً في خطاب الإمام السياسي والنهضوي في منفاه في العراق، وكذا يتكثف هذا المفهوم حضوراً في خطاب الثورة وبعد انتصارها، كما يسجل حضوراً بارزاً في خطاب الإمام بعد قيام الدولة ولا يخرج هذا المفهوم من خطابه حتى في الوصية السياسية التي تركها بعد وفاته.

كذلك يمتد حضور هذا المفهوم عمودياً في خطاب الإمام وفكره السياسي، فلا يقتصر على رفض نوع واحد من أنواع التبعية بل يتدرج في رفض التبعية بكل أشكالها بدءاً بالتبعية الثقافية مروراً بالتبعية السياسية وانتهاءً بالتبعية الإقتصادية، بكل تفاصيلها وأبعادها المختلفة. ويستخدم الإمام في تركيز هذا المفهوم عبر خطابه السياسي والفكري تعبيرات متعددة يمكن تلخيصها بالأكثر تكراراً في خطابه ونصه:

- العودة الى الشخصية الإسلامية وأصالتها (رفض التبعية الثقافية).
- سياسة اللاشرقية واللاغربية (رفض التبعية السياسية).
- التنمية المستقلة، والسعي للإكتفاء الذاتي (رفض التبعية الإقتصادية).

فرفض التبعية والخروج من هيمنة المعسكرين الشرقي والغربي ضرورة للإستقلال بشتى نواحيه، وهو واحد من الشعارات الأساسية للثورة التي رددتها حناجر الملايين من الشعب الإيراني (استقلال، حرية، جمهورية إسلامية) في تظاهراتها المليونية ضد نظام الشاه الذي كان غارقاً في التبعية حتى أذنيه، حيث كانت التبعية إحدى العيوب الأساسية التي يشير إليها الإمام في تعبئته الجماهيرية ضد نظام الشاه، فعلاقة الشاه بالغرب وإسرائيل وامتثاله لسياساتهم كانت مفضوحة.

ولعل إحدى ميزات ثورة الإمام الخميني هي في كونها استطاعت أن تنتصر دون الإتكاء على أي من الدول الكبرى، كما هي الحال عادةً في الكثير من الثورات

والتغيرات السياسية التي تحدث في مجتمعات العالم الثالث ودوله. وهو ما يلفت إليه الإمام في قوله «إنكم ترون أن ثورتنا فريدة بين الثورات التي حدثت في العالم في قلة خسائرها وكثرة معطياتها. وعطاء هذه الثورة يتجسد في الخروج من سيطرة الشرق والغرب، وهذا ليس بقليل، فلم يحدث في العالم أن يتحرر بلد من جميع القوى، وإنما الذي حدث هو التحرر من قوة والإتجاه نحو قوة أخرى. لكننا اليوم لا نحتاج الى قوة كبرى، بل ندفع عجلة بلدنا بالتعاون مع بعضنا»[١].

العودة الي الشخصية الإسلامية (رفض التبعية الثقافية)

إن رفض التبعية وتحصيل الاستقلال في الفكر السياسي عند الإمام يبدأ في الإنسان، في بنية وتكوين الشخصية الإسلامية الأصيلة التي تعي هويتها، فلا تتوه في خضم الأفكار والتيارات والأنماط المسلكية، التي تتكئ في انبنائها على قاعدة رفض العبودية لغير الله، وتبحث عن ذاتها عبر هذا الخط الإسلامي لتتعرف على دورها في الحياة ومسؤولياتها في المجتمع. تلك الشخصية المؤمنة بربها والواثقة بنفسها «فالإعتماد على النفس - بعد الله - هو منشأ الخيرات»[٢] والتي لا تشعر بالدونية أمام الآخرين «علينا أن نعتقد أننا كل شيء وأننا لسنا أقل من سوانا، فنحن مطالبون بالعثور على هويتنا التي قد أضعناها»[٣] والتي لا تهاب أي قوة أخرى «فمن كان الله معه فإنه لا يخاف من أية قوة سواه»[٤] وهكذا يركز الإمام على ضرورة التحرر الفكري والعقلي لأنهما شرط الإستقلال «فأول شرط لتحقيق الإستقلال هو الإستقلال الفكري والعقلي»[٥].

ولأن الهزيمة التي أصيبت بها الأمة كان سببها الإنهزام في الشخصية وفقدان الهوية، الذي عمل الإستكبار عليه وخطط له لتسهل السيطرة على مقدرات الأمة وخياراتها، فقد شخص الإمام هذا الداء القاتل ،وحاول أن يبدأ العلاج في رفضه

(١) الإمام الخميني - الاستقلال الثقافي طريق الثورة نحو الأصالة الإسلامية - مصدر سابق.

(٢) (٣) (٤) (٥) الإمام الخميني - الكلمات القصار - الوحدة الثقافية - بيروت - ط ١ - ١٩٩٥ - ص ٩٠ - ٩١ - ١٥٠.

للتبعية الفكرية والثقافية وفي إعادة بناء الشخصية الإسلامية التي غابت عن مسرح المواجهة فسقطت الأمة أمام الغزو وبدون مقاومة تذكر: «هزيمتنا في شخصيتنا هي أكبر هزائمنا أمام القوى الكبرى، لقد سعت هذه القوى الى تحطيم شخصيتنا الإسلامية - الإيرانية، وإبدالها بشخصية أوروبية تابعة شرقية أو غربية، وتمثلت هذه الهزيمة بإحساسنا بعدم قدرتنا على عمل أي شيء أو شعورنا بأن كل شيء ينبغي أن يستورد من الخارج، حتى التهاب الزائدة الدودية، ينبغي أن يعالجه طبيب خارجي، وهذا أدى بطبيعته الى إحساس أطبائنا بالضعف، ولم تكن هذه المسألة عفوية، بل إنها مدروسة وقائمة على تخطيط يستهدف القضاء على الشخصية في هذا البلد»[1].

ولأن الثقافة هي التي تبني الشخصية في أي مجتمع فإن التبعية الثقافية هي الأخطر والأكثر سوءاً في المجتمعات الإسلامية في نظر الإمام:

«إن ثقافة كل مجتمع تعبر أساساً عن هوية ووجود هذا المجتمع ومهما كان هذا المجتمع قوياً من النواحي الإقتصادية والسياسية والصناعية والعسكرية فإن الإنحراف الثقافي سيحوّله الى كيان خاوٍ وفارغ من أي اعتبار، وقريب من السقوط، وإذا كان المجتمع مرتزقاً من الناحية الثقافية وتابعاً للثقافة العدوّة، فسيكون مجبوراً على أن ينجرّ الى جانب الأعداء من ناحية الأبعاد الأخرى للمجتمع، وسوف يستهلك أخيراً ويُضيع شرفه من جميع الأبعاد والنواحي»[2]. وفي هذا المجال يتفق العديد من المفكرين المسلمين في تشخيص محور التغيير المنشود الذي يكمن في الإنسان.. فعندما ينطلق التغيير لا بد له من أن يبدأ من الإنسان، «فلا تستطيع الثورة الوصول الى أهدافها إذا لم تتمكن من تغيير الإنسان بطريقة لا رجعة فيها من حيث سلوكه وأفكاره وكلماته»[3]. فالإنسان هو محور عملية التغيير، وهو الأساس في النصر أو

(١) الإمام الخميني - الاستقلال الثقافي طريق الثورة نحو الأصالة الإسلامية - مصدر سابق - ص٣٧.

(٢) الإمام الخميني - الاستقامة والثبات في شخصية الإمام الخميني - ترجمة الشيخ كاظم ياسين - مركز الإمام الخميني الثقافي - ط ١ - بيروت ١٩٩٢م - ص٧٦.

(٣) مالك بن نبي - بين الرشاد والتيه - ترجمة عمر مسقاوي - دار الفكر - دمشق - ١٨٧٨م - ص٤٦.

الفشل، وهذا ما يؤكده الإمام «إن جميع الانتصارات والهزائم تنطلق من الإنسان، الإنسان أساس النصر، أساس الفشل، ما يحمله الإنسان من أفكار وتصورات هو أساس كل شيء. وهذا الإنسان هو نتاج بيئته والثقافة التي يتلقاها، من هنا نفهم خطورة دور المدارس والجامعات ووسائل الإعلام والنشر وترويج الأنماط المسلكية لثقافة ما في المجتمعات، فالثقافة التي يتم تصورها في صيغة (بيداغوجية) هي كل هذا جميعاً، فهي تركيب متآلف للأخلاق والجمال والمنطق العملي والفن الصياغي»(١).

وانطلاقاً من هذا الدور الخطير والحساس للثقافة والمناهج الفكرية، يبدأ الإمام في رفضه للتبعية من رفض التبعية الثقافية والفكرية باعتبارها منشأ بقية أنواع التبعية والتخلص منها يفتح الباب للتخلص من أشكال التبعية الأخرى، «فالتبعية الفكرية والذهنية والعقلية هي منشأ أغلب التعاسات التي مرت على شعبنا وسائر الشعوب. وإذا تمكنا من إنهاء التبعية الفكرية، فإننا سنتمكن من إنهاء سائر أنواع التبعية»(٢). ولعل ما تقدم ينطبق مع القاعدة القرآنية في أن التغيير الإجتماعي يبدأ في التغيير الداخلي عند الفرد ﴿**إن اللّه لا يغير ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم**﴾(٣). فمسار الإستقلال ورفض التبعية يبدأ في التحرر الفكري والثقافي عند الفرد المسلم وهو يشكل عملية مزدوجة، ترفض التبعية للأفكار الخارجية من جهة، وتسعى للتمسك بهويتها للعودة الى أصالتها الإسلامية التي تشكل البديل الطبيعي، من جهة أخرى.

وعندما يتخلى الفرد والمجتمع عن هويته الثقافية الأصيلة يقع في الفراغ والضياع، ويصبح أكثر قابلية لتلقي الثقافات الخارجية التي تجد طريقها بسهولة الى مناطق الفراغ والضياع الفكري والعقيدي والثقافي فيه. ولعل هذا ما حصل فعلاً

(١) مالك بن نبي - آفاق جزائرية - تركة الطيب الشريف - مكتبة النهضة - الجزائر - ١٩٦٤م ص١٤٥.
(٢) الإمام الخميني - الكلمات القصار - مصدر سابق - ص٧٦.
(٣) سورة الرعد - الآية ١١.

في المجتمعات الإسلامية خلال القرون الأخيرة. عندما هجر المسلمون ما تبقى من هويتهم وثقافتهم ظناً منهم أنها سبب تخلفهم وهزيمتهم، وسعوا الى اتباع الثقافات الأخرى (شرقاً وغرباً) على أمل أن يجدوا فيها عوامل الإنتصار والتقدم، فوقعوا في فخ التبعية الثقافية والفكرية، التي جلبت لهم ولمجتمعاتهم وأوطانهم باقي أشكال التبعية، حتى أحكمت التبعية طوقها على حياتهم بالكامل، فسلبتهم القدرة على الإستقلال والنهوض واتخاذ القرار بأي شأن من الشؤون العامة.

لذا، كان لزاما أن يرفض الإمام التبعية الثقافية، كمدخل للتخلص من بقية التبعيات التي غرق فيها المجتمع الإسلامي في إيران، والبلاد الإسلامية عامة، والتي ساعد عليها أنماط الحكم القائمة في هذه البلاد، التي استقت مناهجها العلمانية من الغرب أو الشرق تحت تأثير الإنبهار بالتقدم والنهضة الصناعية والعلمية التي شهدها الغرب، خلال القرون الأخيرة. من هنا نفهم دعوة الإمام المتكررة للمسلمين بضرورة العودة الى الإسلام ورفض التغرب الفكري عندما يقول «اعتمدوا على الفكر الإسلامي، وحاربوا الغرب والتغرب، وقفوا على أقدامكم، واحملوا على المثقفين الموالين للغرب والشرق وجدوا هويتكم»[1].

وهو يرسم هدفاً واضحاً للثورة هو الإستقلال بكل أشكاله واستعادة الهوية الأصيلة «علينا أن نصنع من إيران بلداً مستقلاً سياسياً وعسكرياً وثقافياً واقتصادياً ومتحرراً من الإتكاء على أميركا والإتحاد السوفياتي وبريطانيا.. هذه القوى الطامعة الدولية. وعلينا أن نعلن هويتنا الأصيلة للعالم، ومن المؤسف أن بعض المثقفين لا يستطيعون أن يتحرروا من تبعيتهم للشرق أو الغرب. ونأمل أن يعود هؤلاء المبتورون عن الأمة الى رشدهم في ظل التغيير الثقافي الإسلامي القائم وأن يستعيدوا أصالتهم»[2].

كما نفهم حجم الإهتمام الذي أولاه الإمام قبل الثورة وتمهيداً لها بالحوزات والجامعات باعتبارها المعقل الثقافي للمجتمع، وكان حريصاً على ربط ثقافة المجتمع

(١) الإمام الخميني - الاستقامة والثبات عند الإمام - مصدر سابق - ص ٧٦.

(٢) الإمام الخميني - الاستقلال الثقافي طريق الثورة نحو الأصالة الإسلامية - مصدر سابق - ص ٤٢.

بالحوزة والعلماء والإلفات إلى أن مناهج الجامعات الموجودة (في عهد الشاه) هي مناهج غربية يجب التنبه لها .وقد سعى الإمام لإيجاد حالة من التواصل بين الجامعات والحوزات وبين طلبة العلوم الدينية وطلبة الجامعات بهدف إيجاد حالة من التأثير الثقافي للحوزة على الجامعات وطلابها. ولعل بعض الأسماء اللامعة من طلبة الإمام وتلاميذه المميزين أمثال الشهيد الدكتور بهشتي والشهيد مطهري والدكتور علي شريعتي كانوا يصبون جل اهتمامهم الثقافي في أوساط الطلبة الجامعيين وتركوا أثراً بارزاً في ثقافتهم، واستطاعوا أن يصنعوا نواة للطلبة الملتزمين بخط الثورة الإسلامية في جامعات إيران والطلاب الإيرانيين في الجامعات الأوروبية والأميركية. وهو يقول: «يجب أن تتحد بقوة هاتان الطائفتان المفكرتان، أي الجامعيين ورجال الدين»، ثم ينبه «احذروا التفرقة، إن اليوم هو يوم التلاحم بين الجامعي والطالب ورجل الدين، فاستمروا في هذا التلاحم وعلى المثقفين والكتاب أن يلحقوا بهاتين الطبقتين العزيزتين»[1].

والإهتمام المميز للإمام في رفض التبعية الثقافية تجلى في ما سمي بالثورة الثقافية التي أعلنها بعد قيام الدولة الإسلامية في إيران، عندما دعا لتشكيل مجلس أعلى للثورة الثقافية شارك فيه نخبة من علماء الحوزة وأساتذة الجامعات الملتزمين، وكلف المجلس بإعادة النظر في كل المناهج الدراسية والتعليمية والتربوية المعتمدة في المدارس والجامعات في إيران وإجراء تعديلات جذرية عليها. ورغم أن نظرة الإمام الى أن «العالم كله جامعة واحدة، وجميع البشر طلبة، فيجب أن يكون جميع العالم طبقتين: طبقة المعلم والأستاذ، وطبقة الطالب والمتعلم، الفئتان اللتان لو صلحتا، لأصلحتا البلد والعكس صحيح، وواجب المعلم هداية المجتمع الى اللّه، وواجب الطالب تعلم هذا الموضوع بأن يتكون مجتمع يتوجه كله الى اللّه، والكل في طريقه. وإذا كان الكل في طريقه فستكون الثقافة إلهية والإقتصاد إلهياً والجيش إلهياً والدرك إلهياً أيضاً»[2]. وهو يعتبر الجامعة والحوزة والأجهزة التعليمية تتحمل

(١) الإمام الخميني - مختارات من أقوال الإمام - وزارة الإرشاد الإسلامي - ط ١ - ١٤٠٢هـ - طهران - ج ١ - ص١٥٨.

(٢) الإمام الخميني - قبسات من الفكر التربوي للإمام الخميني - التعبئة الطلابية - بيروت ١٩٨٧ - ص٥٠ - ٥١.

المسؤولية الأساس في صناعة المجتمع الصالح وتعميق وتجذير المفاهيم الإسلامية وهو يشبهها بالآلة التي يدخل فيها الأفراد الخام من ناحية ليخرجوا من الناحية الأخرى، إما فاسدين وإما صالحين، بحسب المضمون التربوي الذي يتحكم في مناهج هذه الآلة وبحسب نوعية هذا الجهاز. لذا، فهو يحمل الجامعات في عهد الشاه مسؤولية تقديم البلاد للمستعمرين حيث «إن الذين تخرجوا من هذه الجامعات ومن المعاهد التعليمية، لو كانوا يملكون تربية وتعليماً صالحين لما كانوا قدموا هذه البلاد للمستعمرين على طبق من فضة»[1].

ويطلب الى أعضاء مجلس الثورة الثقافية أن يجعلوا الجامعة إسلامية وإلهية ويقول: «إن الثورات والانقلابات وحالات الرفض تقوم على ثلاثة أمور: الأول يتضمن أساسها، والثاني مضمونها، والثالث يشتمل على محتواها، والثورات جميعها متشابهة غير أنها تختلف في منطلقاتها، والأهداف والمضامين كلها مهمة، أحيانا تكون الأهداف جيدة ولكن المضامين ليست كذلك، أحيانا يكون العكس.

إن الثورة الثقافية هي أيضا ثورة، وتحول من حالة الى حالة أخرى، وفي الواقع لا مانع من تلقي العلوم المختلفة، فالإسلام يتقبل كل العلوم ما عدا بعض الأمور غير النافعة، ولكن الشيء الذي ينفعنا أكثر من سواه في الجامعات هو أن نجعلها إسلامية إلهية»[2].

ورغم أهمية الجامعة والحوزة في بث الأصالة الفكرية والثقافية وترسيخها، إلا أن دور السينما والتلفاز والمسرح ووسائل الإعلام الأخرى أساسي أيضاً، لا سيما في عصر الإتصالات والقرية الكونية، وهذه الوسائل كلها يجب أن تحشد في معركة التأصيل الثقافي «وإذا كنا نعاني اليوم من نقص في الطاقة الإنسانية (في هذه الوسائل) فلأن الأفكار كانت قد اعتادت على التفكير بذلك النمط الذي كان مرسوماً لها، ولذلك، فإن إقامة مسرح الإستقلال وفق الأخلاق الإنسانية والإسلامية يحتاج الى جهود ومتاعب كثيرة وكذلك السينما أيضاً، فإنها تحتاج الى وقت طويل»[3].

---

(١) المصدر نفسه - ص٢٠.

(٢) الإمام الخميني - مجلة الشهيد - العدد ١٥٧ - طهران - ١٩٨٥ - ص٥.

(٣) الإمام الخميني - مجلة رسالة الثورة (في حديث أثناء لقائه وزير الإرشاد الإسلامي عام ١٤٠٤ هـ)- العدد ٣٠ - ص٧.

وفي الخلاصة، فإن عملية إعادة البناء الثقافي هي المرتكز والأساس في طريق رفض التبعية ونيل الإستقلال ولا بد من بذل جهود مستمرة ويقظة دائمة لتحقيق هذه المهمة. وهذا ما يطلبه الإمام من الشعب والمسؤولين بعد انتصار الثورة: «ثقافتنا مهدمة، يجب أن نبدأ من جديد، الثقافة اليوم ثقافة إستعمارية ويجب أن تنقلب»[1]، و«ثقافتنا يجب أن تتبدل وتحل الثقافة المستقلة محل الثقافة الإستعمارية»[2].

سياسة اللاشرقية واللاغربية (رفض التبعية السياسية)

لقد أرست إتفاقية (يالطا) التي وقعت في نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م، نظام الإستقطاب الدولي من قبل مركزين رئيسين هما: الولايات المتحدة الأميركية والإتحاد السوفياتي. وقد قسم هذا النظام العالم الى مناطق نفوذ وهيمنة، موزعة بين هذين القطبين الدوليين. وبدأ مع هذا التقسيم تصاعد حدة التنافس والصراع الدولي على مناطق النفوذ الإستراتيجية، لا سيما المناطق الإسلامية الغنية بالمواد الخام من جهة والتي تشكل أسواقاً استهلاكية كبرى من جهة أخرى، فضلاً عن مواقعها الجغرافية المهمة. وغدت التبعية لأحد هذين المعسكرين، المشكلة الأساس التي ساهمت في تصدُّع البناء الحضاري وفقدان الهوية، فضلاً عن الإمعان في التخلف والتقهقر على شتى الأصعدة. وكان أن أدرك الإمام الخميني (الذي واكب بوعيه هذه المرحلة من تاريخ الأمة الإسلامية، خصوصاً إيران ومحيطها من دول المنطقة)، خطر هذه المشكلة واستمرارها، وتداعياتها على المجتمع ومستقبله ومصيره. لذا، كان شعار (اللاشرقية واللاغربية) من الشعاوات المركزية لنهضته، وهو التجسيد السياسي لرفض التبعية والإستسلام السائد لها كأمر واقع في المجتمعات الإسلامية. وقد يتبادر الى الذهن استيحاء هذا الشعار أو اقترابه من سياسة عدم الإنحياز التي تلاشت عملياً مع وفاة مؤسسيها أمثال نهرو في الهند

---

(١) الإمام الخميني - توجيهات الإمام الى المسلمين - ترجمة محمد جواد المهدي - وزارة الإرشاد الإسلامي - ط ١ - طهران - ١٤٠٣هـ - ص٥.

(٢) الإمام الخميني - خطاب الانتصار - الوحدة الإعلامية في حزب الله - ط ١ - ١٩٩٢م - ص٢٩.

وعبد الناصر في مصر وتيتو في يوغسلافيا. وهي سياسة تعرف بأنها «مستقلة في اتخاذ قرارتها، وتعبر عن رأيها في أي موضوع دولي، وفقاً لتقديراتها هي، ودون أي انحياز مسبق لأي كتلة أو لمصلحة أي دولة بعينها»[1]. فهي توحي بالوقوف خارج فلك التجاذب الدولي المشار إليه، لكنها عملياً لم تفلح لأكثر من سبب، كما شهدنا في التاريخ المعاصر. ورغم اقتراب المفهومين إلا أن هناك فوارق دقيقة تظهر بينهما حال التأمل والتدقيق، فصحيح أن شعار اللاشرقية واللاغربية يدعو للخروج من دائرة الإستقطاب الدولي، بيد أنه يدعو الى الخروج عليه أيضاً، كما يدعو الى الإختيار والإنتماء الى هوية.

فالمصطلح التجديدي عند الإمام مستوحي من القرآن الكريم وبالتحديد من الآية: ﴿**اللّه نور السماوات والأرض، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة، زيتونة لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي اللّه لنوره من يشاء، ويضرب اللّه الأمثال للناس واللّه بكل شيء عليم**﴾.

والموقف هنا ليس مجرد موقف سلبي بعدم الإنحياز بل هو اختيار وانتماء الى تلك الشجرة المباركة، شجرة النور الإلهية، وهو ما يشكل المضمون الفعلي لهذا الشعار الأصيل، المتضمن إدراك الذات والهوية لدى الأفراد والأمة، وهذا الإدراك لا يتم من خلال الآخر، بل من خلال تجديد الإنتماء التاريخي والثقافي لمبادئها ومعتقداتها. ويؤكد الإمام أن جوهر مبدأ اللاشرقية واللاغربية، إنما يقوم على كونه نوعاً من «تجديد لميثاق الكفاح، وتمرين لتنظيم صفوف المجاهدين من أجل مواصلة الصراع ضد الكفر والشرك والوثنية، ولا ينحصر أيضاً بالشعار، إذ هو بداية الإعلان عن ميثاق الكفاح وتعبئة جنود اللّه، أمام جنود إبليس، واتباع إبليس وهو يعتبر من الأصول الأولية للتوحيد»[2].

---

(١) د. سليمان عواد - محاضرة في المؤتمر الثامن للفكر الإسلامي - طهران - ١٩٩٠م.

(١) الإمام الخميني - النداء التاريخي بمناسبة الحج عام ١٤٠٧هـ - مؤسسة الفكر الإسلامي - ص٧.

ويقترن هذا المفهوم المنتمي الى التوحيد بمفهوم البراءة الذي يشكل الوجه الآخر للتوحيد (لا إله إلا اللّه). نفي الألوهية عن كل ما عدا اللّه، ونداء البراءة الذي قرنه الإمام مع سياسة اللاشرقية واللاغربية ينطلق ليؤكد أن «نداءنا اليوم بالبراءة من المشركين والكافرين إنما هو صرخة ألم من ظلم الظالمين وصرخة أمة ضاق صدرها مما عانته من اعتداءات الشرق والغرب وعلى رأسهم أميركا وأذنابها، وسلبت أوطانها وثرواتها»[1].

إن الترجمة العملية للمبدأ والشعار تقتضي التخلص والخلوص من كل ما ينافيه، وبهذا الإعتبار فإن لهذا المبدأ فاعلية سلبية نافية، بالقدر الذي لديه أيضا، فاعلية إيجابية مثبتة. وهي فاعلية التحرر من كل القيود التي يمكن أن تكبل مسيرة الإنسان التوحيدية نحو اللّه، سواء كانت قيوداً سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو غيرها.

وبالإستناد الى إسلامية سياسة (اللاشرقية واللاغربية) يمكن القول إنه لا يمكن أن يقف الإمام عند حدود إيران، بل إن اهتماماته وهمومه تستوعب كل قضايا الإسلام والمسلمين فضلاً عن المستضعفين والمظلومين الى أي دين انتموا، وهذا ما نلحظه في نداءات الإمام الى الشعوب المستضعفة في العالم.

لذا، فإن الإمام سعى الى تصدير هذه السياسة اللاشرقية واللاغربية وتعميمها، لكن ليس عن طريق القوة العسكرية أو الإرهاب كما وصفه أعداؤه، بل عن طريق القناعة الذاتية «وليس استنهاض الإرادة الحرة لهذه الشعوب نفسها، (وهذا ما يقصده الإمام كل مكان في قوله)، بتصدير الثورة إليها. المقصود إفهام الآخرين بأننا دعاة فتح وتوسيع، لأننا نعتبر جميع البلدان الإسلامية من أنفسنا، ومكان كل من هذه الدول محفوظ، وكل ما نريده هو أن يحصل لهذه الدول وشعوبها ما حصل في إيران، فيقطعوا تبعيتهم للقوى الكبرى، ويرفعوا أيدي هذه

(١) المصدر نفسه - ص٩.

القوى الكبرى عن مصادر ثرواتهم، هذا هو أملنا وهذا معنى تصدير الثورة، وهو أن تستيقظ جميع الشعوب والدول ويحرروا أنفسهم مما هم فيه من الفقر والفاقة ومن كون ذخائرهم كلها تذهب أدراج الرياح»[١].

وهنا يتضح أن آلية التصدير لا تتجاوز حدود النصح والتمني والدعوة وتوجيه الإنتباه من منطلق الحرص ومن منطلق الإحساس بالمشكلة والمعاناة عند المسلمين والرغبة في المساعدة «فإن مسؤولية المسلمين الإسلامية تتمثل في وجوب مساعدتهم لكل من يتعرض للظلم»[٢] «حيث إننا مكلفون بإنقاذ الشعوب المظلومة والمحرومة، وإن الاهتمام بأمور المسلمين من أوجب الواجبات.. ونحن لا نستطيع أن نفصل أنفسنا عن سائر المسلمين»[٣].

بل إن الإمام يؤكد على ضرورة عدم اتكال الشعوب على الخارج في حل مشكلاتها وتحقيق حريتها واستقلالها «وصيتي الى شعوب البلدان الإسلامية أن لا تنتظروا أن يأتيكم أحد من الخارج ليعينكم على الوصول الى الهدف وهو الإسلام وتطبيق أحكامه، يجب عليكم أن تنتفضوا من اجل هذا الهدف الذي يحقق الإستقلال والحرية»[٤].

فالإمام يرفض فكرة التغيير من الخارج ويساند فكرة التغيير من الداخل، وعندما يطرح التجربة الثورية في إيران أمام الشعوب فهو يطرحها كنموذج وقدوة تدعو الى اللّه بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا تسعى لفرض نفوذها وسيطرتها بالقوة على الآخرين ،كما تفعل الدول الكبرى، كما شهدنا في عصرنا حرب الخليج، والصومال، وأفغانستان، وفلسطين وغيرها من أعمال الهيمنة العسكرية تحت شعارات مختلفة.

وهكذا نجد أن سياسة اللاشرقية واللاغربية تعني في مضمونها اعتماد العودة

---

(١) الإمام الخميني - مختارات من أقوال الإمام - مصدر سابق - ج٢ - ص١٥٦.

(٢) الإمام الخميني - الكلمات القصار - مصدر سابق - ص١٨٨.

(٣) المصدر نفسه -ص١٨٩.

(٤) الإمام الخميني - الوصية السياسية الإلهية - مصدر سابق - ص١٢٧.

الى الإسلام كمنهج للسياسة الداخلية والحكم ورفض الإنصياع لقوى الإستكبار في السياسة الخارجية، مع الحفاظ على العلاقات الإيجابية مع الدول والشعوب على قاعدة الإحترام المتبادل وعدم التدخل في الشؤون الداخلية.

«إننا نتعامل مع كل الدول باحترام شريطة التعامل معنا باحترام وعدم تدخلها في شؤوننا الداخلية..وإن لنا علاقات صداقة مع كل الشعوب. وإذا تصرفت الحكومات معنا باحترام، فسوف نبادلها الإحترام»(١).

وهو ينطلق من أن الأمة الإسلامية تعتنق «مبدأ يمكن تلخيصه في كلمتين: لا تَظلمون ولا تُظلمون. نحن نريد تطبيق هاتين الكلمتين: ألا نكون ظالمين ولا مظلومين، لقد كنا مظلومين طوال التاريخ، كنا مظلومين من جميع الجهات ونريد اليوم ألا نكون مظلومين، ولا نريد الإعتداء على أي بلد طبقاً لما أمرنا به الإسلام، ولا نريد الإعتداء على أحد، ولا ينبغي لنا ذلك»(٢).

التنمية المستقلة والسعي للإكتفاء الذاتي (رفض التبعية الإقتصادية)

إذا كانت التبعية الثقافية والسياسية تشكل المدخل لبناء شخصية الفرد والمجتمع بما يخدم أهداف الإستكبار فإن التبعية الإقتصادية هي الثمرة العملية التي وضعها الغرب والإستكبار نصب عينيه، ووصل إليها عبر اعتماد الوسائل الثقافية والسياسية لإتباع الدول والشعوب لاقتصادياته وتحويلها الى مصدر للمواد الخام التي تخدم نهضته الصناعية وأسواق إستهلاكية لتصريف إنتاجه الصناعي، إنطلاقاً من تفكيره المادي القائم على مبدأ الرأسمالية. «وقصة هذا المخطط مؤلمة وطويلة، والضربات التي وجهها إلينا هذا المخطط وما زال مهلكة وقاصمة، والأكثر ألماً هو أنهما (الغرب والشرق) أبقيا على الشعوب المظلومة المستعبدة متخلفة في جميع الأمور وجعلا بلدانها إستهلاكية، وأوجدا في أنفسنا حالة عميقة من الرهبة تجاه مظاهر تقدمهما وقواهما الشيطانية، حتى لم تعد لنا الجرأة على المبادرة الى أي

(١) الإمام الخميني - الكلمات القصار - مصدر سابق - ص١٨٧.
(٢) الإمام الخميني - خطاب الانتصار - مصدر سابق - ص٦٦.

إبداع. فعدنا مسلّمين لهما كل أمورنا حتى مقدرات بلداننا ومنقادين لهما إنقياداً تاماً»[1].

ونقرأ في هذا النص مجموعة آثار للتبعية:

١- الإرهاب النفسي الممارس لتعميق الإدراك المحصور بقناة الشرق أو الغرب، فخارج هذه القناة لن يكون هناك أي قوام أو نتاج.

٢- تعطيل الإبداع والمبادرة بفعل السقوط أمام هيبة مظاهر التقدم.

٣- التحول الى مجتمعات استهلاك وبالتالي خسران كل الثروات الطبيعية والإمكانات المادية والبقاء في حالة الفقر والتخلف.

وقد رفض الإمام قبل نجاح الثورة - ومع أولى إرهاصاتها - السياسة الإقتصادية للشاه، واعتبرها تحمل شعارات خادعة ولا تبني اقتصاداً وطنياً سليماً، في مجالات الزراعة والصناعة، وشخص الخلل الذي تشكوه، خصوصاً مرض التبعية في هذه السياسات، قائلا:

«إن الهدف من (مشروع الإصلاح الزراعي لنظام الشاه) ليس إلا إيجاد سوق للدول الأجنبية، ولأميركا بالذات. أما الإصلاح الزراعي الذي ننشده نحن فهو الذي يجعل الإنتاج للمزارعين ويحاسب الملاك الذين خالفوا الشرع الإسلامي في ممارساتهم ويقضي على النظام الإقطاعي.

وبخصوص تصنيع البلاد فذلك هو مطلبنا ولكن بشرط أن يكون وطنياً ومستقلاً ويتماشى مع الزراعة ويتممها من أجل مصلحة اقتصاد البلد الذي يخدم مصالح أبناء الشعب وليس تصنيعاً طفيلياً (مونتاج، إعادة تركيب وتجميع) مرتبطاً بالأجنبي كالذي هو حاصل اليوم في إيران»[2].

لقد أدرك الإمام الآثار الإقتصادية للتبعية السياسية والفكرية والثقافية

(١) الإمام الخميني - الوصية السياسية الإلهية - مصدر سابق - ص٥٤.

(٢) الإمام الخميني - دروس في الجهاد والرفض - مصدر سابق - ص٣١٨.

وأولاها اهتماماً خاصاً وحارب هذه الآثار، بالسعي لإعادة الثقة الضائعة بالنفس وتحريك المبادرة وإطلاق الإبداع والتفكير بالإنتاج والإعتماد على النفس، سعيا للتخلص من التبعية الإقتصادية وللوصول الى الإكتفاء الذاتي على المدى الطويل. وهو يرى أن الطريق في اتجاه هذا الهدف طويلة وصعبة وتحتاج الى تضحيات وتجاوز للكثير من العوائق والتملص من الكثير من المغريات التي تعرض أمامنا: «إننا تعرضنا للحرمان من أي تقدم طوال التاريخ الحديث خاصة في القرون الأخيرة وفي عهد رجال الحكم الخونة، خصوصاً أسرة بهلوي، ومراكز الدعاية ضد منجزاتنا وكذلك عامل الشعور بالنقص، كل هذه العوامل حرمتنا من أي مسعى للتقدم. فاستيراد البضائع من كل نوع، وإلهاء النساء والرجال خصوصاً الشباب بالكماليات كمواد التجميل، واللعب الصبيانية وجر العوائل الى التباري في مظاهر الروح الإستهلاكية، وهذا الأمر بحد ذاته يحكي قصصاً محزنة، وجر الشباب وهم العناصر الفاعلة الى اللهو والضياع بإشاعة مراكز البغاء والفحشاء، وعشرات من أمثال هذه المصائب التي أوجدتها مخططات مدروسة بهدف الإبقاء على التخلف في تلك البلدان»[1].

وكلام الإمام هنا يلخص أبرز ما تعاني منه دول العالم الثالث وشعوبها، من مشكلات حادة تعترض نموها وتقدمها، فمن سيادة مظاهر الروح الإستهلاكية والسعي وراء الكماليات (في حين أن هذه الشعوب تعاني من فقدان المقومات الرئيسية للحياة الكريمة)، الى إضعاف المناعة الأخلاقية لدى المجتمعات بفعل نشر مظاهر اللهو والمجون التي من شأنها إطاحة الشعور بالمسؤولية لدى الشباب.. وبالتالي قتل روح المبادرة والسعي لإحداث التغيير أو التقدم الى الأمام عند المجتمعات.

وفي سعيه لإصلاح هذه الحالة المأساوية التي تعيشها المجتمعات الإسلامية بفعل التبعية، وكي لا يبقى هناك تبعية على الصعيد الإقتصادي يقول الإمام

---

(١) الإمام الخميني - دروس في الجهاد - مصدر سابق - ص٦٥ - ٦٦.

«إنهضوا بإرادة مصممة، وفاعلية ومثابرة لرفع أنواع التبعية واعلموا أن الجنس الآري والعربي لا يقل عن جنس شعوب أوروبا وأميركا وروسيا، وإذا اكتشف ذاته وابعد اليأس عن نفسه ولم يتطلع الى غير ذاته، فإنه قادر على إنجاز أي عمل، وصناعة كل شيء على المدى البعيد. وبذلك ستصلون الى ما وصل اليه أمثال هؤلاء، شريطة التوكل على اللّه والإعتماد على النفس وقطع التبعية للآخرين وتحمل الصعب من أجل تحقيق حياة كريمة والخلاص من تسلط الأجنبي.

وينبغي على الحكومات والمسؤولين في الحاضر والمستقبل أن يكرموا خبراءهم ويشجعوهم على العمل بالدعم المادي والمعنوي. ويمنعوا استيراد البضائع المدمرة الموجدة للروح الاستهلاكية ويكتفوا بما عندهم حتى يتمكنوا بأنفسهم من صنع كل شيء.

ويطلب من الشباب الفتية والفتيات أن لا يبيعوا الإستقلال والحرية والقيم الإنسانية بما يعرضه عليهم الغرب وعملاؤه الخونة من الكماليات والتحلل والإنغماس في مراكز الفحشاء، ولو كلفهم ذلك تحمل المشقة والألم.

فالغرب وعملاؤه لا يريدون لكم سوى الضياع والغفلة عن مصير بلدكم لينهبوا ثرواتكم وأن يجروكم الى ذل التبعية وقيد الإستعمار وتحويل شعبكم وبلدكم الى سوق استهلاكية. وهم بما يعرضونه عليكم وبأمثاله، إنما يريدون الإبقاء عليكم متخلفين وأنصاف وحوش على حد تعبيرهم»[1].

كما حث الإمام أيضاً المجتمع الإيراني بعد نجاح الثورة سعياً للتخلص من التبعية الإقتصادية، على تنشيط العمل في مجالي الزراعة والصناعة والإهتمام بالطاقات المبدعة والإختراعات وأعطى تعليماته لتأسيس مؤسسة جهاد البناء التي أطلقت برامج تعبوية شعبية لتحسين وسائل الإنتاج الزراعي والحيواني وساعدت المزارعين في كل القرى والبلدات الإيرانية للنهوض وتحسين الإنتاج كماً ونوعاً،

(١) الإمام الخميني - الوصية السياسية الإلهية - مصدر سابق - ص٥٩ - ٦٠.

حتى «أن التقارير الرسمية تفيد أن الأعمال التي أنجزها جهاد البناء في خلال السنتين (٨٠- ١٩٨١) رغم كل مشاغل الحكومة، لم ينجز مثلها طوال خمسين عاماً من حكم الشاه»[١].

واعتمدت سياسة جهاد البناء بشكل رئيسي على المتطوعين من طلبة الجامعات والمعاهد بالإضافة الى المهندسين الزراعيين الملتزمين بخط الثورة. وبذلت نشاطاً مميزاً في المناطق المحرومة بشكل خاص. لقد أكد الإمام أن «العامل والفلاح هما الأساس في كل بلد، فالأساس الإقتصادي للبلد مرتبط بالعامل والفلاح»[٢].

ورغم تعقيد عملية النهوض الإقتصادي لا سيما في الظروف التي تعرض لها نظام الجمهورية الإسلامية في الحرب مع العراق والحصار الإقتصادي والعزلة السياسية التي حاولت أميركا فرضها على الجمهورية الإسلامية، إلا أن الروح الثورية التي بثها الإمام في أبناء الأمة في إيران وحالة الثقة بالنفس والإصرار والعناد على إنجاح التجربة وأجواء التحدي التي عاشها الشعب الإيراني في حالة الحصار، أدت جميعها الى تحويل حالة الحصار الى فرصة للبحث بجدية عن حلول ذاتية للازمة الإقتصادية، وهو ما نقرأه في نص الإمام «ترون أن الإنفصال والإنقطاع عن الشرق والغرب يظهر بركاته. وقد انطلقت العقول المفكرة المحلية وهي تعمل باتجاه الإكتفاء الذاتي. وما كان يصوره الخبراء الخونة الغربيون والشرقيون لشعبنا محالاً، بدأ يتحقق اليوم بشكل ملحوظ بيد الشعب وفكره، وإن شاء اللّه يتحقق اكثر على المدى البعيد»[٣].

لقد عالج الإمام الكثير من آثار التبعية الإقتصادية التي كان يعيشها المجتمع الإيراني المسلم، عبر علاج الأسباب المؤدية لهذه التبعية والكامنة في استعادة الهوية

(١) الإمام الخميني – الاستقامة والثبات – مصدر سابق – ص٢٠٨.
(٢) الإمام الخميني – الكلمات القصار – مصدر سابق – ص٣٠١.
(٣) الإمام الخميني – الوصية السياسية الإلهية – مصدر سابق – ص١١٢.

والثقة بالنفس والشعور بالمسؤولية والمشاركة العامة من كل فئات الشعب في نهضة البناء الداخلية، وعبر التخفيف التدريجي لنمط الاستهلاك السائد ورعاية واحتضان المفكرين والمخترعين في مجالات الصناعة والزراعة والتكنولوجيا الحديثة، وعبر بث ثقافة التكليف والتكافل الإجتماعي وهو يؤكد على المسؤولين في هذا المجال على «احترام الرساميل والملكية المشروعة ضمن الضوابط الإسلامية.. طمئنوا الشعب من توظيف الرساميل والجهود البناءة لتحقيق الحكومة والبلد للإكتفاء الذاتي وتنشيط الصناعات الخفيفة والثقيلة».

كما يوصي «الأثرياء وأصحاب رؤوس الأموال المشروعة أن يوظفوا ثرواتهم ويبادروا الى النشاطات البناءة في المزارع والقرى والمصانع، فإن هذا العمل بذاته عبادة قيمة».

«وأوصي الجميع بالسعي من أجل رفاهية الفئات المحرومة، إذ إن خيركم دنياً وآخرة، هو في الإهتمام بأوضاع محرومي المجتمع الذين عانوا الآلام والصعاب طوال تاريخي الظلم الملكي والإقطاعي»[1].

ورغم كل الإنجازات التي تحققت في طريق الإكتفاء الذاتي والتخلص من التبعية الإقتصادية، وهي وصلت الى نسب عالية في المجال الزراعي وحتى الصناعي إلا أن الإمام يعتبر أن هناك حاجة في العلوم التقنية المتطورة، ولكنه يوجه المسؤولين الى الطريقة التي يجب اعتمادها في سد هذا النقص دون العودة للوقوع في التبعية فيقول: «إن احتياجنا اليوم – بعد كل هذا التخلف المفروض علينا – للصناعات الثقلية في البلدان الأجنبية، هو واقع لا يمكن إنكاره، ولكن هذا لا يعني أن نرتبط بأحد القطبين في علوم التقنية المتطورة، بل على الحكومة والجيش أن يعملا لإرسال الجامعيين المؤمنين الي البلدان التي تمتلك صناعة متطورة دون أن تكون استعمارية أو مستغلة، ولتتجنب الحكومة والجيش إرسال البعثات الى أميركا وروسيا وسائر الدول السائرة في فلك هذين القطبين. اللهم إلا أن يأتي – إن شاء الله – يوم تعترف فيه هاتان القوتان بخطئهما وتلتجقان بمسير الإنسانية وحب

(١) المصدر نفسه – ص ١٢١.

الإنسان واحترام حقوق الآخرين أو أن يكبح جماحهما مستضعفو العالم والشعوب الواعية والمسلمون المؤمنون، على أمل يوم كهذا»[١].

ولأن عملية النهوض من التبعية الإقتصادية تستدعي استنفاراً شاملاً لكل الطاقات المحلية والكفاءات العلمية فإن الإمام لا يغفل عن الطلب الى الموجودين في خارج إيران العودة لخدمة بلدهم «وعليهم أن يفكروا ويروا هل يسمح لهم ضميرهم الإنساني بأن يجلسوا في بلاد الغربة»[٢].

ولقد أفلحت المنهجية التي اعتمدها الإمام في تشخيص مرض التبعية، وأشكالها، وفي معالجة الأسباب المؤدية لها، عبر تثوير الداخل الإجتماعي واستنفاره في مواجهة هذا الإستحقاق الكبير، مما جعل الإمام يعبر عن ارتياحه النسبي الى النتائج المحققة في هذا المجال، مع الدعوة الى استمرار حالة المراقبة والوعي واليقظة في مواجهة أي محاولة جديدة للإنجرار الى أشكال التبعية، وها هو يذكر في وصيته:

«أنا أوصي الشعب العزيز، ومن منطلق الحرقة والخدمة، أنكم تخلصتم الآن - الى حد لافت جداً - من كثير من هذه المصائر، وقد هب الجيل الحاضر المحروم الى الفعالية والإبداع، ورأينا أن كثيراً من المعامل والوسائل المتطورة كالطائرات وغيرها، التي لم يكن أحد يظن أن المتخصصين الإيرانيين يمكنهم تشغيلها أو التعامل معها، وكنا من قبل نمد أيدينا الى الشرق والغرب ليأتي خبراؤهم لتشغيلها، رأينا كيف أن الحصار الإقتصادي والحرب المفروضة جعلا شبابنا يصنعون القطع التي دعت الحاجة إليها وبكلفة أقل، وكيف تمت عبر شبابنا تلبية هذه الحاجة، وأثبتوا أننا إذا أردنا فإننا قادرون.

فيجب أن تراقبوا بوعي ويقظة، كي لا يجركم الساسة المتلاعبون المرتبطون بالشرق والغرب - بوسائلهم الشيطانية - نحو هؤلاء الناهبين الدوليين»[٣].

---

(١) الإمام الخميني - الوصية السياسية الإلهية - ص٩٦.

(٢) الإمام الخميني - حديث الإنتصار - مصدر سابق - ص١٢٢.

(٣) الإمام الخميني - الوصية السياسية الإلهية - مصدر سابق - ص٥٨.

الوحدة في منظور الإمام الخميني (قده): موجباتها وتعقيداتها وأولياتها

سماحة السيد هاني فحص

مفكر وباحث

عندما يطلق تعبير الوحدة، ينصرف الذهن العربي إلى أكمل وأتم معانيها، أي الوحدة الشاملة، أي دولة الوحدة، أي الدولة المطابقة للأمة سواء كان الجامع للأمة أو المعرف أو المحدد، هو العقيدة، كما في المنظور الإسلامي، أو القومية، التي تركب منظور حركتها من محددات فرنسية (الطموحات) وألمانية (اللغة) وإيطالية (التاريخ) والتي أملتها على هذه الأقطار إعتبارات وطنية مختلفة، حاول القوميون العرب قراءتها كمحددات للقومية العربية بمجملها.

لعل انحصار الوعي العربي بهذا المفهوم لمسألة الوحدة، هو الذي عطل العقل العربي عن البحث عن مشروعات وحدوية أقرب منالاً وأكثر انسجاماً مع الفرص والمعطيات المتوفرة كالتي بادر إليها بعض العرب متأخرين، ومنها تجربة مجلس التعاون الخليجي، التي قامت على السلب أكثر من قيامها على الموجبات، متزامنة مع الثورة الإسلامية في إيران والمؤشرات التي رسمتها.. فانتهت هذه التجربة، إلى اللقاء مع نقيضها العراقي في تحديدها لسلّم أولوياتها، ما يسمح لنا بإدراجها في سياق الطلب الأميركي على الوحدة. وبعد أن تراجع هذا الإستقطاب، بفعل الموقف العراقي واحتلال الكويت، والإنفتاح الإيراني، تبدل سلم الأولويات، وتراجعت حركة المشروع وفعاليته، وطغى الهمّ الوطني أو القطري، على الهمّ الإقليمي تحت وطأة المتغيرات التي أحدثتها حرب الخليج... وقد يكون لنا أن نتوقع إعادة إنتاج مشروع خليجي، أميركياً، على معطيات جديدة، تقتضي، في ما تقتضي على ضوء التسوية والعولمة، حسم وضع الخليج وتعطيل نموّه السياسي الحر، بوضعه جميعاً تحت النفوذ السعودي، أي تشكيل حالة خليجية، فيدرالية أو كونفدرالية، بزعامة

السعودية، من ضمن إعادة إنتاج إطار سايكس بيكو وتوسيعه.

ومنها تجربة الإتحاد المغاربي، التي انفجرت في وجهها مسألة الصحراء، وعودة دول المغرب لإعطاء الأولوية لمسألة القوى الإسلامية الناشطة بعد الثورة الإيرانية، ما أدى إلى تصفيتها سياسياً في تونس، وتعقيمها في ليبيا، في حين تكفلت المغامرة المستعجلة في الجزائر بأداء الدور، وانتهاء موريتانيا على إيقاع الصحراء وتداعياتها إلى الحضن الأميركي، بعدما رسمت ليبيا مؤشراً خطراً، بانسحابها إلى الفضاء الأفريقي كمدخل إلى الفضاء الأميركي، بالإستقالة من همّ الوحدة والعروبة بعد المبالغات المعروفة.. إلى ذلك، فإن مصر السادات انكفأت في كامب ديڤيد، وعندما عادت إلى صفّها ونبضها العربي، ظهرت من جديد، وبشكل حاد، مشكلة وادي النيل بينها وبين السودان..

ولم يعد مفاجئاً أن تنتهي الحالة العربية إلى البحث الدائم عن الوحدة الوطنية، أي القطرية، المطروحة الآن كمهمة ملحّة في أكثر من قطر عربي؛ الجزائر والمشكلة العامة ومشكلة البربر، موريتانيا ووضعها القلق مغربياً، وصراع البيضان والزنوج، اليمن وقلق دولة الوحدة، الأردن، السودان وحتى مصر... من دون أن يعني ذلك أن الأقطار الأخرى تتمتع باستقرار وحدوي داخلي مثالي أو راسخ أو مطمئن.

في صلب المسألة، إن القياس على التجربة الأوروبية (الوحدة الإيطالية والألمانية) قياس يتجاهل الفارق، في اختلاف الموجبات والمعطيات. فبعض الموجبات في كل من ألمانيا وإيطاليا، زيادة طارئة في الإنتاج اقتضت توسيع السوق، وفي كل منهما، كانت التجزئة قائمة في الأصل، ما جعل الوحدة هي الإستقطاب، وهي الإستحقاق الذي ترتب على مسارات متناظرة ومتكافئة في النمو؛ بينما كانت الوحدة على النصاب العثماني هي القائمة، وفي حالة إشكالية معقدة، بسبب العلاقة الملتبسة بين المركز التركي والأطراف العثمانية، والعربية منها خصوصاً، ما جعل التجزئة والإنفصال هما الإستقطاب وبالتالي، الإستحقاق، من محمد علي إلى فخر

الدين الثاني المعني إلى الجزار إلى ظاهر العمر إلخ ...، وجعل مسارات النمو تفتقر إلى أسباب التناظر والتكافؤ، أي أن المركز لم يكن جامعاً، متوافقاً في ذلك مع رغبة غربية في الإستحواذ والإستلحاق ومنع الوحدة، منذ حملة نابليون إلى مؤتمر كامبل بنرمان ووثيقته المشهورة عام ١٩٠٧.

وهكذا تحققت التجزئة، في مناخ تجزيئي، وقامت كيانات ودول وطنية، قطرية، اصطنعت ثم ترسخت، شأن أي مصطنع لا يفتقر كلياً إلى مسوّغات اصطناعه. وعلى مر التاريخ، لم يعد الإصطناع كافياً في تفسير التطور، السلبي أو الإيجابي، الذي طرأ على هذه الكيانات. وتحول النمو غير المتكافئ وغير المتناظر، من حالته الأولية إلى حالة متمكنة، تحت الإستعمار والإنتداب، حتى عندما كانت الدولة المستعمرة واحدة في قطرين أصليين أو مستجدين.. وعندما قامت الوحدة الإندماجية الشاملة بين مصر وسوريا، ظهرت هذه الإشكالية بوضوح، وهو ما كان يمكن تلافيه، كلاً أو بعضاً، بالإنتظار الطويل نسبياً، أو بتحقيق حد معين من التضامن يرتقي إلى اتحاد ثم وحدة، عندما تنضج الظروف وتتماثل وتكتمل بنية المجتمع الوطني على مقتضيات الدولة الوطنية المستقلة حديثاً في القطرين.

إذا نقلنا هذا الكلام إلى صعيده الإسلامي، تصبح المسألة أكثر تعقيداً، لأن عدم التكافؤ أو التناظر، ينزل إلى مستوى التضاد والفارق النوعي.. أفغانستان وإيران.. مثلاً.. أو السعودية وبنغلادش.. ولا يفوتني هنا أن أذكر الجهود الحميدة التي بذلها السيد جمال الدين الأفغاني والسلطان عبد الحميد - مثلاً - من أجل الوحدة بين إيران القاجارية وتركيا العثمانية، وامتداد أفقها إلى آسيا الوسطى والقوقاز[1]، ولكنها تمت على قاعدة المركزية الشديدة التركيز تركياً، وعلى حال من التخلف والإستبداد والقفز فوق الوطن العربي، وفي لحظة رعب من الغرب المتغلغل، بعد أن انتشرت التيارات التغريبية والطورانية، في جسم الإجتماع التركي، وبدأت الحركات العربية بالتشكل والمطالبة بالإستقلال الذاتي أو اللامركزية، التي هي المدخل إلى الإنفصال التام والتجزئة، وهو ما تنبه له عبد الكريم الخليل وبعض المشاركين في مؤتمر باريس عام ١٩١٣ - سليم علي سلام مثلاً - وكان ينبغي أن تتوقف المساعي

الوحدوية في أوائل القرن العشرين، طويلاً ، وتتبصر بمفاعيل الصراع العثماني الإيراني الطويل وتداعياته، والتداخلات الغربية فيه (بعد فشل حملة نابليون أرسل مبعوثيه إلى إيران حسب بعض الوثائق).. وكانت الدولة الصفوية قد قامت متزامنة مع التوجه العثماني نحو المشرق، ما أدى إلى تواصل مملوكي صفوي، لم يكن فاعلاً، واستنجاد أندلسي بالسلطان العثماني لم يلق جواباً، لينكشف أن السلطان كان قد سارع إلى بناء علاقات ودية مع إيزابيلا وفرديناند.. وبين هذا وذاك حدثت معركة جالديران، وحدثت حركة تصفيات متبادلة.. لعل ذلك هو ما كان راسخاً في وعي الإمام الخميني، عندما تحدث عن الوحدة، كموحد أصلي، يرى الوحدة معادلاً موضوعياً وتاريخياً للتوحيد، وينقلها من مصاف الشعار السياسي، أو يعيدها إلى مستواها العقيدي.

على أن الإمام، في ظرف اجتراحه لأطروحة النهوض وحركته، على حال مستشرية من الضعف والتفكك والتخلف والتبعية، لم يكن مطالباً بمشروع توحيدي تفصيلي، لأن المسألة معقدة، والإمام ليس بسيطاً ولا مبسطاً، بحيث يستعجل المؤجل. من هنا ركز اهتمامه على ترسيخ التوجهات الوحدوية، داخلياً، مع فتحها على آفاقها الخارجية، لما يعتقده ويراه من علاقة التأثير المتبادل بين الداخل الإيراني والخارج الإسلامي، ويلحّ الإمام على تلمس المجالات لإعادة وعي الوحدة واستعادته، متوسلاً الإدانة الصريحة والمتكررة للسلوك الإسلامي والعربي غير الوحدوي، وفتح ذاكرة المجتمع الإيراني وبصيرته ووجدانه على حقيقة الوحدة ومقتضياتها، أي الحفاظ على مجتمع توحيدي وحدوي، إلى أن تكتمل الظروف، وتستجمع الأقطار المجزأة، كلها أو بعضها، أهليتها وإرادتها الوحدوية. من هنا ما لاحظه المتتبعون لسلوك الإمام وخطابه وحركته من بداية الثورة إلى رحيله، من تركيز على الداخل الإيراني، على الوحدة الإيرانية، كشرط وحدوي، تحرري وتحريري وتقدمي، استقلالي فكرياً وسياسياً وتنموياً.. على أن المسألة لم تقتصر على المستوى النظري والشعاري... فإدانته للتجزئة، وإبطاله لمبرراتها، وضعها خارج العقيدة وفي الطرف النقيض أو الناقض لها..

إلى ذلك فقد عشنا وعايشنا، عن كثب، توجهه إلى العالم الإسلامي، ووقوفه الدائم وراء الأنشطة التي قامت بها الجمهورية الإسلامية في هذا المجال، في المؤتمرات الوحدوية، وفي الميدان السياسي والعلائقي، الذي تعدى الأطر الرسمية، من دون أن يتخطاها، إلى المجتمعات الأهلية في سائر الأقطار الإسلامية. وكان الإمام وحدوياً بامتياز، عندما وقف ملياً وعميقاً عند فلسطين واحتلالها وتوظيفها كعائق وحدوي، من خلال موقعها الواصل بين بلاد الشام وأعماقها الآسيوية، ومصر وخلفيتها الأفريقية الغنية والواعدة.. ومن هنا كانت رعايته لمشروع المقاومة، في المفصل الصعب، وللفعل المقاوم كفعل موحد.. وقبل هذا كله وفي الأساس منه، رأى بعين ثاقبة، أن إسرائيل مشكلة إيرانية، (كل مصائبنا من إسرائيل) ومتى؟ بعد مجزرة الفيضية!! كان في كل ذلك يرسم طريقاً للوحدة المتأنية، حتى تجاوز ما قام به النظام العراقي من عدوان، هدف في ما هدف، إلى إعادة الإنقسام على أساس عرقي، في سعيه لإعاقة مسيرة الثورة ودولتها، وتحصين نفسه وحلفائه من مفاعيلها.

ولم تكن الوحدة في منظور الإمام، إلا الأطروحة الإسلامية، التي يقدمها النص القرآني، وحدة متعددات، على نسب من الإختلاف الطبيعي، يتوفر فيها نصاب الوحدة ونصاب التعدد، بما يكفي مؤونة للحوار والتجدد، بحيث يصبح نصاب الوحدة حافظاً وضابطاً، ونصاب التعدد مصدر ثراء وغنى، على معيارية التقوى، وفي حالة من الحوار الحضاري الدائم الذي لا يقدم عنصراً أو مكوناً على حساب آخر[٢]، ولا يلغي مكوناً أو عنصراً لحساب آخر.. وتتكافأ الذمم والهمم، لتضع مشروع الوحدة في مستواها السياسي والإداري على نار الواقعية والعقلانية الهادئة.. ولعلنا ملزمون أدبياً هنا، بالتذكير بأن الإمام الخميني إيراني الجنسية، ومن مآثر هذه الجنسية الوطنية، أنها أتاحت، على قاعدة الإيمان الواحد والعقيدة الواحدة، للمكونات الإيرانية السلالية المختلفة، أن تبقى على حالة من الوحدة الراسخة، التي تجاوزت عوامل الجذب والدفع إلى التفكك والتجزئة.. ولم تفلح الجهود التركية العثمانية، في تفكيك إيران برغم احتلالها الطويل لأذربيجان التركية

الايرانية.. ومن هنا حوّلت إيران الإرهاصات القومية إلى مجرد تيار تغريبي لا وطني، «كوسموبوليت» من دون حساسية أو أطروحة وطنية، في تجربة حزبي: راستاخيز، وإيران ـ نوين..

وأختم بمجموعة نصوص للإمام الخميني استقيت منها بعض الأفكار التي تضمنتها أوراقي:

١ ـ إن نهضتنا إسلامية قبل أن تكون إيرانية.

٢ ـ القدس.. قضية كل الموحدين والمؤمنين في العالم.

٣ ـ إن الدعوة إلى الإسلام في الأساس، دعوة إلى الوحدة.

٤ – إن واجبنا جميعاً اليوم أن نضع أيدينا بأيدي بعضنا بعض وأن نكون إخوة للمساهمة في بناء إيران.

٥ – يمكننا، في ظل الوحدة والإنضباط، تحقيق الأهداف الإسلامية السامية في هذا البلد.

٦– علينا نحن ـ الشيعة والسنة ـ أن نتآخى في ما بيننا، لنقطع الطريق على الساعين لنهب ما لدينا.

٧– ليس عندنا جيش مستقل عن الحرس، وحرس مستقل عن اللجان، ولجان مستقلة عن التعبئة، وعشائر مستقلة عن كل أولئك، فنحن إخوة تختلف أسماؤنا وأرواحنا واحدة.

٨– على التلاميذ والجامعيين وطلاب العلوم الدينية أن لا يألوا جهداً في المحافظة على وحدتهم.

٩ ـ إنها إرادة الله هي التي شملت الجميع بمنِّها ووحَّدت كل الشرائح والفئات.

١٠ ـ إن المسلمين جميعاً إخوة متكافئون، لا انفصال لرأي منهم عن الآخر.

١١ ـ لقد اغتصبت إسرائيل حقوق العرب، وسوف نقف ضدها.

إشـــارات:

١ـ كان السيد جمال الدين الأفغاني، بعدما بذل جهوده الوحدوية التي لم تصل، قد قدم للسلطان عبد الحميد مشروعاً التفافياً يقوم على تخفيف وطأة المركزية وإعطاء الأطراف (العربية خصوصاً) مزيداً من الحرية الذاتية وإتاحة الفرص لديها من أجل تنمية لامركزية متوازنة، وكان جواب عبد الحميد معروفاً، إذ خاف على السلطة وقال: ولكن يا سيد ماذا تركت لتخت آل عثمان؟ أما الآن، وقد تحولت الأطراف إلى مراكز ناجزة ودول وطنية ذات مؤسسات سيادية كاملة، فإن الصعوبات قد تفاقمت، ولم تندمل الفجوات الطبيعية في التكوينات الإجتماعية، التي لم يُسمح لها بالتطور الطبيعي، وتحققت فجوات اجتماعية وفوارق قامت على أساس اقتصادي، سببته الفوارق النوعية بين الثروات الطبيعية، في مختلف الأقطار، والتي لم تسمح الحروب الداخلية، والحروب القطرية، وغياب العقل التنموي، بتوظيف عطاءاتها تنموياً في الأقطار الفقيرة،.. هذا إلا إذا كان المشروع الوحدوي أشد التفافاً وواقعية، وتجنب مشروع الدولة الواحدة إلى حالة اتحادية ما.

٢ـ إن من الطبيعي، نظراً للعوائق التي أفرزتها المصالح والسلوكات التي تأسست على الدولة القطرية وحدودها، أن يتجه العقلاء إلى حماية الوحدة في نصابها أو واقعها أو سياقها المجتمعي، متوقعين، من خلال الجهد المشترك والمتراكم، ثقافة وعلائق وحدوية متوافقة مع نمو في وعي ضرورة الوحدة، ومع قوانين وأنظمة اقتصادية (السوق المشتركة مثلاً) وبعدها تأتي السياسة على حال ملائم ومستوعب لمسألة التعدد.. والاجابة عن السؤال: كيف لا تكون الوحدة العربية تهميشاً أو تهديداً للأقوام الأخرى؟ وكيف لا تكون الوحدة الإسلامية تذويباً للمذاهب ـ بالعنف المباشر أو غير المباشر ـ ولا تهميشاً لأهل الأديان الأخرى؟ أي خسارات على طريق الإبداع والإنتاج.

منهج الإمام الخميني (قده)
بين الثوابت الفكرية ومصالح الأمة

الدكتورحسن البنا
باحث في الشؤون الإسلامية / مصر

تمهيد:

في آخر إصدار لسلسلة «عالم المعرفة» للدكتورة آمال السبكي (دكتوراه في التاريخ من جامعة القاهرة) تحمل عنوان «تاريخ إيران السياسي بين ثورتين»، ادعت المؤلفة انه «قد رافق انفجار الثورة الإسلامية في إيران، ضجةٌ اعلامية، ضخمت من قدرتها وأضفت هالة من التقديس على قيادتها وأفرغتها من مضمونها الفكري والإجتماعي».

- وادعت على لسان بعض المحللين أنها «تعج بالمتناقضات، وما كان أمامها من سبيل، إلا الثورة، كحل لمشكلات عميقة، بأساليب مرتجلة قليلة الفاعلية قصيرة المدى».

- وفي سياق آخر قالت: «لم تنجح الثورة في تطبيق شعاراتها، كما ظهر التباين بين النظرية والتطبيق، أو بين منهاج الثورة والتطبيق العملي».

- وادعت أيضاً «أن نجاح تجربة الخميني في حد ذاتها أثبت أنه جاء نتيجة لغياب الزعامة السياسية المناظرة له».

- لكن التركيز يا سادة انصب حول التأكيد على الفروق الجوهرية بين «نظرية الثورة» باعتبارها صيغة فكرية، وبين «التطبيق العملي» للممارسة النظرية ذاتها.

وبما أن موضوع هذا المحور هو منهج الإمام الخميني بين الثوابت الفكرية ومصالح الأمة، لذا، من حقنا أن نثير الإشكاليات التالية قبالة المزاعم المناهضة في

المنطقة لتوجهات الثورة الإسلامية في إيران، وبطريقة علمية.

ينقسم البحث إلى محورين:

يتعلق الأول منهما، بمقدمات نظرية مفاهيمية، تراعي المنهجية العلمية في تناول الظواهر المبحوثة، فلكل ظاهرة منهج خاص يتناولها، ولا يصح الخلط، في استخدام آلية منهجية لظاهرات لا تنسجم معها.

أما الثاني منهما ،فيتعلق بفضائيات الجهاز المعرفي والفكري، لتوجهات الإمام ومصادرها المعتقدية، وهي تلامس أدق تفاصيل الأحكام الشرعية، أثناء الممارسة العملية، مستهدفاً مصالح المستضعفين والأمة الإسلامية، عبر الشواهد النصية.

منهج الإمام الخميني بين الثوابت الفكرية ومصالح الأمة

خطة البحث

ينقسم البحث الى محورين

الجزء الأول: الإطار النظري

أولاً: مقدمات نظرية مفاهيمية الإمام وإشكالية المنهج

المنهج متابعة طريق واضح بل ومستقيم، وتالياً مجهود لبلوغ غاية، ويتضمنان تصورات فكرية مسبقاً للخطة الواجب اتباعها.

هنا يطلق اسم الترتيب على (فعل الفكر)، الذي يكون له حول (موضوع واحد) - عدة أفكار - أو عدة أحكام - أو عدة أدلة، فيرتبها على أفضل وجه، لجعل الموضوع معروفاً.

وهنا يثار سجال اعتقادي بالغ الأهمية، ينقسم فيه منظّرو المعرفة، حول تكوين فكرة المنهج، أكثر مما يدور حول إشكالية دلالات ومغزى المنهج، في علاقة الفكر بالواقع الإجتماعي المعيش للأمم والجماعات.

والنتيجة أن نشأ من هذا السجال عَرَضياً، بعض التمايزات في مفهوم المنهج بالذات، والإشكالية المثارة حوله، لكي نستطيع أن نقترب من شخصية إستثنائية متألقة على مختلف المستويات.

١ ـ **فالإتجاه الذي يرى أن المنهج** عبارة عن قواعد لبحث المفاجآت، وخيبة الأمل في المستقبل، اتجاه قابل للتحديد، ومُتابع بانتظام، في عملية قبلية للعقل عند تطبيقه، وصوغه مسبقاً، واستعمال برنامج لعمليات إجرائية، لا تبدأ إلا بعد صياغة قواعد المنهج.

٢ ـ **أما الإتجاه الذي يرى أن المنهج** عبارة عن عملية فعلية، تكون منه بمنزلة التصميم المبسط لهذا الحد أو ذاك، فيلاحظ على هذا الإتجاه أنه يرى المنهج في شكل موضوعي، مُميزاً في الواقع من تطبيقاته.

بينما يرى الأول أن المنهج ليس سوى تجريد لا يملك خارج عمليات الفكر، سوى وجود لفظي محض، يمكن للفكر أن يتحدد بمعزل عن كل مادةٍ أو موضوع.

الثاني في فرضيته، يتعلق دوماً بعلاقة الفكر مع موضوع معين، لا يرى

الفكر إلا مجسداً بالواقع الإجتماعي المعيش.

أما الفرضية الأولى، فتركز على محض الفكر كمنهج قبلي.

وأما الفرضية الثانية، فتركز على محض الواقع كمنهج بعدي، لذا آثرنا عدم تبنيهما معاً، لعدم إيفائهما بالغرض، ويظل الإمام مربكاً لكل من يتعامل معه، أو يتعاطى مع مشروعه الكبير، المتعدد المجالات، والمتشعب الأبعاد، والعميق الرؤى، والعظيم الجانب. فلقد فرض علينا النتاج العلمي أكثر للإمام إشكاليات تحتاج الى استراتيجيات عمل لا تستطيع دولة بجهازها المعرفي والفكري والثقافي الوفاء به بمفردها.

المنهج والصعوبة النظرية:

والسؤال المثار: أية منهجية علمية تفي بالغرض المنوط بنا؟

وأيُّ منهج يستطيع أن يزعم التحليل العلمي، دون أن يسقط في اتجاه أحادي؟

وأية مناهج مشتركة، يمكنها أن تحيط بشخصية عظمى، غلَّقت ما يقارب خمسة عشر قرناً من الجهاد، وأرست دعائم أول دولة إسلامية في التاريخ وغلّقت نهاية الألفية الثانية، وقد اختزلت التجارب الإسلامية المتوترة، بنجاح منقطع النظير؟

هل تستطيع مفاهيم العرفان التقليدية أن تحدس لنا منهجاً كشفياً لعروجه السلوكي، أو تكشف لنا عن صلاة العارفين، أو تحل ملغزاته الرمزية على فصوص الحكم؟

وبأي زيت يضيء مصباح الأنس، لنكشف الأسرار، التي حشَّاها على الأسفار؟

لا بد من أن يكون منهجاً أكبر من ذلك ليتناسب والجهاد الأكبر للإمام، أرى أن هذا المنهج لا يمكن تشخيصه، لأنه لا يتذوق معناه، إلا من ذاب عشقاً ليستطعم الفناء في الحب.

وأية مناهج أيديولوجية تستطيع أن تكشف الإتجاهات المخمرة، بل والمعتقة، وتحلل أضواء مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية. وإن استطاعت على المستوى

النظري، فكيف ترصدها ممارسة عند توظيف القيم الإيجابية في ممارساته المذهبية؟.

وأية مناهج سائدة الآن، على الساحات الأكاديمية والدينية، يمكنها ضبط وتعديل آليات التعامل مع المصادر النصية والتفسير لسورة الحمد؟ والكشف عن مدلولات المخازن الروائية عبر الاربعين حديثاً؟

وأيّ منهج يقوى على الصمود، أمام آليات الضبط العلمي والمنهجي الرصين؟ وهو صاحب أنوار الهداية في التعليق على الكفاية، أو منهاج الوصول إلى علم الأصول، عدا رسائله في الإجتهاد والتقليد، والتعادل والتراجيح، والطلب والإرادة. ألا يمكن الإتكاء، على مفردة الثوابت الفكرية، من خلال الأداة، فما بالكم من تعدد أدوات الرصد العلمي للإمام، وتضلعه المنقطع النظير دقة وتحقيقاً.

المنهج والعقبات العملية:

-كيف يمكن ضبط الممارسات العملية، على مستوى السلوك الجمعي، الإجتماعي، والإقتصادي، للإحاطة بكتاب البيع والمكاسب المحرمة؟ وعلى المستوى السياسي والتنظيمي الجماهيري من خلال التقية؟ أو ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية كآلية لمعالجة الأزمات؟ وأية مناهج اجتماعية يمكنها رصد حركة الجماهير الموّارة على أرض الواقع وهي تؤدي مناسك الحج وتعلن البراءة؟ وتوجيهاته الفقهية بدءاً من الطهارة والصلاة والصلة بين الأرض والسماء وعدم الإخلال بها؟ عدا قاعدة من ملك وبدائع الدرر في قاعدة نفي الضرر، وتوضيح المسائل وتحرير الوسائل؟ أية مناهج يا سادة تكشف عن حسه الفقهي والفقاهتي معاً؟

المنهج وصعوبة تحليل الدور على المستوى الوظيفي والمهني للأنبياء:

معلم له مقررات كثيرة، من دروس في العلوم العقلية والنقلية، فقهاً وأصولاً، فلسفة وعرفاناً.

فله ما لا يقل عن ١١٠٠ محاضرة و٨٠٠ نداء للعالم والأمة الإسلامية، ومئات الأحكام والأجوبة والإستفتاءات، وعشرات المقابلات الإعلامية والصحافية، عدا الإرشادات في المجالات السياسية والإجتماعية والعقائدية، والبيانات والأحكام والخطابات.

وعلى ما يبدو أنني قد ورطت نفسي لاختياري هذا الموضوع من ذاك المحور. وأحيل بحثي على علم المنهج العام الذي لا وجود له في جميع دولنا وفي أروقة البحث العلمي والأكاديمي.

ثانياً: الإمام القائد كمفكر ملهم

فالمفكر الذي ختم الالفية الثانية وما زالت أنواره على رأس الألفية الثالثة، هو قوة مفكرة، وموضع تطابق فكره هو الإسلام الأصيل، قبالة الإسلام الرسمي والأميركي، والفكرة الصحيحة هي التي يجب أن تكون متوافقة مع من يمثلها، فكل فكرة إنما تحمل في طياتها المجال الذي أفرزها، والمجال هنا هو تراث أهل البيت (ع).

وبما أن كل مفاضلة تكون مصحوبة بدوافع في اتجاه معين وأصيل، وبحركات هادئة في هذا الاتجاه، فإن كل مفاضلة يمكن أن تسمى قوة، وبما أن كل اكتناه هو مفاضلة، فإن كل اكتناه لشخصية المفكر هو أيضاً قوة.

وإذا كان لكل فكرة درجة احتمال تحقق حركي، يمكن رصدها من خلال المواقف، فعليها أن تكون متناسقة متناغمة منسجمة كحالة فكرية فردية، ولكنها في الوقت ذاته لا يمكن أن تكون مشتركة، بل حالة فردية تعبر عن حاملها إلا في شخصية الإمام، التي تجاوزته إلى آفاق الخافقين، فقد استبق عملياً فوكوياما برسالته لغورباتشوف، واستبق نظرياً هنتنغتون في تشخيص الشيطان الأكبر الإسلامي في بعديه العقائدي والعملي، وتكمن قوة ذلك الفكر في تماسه مع مصالح الإسلام والمسلمين.

باختصار، يمكن رصد المنهج عبر موشرات المنظومات القيمية والمعتقدية والمعرفية والعملية من خلال المواقف التي تفضي الى النتائج المحققة لغاية واحدة

تكمن في مصالح الأمة. ومن ناحية أخرى، لا يستطيع أفراد كثيرون أن يتخذوا معاً موقفاً مشتركاً من أي شيء، إلا إذا جاز أن يحسوا بالألم إحساساً مشتركاً، مع أن هذا غير ممكن، إلا مع الإمام والجماهير الشيعية المسلمة.

إمكانه الأول، عبر رصد مسار الشعور التاريخي، والتنكيل العلني برؤوس أئمة أهل البيت (ع)، إبعاداً وذبحاً وسجناً وتصفية بالأمس البعيد، والحرب المفروضة من العدو والصديق بالأمس القريب، وهذا هو الشيء الممكن أن أصابتهم آلام متشابهة فكانت لهم وللإمام مواقف كلها ألم بل آلام تاريخية، وذلك لأن الإصابة تتعلق دائماً بالفرد، ولكن أن تجترح المأساة الأمة، فهذا ما يمكن أن يكوّن لهم مواقف مشتركة ومصالح أخرى مشتركة، وهذا مغزى تعقيب الإمام على الحرب بقوله «الخير في ما وقع».

يكفيك فخراً يا إمام، أن لقبتك الجماهير بالإمام، لقبٌ لم يحصل عليه في التاريخ الشيعي إلا اثنا عشر إماماً فقط.

استلهمت رباطة جأشك، من ثبات فكرك ومعتقدك ومبدأك فـ «أميركا الشيطان الأكبر، وهي نمر من ورق» وقولك للشاه «حذاء والدك كبير عليك».

وحينما ندرس طبيعة الأفراد، من حيث كونهم كائنات فإن سلوك الوعي الفردي أو ماهيته، تترجم نفسها عن طريق العلاقات الإجتماعية.

فالأفراد لا يمكن أن نفهمهم، وهم منفصلون عن علاقاتهم بعضهم ببعض، والعلاقات يتعذر علينا أن نفهمها، وهي منفصلة عن الوحدات الإجتماعية أو الأطراف التي تنتهي عندها.

فالإجتماعي لا يهتم إلا بالمشكلات الخاصة التي يبحثها، لذا، ستكون خطتنا الإفادة من نتائج تلك الدراسات.

وأول ما يلفت انتباهنا من هذه النتائج ويعتبر ذا أهمية خاصة في التحليل، هو مسألة المنهجية بين الثوابت الفكرية، والمصالح المتغيرة للأمة. فالعلاقة بينهما لا يمكن رصدها إلا من خلال المصالح والمواقف؛ إحداهما تتسم بالثبات والأخرى

بالتغير، ورد الفعل الذاتي كفيل برصد المصداقية المعتقدية.

وإذا قلنا إن أحد الاشخاص يتركز اهتمامه، أو تتجه مصالحه نحو الدين أو القانون أو المال أو الجنس أو النفوذ أو المكانة الإجتماعية، وجب علينا أن نوضح المواقف التي تتلاءم مع هذه المصالح.

وعلى ذلك، فدراسة حقيقة السلوك العقلي تتطلب معرفة كل من المصلحة الموضوعية والموقف الذاتي.

فالموقف الذي ينمو إطرادياً في حياة الفرد والأمم والجماعات، موجّه نحو فئة أو شرائح أو قبيلة أو بيئة أو معتقد إلخ. من صنوف المواقف، من حيث عملها على جمع شمل الأفراد، يفترض فيه حركة دائمة للإنسجام أو التوفيق بين المواقف على المستوى الفردي، لكن على المستوى الجماعي تنزع المواقف لتكون متشابهة نحو المصالح.

فمثلاً، المواقف تستجيب للإدعاء الضخم الذي هو جزء من النظم التربوية والقيمية التي تحكم مجتمعاً ما وتنشأ هذه المواقف إلى حد ما عن ظروف اجتماعية عامة، لكنها تستند بشدة إلى قوة المذهب الشيعي من جهة والإلتزام الجاد من جهة أخرى دعماً وتأييداً من جانب الجماهير.

ونعترف، منذ البدء، بأننا أمام شخصية مرجعية اجتهادية عظمى أربكت القوى الكبرى عالمياً والحاكمة في المنطقة تبعياً، مما يجعل مثلي يقر بالصعوبات التي تواجهني، وما كان لي أن أهرب منها إلا حينما شرعت في تحليل بيانات وخطب ومواقف، أعترف بأنها لا تمس صميم ملاحظاتي المنهجية السابقة.

فالمواقف بطبيعة الأمر طرق للوعي أو الإدراك، تتميز بأنها غير مشعور بها ومعقدة ومتغيرة، ويطرأ عليها التعديل باستمرار تبعاً لتعليمنا وتفكيرنا ولصحتنا ولظروفنا التي تحيط بنا، ومن جهة أخرى الموقف الذي نسعى إلى تحديده باسم معين هو في أكثر الأحيان متنوع، إلا أنه يستمد ثباته من الإسلام. إنه تقويم متغير على الدوام، لكن يمكن رده إلى الإسلام. والغرض من الملاحظات هو تحديد قيمة

أولئك وتلك من حيث الصلات التي تربطنا بهم.

إن المواقف، كما رأينا، جد معقدة وجد متنوعة وجد متصلة بالفرد، لدرجة أن أي تقسيم لها سيصبح حتماً، كما يقول المناطقة، تقسيماً مصطنعاً وليس في الإمكان الحصول على تقسيمات كاملة لها، بل تحتاج لدراسة خاصة.

بعبارة أخرى، إن تقسيمنا ينبغي أن يتوقف على غرضنا من إجرائه، وسيجد المستمع الكريم أننا نعالج المواقف من وجهة نظر اجتماعية متعلقة بمصالح الأمة، أي سنهتم بتنوع المواقف التي ثبت أنها ذات قيمة وحاسمة بالنسبة للعلاقات بين الناس.

ثالثاً: الفكر

فهو مجمل الوقائع المعتبرة، ويشمل بالمعنى الأوسع كل ظواهر العقل بما هو شيء يُفكر، يتصور، يُحلل، يستنبط، يرتاب، يُقرر، يُريد ولا يريد.

وبالنحو العادي ،كل الظواهر المعرفية قبالة المشاعر والمشيئات، وليست هناك أفكار فطرية، لأن الأفكار هي أفعال ووقائع، لكن الحقائق من حيث كينونتها فينا لا نتفكر فيها وإنما هي استعدادات أفكار بالقوة.

وبالمعنى الأخص يقال على الإدراك والعقل، من حيث إنهما يسمحان بفهم ما يشكل مادة معرفية... من حيث إنهما يحققان درجة توليفية أرفع من الإدراك الصوري من الذاكرة، فحين نتمثل المدى نخرج من ذاتنا لندخل في مطلق الفكر. والفكر وعي عقلي قبالة الوعي الحسي، فهو مثالي يشكل نموذجاً كاملاً ينبغي تحقيقه، أي أنه ترفع جمالي أخلاقي فكري، أو ارتفاع وجهة النظر قبالة الحياة الفكرية الضيقة والحياة اليومية العادية. إنه حركة المثال المتسامت مع حركة الواقع. هو الروح في قوانينه الحسية، هو ليس صورة بقدر ما هو قدرة نمط تام في نظام فكري عند الممارسة، وهو يشمل جميع النفوس حول هدف مشترك. وخارج ذلك ليس سوى المنفعة التي تكون أبعد عن التركيز والتوحيد، بل تفاصل وتباعد يلحظ فيهما البينونية أكثر من الذاتية.

الله مثاله المتعالي الكائن الأرفع الملبّي للحاجة العقلانية، إنه البدء والإيجاد، هو المبدأ الوحيد لكل وجود. إنه الحق المعيار في قمة القمم، وعقيدة الإمام العرفانية منوطة بتفصيل ذلك كله.

وعندما نتناول الثوابت الفكرية كظاهرة عقلية تكمن في الدعوة المرضية لحالة وعي مهيمنة سلفاً لا يستطيع أن يزيلها مجرى الأفكار العادي ولا فعل الإرادة حتى الجمعية منها.

- وهي أفكار قوية مميزة، تتسم بسمة فاعلة. إنها العقيدة التي يتسالم الوعي الصحيح معها كعامل تغيير، علّة فعله، أو الفكر بالفعل، وهو فوق ذلك الواقع ذاته الماثل لنفسه، المتغير بذاته، الموجه نفسه بفكرة تطوراته الممكنة، في أفضل اتجاهاته ثباتاً وتوافقاً، ورسوخاً، فكر غير متهرب، ولا متناقض، ولا ممتنع إدراكه، يستمد ثباته المنطقي، من رواء العقيدة والمذهب، المدعمة بالحجج والبراهين الفلسفية والكلامية والعرفانية.

فكر متين، غير متوقف على تعسف، أو على الظروف الطارئة المتغيرة، بل اجتهاد علمي، روى بالدم عبر مراحل التاريخ المختلفة، ويتطابق مع إسلامه. لذا، سيمتلك صفات الدوام والموضوعية والبهاء والتألق، لأنه ملازم متعهدٌ لروح القرآن ومشخصات المعصومين.

وقد برهنت النظريات الإجتماعية، الخاصة بالفعل الجمعي، بشكل واسع، أن الأغراض التي يسعى إليها الفاعل، والوسائل التي يثق بها، تتعلق بالمعتقدات وبنسب متنوعة وفقاً للحالات.

وكذلك المعتقدات تشكل موقعاً عادياً للفعل، تميل إلى تقديم نفسها إلى أن تعاش كظاهرات ذاتية، وأيضاً كحقائق موضوعية اجتماعية، وأن الفاعل المقتنع يميل فورياً لها، عبر البرهنة على صحتها، لذلك، فإن كل اعتقاد يتضمن خطراً وتهديداً على أعدائه.

باختصار، تستند الآراء السياسية عند الشيعة، الى نظريات معتقدية، وبدورها

تتكىء على منظومة اجتهادية علمية ثابتة.

وبدوري، لن ألاحق التشخيص ورصد الدلالات، لمجموع المواقف المتغيرة، للناص والنص ومنصوصية العادات والتقاليد والأعراف، إلا من خلال حيز، لا أعتقد أنه يعبر بالكلية عن عظمة الإمام. وحاصل النتائج، تمكنني من ملاحظة الثبات والموثوقية، مهما اختلفت المواقف والنتائج المترتبة عليها. لذا، ساركز التشخيص على منظومة القيم والأفكار وعالم العقائد، للتدليل على مصداقية تلك الثوابت، حالة الممارسة في تطويع الوقائع لصالح المتمثَّل المعتقدي. فما ينفع الناس يمكث في الأرض.

رابعاً: مصالح الأمة المشتركة

يشير المفهوم الى بعد اختصاصي بعلم الإجتماع، وعلاقة المنهج بالثوابت الفكرية،بالمفكر المرجع، وبمشروعه المتعلق بمصالح الأمة المتغيرة: حلقات تبدو للوهلة الأولى متداخلة، عصية على التحليل، إلا أن ما يجمعها عموم وخصوص من وجه، بل من وجوه، فالمفكر فاعل الفكر، لا بد وأن يتكىء على منهجية آلية في التفكير، والمفكّر فيه، لا بد أن يكون من القيمة بمكان، حتى يستأهل التفكير، والفكرانية تستتبع نتيجة عملانية، تولد مصلحة من نوع ما، فما ينفع الناس يمكث في الأرض.

وللمصلحة شكلان رئيسان في ما نحن بصدده:

أحدهما: الإنتماء إلى الجماهير البسيطة، من خلال مبدأ تلك الجماهير وإخلاصها للشخصية المرجعية، مما يولد شعوراً تبادلياً، لا على المستوى الميكانيكي، بل بالأحرى تفاعلي، على المستوى المذهبي أو الأيديولوجي، يولد اتحاداً شاملاً لا تنفصم عراه مع أقرانهم، كما هي الحالة الإيرانية، علاقة الشيعة بالمرجعية، وهي لا تخلو من ثلاثة مواقف، إما تقليد أو احتياط أو اجتهاد، كما الإنتماء العام إلى القرابة الأسرية أو المدنية أو الأمة.

ومن إحدى مشكلاتنا الرئيسة، بل والكبرى، أننا لم نرق بعد، إلى طور المراهقة

الفكرية، بل إلى مرحلة الطفولة، في تعاملنا مع تلك المشكلة، فالطفل ينزع نحو ما يسبب له لذة تشكل له مصلحة في البقاء. أما نحن، فقد عجزنا فيها عن أن نرفع مصالحنا المشتركة كمسلمين، فوق مصالحنا التجزيئية الضيقة والمدمرة، مذهبية كانت أو قومية أو قطرية أو طائفية، بسبب حكومات العسكر، ملوك الطوائف، التي ضيعت الأندلس في ما مضى، وأندلسنا الفلسطيني الراهن المرهون والمرتهن. إنهم الخطر الحقيقي، الذي يهدد استمرارنا كأمة وكحضارة.

ثانيهما: الإنتماء إلى هدف عام وغاية نبيلة، نلحظها في اهتمامات المرجع المفكر الفيلسوف الفقيه والاصولي العرفاني والمحقق المدقق، يمثل الشكل الثاني للمصلحة المشتركة للأمة الإسلامية عامة، والمجتمع الإيراني بشكل خاص، فقد استثارهم حماسة وإخلاصاً، ودعاهم لما يحييهم. ألا تتفقون معي في أن من أهم عوامل التغيير الثمانية: الرؤية المذهبية الإمامية، وحماية وطن له موقعه الإعتباري على خارطة المصالح الدولية، خاصة في مجال النفط، فضلاً عن درء المفاسد الذي دعا الناس للسعي وراء أهداف معينة مشتركة، ذات دلالة قوية. فالشبه غالباً ما يكون مصدراً لمصلحة مشتركة كما هي حالة إيران والعالم الإسلامي، نرجو لها مزيداً من التعاون والتوفيق.

ونعترف كعرب بأننا قد عجزنا عن أن نرفع مصالحنا المشتركة كمسلمين فوق مصالحنا التجزيئية الضيقة والمدمِّرة، مذهبية كانت أو قطرية أو طائفية، تجاه مشروع الوحدة.

الجزء الثاني: التطبيق والممارسات العملية الذاتية للإسلام (الشواهد النصية)

أولاً: مصادر الإمام الفكرية والنظرية

أ- القرآن الكريم:

ومن مطالب هذه الصحيفة الإلهية كيفية الإحتجاجات والبراهين التي ذكرها الله.

أما إقامتها الذات المقدسة للحق تعالى بنفسه لإثبات المطالب الحقة مثل الإحتجاج إلى إثبات الحق والتوحيد.

وقد توجد براهين دقيقة يستفيد منها أهل المعرفة أو الحكماء أو العلماء، ويستفيد أهل الظاهر وعامة الناس على نحو آخر.

هذا الكتاب وهذه المائدة الممتدة في الشرق والغرب ومنذ زمان الوحي حتى يوم القيامة، هو كتاب يستفيد منه كل الناس، الجاهل والعالم والفيلسوف والعارف الفقيه، والكل يستفيدون منه أي إنه في الوقت الذي هو كتاب نازل من مرتبة الغيب إلى مرتبة الشهود، فإن فيه أيضاً المسائل السياسية والإجتماعية والثقافية والعسكرية وغير العسكرية حتى يستفيد منه الناس بمقدار سعتهم الوجودية والفكرية.

لكننا نجد حتى أن فئة من اليساريين والشيوعيين عمدت إلى التمسك بالقرآن أيضاً لنفس أهدافهم التي لهم، وهؤلاء لا علاقة لهم أصلاً بالتفسير ولا بالقرآن.

أسفي لأولئك الناس الذين لا يريدون أن يعلموا ولم يسلكوا طريق العلم ولم يخطوا خطوة في طريق التعرف على كتاب الله، ولم يخضعوا ذلك الإرتباط مع مصدر الوحي، حيث إن التفسير يأتي من هذا المصدر.

لقد اهتمت مجموعات مختلفة من أهل العلم بمعنويات الإسلام، ثم ظهرت تدريجاً مجموعات اهتمت بالمسائل الإجتماعية والسياسية وقضايا الساعة، وهؤلاء وقفوا مع هذا الطرف من القرآن، وأولئك كانوا ينظرون إلى ذلك الجانب من الورق.

وهذه هي الغفلة عن الإسلام، لأنهم كانوا ينظرون إلى الإسلام من زاوية واحدة.

قال رسول الله «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

بيان من هو مثلي أعجز من أن يتجرأ على الحديث عن مقامات عرفانية أحاطت

بكل دائرة الوجود من الملك إلى الملكوت الأعلى ومنه إلى اللاهوت وإنما لا يصل إلى فهمي وفهمك هو ثقيل تحمّله، ولعل عبارة «لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» إشارة إلى أن كل ما ألم بأي منهما بعد الوجود المقدس لرسول الله قد أصاب الثقل الآخر أيضاً حتى يرد هذان المهجوران الحوض على رسول الله.

وهو مقام اتصال الكثرة بالوحدة واضمحلال القطرات في البحر، أو هو شيء آخر لا سبيل للعرفان الفعلي البشري إلى إدراكه، لذا، ظلم الطواغيت هو ظلم للأمة الإسلامية، ولا عذر لعلماء المذاهب إن كان هناك عذر للعامة.

فقد استغله عبّاد الأنا والطواغيت واتخذوه وسيلة للحكومات المعادية للقرآن.

ـ إخراج القرآن، الدستور الأعظم لحياة البشر وشؤونهم المادية المعنوية، من الميدان.

ـ أبطلوا حكومة العدل الإلهي ،وهي أحد أهداف هذا الكتاب المقدس، وأسسوا للإنحراف والظلم والفساد.

ـ كتاب تنزل من مقام الأحدية السامي بالكشف المحمدي التام هدى للعالمين ومحوراً لجميع المسلمين كافة، بل وعموم الأسرة البشرية، وأسفاه لم يعد له دور سوى في المقابر والمآتم.

ـ وقد رأينا كيف يُعتبر مرتكباً لكبرى الكبائر من ينادي بالحكومة الإسلامية ويتحدث بالسياسة وأصبح وصف عالم الدين بالسياسة مرادفاً لوصفه بعدم الدين.

ـ وقد رأينا أن محمد رضا بهلوي طبع القرآن، فاستغفل به البعض، وكيف استدرجته فئة من رجال الدين جاهلة بالأهداف الإسلامية...

وعند أهل المعرفة قد صدر هذا الكتاب الشريف من الحق تعالى بمبدئية جميع الشؤون الذاتية والصفاتية والعقلية وبجميع التجليات الجمالية والجلالية، وليست لسائر الكتب السماوية هذه المرتبة المنزلة. وأما عظمته فبواسطة محتوياته

ومقاصده ومطالبه.

- القرآن كتاب هداية، فهو شفاء الأمراض الباطنية والدعوة إلى تهذيب النفوس وتطهير البواطن من أرجاس الطبيعة، وتحصيل السعادة عبر قصص الأنبياء والأمم وأنواع التربية المذكورة والمرموزة فيها ما يحيّر العقل.

- لذا، فإن أحد الإبتلاءات التي ابتُلي بها الإسلام أن هؤلاء الأشخاص أمثال المتكلمين والأكثر منهم الفلاسفة والأكثر منهم العرفاء والصوفية: أرادوا تفسير جميع الآيات الواردة في القرآن تفسيراً معنوياً، فاهتموا بالباطن وغفلوا عن الظاهر.

والآن، فإن ابتلاء الإسلام أخذ منحى آخر هو أن شبابنا ومثقفينا وعلماءنا الذين تعلموا العلوم المادية، يحاولون تفسير جميع آيات القرآن والروايات طبيعياً وأغفلوا عن المعنويات، وهؤلاء مهتمون بالإسلام، لكنهم غافلون أيضاً لأنهم ينظرون للإسلام من جانب واحد.

وهاتان الطائفتان لم تفهما الإسلام بمعناه الحقيقي، فالإسلام لا يدعو إلى الماديات فقط ولا يدعوإلى المعنويات فقط، إنه يدعو إلى كليهما.

فقد جاء الإسلام والقرآن الكريم من أجل بناء الإنسان وتربيته في جميع أبعاده، والمفسر الذي غفل عن هذه الجهة حرم الملة الإسلامية.

- هذه الصحيفة الإلهية كتاب إحياء القلوب بالحياة الأبدية، للعلم والمعارف الإلهية. هذا كتاب الله ويدعو إلى الشؤون الإلهية، له جل وعلا.

فعلى المستفيد أن يخرق جميع هذه الحجب وينظر إلى القرآن من ورائها، ومن الحجب الآراء الفاسدة والمسالك والمذاهب الباطلة، وهذا يكون من سوء استعداد الشخص أحياناً والأغلب أنه يوجد من التبعية والتقليد. أو الذين يركزون على العقائد العامية ويرون معارف الخواص وأهل الله باطلة. وحتى يتضح حد هذه العقيدة الفاسدة الناشئة عن الجهل والغرور الشيطاني يستلزم ذلك كتاباً على حدة.

- لقد اشتبه على الناس التفكر والتدبر في الآيات الشريفة بالتفسير بالرأي

المجموع، وبواسطة هذا الرأي الفاسد والعقيدة الباطلة جعلوا القرآن عارياً في جميع فنون الإستفادة واتخذوه مهجوراً بالكلية.

- وما ورد في كلام بعض المحدثين من ذوي المقام العالي أن الإعتماد في إثبات التوحيد على الدليل النقلي من غرائب الأمور، بل من المصيبات التي لا بد وأن يستعاذ بالله منها، ولا يحتاج هذا الكلام إلى التهجين والتوهين، وإلى الله المشتكى.

ومنها حجاب المعاصي والكدورات الجاهلة من الطيغان والعصيان بالنسبة إلى ساحة رب العالمين المقدسة الذي يحجب القلب عن إدراك الحقائق. فيكون نظرهم إلى العالم كنظر الأنعام والحيوانات الخالية عن الإعتبار والتدبر، وقلوبهم كقلوب الحيوانات لا نصيب لها من الفكر والتذكر، بل تكون حالة الغفلة والإستكبار، تزداد فيهم يوماً فيوماً حاسة النظر في الآيات واستماع المواعظ والمعارف، فهم أرذل وأضلّ من الحيوان. ومنها حب الدنيا.

- جاء الفكر في القرآن بتاء المضارعة ولم يأت اسماً «للدلالة على حالة ترفيه نخبوية بل عملية».

﴿**وأنزلنا الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم ولعلهم يتفكرون**﴾ (النحل، آية ٤٤) مدح عظيم للتفكر، والآية قد جعلت احتمال التفكر وقد ورد عن النبي الأعظم: «ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكر فيها». وقال الشيخ الأنصاري «إعلم أن التفكر تلمس البصيرة لاستدراك البغية».

وقال الإمام: يعني أن التفكر هو تجسس البصيرة وهو بصر القلب للوصول إلى المقصود والنتيجة التي هي غاية الكمال، والمقصود هو السعادة المطلقة التي تحصل بالكمال العلمي والعملي.

- لولا البعثة وإيجاد تحول علمي عرفاني في العالم، بحيث إن الفلسفات اليونانية المتحجرة التي حاربها اليونان والتي كانت ذات قيمة ولا تزال، تبدلت إلى عرفان عيني وشهود حقيقي لأصحاب الشهود.

إن القرآن لم ينكشف في بعده هذا لأحد إلاّ من خوطب به بل لذات ذي الجلال

جلت عظمته لو لم يكن القرآن موجوداً وإلا أغلق باب معرفة الله إلى أبد الأبدين، وتلك الفلسفة اليونانية هي شيء آخر ولها قيمة كبيرة في مجالها، لأن بالإستدلال يتم الإثبات، ولكن لا تحصل المعرفة، والمعرفة هي غير إثبات الوجود.

وجاء القرآن وفيه الوجود بنفس الطرق المتعارفة وعرفان القرآن الذي لا يمكن العثور عليه في أي كتاب.

فارتباط المعنويات بالماديات وانعكاس المعنويات في جميع الجوانب المادية هو من خصوصيات القرآن الذي أفاضه.

ب ـ التوجهات الأيديولوجية للإسلام

ـ شمولية الإسلام، التوجه للأبعاد والأقسام المختلفة. فالإسلام لا يدعو للماديات فقط ولا الى المعنويات فقط. بل إنه يدعو لكليهما معاً، أي جاء الإسلام والقرآن لبناء الإنسان في جميع أبعاده.

ـ يجب أن ننظر الى أي مستوى يتمكن فيه شعاع الفكر البشري من الوصول الى الإسلام.

ـ إن الإنسان له مراتب سير من الطبيعة الى ما فوق الطبيعة حتى يصل الى مقام الألوهية، وهي مراتب معنوية.

ـ جميع الأنظمة الوضعية غير الإلهية لها رؤية محددة لا تخرج عن إطار هذه الطبيعة.

ـ المدارس التوحيدية انما جاءت من أجل بناء الإنسان وليس بناء الحيوان.

ـ كل ما لدينا من احكام الهية فقهية هو نبذة من أحكام الإسلام وأنظمته فلا يوجد أي موضوع مهم لم يعط الإسلام حكماً فيه ولم يضع له تكليفاً.

ـ إن لمفكرينا نفس هذا السطح الظاهري من العلوم الجامعية، وهو ذو قيمة كبيرة، بيد أن الإسلام لا يريد جل هذا، بل ما يريده هو أن ترتبط جميع العلوم

الطبيعية وغيرها بالعلوم الإلهية التوحيدية، أي أن يكون لكل علم جانب الهي.

ـ الأبعاد السياسية للإسلام الذي ينظر الى المجتمع في جميع شؤونه. إن جميع العلوم التي تذكرونها وتثنون بسببها على الجامعات الأجنبية وتستحسن الثناء فعلاً لأنها تمثل ورقة واحدة من العالم، متدنية جداً أمام الموجودات الالهية . الفرق أن الإسلام يطلب في نفس هذه الطبيعة معنى آخر، وأن الذي يقرأ القرآن الكريم يشاهد هذا المعنى أي يستهدف جانبها المعنوي.

ـ فالعقل الوارد في القرآن الكريم والأمر بالتعقل هو أمر ينقل من المحسوس الى عالم التعقل وعالم التعقل، هو الأصالة، وإن الطبيعة ليست سوى شبح عن العالم.

ـ الإسلام لا يختص بطائفة خاصة وليس للمسلمين وحدهم وليس لإيران وحدها. بعث الأنبياء لم يكن انتفاضة محدودة بمكان معيّن، فالرسول الأكرم كان حجازياً لكن دعوته لم تختصر بالحجاز بل إنها دعوة عالمية.

ـ لا اعتبار في الإسم للقومية ولا للجماعات ولا للعصابة ولا للغة، فلا فرق بين الأكراد ولا الأتراك والبوسنة وغيرهم ،ولا بد من العيش المشترك.

ـ لا يختص الإسلام بدولة معينة مثل إيران والعراق، بل إنه ينظر الى كل العالم، ولا يرتبط بقوم بصلة قرابة ولا بالشرق ولا بالغرب ولا بالشمال ولا بالجنوب؛ إنه إلهي مثلما أن الله هو إله الجميع ليس الهاً للشرقيين المسلمين فقط أو الغربيين أو المسيحيين أو اليهود. أنه جاء لبناء البشر وتقديم الصورة التي يريدها.

ـ ينظر الإسلام بعين الأخوة الى جميع الذين آمنوا بالله، ولا يميِّز العربي على الأعجمي أو الإيراني على غيره كما يقولون، وفقهاً إننا إيرانيون ويجب العمل لإيران فقط أو أننا عراقيون ويجب العمل للعراق فقط غير موجودة في الإسلام، ويريد الإسلام أن يكون العالم كله أسرة واحدة وأن تحكمه حكومة واحدة وهي حكومة العدل الإلهي.

ـ فالإسلام ورغم احترامه للوطن والذي هو محل الولادة، لكنه لا يجعله في

مقابل الإسلام، فالأصل هو الإسلام. الإسلام لجميع الطبقات، وقد ظهر من الجماهير ولم يظهر من الطبقة الغنية ولا من الطبقة الفقيرة، وانتفض من أجل هذه الجماهير وعامة الناس.

- فالله لا ينظر الى الطبقات، وإن التقوى هي المطروحة في الإسلام، فمن كانت تقواه أكثر كانت كرامته أكثر، والأسباب غير مطروحة أبداً، بدءاً من رئيس الجمهورية أو رئيس وزارة.

- إن القرآن يدعو الى الإجتماع ويدعو الى السياسة، ورغم أن كل هذه عبارات فإن لم تكن هناك عبادة بمعزل عن المصالح الإجتماعية، وحتى أن العمل في المصانع والزراعة والتربية والتعليم في المدارس كلها. مصالح إسلامية وذات جنبة عبادية.

- إن الأحكام الأخلاقية للإسلام سياسة، فاعتبار المؤمنين إخوة إنما هو حكم أخلاقي وحكم اجتماعي وسياسي. فلو كان المؤمنون من الطوائف المختلفة والطبقات المختلفة نظرت بعين المحبة الى بعضها البعض فإن هذا الحكم اجتماعي كبير وله نتائج اجتماعية كبيرة، إضافة الى أنه حكم إسلامي أخلاقي عظيم وله نتائج أخلاقية كبيرة.

- لو أمكنكم درك مفهوم الدين في ثقافتنا الإسلامية لتأكدتم بوضوح بعدم أي تناقض بين القيادة الدينية السياسية، بل كما أن الكفاح السياسي هو جزء من الوظائف والواجبات الدينية، فإن قيادة الكفاح السياسي وتوجيهه هو جز من الوظائف ومسؤوليات القائد الديني.

- من البديهي أن ضرورة تنفيذ الأحكام التي أوجبت تشكيل حكومة الرسول الأكرم لم تكن خاصة بعصر النبي، بل إن الضرورة مستمرة. وطبق الآية الشريفة فإن أحكام الإسلام لا تحدد بزمان، وهي باقية الى الأبد ولازمة الإجراء، وتعطيلها خلاف ضروريات العقائد الإسلامية.

- إنه لولا جهاز التنفيذ والإدارة الذي ينظم جميع فعاليات الناس بنظام عادل

من خلال إجراء الأحكام لسارت الفوضى وعم الفساد الإجتماعي والإنحراف الإجتماعي والعقائدي والخلقي.

جـ- النظرة الكونية للتوجهات الايديولوجية للإسلام

- إن معتقداتي أنا وجميع المسلمين هي نفس المسائل المطروحة في القرآن الكريم والتي بينها الرسول الأكرم (ص) وأئمة الحق (ع)، وإن أساس جميع تلك الإعتقادات وأهم وأعلى عقائدنا هو أصل التوحيد.

- الذات الإلهية المقدسة وحدها هي التي خلقت هذا العالم وكل عوالم الوجود والإنسان.

- يجب على الإنسان أن يخضع للذات الإلهية الحقة فقط، وأن لا يضع أيٌّ إنسان، ولا يحق لأي إنسان أيضاً أن يفرض على الآخرين أن يخضعوا له بموجب علمه وإدراكه الناقص جداً أو ميوله ورغباته.

بعلم من هذا الأصل العقائدي تبدأ حرية الناس والمجتمع، وإن وضع القوانين هو من صلاحية الخالق. وإن انحطاط الإنسان وسقوطه إنما هو بسبب سلب الحرية منه لسائر الناس.

- لذا، يجب على الإنسان أن يثور ضد سلاسل وقيود الأسر هذه، ويقف بوجه الآخرين الذين يدعون إلى الأسر، ويحرر نفسه ومجتمعه.

ولهذا السبب تنطلق قراراتنا الإجتماعية ضد قوى الإستعباد والإستكبار. فجميع الناس متساوون أمام الخالق، فالأصل هو تساوي الناس، ولله التقوى والطهارة من الإنحراف، والخطأ هو المعيار والقاعدة الوحيدة لامتياز فرد على آخر.

لذا ،يجب محاربة كل ما يستهدف القضاء على التساوي بين أبناء المجتمع وتحكم الإمتيازات الفارغة التي لا أساس لها في المجتمع.

- يدّعي بعض السذج والبلهاء أن أحكام الإسلام وضعت قبل ألف وأربعمائة

عام فلا يمكنها إدارة أمور الدول.

أو أن الإسلام دين رجعي يرفض مظاهر التمدن ولا يمكن للدول المعاصرة أن تتسلح من هذا التمدن العالمي ومظاهره.

وأن الإسلام إنما يعنى بالمعنويات وتهذيب النفوس والتحذير من المقامات الدنيوية والتأكيد على الإنهماك في العبادات والأذكار والأدعية اليومية.

وأن الحكومة والسياسة وإدارة البلاد وأمور البلاد على خلاف ذلك الهدف المعنوي العظيم، فهذه جميعاً من أجل إعمار الدنيا.

وللأسف، أثر هذا في بعض رجال الدين والمتدينين غير العارفين بالإسلام حتى اعتبروا أن التدخل في شؤون الحكم والسياسة معصية وفسوقاً.

فلعل البعض يعرفون، وهذه فاجعة عظمى ابتلي الإسلام بها.

الصفة الأولى:

ينبغي القول إنهم إما جهلة بالحكم والقانون ولاسياسة أو عالمون لكنهم يتظاهرون بعدم الإطلاع لأغراض خاصة، فإجراء القوانين على أسس القسط والعدل ومنع الظلم ومواجهة الحكم الجائر وبسط العدالة، على كلا الصعيدين الفردي والإجتماعي وقمع الفساد والفحشاء وأشكاله وانحرافاته وتحديد الحريات بموازين العقل والعدل وقضايا الإستقلال والإكتفاء الذاتي ومكافحة الإستكبار والإستغلال والإستعباد وقضايا الحدود والتعذيرات على أساس العدل منعاً لفساد العالم وتدبير المجتمع وقضايا السياسة وتدبير شؤون المجتمع. وفق معايير العقل والعدل والإنصاف، والمئات من أمثال هذه القضايا ليست من الأمور التي يبليها الدهر على مدى التاريخ الإنساني والحياة الإجتماعية، وادعاء كهذا مثل ذلك الإدعاء. بأن القواعد العقلية والرياضية يجب أن تُلغى في القرن الأخير وتستبدل بقواعد أخرى، ما هو بأكثر من ادعاء بليد.

ـ الأديان الإلهية واهتمامها بجميع أبعاد الإنسان وراحته وبنائه في جميع

أبعاده.

إن جميع القوى وسائر الدول لا تبالي بمعنويات الناس وجميع المدارس الموجودة في الدنيا، سوى مدارس التوحيد، لا تبالي بالذات الباطنية للإنسان ما هي نفسيته، ولا يوجد قانون يمنع الإنسان من بعض ممارساته حتى لو كان في صندوق مغلق.

ـ المعاد وعوالم الوجود الذي هو أعم من الغيب والشهادة أذكركم بضرورة إعادة النظر في الفلسفتين (المادية / والإلهية):

فلقد وضع الماديون في فلسفتهم تجاه قضايا العالم الحسَّ معياراً للمعرفة، فأخرجوا الشيء غير المحسوس من دائرة العلم، واعتبروا الوجود قرين المادة واستتبع هذا المعيار أن اعتبروا عالم الغيب ضرباً من الأوهام والأساطير في حين أن معيار المعرفة في الفلسفة الإلهية هو أعم من أداتي الحس والعقل معاً.

فيدخل المعقول المدرك بالعقل دائرة العلم حتى لو انعدم إدراكه بالحس، في حين توجد عوالم أخرى لم يدركوها، وتوجد نجوم تحتاج الى ستة بلايين سنة ضوئية ليصل نورها إلى الأرض.

ـ الإعتقاد بوجود مبدأ متعال هو من أمور قطرة عشق الكمال، حتى وإن لم نكن نؤمن بالجنة لا سمح الله لقالت فطرتك: ليت مثل هذه الجنة موجودة وليتهن كُن من نصيبي. نور الفطرة قد هدانا الى أن نعرف أن قلوب جميع أبناء البشر من أهالي أقصى المعمورة وسكان البوادي والغابات إلى شعوب الدول المتحضرة في العالم.

وابتداءً بالطبيعيين والماديين وانتهاءً بأهل الملل والنحل تتجه الفطرة نحو الكمال الذي لا نقص فيه، أي جميع الكائنات والعائلة البشرية يقولون بلسان فصيح وبقلب واحد وجهة واحدة:

إننا عاشقون لكلمات المطلق. إننا نحب الجمال والجلال المطلق. إننا نطلب القدرة المطلقة والعلم المطلق.

فـهل هناك في جـمـيع سلسلة الكائنات في عـالم التـصـور والخـيـال وفـي كل التجويزات العقلية والإعتبارية موجود له الكمال المطلق والجمال سوى الله ... مبدأ العـالم جلت عظمتـه؟ وهل الجـميل علـى الإطلاق الذي لا نقص فـيه إلا ذلك المحـبوب المطلق.

فيا أيهـا الهائمـون في وادي الحيـرة والضـائعون في صـحـارى الضـلالات، بل أيتها الفراشات الحالمات الهائمة حول شمعة جمال الجميل المطلق، ويا عشاق الحبيب الخـالـي من العـيـوب والدائم الأزلي عـودوا قليـلاً إلـى كـتـاب ذاتكم لتـروا أن الفطرة الإلهية قد كُتبت فيه بقلم القدرة.

﴿**وجـهت وجـهي للذي فطر السـمـوات والأرض**﴾ فـهل إن ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾ هـي فطرة التوجه نحو المحبوب المطلق.

وهل أن الفطرة التي لا تبدَّل ﴿**لا تبديل لخلق الله**﴾ هـي فطرة المعرفة/ تيقظوا من نوم الغفلة.

وليكن نور طلعته ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ وإن سعة إحاطة محبوبك (لو دُلّيتم بحبل إلى الأرضين السفلى لهبطتم على الله).

إذن يستوجب عشقك الفعلي معشوقاً فعلياً، ولا يمكن أن يكون شيئاً متوهماً متخيلاً، إذ إن كل موهوم ناقص، والفطرة إنما تتوجه إلى الكامل، فالعشق الفعلي والعاشق الفعلي لا يكون من دون معشوق، ولا معشوق غير الذات الكاملة التي تجدُ إليها الفطرة، فلازم عشق الكمال المطلق وجود الكامل المطلق.

وقد أصبح معلوماً أكثر أن أحكام الفطرة ولوازمها أوضح من جميع البديهات.

﴿**أفي الله شك فاطر السموات والأرض**﴾.

ـ نظم العالم ليس صدفة وتلقائياً. يقول الإمام: الممكن لا يوجد بنفسه إن هذا القول يخالف الضرورة العقلية التي تنفي تحول شيء إلى شيء آخر بذاته دون تدخل علة خارجية.

ـ توحيد الله أمر فطري.

ذات الله هي مبدأ كل شيء منشأ جميع الكمالات، مصدر كل الخيرات، وهو حقيقة الوجود والمقياس. إن الوحدة تساوق الوجود.

د ـ النبوة والأنبياء

ـ تدين حياة الإنسان بكل أبعادها، سواء التربية الجسمية والروحية أو العقلية أو ما فوقها، لا يمكن أن تكون بيد البشر.

لأن البشر لا يلم بحاجات الإنسان وكيفية تربيته بالنسبة إلى ما وراء الطبيعة، ورغم ذلك، فإن خصائص الطبيعة قد تطورت في الأيام الأخيرة كثيراً جداً، لكن أموراً كثيرة أخرى لم تكتشف، ويجب على المربي للجانب المعنوي أن يملك علماً حقيقياً ،لذا كان الوحي الإلهي ينزل على أشخاص كمل.

ـ إن الهدف من بعثة الأنبياء مقدمة لنشر التوحيد ومعرفة الناس بالعالم وإراءة العالم كما هو لا بالشكل الذي ندركه، ولقد بذل الأنبياء جهدهم ليكون كلُ التهذيب والتعليم لإنقاذ الناس من هذا الظلم الذي يسيطر على العالم وإخراجهم إلى النور.

ومن ثم الهدف النهائي هو معرفة الله، وكل شيء مقدمة له وهو رفع الحجاب عن تلك النقطة الأصلية.

ـ هدفان أساسيان للأنبياء: تنمية معنويات الناس واستعدادتهم، إنقاذاً للضعفاء من نير الإستكبار، وإقامة العدل قبل أن يشكل حكومته.

ـ سر عدم اختلاف الأنبياء المجردون أن لهم علوماً تطابق الواقع، لذا، فإن جميع الأنبياء متطابقون في الكشفيات وتوافق علومهم وأخبارهم لبعضهم البعض، فيحصل الأنس الإتحادي مع المبادىء العالية، فتبعث على نفسه وقلبه الحقائق.

ـ هل الدين أفيون أم محرك.

إن أعداءنا يقولون: «بأن الدين أفيون الشعوب»، وقد أثر هذا الكلام حتى بين بعض مثقفينا.

وقالوا أيضاً: (بأن الإسلام كان مفيداً لألف وأربعمائة سنة مضت، ولا يمكن تطبيق جميع أحكام الإسلام الآن).

هؤلاء لا يعرفون ما هو الإسلام.

يقولون: لقد اختلقوا أنبياء ليعدوا الدين لأجل المحافظة على الأقوياء.

في حين أن المتصفح لصفحات التاريخ عامة وتاريخ الإسلام خاصة الذي هو قريب من عصرنا الحاضر نشاهد (من وقف بوجه من)، وإن كل من ينظر إلى تاريخ الأنبياء وما هي الطبقة التي ينتمون إليها ومن يعارضونه.

يعلم بأن الأنبياء كانوا من هذه الطبقة المستضعفة، من هذه الطبقة الثالثة من عامة الناس، ودفعوا الناس لمحاربة المستكبرين.

- واحدهم موسى (ع)، إذ كان راعياً يحمل عصاه، وخدم شعيباً لمدة طويلة وعمل راعياً عنده، وكان من عامة الناس، ونهض من بينهم، وجهزهم ضد فرعون. إن فرعون لم يرب موسى ليحفظ عرشه، وإن موسى جمع الناس ووجهها للإطاحة بعرش فرعون لا أن الدين أفيون الشعوب.

وكذلك للرسول الأكرم موقف بوجه طغاة قريش، وفر من مكة بعد أن أنهى الأعمال السرية في غار حراء، ثم ذهب إلى المدينة مع من كان يرافقه.

هل كان هؤلاء من الأقوياء؟

هل كانوا هؤلاء طغاة؟

هل كانوا من الآكلين للربا؟

هل كانوا تجاراً؟

هل كانوا بعهود أغنياء؟

غرفته من جذوع النخل

أصحابه من أهل الصفة لا بيت لهم.

إلا أنه قضى على كفار قريش.

فالإسلام وسائر الأديان إنما هي محركة، وقد أيقظت الناس، وتعليمات الأنبياء أيقظت الجماهير وأثارت الناس ضد أصحاب النفوذ وضد المشركين.

- إن الأنبياء العظام السابقين والرسول الأعظم في الوقت الذي يحملون فيه الكتب السماوية في يد من أجل هداية الناس كانوا يحملون السلاح في اليد الأخرى.

فإبراهيم (ع) يحمل الصحف في يد والفأس في اليد الأخرى للقضاء على الأصنام.

وكليم الله موسى (ع) يحمل التوراة في يد والعصا في الأخرى التي أذلت الفراعنة.

والنبي محمد كذلك انتفض ضد قريش التي كانت تملك كل شيء.

- إن الناس الذين قبلوا دعوة الأنبياء تركوا أثاراً طيبة وتلك المجموعة التي كانت منحرفة لكنها قدمت نتائج طيبة فإنها بفضل الأنبياء ومن أثارهم أيضاً، لأن آثار الأنبياء هي التي كانت السبب في تخوفهم من الشعوب.

- بعثة النبي الأكرم هي أعظم حدث في العالم.

إن الأزمنة لا تمتاز بذاتها عن بعضها البعض، فالزمن موجود وسار متحرك ومتعين، ولا يوجد أي فرق بين فترة زمنية وأخرى.

إن شرافة الزمن ونحوسته يعود للأحداث الواقعة فيه، ويوم مبعث الرسول الأكرم لا يوجد يوم على طول الدهر من الأزل إلى الأبد أشرف منه.

هـ - الإمامة والتشيع

أثبتنا بحكم العقل أن لا بد وأن تكون الإمامة التي تعني تعيين الحارس للدين موضوعاً ثابتاً ومسلماً به في الإسلام.

- ولو كان المشرع في الإسلام شخصاً عاقلاً عادياً لوجب عليه أيضاً أن يحدد

وظيفة المتمسكين بدين من بعده، وهذا لا يحتاج إلى دليل. لا بد من أحكام العقل الواضحة، حيث إن كل مشرع في العالم يضع القانون للتنفنيذ والتطبيق.

ولا تنحصر الأحكام الإلهية بزمان الرسول فقط، وبما أن رب هذا العالم الذي وضع القوانين لحياة الناس وأراد الله ورسوله تطبيقها، والحال هذه لا بد أن يعين الخالق شخصاً يعلم قوله وقول رسوله بالتفصيل دون أية نقص أو زيادة، ولا يخطئ ولا يغلط في تطبيق القوانين الإلهية، ولا يكون خائناً ولا كذاباً ولا ظالماً ولا منتفعاً ولا طماعاً ولا طالباً للرئاسة وللجاه ولا يتخلف بنفسه عن القانون أو يأمر الناس بالتخلف ولا يستأثر بنفسه وبمصالحه عن سبيل الله وسبيل دينه، وهذا هو معنى الإمامة.

وبشهادة التواريخ المعتبرة والأخبار المتواترة عند السنة والشيعة، فإنه لا يوجد بين جميع الناس من يحمل مثل هذه الأوصاف بعد رسول الله سوى **علي بن أبي طالب** عليهما السلام بولايته في غدير خم ومن بعده أئمة الهدى استمراراً لإمامته. وقد بايعه كبار الصحابة «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ولكن لكي ينفتح الطريق أمام أولئك الأشخاص الذين يمتازون بكثرة المعلومات والمعارف والجهات المعنوية وينفتح الطريق أمامهم كي يفكروا ويبحثوا بدقة ويدققوا في حاله وفي حالنا وفي المعارف فإن الذي يلاحظ أدعيته في نهج البلاغة يعلم ما هو الأساس الذي يقوم عليه.

وعظمة المقام المعنوي **لفاطمة الزهراء** (ع) حينما قدمت خدمات أبهرتنا نحن وأنتم وجميع البشر.

- فخطبة الزهراء (ع) بوجه الحكم القائم.

- ونهوض أمير المؤمنين وصبره لأكثر من عشرين سنة ومساعدته للحكم الموجود.

- وتضحية **الإمام الحسن** الذي أدى خدمة كبيرة جداً ،وفضح الدولة الأموية

الجائرة.

- أو خدمة **سيد الشهداء الإمام الحسين** (ع).

استطاعوا السيطرة على جميع الظلم في عصرهم بواسطة أرواحهم الإلهية. وروح الإيمان، وتمكنوا من إحياء الإسلام، وأصبحوا قدوة لنا ولكم لكي نقف ونقاوم جميع القوى التي تحاربنا اليوم.

وقد علمنا أولياؤنا (ع) بأنه يجب الوقوف بوجه المستكبرين.

وأحياناً من خلال السلاح وإيقافهم عند حدهم.

وإننا نقبل بهذه القدوة ونقبل بتبعيتنا لهم.

- أبارك ذكرى الولادة السعيدة المباركة لخاتم الأوصياء ومفخر الأولياء **الحجة بن الحسن العسكري** أرواحنا لمقدمة الفداء ولجميع مظلومي الدهر والمستضعفين في العالم ذكرى ميلاد رجل سوف يطهر العالم من شر الظلمة والمحتالين، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، ويقمع مستكبري العالم، ويجعل مستضعفي العالم وارثي الأرض، ويحكم البشرية قانون العدل الإسلامي فقط، وتزول هذه المنظمات التي تنادي بحقوق الإنسان كذباً وبهتاناً.

سوف يملأ الأرض عدالة بمعناها الواقعي التي هي هدف جميع الأنبياء، والتي أرادوا أن يطبقوها في جميع العالم لكنهم لم يوفقوا لذلك، وليست العدالة كما يفهمها الناس العاديون التي هي فقط من أجل تحقيق رفاه الناس بل في جميع مراتب الإنسانية.

إذ إن إعادة الإنسان عن انحرافه، سواء الإنحراف العلمي أو الروحي أو العقلي، إنما تعنى تحقيق العدالة عنده.

- التشيع هو مذهب أهل البيت: نحن نفخر بأننا أتباع مذهب يهدف إلى إنقاذ الحقائق القرآنية من المقابر.

ولأننا أتباع مذهب كان مؤسسه الرسول الأكرم بأمر من الله، وقد كلف أمير المؤمنين العبد المحرر من جميع الأغلال بتحرير البشرية من كافة القيود والعبوديات.

وبأن منا باقر العلم. وبأن مذهبنا جعفري فقهنا هذا البحر المعطاء بلا حد هو واحد من آثاره.

وبأن أئمتنا المعصومين قضوا أعمارهم سجناً ونفياً وتشريداً في سبيل رفعة الإسلام وتحقيق أهداف القرآن الكريم والتي أحدها تأسيس حكومة العدل الإلهي، وكانت عاقبتهم أن اشتشهدوا في جهادهم لاسقاط حكومات الجور والطغيان في عهودهم.

ـ محاربة التشيع للظلم من خصائصه الذاتية:

منذ البداية وحتى اليوم هي المقاومة والإنتفاضة بوجه الدكتاتورية والظلم، حيث يشاهد ذلك على طول تاريخ الشيعة حتى اليوم.

ـ فالحركة الدستورية أو المشروطة ، وحركة التنباك ، وتأسيس الحوزة العلمية الدينية في مدينة قم، وجهود المثقفين المتدينين داخل المراكز الجامعية، وانتفاضة حركات الشعب الإيراني بقيادة الإسلام عوامل ساعدت على طرح الإسلام الشيعي في الأوساط العالمية..

ثانياً: مصادر الإمام وأحكام الشريعة الإسلامية

أ ـ على المستوى السياسي :

ـ ماهية القوانين وكيفيتها، أحكام الشرع دليل آخر على ضرورة تشكيل الحكومة وأنها شرعت لإدارة المجتمع، سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

أولاً: أحكام الشرع تحتوي على قوانين متنوعة لنظام كلي اجتماعي متكامل، وفي هذا النظام الحكومي تسد جميع حاجات الإنسان، بدءاً من علاقات الجوار

وعلاقات الأولاد والعشيرة وأبناء الوطن.

فالتجمعات العبادية السياسية عيد الفطر، والأضحى والحج والجمعة.

ـ أبعاد سياسية واجتماعية، وهذه الأبعاد مدغمة ومتداخلة ببعضها البعض. فالعبادة ليست وظيفة روحانية فقط بل عبادية سياسية. ويجب على المسلمين الإستفادة منها.

فصلاة الجمعة تشتمل على خطبتين، حيث يجب أن يطرح فيهما أحداث الساعة وحاجات البلاد والمنطقة والقضايا السياسية والإجتماعية والإقتصادية ليطلع الناس عليها.

وفي كل عام يوجد عيدان يجتمع الناس فيهما. لصلاة العيد خطبتان، ثم تطرح المواضيع السياسية والإجتماعية والإقتصادية.

ـ إجتماع الحج السنوي ،وفي الحقيقة، فإن الحاجة كبيرة لمجلس أعلى لدراسة أوضاع جميع البلدان الإسلامية.

فمثلاً لم تكن المساجد في صدر الإسلام على الصورة المبتذلة هذه والتي حدثت فيما بعد في تلك المرحلة بواسطة المنحرفين.

كل ما قدمه المغرضون أو المرتزقة تحت عنوان فلسفة الحج لا يعدو إطار تصويره بأنه عبادة جماعية، سفر وزيارة وسياحة، لكن الإجابة على تساؤلات ؟

* كيف يجب أن نحيا؟

*وكيف يجب أن نجاهد؟

* وبأي صورة نواجه العالم الرأسمالي والشيوعي؟

* وما علاقة الحج بوجوب انتزاع حقوق المسلمين والمحرومين من الظالمين؟

* التفكير بسبل إنقاذ المسلمين؟

* وما علاقة الحج بلزوم أن يظهر المسلمون كقوى كبرى ثالثة في العالم؟ وما

شأنه هو بأن يرص الإنتفاضة على الحكومات العميلة؟

- الحج يجب البحث فيه عن المحتوى الحق للسياسة الإسلامية ولجميع شؤون الحياة.

- الحج منطلق دعوة لإيجاد وبناء مجتمع مطهر من كافة الرذائل المادية والمعنوية.

- الحج هو تجلٍ وإعادة تجسيد كافة ملاحم العشق الإلهي وعشق حياة الإنسان الكامل والمجتمع الكامل في هذه الدنيا والبراءة من المشركين.

- يجب إسقاط الحكومات الظالمة والعميلة ثم إقامة حكومة الإسلام العادلة والتي هي في خدمة مصالح الناس.

- واجب جميع العلماء وجميع المسلمين أن يضعوا حداً لهذا الظلم وأن يسعوا من أجل سعادة الملايين من الناس وتحقيق مصالحهم.

- إننا نريد حكومات صالحة لصالح المسلمين.

- لا يكفي الإجتهاد المصطلح بقيادة المجتمع الإسلامي. يجب أن يكون باب الإجتهاد مفتوحاً دائماً في الحكومة الإسلامية.

وتقتضي طبيعة الثورة والنظام أن تطرح الآراء الإجتهادية الفقهية في المجالات المختلفة بشكل حر ومفتوح حتى ولو كانت مخالفة لبعضها البعض، ولكن الشيء المهم هو المعرفة الصحيحة للحكومة حتى يتمكن النظام الإسلامي من التخطيط لمصالح المسلمين.

- لو وجد إنسان هو الأعلم في العلوم المعروفة في الحوزات العلمية لكنه غير قادر على تشخيص مصالح الناس ومصلحة المجتمع أو لا يقدر على تشخيص الأفراد الصالحين والمفيدين من الأفراد غير الصالحين، ويفتقد بشكل عام للرأي الصائب في المجال الإجتماعي والسياسي والقدرة على إتخاذ القرار فإن مثل هذا

الإنسان يكون غير مجتهد في المسائل الإجتماعية والحكومية، ولا يمكن التصدي لاستلام زمام المجتمع.

- بشأن متمتم الدستور على السادة أن يقوموا بما يجدون محققاً لمصالح المسلمين، وكنت معتقداً ومصراً منذ البداية بأن شرط المرجعية ليس لازماً.

- يمكن للحكومة أن تلغي من جانب واحد العقود والإتفاقيات الشرعية التي عقدتها مع الناس في حال مخالفتها لمصلحة البلاد والإسلام.

- وتتمكن الحكومة من أن تمنع فريضة الحج التي هي من الفرائض الإلهية المهمة منعاً مؤقتاً ما دامت تخالف مصلحة الدولة الإسلامية.

- وتستطيع تحديد الملكية المشروعة ضمن حدود معينة ومصادرتها بواسطة حكم الفقيه في حال رآها خلاف صلاح الإسلام والمسلمين.

- ولو أساء رجل التعامل مع زوجته عليه أولاً نصيحته وثانياً تأديبه ولو لم ينفع ذلك أوقع الطلاق بينهما عندما تقتضي مصلحة الإسلام والمسلمين ذلك.

- يجب إسقاط الحكومات الظالمة والعميلة ثم إقامة حكومة الإسلام العادلة والتي هي في خدمة مصالح الناس.

- واجب العلماء وجميع المسلمين أن يضعوا حداً لهذا الظلم وأن يسعوا من أجل سعادة الملايين من الناس وتحقيق مصالحهم.

ففي السابق أبدى بعض منهم فتوراً حتى في المجال النظري، وتقاعس بعضنا عن الدعوى الى الإسلام ونشر نظرياته وأحكامه. إننا نريد حكومات صالحة تحكم لصالح المسلمين.

- كل ما عند الرسول للقانون الإلهي والرسول كانا (ص) قرآناً مجسماً على الأرض أي كان النبي قانوناً مجسماً.

إن حكومة الجمهورية الإسلامية التي ندعو لها مستلهمة من سنة الرسول

الأكرم (ص) والإمام علي (ع)، وتستند إلى الرأي العام للشعب ،فالشعب هو المعيار.

ـ الخليفة يجب أن يكون عادلاً ومتكاملاً، إعتقادياً وأخلاقياً، وثانياً لأن الحكومة الإسلامية حكومة قانون لا حكومة هؤلاء.

ب ـ على المستوى الإجتماعي :

ـ الشريعة شرعت لإدارة المجتمع، سياسياً وثقافياً واقتصادياً، فهي تحتوي على قوانين متنوعة لنظام كلي اجتماعي متكامل، وفي هذا النظام الحقوقي تسد جميع حاجات الإنسان.

بدءاً من علاقات الجوار وعلاقات الأولاد والعشيرة وأبناء الوطن وجميع جوانب الحياة العائلية الزوجية وانتهاءً بالتشريعات التي تخص الحرب والسلم والعلاقات الدولية من القوانين الجزائية الى الحقوق التجارية والصناعية والزراعية.

فعنده قانون لما قبل الزواج وانقضاء النطفة، ويعطي أحكاماً حول النكاح كيف ينبغي أن يكون وما ينبغي أن يكون طعام الإنسان في ذلك الوقت أو حين انعقاد النطفة في فترة الرضاع.

وينظم الإسلام واجبات الابوين اللذين سيعهد إليهما بتربية الأولاد، وعلاقة الزوج بزوجته وعلاقتها به، وعلاقة كل منهما بالأولاد، لجميع هذه الشؤون يملك الإسلام قوانين وأنظمة من أجل تربية إنسان كامل فاضل. أوليست هذه مصالح تسعى وراء إيجاد إنسان مهذب فاضل وسد حاجات الإنسان؟!

جـ ـ على المستوى الإقتصادي :

ـ إن الدول الإسلامية، وبسبب ضعف الإدارة والتبعية، تعاني وضعاً مؤسفاً، مما يتطلب عرض مشاريع وبرامج بناءة، تصون مصالح المحرومين والمسحوقين.

ـ الإسلام هو الذي يقف بوجه المصالح الشخصية.

ـ إن ابراهيم (ع) رفع فأسه وحطم أصنام الأشراف بوجههم من أجل مصالح

الجماهير ليزيل الظلم عنهم.

- أرى ضرورة الإسراع في سن القوانين لصالح المستضعفين.

- إن خمس أرباح سوق بغداد يكفي السادة وجميع الحوزات العلمية وجميع فقراء المسلمين فضلاً عن أسواق طهران واسطنبول والقاهرة، عدا غيرها.

- يجب تنفيذ رأي الحاكم الشرعي الذي يقوم على أساس مصلحة جميع المسلمين مثلما أن تقسيم الزكاة في كل زمان يكون بعهدة الحاكم الإسلامي في ذلك الزمن ،وهو ينفقه في مصارف خاصة بموجب المصلحة التي يشخصها.

- إن المقاطعة الإقتصادية هدية بل تحفة إلهية كنا غافلين عنها لبلادنا. نعم، قد نعاني ونتعب عشر سنوات لكن النتيجة ستكون لصالحنا.

- إن سياستنا تقوم دوماً على مبدأ الحرية والإستقلال والمحافظة على مصالح الجماهير، ولا نضحي بهذا الأصل فداءاً لشيء أبداً.

- يجب أن تقوم الحكومة بالإشراف على السوق حتى لا يحصل الإنحراف وحتى لا يأتوا أحياناً ببضائع مخالفة للإسلام تعارض مصالح الجمهورية الإسلامية.

- إننا سوف لن نغلق آبار النفط ولن نبيعه بالمجان أيضاً. لماذا لا نستفيد منه مباشرة في اقتصادنا بدلاً من بيعه؟

- من حق الشعب ألا يبيع نفطه للدول التي تدعم عدوه، سواء كانت أميركا أو أية دولة أخرى كاسرائيل الغاصبة وغير القانونية والمعتدية على حقوق المسلمين وعدوة الإسلام ونظام أفريقيا الجنوبية العنصرية، ويتناسب ذلك بالطبع مع مصالحنا.

- يجب على أبناء الشعب دفع الضرائب المباشرة، بالإجبار، الى إدارة البلاد داخلياً. فالنفقات الإحتياطية ومصالح البلاد تنفق في الجوانب المدنية والعسكرية.

أما الضرائب العادية والإستثنائية، تستطيع الدولة أن تأخذ من الناس بمقدار ما

تحتاج، ويكون ذلك تحت عنوان القرض لو إرتأت صلاح ذلك من أجل إنفاقها على الحكومة الإسلامية.

ـ الضرائب المالية التي شرعها الإسلام تدل على أنها لم تخصص لسد رمق الفقراء والسادة، وإنما لتشكيل حكومة وضمان نفقات دولة كبرى.

ـ الخمس أحد الموارد الضخمة التي تدر على بيت المال أموالاً اقتصادية طائلة، ويشكل موارد للميزانية، ويؤخذ الخمس بناءاً على مذهبنا من جميع الكسبة على المنافع والأرباح، سواء في الزراعة أو التجارة أو المصادر الباطنية والسطحية. وبشكل عام، فإن الخمس يؤخذ بشكل عادل من جميع الموارد.

ـ فيساهم في دفع ضريبة الخمس بائع الخضروات إذا حصل عنده ما يزيد على مؤونته السنوية المنسجمة مع تعاليم الشرع في الصرف والإنفاق.

ـ كما يساهم في ذلك ربان السفينة ومستخرج الكنوز والمعادن، ويدفع خمس فائض الأرباح الى الإمام، إذ الحاكم الإسلامي يجعله في بيت المال.

ـ وبديهي أن هذا المورد الضخم إنما هو من أجل تسيير شؤون الدولة الإسلامية وسد جميع احتياجاتها المالية.

ـ وإذا أردنا أن نحسب أخماس أرباح المكاسب في الدول الإسلامية أو العالم كله إذا كان يدين بالإسلام. لتبين لنا أن هذه الأموال الطائلة ليست لرفع حاجات سيد أو طالب علم ولكن الأمر أكبر وأوسع من هذا، فهو لسد الإحتياطات المالية لتشكيل حكومة كبيرة.

ـ الجزية، وإذا نظرنا الى الأموال التي تجبى من الجزية التي على أهل الذمة.

ـ والخراج الذي يؤخذ من الأراضي الزراعية الواسعة لوجدنا ثروة ضخمة لا يستهان بها.

ـ إن مثل هذه الأموال والضرائب تدل على لزوم وجود حكومة تستلزم دوائر خاصة وحسابات دقيقة وتدبير وتدوين، وبعد نظر فهو لا يتم من خلال الفوضى.

على المتصدين للحكومة الإسلامية أن يحددوا الضرائب بمقدار متناسب، طبقاً للمصلحة، ومن ثم نقوم بجمعها، وبالتالي، نصرفها في مصالح المسلمين.

ـ الديات التي يجب أخذها وإعطاؤها الى أصحابها.

ـ لقد أدرك الأعداء جيداً في الماضي أن لو حصل الإسلام على القوة الكافية فإنه سوف لا يسمح لهم بتحقيق مصالحهم.

التعقيبات

● **د. خليل أحمد خليل**

صديقنا الاستاذ حسن البنّا، الذي يحمل اسم الشهيد الشهير، أثار عدداً من المسائل المفيدة والمخيفة في آن، المفيدة إذا عولجت، والمخيفة إذا لم تُعالج، إذ إن السامع يظن أن شخصية الإمام الخميني وأعماله، غير قابلة للدرس، فأنا أريد أن أوضح أمراً لا أعرف مدى الأعمال في إيران حول شخصية الإمام وأعماله حتى نستفيد منها في ثقافتنا العربية والإسلامية، ولكن أقترح أن تُدرس شخصية الإمام الخميني بتفاصيلها التاريخية حتى لا تتحول إلى «شخصية طوباوية أو خرافية» وكأن الإمام كان خارج التاريخ أو فوقه، وكأن الجمهورية الإسلامية غير موجودة. تُدرس هذه الشخصية في سيرة، اليوم معروف أن الرواية رائجة جداً، وهناك أفلام (وهذه اقتراحات طبعاً) وكله يصعد على الفضاء. إذا أردت أن تربط الجمهورية الإسلامية بالعالم، لأن الجمهورية مسؤولة عن المسلمين وغيرهم في العالم، كما أن الآخرين مدعوون ليكونوا مسؤولين عن هذه الجمهورية، وفي خطاب الإمام نرى المسألتين.

والنقطة الثانية الأخطر، يقول إنه لا يوجد منهج، هنا سأختلف معك اختلافاً جذرياً، ففي قاموس الكليات لأبي البقاء هناك مفهوم «التضايف»، وهو أنك لا تستطيع أو لا يجوز أن تدرس مستوىً دون مستوىً آخر، وهذا يسمى في الفرنسية "Surcodage"، وهناك في علم الإجتماع ما يعرف بـ"Rythmanalyse" «التحليل الإيقاعي»، يعني إذا أنت أخذت عدة متغيرات أو معطيات في فكر الإمام

الخميني الديني، السياسي، الإنساني الأنا، الآخر النفسي، الإقتصادي ... عدة متغيرات، هنا يتحول الباحث مثل قائد الأوركيسترا، يكون عنده عدة آلات موسيقية، عدة معطيات، عدة عقول، اختصاصات، (يعني متخصص)، مثلاً أعمال الإمام الخميني ،فيها شعر، فهناك منهجية لدرس الشعر، يعني أن أقول لك إن هناك مناهج لدرس فكر الإمام الخميني وغير الإمام الخميني، وأنت تقول أنه لا يوجد منهج، وأنا أدحض رأيك.

● **د. طراد حماده**

أريد فقط الإشارة الى أن دعوة الإمام الى الاستقلال عن الغرب والشرق تمثل في الواقع الطور الأول الذي لا تكتمل صورته دون الإشارة الى الطور الثاني، وهو طور العلاقة مع الشرق والغرب، وهو طور التبليغ ودور الإرشاد والإتصال بالآخر، فلا شرقية ولا غربية يمكن أن تكون الطور الأول، ثم يضاف إليها الطور الثاني، وهو ﴿**لله المشرق والمغرب**﴾ و ﴿**أينما تولوا وجوهكم فثمة وجه الله**﴾ اذن لا يُفهم من الإستقلال في هذا المعنى هو التركيز على الذات باعتبار أن هذه الذات ذات لها هوية مستقلة تميزها كهوية انسانية عن هوية أي انسان في العالم، لأن هوية الإنسان المسلم هو الإنسان وهو خليفة الله،وبالتالي، على هذا الأساس دائماً عندما تذكر اللاشرقية ولا غربية يجب أن تفهم بالمعنى الإيجابي أيضاً ﴿**لله المشرق والمغرب**﴾.

المسألة الأخرى متعلقة بالدكتور البنّا، الذي أعطى محاضرة قيمة بالمنهج، ولكن عندما عرض النصوص لم يشر الى مصادرها والى مراجعها حتى نتمكن من التحقيق والتدقيق، خاصة أنه يوجد بعض الأمور بحاجة الى إيضاح، مثلاً إن الإنسان له مراتب سير من الطبيعة الى ما فوق الطبيعة حتى يصل الى مقام البعد العرفاني يمكن أن يشار إلى مصدرها أو أن يصبح هناك هامش تفسير لأنها قد تعني الوصول أو الفناء في الله أو تعني أي جانب بالضبط، وهذا النص من أين هو مأخوذ؟ قد يكون مأخوذاً من سياق عام، حتى لا يفهم فهماً خاطئاً من قبل القارئ أو المتلقي.

● **زهير غزاوي**

أريد أن أداخل وأسأل في محاضرتين، الأولى للحاج قصير والثانية للزميل القديم السيد هاني فحص، وقد التقينا معاً قبل ١٦ عاماً في قم وتناقشنا كثيراً حول الثورة الإسلامية في بدايتها.

الموضوع يتعلق بالمرحلة العثمانية التي وردت بمسألة الوحدة والتعددية كونها تدرس الوحدة والتعددية في آخر أمبراطورية إسلامية (آخر مرحلة إسلامية) كانت تقول بالوحدة، هناك ملاحظات، الأولى وهي الإنكفاء عن فيينا لمحاربة الصفويين، والأخرى تتعلق بمسألة مؤتمر باريس في مسألة اللامركزية وعلاقتها بالإنفصال عن الدولة العثمانية، يعني استغلال الغرب لهذه القضية في فصل الأمة العربية وغيرهم عن هذه الدولة.

حقيقة، إن تجربة الدولة العثمانية تُدرس أيديولوجياً غالباً، فالمؤدلجون إسلامياً، (الأصوليون)، يدرسونها من منظار إيجابي، والآخرون بمختلف تفرعاتهم يدرسونها أيضاً بشكل سلبي، وأنا أعتقد أن مرحلة أواخر الدولة العثمانية وبدايتها تعتبر هي المرحلة التي أدت فعلاً الى ضرب الأمبراطورية مع الأقليات، يعني فشلت في معاملة التعددية ضمن هذه الوحدة، وكانت هناك مآسٍ كبيرة في مناطق متفرقة من الأمبراطورية مع الأقليات من الطوائف الأخرى، ولا ننسى طبعاً فتاوى صدرت من الدولة العثمانية بشرعية ذبح الشيعي ضمن الأمبراطورية، ولا ننسى ذبح الأرمن والآشوريين وغيرهم. حقيقة كانت مرحلة هذه الأمبراطورية، يجب أن تدرس بدقة في مسألة الوحدة والتعددية.

أما مؤتمر باريس الذي أشير إليه فهو ملتبس الواقع، غامض لم يكن واضحاً تماماً، ويجري عملياً، عندما ندرس الدولة العثمانية، تزوير التاريخ تبعاً لأيديولوجية الدراس، لهذا السبب الحرب بين الصفويين والعثمانيين حقيقة كانت حرباً أيديولوجية في مظهرها العام، وحرباً على الدور الإقليمي في مظهرها الداخلي. وسؤالي الآن: كيف يمكن في بحث يتعلق بالتاريخ الإسلامي أن تمر هذه

الأمور هكذا ،وهي خطيرة الدلالات والتأثير على الحاضر والمستقبل، خاصة في مسألة تتعلق بدولة قادها الإمام الخميني (قده)، تضم عدداً من الأعراق في إيران، ولها دور إقليمي يدعو الى وحدة عربية وإسلامية في مواجهة الإستكبار، بمعنى إعطاء زخم حضاري يريد أن يكون البديل المحلي في مواجهة الإستكبار العالمي.

السؤال هل يكفي ما قدمتموه أو هل هو منطقي في معالجة هذه المرحلة التاريخية البالغة الأهمية والخصوصية؟

● **الشيخ نبيل حلباوي**

هناك سؤال للأستاذ البنا هو هل أن تميز الإمام الخميني (رض) كان في أنه في كل العلوم، فعلم ما لم يعلم الآخرون، وأن المناهج لا تستطيع أن تدرس تلك العلوم، أو أن السر في أنه وظّف ما علم، وفعّل ما علم؟ هذه نقطة أولى، وهي الضالة المنشودة لكل من عَلِم، وكما رأينا في الفارق بين منهج الأنبياء ومنهج الآخرين!.

المسألة الثانية، هي أن الإمام في شخصه حقق التناغم بين الوحدة والتنوع قبل أن يحقق ذلك في أمته، وقبل أن يحقق ذلك في العالم، ففي نفسه هو واحدٌ، شخصية واحدة منسجمة ،على الرغم من تنوع طاقاتها وآفاقها واستعداداتها، طبّق ذلك بالنسبة للأمة، فجعلها أمة واحدة على الرغم من التنوع الموجود فيها، عرقياً ودينياً وعلى كل الأصعدة، وبالنسبة للعالم استطاع أن يقدم خطاباً فيه وحدة لأنه يناغي ظمأ البشرية الى الحق والى الحرية والى العدل والى اليوم الموعود والى ذلك الأفق المنشود، وفي الوقت نفسه هضم ذلك التنوع الموجود في العالم.

● **الشيخ علي طه**

أريد أن أتكلم فقط حول مسألة المنهج. أولاً، المصطلح الذي سمعناه علم منهج المناهج. الحقيقة، إن هذا المصطلح لم يكن واضحاً بالنسبة لي، لأن الإمام الخميني في الواقع ابتدع منهجاً، وهذا المنهج قد تفرد به هو ،وينبغي دراسة آثار الإمام من أجل التعرف الى هذا المنهج ومن أجل اكتشاف هذا المنهج، ولا بد من القول إن منهج

الإمام متميز عن باقي المناهج، قد يلتقي مع المناهج الأخرى، وكما قال الدكتور نحن إذا أردنا أن ندرس الشعر عند الإمام الخميني هناك مناهج لدراسة الشعر، وإذا أردنا أن ندرس التفسير الذي تطرق إليه الإمام. (تفسيره لبعض السور القرآنية مثلاً) أيضاً هناك منهج قد يكون مختلفاً عن الكثير من المناهج. ولكن هناك منهج خاص بالإمام الخميني قد يلتقي مع غيره ويفترق في الكثير. من هنا، نحن نقول إن علم المناهج هذا ليس منهجاً، إنما هناك منهج خاص بالإمام الخميني، وأحب للتوضيح كمثال وبسرعة، مثلاً هو يقول بالنسبة لتفسير القرآن الكريم إنه الى الآن لم يكتب تفسير للقرآن الكريم مع أنه لم يذكر أنه لا ينتقص من تفاسير المفسرين بل يجلها ويحترمها ويعتبر أنهم قدموا الكثير، ولكن هناك منهج يدعو إليه هو الإستفادة من القرآن الكريم من الجهات كلها لبناء الإنسان.

ردود المحاضرين

رد / الدكتور علي لاغا

الأخ الكريم الذي تحدث عن مسألة فيينا .يبدو أن الأخ الذي تناول الموضوع لم ينتبه للمسألة التاريخية. أنا أحيلك الى القضية الفلسطينية في كلام الإمام الخميني (دار الوسيلة من الصفحة ٣٣٣ حتى ٣٣٤) حتى تقرأ هذه المسألة؛ الآن حتى لا آخذ وقت النائب بقربي، هذا هو المختصر، أما ما قلته يا أخي الكريم والكلام يجب أن يكون مسؤولاً عن الفتاوى الذي ظهرت في العهد العثماني كان كلاماً مؤثراً. أذكرك بأن هذا التراشق بين الفريقين حدث في العصر العباسي. يبدو أنك كنت غائباً عن العالم. هذا حصل في العصر العباسي ولم يحصل في العصر العثماني، ابن تيميه ليس في العصر العثماني.

من ناحية أخرى، أما ما أطلقت عليه حروب الأقليات في الدولة العثمانية هذه المسألة ينظر إليها من ناحية دولة كانت تتفكك، وهناك أناس لديهم رغبة في تغيير واقعهم ،ولذلك لمإذا لم ترَ حرب السلطة العثمانية مع الجزيرة العربية. حرب السلطة العثمانية كسلطة تدافع عن نفسها مع الجيش المصري الذي جاء بقيادة ابراهيم باشا الذي وصل الى «أضنا» هذا الحروب لم تكن على مبدأ. هي كانت مسألة سلطة، وسلطة تدافع عمن يريد أن ينافسها، فلنأخذ المسألة في هذا. وأنا لم أعط من الوقت كي أبين رأي الإمام الخميني الشافي الوافي في هذا المجال الذي تحدث فيه بإسهاب عن أن الصراعات هي مسألة تغيير مواقع سلطة، وأما أن نعيدها هكذا بطريقة عفوية يعني هذه مسألة نحن على استعداد بأن نسهم مع كل من يريد البحث لنخرج للناس حقيقة ما كان يحدث الآن من صراعات على السلطة. هذا إبن قَطَر ولده أقاله من السلطة، هل يعني هذا أن والده كان شيعياً وهو سني؟! إذاً، مسألة السلطة شيء آخر، فرجاء أن نفهم هذا. هذه مسألة سلطة.

رد / الحاج عبدالله قصير على الدكتور طراد حماده

بالنسبة لمداخلة الكتور طرّاد حماده أنا أوافقه الرأي بأن هناك طور أول في الإستقلال هو تكوين الذات وإعلان الهوية وتحصين هذه الهوية من التبعية وأن الطور الثاني هو الإنطلاق الى المساحة الأرحب والبيئة الأوسع للعالم، وبالتالي، ضمن خصوصية الإنسان كإنسان أوسع من موضوع الدين، ولكني أشير الى أني في بحثي الكامل وليس في المختصر أو في ما قدمت من مداخلة أشرت الى هذا الموضوع وأشرت الى أكثر من نص للإمام الخميني يحاكي فيه موضوع المستضعفين ويحاكي في موضوع العلاقة بين إيران كدولة لها هويتها الثقافية الإسلامية وبين بقية الدول، وكيف يجب أن تكون هذه العلاقة علاقة احترام متبادل وعلاقة تكامل في المسار الإنساني.

رد / السيد هاني فحص

حتى لا يؤخذ انطباع بأني اشتبكت مع الدكتور لاغا. أنا من متابعاتي أن الدولة الصفوية والدولة العثمانية تبادلوا الذبح على الهوية. وأريد أن أقول حصل ذلك فقط. أما الصديق زهير الغزاوي لا أدري لماذا سألني عندما تحدثت عن مؤتمر باريس. أنا عندما التقيت بالأستاذ زهير الغزاوي في قم وتحاورنا كثيراً في المسائل كنت بصدد إعادة النظر في كل المطلقات والتعميمات التي كنت قد تعلمتها سابقاً من حركة التحرر العربي، لذلك وجدت نفسي بموقع معتدل وسطي، حاولت أن أرى منه الحقائق بأكبر مقدار ممكن من الحقائق، وتجسد ذلك في كتاباتٍ أعتز بها، عنوانها «السيد والسلطان»، كتبت عن جمال الدين الأفغاني وعبد الحميد الثاني، وحاولت أن أنصف عبد الحميد، ووجدت أن من إنصافه أن أنقده وأغضب عليه أيضاً، ولكنني أنصفته بكلامي عن مؤتمر باريس، أنا أرى الإثنين، أنا أرى الثورة العربية الكبرى من منطلق إسلامي وقومي بلحظة ما «حتى للمنطلقين» ضد الشريف حسين، بعدها رأيت المسألة مركبة رأيت «حسين» والجهود التي بذلها قبل

أن يقوم بثورته الملتبسة وقبل أن يعلق بين يدي «مكماهون»، عدت ورأيت المسألة أن الثورة العربية الكبرى ضد الإتحاديين، ورأيت أن الحركة، أي حركة التحرر العربي، لم يكن مشروعها أن تسقط الدولة العثمانية على يد الغرب، هي تريد اسقاطها لما ترى فيها من جور ،بينما الغرب يريد أن يسقطها لما يرى فيها من عدل، هذا لم يمنع إلتباسات وأخطاء، لم يمنع من أن حركة التحرر العربي بمواجهة السلطة العثمانية ارتضى حبسهما، بحيث دخلها أشخاص ونصوص جعلوا المسألة تبين في وعينا وكأنها مبنية على تضاد مع الإسلام، هذا ما نحن الآن بصدد إعادة النظر فيه، ولا مرة قرأت الدولة العثمانية وإشكالياتها، لا بحساسية قومية ولا بحساسية مذهبية، من دون أن أخرج من عروبتي ومن دون أن أخرج من تشيعي، مؤتمر باريس الذي رأيت به والذي تابعته وقرأته، وجدت أنه يوجد هناك ألغام في المؤتمر. عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى العربي ـ الذي هو قمة المؤسسة الأكثر تصدياً للشأن العربي ـ وقتها العثمانيون يقولون له بأن هناك خللاً في المؤتمر يطلع عندها الى باريس، ويحيك بعض التصريحات الرهيبة التي حصلت في مؤتمر باريس ويقنع الكثير من المشتركين أنه الى أين هم ذاهبون في اللامركزية، فيتراجعون، لأن عبد الكريم كشف لهم اللغم، هذا يعني أن عبد الكريم الخليل وأمثاله كان لهم ضوابط وقيم وأفكار تحكمهم. لم تكن المسألة بغير قيد. هذا ما أردت قوله.

رد / الدكتور حسن البنا

تختلف اللهجة العلمية عن اللهجة العاطفية بإيراد بعض الصفات، فالدكتور خليل استخدم الأخطر والخطير، والنائب عبدالله قصير أيضاً استخدم بالنسبة للدكتور الخليل استخدم الخطير والأخطر، وهذه كلمات ليست علمية بقدر ما هي عاطفية أو إنشائية، وكلمة النائب عبدالله قصير وقعت في نفسي، الكلام العلمي يتركز حول مناقشة فكرة موضوعية تتميز بالوضوح والدقة والإحاطة والشمول. فمثلاً الإعتراض الموجه من الدكتور الخليل حول قضية المنهج وأنه نحن أساتذة

المنهج وكذا. أنا أعرف أنك أستاذ المنهج وكلام من هذا القبيل، أعرف هذا كله، لكن أنا أردت أن أقول بأن عندنا مراتب معرفة، ولدينا مناهج للمعرفة، مراتب المعرفة تبدأ بالمعرفة الحديثة للحسية، المعرفة العقلية، المعرفة الحدسية، الى أن ترقى الى معرفة الغيب. كل مرتبة من هذه المراتب لها منهج خاص، وقد نبه الفارابي الى أنه إذا استخدمت آلية في غير مرتبة من مراتبها يقع الإنسان في الخطأ، لذا، لكل مرتبة منهج، فالمرتبة الحسية لها منهج الإستقراء الحسي التجريبي الذي يبدأ من الظواهر الجزئية لينتهي الى قانون كلي يشملها، والمعرفة العقلية تبدأ أيضاً بملاحظة تبدأ بالكليات لتنتهي الى الجزئيات التي تخضع لها، وأيضاً المعرفة الحدسية لها منهج خاص مختلف عن المنهج الحسي وعن المنهج العقلي.

وقائع اليوم الثاني

المحور الثالث

الإمام الخميني (قده)

ومشروع الإستنهاض العالمي

الجلسة الرابعة

● **رئيس الجلسة: سعادة النائب الحاج محمد فنيش**

● موقع الأمة الإسلامية في المعادلات الدولية: عوامل الضعف ومنابع القوة، دور المستضعفين في عملية التغيير على المستوى العالمي / **المهندس الأستاذ ليث شبيلات** - الأردن

● مقاربات مقارنة بين ولاية الفقيه وأشكال معاصرة في الحكم / **الدكتور شبلي ملاط**

● دور الشعوب وموقعها في عملية الإصلاح والتغيير على مستوى العالم الإسلامي / **الأستاذ بشار قوتلي**

● المناقشات

كلمة رئيس الجلسة

سعادة النائب محمد قنيش

نائب في البرلمان اللبناني

ما يميز القادة التاريخيين في حياة الأمم والشعوب، أنهم يأتون في لحظة زمنية ملأى بالتحديات والتحولات، فيواجهون الظروف الصعبة ويحولون مسار الأحداث، ويرسمون حداً فاصلاً بين مرحلة مضت ومرحلة آتية تختلف عما سبقها بما تسم به الأمة والتاريخ بخصائص وصفات تجد فيها الأمة شخصيتها وهويتها، وتستحضر كل أمجادها وترنو بعين الثقة والإندفاع اللامحدود إلى بناء المستقبل وانتزاع مكانة تليق بتطلعات أبنائها وعمقهم الحضاري.

دور القيادة هنا هو المحرك والموجه والمدبر الذي يتجاوز عوارض الوهن والظواهر الآنية وسطوة المتسلطين المستغلين لحالة ضعف وكبوة اعترضت الأمة وصرفتها عن مسار التقدم والرقي فأمعنوا في إذلالها وتجرأوا على السخرية من قدراتها وهويتها.

القيادة التي تتجاوز كل ذلك بصلابة وشجاعة وعزم لا يلين، غير آبهة بمصالح آنية جوفاء ولا بسلامة ذات، سلاحها موقفها، وكلمات تخاطب العقول والمشاعر، وتتحدى سُكُونَ الواقع، وتواجه سياسات التغريب المستندة إلى دعم القوى النافذة والمهيمنة في الساحة الدولية.

ورهانها في كل ذلك ثقتها بقدرة شعبها، في ما لو تحرك وأثبت حضوره في ساح الصراع والمواجهة، دون خوف من سجن أو تشريد، أو خشية على لقمة عيش أو سلامة أسرة، طالما أن الأمة والوطن في خطر ومواردها عرضة للنهب والاستغلال، وأفراد المجتمع ضحايا السياسات الجائرة المصادرة للحرية والمكبلة للإرادة.

الإمام الخميني رضوان اللّه عليه واحد من هؤلاء القادة الذين يندر تكرارهم في أزمنة متقاربة والذين وسموا تاريخ المنطقة ببصماته الواضحة وأسهموا عن جدارة في فرض حضور إيران وقضايا العالم الإسلامي ومعهما القضايا الإنسانية في قلب الأحداث فاعلين ومؤثرين بمسار حركة التاريخ في الربع الأخير من القرن العشرين.

كان بشهادة الخصوم قبل المحبين شخصية فذة وقيادة حكيمة وحازمة واعية لمجريات الأحداث ولأعقد السياسات الدولية والإقليمية والمحلية، آمن منذ بداية تحركه في مواجهة نظام الشاه الجائر بقدرة الشعب على صنع التغيير، ووضع نصب عينيه هدفاً، لم يحد عنه ولم يتزحزح، هدف إزالة حكم الشاه وقيام النظام المعبر عن إرادة الشعب المسلم في إيران والمنسجم مع اعتقاده وثقافته وخصائصه الفكرية والحضارية. كانت حركته في بدايتها ضرباً من المغامرة، لاقى بسببها كل أشكال الإضطهاد والتنكيل، وتعرض للنفي والسجن ومحاولات الإغتيال والإنتقام من أسرته، ومع ذلك لم يفقد الثقة والعزم والإيمان بقدرة الشعب، ولم يبتعد عن متابعة كل تفاصيل ما يجري في الساحة بمختلف أبعادها، وبقي حاضراً مع الشعب، على الرغم من بعد المسافات، يحدد له المواقف، ويبين المخاطر، ويفند ويكشف ممارسات النظام، ويفضح ارتباطاته، حتى تمكن من قيادة الشعب بكل فئاته وشرائحه وتياراته السياسية لصنع ثورة فريدة لا نظير لها في العالم العربي والإسلامي، بل لا يشبهها من الثورات سوى القليل الذي أحدث تغيراً في الفكر والثقافة والسياسة، وهي محدودة ومعدودة، مع تمايز في الفكر والدوافع والسلوك والظروف التي أحاطت بها.

ولو أردنا البحث عن دور الإمام في استنهاض الأمة والشعوب لأمكن القول إن كل موقف وتحرك وخطاب يندرج في هذا العنوان، لأن قيادته الفريدة ووسائلها وفكرها ومواقفها كانت دعوة لها تأثيرها في وجدان الأمة وعقلها وسعيها للإقتداء بها في النهوض لمواجهة ما نعيشه من أزمات وما تواجهه من تحديات، إن في السياسة أو في الثقافة أو في التحرر والإستقلال والتنمية.

يمكن أن نبحث في فكر الإمام وحركته ومواقفه عن بعض الأفكار والآراء والمواقف لتحديد العلاقة بينها وبين موضوع سياسي أو ثقافي أو غيرهما، لكن يمكن القول إن كل ما تركه الإمام وقدمه ومارسه من أفكار وسياسات ومواقف يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمشروع استنهاض الأمة وعودة دورها إلى ساحة الصراع والإمساك بيدها بزمام أمورها والتصرف بمقدراتها بحرية واتحاد وعدم ارتهان أو تبعية.

ونستحضر كمثال وشواهد على هذا الموضوع بعض العناوين وأهمها:

١- دور الشعب في صنع التغيير: يبدو واضحاً في نهج الإمام أهمية حركة الشعب حيث يمكن من خلالها الإنتصار والثورة لا بفعل حركة نخبة منه، أو انقلاب عسكري أو طليعة حزبية أو أي شريحة وحدها، بل بمشاركة كل فئات المجتمع وقواه وتياراته، يمكن التغيير عندما تتوفر القيادة الصالحة الكفوءة والمشروع التغييري الجدي المعبر عن تطلعات الشعب وهويته وفكره واعتقاده وانتمائه الحضاري.

وفي نهجه أيضاً تستمد المؤسسات الحاكمة مشروعيتها من اختيار الناس ومشاركتهم الحرة في الإنتخابات (وفق أطروحة ولاية الفقيه)، فهو قد مزج بين الشريعة الإلهية وحاكميتها ودور الناس في إثبات مشروعية السلطة الحاكمة، وهو نموذج تفتقده المجتمعات الإسلامية التي لا تزال تعيش الحيرة والتخبط، وما يتولد عنهما من أزمات ومشكلات حول مشروعية السلطة الحاكمة ودور الناس في المشاركة والإختيار حيث تفتقد السلطات الحاكمة إلى الشرعية الشعبية، وتبتعد عن انتماء الشعب وهويته وعقيدته، الأمر الذي سبب ولا يزال اللااستقرار والفشل في السياسات التنموية والمواجهة مع الخطر الخارجي، والإرتهان لسياسات القوى المستكبرة، والتفريط بالسيادة والمقدسات.

٢- أعطى الإمام في حركته ونهضته بعداً اجتماعياً بشمولية معنى كلمة اجتماعي للإسلام ودوره في حياة الأمة عندما أسقط مقولة التخدير الديني والمزاعم

التي تعتبر كل راية ترتفع قبل ظهور الإمام الحجة راية ضلال، والدعوات إلى حصر الإسلام في زوايا المساجد والفقه في أبواب الطهارة والنجاسة فقط.

٣- التفاعل مع الواقع السياسي الدولي، دون شعور بالنقص أو انبهار بالنموذج أو رهبة من الخلل في موازين القوى، أو إغفال لطبيعة النظام الدولي والعوامل المتحكمة بآليات قراره والمؤثرة في دوره، بُعد من أبعاد النهج الخميني في تقديم النموذج الواقعي للشعوب والدول في كيفية الحفاظ على استقلالية القرار ورفض التبعية والحرص على المصلحة الوطنية، وهو نهج جلب المتاعب للثورة ووضع في طريقها العديد من المصاعب ولكنه حفظ ديمومتها واستقلالها وكرّس خطاً ثالثاً في السياسة الدولية ومحاورها، لم تبلوره دول عدم الإنحياز بشكله الصحيح والسليم، ولم تقم به أوروبا في محاولات بعض دولها وأركانها للتمايز عن الهيمنة الأميركية في النظام العالمي، وهو على صعوبته يُعتبر طريقاً جديداً في السياسة الدولية يجيد التمسك باستقلالية القرار، ويلائم بين المصلحة والمبدأ، ويستطيع التفلت من محاولات الحصار والإحتواء، ويستمر في الثبات على الموقف المنسجم مع المبدأ دون تفريط بحق أو مس بقضية مقدسة، والشاهد على ذلك الموقف من التسوية ومن السياسات الأميركية والفتوى المشهورة بحق سلمان رشدي.

٤ - كانت القضية الفلسطينية محوراً دائماً وأساسياً في الثورة على نظام الشاه ومواجهة سياسات الدول الكبرى والتخاصم معها والوقوف بوجهها، وهي تعبر عن رؤية للخطر الصهيوني ومشروع الحركة الصهيونية التوسعي، وكان لهذه الرؤية والدعم الذي وفرته الثورة الإسلامية في إيران الأثر الأكبر في بروز وتعاظم الدور الجهادي والإستشهادي للمقاومة الإسلامية في لبنان والإنتفاضة في فلسطين، وتأثير كل منهما في حركة الصراع ونتائجه ومساره.

٥- السعي لتنمية ذاتية تستلهم حاجات المجتمع وتنمي قدراته وموارده الطبيعية والبشرية وتلائم تطلعه للعب دوره السياسي الحضاري اللائق بموقعه

ومسؤولياته وانتمائه وتحقق العدالة بين أفراده.

جهد لا يزال يجتاز مراحله المعقدة والصعبة ويواجه مشكلات متعددة ذاتية وموضوعية ولكنه يبقى أملاً للشعوب في التحرير من الإرتهان وأسر الأنماط الإستهلاكية المهيمنة إعلامياً واقتصادياً.

قد نسرد الكثير من الشواهد على تطلع الإمام لاستنهاض الشعوب الإسلامية والمغلوبة والمقهورة ،بدءاً من النموذج الذي أقامه في إيران وصولاً إلى مواقفه ودعمه لقضايا سياسية وإنسانية ونداءاته المتكررة والقوية إلى مستضعفي العالم ومخاطبته المميزة في عاطفتها وعقلانيتها معاً إلى الأمة لفهم ما تختزنه من قدرات وإمكانات معنوية وروحية ومادية للتحرك والنهوض، «لو ألقى كل مسلم دلواً من الماء على إسرائيل لغمرتها السيول».. (يوم القدس العالمي، الرسالة إلى غورباتشوف) والبعد الروحي.

سيبقى نهج الإمام حاضراً يلهم الأجيال ويوقظ الروح، ولن تجد الأمة سوى هذا النهج طريقاً للنهوض والتحرر والوحدة إذا ما أرادت أن تحتل موقعها المناسب سياسياً وحضارياً وثقافياً.

موقع الأمة الإسلامية في المعادلات الدولية:

عوامل الضعف ومنابع القوة، دور المستضعفين في عملية التغيير على المستوى العالمي

الأستاذ المهندس ليث شبيلات

باحث وناشط إسلامي / الأردن

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أشكركم على دعوتي للمشاركة في هذه المناسبة الهامة المرتبطة بإمام مجاهد صالح، كان المحرك الرئيس والقائد الفرد لإحدى أعظم الثورات على الظلم والإستبداد والتبعية في التاريخ، وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿**إن إبراهيم كان أمة**﴾(النحل، الآية ١٢٠).

إنها مناسبة لا يمكن أن تمر دون أن نذكرها وأن نذكر أنفسنا بها، وأن نعرض بالنقد مواقفنا مقارنة بمواقف صاحبها وفكره. فالرجال العظام في التاريخ قلّ أن يدانيهم بنور الإقتداء أتباعهم إلا سيدنا محمداً (ص) الذي اختصه الله بآلاف الصحابة وبالعترة النبوية الطاهرة عليهم جميعاً السلام حتى قال عليه الصلاة والسلام فيهم «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، فكانت الخلافة الراشدة أربعين سنة ختمت بسيدنا الإمام علي بن أبي طالب أسد الله الغالب كرم الله وجهه الشريف، والذي عبّر عن مستوى أتباعه إذ تدنى ممهداً سلباً لنقيض الخلافة: الملك الأموي العضوض برده على المتسائل عن سبب الفرق بين أوضاع الخلافة زمن عمر الفاروق (رض) وأوضاعها في زمنه قائلا: «كان عمر أميراً على أمثالي وأنا أمير على أمثالكم».

فالإمام قدس الله سره كان في شيخوخته متقدم الفكر حتى على الشباب، وقد علمنا الكثير، وساهم في توسيع أفق مداركنا وإخراجنا من دائرة الإنغلاق على النفس أو الطائفة متجاوزاً حتى الإنفتاح على جميع المسلمين ليضعنا في دائرة العالمية: في الخندق العالمي للمستضعفين الذين يواجهون طغيان النظام الدولي وغطرسة أميركا. فوضع الفهم العالمي للإسلام في مكانه الصحيح، رسالة تحرير للعالم، معيداً إلى مضامين العبارات الشرعية روح مقاصدها التي قضى عليها أولئك المتمسلمون المتقاعسون من أدعياء العلم والفضل الذين أقعدهم الجبن وحب الدنيا عن تطبيق المضامين، واكتفوا بالدفاع عن الشريعة من مظاهر الإنحراف الإجتماعي فقط، ولكن تحت حماية الإنحراف الأعظم: الطاغوت الذي زيّن له الكثير منهم طغيانه وسكت الآخرون عنه غير مؤيدين وغير مزينين، إلا أنهم في الوقت نفسه غير آمرين إياه بالمعروف وغير ناهين إياه عن المنكر، فضلوا وأضلوا كثيراً.

وبعض هؤلاء الذين نهض بهم حال الإمام من الذين لم ينهض بهم حالهم قد يعود إلى حاله السابق بعده باحثاً عن مظلة سلطان ليس بالضرورة سلطاناً دنيوياً، بل قد يكون سلطاناً يبدو أنه مستمد من الشريعة التي جاءت لتحرر الإنسان، فيعكس مقاصدها ويقمع الإنسان، حارماً إياه من حق التفكير والحوار الذي لا يستعلي به أحد على الآخر، والذي أدّبنا عليه ربنا بقوله المذهل الذي يطأطئ له حتى أدعياء الحرية والتحرر رؤوسهم إذ يقول سبحانه: ﴿**وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين**﴾ (سبأ، الآية ٢٤) مبدياً سبحانه احتمال ما يستحيل في حقه جل وعلا من ضلال في كلمات هي قمة فقه الحوار، يتساوى فيه المحاوران كشرط من شروط آداب الحوار ونجاحه ونجاته.

إن من بعض عظمة الإمام قدس الله سره أنه فوق تحطيم الطاغوت قد حطم خطوطاً حمراء بين المذاهب، لم يكن ليجرأ عليها صغار من الطرفين مأسورين لخلاف سياسي بين آل البيت وبني أمية، انتقل إلى تمذهب ديني بات فيه أهل السنة يعاملون كأنهم شيعة ملك بني أمية العضوض، وحاشاهم من ذلك، ومع أن التاريخ يسجل انحياز الأمة كلها، فيما عدا أهل المصلحة السياسية في ذلك الوقت، إلى الإمام

وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقدر الله بحكمته أن لا يكون عند أهل السنة في زمان الإمام الخميني من يدانيه في ميزان السماحة والتمرد على السلطان الظالم، فشُغل كثير ممن سُمّوا بالعلماء بتجريح الشيعة إرضاءً لحكامهم، وكانوا قد سكتوا عن ذلك أيام الشاه، أيام الوداد السياسي بين الحكام الرجعيين الذين يشكلون لهم قبلتهم.

والأهم من ذلك، أن الإمام وضع خطوطاً سياسية حمراء جديدة تخطت في حريتها كل ليبرالية مزعومة عندما وعى وأوعى أهل النهى من مريديه أن نضالات المستضعفين في العالم تضعهم في خندق واحد، وأن الدفاع عن المستضعفين في وجه الشيطان الأكبر ليس مشروطاً بدخولهم في الإسلام والمذهب، بل إن مجرد كونهم بشراً قد كرمهم الله بتكريمه للإنسان يجعل لهم حقاً على المسلمين أن ينصروهم وأن يساهموا في تحريرهم من استعباد الإستكبار العالمي. فأسس لعولمة الجهاد من أجل التحرر من استكبار النظام الدولي الجديد وعولمته قبل أن يعلن عنهما بعشر سنوات. ولعمرو الله إن لم يكن هذا أسلوب الدعوة فما هو أسلوبها. أليس ربنا هو رب الناس جميعاً وليس رباً للمسلمين فقط، ونحن لا نصادر الله إلينا كما فعل بنو إسرائيل إذ جعلوه لهم، فأصبح الآخرون بالضرورة أغياراً «بهماً» على شكل بشر والعياذ بالله، يحق لهم قتلهم ونهبهم وتشريدهم.

وفي هذه الذكرى، حري بنا أن نتوقف عند ظاهرة متكررة في التاريخ، ظاهرة التمسك المتشدد بظاهر محبة المقتدى به والقفز في الوقت نفسه عن المقاصد التي عاش من أجلها بل ومخالفة بعض الوصايا الصريحة التي يحتاج إليها الإلتزام بها إلى همم عالية. فلو أخذنا مثلاً أحد أعظم المواقف الثورية الإنسانية إطلاقاً في هذا العصر، ذلك الموقف المبدئي العقدي الذي حدده الإمام من الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي وأنهما باتا أداتين من أدوات الإستكبار العالمي والشيطان الأكبر، وهو موقف ما جرؤ على إعلانه مسؤول سياسي يتولى قيادة دولة، لا من قبل ولا من بعد. لحق لنا أن نتساءل ونحن نرى دولة عربية هي الوحيدة الرافضة من بين العرب للتفاوض مع العدو الصهيوني، تتطابق في ذلك مع موقف الجمهورية الإسلامية،

وهو الموقف الإستراتيجي للقضية المركزية الذي يعلو على كل خلاف وعلى كل نقطة دم أهدرت، نراها تحاصر من قبل الإستكبار العالمي، ونرى شعباً مسلماً في جوار الأئمة الطاهرين في كربلاء والنجف وبغداد يجوع ويموت ويقصف باسم الأمم المتحدة، وأشقاء عرب وأشقاء مسلمون يطالبون شقيقهم بتطبيق قرارات الشرعية الدولية المزعومة من أجل أن يرفعوا هم حصارهم: بئست الشرعية تلك التي لعنها الإمام وبئس الموقف. إننا لا نرضى بل ونحتقر موقف القادة العرب المنصاعين، رغباً ورهباً ،لتوجيهات معبودهم الأميركي إذ يقفزون عن الشرعية الدينية والشرعية القومية، ويطالبون بالشرعية الدولية المزعومة ذات الوجهين، ولكن ليس بعد الكفر ذنب وليس بعد إشهارهم لصهيونيتهم العربية ذنب. فماذا نقول لأحباب إخوة لنا في الدين يطبقون النظام الإسلامي وهم ينصاعون لقرارات محاصرة العراق في مخالفة شرعية واضحة منهي عنها. ماذا نقول للإمام الخميني قدس الله سره: هل نجرؤ، أن نواجهه بمواقفنا المخالفة بالنص وبالروح لمبادئه؟؟ ماذا نقول للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو الذي كتب إلى قيصر الروم مهدداً إياه من استغلال الحرب بين المسلمين لغزوهم قائلاً: «والله لئن حدثتك نفسك بالغزو لأسيرن تحت راية صاحبي لقتالك». هل يعقل أن نطلب من العراق تطبيق قرارات الأمم المتحدة التي أعلن الإمام أنها أداة الشيطان الأكبر حتى نرفع عن المسلمين الحصار؟ هل يعقل أن تصبح طاعة الشيطان الأكبر بأمر من الله بعصمة الفقيه؟ أين هذا من الثورة المضادة؟ هل نشتم أميركا ظاهراً ونهابها من دون الله باطناً؟ هل يعقل أن تتحرك الدماء في مجلس النواب الروسي (الدوما) فيركب النواب طائرة لكسر الحصار فيعيدهم إخواننا لأن طائرتهم لا تملك إذناً من الأمم المتحدة؟ علماً بأن قرارات الأمم المتحدة لا تشمل الحصار الجوي وإنما هي قرارات أميركية مطبقة بأيدٍ عربية وأخرى إسلامية. أين نحن من وصية الإمام التي حدد في جزء منها قواعد في السياسة الخارجية لا تصدر إلا عن ملهم سبق الزمان. ألم يقل في أوج الخلاف مع العراق إن من الممكن أن نصالح صدام ولكن ليس من الممكن أن نصالح آل فلان؟ وقد تم السير بعكس سياسته هذه من بعده. من قال بحبه للإمام فعليه أن يرقى

لفعل الإمام ولموقفه ولمبادئه وإلا أصبحنا مثل الكثيرين من تاركي الصلاة الذين يزعمون أنهم يحبون الله أكثر منا معشر المصلين. إنني لأزعم بل وأقسم غير حانث إنه لو كان الإمام بيننا اليوم لما كان هنالك حصار على العراق ولما تم احتلال الخليج عسكرياً من أميركا، ولكان هنالك محور ضد الصهيونية وضد الإستسلام مشرئباً فوق العداوات وفوق الدماء، متشكلاً من إيران والعراق وسوريا ولبنان، وجاذباً الأردن إليه بدلاً من انجذابه الهائل للصهيونية الذي نراه اليوم. فالمعركة في الخندق الأخير وتحتاج إلى رؤية عظيمة، ولقد كان الإمام قدس الله سره عظيماً يحفز أتباعاً عظاماً. إن الطفل الصغير فينا ليعرف أن آخر عقبتين في وجه النظام الإقليمي الإسرائيلي الجديد هما العراق وإيران اللذان ما زالا متمسكين بالموقف القومي الرافض وبالموقف الإسلامي الرافض للجلوس على مائدة المفاوضات مع العدو الصهيوني. أنوادِدُ أنظمة تعلن وتسير بالحل السلمي الذي لا يطبق حتى قرارات الأمم المتحدة مع أن هذه الأنظمة كانت هي المسعر والممول لحرب الخليج الأولى، ونعبس في وجه العراق وعشرين مليوناً من أبناء الأمة المجوعين وننتظر انصياع العراق لقرارات الأمم المتحدة الأميركية؟ لماذا؟ حتى ننصاع نحن بعد ذلك لهذه القرارات الطاغوتية؟ وا إماماه! وا إماماه.

وعوداً إلى موقع الأمة الإسلامية في المعادلات الدولية ودور المستضعفين في عملية التغيير الموضوعين اللذين كانا في قبلة الإمام السياسية، فإننا وقد أدركتنا العولمة اليوم: عولمة رأس المال والشركات المتعددة الجنسية لا عولمة الإنسانية والبشرية، نكتشف الرؤية المتقدمة للإمام كيف استشرفت مبكراً أن الأمة الإسلامية يجب أن تكون في قلب معسكر المستضعفين في العالم. كان ذلك حتى قبل سقوط الشيوعية. أولئك المستضعفون في كل أنحاء العالم الذين فقدوا لاحقاً لذلك، بعد سقوط الدولة الشيوعية، حتى العقيدة الغربية المناهضة لطغيان رأس المال، ولم تبق هناك مدرسة فكرية بمنظور كامل عن الله والكون والإنسان والحياة مرشحة للدفاع عن المحرومين سوى الإسلام.

إن من أهم أسس النضال أن يقرأ المرء الخارطة الفكرية للآخرين وأن يحلل

منظورها للإنسان والكون والحياة، محدداً أوجه التماثل والإختلاف في المناظير، فما تطابق معها ائتلف وما تناكر اختلف واصطدم، وذلك حتى لا تستعمل الشعارات الجميلة العنوان، مثل حقوق الإنسان وحماية البيئة ورفع مستوى السكان وحقوق المرأة والطفل والتنمية الإجتماعية وحماية الملكية الفكرية، لتغطية خبث المضمون الإستعماري الذي تخفيه. وإن رأس الأمر في النضال ضد الإستبداد العالمي هو الحرية والتحرر من استعباد السلطة! فمن سلم حرية رأيه وفكره إلى سلطة بلده الوطنية لن ينهض للدفاع عن بلده عندما تتغلغل فيه السلطة الأجنبية، فالعبد عبد، يستمرئ العبودية كائناً من كان سيده، والحر لا يطيق الأغلال ولو كانت الأغلال أخوية ذهبية.

فكيف تكون نهضة وتنمية دون إبداع؟ وهل يحرك الإبداع غير النقد؟ وكيف يكون نقد في غياب الحرية الكاملة للعقل في أن يتدبر وأن يتفكر وأن يناقش ويحاور للوصول إلى الحقيقة والى الأمثل، حتى يتقدم الوعي الجمعي وتنمو المعرفة التراكمية للمجتمع، لا أن ينقلب شعار الحرية إلى لقلقة لسان مصحوباً بممارسة قمع العقل والفكر أو عند البعض بإطلاق حرية الشهوات والإستهلاك والإباحة التي تعرض سلطاتها الشهوانية على العقل مغلقة الفكر وتنحط بأشرف المخلوقات إلى اسفل سافلين.

في القرن الماضي جاءنا الإستعمار وشركاته المتعددة الجنسيات بشكل واضح جلي. استفز شكله الغريب وبزته العسكرية كوامن الرفض والمقاومة عندنا، فخضنا معارك التحرر. وعلى أبواب القرن الحادي والعشرين يجدد الإستعمار وشركاته المتعددة الجنسيات هجمته علينا بوجوه وأشكال وسياسات متنوعة على محاور متعددة، لم تُبن في وجهها أية دفاعات مؤصلة بل مجرد شعارات، وبقينا حاشدين رفضنا له، وبفشل، في المحور العسكري، وفي ما ظهر من نصوص عدوانية على المحور السياسي بسلفية جديدة تفرح لإقامة النص، ولا تصحو على ضياع المعنى والروح، التي إنما أنشئ النص لها لتسكن فيه، فأصبح أفضلنا وطنية من قاوم قشرة الهجوم وقد امتلأ فراغه الثقافي بفراغ الغرب الثقافي، سطحي يهتز لمرأى

بارجة حربية ولا يهتز أبداً لمرأى وحضور سيدها ومحركها صندوق النقد الدولي ومحتكري السوق تحت شعار تحريره. يقاوم الإستعمار بشعار «فليسقط الإستعمار» فقط بينما هو يكرس في الوقت نفسه الإستعمار في ذاته وفي بلده، وذلك بابتلاع سياسات الاستعمار البيئية والسكانية والتنموية والمالية والإقتصادية والحقوق إنسانية وغيرها، ويرقص فرحاً لتطبيق حماية الملكية الفكرية التي تحمي منتجات المحتكرين المصنعة لثروات العالم المستضعف المنهوبة المستباحة والتي يعاد بيعها لهم بأضعاف الثمن ويمنع عليهم تقليدها في الوقت الذي لا يحمي ثرواتهم المستباحة أحد.

أيها الإخوة

في الدقائق القليلة الثمينة المتبقية، أستنفر الهمم بذكر مفاتيح موضوعات عن أسس العالمية الفكرية الإنسانية المستمدة من سماحة الإسلام السمح، وصفاء المسيحية، في مواجهة الأسس الإنسانية لعولمة نظام دولي يحارب الله والإنسان، تحتاج إلى ساعات من الكلام، مستغلاً فطنتكم الشهيرة ومستغلاً أهمية لبنان والتجربة اللبنانية، التي لا تنجح ولن تنجح، إلا بالتنوع والسماحة والإنفتاح في جو أكيد من الحرية. فلبنان الذي أريد له أن يكون نموذجاً للتفتت الإثني والطائفي المراد نشره في المنطقة لتسود دولة العدو ومن وراءها، هو المرشح لأن يقلب السحر على الساحر، بنجاحه في توحيد الإنسان والمجتمع، فينقلب شعار «اللبننة» الأسود الذي يريده الأعداء، إلى شعار «لبننة» نوراني نريدها نحن نموذجاً لتوحيد المنطقة في وحدة قائمة على التنوع، تنطلق من عاصمة الفكر والنور. من هنا تنبثق تجربة رسالة النور المنتظرة، رسالة قائمة على توحيد الإله، وعلى أنه رب الناس جميعاً وليس إلهاً لبني إسرائيل أو أي عنصر دون الآخر، وأن الإنسان خليفة الله في الإسلام، صورة الله الحية في الأرض Imago Viva Dei كما في المسيحية، وليس مجرد حيوان آخر في داروينية اجتماعية عنصرية، تحلل للأقوى البقاء وتحرم على المستضعفين الحياة، وأنه هو مركز الكون وليست الطبيعة التي هي مسخرة له، وأن

الفقر بذلك هو رأس ملوثات البيئة الذي يحتاج برنامجاً طارئاً لإزالته: يُقضى على الفقر من أجل إنقاذ البيئة، ولا يُقضى على الفقراء لتبقى الطبيعة متعة للأغنياء! وأن الموارد الطبيعية ليست محدودة إلا للحيوانات وليست محدودة أمام الأنسان الذي ميزته الإرادة الإلهية عن باقي الأحياء بعقل يتقدم به من تقنية إلى تقنية: كلما قفز من مستوى إحداها إلى الآخر أعيد تحديد موارد الأرض أمامه من جديد، لينفذ أمر الله في الإنجيل والقرآن بالتكاثر وعمارة الأرض، وأن وحدانية الإله للناس جميعاً تعرض بالضرورة المساواة بينهم وتحرم استعبادهم، وعلى رأس أدوات الإستعباد الربا الفاحش الذي يمص دماء أكثر من ثلثي سكان المعمورة، دافعاً بهم إلى الإنسحاق والفناء، و إن كان هنالك أي خير في اقتصاد السوق فهو لا يتجاوز حق المستهلكين وحريتهم في الوصول إلى المنتج بعيداً عن احتكار الموزعين والمصنعين وليس حرية المحتكرين في إزالة الحماية عن الأسواق، وأن جهد الإنسان وإبداعاته شريك أساس في بناء الثروات والحضارات وليس عبداً عند رأس المال، وأن حرية تنقل البشر مقدمة على حرية تنقل المال، وأن حق الشعوب في تقرير المصير مقدم على حق الفرد في حرية تحطيم المجتمع ونسيجه الإجتماعي، وأن العائلة هي الخلية الواجب حماية قيمها لا الفردية المحطمة للقيم العائلية، وأن الداخل للقرن الحادي والعشرين يجب أن يدرك أن الصراع سينتقل من الجغرافيا السياسية إلى معسكرين لا ثالث لهما: من هم مع الإنسان، ومن هم ضد الإنسان. أو دار المستضعفين ودار المستكبرين، كما قال ممثل غبطة الكاردينال صفير في جانب من كلمته الجميلة الجامعة المانعة في حفل الافتتاح، والتي كنت أقبل بسعادة غامرة أن تكون كل كلمة فيها معبّرة عن موقفي.

مقاربات مقارنة بين ولاية الفقية وأشكال معاصرة في الحكم

الدكتور شبلي ملاط

أستاذ القانون الإسلامي في جامعة سواس ـ لندن

كنا قد أشرنا في دراسة، صار عمرها عشر سنوات، الى تشابه غريب في التطور الدستوري المعاصر بين تجربتين رائدتين في تاريخ المؤسسات الإنسانية، عبر أكثر من قارة وأكثر من قرن. ففي هذه الدراسة تبيّن لنا، في لجى القانون الدستوري المقارن، تقارب المنحى الدستوري لبلدين وجدهما التاريخ في صراع لا يسمح حتى اليوم لروادهما بأن يلتقيا على قاسم أدنى من المشتركات في الحياة الدولية العامة: الولايات المتحدة الأميركية وجمهورية إيران الإسلامية.

وكل من ركب سفينة الفقه المقارن، الدستوري منه كما المدني والفلسفي، يعي إمكانية الإنزلاق الى استحداث إصطناعي لأوجه تشابه تفي حاجة الباحث القانوني إذا شاء أن يلعب بأدوات المجهر الذي يستعمله في مقارنته، فيجعله من الشمولية والعمومية بقدر كافٍ لتنجح المقاربة، في «قياس التفاح بالبرتقال» كما أشار اليه في دراسة حديثة زميل متبحر في الموضوع (Review, 000,1999 Chodosh Iowa Law) وبالإضافة الى المشكلة النظرية في تشابيه مصطنعة، والخلاف المستعصي بين الحكومتين على امتداد العقدين الماضيين، كما نفور القانونيين الإيرانيين قبل الثورة وبعدها، من الإرتسام بسوابق أميركية في شتى حقول المعرفة القانونية، هذه العناصر جميعها تجعل النفور قاعدة والتقارب استثناءً لها، حتى على سبيل المقارنة العلمية البحتة. أما النفور المتبادل وأسبابه التاريخية فهي جلية ومعروفة، مما يجعل قوام الخلاف العميق يؤثر سلبياً على أية محاولة للمقارنة، ويحوّل مناسبتها عرضة لإنزعاج متبادل، فضلاً عن وهن العلاقات السببية الفكرية بين نظامين دستوريين،

حاضرهما على خلاف أكيد، وأصولهما موضع شك علمي، لا يمكن للمرء إلا الإقرار بحقيقته الموضوعية. وفائدة مقارنة البرتقال والتفاح محدودة للغاية، على الأقل في مجهر التاريخ المعيش.

لكن المثار في هذا المجال، وهو بعض موضوعنا اليوم، يرتبط بحقائق ثابتة، من الممكن تناولها، بالرغم من النفور الأولي، بتركيز المجهر على صلب عقدين من النقاش الدستوري الإيراني الحاد والغني على السواء، ومضاعفاته المقارنة بما يوضحها في انعكاسات التجربة الدستورية الأميركية ومعضلتها الأساسية منذ مئتي سنة:

«فالدور function الأساسي الذي هو أيضاً المشكلة الأساسية، للمراجعة القضائية judicial review هو التالي: كيف يمكن لهيئة غير منتخبة وغير مسؤولة بشكل فعلي، أن تقول لأشخاص انتخبهم الشعب إنهم ليسوا قادرين على أن يحكموا كما يحلو لهم؟» (إيلي، الديمقراطية والشك Democracy and distrust، ١٩٨٠، ص ٤-٥). وبعبارة أخرى، كيف يمكن للمحكمة العليا، وأعضاؤها لا يمكن عزلهم بل هم معينون مدى الحياة، أن تنقض قراراً اتخذه مجلس تنفيذي أو تشريعي منتخب مباشرة من قبل الشعب؟ (عن دراسة للكاتب في الشرق الأدنى ـ دراسات في القانون، ١٩٨٧ ص ١٥).

هذا المقطع الذي كتبه جون هارت ايلي في مساهمة أساسية عن النظام الدستوري الأميركي، يكرس في رأينا أعمق المعضلات إطلاقاً التي واكبت الحياة الدستورية الإيرانية منذ عقدين، بمجرد إعادة صياغته بترجمة تستقي عباراتها من داخل التراث الفقهي الإسلامي:

«فالدور الأساسي الذي هو أيضاً المشكلة الأساسية للمراجعة الفقهية هو التالي:

كيف يمكن لهيئة غير منتخبة أن تقول لأشخاص انتخبهم الشعب إنهم ليسوا قادرين على أن يحكموا كما يحلو لهم؟ كيف يمكن للفقيه، أو لمجلس الأمناء، أن

ينقضوا قراراً أو قانوناً اتخذه مجلس تنفيذي أو تشريعي منتخب مباشرة من قبل الشعب ؟».

المقارنة الأولى متصلة إذاً بدور مرادف للمحكمة الدستورية العليا الأميركية في المركب المؤسساتي الإيراني، وهو الذي يتمثل بهيئتين من صلب النظام الدستوري منذ الثورة الإسلامية: الهيئة الأولى هي مجلس الفقيه وولايته، أي الدور الخاص الذي يلعبه القائد - «رَهْبَر» في إيران - وولاية الفقيه، كما هو معلوم، تمثل محور النقاش في الجمهورية الإسلامية منذ ريادة الإمام الخميني حتى خَلَفيه الدستوريين وصولاً الى القائد الحالي آية الله السيد علي خامنئي.

ومن ناحية ثانية، وعلى الأقل الى حين التغيير الدستوري الجذري سنة ١٩٨٩، كما حاولنا معالجته في دراستنا التي انتهت عند ذاك التاريخ، فإن مجلس الأمناء (أو مجلس صيانة الدستور) - شورای نكهبان - كان ولا يزال يمثل، بالإتحاد والتنافس مع الهيئة المستحدثة سنة ١٩٨٩، مجلس تشخيص مصلحة النظام، المرجع الدستوري الأساسي الثاني للبتّ - كما جاء في المادة ٩١ وما تلاها من الدستور الإيراني - ما إذا كان قانون ما، أي قانون تقره الهيئات التشريعية والتنفيذية، متلائماً مع الدستور أو مع الشرع الإسلامي كما تفسره هاتان الهيئتان.

هذه الظاهرة المزدوجة للفقيه القائد ومجلس الأمناء تشكل سلطة فعلية، فقهية دستورية - قضائية، يرجع إليها رسمُ الإطارات العامة الدستورية والشرعية التي تقرر هي أنماطها الرقابية وتفسرها تفسير المرجع الدستوري الأخير في حياة الجمهورية الإسلامية.

ولا يخفى أن ازدواجية هذه السلطة نفسها هي ما تتميز به إيران عن سائر الأنماط المقارنة في دساتير العالم، ولن نركز عليه في تشعباته الخاصة بإيران ما بعد الثورة، لأن ما يهمنا في عملنا المقارن هو الرقابة الدستورية الواسعة التي تميز إيران عن جميع الأنماط الدستورية البرلمانية أو الرئاسية في ما عدا - وهذا الإستثناء وجه المقارنة الدستورية في طرحنا - المحكمة الدستورية العليا في أميركا.

هذا إذاً أول وجه المقاربات، وأظنه ممكناً علمياً تعميق البحث في نواحٍ شتى من تطور هذه الرقابة، وقد حاولت الإشارة الى بعض هذه الأوجه في دراستي عن محمد باقر الصدر.

أما الظاهرة الأخرى التي تميز النظام الدستوري في إيران، فهي الدور الرديف، الذي تثبت مع الوقت عنصراً هاماً في المعادلة الإنتخابية، وهو سلطة مجلس الأمناء على غربلة المرشحين الى المناصب الإنتخابية الأولى في البلد، لا سيما رئاسة الجمهورية ومجلس الشورى - أي مجلس النواب، وفقاً للمادة ٩٩ من الدستور الإيراني، التي تنص على «إشراف مجلس صيانة الدستور على انتخاب رئيس الجمهورية، وانتخاب أعضاء مجلس الشورى»، والمواد التطبيقية لها.

لست مطلعاً بالكفاية على نمط هذه الرقابة المسبقة، والحقيقة، إن مثل هذه الدراسة، أي الدراسة التي يمكن أن تبلور موقف مجلس الأمناء من الترشيح، تحتاج الى تفسيرات وأسباب رفض المجلس لترشيح هذا الشخص أو ذاك، ليست على علمي متوفرة في العلن. هذه الميزة الرقابية المسبقة أساسية بالنسبة لإغلاق باب الترشيح على شخصيات بارزة، منعها المجلس على امتداد العقدين الماضيين من السير قدماً في العملية الإنتخابية. وعلينا أن نراقب الصلاحيات الإستنسابية التي يتمتع بها المجلس في الإنتخابات البرلمانية المقبلة لاستشفاف المحطات الفارقة في الآفاق الدستورية الجديدة في الجمهورية الإسلامية.

وبغض النظر عن عدم توفر الشروحات والإجتهادات الكافية لتقدير هذه السلطة الرقابية الخاصة بمجلس الأمناء، قد يكون مفيداً أن نتساءل عما يمكن تبريره، في النظرية الدستورية المقارنة، لمثل هذا الدور.

فالفلسفة ذاتها هي التي يمكن استيحاؤها من أحد أبلغ التفسيرات التي نجدها في الفقه الأميركي الدستوري المعاصر في الجدل الذي لا يزال محتدماً اليوم عن هامش شهيد في قرار صدر سنة ١٩٣٧:

«ليس من الضروري أن ندرس الآن ما إذا كان التشريع الذي يحد نقاء العملية

السياسية ـ التي ينتظر منها عادة أن تدعو الى نقض تشريع غير مقبول ـ يتطلب تمحيصاً ومراجعة قضائية ، (على أساس الحظر العام الموجود في التعديل الرابع عشر) وعلى وجه ينطوي على نقص أكثر عمقاً من التقصي المعهود في مجمل التشريعات الأخرى.

ولسنا بصدد التساؤل الآن عما إذا كانت اعتبارات مشابهة تدخل في نطاق مراجعة القوانين المتعلقة بأقليات دينية، قومية أو عنصرية محددة، وما إذا كان الضرر الواقع في أقليات محدودة ومعزولة قد يشكل شرطاً خاصاً يفضي الى حجب العملية السياسية المسلوكة عادة للمدافعة عن الأقليات، وقد يتطلب عندئذ تمحيصاً قضائياً أكثر دقة» (Carolene Products,1973).

وليس واضحاً لمن يقرأ هذه الفقرة ارتباطها بدور الفقيه في العملية الدستورية. إلا أنها، على غموضها، تشكل المرتكز النظري الأول الذي يؤسس عليه العالم الدستوري إيلي ماهية المحكمة العليا في الولايات المتحدة ودورها رقيباً فقهياً.

وحسبنا في ختام مقاربة، ليست سوى تحدٍّ معاصرٍ آخر، الإستشهاد بعبارتين مأثورتين للإمام الخميني، أولاهما أن «الفقيه لا يريد أن يفرض على شعبه ما ليس بحق، وإذا أراد فقيه أن يفعل ذلك فإن ولايته تنتفي»، وثانيتهما «أن ولاية الفقيه هي التي تهدف الى الوقوف بوجه النزاعات الفردية في الحكم، وهي إن غابت أصبح الحكم فردياً».

وحسبنا ختاماً أن نكرر، مع دراسة مهمة عن فكر الإمام الخميني العرفاني، أننا لا نزال في أول المطاف لإحاطة فكره الصوفي والفقهي على السواء بشكل شامل، وقد يكون المنحى الأفلاطوني عن ضرورة وجود الفيلسوف حاكماً في المدينة، إنْ في ولاية الفقيه، كما جسّدها الإمام الخميني، أو المحكمة الدستورية العليا في حكومة القضاة، كما هي معروفة في العرف الدستوري المقارن، حَسبنا الإشارة إلى أن التراث الأفلاطوني في كتاب الجمهورية هو ما يجمع فكرياً أضراراً لن تجتمع قريباً في ساحة العمل الدولي.

دور الشعوب في عملية الإصلاح والتغيير على مستوى العالم الإسلامي

الأستاذ بشار القوتلي
باحث إسلامي / لبنان

عبر تاريخ نضالات الشعوب في العالم، تتألق دوماً أسماء شخصيات هي في الحقيقة تجسيد حي وبلورة واضحة لإرادة الجماهير الشعبية.

وفي صفحات تاريخ النضالات الإسلامية يبرز اسم الإمام الخميني ناصعاً متألقاً، بوصفه العلامة المضيئة للحرية. وتظهر لنا صفحات تاريخ الشعوب كم هي قليلة تلك الشخصيات التي وقفت موقف الرد والرفض أمام محاولات التبعية والإستعمار، وسارت قدماً نحو أهدافها بالإعتماد فقط على قوة الإيمان والعقيدة وعلى احتضان شعوبها.

وفي المئوية الأولى لولادة الإمام الخميني، نحاول في هذه الورقة أن نبحث في دور الشعوب في عملية الإستنهاض على مستوى العالم الإسلامي، آملين أن نكون قد أسهمنا في التوصل إلى تحقيق غاية المؤتمر في عملية التلاقي وتبادل الرأي والحوار، وإحياء ذكرى السيد الخميني.

وتريد هذه الورقة عرض موقف الإمام الخميني ورؤيته إلى دور الشعوب في عملية التغير والإصلاح على مستوى العالم الإسلامي، وتبيان أثر الثورة الإسلامية التي قادها في دفع وتعزيز هذه العملية، وذلك من خلال البحث في النقاط التالية:

أولاً: الأهمية الإستراتيجية للعالم الإسلامي.

ثانياً: واقع الشعوب الإسلامية وتنوع الحركات الفكرية والسياسية.

ثالثاً: المواجهة التاريخية ويقظة الشعوب والمجتمعات الإسلامية بوجه

الحكومات الإستعمارية.

رابعاً: مقاومة الشعوب الإسلامية لسياسة التبعية والتغريب.

خامساً: حكومات الإستبداد ورؤية الإمام الخميني لدور الشعوب في العالم الإسلامي.

سادساً: منهج الإمام الخميني... منهج المواجهة والمقاومة.

وثمة من يحاول ان يقدم بعض الإجابات عن ظاهرة اليقظة الإسلامية لهذه الشعوب، معالمها، أشكالها، ومضمونها. ونقطة البدء هي أن هذه الظاهرة المعاصرة ليست ظاهرة عفوية في مفاهيمها، وإنما هي ظاهرة قديمة الجذور، حديثة الشكل والمظهر خلال هذه المرحلة من التاريخ، ولقد سبقت في الظهور مرات ومرات، ولكنها كانت تخفت وتنهزم لأسباب منوعة في كل مرحلة.

ومع تطور وسائل النشر والإعلان، وكثرة عدد الوافدين الى بلادنا من المستشرقين والباحثين الأجانب لدراسة هذه الظاهرة ومراقبتها، وانعقاد المؤتمرات والندوات في الجامعات ومراكز الأبحاث في بلاد أوروبا وأميركا وغيرهما من القارات، يتأكد الإنطباع حول الموضوع بشأن لفت النظر والإنتباه الشديد أو الإثارة أو التخويف من اليقظة الشعبية الإسلامية وآثارها. والإشارة الى العناوين والشعارات والمصطلحات التي استخدمت هناك، تحدثت عن يقظة الإسلام، انبعاث الإسلام، إحياء الإسلام، المسلمون قادمون الخ.

إن قسماً من هذا الحديث المتداول في بلاد أوروبا وأميركا حول قضايا المسلمين والبلاد الإسلامية، إنما يعبر عن صراع تاريخي من مواريث النظرية التاريخية الثقافية الكامنة في الفكر والممارسة الأوروبية والأميركية[1] نتيجة حروب الممالك المسيحية الأوروبية ضد بلاد المسلمين ودولهم إبان العصور الوسطى، وكذلك منذ أيام الحروب الصليبية التي تركت آثاراً لا تزال حتى اليوم.

(١) ستودارد. حاضر العالم الإسلامي. ترجمة: عجاج نويهض. دار الفكر. بيروت. الجزء الأول. ص ٢٨٩.

ويمكن القول إن الأغلبية من الباحثين والكتاب الأجانب حول الإسلام والمسلمين والشعوب والبلاد الإسلامية انما يعبرون في نظرتهم إلينا عن إيمانهم وتأثرهم بأفكار ومبادئ وعلاقات التبعية القائمة بين دول الشمال الغني المتقدم ودول الجنوب الفقير المتخلف، حيث تقوم غالبية الشعوب والبلاد الإسلامية في هذا الجنوب.

ولئن شكل تراجع الإستعمار المباشر في القسم الأول من القرن العشرين بداية في نهضة الشعوب الإسلامية، فقد كان للإمام الخميني وثورته الأثر الأبرز في تأجيج روح الثورة الشعبية والتغيير، وإطلاق ديناميكية مستمرة على صعيد العالم الإسلامي من أقصاه الى أقصاه، آخذة أشكالاً مختلفة من إصلاحية الى جهادية، خصوصاً في مناطق الإسلام البرزخية بينه وبين حضارات أخرى مهيمنة، أو المناطق/ الممرات الإستراتيجية، حيث يحصى اليوم ما يزيد على إحدى عشرة مواجهة تخوضها الشعوب الإسلامية ضمن ما يمكن تسميته بالإنتفاضة الشاملة.

ان الرؤية الموضوعية ليقظة الشعوب الإسلامية المعاصرة، تتطلب تحديد معالم هذه اليقظة، والأشكال التي تأخذ بها في عصرنا لكي تعبر عن ذاتها، وأن نحدد الأهداف والمطالب التي ترفعها هذه الشعوب بأشكالها وأنواعها المختلفة.

الأهمية الإستراتيجية للعالم الإسلامي

إن النظام الجغرافي للعالم الاسلامي ينطوي على مجموعة متميزة من المكونات الإستراتيجية، لها انعكاساتها المهمة على ظاهرة اليقظة الإسلامية وعلى امتداد العالم المعاصر. وتتميز جغرافية الدول الإسلامية بعدد من السمات هي:

أولاً: الترابط الأرضي

تكوّن غالبية الدول الإسلامية نطاقاً جغرافياً متصلاً من النصف الشمالي من أفريقيا والجزء الغربي من آسيا، أي من خط طول ١٨° غرباً على ساحل غرب أفريقيا الشمالية، الى خط الطول ٩٠° شرقاً، حيث إقليم سيكيانغ الصيني شرق كشمير. أما

بالنسبة لخطوط العرض فتمتد هذه الكتلة الجغرافية من خط عرض ٢° جنوباً في جمهورية الصومال حتى خط عرض ٥٥° شمالاً، حيث الحدود الشمالية لجمهورية كازاخستان في وسط آسيا. وتصل مساحة هذه الكتلة المتصلة حوالى ٣٠ مليون كيلومتر مربع، أي نحو ٢٠ في المئة من مساحة الكرة الأرضية.

وهناك كتلة جغرافية إسلامية أخرى تتكون من جزر وأشباه جزر جنوب شرق آسيا وتتكون أساساً من دولتي أندونيسيا وماليزيا. وتمتد هذه الكتلة بين خطي طول ٩٩° شرقا و١٤٠° شرقاً وبين خطي عرض ١٠° جنوب خط الاستواء و٨° شمال خط الاستواء، وتصل مساحة هذه الكتلة الى مليوني كليومتر مربع، ناهيك عن مناطق إسلامية كثيرة متفرقة في الهند وفي الصين.(١)

ويتضح أن دول العالم الإسلامي تبلغ مساحتها مجتمعة حوالى ٣٢ مليون كيلومتر مربع، أي ٣٠ في المئة من مساحة العالم.

ثانياً: التميز الإستراتيجي

يشغل العالم الإسلامي موقعاً إستراتيجياً بين مناطق العالم ودوله، حيث نجد أن معظم انحاء العالم الإسلامي تطل على مسطحات مفتوحة تخترقها أهم الطرق البحرية العالمية. ويطل العالم الإسلامي على المحيط الأطلسي الذي يمر به حوالى ٥٢ في المئة من التجارة العالمية لدول الغرب الأوروبي- الأميركي، كما أن سواحل البحر المتوسط الجنوبية والشمالية والشرقية هي إسلامية أيضاً. ويتحكم العالم الإسلامي في مداخل بحرية مثل قناة السويس في مصر ومضيقي الدردنيل والبوسفور في تركيا ومضيق جبل طارق في المغرب الأقصى، كذلك يقع المحيط الهندي في جنوب العالم الإسلامي، وتتحكم دوله الإسلامية في مداخله فتسيطر جمهورية اليمن على مضيق باب المندب من الشرق، وجيبوتي من الغرب، وتشرف ماليزيا على مضيق ملقا، وهو المعبر الشرقي للمحيط الهندي من الشمال،

(١) محمد عصفور. فتحي سعيد. موضوعات في جغرافية الشعوب العربية والإسلامية. القاهرة ١٩٨٢، ص ٥٢

وأندونيسيا من الجنوب باتجاه المحيط الهادي.

وتمتد من المحيط الهندي أذرع مائية تمثل بحيرات إسلامية وتتصل بالبحر الأحمر والخليج العربي في معظم سواحلها، إذ تشرف على الخليج العربي إيران والعراق والكويت والإمارات العربية المتحدة وعمان، كما تطل سواحل البحر الأحمر على مصر والسودان وأريتريا وجيبوتي واليمن والسعودية والأردن. وتشكل سواحل جزر ايريان جايا الغربية وسلبيس الحد الشرقي للعالم الإسلامي على المحيط الهادئ في أندونيسيا[1]. وقد تزايدت الأهمية الإستراتيجية لموقع العالم الإسلامي بتدفق البترول في أراضيه، ولا سيما بعد أن بلغ إنتاجه ثلاثة أرباع الإنتاج النفطي العالمي[2]. وانعكس هذا بوضوح ولا سيما على تصعيد حركة اليقظة الإسلامية المعاصرة لشعوب العالم الإسلامي الذي يبلغ تعدادها حوالى مليار نسمة.

واقع الشعوب الإسلامية

وتنوع الحركات الفكرية والسياسية

إن رؤية واقع الشعوب الإسلامية ومقوماتها في عملية الإستنهاض وأبعادها الفكرية في هذه المرحلة التي تسود فيها العالم صراعات القوى الأجنبية والعقائد السياسية والإقتصادية المنوعة على مستويات إقليمية وعالمية، تقتضي ملاحظة ما يجري في داخل بلاد المسلمين ودولهم ومن حولها. ولذلك من الطبيعي أن تحاول الدول المتصارعة أن تستغل وتستثمر ظاهرة يقظة هذه الشعوب أو بعض تياراتها، كما أن عدداً من هذه القوى تحاول إلقاء الشكوك والإتهامات حول يقظة هذه الشعوب بالتعاون مع عدد من الحكومات في البلاد الإسلامية ذاتها.

---

(١) نبيل عبد الفتاح. الأبعاد الإستراتيجية للعالم الإسلامي المعاصر. مجلة السياسة الدولية، العدد ٦١.

(٢) سكارسيا. العالم الإسلامي وقضاياه التاريخية. ترجمة سمير سعد. دار ابن خلدون. بيروت ١٩٧٤، ص ٥٩ - ٨٠.

وعلى الرغم من أن هناك اختلافاً شديداً وتبايناً واضحاً بين مجموعات القيادات الإسلامية في كل مجتمع، وبين سائر المجتمعات، من حيث مستويات الفكر والتنظيم والتكتيك والعمل السياسي والفكري، وترتيب الأولويات والأهداف والغايات المرحلية، كما أن مقتضيات التكيف أو المواجهة مع الأحداث والأوضاع العالمية المتغيرة تترك أثرها بالإيجاب أو السلب، تبعاً لتصرفات هذه القيادات وممارساتها وردود فعلها، مما ينعكس بدوره على واقع ودور الشعوب في بلدان العالم الإسلامي. والواضح أنه لا يوجد تنظيم عالمي يضبط، وينظم، ويوحد عمل ونشاط وتوجهات هذه اليقظة التي تضم جماهير وحركات وتنظيمات وأحزاباً سياسية، وحركات مقاومة مسلحة وثورات الخ.. ولكن توجد تنظيمات في داخل دول العالم الإسلامي الرسمي السياسي المعاصر، كما توجد تنظيمات واتصالات عبر الحدود بين مجموعات من هذه الدول وذلك في مناطق عديدة، تمولها وتنظمها حكومات، إضافة إلى أشكال أخرى من الهيئات التي تدعمها حكومات أيضاً مثل «منظمة المؤتمر الإسلامي» في المملكة السعودية، وتنظيمات أخرى تضم أحزاباً وهيئات وجماعات مثل «مؤتمر تجمع علماء المسلمين» في باكستان، و «جماعة الشعوب العربية والإسلامية في مصر» وغير ذلك من الهيئات.

إن هناك اتفاقاً عاماً دائماً بين كل الجماعات والتيارات والحركات الإسلامية هو إقامة حكومة إسلامية في كل مجتمع ينشطون فيه. ولكن هناك رؤى هامة في ما بينها يجب التأمل فيها.

١- إن هذا الإتفاق العام ليس على مستوى واحد من تصميم النموذج الإسلامي وأبعاد المؤسسات التي تقوم داخل المجتمع.

عندما ندرس مواقع الحركات الإسلامية المتعددة، نجد أن بعضها استطاع أن يواكب حركة السلطة ويتداخل معها في حركة الحكم بشكل أو بآخر، من خلال إقامة مشروع الدولة الإسلامية [١]، وهذا ما نلاحظه في تجربة النموذج الإيراني

(١) غسان بن جدو، خطاب الإسلاميين والمستقبل، دار الملاك، ص ٢٠٥.

والسوداني، مما يجعل مستقبل هذه الحركة هنا وهناك مرتبطا بمستقبل الحكم، أو العكس من حيث إمكانية قدرة الحركة على حماية مؤسساته، والإستفادة من النمط الغربي لمؤسسات الدولة بآلية إسلامية (البرلمان). أما الحركات الإسلامية الأخرى فإنها لم تتحول الى دولة، بل بقيت في ساحة الصراع تواجه السلطة من جهة والتيارات الموجودة في الساحة من جهة أخرى، حيث دعا البعض منها الى إقامة الخلافة في الحكم «حزب التحرير الإسلامي» والمدرسة التوفيقية التي مثل بداياتها الأولى الأمام محمد عبده وانطلقت مع دعوة تلميذه محمد رشيد رضا، وكانت تحاول التوفيق بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي.

٢- إن هذا الإتفاق في داخله نقاط خلافية بين أهل المذاهب الإسلامية ومواقعها داخل العالم الإسلامي. وتفصيل هذا يكون بدراسة الخلافات والتباينات الفكرية بين الجماعات والتيارات والحركات الإسلامية المختلفة.

منذ الحرب العالمية الأولى وما أنتجته من تقسيم للبلاد الإسلامية، اكتسحت الثقافة العصبية بشكل خطير العالم الإسلامي، وحل بدل الخطاب الإسلامي الموحد، الخطاب التعصبي- المذهبي[١]. كما عملت بعض الأجهزة الحكومية في بعض البلدان الإسلامية على إشاعة العصبية المذهبية ونبش التراث العنصري، وقد استهلك كل فريق في وعيه الإسلامي الأحقاد التاريخية والمذهبية. وشكل ذلك خطاً تراجعياً أمام فكرة الوحدة الإسلامية، كما أُدخل كمٌّ كبير من القضايا والنقاشات عن عمد أو بدونه، في إطار المناظرات والدراسات، بعضها ألصق به جو من التضخيم والإثارة، منها المفهوم الفقهي لمسألة ولاية الفقيه، والإبقاء على باب الإجتهاد مفتوحاً في أمور الدنيا، وقضايا أخرى، الأمر الذي جعل هناك نوعاً من الشك والحذر في خلفيات كل حركة في ما تخطط أو تتحرك.

(١) عادل رؤوف. الإمام الخميني رجل القرن الحادي والعشرين. دار الحق، ص ٧٥.

٣- كما أن هناك نقاطاً خلافية في استراتيجية وتكتيك العمل السياسي من أجل تحقيق الأهداف، فهناك مفاهيم الشرعية، ومفاهيم العمل السري، وهناك حركات العنف الثوري، وحركات الدعوة بالحسنى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهناك حركات النخبةوتنظيماتها، وحركات الجماهير وتنظيماتها.

لعل المشكلة الأولى أن هذه الحركات الإسلامية عاشت في مجتمع منفصل، لا يلتقي فيه الإنسان المسلم بالآخر، بحيث لا يعرف عنه شيئاً إلا من خلال الإصدارات والكتب الموجهة التي اقتحمت الواقع الإسلامي من أجل أن تفصل الحركة الإسلامي بعضها عن بعض، خوفاً من الوحدة التي تشكل مشكلة للأنظمة المرتبطة بالنظام العالمي المستكبر.

وانطلاقاً من ذلك، استخدمت الحركات الإسلامية - كلٌ حسب موقعها وظروفها- أساليب متعددة في المواجهة، منها يدعو إلى العنف والجهاد سبيلاً للتغيير وتحقيق هدف إسقاط النظام مثل «الجماعات الإسلامية» في مصر و«منظمة العمل الإسلامي» في العراق، ومنها من يدعو إلى أسلمة المجتمع من خلال بناء الفرد المسلم، بينما هناك حركات انطلقت من الدعوة وصولاً إلى ممارسة الكفاح والجهاد لاستلام السلطة (حزب الدعوة الإسلامية)، وهناك من يطرح إقامة حكومة إسلامية تعتمد مبدأ الشورية في الحكم (الأخوان المسلمون في مصر)، إضافة الى حركات وتنظيمات إسلامية ترى في السلطة ملاذاً لاستمراريتها وبقائها.

لذلك، فإنه من بسيط القول حسبان دور الشعوب ويقظتها في دول العالم الإسلامي المعاصر، تعود الى السبب الوحيد والهدف الأوحد هو مجرد رفع شعار وتحقيق مطلب الحكم الإسلامي في الدول والمجتمعات الإسلامية المتعددة في آسيا وأفريقيا، وإنما هذه اليقظة هي تعبير يحمل في طياته مجموعة من حقائق وتطلعات داخل إطار حياة شعوب العالم الإسلامي ومجتمعاته، هذا الإطار الحياتي هو جزء لا يتجزأ من الإطار الدولي المعاصر والنظام العالمي الراهن.

المواجهة التاريخية ويقظة الشعوب والمجتمعات الإسلامية بوجه الحكومات الإستعمارية

إن لكل مرحلة من مراحل هذه المواجهة أوضاعها وقوانينها التي تحكم التوقيت، وتهدد القوى الاجتماعية المتصارعة حول قضايا المرحلة.

فالعالم الإسلامي قد هجع الى حد أن الوضع فيه كان يعيش حالة من الركود في حركيته[1]، ولم يرصد هذا الفكر حركة التغيير في أوروبا وفي أميركا وكل ما نتج عن التراكم الرأسمالي والتوسع الإستعماري. وقد استيقظ العالم الإسلامي أول مرة لدى وصول الجيوش الأجنبية الى أراضيه تحت شعار الحرية والتجارة. فقد توسعت روسيا في بلاد المسلمين في أواسط قارة آسيا، في الفترة التي كانت فيها إيران من أكثر دول الشرق الأوسط تنازلاً للغرب وتحديداً لبريطانيا ولروسيا القيصرية. ففي عام ١٨٥٢ ميلادي منح ناصر الدين شاه بريطانيا أضخم تنازل تحصل عليه في التاريخ، إذ وضع تحت تصرفها جميع مصادر الثروة الصناعية من النفط والخامات، الأمر الذي أثار غضب الروس، الذين كانوا ينافسون الإنكليز من أجل السيطرة على إيران[2]. كما توسعت دول غرب أوروبا الإستعمارية مثل البرتغال وهولندا عن طريق البحر لتحتل وتسيطر على أندونيسيا والشرق الأقصى ثم على أفريقيا، وليتمّ بعدئذ تقسيم السلطنة العثمانية والوطن العربي في فترة الحرب العالمية الأولى، قبل أن يتم إنشاء الكيان الصهيوني بعد نهاية الحرب العالمية الثانية.

وخلال هذه الفترة، حاربت دول العالم الإسلامي، وقتل زعماؤها، وهزمت عسكرياً، وخضعت البلاد للحكم الاستعماري الأجنبي. وعلى الرغم من ذلك شهدت الفترة التاريخية التالية لفرض الحكم الأجنبي انتفاضات وثورات متكررة، وكانت اليقظة الإسلامية تظهر وتخبو وتتقدم وتتراجع. وبعد الحرب العالمية الثانية

(١) محمد حسين فضل الله، الصحوة الإسلامية، مجلة المنطلق العدد ٥٤، أيار ١٩٨٩، ص ٧.

(٢) محمد حسنين هيكل، مدافع آية الله، ص ٤٣.

انتشرت في آسيا وأفريقيا حركات التحرر الوطني، وقاد زعماء المسلمين الأحزاب والقوى السياسية، وأسهمت الجماهير والشعوب الإسلامية في الكفاح والنضال الوطني لتصفية الحكم الإستعماري، وتم هذا بنجاح بقيام الدول الوطنية المستقلة من أندونيسيا شرقاً الى المغرب العربي غرباً.

وفي ظل الدول المستقلة بعد الحرب العالمية الثانية تبين للشعوب الإسلامية وللقوى الإجتماعية الجديدة أن الأهداف والغايات التي حاربت من أجلها الأجيال السابقة من أبنائها لم تتحقق تماما، وأن الدول المستقلة بعد تصفية الإستعمار القديم ما زالت خاضعة للهيمنة الأجنبية من خلال أساليب ووسائل جديدة «فقد تم ربط هذه الدول المستقلة، اقتصادياً وثقافياً بالدول الإستعمارية» كما أن تجارب التنمية والتغيير والإصلاح الإجتماعي والسياسي، لم تؤدِّ الى إنهاء النفوذ والسيطرة الأجنبية بصورة جذرية وتامة. من هنا بدء التيار الإسلامي بوجه عام، والجماعات والأحزاب والحركات الإسلامية العديدة في التحرك وفي المعارضة وفي العمل السياسي، مستندين في هذا التحرك الى جذور تاريخية من الكفاح ضد العدو الأجنبي، وكذلك الى دورس وخبرات وممارسات عريقة في المواجهة ضد النفوذ والحكومات الإستعمارية الأجنبية.

مقاومة الشعوب الإسلامية لسياسة التبعية والتغريب

لقد قاوم المسلمون سياسات تحطيم المقومات الثقافية والتاريخية والحضارية لمجتمعاتهم ولشعوبهم، كما تمسكوا بالدفاع عن الذاتية الثقافية والوجود الثقافي والديني والحضاري والعقائدي لبلادهم ولشعوبهم ،«لأن العقيدة كانت قد تبلورت في أمثلة عديدة، وليس مصادفة أن يكون أول شعار يطلقه الجيش المصري وهو يقتحم خط «بارليف» في حرب رمضان في شهر تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٣ هو شعار «الله أكبر» الذي أعطى المقاتلين العرب المصريين اندفاعاً حماسياً هائلاً[١].

(١) لمزيد من المعلومات. راجع كتاب حرب اكتوبر. محمد حسنين هيكل.

وبعد تجارب التنمية والتغيير الإجتماعي في ظل الدول المستقلة ثبت لدى القيادات الإسلامية وجوب طرح تصميم نماذج جديدة للتنمية والتقدم، لأن طرق التنمية الملائمة لدول العالم الإسلامي وأساليبها، ليست هي الطرق التقليدية التي شهدتها مجتمعات الدول الأوروبية والأميركية، ولأن الرضوخ لسيادة ولسيطرة حضارة واحدة ذات إطار ثقافي واحد وذات منظومة واحدة من القيم والسلوك، إنما يمثل عدواناً على الخصوصية الحضارية والثقافية للشعوب الإسلامية وغير الإسلامية من خارج تلك المنظومة.

ويؤكد هذا الموقف الإسلامي ما أقرته هيئة اليونسكو من قرارات وتوصيات خاصة بالدفاع عن الثقافات الوطنية والاستقلال الثقافي، والوجود الحضاري لكل شعب من شعوب العالم، خاصة شعوب العالم الثالث التي تهددها محاولات السيطرة «الحضارية» والثقافية من جانب القوى العظمى والدول الأجنبية. ويؤكد هذا أيضاً، ما أصاب تجارب التنمية والتحديث من أزمات ومن فشل في معظم بلاد العالم الثالث عامة، والبلاد والمجتماعات الإسلامية خاصة، «حيث تعمقت القطيعة بين الدولة والمجتمع ومسخت الهوية واستلبت الذات»، فبرز خطاب الحركات الإسلامية كنقيض للسائد الضحل من خلال «العودة الى الذات»[1]، وإنتاج فكر إسلامي، يصوغ مشروعاً حضارياً بوجه الهيمنة الخارجية، ويحفظ عناصر القوة الداخلية، ويهدف الى تحقيق التنمية وصيانة الإستقلال.

حكومات الإستبداد ورؤية الإمام الخميني

لدور الشعوب في العالم الإسلامي

ومن الأمور المسلّم بها أن الحالة الإسلامية تستند إلى قواعد جماهيرية متنوعة التنظيم والتعبئة والوعي، وتختلف من دولة الى أخرى. ورغم وجود نوع من التناغم والتنسيق غير المباشر في ما بينها، فإن غالبية هذه القواعد والقيادات ترفض

(١) غسان بن جدو. خطاب الإسلاميين والمستقبل. دار الملاك. ص ٧.

وتقاوم الإستبداد السياسي، وتعمل على كشف ممارسته المزيفة والإصرار على تعرية حقيقته وفضح أهدافه[1]، ويكون هذا الإستبداد عقدة التخلف في المجتمعات الإسلامية، علماً بأن مصدره حكام أنظمة بعض الدول الإسلامية بصورة أو بأخرى. من هنا ،فإن الشعوب الإسلامية تتمسك بالدفاع عن حقوقها الوطنية، التي تختزن في تاريخها سجلاً حافلاً وطويلاً لأئمة القيادات والمواطنين الذين ثاروا على الاستبداد، وقدموا أرواحهم دفاعاً عن حقوق الإنسان المسلم، والمجتمع، ولتقويم الحكومات المستبدة أو تغييرها.

أدرك الإمام الخميني مخططات المستعمرين من خلال قراءته الواعية لممارسات الاستعمار في ايران والعالم الإسلامي، كما اتخذ الإمام الخميني دوماً مواقف ملتزمة وحازمة من الغزاة الإمبرياليين، أثبتت جدارة موقعه لقيادة مسيرة الثورة الإسلامية نحو الانتصار على أكبر قواعد الإستكبار العالمي. كذلك وعى الإمام الخميني دور الشعوب في عملية التغيير، لا سيما شعوب العالم الإسلامي، ومن هذا المنطلق أبدى الاهتمام والحرص على مسلمي العالم. فمسلمو العالم هم حجر الأساس في استراتيجية النظام الإسلامي[2]، رغم تشعب وتنوع القضايا التي شغلت وعي الإمام وأيامه، بدءاً من المشروع الإسلامي التي كانت متداخلة ومترابطة داخل إطار دور الشعوب واستنهاضها في عملية الإصلاح والتغيير.

وهكذا بدا الإمام شمولياً في تعاطيه مع موضوعاته، لا في ذاتها وحسب، وإنما في ما تستند إليه من شروط وأسباب ومقدمات. وهذه السمة القيادية التي وسمت دور الإمام الخميني، «تمثل الإنسان الذي يملك المقومات الفكرية والروحية والعملية التي يستطيع من خلالها أن يدفع بالتخطيط الحركي الى نتائجه الكبيرة بعقلانية ودقة وإخلاص».

ولذلك كان بمقدور معاصري الإمام وقارئيه، أن يلحظوا أن القضية الأولى التي

---

(١) مجلة التوحيد. العدد ٨٩. ملف جمال الدين الأفغاني ومشروعه الإصلاحي.

(٢) السيد الخامنئي. ملف الإمام الخميني والمشروع الحضاري. مجلة التوحيد. العدد ١٠٠، ص ٢٢.

اهتم بها الإمام كانت اليقظة الإسلامية، رغم طبيعة الواقع الإسلامي الذي عانت منه الشعوب الإسلامية، حيث جعلها تعيش حالة من الركود وتغرق في الكثير من الهوامش والتفاصيل، حتى أن البعض صار يطرح الإسلام في دائرة العباديات والأخلاقيات العامة والتشريعات الفردية بعيداً عن مسائل الحياة العامة في نطاق المسؤوليات السياسية والجهادية[1]. بالمقابل، وتعبيراً عن رفضه لواقع الحال الذي كانت تعيشه الشعوب الإسلامية، بدأ الإمام الخميني يخطط لحركة إسلامية سياسية تعمل على إعادة الإسلام الى الحياة العامة، في حركة الفكر والتشريع والجهاد[2].

وهذه الحركة الاسلامية الجديدة أفسحت المجال واسعاً لنشاط إسلامي سياسي وفكري شمل مختلف بلدان العالم الإسلامي حتى شمل هذا النشاط حركات متعددة تختلف في التفاصيل أو النظرة السياسية، ولكن تعمل من منطلقات إسلامية بحتة.

وحينما تفجرت الثورة الإسلامية في إيران التي قادها الإمام الخميني، واستطاعت أن تتفاعل مع محيطها الواسع، كان لانتصار هذه الثورة الإسلامية صدى الزلزال في العالم كله، لأن الثورة التي قادها السيد الخميني أعطت دليلاً على مدى القوة التي يملكها الإسلام في صنع الثورة والتعبير الإجتماعي والسياسي. مثلما صنعت البرهان على قدرته على المواجهة والتحدي لأعداء المسلمين، وهذا المنعطف التاريخي أعاد الثقة للمسلمين بإسلامهم، وجعل الحس السياسي يتبلور ويتفاعل في الحس الإسلامي. وهكذا كف المسلمون عن النظر الى الإصلاح نظرة سلبية، وأصبحت الدعوة الى عملية التغيير الشامل الذي يأخذ عنوان الثورة على الإستكبار ومصالحه، مقرونة بالقدوة والتجربة التي قادها السيد الخميني.

وأمام هذا الواقع، انطلقت الحركات الإسلامية في بلدان العالم الإسلامي لتتسع

---

(١) السيد محمد حسين فضل الله. الصحوة الإسلامية: إشكالات ومواقف وتطلعات. مجلة المنطلق، العدد ٥٤. ص ٤.

(٢) المصدر السابق نفسه.

وتتحرك من خلال هذه الروح الجديدة التي حولت الإسلام الى تيار جارف. وكانت الثورة الإسلامية في إيران القاعدة الصلبة التي انطلقت منها روحية هذه اليقظة الإسلامية وحركتها، وخلقت تأثيرها على الجو الإسلامي بشكل مباشر، لاسيما بعد أن تحولت الى دولة واتخذت موقعها في ساحات الصراع الدولي.

يعتبر الإمام الخميني «أن هذه الثورة قد قامت بالدرجة الأولى من أجل العالم الإسلامي، وبالدرجة الثانية من أجل المستضعفين والمحرومين الذين يسعون من أجل تحررهم»[١]، لكنها انطلاقة الى كل المنطقة وكل الشعوب بهدف توحيدي هو «تثبيت واستقرار القيم الإسلامية وحدها»[٢]. من هنا كان يقين الامام أن التجربة الثورية لإيران نموذج للعبرة والإعتبار لدى سائر المسلمين، وذلك «لأن اشتراك المجتمع الإيراني مع سائر المجتمعات الإسلامية، لم يكن في التاريخ والثقافة والمشاكل الناتجة عن الإستعمار وأمثاله فحسب، بل هو ناتج عن التشابه في الواقعيات الإجتماعية الحية، والقوى الموجودة بالقوة والفعل»[٣].

فمن خلال الوعي الكامل لجرائم المستعمرين والصهاينة وخططهم المدمرة لاستقلال بلدان العالم الإسلامي، والرؤية الإستشرافية لتحقيق العدالة الإلهية وتحرير القدس الشريف، يدعو الإمام الخميني هذه الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية للإستنهاض والثورة، والإمساك بمقدرات بلدانها وإسقاط الظلم أينما كان، وإلغاء آثاره وتحقيق العدالة بشتى أبعادها السياسية والحقوقية والإجتماعية والإنسانية. «يا مسلمي العالم... ويا مستضعفي الأرض، هيا الى النظام الذي جاء من قبل الله تعالى لتقدمكم وتكاملكم وإزالة الظلم ونصرة المظلومين في العالم»[٤]، وهذا النداء يلخص نظرة الإمام الخميني لدور الشعوب في عملية التغيير الإجتماعي والسياسي والثقافي، ويعبّر عن نزعته الى نصرة الحق وإقامة العدل في الأرض.

---

(١) مرتضى مطهري، مقالات حول الثورة، ص ٥٩.

(٢) سمير سليمان، الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي، ص ٥٦.

(٣) الإمام الخميني، الحكومة الإسلامية ص ٤٩.

(٤) نداء الإمام لمسلمي العالم، الثورة الإسلامية والاستكبار العالمي ص ٥٢.

وفي نص آخر يدعو السيد الخميني الشعوب الإسلامية الى الإقتداء في التصدي لإعدائها، بأن تجعل ما حدث في إيران نموذجا لها. كما أن الإمام الخميني يحث هذه الشعوب على النزول الى الشوارع مطالبين حكومتهم بمواجهة إسرائيل والتصدي لها ودحرها[١]، وهذه الدعوة تعبر عن قناعة الإمام الخميني من هذه الحكومات، وهذا موقف أورده الإمام بشكل خاص في وصيته السياسية الإلهية، اذ قال: «وأما وصيتي الى الشعوب الإسلامية فهي: اجعلوا حكومة الجمهورية الإسلامية وشعب إيران قدوة لكم، وإذا لم تستجب حكوماتكم الجائرة لإرادة الشعوب التي هي إرادة شعب إيران فأجبروها بكل قوة على الإستجابة لذلك، فإن أساس شقاء المسلمين هو الحكومات المرتبطة بالشرق والغرب»[٢]. كذلك أوصى السيد الخميني مسلمي العالم ومستضعفيه قائلاً: «وصيتي الى جميع مسلمي العالم ومستضعفيه هي: يجب ألا تجلسوا فتنتظروا أن يأتي حكام بلدكم ومن يعنيهم الأمر أو القوى الأجنبية، ويجلبوا الإستقلال والحرية هدية لكم»[٣]. وإدراكاً منه لدور القوى السياسية المنظمة في تحقيق أهداف الشعوب في الإستقلال والحرية والعدل، توجه السيد الخميني الى حركات التحرر العالمية قائلاً: «أيتها الحركات التحررية، وأيتها الشعوب المناضلة على طريق الحرية والإستقلال، قوموا وأنذروا شعوبكم وجميع الشعوب الإسلامية وقولوا لها: إن الخضوع للظلم أسوأ من الظلم وأقبح منه، وحذروا الحكومات كي تنفض عنها غبار الذل والإستكانة»[٤].

منهج السيد الخميني.. منهج المواجهة والمقاومة

لقد أدرك الإمام الخميني أهمية الدور والعوامل التاريخية والنفسية لقواعد الإسلام وتثبيتها في عملية اليقظة الإسلامية واستنهاض الشعوب الإسلامية.

---

(١) كتاب الإمام في مواجهة الصهيونية، ص ١٥٥.

(٢) الوصية السياسية الإلهية.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الثورة الإسلامية والاستكبار العالمي. نداء الإمام لحركات التحرر

وتأتي في طليعة قواعد الإستنهاض المساجد التي قال الإمام إنها: «قلاع الإسلام الحصينة»[١]، وذكر بتاريخها الجهادي ودورها في توحيد الأمة وخدمة قضايا الإسلام في العالم.

أما القاعدة الثانية، فهي اعتماد الإمام الخميني في دعوته على مستوى العالم الإسلامي، فهي قاعدة الحج التي خصص لها رسالة سنوية يعرض فيها القضايا الإسلامية الكبرى ومشاكلها، مستنهضاً همم المسلمين في وجوب التحرك الشامل للتصدي لها. وفي رسالته لحجاج بيت الله الحرام (١٣٩٩ هجري)، يقول الإمام «إن القوى الكبرى تنهب ثرواتنا المعنوية والمادية، وتتركنا في فقر تحت سيطرتها الاقتصادية والسياسية والثقافية، ولا يمكن التخلص من هذا الوضع إلا بالعودة لشخصيتنا الإسلامية، ورفض الظلم والطغيان، وفضح القراصنة الدوليين وعلى رأسهم أميركا».

ولقد كان موسم الحج فرصة نادرة بالنسبة للإمام ليوصل حملة استنهاضه الى كل المسلمين في العالم، عبر هذا الإجتماع الحاشد المقدس الذي ليس بمقدور أي إنسان أو أية دولة عقد اجتماع بحجمه وأهميته[٢].

كما اعتمد الإمام للتحرك من أجل اليقظة الإسلامية على قواعد أخرى، منها معاني شهر محرم ودلالاته وثورة الإمام الحسين(ع) ودلالاتها وقيمها الجهادية بوجه الظلم والطغيان[٣]، مستهدفاً من دروسها دفع عملية استنهاض المسلمين وتحريضهم على الإنتفاضة والتضحية دفاعاً عن الإسلام ومصالح المسلمين.

ولم يكتف الإمام باعتماد شهر محرم، بل اعتبر شهر رمضان المبارك قاعدة كبرى لاستنهاض شعوب العالم الإسلامي، يستمد من لياليه وأيامه نفحاتها الروحية ليوجه المسلمين ويدعوهم الى مقاومة طواغيت العصر والناهبين

(١) سمير سليمان. الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي، ص ٩٩.
(٢) الإمام الخميني، توجهات الإمام.
(٣) سمير سليمان. الإمام الخميني والمشروع الحضاري الإسلامي، ص ١٠١.

والدوليين[1]. ذلك أنه من قدسية شهر رمضان المبارك، استل الإمام يوماً من أقدس قضايا المسلمين: قضية فلسطين، فاختار آخر يوم جمعة من شهر رمضان ليكون «يوم القدس العالمي»[2] الذي يُحتفل به كل عام. وفي بيان إعلانه هذا الإختيار التاريخي، دعا الإمام الخميني جميع المسلمين في كل أرجاء العالم الى أن يتحدوا من أجل النهوض لإنقاذ القدس الشريفة السليبة «فيوم القدس هو يوم عالمي، وليس يوماً يخص القدس فقط، بل هو يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين»[3].

من خلال ما تقدم تتجمع الرؤية لمنهجية الإمام الخميني حول دور الشعوب في عملية الإصلاح والتغيير على المستوى الإسلامي والعلمي وفق الخطوط التالية:

- إن منهج المواجهة والمقاومة هو المنهج الوحيد المتاح أمام شعوب العالم الإسلامي وكل شعوب العالم، إزاء عالم الإستكبار وقوى الظلم.

- إن الإمام الخميني يقسم العالم الى قسمين او عالمين: عالم الإستكبار وعالم الإستضعاف.

- إن مفهوم التبعية يرتبط ارتباطاً عضوياً بهيمنة الدول الكبرى على الدول الضعيفة، فأينما كان نفوذ الدول الكبرى في العالم كانت التبعية والهيمنة.

- إن الإمام يدعو الى اقامة نظام بديل للنظام الدولي السائد، وذلك عبر المبادرة والحركة المتواصلة لشعوب العالم ومستضعفيه، لا سيما شعوب العالم الإسلامي، ضد جور هذا النظام واستغلاله لهذه الشعوب، بحيث يصبح تصليح هذا النظام وإقامة نظام قائم على العدالة الإجتماعية، بمثابة هدف شرعي لا بد من بلوغه.

---

(١) المصدر السابق، ص ١٠٥.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) سمير رشدي و رياض عواد، الإمام الخميني والاستيطان الصهيوني، ص ١٥.

التعقيبات

● الحاج علي فياض

حول أبحاث د. شبلي ملاط والأستاذ بشار القوتلي.

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً، في ما يتعلق بالمقارنة الدستورية للفكر السياسي للإمام الخميني (قده) نلاحظ إذا قرأنا الكتب الثلاثة الرئيسية التي تحدث فيها عن ولاية الفقيه وما له صلة بهذا الموضوع على المستوى السياسي في نظرة الإمام الخميني، وهي كتابه المبكر «كشف الأسرار» الذي كتبه تقريباً وهو في الأربعينيات، ومن ثم كتابه الأساسي «كتاب البيع» الذي تولى فيه معالجة فقهية معمقة لموضوع الولاية، وكتابه التأسيسي الذي يمكن أن نسميه بيانه السياسي الرئيسي كتاب «الحكومة الإسلامية»... عندما نقرأها نلاحظ أن الإمام (قده) أكثر ما اعتنى بمشروعية السلطة ولم يعتن بآليات ممارسة السلطة، في كل هذه الكتب الثلاثة، ليس هناك ما يدل على أن الإمام عالج بدقة وبعمق وبروية ما له صلة بآليات ممارسة السلطة. هناك إشارات، ولكن هذه الإشارات عابرة، بتقديم قيمتها الدستورية محدودة، هو يقول إن الحكومة الإسلامية ليست إستبدادية وليست فردية وليست ديمقراطية على صيغة النظام الديمقراطي الجمهوري، ومن ثم يحدد أنها حكومة إلهية، حكومة القانون الالهي، لكن فلسفة النظرية تتركز على كيفية تأمين مشروعية السلطة، هذا بتقديري يفضي بنا الى نتيجة أخرى، وهي أن المشروعية هي ما يتصل بثوابت النظرية، وكل ما له علاقة بمؤسسات السلطة وآليات ممارسة السلطة يندرج في إطار المتغيرات عند الإمام الخميني (قده). لذلك، الصيغ المؤسسية الحاكمة في هذه

السلطة، ما له علاقة بالبرلمان أو برئاسة الجمهورية او ماشابه، كلها أطر قابلة للإستلهام من تجارب أخرى، لأنها متغيرة وقابلة للتطور بحكم نضج التجربة وتقدمها مع الزمن، لأنها تندرج في إطار المتغيرات وليس في إطار الثوابت.

لذا، يصح أن نطلق على نظرية ولاية الفقيه بأنها نظرية مشروعية السلطة أولاً وأخيراً.

أما في ما يتعلق بكلام د. قوتلي، تقديري عندما نبحث عن دور الناس أو موقع الناس في فكر الإمام الخميني، وبدقة أكبر حول موقع الناس في العلاقة مع السلطة، في معادلة الدين السلطة، نلاحظ أن الإمام حدد وظيفة الحكومة الإسلامية بأنها لتنفيذ الأحكام الإلهية وخدمة الناس، والإمام بهذا القول (الحكومة الإسلامية ص٢٠-٩١) وعند وضعه خدمة الناس الى جانب تنفيذ الأحكام الإلهية، يرقى بموقع الناس الى موقع رفيع جداً في دور الحكومة الإسلامية.

وهذا بحد ذاته يشكل تجديداً حقيقياً في الفكر السياسي الإسلامي وفي فكر الحركات الإسلامية خلال القرن الماضي، لذلك أقول إن موقع الناس هو جزءٌ أصيل في معادلة الدين والسلطة، والناس ليسوا مجالاً لممارسة السلطة في فكر الإمام بل هم موضوع ممارسة السلطة. وهناك فرق جوهري بين المجال الذي تمارس عليه السلطة وبين أن يكون الناس هم موضوع ممارسة السلطة.

ملاحظة أخرى: لا أدري إذا كان يصح أن نقول إن كل الحركات الإسلامية سعت أو تسعى الى إقامة سلطة إسلامية. فهذا القدر من التعميم يخفي حجماً هائلاً من التنويعات التي تقوم بين الحركات الإسلامية على المستوى التفصيلي الداخلي، حتى أكثر من ذلك، هناك اتجاهات متنامية الآن في أوساط مثقفين وكتاب إسلاميين، تقول - للأسف طبعاً - إنه ليس شرفاً للإسلام أن يتحقق بسلطة، بل على العكس من ذلك، السلطة تؤذي الإسلام لأنها تمذهبه، وذلك حصل في كل التاريخ الإسلامي. الإسلام هو المجتمع، ولم تحمله السلطة، فبالتالي، هذا يعني أن استمرار الإسلام التاريخي ليس منوطاً بسلطة، وتحقيق مشروع الإسلام ليس منوطاً بسلطة، فأحببت أن أشير الى هذه النقطة حتى لا نقع أسرى التعميم الذي أطلقه الدكتور بشار، وشكراً.

● **الأستاذ محمد الحريري ـ العراق**

ملاحظة على حديث الأستاذ شبيلات بحيث إن في حديثه ظلامة كبيرة على أبناء شعبنا العراقي، وأنا ابن الإمام الخميني وأحد أبناء الشعب العراقي، أعلم جيداً من وراء الوجود الأميركي في المنطقة، وكيف اعترف النظام مؤخراً بمواجهة الجمهورية الإسلامية على الصحف العراقية التابعة للنظام، حيث كتب عدي أنه قاتل نيابه عن الأميركان في المنطقة أثناء حربه مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، والإمام الخميني (حاشاه الله) أن يقول إنه سوف يصالح صدام ولا يصالح الآخرين. لم يقل الإمام الخميني ذلك.

ملاحظة أخرى، صدام ضرب مقام الإمام علي(ع) بالأسلحة الكيميائية وضريح الإمام الحسين(ع) بالأسلحة الكيميائية، والأميركان لم يفعلوا ذلك، ولا أريد أن أقارن بين صدام وأمريكا، فصدام ذبح النساء وأبناء شعبنا العراقي في ضريح الإمام الحسين (ع) وقال هذا الحسين وأنا حسين. نعم، هكذا فعل صدام بأبناء الشعب العراقي. وفي انتفاضة شعبان قدم الشعب العراقي أكثر من ٢٠٠ ألف شهيد، مَن مِن شعوب المنطقة أعطى هؤلاء الضحايا؟ نعم، شعب العراق قال لا لصدام ولا يزال يقول لا لصدام ولا لأمريكا، نحن ضد أميركا وضد وجودها في المنطقة وضد النظام العراقي.

وملاحظة (أعتذر عن قولها) لكن أريد أن أثبت أنه في أيام حرب الجمهورية الإسلامية صدام كان يقاتل إيران، وكان هناك مهندسون ومقاولون يتبنون ويبنون المعسكرات داخل العراق، ولا أريد أن أشير الى هؤلاء المقاولين والمهندسين الذي بنوا المعسكرات وساعدوا صدام في حربه ضد الجمهورية الإسلامية، وهناك من قبل أيادي الملك حسين، ولم يحدث أن قبلنا أيادي صدام حسين، أطالب بتسجيل ملاحظتي.

● الشيخ نعيم قاسم

- عندي ملاحظتان:

الأولى على الأخ ليث شبيلات الذي أجرى تعميماً لواقع النظام العراقي بطريقة جعلت التعاطي مع النظام في ما يتعلق بالحصار أو عدمه مقياس الإلتزام الصحيح بالقضايا العربية الإسلامية، مع العلم بأنه يجب التمييز بين النظام العراقي وبين الشعب العراقي. وأعتقد أن الجميع من الدول العربية والإسلامية بالحد الأدنى تشترك في الحرص على الشعب العراقي، لكن تختلف المنطلقات، منهم من يحرص على الشعب العراقي، لكن الحضور الصدامي، إضافة الى الضغوط والعلاقات مع الولايات المتحدة الأميركية تجعلهم يسيروا في سياسة الولايات المتحدة في كيفية التعاطي، ومنهم من يعتبر أنه في مأزق العلاقة مع النظام من ناحية والعلاقة مع الشعب من ناحية أخرى، فهو يرغب في أن يدعم الواقع الشعبي لكن في الوقت نفسه لا يستطيع أن يثق بهذا النظام، لكن ليس من خلفية الإرتباط أو التأييد لموقف الولايات المتحدة من الواقع العراقي. ودليلي على هذا، وأعتقد أن الأخ ليث يعرف، وأصبح على المستوى السياسي والإعلامي معروفاً، أنه في أشد الأوقات حصاراً على العراق كانت المواد الغذائية تمر عبر الحدود الإيرانية- العراقية، وكانت هناك تسهيلات كثيرة، الآن وفي السابق، عرَّضت إيران لمشكلة دولية كانت تحاول أن تتعاطى معها بطريقة سياسية متزنة وحكيمة، فكانت تصرح بطريقة وتتصرف بطريقة أخرى، والمنتجات الإيرانية موجودة في الأسواق العراقية بكثافة، مما يدل على أن الحدود كانت مفتوحة عملياً، لكنها مغلقة بإطار الكلام السياسي العام.

أعتقد أن تورط إيران بمثل هذا الموقف الذي يأخذ بعين الإعتبار الواقع الشعبي العراقي، دليل على أن النظام الإيراني، وعلى رأسه القيادة الحكيمة، مستعد لتحمل متاعب من أجل الموقف الذي يتعلق بالشعب العراقي، ولا ننسى أيضاً الحالة التي كانت قائمة عندما قرّر الأميركيون ومعهم الدول الإستكبارية ضرب العراق كيف تصرف النظام الإيراني بفرادة في كيفية التملص من الضغط الأميركي ليكون معه ومع الواقع الشعبي حتى يدعمه، فأتمنى أن نلتفت الى هذه النقطة، وهذه مشكلة في

الواقع تتعلق بالكثير من الحركات والشخصيات الإسلامية التي تسّطح المشكلة في التعاطي الإجمالي معها دون الدخول الى العمق، وصدام يتترس بالواقع الشعبي.

والملاحظة الثانية على مداخلة د. شبلي ملاط، وقد كانت مداخلة لطيفة في طريقة المقارنة، لكن أعتقد أنه يوجد فرق أساسي لم يتطرق إليه، المحكمة الدستورية والجدل حولها منذ سنة ١٩٣٧، وقعت في إشكال أساسي لم تتخلص منه، وهو إشكال من يعيّنها ومن يعطيها هذه الشرعية، بينما هذه المشكلة محلولة في مسألة ولاية الفقيه، أما شرعيتها فهي مستمدة من منظومة إسلامية متكاملة. إضافة الى ذلك حتى الولي الفقيه، يمكن أن تسقط مشروعيته، فيما لو فقد العدالة أو فقد إمكانية الإدارة، وهذه تُحدد من خلال آليات موجودة في واقع الإختيار الذي يجعل الولي الفقيه متصدراً بالمشروعية المرتبطة بكفاءته من ناحية ووجود أهل الخبرة الذين يلاحظون، والواقع الشعبي الذي يلاحظ هذا الأمر من ناحية أخرى.

فالمشكلة من ناحية إسلامية محلولة بهذه المشروعية، إضافة الى اعتماد الإسلام على التربية الذاتية وعلى القدرة الذاتية في إعطاء هذه المكانة لشخصية الولي الفقيه وما يُلحق به، بينما في المحكمة الدستورية سيبقى هذا الإشكال قائماً، ولا أعتقد أنه حُل، لأنه يوجد أزمة دور في الموضوع، وهنا أهمية فكرة ولاية الفقيه في حل إشكالية إسلامية وإشكالية عالمية في كيفية التخلص من مشكلة الدور في النظام السياسي والإشراف عليه.

● **الشيخ كاظم ياسين**

الإخوة الذين داخلوا قبلي لامسوا ما كنت أريد قوله. أسأل د. ملاط عن المقارنة التي عقدها بين القضاء الأعلى للولايات المتحدة وبين المجالس الدستورية التي شكلت إزدواجية في السلطة في الجمهورية الإسلامية، للوهلة الأولى تبدو المقارنة بين هذين الإطارين صحيحة للجهة التي ذكرها الأخ العزيز أن الجمهورية الإسلامية البعد فيها تشريعي وفي الولايات المتحدة آلي، أريد أن أقول أيضاً إن المقارنة لعلها لا تصح أبداً، وليست من باب المقارنة بين التفاحة والبرتقالة، ولا بأي شكل من الأشكال، إذا أحببت أن أصنفها بين التفاحة والأفعى، لا أدري هل يوجد هناك قواسم

مشتركة بين تفاحة وأفعى إلاَّ في تلونها الخارجي! ممكن، أو إلا اذا كان في سم الأفعى منفعةٌما، ولكن الكيان الدستوري الآلي والتشريعي في الولايات المتحدة لا يحتوي أي أفلاطونية، بأي شكل من الأشكال. فتشت عن الأفلاطونية فلم أر فضيلة أبداً في كيان يوقع منذ مئتي عام كل الإجرام الشيطاني الذي تقوم به الولايات المتحدة، بينما الكيان الدستوري في الجمهورية الإسلامية كيان إلهي قرآني سني، وفي حده الأدنى أفلاطوني، وفي حده الأعلى قرآني إلهي بكل معنى الكلمة، أعجبتنا المقارنة لناحية أنها بحث تاريخي جيد.

وتعليقاً على ما أورد الأستاذ ليث شبيلات: أستبعد أنه يعتبر النظام الصدامي نظاماً اسلامياً بل هو نظام إجرامي إرهابي، لذلك تحاشيت أن أسألك هذا السؤال. ولكن لدي سؤال: منذ أزمة الكويت وقبلها نشأ في شارعنا الإسلامي وفي أوساط المثقفين، تيار لا أدري أين هي أصوله، يعتبر أن الدفاع عن هذا النظام ومواجهة الأنظمة التي وقفت مع الولايات المتحدة قضية إسلامية، شعار، محور، أريد أن أسأل سؤالاً للأخ شبيلات، هل يشكل البكاء على النظام العراقي البكاء على الموقف العربي العام المؤيد للولايات المتحدة في قضية الكويت وما بعدها، وفي كل هذه الإشكاليات التي نشأت، هل يشكل هذا البكاء محور عمل إسلامي وشعاراً؟ هل يمكن أن نطرح في الساحة العربية الإسلامية هذا المستوى من التعاطي مع أنظمة من هذا القبيل؟.

● **الشيخ حسن بغدادي**

ملاحظة صغيرة على ما قاله الأستا ذ ليث في موضوع الصراع السياسي بين الأمويين وبني هاشم.، نحن لا نقبل أن يكون هناك صراع سياسي بين الأمويين وبين بني هاشم، حاول الأمويون أن يثيروا المسألة على أنها كانت مشكلة سياسية، لكنها عقائدية، لها علاقة بموضوع الخلافة للرسول (ص)، وهذه المسألة لم تكن مسألة بسيطة بالتفاصيل بل كانت اساسية، فالرسول (ص) صحيحٌ هو صاحب الدعوة وهو الذي جاء بها، لكنه غير قادر على أن يكون الحاضر في كل المراحل وفي كل المواقع، لا بد من خلفاء يكملون نفس المنهج والطريق، إذن ما أثاره الأمويون آنذاك كان الهدف منه تحويل الصراع مع عائلة بني هاشم الى صراع سياسي، في

الوقت الذي كان فيه بنو هاشم يتعاطون مع المسألة على أنها مسألة عقائدية، لها علاقة بالرسالة السماوية مباشرة وليست مسألة عادية بهذا المستوى، حتى ما جاء في صلح الإمام الحسن (ع) مع معاوية بن ابي سفيان، جاء كواقع حتى يكذّب هذا الإدعاء، وإلاّ لم يكن من المفروض أن يتم هذا الصلح، وإنما تم هذا الصلح نتيجة ما أثاره الأمويون آنذاك في الشام والحجاز والعراق وفي مناطق مختلفة من أن بني هاشم يريدون السلطة وأنهم يقاتلون من أجلها، بينما كان بنو هاشم يقولون لا، نحن لا نريد السلطة بما هي سلطة، نحن نريد إقامة الحكم العادل الذي هو امتداد لرسول الله (ص) ، وجاء هذا الصلح في الحقيقة ليكشف في المستقبل هذا الإدعاء أن بني هاشم عندما تكون هناك مصلحة للمسلمين هم يتنازلون عنها، كما كان يقول أمير المؤمنين (ع) «والله لأسالمنّ ما سلمت أمور المسلمين، إلا أن يكون الجور على عليّ خاصةً ».

هذا ما أحببت أن أقوله ، وهناك شيء أؤيده به أنه ليس كلما رأينا شخصاً من إخواننا من أهل السنة نقول إنه من جماعة السلطة الأموية ... صح.

المهندس شبيلات / هذا المطلوب طبعاً.

الشيخ حسن / طبعاً، هناك فرق كبير بين المجتمع السني الذي نعيش معه وبين النظام الأموي الذي كان في التاريخ، صراعنا مع النظام الأموي كان صراعاً عقائدياً مبدئياً ، لكن مع المجتمع السني يختلف الموضوع تماماً، وشكراً.

ردود المحاضرين

رد / د. شبلي ملاط

شكراً للمداخلات الغنية التي بالحقيقة لا أختلف معها، إنّ أوجه الفرق بين النظام الدستوري في أميركا والنظام الدستوري في الجمهورية الإسلامية أكثر مما تحصى، وتختلف على مستويات كثيرة تستمد أصولها من نصوص مختلفة، من تراث تاريخي ومثالي، لا تمت بصلة الواحدة مع الأخرى، ولهذا، حاولت وظننت أنني حاولت الشروع في حديثي عن ثبوت هذه الفروقات الجوهرية بين النظامين.

وفي الحقيقة، إن الحديث الذي حاولت أن أستعين به من زميل متخصص في القانون المقارن الحديث عن التفاح والبرتقال، هو أشبه بالقياس الذي تفضل به الشيخ كاظم بين الأفعى والتفاح. إن التفاح والبرتقال على وجه عميق من الخلاف بما يجعل مثل هذا القياس هيولياً غير موجود.

هذه كانت البداية، أما المحاولة التي هي أصعب كما أظن، وهي المحاولة التي حاولت أن أتقدم بها لبحثها هي على مستوى من العمق الفكري والفلسفي. السؤال الأساسي المطروح وهو دور العالم الفقيه بشكل خاص الضليع بأمور القانون والفقه، دور هذا العالم في المجتمع المعاصر، والجواب طبعاً، وقد أشار إليه زميلان، هو أن السلطة بآلياتها العامة منبثقة من الشعب ونرى البرلمان ورئيس الجمهورية ..الخ في الأنظمة، لكن انبثاق السلطة من الشعب، في شكلها المطلق، كما نعرفه في النظام الدستوري البريطاني الذي هو أهم الأنظمة البرلمانية في الغرب، يتوقف عند هذا الحد. تتوقف الفلسفة الدستورية للنظام البرلماني البريطاني الذي يشكل العمق الأساسي لجميع الأنظمة الغربية في نمطها الديمقراطي المعروف اليوم، يتوقف عند سلطة الشعب المطلقة بانتخاب يجعل الأغلبية تقرر ما هو المنحى الذي يتبعه المجتمع بأسره.

الخلاف الموجود بين التجربة الدستورية الأميركية والتجارب البرلمانية الأخرى مرتبط بعدم القبول بإطلاق هذه السلطة بانتخاب الشعب، ووجود دور لأشخاص ليسوا منتخبين وتعيينهم يختلف طبعاً، لكنهم ليسوا منتخبين، هم قانونيون معروفون بالقانون، قد تكون العلاقة مع المصالح التجارية أو العسكرية واضحة، إنني لا أختلف في هذا الموضوع، لكن السمة الأساسية لهؤلاء الأشخاص هي علمهم القانوني، تطلعهم، معرفتهم بالقضايا القانونية وعلى قيمتها الدستورية.

رأيي أنه من هذه الناحية أن النظام الذي يقارب هذا النظام الدستوري، في شكله العام وليس في سياسته أو في مُثُلِه العليا أو في تاريخه القديم أو المعاصر، هو النظام الدستوري في إيران، لأنه وحده جعل من الفقيه رقيباً على اتصال المجتمع، بغض النظر، وأحياناً بالرغم من سلطة الشعب المتمثلة في البرلمان أو رئاسة الجمهورية. إن الفقيه، بسبب معرفته وعلمه الأفلاطوني، الفيلسوف الفقيه، بهذا المعنى، هو الرديف لما رأيته في ميزة أساسية، تخلف الأنظمة الدستورية الغربية بين بعضها، وتجعل من التجربة الأميركية نقيضاً لتجربة برلمانية أساسية، تعتمد على الشعب وتقف عنده رقيباً مطلقاً على مستقبلها.

رد / الأستاذ ليث شبيلات:

بسم الله الرحمن الرحيم

أبدأ بالأخ الذي ذكر قضية بني هاشم وبني أمية، فلا أجد أني مختلف معه، أنا قلت إن من الخطأ أن يعامل أهل السنة وكأنهم شيعة بني أمية، قلت إن الأمة برمّتها ما عدا أصحاب المصلحة السياسية في ذلك العهد فقط هم الذين كانو مع معاوية، قالوا هذا الإمام معه مفاتيح الآخرة وهذا معه الدنيا، فمن مال معه مال لماله، اذاً، لا خلاف بيننا في هذا الموضوع، إنما التركيز على أن لا ينسحب ذلك عند أي طرف أن هناك خلافاً حول أفضلية الإمام وخلافته الراشدة، إننا ضد الملك العضوض.

ثانياً، أرد على الأخ الذي كنت أود أن يفصح أكثر اذا كان يتهمني بأنني قبلت يد

الملك وأنني بنيت لصدام، فأنت لا تعرفني، ولو كنت مهتماً بقضية العراق وإيران لكنت تعرف موقفي الآن وسابقاً، وأين كنت، ولابأس سأعرفك قليلاً:

نحن مع الثورة الإسلامية ،وكنّا مع الثورة الإسلامية عندما كان نظامنا ضدها، وكنا في المؤسسات الشعبية (البرلمان) الصوت العالي الذي ينتقد، وأنت تعلم من الذي كان يدعم في النظام، من رأسه الى أسفله. كمؤسسات سياسية كان يدعم العراق، وكلنا متفقون على أن هذا موقف خاطئ وأن دعم الثورة الإسلامية هو الموقف الصحيح، وهذا موقفٌ لم أتخذه فقط أنا كإسلامي، بل اتخذه الجميع من يساريين وغيرهم، وقوميين حتى، كنت نقيباً وقتئذٍ، وكنت النقيب الإسلامي الوحيد وقتئذٍ، وكان النقباء ومجالس النقابات قومية ويسارية، إلاّ أن موقف النقابات برمّتها في الأردن وفي غير الأردن من البلاد العربية كان مع الثورة الإسلامية، لأن الشعب والأمة كانوا مع هذه الثورة. الأمة رأت في هذا الإمام وفي هذه الثورة غايتها وطموحاتها في الإستقلال والنهوض ورفض التبعية، وكانت حتى في إيران أذكرك النساء اللواتي لا يُؤمنّ بالحجاب ولا بالصلاة وما الى ذلك كن يلبسن التشادور رمزاً لتحدي الشاه.

الآن خالفنا نظامنا عندما كان مع العراق في حربه ضد إيران، الآن خالفنا نظامنا عندما وقف موقفاً آخر، ولو سألت الأمة مثلاً في فلسطين وسألت الشعب الفلسطيني أنه مع الإمام والثورة الإسلامية عندما بدأت الحرب الثانية أنظر إليه، أين هو، إنه مع العراق عندما كانت تطلق الصواريخ، وجاء التلفزيون الإسرائيلي، ألم تر ذلك عندما سأل ابن الخليل قال له كيف تفرح وهذا الصاروخ قد يسقط على رأسك، قال له يصيبني ويصيب اليهود أيضاً. أنظر الى بنغلادش، الى الأمة الإسلامية، أندونيسيا وماليزيا، وهم ليسوا من قومية عربية، هؤلاء بلا شك كانوا مع الثورة الإسلامية في إيران وما زالوا معها.

أين الشارع الآن في مشاعره من الشيطان الأكبر، أمريكا وإرادتها الإقليمية في

تحطيم العراق وضرب سيادته وتفتيته وما الى ذلك؟! كلهم مع الدفاع عن العراق، وأنا أريد أن نرقى فوق أحقادنا لتقديم مصلحة الأمة وأضرب مثلاً: هل خلافنا فقط مع النظام العراقي وأهدرت به دماء، أم أنه هناك خلافات مع أنظمة أخرى أهدرت بها دماء مسلمين كثيرين، إذا أردت أن أكون شخصياً صغيراً فإن كثيراً من هذه الأنظمة لا آخُذُ عليها وهي تواجه اسرائيل الآن ولا تواجه تركيا وغير ذلك، إذا أردتم أن أقف فقط بين فصائل تنتمي الى تيارنا ذهبت فيها دماء وأهدرت فيها دماء، إنما نقدم مصلحة الأمة، إذا دعمنا من يقف الآن في وجه الصهيونية مع أنه قتل أبناء عمنا بالأمس. أظن أن المثل مفهوم ولا أريد أن أفسر اكثر من ذلك، أما الإنفتاح على الخليج ... فالذين سعروا هذه الحرب ودفعوا هذه الحرب والذين اجتمعوا كانوا لا يتكلمون مع العراق وكانت جوازات السفر تقول «كافة الأقطار ما عدا العراق». إذاً، في ليلة ليس فيها ضوء قمر يجتمعون ويدعمون العراق ويعطونه المال ليقوم بالحرب على الثورة . هؤلاء الذين دفعوا العراق الى تلك الحرب، هؤلاء نصالحهم، ننفتح عليهم، أنا لا أريد أن أسعر الحرب، أنا أبارك كل الإنفتاح على العرب، أرجو أن لا يُفهم أيضاً نقدي جزئياً بأنني أخالف الإنفتاح. أنا مع السماحة ومع الإنفتاح.

إذا جئنا الى لبنان وتذكرنا صبرا وشاتيلا وتل الزعتر وما الى ذلك، هل سيكون هنالك صلح، هل سيكون هنالك مستقبل؟ هذه أمور حدثت، وهي أمور مستنكرة، وقد سجل التاريخ الإستنكار لها، نحن لسنا مع المذابح، وقد فضحنا هذه المذابح، وقد فضحنا أيضاً الطغيان، ونحن لسنا مع الطغيان، أمّا أن تفرض أمريكا هيمنتها وأن تأتي لكي تملي إرادتها على العراق، وتعتدي على سيادته، ثم بعد ذلك لتنتقل مرة أخرى الى إيران، ولا تضرب إيران فقط ستضرب المذهب الشيعي الذي استقل عن السلطة، كما كان السنة قبل ذلك الى أن تحرك أهل السنة في الأزهر. سقط النظام المملوكي في مصر عند غزو نابليون وهرب المماليك وتحرك الأزهر وواجه نابليون، فكانت الإرادة الغربية بأن تُضرب الأوقاف الاسلامية - السنية وأن توضع تحت يد السلطان وهذا ما جرى في آخر مئتي عام، الآن العراق، وغداً إيران،

وغداً المذهب المستقل الذي لا يخضع ليد السلطة، حتى سلطة رجل دين يجلس على كرسي الحكم، لكي تفتت إرادة الأمة، والتنظيم الهائل العظيم الذي تشكله الحوزات باستقلالها والذي استند اليه الإمام الخميني (قده) والى التنظيم العلمي الأكاديمي الذي لا يرتقي فيه عالم، هكذا يقال الشيخ فلان دون أن يتقدم بالدراسات وأن يناظر العلماء.

بالنسبة للأمم المتحدة سيدي قراءاتنا للإمام واضح أنها مبدئية وليست بسبب قرارات الأمم المتحدة من إيران، ونحن نقر ذلك ونوافق على ذلك. الأمم المتحدة أداة من أدوات الإستعمار، فهي لتقسيم الغنائم ما بعد الحرب العالمية الثانية، ومن لطف الله بنا أن اختلفت موسكو مع واشنطن وإلا كان الذي نراه اليوم من تفتيتٍ وضربٍ وغير ذلك قائماً منذ ذلك الوقت، والأمم المتحدة هذه كي تفرض النظام الدولي القائم، وعندما تجرع الإمام السم، نعم، فهمنا ذلك أنه للمصلحة كما أن تأكل لحم خنزير حين الإضطرار، لكن أكل لحم الخنزير لا يصبح حلالاً في كل وقت من الأوقات، فإذا اضطررت مرة لأكل لحم الخنزير فلا يعني ذلك أنه قد حُلل وأننا أصبحنا نستند الى ذلك ونضعه على قائمة المأكولات.

رد / د. بشار قوتلي

عندي تعقيب على أخينا الحاج علي فياض في ما يتعلق بموقع الناس وعلاقتهم مع السلطة. أنا قصدت بمسألة التغيير وحركة الشعوب في موضوع التغيير، الشعوب التي هي خارج إطار سلطة أو حكم إسلامي في الدولة الإسلامية. نحن نتكلم عن مناطق فيها نزاعات وفيها استبداد وجور وظلم، وأنا أتفق معك بأن هناك تقييماً فعلياً لاستراتيجية الحركات الإسلامية، أكان على صعيد هدفها النهائي في الوصول الى السلطة وإقامة حكم إسلامي، أم كان هناك بعض الأهداف المرحلية حسب كل ساحة وخصائصها، وهناك طبعاً حركات سياسية تتداخل فعلياً مع السلطات القائمة، وهناك حركات سياسية بطبيعة الحال ترى من واجبها في هذه

المرحلة أو حتى ترى من واجبها ليس فقط في هذه المرحلة بأنها هي مبنية على هذا الأساس أن تدوّر الزوايا تماماً، ليس الهدف الأساسي اليوم هو الوصول الى السلطة بل هناك أهداف قد تكون أهم وأبقى للمصلحة الإسلامية العامة.

المحور الرابع

فلسطين والقدس

في فكر الإمام الخميني (قده) :

أولويات المواجهة

الجلسة الخامسة

● **رئيس الجلسة: سماحة الشيخ طه الصابونجي**

● الإمام وفلسطين، دراسة في رؤية الإمام الخميني (قده) لقضية الصراع الإسلامي مع التجمع الصهيوني في فلسطين / **الدكتور رفعت سيد أحمد** - مصر

● موقف الإمام الخميني (قده) من القضية الفلسطينية والقضايا العربية: مرحلة الجهاد والنضال قبل انتصار الثورة / **الدكتورة دلال عباس**

● الإمام الخميني (قده) رجل في أمة / **الشيخ الدكتور حسان المجذوب** - سوريا

● دور إيران الإستراتيجي في الصراع مع الكيان الصهيوني والقوى الكبرى الداعمة له في نظر الإمام الخميني (قده) / **الدكتور زهير غزاوي**

● المناقشات

كلمة رئيس الجلسة

سماحة الشيخ طه الصابونجي

مفتي مدينة طرابلس والشمال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وذلك أعظم الفضل والتكريم من الله لهذه الأمة التي هداها وأعزها برسولها وبدينها وبكتابها وجعلها مفتاح الهداية لكل البشر، وصلى الله وسلم وبارك على أصحابه العاملين المجاهدين وعلى أمته التي شرفها الله وعظمها حينما قال ﴿**هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور**﴾ وذلك مجمع الفضل أن يشركنا ربنا بما تكرم به على نبيه بالصلاة عليه وعلى آله وعلى أمته.

وبعد أيها السادة المكرمون، ليس بدعاً أن نتحدث في هذه المناسبة العظيمة وفي هذه الإطلالة العالية لأن العالم الإسلامي اليوم بحاجة الى أعظم الحاجة ،الى مواقف تصحح رؤيته وتثبت موقفه وتوحد جبهته وتطلقه في عالمٍ يضج بالتغيرات والتحديات والمؤامرات، نحن امة موعودة من الله تعالى بالنصر والتثبيت اذا وفينا بعهدنا مع الله، واستوفينا نصيبنا من حقائق الاسلام، والإمام الخميني (قده) لم يعد الحديث عنه، حديث ماضٍ ذهب أو مناسبة مضت، ولكنه حديث عن قضية متألقة متجددة، فاعلة في حياتنا الاسلامية العامة والخاصة، وإذا كان الحديثُ عن الامام الخميني يتوه ويتشعب، فإن موضوع هذه الندوة منحصرٌ في فكر الإمام الخميني في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية وبقضية القدس الشريف، ونحن نسجل للإمام الخميني وللثورة الايرانية، موقفاً قلّ نظيره في كل ثورته الاسلامية منذ انطلاقتها الاولى،فمنذ إعلانه الثورة الاسلامية وإطلاقه للمفهومات والطروحات التي يدعو إليها كانت فلسطين في عمق فكره وكانت فلسطين في سويداء قلبه وبهذا لا نريد أن نطيل.

الإمام وفلسطين :

دراسة في رؤية الإمام الخميني (قده) لقضية الصراع الإسلامي مع التجمع الصهيوني في فلسطين

د. رفعت سيد أحمد

مدير مركز يافا للدراسات والأبحاث

المنسق العام للجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية في لبنان ـ القاهرة

بين يدي البحث

لا يستقيم الحديث عن «فلسطين»، القضية، والأرض، والمقاومة، خلال الثلاثين عاماً الأخيرة من تاريخها، دون الحديث عن الإمام الخميني وجهاده في سبيلها، فكراً، وسلوكاً.

لقد كان الإمام، بوعيه الرسالي، وإيمانه الصادق، بوصلة المجاهدين الجادين، ناحية فلسطين، مثلما كان بوصلتهم ناحية قيم الحق، والعدل والثورة. كان «الإمام» قبل ثورته الإسلامية عام ١٩٧٩/٧٨م يضع أمام رجاله البررة من أبناء الشعب الإيراني المسلم، المعادلة في أبسط وأعمق صورها. لقد كان يربط بين مواجهة الوجود الصهيوني في فلسطين، وبين صحة إيمان المسلم وصدق إخلاصه لله. لقد جعل من مواجهة إسرائيل، ذلك التجمع السرطاني الخبيث في فلسطين، مواجهة أخرى للشاه المستبد، وربط بعبقرية المعلم المجاهد بين «الإستبداد والإحتلال» من ناحية «وبينهما وبين الشيطان الأكبر» من ناحية أخرى، وجعل الجميع في سلة واحدة ومعادلة واحدة لا انفصال بين أي من عناصرها.

إن الدعم الواسع، المادي والمعنوي، الذي أولاه الإمام لفلسطين، ولكل الحركات

التي قاتلت داخل فلسطين وحولها، سواء في السنوات العشر الأخيرة في عمر الإمام (٧٩- ١٩٨٩)، يؤكد مركزية هذا «الوطن الإسلامي»، وتلك «القضية الإسلامية» في مدركات الإمام، وحركيته، وكيف أنه استطاع أن ينقلها إلى المخلصين الشرفاء من رجاله ومحبيه من المسلمين، داخل إيران وخارجها، وكيف علمهم أن لا انفكاك البتة بين مواجهة «الإستبداد»، ومواجهة الإحتلال في فلسطين، ولا نبالغ إذا قلنا إنه لولا حرب الردة التي شنها النظام العراقي على شعبنا في إيران والعراق- معاً- ولمدة ثماني سنوات، لكانت «فلسطين»، القضية والوطن والمقاومة، في موقع أكثر عليّا، بفضل دعم الإمام وثورته ودولته لها، ولكنه فعل «الشيطان الأكبر» -الولايات المتحدة- حين تزاوجت روحه ومصلحته مع الشياطين الصغيرة في أوطاننا، فأنتجت الحروب الجانبية، والإستنزاف الدائم لثورات الأمة وثرواتها!!.

إن الحديث إذاً عن (فلسطين)، لا يستقيم دون الحديث عن (الإمام)، والحديث عنهما معاً، هو الحديث الصحيح عن أمة الإسلام حين ترغب في النهوض والتحرر، فلا نهوض بغير (فلسطين) ولا تحرر بغير فلسفة الإمام وحركيته.

* * *

وفي هذا البحث نحاول أن نقترب من تلك الثنائية الثرية، (الإمام وفلسطين)، اقتراباً يناسب واقعنا، ويتجاوزه، بتصورات للمستقبل، للمواجهة، ولا يقف عند مجرد التعامل النصي الماضوي مع القضية، وعليه فسوف نقسم بحثنا إلى أربعة محاور على النحو التالي:

أولاً: فلسطين في عقل الإمام.

ثانياً: فلسطين التي تصفى قضيتها اليوم: أرقام ودلالات.

ثالثاً: الإمام في فلسطين: حركة الجهاد وحزب الله الترجمة الحقيقية المعاصرة للإمام في فلسطين.

رابعاً: كيف نحيي رسالة الإمام في فلسطين مع الألفية الميلادية الثالثة.

أولاً: فلسطين في عقل الإمام:

إن هذا الإمام الثائر، الإمام الخميني، الذي كان يرى في الولايات المتحدة شيطاناً أكبر، وأثبتت لنا الأيام والأحداث التي عشناها ونعيشها، صدق قوله، ها هو الآن يرى في الكيان الصهيوني «غدة سرطانية»، تحتل كبد الأمة: فلسطين، ترى كيف نظر الإمام إلى تلك القضية وكيف أدار الصراع فيها؟!.

تميزت رؤية الإمام الخميني للقضية الفلسطينية بعدة خصائص يمكن استخلاصها من خلال تناول هذه الرؤية في:

أ- مدركات الإمام الخميني لطبيعة الصراع مع (الكيان الإسرائيلي): يلاحظ الباحث أن الإمام أدرك طبيعة الصراع مع الكيان الصهيوني بثلاثة معان: المعنى الأول: أنه صراع مصيري، أي لا بد من تدمير أحد طرفيه، المعنى الثاني: أنه صراع ديني بين المسلمين واليهود. المعنى الثالث: أنه صراع متعدد الأطراف، والشاه وكل الحكام المستبدين في العالم الإسلامي وأميركا يمثلون أهم أطرافه، وقد تتداخل المعاني معاً ويصعب الفصل بينها.

وبالرغم من ذلك ،فبالنسبة لمصيرية الصراع: نجد الإمام يرى أنه «مما لا ريب فيه أن واجب الشعب الفلسطيني المسلم هو واجب كل مسلم في أقاصي البلاد، فالمسلمون يد واحدة على من سواهم يسعى بذمتهم أدناهم» وهو دائماً يكرر على قطع الأيدي الأجنبية، وفي أغلب خطبه يؤكد على الإجتثاث من الجذور. ولأنه صراع مصيري فهو يعتبر اتفاقات كامب ديفيد «خيانة للإسلام والمسلمين والعرب».

وبالنسبة للمعنى الثاني، أي المحتوى الديني للصراع، فإن الإمام لم يقل فقط، بل كان يفعل أيضاً، فلقد حدد فور انتصار الثورة عام ١٩٧٩ آخر يوم جمعة من شهر رمضان من كل عام باعتباره «يوم القدس» وجعله احتفالاً عالمياً للقدس، وأرسل بالدعم المادي من أسلحة وأفراد إلى المقاومة اللبنانية في الجنوب، التي في طليعتها «حزب الله» ويأتي ذلك من قناعته بأن المعركة أساساً بين المسلمين واليهود

وأنه «لا ينبغي على المسلمين ترك شعب لبنان أو فلسطين وحده يقاتل بل لا بد من مساندته»، بل لقد وصل بثوريته في هذا الشأن إلى درجة أنه «طالب بعدم تجديد بناء المسجد الأقصى»، ليترك كما هو تجسيداً لجرائم الصهيونية دائماً أمام أنظار الأمة الإسلامية، وكنقطة انطلاق شاملة نحو استرداد الأراضي الإسلامية الفلسطينية».

وبالنسبة لأطراف الصراع، كمعنى ثالث من معاني إدراك الإمام لطبيعة الصراع مع اسرائيل، فنجد الخميني يدرك أنها متعددة سواء من حيث النشأة أو التطور فهو يرى «أن إسرائيل وليدة التواطؤ والإتفاق» بين الدول الإستعمارية في الشرق والغرب، وخلقت لقمع الدول الإسلامية واستعمارها، وهي اليوم تحت حماية كل المستعمرين ومجال تأييدهم، وليس هدف الدول الإستعمارية الكبرى من خلق إسرائيل هو «احتلال فلسطين فحسب»، «لكن لو أعطيت لهم الفرصة فسوف يكون لكل الدول العربية نفس مصير فلسطين أي الإحتلال المستمر» والمواجهة لا بد أن تتعدد فيها الأطراف أيضاً، «لا بد أن يكون هناك دور للمسلمين وللمستضعفين في العالم ولكل المضطهدين من أميركا والغرب في هذه المواجهة على أرض فلسطين».

ب ـ مستويات إدارة الصراع مع الكيان الصهيوني عند الإمام الخميني: أما بالنسبة لهذا المستوى فإن الباحث يلاحظ أنه لا يوجد سوى مستوى الكفاح المسلح (الجهاد) والحرب الشعبية الطويلة الأمد، ويتضح ذلك في تحليل جميع خطب الإمام تجاه «إسرائيل»، فالباحث لم يجد لديه أي محاولة لإدخال مستوى جديد على مستوى الكفاح المسلح أو الجهاد بمعنى أدق...، مثل مستوى الأداة الدبلوماسية أو الصراع السياسي أو توزيع الأدوار بين السياسة والحرب. إن اللغة السائدة في الخطاب السياسي للإمام هي لغة الحرب، ولا توجد لغة أخرى يمكن استشرافها، فهو مثلاً في النداء الذي وجهه بمناسبة مرور ٢٥ عاماً على الثورة الجزائرية في ٢/ ١٠/ ١٩٧٩ يقول «ونحن ندين بشدة المؤامرة المصرية – الأميركية –

الإسرائيلية – الهادفة إلى ضرب حركة الشعب الفلسطيني الكبرى، أيها الرؤساء والممثلون للدول الإسلامية المجتمعون في الجزائر العزيزة تعالوا لنتحد ونقطع أيدي الجناة الشرقيين والغربيين وعلى رأسهم أمريكا وإسرائيل وأن نجتثها من جذورها لإرجاع حقوق الشعب الفلسطيني».

وفي ندائه إلى حركات التحرير العالمية في ١٥/ ١١/ ١٩٧٩ يقول لهم: «إنهضوا ودافعوا عن كيان الإسلام وعن شعوبكم وأوطانكم، فإسرائيل قد أخذت بيت المقدس من المسلمين» وهو يدعو المسلمين إلى «أن ينهضوا ويدافعوا عن الإسلام وعن مركز الوحي بالكفاح المسلح».

هذه الرؤى المتكاملة، الواعية، للصراع، طبيعة وإدارة، ترجمها الإمام عملياً في سلوكه السياسي الداعم للمجاهدين في الجنوب اللبناني وداخل فلسطين المحتلة، ولا نبالغ إذا قلنا إن الشهيد القائد د. فتحي الشقاقي – رحمة الله عليه – الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين كان التجسيد الإسلامي «السني» الصحيح والواعي، لفكر الإمام الخميني وفلسفته تجاه فلسطين، كما سنرى.

جـ ـ من كلماته عن فلسطين والقدس والمواجهة: لعل في إعادة تأمل كلمات الإمام الخميني عن قضية فلسطين بكل أبعادها ومستوياتها ما قد يفيد اليوم في المواجهة لهذا المشروع الصهيوني المزروع بداخلها. ولنتأمل معاً هذه الأقوال الخالدة:

١ـ «إن قبلة المسلمين الأولى – اليوم – بيد إسرائيل، هذه الغدة السرطانية التي زُرعت في الشرق الأوسط. إن إخوتنا الأعزاء في فلسطين ولبنان يتعرضون اليوم للإبادة والقتل بكل شدة من قبل إسرائيل. تسعى إسرائيل اليوم بكل ما أوتيت من وسائل شيطانية لخلق التفرقة بيننا، على كل مسلم أن يجهز نفسه لمقاتلة إسرائيل.

إنَّ الدول الأفريقية المسلمة تئن اليوم تحت وطأة أمريكا وبقية الأجانب وعملائهم. ترفع أفريقيا المسلمة اليوم صوتها المظلوم إلى أعلى حد، وإن فلسفة الحج يجب أن تكون جواباً لهذه النداءات المظلومة.

إنَّ الطواف حول بيت الله يعلمكم (وينذركم) أن لا تطوفوا حول غير الله، وإن رجم الشيطان رمز لرجم شياطين الإنس والجن.

حينما ترجمون الشيطان عاهدوا ربكم على طرد كل شياطين الانس والقوى الكبرى من بلادكم الإسلامية العزيزة.

إعلموا أن العالم الإسلامي اليوم أسير بيد أمريكا.

احملو من ربكم نداءً إلى المسلمين في كل قارات العالم، وذلك أن لا يعبدوا أحداً غير الله.

أيها المسلمون في العالم ويا أتباع مبدأ التوحيد، إنَّ سبب كل المشكلات في البلاد الإسلامية هو اختلاف الكلمة وعدم التعاون، ورمز الإنتصار هو وحدة الكلمة وإيجاد التعاون. قال تعالى في جملة واحدة ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾. (من بيانه في موسم الحج لعام ١٣٩٩هـ الموافق ٢٩/ ٩/ ٧٩ ميلادية).

٢ ـ «لقد نبهت المسلمين منذ سنوات طويلة لخطر إسرائيل الغاصبة التي شدّدت هجومها الوحشي على الإخوة والأخوات الفلسطينيين، وخصوصاً في جنوب لبنان لغرض إبادة المناضلين الفلسطينيين حيث تنهال القنابل باستمرار على بيوتهم ومساكنهم.

إني أدعو عامة المسلمين في جميع أرجاء العالم والدول الإسلامية أن يتّحدوا من أجل قطع يد هذا الغاصب ومساعديه. وأدعو جميع المسلمين في العالم أن يعلنوا آخر جمعة من شهر رمضان المبارك الذي يعتبر من أيام القدر ويمكنه أن يلعب دوراً مهماً في مصير الشعب الفلسطيني «يوم القدس» وأن يعلنوا ضمن مراسم هذا اليوم اتحاد المسلمين بجميع طوائفهم في الدفاع عن الحقوق القانونية للشعب الفلسطيني المسلم.

أسأل الله تعالى أن ينصر المسلمين على الكافرين. والسلام عليكم ورحمةُ الله وبركاته». (حديثه في ٢٠ رمضان عام ١٣٩٩هـ).

٣ ـ وفي ما يلي النص الكامل لبيانه بشأن يوم القدس العالمي والصادر في ٢٢/

رمضان ١٣٩٩هـ ولأهميته البالغة فكراً ومعنى نورده كاملاً:

«إنَّ يوم القدس يوم عالمي، وليس يوماً يخصّ القدس فقط بل هو يوم مواجهة المستضعفين للمستكبرين..يوم مواجهة الشعوب التي رزحت تحت ضغط الظلم الأمريكي وغير الأمريكي، يوم يجب فيه أن يستعد المستضعفون لمواجهة المستكبرين ويمرّغوهم في التراب، يوم يمتاز فيه المنافقون عن الملتزمين. فالملتزمون يعتبرون هذا اليوم، «يوم القدس» ويعملون بما يجب أن يعملوا به. وأما المنافقون والمرتبطون مع القوى العظمى خلف الستار والذين يعقدون الصداقة مع إسرائيل، فلا يهتمون بهذا اليوم ويمنعون الشعوب من إقامة التظاهرات. إنَّ يوم القدس يوم يجب أن يتعين فيه مصير الشعوب المستضعفة. لا بد للمستضعفين أن يبرزوا شخصيتهم أمام المستكبرين. وكما قال الشعب الإيراني وأرغم أنوف المستكبرين، فلتقم سائر الشعوب وتلقِ بهذه الجراثيم المفسدة في المزابل. إنَّ يوم القدس هو اليوم الذي لا بد من أن ينتبه فيه بقايا النظام السابق في إيران والعناصر المخربة التابعة للأنظمة الفاسدة والقوى العظمى في سائر البلدان وخصوصاً في لبنان ويحسبوا حسابهم.

إنه اليوم الذي يجب أن ينهضوا وننهض فيه لإنقاذ القدس وإنقاذ إخواننا اللبنانيين من هذا الظلم. إنه اليوم الذي يجب أن نخلّص فيه جميع المستضعفين من قيود المستكبرين، يوم يجب أن يظهر المجتمع الإسلامي شخصيته فيه ويهدد القوى العظمى وعملاءها المتبقين في إيران أو سائر البلدان. إنَّ يوم القدس هو اليوم الذي يجب أن ننبه فيه هؤلاء المثقفين الذين يعقدون العلاقات خلف الستار مع أمريكا وعملائها، ننبههم بأنهم لو لم يتركوا هذه التحرشات فإنهم سوف يقمعون، وإنا قد أمهلناهم وعاملناهم بلطف لعلّهم يتركون الأعمال الشيطانية، وإن لم يتركوها فسوف أقول فيهم كلمتي الأخيرة، وسوف أشعرهم أن النظام السابق لن يعود ولا يمكن بعد هذا أن تتحكم فينا أمريكا أو سائر القوى العظمى.

يجب أن نعلن لجميع القوى الكبرى في يوم القدس أن يرفعوا أيديهم عن

المستضعفين ويلزموا أماكنهم. إنَّ إسرائيل عدوة البشرية وعدوة الإنسان وفي كل يوم تخلق فاجعة وتحرق إخواننا في جنوب لبنان. إنَّ على إسرائيل أن تعلم أنَّ أسيادها قد خسروا موقعهم الإجتماعي في العالم ولا بدّ لهم من الإنزواء، ولا بدّ لهم من قطع أطماعهم في إيران، ويجب أن يُمنعوا من التدخل في جميع البلاد الإسلامية. إنَّ يوم القدس هو يوم إعلان هذا الأمر وإعلان أن الشياطين يحاولون إخراج الشعوب من السّاحة لفسح المجال لتدخّل القوى الكبرى. إنّ يوم القدس هو اليوم الذي تُقطع فيه آمالهم وينتبهون الى أن ذلك الزمان قد ولّى.

يوم القدس هو يوم الإسلام ويوم إحياء الإسلام، فلا بد من إحيائه وتنفيذ قوانينه وأحكامه في جميع الأقطار الإسلامية. يوم القدس ننبِّه فيه القوى العظمى بأن الإسلام لن يقع بعد هذا تحت سلطتكم بواسطة عملائكم الخبثاء. يوم القدس يوم حياة الإسلام، ولا بد أن يستيقظ فيه المسلمون ويشعروا بقدرتهم المادية والمعنوية.

إنّ المسلمين يبلغون مليار نسمة وينعمون بالتأييد الإلهي والإسلام يحميهم والإيمان يدافع عنهم فمن أي شيء يخافون؟ إننا قد نهضنا مع قلّة عددنا أمام أعدائنا الكثيرين والقوى العظمى وهزمناهم. ولا تظنوا أن بعض هذه الطوائف الفاسدة، بعض هؤلاء اليساريّين الأمريكيين وغير الأمريكيين يتمكنون من إبراز وجودهم في البلد. فنحن إذا أردنا وأراد شعبنا فإنهم سيُحذفون جميعاً في مزابل الفناء خلال ساعات. وأن شعبنا العظيم لن يخاف من هذه التحركّات اليائسة، إنَّ تحركات إسرائيل في جنوب لبنان وبالنسبة إلى الفلسطينيين أيضاً تحركات يائسة. إنها تحركات الفاسدين في نهاية أمرهم، كما صنعه الشاه المخلوع في إيران وانتهى بهلاكه وفنائه.

ولتعلم الحكومات في العالم أن الإسلام لن ينهزم، وأن الإسلام وتعاليم القرآن لا بد أن تتغلّب على جميع الدول ولا بد أن يكون الدين هو الدين الإلهي. إنَّ الإسلام هو دين الله ولا بد أن ينتشر في الأقطار الإسلامية. إن يوم القدس يوم إعلان هذا

الأمر. إنه يوم إعلام المسلمين: إلى الأمام، تقدموا في جميع أقطار العالم.

يوم القدس ليس يوم فلسطين فحسب. إنَّه يوم الإسلام، يوم يجب أن ترفرف فيه راية الجمهورية الإسلامية في جميع الأقطار. يوم نعلن فيه للقوى العظمى أنها لن تتمكن من التقدم في البلاد الإسلامية.

إني أعتبر يوم القدس يوم الإسلام ويوم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) ويوم لا بد لنا فيه من تجهيز القوى وإخراج المسلمين من الانزواء ومواجهة الأجانب بكامل قوتهم وقدرتهم. ونحن نقاوم الأجانب بكل قوانا ولن نسمح للآخرين بالتدخل في أقطارنا ولا يجوز للمسلمين أن يسمحوا لغيرهم بالتدخل في شؤون بلادهم.

وفي يوم القدس لا بد أن تحذر الشعوب حكوماتها إذا كانت خائنة. وفي يوم القدس نتعرف على الأشخاص والأنظمة التي تتوافق مع المخربين العالميين والتي تخالف الإسلام. فالذين لا يشاركون في مراسم هذا اليوم مخالفون للإسلام ومؤيدون لإسرائيل، والمشاركون فيها ملتزمون وموافقون للإسلام ومخالفون لأعدائه وعلى رأسهم أمريكا وإسرائيل. في يوم القدس يمتاز الحق من الباطل وينفصل الحق عن الباطل.

وإني أسأل الله تبارك وتعالى أن ينصر الإسلام على جميع الطوائف في العالم وينصر المستضعفين على المستكبرين. كما أسأله تعالى أن ينقذ إخواننا في فلسطين وفي جنوب لبنان وفي كل أرجاء العالم من ظلم المستكبرين والناهبين. والسلام على رسول الله وعلى أئمة المسلمين». (٢٢ رمضان ١٣٩٩هـ).

ثانياً: فلسطين التي تصفى قضيتها اليوم ـ أرقام ودلالات:

دأب فريق الصهاينة العرب (من حكام وثوار سابقين) على تلخيص فلسطين في كونها مجرد اتفاق حكم ذاتي وممر آمن وعلم وبساط أحمر في مطار أو ميناء لا سيادة عليه، فلسطين تلك غير فلسطين التي نعلم وغير فلسطين التي عنها دافع

الإمام الخميني وقاتل، فلسطين فضلاً عن كونها قضية مقدسات وتاريخ وعقيدة فهي أيضاً قضية شعب أحبه الإمام الخميني مثلما أحب الشعب الإيراني. ماذا عن هذا الشعب وذلك البلد، ماذا عن عذاباته، ماذا عن «المستوطنات» التي زرعت فوق جسده؟ ماذا عن أبنائه الذين أجبروا على أن يعملوا كعبيد لدى الاقتصاد الإسرائيلي لكي يحصوا على لقمة العيش المُرة في الوقت الذي ينعم فيه عرفات وقادة الخليج وقادة العرب بالثراء الفاحش والفساد الأكثر فحشاً؟ ماذا عن فلسطين التي تصفى قضيتها؟ نوجز كل هذه الأسئلة «التي كانت من قبل مسلمات فأضحت اليوم «مستغلقات» بحاجة إلى من يعيد تأكيدها وشرحها وفقاً لاحصائيات عام ١٩٩٩ في النقاط التالية.

١ ـ **الشعب**: يقدّر عدد الفلسطينيين في العالم بأكثر من ١٠,٥ ملايين، منهم قرابة ٣ ملايين في الضفة والقطاع، ١,١ مليون ما يسمَّى عرب إسرائيل، و٣,٣ ملايين في الأردن، وقرابة نصف مليون في سوريا، ومثلها في لبنان، ودول الخليج العربي، وبقية الدول العربية، كما يعيش في الولايات المتحدة وكندا وأوروبا وبقية دول العالم قرابة ٧٧٠ ألف فلسطيني.

٢ ـ **الأرض**: يعيش هذا الشعب المجاهد المطارد، داخل فلسطين في مساحة تصل إلى ٢٧ ألف كلم٢ تتوزع كالتالي (اليوم ١٩٩٩): تبلغ مساحة الضفة الغربية وقطاع غزة ٦١٦٧ كم٢، مشكلة نسبة ٢٣٪ من مساحة فلسطين، حيث تبلغ مساحة الضفة الغربية ٥٨٢٢ كم٢، بطول ١٣٠ كلم وعرض يتراوح بين ٤٠ – ٦٥ كم، في حين تبلغ مساحة قطاع غزة ٣٦٥ كلم٢، بطول ٤٢ كلم وعرض يتراوح بين ٥ و ١٢ كلم، وتتباين طبوغرافية الأرض الفلسطينية من جبال صخرية عالية ترتفع عن مستوى سطح البحر بأكثر من نصف كيلو متر، تتوزع في قضاء الخليل ورام الله ونابلس، وهناك أكثر المناطق العالمية انخفاضاً عن سطح البحر في أريحا ونهر الأردن ومنطقة البحر الميت، حيث يزيد الانخفاض عن نصف كلم أيضاً، كما توجد

السهول الساحلية على شاطىء البحر المتوسط في قطاع غزة.

ووفق التباينات السابقة، تختلف الاستخدامات لهذه الأرض بين الزراعة والمناطق السكنية، والمراعي والغابات والمناطق الشجرية، إلى الكثبان الرملية والجبال الصخرية وغيرها وفق الجدول التالي:

جدول توزيع الأراضي الفلسطينية حسب الاستخدام (نسب مئوية)[1]

طبيعة الاستخدام	الضفة الغربية	قطاع غزة
مساحة الأرض كم٢	٥٨٢٢	٣٦٥
المساحة تحت إدارة س وف*	٣٪	٥٤٪
أرض زراعية	٣٥٪	٤٩٪
غابات ومناطق شجرية	١١٪	٣,٣٪
مراعي	١٢٪	–
كثبان رملية	–	٢٥,٧٪
مناطق سكنية	١٦٪	٢١٪
طرق ومنافع خدمية	٢٪	١٪
جبال صخرية	٢٤٪	–
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪

(١) مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية (الأنكتاد) ـ الاقتصاد الفلسطيني وآفاق التعاون الإقليمي جنيف، ١٩٨٨.

* وزارة التخطيط ـ فلسطين. ملف التنمية البشرية ٩٦ـ٩٧، غزة رام الله، مايو ١٩٩٨، ص ١١ـ١٥.

ويتضح من الجدول السابق ضآلة الامكانيات المتاحة لانطلاقة تنمية مستدامة، خاصة إذا أدركنا أن ما يسمى بالسلطة الفلسطينية تدير ٣٪ فقط من مساحة الضفة الغربية، متمثلة في المدن المكدسة سكانياً، وهي مساحة تبلغ ١٧٥ كلم٢، مقسمة إلى تسع محافظات (القدس، رام الله، نابلس، الجليل، بيت لحم، طولكرم، جنين، قلقيلية، أريحا)، كما تبلغ المساحة المدارة فلسطينياً في قطاع غزة ٥٤٪ من مساحة القطاع لتصل إلى ١٩٧ كلم٢ مقسمة إلى خمس محافظات إدارياً (غزة، المحافظة الشمالية، المعسكرات الوسطى، خان يونس، رفح)، والمساحة الباقية تتمثل في المستعمرات وطرق وحزام أمني إسرائيلي لهذه المستعمرات، ومن ثم لا تتعدى إدارة السلطة الوطنية الفلسطينية نسبة ٦٪ من إجمالي مساحة الأرض الفلسطينية المحتلة منذ سنة ١٩٦٧.

ويستحوذ الكيان الصهيوني على مساحة ٩٤٪ من الأراضي الفلسطينية في الضفة والقطاع، سواء بالإحتلال المباشر لإقامة المستعمرات، أو لأغراض عسكرية أمنية، وهذه بلغت ٤٥٠٠ كلم٢ في الضفة والقطاع، بالإضافة إلى مصادرة الأراضي الفلسطينية بحجة الاستخدام العام لشق طرق، أو لإقامة مناطق خضراء، أو محميات طبيعية، وهذه بلغت ٦٠٠ كلم٢، ويتم أيضاً مصادرة الأراضي في ظل قواعد إسرائيلية أطلقت عليها أملاك «غائبون»، حيث استولت على ٧١٦ كلم٢.

٣ ـ المستعمرات: تعتبر المستعمرات الإسرائيلية في الأرض العربية تجسيداً لواقع أحلام الحركة الصهيونية، حيث غرس الصهاينة ٢٠٠ مستعمرة في الضفة والقطاع منذ عام ٦٧ وحتى الآن، منها ٢٨ في القدس العربية كحزام أمني مترابط يطوق المدينة المقدسة، و١٨ مستعمرة في قطاع غزة، تستحوذ على ٤٦٪ من مساحة الأرض بصفة مباشرة وغير مباشرة، ويسكنها قرابة ٦ آلاف يهودي، يشكلون أقل من ٥٪ من سكان القطاع، والباقي ١٥٤ مستعمرة متمركزة في مناطق استراتيجية في الضفة الغربية، ويسكنها قرابة ١٥٠ ألف مستوطن يهودي من المتطرفين، وإن كانت تعد لاستيعاب مليون مهاجر يهودي جديد.

وتغرس المستعمرات بعناية دقيقة، وفق خطط هادفة ومرحلية، استراتيجياً واقتصادياً، واعتبارات أمنية، لتكون متصلة بعضها مع بعض، ومتكاملة وقابلة للتوسع، ويتم اختيار مواقعها على المرتفعات والتلال، وتبرز الآثار السلبية للمستعمرات الإسرائيلية على الاقتصاد الفلسطيني في الاستيلاء المستمر على الأرض، واستنزاف المياه، إستغلال العمالة الفلسطينية، زراعياً وصناعياً وتجارياً، ومصادرة الحق في المستقبل الآمن للسكان الحقيقيين من الفلسطينيين.

(٤) العمالة الفلسطينية في الكيان الصهيوني: عمد الصهاينة منذ احتلالهم بقية فلسطين سنة ١٩٦٧ إلى استغلال القوى العاملة الفلسطينية، بهدف الآتي:

١- تشغيلها في الأعمال اليدوية الشاقة: كالبناء والمزارع والعتالة والنظافة.... إلخ، التي يعزف عنها اليهود.

٢- بناء القطاعات الإقتصادية الإسرائيلية، خاصة تفعيل المستوطنات.

٣- تحول العمالة الفلسطينية عن العمل في القطاعات الإنتاجية الفلسطينية، وبالتالي إهمالها، مما يزيد من حدة الإعتماد على المنتجات الإسرائيلية.

٤- الإستفادة من الرخص النسبي لأجور العمال الفلسطينيين مقارنة بالعمالة الإسرائيلية، حيث لا تتعدى ٣٠٪.

٥- إمتصاص القوى الفلسطينية وتحويلها عن مقاومة الإحتلال الإسرائيلي، بشغلهم بالقوت اليومي.

٦- كسب الأسواق الفلسطينية، فما يدفع كأجور للفلسطينيين يعود على الإقتصاد الإسرائيلي بربح مضاعف، إثر زيادة المشتريات من إسرائيل.

٧- توفير العمل للشباب والصغار لإبعادهم عن التعليم العالي والفني.

٨- لا يدفع المستخدم الإسرائيلي تأمينات ومعاشات ومصاريف أخرى للعمالة الفلسطينية، وحيث يقل العبء كثيراً مقارنة بالعامل الإسرائيلي، بل كثيراً ما يتجرأ المستخدم الإسرائيلي على التهام حقوق العمالة الفلسطينية.

وأمام عدم وجود فرص بديلة أمام القوى العاملة الفلسطينية، تدفقت على

الكيان الصهيوني تدريجياً، حتى بلغ عدد العاملين الفلسطينيين في إسرائيل ما يتراوح بين ١٥٠ و ١٧٠ ألف عامل مع نهاية الثمانينات، وبعد تغير الظروف السياسية والإقتصادية إثر حرب الخليج الثانية، وبداية الحصار والإغلاق الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية بسبب زيادة الإجراءات الأمنية، الى جانب زيادة العمالة الفلسطينية المطرودة من دول الخليج، تفاقمت الأزمة وقننت إسرائيل دخول العمالة الفلسطينية إليها، وزاد من حدة المعضلة لمنع العمالة الفلسطينية وجود السلطة الفلسطينية، لتؤكد إسرائيل وضع المعضلات أمام السلطة، ولتثبت فشلها في تشغيل العمالة، وأنه لا بديل من الإحتواء الإسرائيلي.

تلك هي فلسطين على حقيقتها المُرة اليوم، وإذا أضفنا إليها سلطة إدارية فاسدة تحكم وفق نمط بوليسي اقتبسته من الأنظمة العربية التي تعاملت ولا تزال معها، فإن الصورة تزداد وضوحاً وبؤساً، وإذا علمنا أن السيد ياسر عرفات وسلطته في غزة التي لا تعمل مستقلة بل وفق إرادة وشروط المحتل الذي تحميه من المجاهدين، لديه ١٣ جهازاً أمنياً على مساحة أرض صغيرة وشعب مجاهد لا يرفع السلاح إلا في وجه اليهود والصهاينة، ساعتها تستبين المأساة والملهاة أكثر، ولنتأمل ما لدى سلطة الحكم الذاتي من أجهزة أمن:

(١) الشرطة (٢) المخابرات العامة (٣) الإستخبارات العسكرية (٤) الأمن الرئاسي (٥) أمن الرئيس (٦) الأمن الخاص (٧) الأمن الوقائي في الضفة (٨) الأمن الوقائي في غزة (٩) الدفاع المدني (١٠) الأمن الوطني (١١) الأمن السياسي (١٢) الشرطة البحرية (١٣) القوات الخاصة، وكلها تعمل لحماية العدو الصهيوني والإتفاقات الموقعة معه!.

فلسطين بهذا الوضع أليست بحاجة إلى «خميني جديد» يعيد إليها الروح والثورة التي انتزعت منها من قبل «الصهاينة العرب»، و «الصهاينة اليهود»!.

ثالثاً: الإمام في فلسطين:

«حركة الجهاد» و «حزب الله»: الترجمة الحقيقية المعاصرة للإمام الخميني في فلسطين.

إن الحديث عن «الإمام» و «فلسطين»، يستحضر إلى الذاكرة الإسلامية الحية، مباشرة: الشهيد الدكتور/ فتحي الشقاقي الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين (١٩٥١ - ١٩٩٥)، فلقد كان رحمة الله عليه، سلوكاً، وفكراً، الترجمة الصحيحة والكاملة للإمام في فلسطين، ولقد آن للأمة أن تعلم ذلك جيداً، وبشكل واضح، قاطع.

لماذا؟.

لأن الشقاقي، المسلم السُني المذهب، كان أول من كتب بالعربية عن «الخميني»، وقبل أن تنتصر وتستقر ثورته وأعلن - من القاهرة - وعبر خمس عشرة دراسة وكتابٍ واسع الإنتشار، طبع عدة طبعات عن دار الإعتصام، وصُودر في شهر فبراير ١٩٧٩، أن الخميني هو «الحل الإسلامي والبديل»، فلسطينياً وعربياً وإسلامياً، واعتقل عدة أشهر في سجن القلعة بالقاهرة على ذمة هذا الفكر، ولم يكتف بالقول، بل استتبعه في تواصل سياسي وإنساني كبير مع ثورة الإمام، ومن داخل فلسطين، فأسس «حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين»، لترجمة رسالة الإمام ورؤيته عن حتمية الجهاد المسلح للغدة السرطانية إلى فعل يومي مباشر، قاد عملياً إلى الإنتفاضة الفلسطينية وإلى إعلاء خط المقاومة والعمليات الإستشهادية وخط طريقها بالدماء.

إن الشقاقي إذاً وحركته الجهادية وفكره المتواصل ودمه الزكي الطاهر، وبكل وضوح، كان الترجمة الأولى والصحيحة لخط الإمام ورؤيته ورسالته عن فلسطين، وعن ضرورة الجهاد لاستئصال هذا الوجود من أقدس أرض إسلامية قاطبة.

تلك كانت الترجمة الأولى... للإمام، من داخل فلسطين، وهي ترجمة ما زالت قائمة ومستمرة ورغم أنه قد لحق بها ترجمات أخرى من داخل الوطن المحتل نعلمها جميعاً إلا أن الجهاد الإسلامي ورسالة الشقاقي كانت الأساس والمنبع والدور الصحيح والتاريخي.

توازت معها، وأبدعت وأينعت، ترجمة أخرى رئيسية تميزت عن كل ما عداها من تجارب، حين امتزج فيها «المشهد الحسيني» بكربلاء الجديدة في الجنوب اللبناني، إنها ترجمة حزب الله ومقاومته الإسلامية المجاهدة طيلة السبعة عشر عاماً الماضية ١٩٨٢ – ١٩٩٩.

لا نبالغ إذاً عندما نقول إن على باحثينا، وعلى أمتنا، عندما تريد قراءة صحيحة لموقف الإمام وفكره تجاه فلسطين، أن تطالع ذلك في تجربتَيْ حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين... ورحلة مؤسسها المعبدة بالدم، وتجربة حزب الله ومقاومته الإسلامية التي قدمت أكثر من ألف ومئتي شهيد في كربلاء الجديدة بالجنوب... مضافاً إليها تجارب إسلامية ووطنية أخرى، مثل حماس!.

إن الإمام... هنا كان ولا يزال حاضراً، وبقوة ولا تحتاج قراءة تأثيراته العميقة إلى إثبات، فها هي كلماته وتعاليمه ورسالته ودعمه، تتواصل وتؤثر وتخلق واقعاً جديداً، مجاهداً، يضع فلسطين في مركز الوعي والفهم وعلى سلم أولويات المسلمين، ويرتقي مقامها، عند الإمام وعند من حملوا رسالته من بعده، وترجموها في فلسطين وفي الجنوب اللبناني، إلى مصاف «الركن الإسلامي» الذي بتركه أو التفريط فيه، لا يستقيم إيمان المسلم الحق.

لقد أسرّ لي أخي الشهيد فتحي الشقاقي قبل استشهاده بساعات قليلة – وشرفني الله أني كنت معه في لحظاته الأخيرة – أن الإمام الخميني عندما التقاه عام (١٩٨٨) في طهران، جلس معه ثلاثة أضعاف المدة التي كان يجلسها مع رؤساء الدول، وأنه حذره وطالبه بتحذير رفاقه في «الجهاد الإسلامي»، من المخططات المبكرة لياسر عرفات ورفاقه، فطريقه سينتهي به إلى الوقوع بالكامل في الأسر الصهيوني... «فاحذروه.. احذروه».

لقد كان بعيد النظر، صادق الإيمان، شديد الحب لفلسطين وأهلها، شديد العداء للصهاينة، يهوداً أو عرباً.

هكذا كان الإمام.

وهكذا كانت ترجمته الحقيقية في فلسطين.

رابعاً: كيف نحيي رسالة الإمام في فلسطين مع الألفية الميلادية الثالثة:

بعد أيام يستقبل العالم العام الأول في الألفية الميلادية الثالثة، ورغم أننا من الذين لا يرون، في مثل هذه المناسبات أن ثمة فوارق جوهرية بين السنوات الأخيرة في الألفية الماضية (الثانية) والسنوات الأولى من الألفية الجديدة (الثالثة) وأن الأمر بالأساس، أمر قضايا متواصلة ومتداخلة وهموم إنسانية مترابطة، لا تعرف الفواصل أو الحدود الزمنية القاطعة، ألا أننا رغم ذلك نتوقع في تلك الألفية، وبخاصة في الربع القرن الأول منها، اندحاراً لمشاريع الإستكبار العالمي - وفقاً للتعبيرات الجادة والمتميزة للإمام الخميني - بقيادة الولايات المتحدة، ومن دار في فلكها من العملاء والتابعين.

وسوف يشهد هذا الإندحار مقدمات، قد يطول بعضها، وقد يتنوع، ولكن نتائجه آتية ولا شك، وهذه النتائج سوف تكون في صالح الإسلام والمسلمين، ولا نبالغ إذا قلنا إن فلسطين بكل تفاصيل مأساتها، وبكل أبعادها العقائدية والإقتصادية والسياسية، سوف تمثل «قطب الرحى» ونقطة المركز في هذه التحولات التي ستقود معسكر الاستكبار العالمي للانهيار.

وهنا بالأساس تأتي أهمية إعادة الإعتبار وإعادة الإهتمام بمواقف الإمام الخميني وفكره ومن ثم رسالته تجاه فلسطين، وضرورة إعادة الروح لمقولاتها، إعادة حقيقية وليست مظهرية، أو مرتهنة بظرفية ضيقة، وفي هذا الصدد نقترح ما يلي كبرنامج عمل إسلامي، ندعو جميع المخلصين من مؤسسات وأحزاب وهيئات وصحف إسلامية للأخذ به أو ببعضه، تحقيقاً للهدف المنشود، ووصولاً إلى فلسطين المسلمة والعربية حرة، ومطهرة من دنس الأعداء الصهاينة.

(١) ندعو إلى إعادة نشر تراث ومواقف الإمام وفتاويه تجاه العدو الصهيوني وتعميمها على الهيئات والجامعات والمنظمات العاملة داخل فلسطين وخارجها.

(٢) ندعو إلى إعادة الاهتمام أكثر بيوم القدس العالمي، وألا يكون مجرد يوم يقوم فيه الإخوة من المسلمين الشيعة، بالدور الجهادي السياسي فحسب، بل لا بد

أن يكون يوماً لكل المسلمين، بجميع مذاهبهم، فإذا لم تكن «القدس» هي نقطة اللقاء العقائدي والسياسي بين أهل السنة وأهل الشيعة وبينهما وبين أهل المذاهب الإسلامية الأخرى.. فأي «الأيام»، وأي القضايا، سوف تكون البديل؟!.

(٣) على إيران الدولة والثورة، ألا تلتفت لدعوات الغرب وضغوطاته التي تعزف على نغمة دعم «الإرهاب»، فأولاً، بقدر التميز والمخالفة في جميع النواحي السياسية والحياتية، لهذا الغرب - كما قال الإمام - بقدر قربنا من الإسلام، ألم يقل الإمام يوماً، ما معناه أنه إذا وجدتم أمريكا قد أعلنت رضاها عنكم في قضية ما، فراجعوا أنفسكم ومناهجكم، لأنكم ساعتها ستكونون قد أخطأتم في حق الإسلام وعليكم بتصحيح الخطأ!.

واليوم استقر الغرب - في مجمله - على قصر لفظ «الإرهاب» على الإسلام، بشراً وسياسات وعقيدة، وبالتالي ليس مستغرباً منه موقف العداء لإيران ولكل حركة مقاومة إسلامية، وما أسهل أن يستحضر قاموسه ومفرداته الخاصة ليلصقها «بالإسلام» والأولى منطقاً وعقلاً أن يلصقها بنفسه، فالإرهاب واقعاً وتاريخاً مرتبط بهذا الغرب الذي استعمر واستذل شعوب العالم الثالث بإجمال لأكثر من ثلاثمائة عام بأبشع وأخطر الوسائل الاستعمارية المعلومة للكافة. إذاً، ينبغي ألا تخضع إيران ما بعد الإمام، للابتزاز الغربي، بدعوى أن ذلك يبرئها من تهمة ممارسة أو مساندة الإرهاب، والذي هو شرف ينبغي التمسك به، لأنه يعني مباشرة الإسلام، وفقاً للفهم الغربي القاصر والظالم.

(٤) على جميع المخلصين لخط الامام، السائرين عليه، في شرقنا الإسلامي أن يتمسكوا برسالة الإمام القائمة على الدعم اللامحدود معنوياً ومادياً لحركات المقاومة للعدو الصهيوني، وأخص بالتحديد هنا: حزب الله، حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، حركة حماس، حركات المقاومة العربية الأخرى المناوئة لنهج التسوية، حركات مقاومة التطبيع في البلاد العربية والإسلامية على اختلافها. فبهذه المساندة تتحقق رسالة الإمام، وتستمر معنا في الألفية الميلادية الثالثة، وبدونها نفتقد جوهر

هذه الرسالة، وتضيع معالمها.

(٥) على المتمسكين برسالة الإمام والسائرين على دربه، أن يرسخوا عبر أساليب نضالهم للصهيونية؛ وحدة الأمة، وأن يضربوا - مثلما فعل الإمام - النموذج في تجاوز فقه الاختلافات والإحَن والتمذهب الضيق، فلا معنى لكلمة (شيعي) أو (سني) وهذا اليهودي الصهيوني يحتل أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ويصادر تاريخنا الاسلامي كله (بشيعيته وسنيته) إن إعلاء مفاهيم ما نسميه «بفقه التجاوز» للمذاهب وخلافاتها الضيقة، مطلوب الآن وبقوة ونحن ندخل هذه الألفية الميلادية الثالثة في وجود «غدة سرطانية» تمتص رحيق الحياة من قلب الأمة في فلسطين!!.

إننا لا نبالغ إذا قلنا إن هذا المعنى الكبير لفقه التجاوز المقاوم، قد جسده بحق، وعبر ١٧ عاماً من المقاومة، حزب الله في لبنان، فأطلق طاقات الأمة من حوله، لبنانياً وعربياً وإسلامياً، ويندر أن تجد عربياً حتى من غير المسلمين إلا وينظر ويتعامل بتقدير بالغ مع نموذج حزب الله وما أسسه من مفاهيم وقيم للتجاوز المذهبي، وصولاً إلى تجسيد وحدة الأمة عبر فقه المقاومة والجهاد.

وآن لنموذج حزب الله في هذا المجال مع الألفية الثالثة أن يُطور ويُعمم وينتشر، وهذه رسالتنا كمسلمين، في مواجهة التجمع الصهيوني والشيطان الأكبر الذي يسانده، وبإدراكنا لها والعمل من أجلها نحقق وصية الإمام، ورسالته الإسلامية المعاصرة التي تستمد جذورها وروعتها من جده الإمام الحسين، والرسول الكريم محمد (ص).

(٦) على المتمسكين بخط الإمام من جميع المذاهب الإسلامية، وبخاصة في الدول العربية، أن يعيدوا ترجمة المقولة المعبرة التي وصف فيها الإمام الولايات المتحدة وسياساتها في منطقتنا بـ «الشيطان الأكبر» إلى واقع فعال، وأن يربطوها مباشرة بالرؤية المعبرة لمرشد الثورة السيد آية الله خامنئي والتي تتلخص في أن على «الولايات المتحدة أن تغير سياستها في الشرق الأوسط و «تتوب» قبل أي حوار

مع إيران أو مع المسلمين الصادقين في إسلامهم»؛ (الحياة – جهاد الخازن – ٢٢/ ١٠/ ١٩٩٩). إن ترجمة هذه المعاني الواضحة في رفض الاستكبار الأمريكي الغربي، إلى سلوك وسياسات جادة، يتطلب من أمة الإسلام أن تتحرك، وأن تنهض وأن تقاوم ... وليس سوى فلسطين .. ما يصلح كراية وعنوان لهذه النهضة ولتلك المقاومة، وليس سوى جهاد الإمام ومن تلاه من شهداء الثورة في فلسطين ما يصلح كمعبِّر فكري تنطلق عليه تلك المقاومة.

موقف الإمام الخميني (قده) من القضية الفلسطينية والقضايا العربية :

مرحلة الجهاد والنضال قبل انتصار الثورة

الدكتورة دلال عباس

دكتوراه دولة في الأدب العربي

تقديم:

يعرف كلّ من زار إيران قبل الثورة الاسلامية المباركة وأتيح له أن يتعرف ولو جزئياً إلى معالم الحياة الثقافية والفكرية فيها، ممثلة بالإعلام الرسمي المرئي والمسموع والكتب والصحف، خطورة ذلك المدّ العنصري المعادي للعرب وللّغة العربية، الذي كان أصحابه يطمحون إلى إلغاء أربعة عشر قرناً من عمر إيران المسلمة، وإحياء أمجاد الدولة الساسانية، والمحاولات الجادّة التي كان يقوم بها بعض العنصريين بإلغاء الخط العربي، وإحلال الحرف اللاتيني مكانه.

وأعتقد أن كثيرين يتذكرون تلك العبارَة الشهيرة التي كانت تكتب على الجدران:

«تكلم بزبات عربى ممنوع ست» أو عبارة «عرب كثافت»...

أو ربما شاهد البعض تلك الأفلام التعليمية التي كانت تعرض على شاشات التلفاز، فيظهر فيها العربي بدوياً متخلفاً، غزا إيران بالقوة وسلبها مجدها وعزّها.

من هنا كان سعيي لإظهار مواقف الإمام من القضية العربية قبل نجاح الثورة الإسلامية المباركة، لصعوبة التحدي الذي كان يواجهه في داخل إيران، وإن كانت الصعوبة بعد نجاح الثورة قد جاءت من أهل القضية أنفسهم.

قبل أن تتعرف جماهير الشعب في إيران إلى شخصية الإمام الخميني (قدس) وتعلنه قائداً لها ومرشداً وإماماً، كان الخمينيّ في قمّ معلماً في حوزتها، يتنافس

الطلبة على الإستماع إلى دروسه، ويحلمون باليوم الذي سيصبحون فيه في عداد تلامذته...

لقد استطاع الإمام أن يربّيَ جيلاً من طلبة الحوزة الشباب حملوا على عاتقهم مهمة النضال، في الطريق الذي رسمه المرشد، في أثناء غيابه عن الساحة مسجوناً أو منفياً، ولقد كانت محبّة جيل الحوزة الشابّ للإمام قائداً ومعلماً وأباً ومرشداً روحياً، فوق ما يتصوّره محبّوه وشانئوه، كما يتوضّح من مذكّرات تلاميذه التي نُشرت بعد انتصار الثورة[1].

ولقد كان من بين مريديه مجموعة من رجال الثورة المرموقين، الذين تشبّعوا بأفكاره وتطلعاته، ومواقفه المعلنة وغير المعلنة، وعملوا على نشرها في مختلف مناطق إيران، ولم تبق محبوسة داخل جدران الحوزة، بل انطلقت إلى مختلف المناطق الإيرانية حملها الطلبة في أسفارهم التبليغية[2]، التي كانت بالنسبة إليهم واجباً دينياً، وخيطاً يربط عامة الناس بأفكار الإمام، هذه الأفكار التي حملوها إلى حيث كانت تحطّ بهم الرحال، يستغلون المناسبات الدينية المختلفة لنشر الدعوة، ونشر أفكار الإمام، ويتعرفون في الوقت نفسه إلى احتياجات الناس، وما يعتمل في نفوسهم، وكيف ينظرون إلى الأمور.

فمنذ أن بدأ الإمام مهمة التدريس في حوزة قم، وقبل أن ينخرط في النضال السياسي المباشر، ابتداءً من العام ١٩٦٣، كان حريصاً على التركيز في دروسه على ثلاث قضايا أساسية:

١ ـ مواجهة الفكر الديني المتحجّر واخراج الدين من القمقم الذي حبس فيه

---

(١) أقصد بالتحديد مذكرات هاشمي رفسنجاني التي نُشرت بجزأين تحت عنوان «هاشمي رفسنجاني: دوران مبارزة» والتي ترجمتها صاحبة البحث الى العربية، وستصدر قريباً عن «دار الأرقم» بيروت.

(٢) كانت إحدى ميزات الدراسة في قم، تداخل التحصيل العلمي ومهمة التبليغ ونشر الدعوة، وهذه الخاصية هي التي كانت تميزها من الدراسة في النجف الأشرف. ففي حين كان الوعظ والخطابة في حوزة النجف يعدّان معيقين، لمن يبغي ارتقاء منزلة رفيعة في الفقه، كان طلبة حوزة قم يسافرون في العطل الدراسيّة للتبليغ في المناطق البعيدة، وكانت هذه الأسفار التبليغية بالنسبة اليهم واجباً دينياً متمّماً للدراسة، ووسيلة لكسب الرزق» رفسنجاني: دوران مبارزة ج ١ ص ٢٣ وص ١٢٧.

قروناً متمادية، وانتقاد رجال الدين الذين يختصرون الدين بممارسة الفرائض والشعائر الدينية منفصلة عن القضايا الوطنية والاجتماعية.

٢ ـ إظهار حقيقة التشيع كفكر إسلامي ثوري، وإخراجه من أتون الصراع المذهبي الذي أدخله فيه الصفويون في مرحلة الصراع السياسي بين الدولتين العثمانية والصفوية.

٣ ـ مواجهة التيار القومي الفارسي العنصري، الذي كان يدعو إلى إحياء أمجاد إيران القديمة قبل الإسلام.

لقد كان الإمام يصبو منذ البداية إلى حركة تدفع مصير الأمة الإسلامية كلّها، ولهذا السبب كان يولي أهمية بالغة لأسلمة المقاومة، ولم يشأ أن تظل محصورة في الحيّز القومي أو الوطني الضيّق، معارضاً هذا الخط منذ البداية وحتى النهاية[١]، وكان يرى أن الدراسة الحوزوية قاصرة، ولا يمكنها التصدي لكل ما كان يجري في الساحة الإيرانية، اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً، لذلك شجع طلبة الحوزة على مطالعة مواد غير مدرجة في برامج الحوزة، كما حثّهم على دخول الجامعة، ومتابعة دراساتهم العليا داخل إيران وفي الخارج، لبناء كوادر تتولى القيادة الفكرية في الجامعة وخارجها، يمكنها أن تردّ على الشبهات التي يزرعها العنصريون في النفوس، وتنخرط في الإدارات العامة، كي لا تظل الجامعة والمرافق الثقافية الأخرى بأيدي العنصريين والبهائيين وسدنة النظام الحاكم.

لقد حمل تلاميذ الإمام ومريدوه مهمة الدفاع عن الدين في وجه الحملات المنظمة التي كانت تشنّ ضدّه، مباشرة وغير مباشرة، من الأعداء والأصدقاء على حدّ سواء؛ ودفعوا الثمن من وقتهم وحريتهم وحياتهم: كان يقول لهم دائماً، لا تكونوا كالآخرين (يعني رجال الدين التقليديين)، وتقولوا: «لا شأن لنا بما يجري»، أو «نحن لا دخل لنا بالسياسة».

(١) رفسنجاني دوران مبارزة. م. س. ج١ ص ١٢٣.

كانت الحملة الفكرية المنظمة التي قادها القوميون العنصريون في إيران تتمحور حول نقطة أساسية تقول: إنّ الأصالة في تعريف الأمة تعود إلى العنصر والدم، وترى أنّ الشعب الإيراني مرتبط عرقياً بالأمم الآرية، وعلى الرغم من لا معقولية هذا الطرح في بلاد اختلطت فيها العناصر الفارسية والعربية والتركمانية والكردية والأوزبكية والمغولية، وتمازجت وتزاوجت طيلة أربعة عشر قرناً من الزمن، فإنّ هذا الفريق كان يبغي من وراء هذا الطرح، الإقتراب من العالم الغربي، مع ما يتبع هذا الإقتراب من تبعات وآثار، أخطرها الإنقطاع عن الأمم المسلمة غير الآرية، والإرتباط بأوروبا والغرب، بحيث يصبح الغرب المستعمر هو الصديق، والعرب المسلمون أجانب وأعداءً.

أما الفريق الآخر الذي كان يمثله آية الله كاشاني أولاً، ثم آية الله الخميني وشباب الحوزة والجامعة الذين نهلوا من معين أفكاره، فقد كان يعطي الأولوية في تعريف الأمة والوطنية والقومية، إلى النظام الفكري والسلوكي والإجتماعي للقرون الأربعة عشر الإسلامية، ويرى إلى المسلمين جميعاً ومنهم العرب غير الآريين أقارب وإخوة، ويرى إلى الغرب غير المسلم أنه أجنبي وبعيدٌ كل البعد.

لقد كان الفريق الأول يرى إلى انكلترا أولاً ثم إلى أميركا واسرائيل حلفاء وأقرباء وأصدقاء، بينما يعلن الفريق الثاني العداء للإستعمار الغربيّ بكلّ أشكاله، وعلى رأسه أميركا وصنيعتها إسرائيل، ويزرع الإمام في نفوس تلاميذه منذ البداية العداء لإسرائيل، وضرورة دعم القضية الفلسطينية بكلّ أبعادها، في الوقت الذي يُعلن فيه الحكمُ تأييدَه لإسرائيل ولحقّها في الوجود، وعداءه الصريح والمعلن للعرب، وتكون إيران الشاه ثاني دولة إسلامية بعد تركيا تلغي اسم فلسطين من كتبها المدرسية.

إن هدفنا من هذا البحث هو إلقاء الضوء على الدور الذي اضطلع به الإمام الخميني وتلاميذه ومريدوه في الردّ على الهجمة العنصرية الشرسة، التي كانت تهدف إلى إحياء أمجاد إيران في العهود السابقة على الإسلام، والتي قادها منذ

بداية القرن مجموعة من المؤرخين والكتاب الغربيين والإيرانيين، والتي تضاعفت حدّتُها في عهد الشاه محمد رضا بهلوي، وبخاصة في الستينيات والسبعينيات، داعية إلى نبذ الإسلام الذي أدخله إلى إيران الغزاة العرب، البدو الغلاظ الذين سلبوا الأمة الإيرانية عزّها ومجدها.

جاء في كتاب «تاريخ إيران» للسير جان ملكم الإنكليزي، الذي أخذ عنه كثير من المؤرخين الإيرانيين ما يلي:

«لقد بلغ غضب العرب، أتباع النبيّ العربي من لجام الفرس في الدفاع عن ملكهم وعن مذبهم، بحيث إنهم حين ظفروا بهم، تعرّضوا لكلّ ما يوجب قوة للقومية الفارسية! فدمّر كثير من البلدان، وأخمدت نيران المعابد، وقتل كثير من الموابدة المكلّفين بمباشرة الخدمة في تلك المعابد والهياكل، وأحرقت كتب الفضلاء، سواء كانت في المسائل الدينية، أو التاريخ الفارسي الإيراني، أو في مطلق العلوم والمعارف والثقافات والفنون! وقتل كل من كان يحتفظ بنسخ من هذه الكتب، إذ لم يكن العرب المتعصّبون إذ ذاك يعرفون كتاباً سوى القرآن، ولا يريدون أن يعرفوا ما هي تلك الكتب، فهم كانوا يُعدّون الموابدة مجوساً، وكتبهم كتب سحر، ونحن نستطيع أن نقيس حال كتب الفرس بحال كتب الروم واليونان، فنعرف كم بقي من تلك الكتب في مملكة كإيران»[1].

وقد تخطى بعض الإيرانيين هذا الحدّ وزعموا أن دخول الإسلام إلى إيران نتج عنه شقاء دائم للإيرانيين، وعدّوا جميع المساوىء الأخلاقية للإيرانيين المعاصرين، من نتائج غزو العرب لإيران ونفوذ الإسلام بين الإيرانيين! فقد جاء في مقالة نشرتها مجلة «الفردوسي»، يردّ فيها صاحبها على السيد جلال آل أحمد، الذي كان قد وصف في كتاب له صورة للفساد المستشري بين الشباب الإيراني في الخمسينيات والستينيات، بسبب تغرّبهم وانبهارهم بالحضارة الغربية:

«وصل هذا الإنسان الذي وصفته - يا آل أحمد - هو من هذا القرن الأخير فقط؟

(١) مطهري: الاسلام وإيران، ص ١٣٧، نقلاً عن «تاريخ إيران» لملكم الانكليزي.

كلا، لقد ظهر هذا الإنسان الذي لا عقيدة له، ولا أصالة ولا وطن، منذ أكثر من ألف وثلاثمئة عام في أرض إيران، منذ ذلك اليوم المشؤوم الذي صاح فيه حرس قصور المدائن (طيسفون) وهم بفناء أبواب البلد، وقد رأوا العرب قد أقبلوا: «جاء الجن! جاء الجن!»، لقد انعقدت نطفة هذا الولد من حرام! لقد ولد هذا المولود العجيب منذ أخطأ القائد الإيراني «فيروزان» خطّه، فاغتر بخدعة العرب في فرّهم وكرّهم، في حرب نهاوند، فخسر المعركة! ولنا اليوم منذ ألف وثلاثمئة عام رجال يتقون! لا يطمئنون إلى غيرهم بل يسيئون الظنّ بالناس، فلا يفتحون قلوبهم لغيرهم، ولا نسمع منهم نداءً ولا نقداً ولا استثناءً ولا لمَ، ولا بمَ..»[1].

وكتب هذا الكاتب نفسه في العدد التالي من المجلة:

«... بعد ألف ونيّف من السنين منذ أن غزا العرب هذه الأرض.. تغيّرت مقاييسنا الأخلاقية والروحية والقومية، وتبدّلت كيفية هجماتنا وحروبنا ومقاوماتنا إلى الضعف والذلّ والهوان، وإلى أن نطلب رزقنا من حيث يطلبه الناس، وإلى أن نكون منافقين، ولا أصالة لنا... وما أكثر الجراثيم التي فتكت بنا ولا تزال بتأثير ذلك الغزو»[2].

ونشرت مجلة الفردوسي كذلك مقالاً بعنوان «المثالية في الشعر»، جاء فيه: «نحن نعلم أن غزو العرب لإيران، كان باهظ الثمن على شعوب أمتنا التي فشلت في مقاومة العرب! وأدت هذه الهزيمة السياسية إلى هزيمة معنوية أيضاً! فالعرب كانوا يستهزئون بالحضارة الفارسية، وكانوا يدعون الفرس بينهم «موالي»... ومنعوهم من الإحتفال بأعيادهم؛ ووصفت «البادة» (الخمرة)، التي كان الفرس يشربونها على الغداء والعشاء، شراباً رجساً من عمل الشيطان، وحراماً، وأخمدت النيران في معابدنا الوطنية.

(١) م.ن. ص ١٣٦، نقلاً عن مجلة الفردوسي، العدد ٧٨٧: ٣ آبان ١٣٤٥ هـ ش (١٩٦٧).
(٢) م.ن. ص ١٣٧.

إلا أن الفرس لم يتأخروا في مقاومة هذا الغزو، وقامت الأمة الفارسية من بين رماد المذلّة والهوان، واتقد النبوغ الفارسي الإيراني متمثلاً بعلماء من أمثال البيروني والفردوسي والخيّام وابن المقفع والرودكي والدقيقي والرازي والبيهقي.. وهكذا ارتفع الكابوس المظلم»[١].

وكتب «پور داود» وكان من أعتى المحاربين لتاريخ إيران الإسلامي يقول: «... لو لم تكن الثقافة العربية قد دخلت إلى أمتنا مع الحملة العربية(!)، وكان علماؤنا كالخيام وأبي علي (ابن سينا) قد ألّفوا كتباً على نهج كتاب «وانشنامة» لأبي علي و«نوروزنامة» لكانت اللغة الفارسية اليوم أغنى وأوسع»[٢].

هذا غيض من فيض مما كتب ونشر في تلك المرحلة، التي جاء كتاب «الاسلام وإيران» للشهيد مطهري[٣]، وخطب رفسنجاني في مراكز الثورة، رداً على تلك الشبهات وعلى التحريفات التي كانت ترمي إلى تصوير العلاقات بين الإسلام وإيران على خلاف الواقع والحقيقة، وأنا نفسي عاينت الكثير من هذه التحريفات في عدد من المراجع التي عدت إليها في أوائل الثمانينيات وأواخر السبعينيات في أثناء دراستي للحقبة الصفوية، والتي كانت تصور الكثير من الحركات على مدى التاريخ الإسلامي كحركات «مقاومة إيرانية» للمد الإسلامي.

كما أنني شاهدت بأم عيني في العامين ٧٧ و ٧٨، وأنا أتابع «برامج التلفزيون التعليمي» في طهران ـ الموجّهة إلى التلاميذ في مختلف المراحل الدراسية ـ صورة العربي البدوي الذي سلب إيران مجدها وعزها، ومن ثمّ تحريف الكثير من الوقائع التاريخية...

إذاً، تلك الحملة الشعواء على العرب وعلى الدين الذي أدخلوه إلى إيران، كان أمرها يهون لو أنها ظلت مقتصرة على ما كان يكتب وينشر في المجلات والصحف

(١) م.س. ص ١٣٧، نقلاً عن مجلة الفردوسي العدد ٢٣ ردیبهشت ١٣٤٧ هـ ش (١٩٦٩م).
(٢) م.س. ص ٢٣٩ نقلاً عن جريدة اطلاعات، العدد ١٢٧٤٥ تاريخ ٢٩ آبان ١٣٤٧ هـ ش (١٩٦٩م).
(٣) كتاب الاسلام وإيران عبارة عن محاضرات ألقاها صاحبها في العام ١٩٦٨ ردا على الحملة العنصرية.

والكتب الفكرية والأدبية والتاريخية، ولكن بعد أن تغلغل المفكرون العنصريون والبهائيون في عهد محمد رضا شاه إلى جميع أجهزة الدولة ومن ضمنها وزارتا الثقافة والتربية والتعليم، أدخلت هذه الأفكار في المناهج التعليمية، لتربية الأجيال المتعاقبة من المتعلمين على كره الغزاة العرب، وتالياً على كره الإسلام ونبذه.

وفي ما يلي سأورد نموذجاً واحداً من الأفكار التي كانت تلقن لتلاميذ المدارس، يكفي لتكوين فكرة عن العداء الذي كان يكنه جهابذة التربية والتعليم للعرب وللإسلام، فقد جاء في كتاب الجغرافيا للسنة الثانية الثانوية تحت عنوان «جغرافية إيران الإنسانية» ما يلي:

«إن تأسيس كلية الطب: «جنديشابور» في خوزستان إيران على عهد الساسانيين، كما يُرينا إقبال الإيرانيين الشديد على المسائل العلمية، ونحن نجزم أنه قد دوّنت على أيدي الإيرانيين كتب ورسائل قيمة وثمينة إذ ذاك، ولكنها ضاعت - مع الأسف - على أثر حملة الأجانب، ولم يبق منها اليوم سوى أسماء بعضها. لقد كان لسيطرة العرب على إيران آثار عميقة في حياتنا العلمية والأدبية والفنية، والفنون الجميلة، فمحتها وأفنتها، ومن ناحية أخرى فرض هؤلاء الغزاة الفاتحون لغتهم وخطّهم، بحيث أخذ كثير من علماء إيران ينشرون كثيراً من آرائهم العلمية والأدبية باللغة العربية، «كابن المقفع» و«الرازي» و«ابن سينا» و«البيروني» و«الفارابي» و«الغزالي»، و«الخيام»، ووجدت اللغة الفارسية اعتبارها حين حصلت أمتنا على استقلالها السياسي على أثر الجهاد البطولي، الذي قام به الإيرانيون منذ القرن الثالث الهجري، وأخذ كثيرٌ من خطبائنا وكتّابنا المتكلمين يشكّلون بروافدهم الأدبية ينبوعاً فياضاً لأدب العالم الإنساني من أمثال: الرودكي والفردوسي والخيّام والمولوي وسعدي وحافظ ومئات آخرين من الشعراء والكتاب والأدباء من وطننا»[1].

(١) مطهري: الاسلام وإيران. ص ١٣٥. نقلاً عن كتاب الجغرافيا للسنة الثانية الثانونية. (أشار الإمام (قده) إلى هذا الأمر في وصيته السياسية الإلهية. ص ٣٠ - ٣١).

هذه الحملة التي بدأت كما ذكرنا منذ الربع الأول من هذا القرن والتي زادت حدّة في عهد محمد رضا بهلوي، كان الإمام يفنّدها أولاً بأول لتلاميذه في الحوزة منذ الخمسينيات، ثم طلب في أواخر الخمسينيات إلى عدد من الطلبة المواظبين على دروسه من أهل القلم والبيان، وذوي الحضور الفاعل في الساحة الإجتماعية، التصدي لهذه الحملات العنصرية المنظمة بإصدار نشرة إعلامية يكون هدفها التنوير، وتعميم الفكر الإسلامي المتقدم، كما طلب إليهم أن يطرحوا في هذه النشرة موضوع «القضية الفلسطينية»، وهكذا صدرت في قم نشرة «مكتب تشيع» وكانت مختلفة اختلافاً جذرياً عن نشرة «مكتب اسلام» التي كان يصدرها أنصار شريعتمداري. لم يكتب الإمام في نشرة «مكتب تشيع» ولم يشأ أن تكون منبراً إعلامياً له في وقت كان فيه الخلاف على أشده بين مراجع قم الذين كانوا يحضرون أنفسهم لخلافة آية الله البروجردي في المرجعية، ولكن الذين كتبوا في هذه النشرة كتبوا أفكار الإمام وطروحاته، وقد نشرت هذه الدورية مقالة عن فلسطين في العام ١٩٦٠، كانت أول مقالة تتطرق إلى موضوع القضية الفلسطينية في إيران، استعان كاتبها. رفسنجاني بكتاب «القضية الفلسطينية» لأكرم زعيتر مرجعاً لكتابتها، وكان لهذه المقالة أصداء دفعت صاحبها إلى ترجمة الكتاب نفسه بعد ذلك.

في العام ١٩٦٣ م، يصدر الإمام بياناً يشرف على توزيعه في قم حجة الإسلام محمد منتظري، يحرم فيه الإحتفال بعيد النوروز. وإمعاناً من الشاه في تكريس نظام حكمه كاستمرار للعهد الساساني يعلن عن التحضير لإقامة احتفالات التتويج بمناسبة ذكرى الألفين وخمسمئة عام على قيام الأمبراطورية الساسانية، فيصدر الإمام بياناً يحرّم فيه هذه الإحتفالات. وفي عاشوراء من العام نفسه يعلن الإمام إحياء عاشوراء وتجديد العهد لرسالة عاشوراء، وإظهار وجهها الثوري، ويتولى الطلبة توزيع بيان الإمام في جميع المدن الإيرانية، ويُعتقل الإمام، ويخيم على قم والمدن الإيرانية الأخرى جو من الضغط والإرهاب، فيستغل رفسنجاني الوقت الضائع، ويترجم كتاب «القضية الفلسطينية» لأكرم زعيتر، الذي كان سفيراً

للأردن في إيران في تلك المرحلة، فيعدّ الساقاك الكتاب من الكتب المضرّة بأمن الدولة، ويوضع صاحبه تحت المراقبة[1]، وجاء هذا العمل مناسباً في توقيته ومؤثّراً في بلورة الرؤية السياسية للحوزة... وقبل نهاية العام، يفرج عن الإمام وتُنظّم الإحتفالات لاستقباله في قم، ويكون هذا التنظيم مقدمة للعمل الطلابي الجماعي، وصورة عن فاعلية تنظيماته.. وحين اعتُقِلَ عدد من الطلبة في العام ١٩٦٤م، بعد نفي الإمام إلى تركيا، تمحورت الأسئلة التي وُجّهت إليهم في أثناء التحقيقات حول علاقتهم بالإمام، وتركّزت الأسئلة التي وُجّهت إلى رفسنجاني بالتحديد، على كتاب «القضية الفلسطينية» وتفاصيل الطبع والنشر، بهدف معرفة الشخص أو الجهة التي كانت وراء هذا العمل، وما هو قصده من وراء كتابة المقدمة التي يتحدث فيها عن الإستعمار، والتي تسيء إلى أصدقاء إيران[2]، ثم يعمد الساقاك إلى مصادرة الكتاب من المكتبات، فيرسل أكرم زعيتر في ٢٨ ـ ١٢ ـ ١٩٦٤ رسالة إلى قائد الساقاك يقول فيها: «كما تعرفون، إن كتابنا «القضية الفلسطينية» قد ترجم إلى اللغة الفارسية، وقد أسعدنا هذا الأمر لأنه يتيح لمثقفي هذا البلد الأخ والصديق الفرصة ليطلعوا على قضيتنا المقدّسة، وبخاصة أن المكتبات هنا لا تخلو من كتب تعكسُ النظرية الصهيونية الباطلة، وقد ازداد أسفُنا حين علمنا أن مديريات الأمن في المحافظات، قد أمرت بجمع نسخ الكتاب من المكتبات ومنعت بيعها، وأخطرت صاحب المطبعة بأنها ستقفل مطبعته.

لا أريد أن أعطي أي تفسير لهذه التصرفات، ولكنني أكتفي بأن أحيل هذه

---

(١) جاء في تقرير الساقاك رقم ٢٢ تاريخ ١٠ - ١٣٤٣ (١٩٦٤) ما يلي: «إن كتاب «سركزشت فلسطين» (القضية الفلسطينية). تأليف أكرم زعيتر وترجمة أكبر هاشمي رفسنجاني، الذي طُبع دون إذن مسبق من وزارة الثقافة يتحدث بصورة مجملة، عن تاريخ تقسيم الأراضي الفلسطينية بين البلاد العربية واليهود المقيمين في فلسطين. وتدخل الدول الإستعمارية (بحسب مصطلح المؤلف) انكلترا وأميركا في البلاد المذكورة. حيث يشرح المؤلف هذا الموضوع بتعابير فاقعة، ثم يعمد الى تقبيح أفعال الدول المذكورة، وبخاصة انكلترا ودورها في تأسيس دولة اسرائيل...» ويتابع المخبر بقوله: إذا أخذنا في الإعتبار العلاقات الودّية التي تربط دولة شاهنشاهي إيران وانكلترا والولايات المتحدة، فإنّ الإستمرار بنشر مضامين الكتاب المذكور أعلاه مضر بمصالح البلاد العليا». راجع رفسنجاني: دوران مبارزة ج ٢ ص ١٥٦٠.

(٢) رفسنجاني م.س. ج ١ ص ٤٤٢.

القضية ذات الهدف الإنساني المحض إلى جنابكم، وأنا متأكد أنكم لا توافقون على مثل هذه التصرفات، وستأمرون بإعادة النسخ المصادرة[١].

وعلى الرغم من الملاحقات والإعتقالات، ونفي المرشد، استمر تلاميذ الإمام، في المناسبات الدينية المختلفة، في المراكز التي كانت منطلقاً للمقاومة[٢]، في طرح الوجه الثوري للتشيع، والردّ على ما كان يُشاع في إيران من عداء للعرب، وتأييد لإسرائيل، والحث على دعم العرب والفلسطينيين والمقارنة بين الخميني وبين العلماء الآخرين الذين لا هم لهم سوى إقامة صلاة الجماعة[٣] لا ينصرون حقاً ولا يحاربون باطلاً. لقد كانت تلك الخطب مهمة وفاعلة من ناحيتين:

سياسياً: لا يحتاج دورها في تأجيج نار المقاومة إلى توضيح.

ثقافياً: كانت ردّاً على الإيديولوجيات المعادية للعرب وللمسلمين من ناحية أخرى.

هذه الخطب نهلت من معين الدروس التي ألقاها الإمام في العام الفاصل بين سجنه وبين نفيه إلى تركيا، والتي تخلّلتها خطب تاريخية مطوّلة، تعرض نقاط الصراع وقضاياه، وتحدّد توجهاته.

وتأتي الحرب العربية الإسرائيلية في العام ١٩٦٧ م، فلا يخفي الحكم تعاطفه مع إسرائيل دون مراعاة لمشاعر الشعب الدينية، فيصدر الإمام من منفاه في النجف بياناً يحرّم فيه بيع النفط للدول التي تمدّ إسرائيل بالأسلحة، كما يعلن أن أي علاقة مع إسرائيل مهما كان نوعها أو درجتها حرام، وكان هذا أول الغيث، وقد أصدر

---

(١) م.م. ج١ ص ٢٥٠.

(٢) هذه المراكز في طهران هي عبارة عن «مسجد قائمية» في جسر سيمان. مجالس تجويد القرآن في جنوب طهران «مسجد موسى بن جعفر»، «مدرسة الحاج أبو الفتح في طهران» «مسجد هدايت»، «منتدى هيئة أنصار الحسين»، «الهيئة الزينبية»، «حسينية الارشاد»، «مدرسة الرفاه». إضافة الى المحافل الجامعية، ومساجد المحافظات والقرى البعيدة. أما رجال الدين الذين كانوا تحت المراقبة فمنهم: هاشمي رفسنجاني، أبو القاسم خزعلي، علي أصغر مرواريد، الشهيد محمد علي منتظري، الشيخ مهدي رباني، السيد محمد رضا سعيد خراساني، السيد محمود طالقاني، السيد أبو الفضل الموسوي الزنجاني، لاهوتي، والسيد علي غيوري، والسيد علي الخامنئي..

(٣) م.ن. ج١ ص ٢٥٧ الكلام لرفسنجاني.

علماء آخرون، منهم منتظري وطالقاني بيانات مماثلة، وكان البرنامج الفارسي اليومي في إذاعة بغداد، يبثّ أحاديث الإمام وأقواله، فتتهيّج مشاعر أنصاره، وتقوم في طهران في ١٧/٣/١٣٤٦ هـ ش (١٩٦٧)، تظاهرات شعبية معادية لإسرائيل، يقمعها رجال الأمن بالقوة، ويعتقل آية الله غروي بتهمة التعاطف مع الخميني والإخلال بالأمن والسيادة،[١] ويمعن الشاه في تحديه لمشاعر الشعب الدينية، فيعلن بعد ذلك بأشهر معدودة تأييده لحق إسرائيل في الوجود[٢]، فيصدر الإمام والعلماء الآخرون بيانات معادية لهذا الموقف، ويتصدى إعلام الثورة لهذا الأمر، فتلقى الخطب في المقرات والمراكز المختلفة، يحمل فيها أصحابها على قلة اكتراث رجال الدين بما يجري[٣]، ويندون بالجرائم التي ترتكبها إسرائيل بحق العرب، ويشبهون هذه الجرائم بما كان الألمان قد اقترفوه بحق اليهود، وبخاصة أن إعلام النظام والقوى المؤيدة لإسرائيل ركّزت على موضوع اليهود الذين أبيدوا في المحارق النازية، لطمس فظاعة المجازر التي ارتكبتها إسرائيل بحق العرب[٤]، وبسبب التعتيم الإعلامي هذا كان أنصار الثورة يضطرون إلى الحصول على الصحف العربية بصورة سرية من السفارات العربية، وما أكثر الذين كانوا يُستجوبون، إذا شوهدوا داخلين أو خارجين من إحدى هذه السفارات[٥].

كان إعلام الثورة يندد باعتراف الشاه بالدولة الهجين التي تجمّع فيها اليهود من أقاصي الأرض، وأخرجوا السكان الأصليين من منازلهم واحتلوها، في حين كان الإعلام الرسمي يصوّر إسرائيل دولة مسالمة، محاطة بالوحوش، اضطرت أن تدخل الحرب لتدافع عن نفسها، وكان يذكّر الإيرانيين باحتلال العرب لبلادهم منذ

---

(١) رفسنجاني م.س. ج٢ ص ١٥٦١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) صحيح أن الثورة قادها الخميني وهو رجل دين ومؤيدوه وتلامذته وهم في غالبيتهم من رجال الدين ولكن عددهم كان محدوداً جداً إذا قورن بأعداد رجال الدين وآيات الله الذين لم يحرّكوا ساكناً في تلك المرحلة.

(٤) رفسنجاني . م.ن. ج١ ص ٧٦٩. وص ٥٩٤ وج٢ ص ١٥٦١.

(٥) بتاريخ ٢/٧/٤٦ هـ. ش (١٩٦٧) استجوب رفسنجاني لتردده على سفارة الكويت للحصول على الصحف العربية.

أربعة عشر قرناً، ومعنى ذلك أن إيران فقدت هويتها لأنها لم تتمكن من الوقوف في وجه العرب، في حين استطاعت اسرائيل أن تعوّض عن تلك الهزيمة، بهزيمتها للعرب مجتمعين[١].

كان من الطبيعي أن يكون الردّ على هذا الكلام خطباً لقادة الثورة يركّزون فيها على تعذيب الإسرائيليين للأسرى العرب والفلسطينيين، وتقارن بين سجون إسرائيل وسجون إيران[٢]، بعد أن ذاق عدد منهم طعمها.

ومع الإستعداد لإقامة احتفالات الذكرى الألفين وخمسمئة على تأسيس الأمبراطورية الساسانية، وردّاً على بيان الإمام بتحريم هذه الاحتفالات والمشاركة فيها، ومع تغلغل البهائيين وسيطرتهم على المرافق الإدارية والثقافية في البلاد[٣] تزايدت أمواج التعصب والعنصرية التي أخذت تشيع أن الإسلام دين أجنبي وأن العرب البدو والقساة الغلاظ، غزوا إيران، وفرضوا على الشعب الإيراني الاسلام بالقوة، وفعلوا كذا وكذا...

لذلك تصدى إعلام الثورة بالرد على هذه الافتراءات، وكانت خطب الشهيد مطهري[٤] ورفسنجاني وباهُنر وغيرهم توضح هذه الأمور، وتشرح للناس ماذا قدم الإسلام لإيران، ولماذا اعتنق الإيرانيون الإسلام، وأن الأيدي التي غذت الخلاف بين السنة والشيعة، والأيدي التي أوجدت البهائية والوهابية هي وراء الأصوات القائلة إن الإسلام دين غريب عن إيران، والتي تمجد إيران الساسانية[٥].

يقول رفسنجاني في إحدى خطبه: «إن الكلام كثير اليوم حول إيران القديمة،

---

(١) رفسنجاني م.س ج١ ص ٣٠٥ و ٧٦٩ و ٧٧٥.

(٢) في تقرير للساڤاك بتاريخ ١٨/ ١٠/ ٤٧ (١٩٦٩)، ينتقد فيه مخبر الساڤاك رفسنجاني لاستخدامه في خطبته لفظة «إخواننا العرب».

(٣) رفسنجاني م.ن. ج٢ ص ١٥٦٢.

(٤) راجع الإسلام وإيران للشهيد مطهري، فهو يضم مجموعة محاضراته التي ألقيت في هذا السياق العام ١٩٦٨.

(٥) رفسنجاني م.ن. ج٢ ص ٩٠٢.

ولا مانع من معرفة ما كانت عليه إيران في العهد الساساني، والتاريخ القديم لهذه البلاد، ومآثر الأجداد - إن لم يكن وراء ذلك مخططات خطرة - فلنتذكر تاريخنا السابق للإسلام، ولنطّلع عليه، ولكن الكلام الذي يقال باسم الوطنية، والحديث عن مفاخر إيران القديمة وراءه ما وراءه، ما هي الغاية من الكلام على مزدك وماني والأفستا، وخسروپرويز ويزدجرد والأكاسرة؟ ما معنى دموع التماسيح التي تذرف من أجل القدماء، ووضع الأفستا مقابل القرآن؟ هم يعلمون أن الناس لن يعودوا إلى عبادة النيران، ولن يتخذوا الأفستا كتاباً مقدساً لهم. إن الكلام على حملة المسلمين على إيران وتمزيقهم للتحف الفنية من رسوم وسجّاد وإبادة المكتبات الإيرانية، وأمثال هذه الأقوال، الغاية من ورائها القول إن الإسلام دين أجنبي، جاء إلى إيران من خارج حدودها الجغرافية في صدر الإسلام في حكومة عمر (رض): أولاً هم الذين تخلّوا عن الأفستا أمام منطق القرآن، وكتاب الأفستا المدوّن هذا كُتب في القرن السابع الهجري... لماذا لا يذكرون اسم ابن سينا أو الخواجة نصير الدين الطوسي، ولا يجرون الأبحاث عنهما..؟ ويقول مخبر الساڤاك إن المذكور انهى خطبته بقوله: «اللهم قصّر شرّ اليهود وإسرائيل وأعدائها عن المجتمعات الإسلامية»[1].

في هذه المرحلة أيضاً، وليتمكن زعماء الثورة من معرفة ما يجري في الأراضي العربية المحتلة وليتمكنوا من قراءة الصحف العربية أو الإستماع إلى الإذاعات العربية، شكلوا جلسات أسبوعية لتعلّم اللغة العربية تكون ذريعة لتبادل أشرطة التسجيل (تسجيل الأخبار)، ولتبادل الصحف وقراءة الأخبار المهمة وشرحها، كدرس لغة عربية، وفي تقرير للساڤاك تحت رقم ٥٩٨١٢ تاريخ ٧/ ١١/ ٤٨هـ.ش (٦٩)، يقول: «بناءً لسوابق الأفراد المشاركين في هذه الدروس، لا يمكن أن يكون عقد مثل هذه الجلسات بريئاً ودون هدف خاص، لذلك نطلب إليكم مراقبة جلسات

(١) تقرير الساڤاك رقم ١١٧٩ في ١٠/ ١١/ ٤٨ (٦٩): رفسنجاني ك.ن. ج٢ ص ٩١٦.

هؤلاء الأفراد، وما يعرض في الدروس، للحصول على مستندات حيّة تدين هؤلاء الأشخاص»[1].

ولهذا الغرض نفسه وتأكيداً على مراقبة الساڤاك لهذه الجلسات التي تعطى فيها دروس باللغة العربية، والتي كانت تتشكل في منازل الأفراد، جاء في تقرير الساڤاك رقم ٣٣ ٥١ ١ تاريخ ١/٣/٤٩ (٧٠)، وموضوعه: (جلسة عدد من رجال الدين المتطرفين مؤيدي الخميني) ما يلي: «من الساعة الثالثة وحتى الخامسة، عقدت في منزل الشيخ حسين كاشاني جلسة شارك فيها كل من علي أصغر مروارید وحسين كاشاني، وجعفر شجوني، والسيد علي غيوري والسيد صادق عسكري، واكبر هاشمي رفسنجاني، وإمامي كاشاني، وقد وضع عسكري في آلة التسجيل شريطاً كان قد سجّل فيه الأخبار عن إذاعتي مصر والأردن، بقصد تعلم اللغة العربية، وكان يشرح الكلمات الصعبة.. وأخرج بعد ذلك صحيفة «الجمهورية» التي تطبع في بغداد، وقال لأصدقائه إن دخول هذه الصحيفة إلى إيران ممنوع، ولكنّ صديقاً لي يعمل في السفارة العراقية هو الذي أحضرها لي، وقد استعار مروارید هذه الصحيفة منه بقصد التمرن على اللغة العربية»[2].

في ٢/٢/١٣٤٨ هـ ش (١٩٦٩) يدعو آية الله سعيدي أحد المكلفين بنشر بيانات الخميني وأقواله إلى الإلتزام بوصايا الإمام، وانتقد بشدة علاقات الصداقة التي تربط الحكم البهلوي بالصهاينة الغاصبين، فيعتقل، ويستشهد في ٢/٣/٤٩ (٧٠) تحت التعذيب، ويتذرع الحكم بالتحضير لاحتفالات التتويج، رداً على التحركات الجديدة لقوى الثورة ولمواقف الإمام في النجف، فيعمل على نفي ممثلي الإمام في قم، وتقتحم قوات الأمن مكتبته كرد فعل احترازي على نشاطات وتحركات ممكنة الحدوث، ويصادف استبدال التاريخ الشاهنشاهي بالتاريخ الهجري، إحراق المسجد الأقصى، فيؤجج مشاعر أهل الثورة وأحاسيسهم، وفي

(١) تقرير الساڤاك رقم ٥٩٨١٢ تاريخ ٧/ ١١/ ٤٨ عن رفسنجاني م.ن. ج٢ ص ٩٤١.
(٢) م.ن. ج٢ ص ٩٧٥.

الوقت نفسه يؤكد على ابتعاد رجال الدين التقليديين الذين لم يحرّكوا ساكناً، عن خط الإمام وثورته، وقد بدأ هذا الخلاف يبرز يوماً بعد يوم، فيصدر الإمام بياناً ينتقد فيه العلماء المشهورين المعادين للثورة، الذين لا ينصرون الحق، ولا ينتقدون الباطل، وقد سماهم فيه: «فقهاء البلاط»[١].

ما أن يتوفى عبد الناصر في العام ١٩٧٠ ويتولى أنور السادات رئاسة الجمهورية في مصر، حتى تعود العلاقات السياسية بين مصر وإيران، بين ليلة وضحاها، وكأن كلّ شيء كان معدّاً سلفاً، مترافقةً مع تدفق الإستثمارات الأميركية على إيران[٢]. وفي المرحلة نفسها تقدّم الدولة قطعة أرض في شيراز للبهائيين هبة لبناء «حظيرة القدس»[٣].

وأعلنت وسائل الأعلام الرسمية عن إقامة مباراة كرة القدم بين إسرائيل وإيران في ملعب الأمجدية، فترتفع أصوات العلماء المجاهدين ردّاً على هذا الحدث، معلنين العداء لإسرائيل، وتحريم أيّ تعامل معها، مهما كان نوعه؛ ويتظاهر طلاب جامعة طهران، ويرفعون شعارات معادية للشاه وللصهيونية[٤]، فيقمع الحكم هذه التظاهرات بعنف شديد.

وفي العام نفسه يصدر العلماء المجاهدون بياناً يعلنون فيه اعتراضهم على استخدام النفط الإيراني لمد آلات أعدائهم الحربية بالوقود[٥]، والقيت خطب تحث على مساعدة اللاجئين الفلسطينيين، وتتحدث عن نضال الشعب الفلسطيني والمجازر التي ارتكبها الصهاينة بحقه، ويعلن الإمام أن الحرب بين الفلسطينيين واليهود متواصلة، وأنها حرب دينية، والدليل على ذلك إحراق المسجد الأقصى،

---

(١) رفسنجاني م.س. ج١ ص ٤٠ ص ١٥٦٢.

(٢) م.ن. ج١ ص ٣١.

(٣) م.ن. ج٢ ص ٩٧٣ كما جاء في تقرير الساڤاك رقم ٣٣ ٥١ ١ تاريخ ٨/٣/٤٩ (١٩٧٠).

(٤) م.ن. ج٢ ص ١٥٦٤

(٥) م.ن. ج٢ ص ١٥٦٤

محاولاً بثّ روح النخوة لدى الإيرانيين وهم يرون يهود إيران يرسلون المساعدات لإسرائيل[1].

ويركز أعلام الثورة على هذه النقطة في خطبهم، وفي جلسة شارك فيها حوالى الألف شخص خطب رفسنجاني قائلاً:

«كيف نكون مسلمين وحولنا جائعون بلا طعام ومرضى بلا دواء، ومسلمو فلسطين تحت ضغط الإستعمار الصهيوني، وفي كلّ لحظة تنصبُّ فوق رؤوسهم قنابل الناپالم، وآلاف المسلمين في السجون الإسرائيلية في العراء، معرّضين لأشعة الشمس الحارقة، ونحن غير مكترثين، في حين يرسل يهود إيران مساعدات لإسرائيل، نحن يجب ألا نكتفي بالقول لماذا يفعلون ذلك، ولكن علينا أن نقوم نحن كذلك بواجبنا»[2].

في ٩/ ١١/ ١٣٤٩ هـ ش (١٩٧١)، يوزع بيان الإمام الخميني الذي يدعو فيه الحجّاج الإيرانيين إلى طرح «القضية الفلسطينية» في مراسم الحج، وشرحها لحجّاج العالم، وقد كان من نتائج هذا البيان، الذي وُزِّع بصورة مكثفة في جميع أنحاء إيران، أن طرح العلماء المجاهدون هذا الموضوع في خطبهم الأسبوعية، واعتقل آية الله ناصري[3] لهذا السبب. وفي خطبة لرفسنجاني بهذه المناسبة يقول: «... منذ مئات السنين قام المستعمرون الصليبيون وحاربوا العالم الإسلامي، واليوم زرعوا إسرائيل في قلب العالم الإسلامي» وتابع قوله.. «في هذه الأيام تسير قوافل الحجاج إلى مكّة، على رجال الدين أن يشرحوا جوهر الدين لمسلمي العالم المجتمعين هنالك، وينقّوا الدين من الانحرافات التي علقت به، وبدلاً من أن يهجمَ الحجّاج ويتدافعوا نحو «الحجر الأسود» لتقبيله ويقتلوا أحدهم تحت الأرجل، فليتدافعوا نحو صناديق مساعدة اللاجئين الفلسطينيين...» وأنهى خطبته بعبارات معادية

(١) م.ن. ج ٢ ص ١٠٥٤ تقرير الساڤاك رقم ١١٩٠٧.
(٢) رفسنجاني ج ٢ ص ١٠٥٧: تقرير الساڤاك رقم ١٢٠٧٠ تاريخ ٩/ ١٢/ ٤٩ (١٩٧١).
(٣) م.ن. ج ٢ ص ١٥٦٥.

الصهيونية والإستعمار الغربي، وأعلن عن ضرورة مساعدة «إخواننا (كما قال) الفلسطينيين بالمال والأرواح»[١].

في هذه المرحلة بالذات كان هنالك علماء كبار يسمح لهم ضميرهم الديني، ونظرتهم المذهبية الضيقة (الموروثة منذ العهد الصفوي وعمرها ٤٠٠ عام)، بأن يمتدحوا اليهود ويهاجموا العرب (لأن غالبيتهم من أهل السّنة)، فيتصدى لهم إعلام الثورة شارحاً جذور الصراع المذهبي بين السنة والشيعة الذي تجذر في مرحلة الصراع العثماني الصفوي، مبيناً ابتعاد ملوك الصفوية عن جوهر الدين الاسلامي على الرغم من مبالغتهم في إحياء الشعائر المذهبية. وكانت مقالات شريعتي مؤثرة في هذا المجال، وكذلك خطب مطهري ورفسنجاني[٢] ركّزت على هذا الموضوع.

وحين دارت رحى الحرب العربية الاسرائيلية الثانية، كان موقف الدولة الرسمي مؤيداً لإسرائيل، وصار كل من يتطرق إلى الكلام على نضال الفلسطينيين أو مساعدة العرب يُتهم بالتآمر على أمن الدولة، وفي خطبة ألقاها رفسنجاني في «منظمة الشباب العلمية في قزوين» قال: «إن الإسلام اليوم ضعيف إلى درجة أن سبعمئة مليون مسلم، لم يستطيعوا الوقوف بوجه مليون صهيوني أوجدتهم أميركا والإنكليز والفرنسيون، والقدس اليوم، أحد الأماكن الإسلامية المقدسة، تحت سلطة اليهود».. وقال: «إنّ المسلم الحقيقي هو الفدائي الفلسطيني الذي يستطيع بالرشاش أو بالقنبلة على الرغم من المشقات التي يتكبدها والعطش والإختباء في المغاور، أن يقتل جندياً صهيونياً، أما المسلم الذي لا همّ له سوى زيارة الأماكن المقدّسة وقراءة القرآن والصلاة لنيل ثواب الآخرة فليس مسلماً». وعلى أثر هذه الخطبة يُتهم رفسنجاني بأن كلامه مضر بمصلحة البلاد العليا، ويؤمر بمغادرة المدينة»[٣].

---

(١) م.ن. ج٢ ص ١٠٤٦ : من الملاحظ ان مخبر الساڤاك يركز على عبارة (اخواننا الفلسطينيين) ومن أجلها ربما وضع تقريره.

(٢) م.ن. ج٢ ص ٩٧٣ تقرير الساڤاك رقم ٢٣ ٥١ ١ تاريخ ٨/٣/٣٤٩ ١ هـ.ش (١٩٧١).

(٣) رفسنجاني م.س. ج٢ ص ١١٤٤، تقرير الساڤاك رقم ٢٠٦٣ تاريخ ٣١/٥/١٣٥٠ هـ.ش (٧٠/ ٧١م).

في ١٩/٨/ ١٣٥١ (١٩٧٢)، يوجّه الإمام رسالة من النجف يعلن فيها دعمه للمجاهدين الفلسطينيين، ويدعو إلى مساعدة ضحايا الإعتداءات الإسرائيلية، ويُفتح حساب لهذا الغرض في طهران باسم العلامة الطباطبائي والشهيد مطهري ورفسنجاني[١].

وفي الرسالة نفسها يؤكد الإمام على ضرورة توطيد العلاقة بين شباب الحوزة وشباب الجامعة، وتتوالى الخطب والمواقف المؤيّدة للقضية الفلسطينية والمناصرة للعرب، واضعة الشاه وإسرائيل في جبهة واحدة، مثيرةً مشاعر الناس ضدّه، وضدّ الصهيونية. في هذا الوقت كانت العلاقات بين إيران ومعظم الدول العربية قد توتّرت، وزادت أمواج الإعتقالات السياسية والتظاهرات والإعدامات، وعمّ الإضطراب والغليان الجامعات، وبخاصة الإضراب الذي عمّ جامعة تبريز والتظاهرات والتفجيرات التي رافقت زيارة نيكسون لطهران؛ وتحسباً لما يمكن أن يحدث في رمضان، أعلنت قيادة الساڤاك أسماء العلماء من أنصار الخميني المحظور عليهم الكلام (ممنوعي المنبر)، واقتحمت مراكز الثورة، وتعرضت حوزة قم لاقتحام واسع، ونُفِيَ عددٌ من مدرسيها ووضع آخرون تحت المراقبة[٢].

في هذه المرحلة كانت شبكة العلاقات قد توسّعت، وصار للثورة قواعد في اوروبا وفي سوريا ولبنان، وقد جاء في أحد تقارير الساڤاك ما يلي:

«... تبيّن من مراقبة رسائل بعض المتطرفين أن هنالك نشاطاتٍ تخريبية سرية يقوم بها عناصر الجبهة المذكورة والمتطرفون من رجال الدين في فرنسا ولبنان وأميركا... وهذه خلاصة لبعض الإجراءات التي قمنا بها:

١ ـ معرفة عناوين أصحاب الرسائل بواسطة قسم مراقبة صناديق البريد.

٢ ـ إعطاء التعليمات والأوامر إلى المندوبين لمعرفة الشبكات العاملة في ألمانيا وأميركا وانكلترا وفرنسا ولبنان، والطلب إلى ممثلينا في الكويت وتركيا، اختيار

(١) رفسنجاني م.ن. ص ١٤٧.
(٢) م.ن. ج ١ ص ٤٧.

بعض العناصر وتدريبهم وإرسالهم إلى لبنان، لاستقصاء المعلومات عن الفدائيين في لبنان والتغلغل في صفوفهم»[١].

وفي خطبة ألقاها رفسنجاني في مقر «هيئة أنصار الحسين» في ١٣٥٠/٣/٢١ هـ. ش (١٩٧٢) يقول:

«نحن مثل اليهود، نعدّ أنفسنا أرفع مقاماً من الآخرين، ونتصور أن الأعمال كلّها تتحقق بالدعاء وتلاوة القرآن. الدعاء يحتاج إلى عمل يسانده، لا أن نقول إن الأئمة هم الذين سيحققون لنا الأهداف، لقد فكر الفلسطينيون على هذا النحو، وظنوا ان الحكام العرب سيعيدون لهم فلسطين، لكنهم حين أعادوا حساباتهم رأوْا أنَّ عليهم أن يتحركوا، فتسلحوا ووقفوا بمواجهة الصهاينة، وإن لم يكونوا قد انتصروا في هذه السنوات الأربع فإنَّ المستقبل أمامهم. لدى الفدائي الفلسطيني اليوم مدفع رشاش وقنابل، ولا يستطيع أحدٌ أن يتجاهله، حين يُمضي الفدائي أسبوعاً كاملاً في الصحراء ليتمكن من القضاء على عدد من الصهاينة، هل سيكون حسابه وحسابكم سواء؟ في يوم الحساب تعرف المصائر...»[٢].

وفي رسالة موجّهة من رفسنجاني إلى السيد الخميني في ١٣٥٠/٨/١ (١٩٧٢)، يتضح أن أنصار الخميني كانوا يتابعون أحاديثه من إذاعة بغداد، وكانت خطبه تسجّل على أشرطة تسجيل، وتُسمع في أماكن مقفلة، ونستنتج أن الخطب التي كان يلقيها العلماء المجاهدون في مراكز الثورة، لم تكن سوى تفصيل وتوضيح للأفكار المجملة التي كان يتطرق إليها الإمام، كما نستنتج من الرسالة أيضاً انتقاد عدد كبير من كبار رجال الدين للإمام، ومما جاء في الرسالة مؤيداً لما نقول: «إن أحاديثك وبياناتك الأخيرة، كانت شديدة التأثير في جماهير الشعب، مع أنها أزعجت بعض رجال الدين، ودفعتهم إلى القيام أحياناً ببعض ردود الفعل»[٣].

---

(١) رفسنجاني م.س. ج٢ ص ١١٩٤: جزء من تقرير للساڤاك بتاريخ ١٣٥٠/٨/١ هـ. ش (١٩٧٢).
(٢) م.ن. ج٢ ص ١١٦، تقرير الساڤاك رقم ١٣٦٢ في ١٣٥٠/٣/٢١ هـ. ش (١٩٧٢م).
(٣) م.ن. ج٢ ص ١١٩٧.

في ١٩/٨/ ١٣٥١ (١٩٧٣)، وجه الإمام إلى الأمة رسالة يعلن فيها دعمه للمجاهدين والمقاومين الفلسطينيين[١]، وفي ٢٣/٦/ ١٣٥٢ (١٩٧٤)، يعلن أن الخطر الأساسي على الإسلام والمسلمين هو العلاقات السياسية بين إيران من ناحية وامريكا واسرائيل من ناحية ثانية[٢]، ويأمر بوجوب التبرع بربع سهم الخمس للمجاهدين الفلسطينيين، ومتضرري الاعتداءات الإسرائيلية، ويعلن العلماء المجاهدون عن فتح حسابات لهذا الغرض. وفي تقرير الساڤاك التالي نصّه صورة عما كان يجري في تلك المرحلة، يقول التقرير:

«في جلسة مجلس جاويد، وفي أثناء الحديث قال محمد مدير شانه چي لأصدقائه: «إذا كنتم تعرفون أشخاصاً يرغبون في التبرع للعرب وللمنظمات الفلسطينية، أرشدوهم لكي يسلّموا أموالهم إلى الشيخ رفسنجاني ليرسل هذه الأموال بواسطة سفير مصر إلى الفدائيين الفلسطينيين باسم مقلّدي الإمام الخميني. فقد جرى حديث مع سفيري مصر وسوريا ليفتحا حساباً باسمهما ليتمكّن الناس من وضع تبرعاتهم في هذا الحساب دون أن يتعرضوا للمشكلات». وقال هاشمي رفسنجاني كذلك: «انه كان مدعواً إلى الإفطار في أحد الأماكن وهنالك التقى بممثّل سفير مصر الذي اشتكى من معاملة رجال الأمن والمخابرات وقال: إنهم يضيقون علينا كثيراً».

ويعلق المخبر بقوله: «لقد تم فعلياً فتح حساب باسم سفارتي مصر وسوريا، ويستنتج من ثنايا الخبر أن رفسنجاني على علاقة بهاتين السفارتين ويعمل لحسابهما»[٣].

وفي تقرير الساڤاك رقم ٣١٢/١٢١٠٤ تاريخ ٥/١٢/١٣٥٢ هـ.ش (١٩٧٤) «إن إدارة الساڤاك طلبت إلى جميع فروعها التحقيق بشأن المساعدات

(١) رفسنجاني م.ن. ج٢ ص ١٥٦٦.
(٢) رفسنجاني م.ن. ج٢ ص ١٥٦٦.
(٣) تقرير الساڤاك رقم ٧١٤ تاريخ ٩/٨/٥٢هـ. ش (٧٤) نقلاً عن رفسنجاني م.س ج٢ ص ١٣٦٣.

المقدمة إلى الفلسطينيين، لأن جمع الأموال لمساعدة دولة مصر وجمع الأموال للفلسطينيين موضوعان مختلفان، فبالنسبة إلى مساعدة دولة مصر، فإن بعض المتعصبين دينياً، الذين لهم آراؤهم الخاصة بالنسبة إلى موضوع الحرب بين العرب واسرائيل، قد قدموا المساعدات إلى دولة مصر بعد أن فتحت سفارتها حساباً خاصاً. ولكنَّ مسألة جمع الأموال للفلسطينيين موضوع مهم جداً. لذلك يُرجى أن يتم التحقيق بواسطة المخبرين والمتعاونين عن صحة موضوع جمع الأموال بواسطة الأفراد المذكورين في التقرير السابق[1] للفلسطينيين، ومعرفة إذا كانت الأموال التي جُمِعَتْ قد حُوِّلت إلى أحد المسؤولين في إيران أو أنها أرسلت بصورة سرّية إلى الفلسطينيين؟ ومن هم المحرضون للقيام بهذا العمل؟ ومن أي طريق أرسلت هذه الأموال؟ ومن هم الذين تولوا عمليات الجمع؟

يجب أن تعلموا المديرية بكل التحقيقات العادية، أو أي نوع من انواع المعلومات عن نشاطات هؤلاء الأفراد، أو الذين تكشف التحقيقات عن وجودهم، وكل المعلومات التي تساعد في جلاء الموضوع»[2].

في العام نفسه في ١٦/٨/٥٢ (١٩٧٤) دعا آية الله الخميني زعماء المسلمين في رسالة وجهها إليهم الإتحاد لمقاومة إسرائيل الغاصبة جاء فيها: «لو أن رؤساء الدول الإسلامية تركوا خلافاتهم الداخلية وتعرّفوا إلى الأهداف السامية للإسلام ومالوا إليه، لما أصبحوا أسرى وأذلاء للإستعمار. إن خلافات رؤساء الدول الإسلامية التي أوجدت مشكلة فلسطين هي العائق دون حلّ هذه المشكلة»[3].

وكانت زيارة رفسنجاني في العام ٥٣ / ١٣٥٤هـ. ش (١٩٧٦) لسوريا

---

(١) جاء في تقرير الساڤاك رقم ١٢١٠٣ تاريخ ٥/١٢/٥٢ تحت عنوان: جمع الأموال من التجار للعرب (الاعراب) أسماء الأشخاص الذين يطلب التحقيق معهم وهم: علي أكبر هاشمي رفسنجاني، الحاج أبو الفضل توكلي، ومحمد مهدي مدير شانه چي وعلي أكبر پوراستاد.

٢٠) تقرير الساڤاك رقم ١٢١٠٤/٣١٢ تاريخ ٥/١٢/١٣٥٢ (١٩٧٤) نقلاً عن رفسنجاني م.ش ج٢ ص ١٣٧٣.

(٣) رفسنجاني م.س. ج٢ ص ١٥٦٦.

ولبنان، خطوة في طريق التنسيق بين قوى الثورة في داخل إيران وفي خارجها، وبخاصة قوى الثورة في لبنان وسوريا[1].

ويعود إلى إيران ليدخل السجن مع عدد كبير من زعماء الثورة، وتتوالى تصريحات الإمام وبياناته من النجف التي يدعو فيها إلى مساعدة ضحايا الإعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان، ومساعدة الجرحى والمنكوبين، وتخصيص ربع سهم الإمام لهذا الغرض في العامين ١٩٧٧ م و١٩٧٨ م.

في هذا الوقت كنت أنا وعائلتي في طهران، لا أعرف شيئاً عما يجري، في طريق الثورة، أتابع التلفزيون والصحف لمعرفة ما يجري في جنوب لبنان، وأرى بأم عيني تعاطف الحكم مع إسرائيل، إلى أن كانت زيارة أنور السادات لإسرائيل وتهليل الإعلام الإيراني المرئي والمسموع لها، وكانت هذه الحادثة أولى الحوادث التي تتالت معلنة هزيمة العرب النفسية والعسكرية أمام إسرائيل، وكانت تلك الليلة بالنسبة إليّ أكثر قسوة وقهراً من ليالي القصف التي عشتها قبل سفري إلى إيران وبعده، ولا نزال نعيشها حتى الآن.

(١) م.ن. ج٢ ص ١٥٨٧ وص ١٥٨٨ والبيان بتاريخ ٢/ ١١/ ١٣٥٥ هـ. ش. (١٩٧٧) و ١٠/ ١٠/ ١٣٥٦ هـ. ش (١٩٧٨).

- وصية الإمام الخميني (قده).

- الثقافة الإسلامية. العدد الواحد والأربعون. رجب - شعبان ١٤١٢. كانون الثاني - شباط ١٩٩٢.

- «كيهان العربي» العدد ١٦٠٦.

في عام ١٩٦٤.

- خطاب للإمام (رض) مع المشاركين في مؤتمر القدس العالمي بتاريخ ٩/٨/١٩٨٠.

- حديث للإمام (قده) بتاريخ ٥/٨/١٤٠٦ المصادف ٢٦/١١/١٩٨١.

- كلمة للإمام (رض) رداً على رسالة البابا التي حملها إليه الأسقف كابوجي حول مدرسة النصارى في طهران بتاريخ ٢٢ بهمن (شهر رمضان المبارك) لسنة ١٤٠٠ هـ ١٥ اغسطس ١٩٨٠.

- نداء للإمام (رض) لمناسبة مولد السيد المسيح عليه السلام بتاريخ ٢٣/١٢/١٩٧٩.

- نداء للإمام (رض) إلى حجاج بيت الله الحرام في ١٧/١٤٠٠ هـ.

الإمام الخميني (قده) رجل في أمة

سماحة الشيخ الدكتور

حسان محمد المجذوب

أستاذ جامعي / سوريا

أن تقوم ثورة فتنفي ما قبلها، فتقطع حاضرها من ماضيها وتراثها، بحجة التقدم والحرية والعدالة، فتقلب الموازين، وتغسل الأدمغة، وتأتي بجديد لا علاقة له بهذه الأمة، فهذا ما اعتدنا عليه في جميع الثورات في تاريخنا المعاصر في الشرق والغرب... أما أن يقوم رجلٌ قائدٌ بثورة، يحيي تراث هذه الأمة، ما يعتز به، ويجدد معالم طريقها، ويشد من أزر وأسر ماضيها وتاريخها، بل ويجعله منطلقاً لثورته ومن ثمّ يثبّت ويؤكد معايير ومواصفات هويتها، ويجدّد شبابها، ويوثّق عرى الحاضر بالماضي.. وينقّي طريقها من الشوائب، وليعيدها إلى المعين الزلال الصافي... فهذا ما لم نعتدْ عليه في تاريخ الأمم.

أجل... إنَّ مَنْ يعاين حاضر هذه الأمة على الواقع الذي تعيشه في أوائل هذا القرن ليظنَّنَّ أنها أمة، قد تُودع منها، قد أصبحت خاوية على عروشها... مكتفية بطقوس وعبادات وكأنها أمة كهنوتية مقلدةٌ لأعدائها في معايشتها اليومية، حتى انطبق علينا قول سيدنا رسول الله (ص): «لتنبؤنَّ سَنَنَ من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة...» وفي رواية شبراً بشبر وذراعاً بذراع، ولو أنهم دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه وراءهم، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى..؟! قال إذاً... ومن القوم...!!.

تنافسٌ من أعدائهم عليهم.. طمعٌ وجشعٌ وتسابق على نهب خيراتهم؛ وكأنهم مدعوّون إلى مأدبة كما صرَّح بذلك (ص): يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى

الأكلة إلى قصعتها، قالوا أومن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله..؟! قال بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيل، ولينزعنّ الله الهيبة من قلوب أعدائكم، وليقذفنّ في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن يا رسول الله..؟! قال: حبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت...».

أكثر من مليار وثلاثمائة ألف مسلم، لو كانوا مليار ذبابة لغطّوا عين الشمس...!.

وما إيران قبل الثورة إلا جزء من هذا العالم الإسلامي الفسيح، ولكنها زيادة على ذلك كله كانت قاعدة وقوة ضاربة رهيبة، ورأس حربة ولكن لضرب الإسلام والمسلمين، وكأنها إحدى الولايات الأميركية، وبوقٌ للصهيونية... المشاريع كل المشاريع الحيوية بأيديهم وبإمرتهم..... ميّعوا الشباب... وقتلوا في النساء الحياء، وفتحوا أعين الأمة على بهارج الغرب وزخرفه.. وشغلوهم بسفاسف الأمور.. أحالوا إيران إلى عصبية جاهلية نتنة، وقومية مقرفة.

من كان يظنّ أن شمس الإسلام ستشرق ثانية، وتدب الحياة في أواصر هذا الجسد المجمّد في ثلاجة التبعية، وأن وابل الخير، وماء الحياة سينعش الأرض الظمأى...

إنها الصدمة الكهربائية التي يسلطها الطبيب الحاذق على القلب الفاتر، فتعود إليه الحياة بعد أن كان ميئوساً منه... إنه الإمام القائد الذي نحتفي بذكراه الذي فتح أعيناً عمياً، وقلوباً غلفاً، وآذاناً صمّا....

وكَمْ قدْ قتلتُ وكَمْ قدْ متُّ عندكم ثم انتفضتُ فزَالَ القبرُ والكفنُ

أجل.. إن سرّ الله.. اطلع على قلوب مؤمنة متضرعة مخلصة بالسر والعلن، عرفت ربّها فوحّدته وأنابت إليه، حملت همّ الأمة... ومسؤولية الأمانة الملقاة على عواتقها.. أيقنت بأن ربَّها وحده هو الذي يرفع ويضع... ويعطي ويمنع... ويعزّ ويذل.. يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممّن يشاء... فأعدّت ما استطاعت... عقلت وتوكلت من غير تواكل، وبذلت ما في وسعها... وعلمت علم اليقين أنه لا بدّ لليل مهما طال أن ينجلي، ولا بدّ للفجر أن تسطع أضواؤه؛ ولا بد من أن يفي الله بوعده

فيستخلفهم ويمكّن لهم، ويبدلهم أمنا أماناً وسلاماً... ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً**﴾ (النور. آية ٥٥).

إن جميع الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي ومفكريهم لو قرأوا هذه الآية الكريمة العظيمة لعرفوا كيف يبرمجون ويخططون وكيف يصلون ومتى يصلون... إنها نظرية بديهية في جميع العلوم الأرضية والسماوية نستخلصها من هذه القاعدة: إيمان وعمل صالح وتوحيد يساوي استخلافاً وتمكيناً وأمناً وأماناً.

مَن الذي وعد...؟!الله... ومن الموعود...؟!المؤمنون الذين رضوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً.. عبدوه ووحّدوه وأردفوه بالعمل الصالح فكانت النتيجة الحتمية استخلافاً وتكريماً وسلاماً.

وإن ربنا وعدنا على لسان نبينا أن يبعث على رأس كل مئة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها... لو أننا راجعنا تاريخنا من بعد الهجرة لوجدنا أن التجديد الأخير لهذا الدين كان في نهاية القرن الرابع عشر الهجري أي منذ عشرين سنة وفي نهايتها لكان الإمام القائد هو مجدّد هذا القرن بثورته المباركة وإن لم يكن الذي نحتفي بذكراه مجدداً هنا فمن مجدّد هذا القرن... «لقد أحيت هذه الثورة الآمال في نفوس المسلمين جميعاً بما حملت لهم من منهج التوحيد والعزة والحرية والمثل والقيم الإنسانية، ولما أفرزته من تغييرات وتطورات موسعة في المجالات الثقافية والفكرية والتربوية والإجتماعية والإقتصادية والسياسية» كما أشار الدكتور رياض سليمان عواد إلى ذلك.

لقد كان لهذه الثورة المباركة التي فجرّتها الأيدي المباركة... بقيادة سماحة الإمام، من الآثار القريبة والبعيدة للمسلمين وللايرانيين بشكل خاص: أولها احياء روح الجهاد في الأمة، وتمني الشهادة في سبيل الله، ومن ثم لم يعد للغرب والولايات المتحدة من هيبة في قلوب الايرانيين، وكذلك تمكين روح الولاء والبراء،

والتفاني والنظر من أعلى إلى أعداء المسلمين، والإيمان المطلق بالتميز على الكفر والغطرسة، وكذلك الاعتماد على الله ثم على أنفسهم ببناء الدولة الإسلامية اللاشرقية واللاغربية.... وتحرر الفكر، وأخذ المبادرة وصناعة القرار، غير مكترثين بأعدائهم وإن كثروا وإن أرْغوا وأزْبدوا... وإن تجربة الثورة الإسلامية ونجاحها في ايران أوجدت روح التمرد على كل ما يخالف الإسلام. ثم الثقة المطلقة بأن القوة لله جميعاً... أما على المسرح العالمي فقد أصبحت دول الاستكبار الكبرى تحسب حساب هذه الروح الجديدة التي بدأت تسري في شرايين المسلمين، إما بالمجاملة أو التصفية السريعة... وتشجيع المستضعفين في العالم الإسلامي على انتزاع حقوقهم ممّن أذلهم وأفقرهم واغتصب ونهب خيراتهم. أما القضية الفلسطينية التي من ادعى تحريرها، فقد استسلم للعار وحوّل قضيته من إسلامية إلى قومية إلى استجداء الصهاينة للسماح لهم بموطىء قدم يعيشون فيه تحت رحمة أعدائهم... وأرادوا أن يخنقوا روح الجهاد بصفتهم أوصياء على القضية الفلسطينية، وتحولت البندقية في سواعدهم إلى غصن زيتون وحمام أبيض... بل ومما يقطّع الأكباد ويملأ القلوب حسرة أن نرى هذه اليد التي طالما احتضنت البندقية؛ ترتفع بتحية عسكرية رسمية لقبر اسحاق رابين، ثم ينحني ممّن يمثل السلطة الفلسطينية ليقبّل يد زوجة اسحاق رابين:

لهذا يذب القلب من كَمدٍ ... إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانُ

أجل أيها الحفل الكريم.

إن هذه الثورة التي أعلنها الإمام القائد أيقظت الأمة، فكانت للمسلمين كل المسلمين، ثورة إسلامية منذ اللحظة الأولى وليست شيعية فارسية، مذهبية، كما يتهمها أعداء الإسلام، بل إن الذي قاد هذه الثورة أعلن ذلك بقوله: لا يوجد في الإسلام وطني وأجنبي، الكل مسلمون، والكل متساوون، هذا يسكن هذه المنطقة وذاك هذه المدينة، لا فرق بين ذلك.... إنني أتمنى أن يتحقق الإسلام كما يريد الإسلام... وإذّاك تزول هذه الفوارق ونخجل وقتئذٍ من قولنا «فرس» ويخجل

الآخرون من قولهم «ترك»... ألسنا جميعاً مسلمين «ألسنا اخواناً... لا يجوز للأخ أن يقول أنا وطني وأنت يا أخي أجنبي...».

وما الجماهير المسلمة في مشارق الأرض ومغاربها، والتي تقف مع الجمهورية الإسلامية إلا دليل على ذلك، وأخطأ ويخطىء من يظن أن من وقف ويقف مع ثورة الإمام القائد قد غيّر مذهبه وتفكيره ورؤيته، وأصبح شيعياً... بل أصبح من يتكلم عن الثورة الإسلامية في إيران عند بعضهم متهماً بدينه وعقيدته.

هذه نظرة مؤلمة محزنة تدل على جهل بقضايا هذا الدين، فإن من كتب وألّف وحاضر عن الثورة الإسلامية من غير الشيعة أضعاف من كتب عنها من الإخوة الشيعة. وها نحن نرى مواقف إيران إلى جانب المستضعفين وقضايا الأمة في أنحاء المعمورة... فهم كانوا وما زالوا بل لم يبق غيرهم إلى جانب قضية المسلمين الأولى فلسطين عياناً جهاراً... وهم الذين يقفون مع قلعة الإسلام سوريا التي لم ولن تركع والتي عبّر عن مواقفها الرئيس حافظ الأسد بقوله «إيران دولة هامة جداً، وهي من أهم دول المنطقة، لا يستطيع أحد أن يتجاهل دورها، والجميع يحسب حسابها ويأخذ دورها في الاعتبار، وهذا لا خلاف حوله... والثورة الإيرانية انتصار كبير وكل محاولة لإضعافها إضعاف للمنطقة... وإن الشعب في سوريا يقابل بالتقدير والعِرفان الموقف المؤيد لنضالنا والذي يعتبر أهدافنا مشتركة...».

أجل... سلك الإمام القائد بالثورة الإسلامية نهجاً تقدمياً استرايتجياً يقوم على أساس نصرة قضايا تحرر الشعوب وفي مقدمتها القضية الفلسطينية لارتباطها بجوهر الإسلام ومقدساته... ودعا الدول الإسلامية إلى العمل وحشد الطاقات من أجل تحرير الأراضي العربية من العدو الإسرائيلي.

وهكذا تحوّلت إيران في ظل الإسلام، من جبهة تمثل مُنطلق الأحلاف ودعم الكيان الصهيوني وعداوة العرب كل العرب، إلى قاعدة انطلاق لدعم حقوق المسلمين جميعاً.. وقوةٍ ضاربةٍ تعبّر عن عزة الإسلام واستعلائه على الكفر والظلم.. واعتبر خوض المعركة الأساسية ضد القوى الاستعمارية التي زرعت اسرائيل في قلب

الوطن العربي والإسلامي، من أهم الأوليات وشحذ هِمَم الأحرار ليهيئوا أنفسهم لخوض المعركة المصيرية.

أجل... لقد تحوّلت إيران إلى ميدان اعدادٍ مستمر، في الداخل والخارج... فقد قامت دولة الإسلام فحررت المسلم الإيراني من الخوف من غير الله... وتمكّن الشرعُ الحنيف فأصبح المرجع الأوحد لا غيره...

أيها الحفل الكريم... أروني الأرض التي لا سلطة فيها إلا للإسلام... أين الدولة التي لا حكم فيها إلا للقرآن...؟! أين المكان الذي اشترى أنصاره الموت في سبيل الله واستعذبوه على مستوى الدولة والأفراد... أين الدولة التي نادت بأعلى صوت: إن الحكمُ إلا لله..

لقد قال سماحة الإمام: «على الشعوب الإسلامية أن تفكر بانقاذ فلسطين، وتعلن للعالم غضبها وسخطها على المساومات التي يمارسها الزعماء الأذلاء الذين باعوا أنفسهم وضيّعوا باسم فلسطين قضية الأرض المغتصبة وحقوق مسلميها... توكلوا على الله واستفيدوا من قدرة المسلمين المعنوية، وهاجموا الأعداء بسلاح التقوى والجهاد والصبر والثبات.... فإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم...».

أجل... إنّ مدرسة الإسلام العظمى معطاءةٌ متجددةٌ، معينها لا ينضب، ومهيأة لقيادة العالم كله.. بعد أن استنفدت النظم - جميع النظم في الأرض - أغراضها، وثبت عجزُها وفشلُها في إسعاد العالم، على الرغم من علوّ التقنية الحديثة التي لم توفر لها سلاماً في الأرض... أجل، إن مدرسة الإسلام التي خرّجت قادة أعادوا للإسلام إشراقته وعظمته قادرة في كل زمان ومكان على ذلك.

وأخيراً وليس آخراً... فإنّ إيران بمفجر ثورتها سماحة الإمام الراحل والتي رفعت لفظ الجلالة «الله» على علمها الذي لا ولم ولن يُنكّس، قد أحيت روح التمرد في شعوب العالم الإسلامي على عدوها المتغطرس الشيطان الأكبر وربيبته اسرائيل....

إن إيران، بثورتها المتجدّدة في ضمير كل مسلم، وقلب كل غيور... قد أزاحت

عن صدور المسلمين كابوس الخوف والتبعية...

ولقد علّمنا سماحةُ الإمام الراحل قدس الله روحه أن المسلمين كلّما علوا واستعلوا على أعدائهم بعظمة خالقهم رأوا أولئك الذين يظنون أنفسهم عمالقة بأنهم أقزام بل ذرٌّ تطأه أقدامهم، أقدامُ الربانيين الذين استعذبوا العذاب في سبيل هذا الإسلام العظيم.

إن هذا العصر هو عصر الإسلام... فالإسلام قادم لا محالة فهو الوحيد الذي تكفل بسعادة الدارين... الإسلام وحده القادر على أن يعيد لنا عزتنا السليبة، وخيراتنا المنهوبة.

وأما أنتم يا حملة لواء الإسلام ويا من بعتم أنفسكم رخيصة في سبيل الله... أعرضوا هذا الإسلام العظيم بما يليق بعظمته فهو سفينة النجاة... إلى شاطىء الأمان والسلام، من ركبها نجا ومن تركها غرق.

﴿**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**﴾. (آل عمران، آية ١٣٩).

أما أنت يا صاحب الذكرى فإننا نشهد أنك كنت رجلاً وكنت أمة... كنت عظيماً بدعوتك، ثائراً بدينك، متواضعاً في حياتك... لك ولروحك الطاهرة الرحمة والمغفرة والدرجات العلى في مقعد صدق عند عزيز مقتدر... ولهذه الأمة العزة والخلود.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

دور ايران الإستراتيجي في الصراع مع الكيان الصهيوني والقوى الكبرى الداعمة له في نظر الإمام الخميني (قده)

الدكتور زهير غزاوي

أستاذ محاضر في جامعة دمشق

استهلال:

أرى أن من واجب كل المناضلين أو الحالمين - على حد سواء - بهزيمة الأمبريالية الأميركية والصهيونية أن يلتفتوا إلى الوراء بنظرة حانية تحتوى خيال الجسد النحيل للشيخ القائد الراحل في ذكرى ولادته المئوية.. فقد كان أشدَّهم عناداً وصلابة.. كان رحمه الله أحد عظماء هذا القرن باعتراف رموز الأمبريالية ذاتها.

من الإنصاف تقرير أن الإمام الراحل قاد ثورة من أكبر ثورات هذا القرن المشرف على المغيب، تستند إلى الأيديولوجيا، لقد آمن بأن الثورة والفكر لا ينفصلان وتصرف وفق المقولة الفلسفية التي حددت شخصيته «إن الوسائل لا تنفصل عن النتائج التي تهدف إلى تحقيقها ولا عن الأهداف التي تعمل للوصول إليها، وإن النتائج، سواء كانت نجاحاً أو فشلاً، فإنها لا تبرر الوسيلة، وذلك أن علاقة عضوية تقوم بين الوسائل والغايات... بين الفكر والمفكر، وأن الأخلاق العليا للبشر هي المقياس الأول للسعي لخير البشرية».

كان الإمام يدرك جيداً وهو يصنع الثورة أنه يدمج بين الدين والدنيا - الدين بما هو منهج من قيم الأخلاق والخير المطلق - في عصر تحكمه البراغماتية بما تعنيه من أن قيمة الشيء أو العمل تتبع للفائدة الشخصية تحديداً بما في ذلك قيمه الوطنية والإنسانية، وهو ما حدده فلاسفتها مثل وليم جيمس وديوي وغيرهما. كان الإمام رحمه الله أميناً لفكرة الثورة وقوانينها في الآن ذاته، ومن هذا المنطلق، وللإنصاف،

يجب الإقرار بأن الظروف التي عمل في اطارها وقاد الثورة الإسلامية في إيران تحت ظلالها كانت أكثر صعوبة وتعقيداً مما يمكن تصوّره. لقد صنع ثورة جماهيرية حقيقية في قمة صعود العصر الامبريالي، امتلكت سمات الثورة الشعبية، وأوصلت الإمام والصفوة المثقفة الملتفة حوله إلى قمة السلطة على أكتاف الجماهير الفقيرة (وهي الغالبية)، المنظمة والمؤدلجة. فلم يكن ما قام به انقلاباً عسكرياً على غرار ما يفعله العسكر في عالم الجنوب.

فهل كان لخصوصية مدرسة أهل بيت النبي (ع) أن تكون أحد أهم عوامل نجاحها؟ ظل الإمام (رض) أميناً على تراث عريق لهذه المدرسة، إن في التمسك بنظرية الحق أو في انتهاجها أسلوب رفض الواقع الفاسد. لقد تكونت المدرسة على أسس تعددية المرجعية واستقلاليتها عن السلطة القائمة اللاشرعية، بعد غياب الإمام الثاني عشر (عج)، وقد أدى فتح باب الإجتهاد ونظرية إسلامية أصيلة بأن «لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق» إلى مرونة بارزة في التعامل مع المستجدات والتجديد المستمر في علم الكلام الإسلامي المؤسس على عقلنة الأصول الإسلامية في ظل تحديات الواقع المتجددة في كل عصر وحقبة من الزمن. ومع التمسك بأنه لا اجتهاد مع وجود النص كما نجده لدى السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (قده) من المعاصرين، فإن اختيار المرجع المقلَّد يتم لدى الأتباع على أساس الحرية المطلقة وبشروط دقيقة تعتمد على الأعلمية المتفق عليها، بأن هذا المرجع هو الأعلم والأفضل. وهذا يعطي المرجعية إستقلالية مالية فريدة من نوعها من خلال الخمس والصدقات، مما أعطى هذه المرجعية ثرواتها، وديمقراطية ذات ملامح إسلامية متميزة، وأجاز لنا استخدام هذا المصطلح السياسي.

ولعلنا نجد شهادة حول المرجعية في إيران بالغة الوضوح والدقة، وردت في كتاب «دليل الخليج»[1] تحلل وضع المرجعية في القرن التاسع عشر «يقوم العالم الشيعي المجتهد بعدة وظائف، فهو محاضر في اللاهوت وهو قاضي شرع وهو

(١) ستانلي لوريمر (دليل الخليج) ج ٦ ص ٣٣٨٦.

مدرس شريعة إسلامية (..) كلمته بين أتباعه قانون، ويتلقى مبالغ كبيرة من المال من إخوانه في الدين، الذين يدفعونها زكاة أموالهم أو صدقة أو لأغراض أخرى في سبيل الدين. ولرجال الدين نفوذ سياسي واسع في إيران والعراق رغم أن ذلك يتصادم مع السلطات الحاكمة في كثير من الأحيان. يختار الجمهور من يجب تقليده واتباعه، ومن هو المجتهد الحائز على شروط الفقه، وذلك عملياً يمثل الحالة الديمقراطية الأبرز في مؤسسة التشيع، التي سادت منذ غياب الإمام المهدي وحتى اليوم، ورغم الخلاف الإجتهادي الحاصل، فإن المؤسسة في النجف وقم لم تشهد صراعاً ذا قيمة تذكر طوال تاريخها».

هذه الشهادة لكاتب أجنبي لا يمكن اتهامه بالتحيز، بل إنّه يصنف في خانة العداء لكونه أحد دبلوماسيي انكلترا البارزين في المشرق، تعبر عن شكل وسمات المرجعية التي ينتمي إليها الإمام الخميني سليل أسرة عريقة من الفقهاء المراجع، وعلى هذه القاعدة كان الإمام أيضاً أميناً للجانب الثوري في المدرسة الذي بدأه الإمام الحسين وصولاً إلى مجزرة كربلاء عام ٦٠ للهجرة، وكم أصرّ الإمام الراحل على تحليل حادثة كربلاء في استنهاض شعب إيران للتصدي والمواجهة، ولا ضرورة لمزيد من التفاصيل في هذا المجال، فقد كان الإمام الحسين (ع) نموذجه الثوري الأول.

ولد الإمام روح الله الخميني عام ١٨٩٩ وكان والده من كبار العلماء، تتلمذ على يد آية الله شيرازي، درس في مدينة النجف، وبعد مجيئه إلى إيران قام بالتدريس في مدينة قم التي أصبحت حاضرة علمية كبيرة منذ أن دفنت فيها السيدة فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم (ع) وسُميت بالمعصومة[1]. تزوج عام ١٩٢٧ ودرّس في مدرسة الفيضية في قم وبدأ معارضته للشاه بشكل سافر وشرس، وبلغت معارضته ذروتها عام ١٩٦٣ ضد النفوذ الأمريكي والصهيوني، اعتُقل ثم نُفي عام ١٩٦١ إلى تركيا ثم النجف التي بقي فيها ١٣ عاماً، اغتيل ابنه مصطفى في العراق

(١) راجع سعد الأنصاري. الفقهاء حكام على الملوك، دار الهدى. بيروت ١٩٨٦.

عام ١٩٧٨، وتُوفي ابنه الثاني بالسكتة الدماغية في طهران عام ١٩٩٥، ويمكن الجزم بأنه تمكن من قيادة جموع العلماء والشعب الإيراني منذ نفيه حتى ثورة شباط ١٩٧٩ التي جاءت به قائداً مطلقاً إلى بلاده ليؤسس أول جمهورية إسلامية في التاريخ.

يقول الإمام رحمه الله بولاية الفقيه والحكومة الإسلامية بقيادته «أما في زمن الغيبة الكبرى فلا بد من وجود نظام يجب أن يكون عادلاً، فسلاطين هذا الزمان ليسوا ولاة الأمر، ولكن هذا لا يمنع من دعم النظام، لأن وجود نظام خير من اللانظام، ولا بأس من التعاون مع الحكومة إذا دعت الحاجة» وقد استند الإمام في نصه هذا على فتاوى الأئمة: الطوسي والمجلسي والميرداماد[١] وكلهم مشهورون.

ولا بد منأن يذكر في هذا المجال أن الإمام الخميني تسلّم ذاك القرآن الكبير من انتفاضات المرجعيات الدينية في إيران عبر تاريخها الحديث منذ اغتيال الملك القاجاري قادر شاه عام ١٧٤٧ عندما حاول تحجيم المرجعية بدعوة إلى مؤتمر إسلامي شامل. هذا الحدث اعتبر يومها ذروة انتصارها في مواجهة ملك أراد تحدي قيادتها الشعبية، وبذلك أثبت العلماء قيامهم بدور هام في الحفاظ على تماسك البلاد ووحدتها الداخلية ومحاربة الفساد ومقاومة المطامع الأجنبية حتى اليوم[٢].

إيران والدور الإستراتيجي

الإستراتيجية تعريفاً يمكن تبسيطه بأنها الخطوط العريضة للسياسة العليا في مختلف الأمور التي تتعلق بالاقتصاد والحرب والتربية وغيرها، تحتل مكانة الأيديولوجيا التي تتضافر السلوكات التفصيلية لتحقيقها، أي أنها بمعنى آخر تتضمن معنى المرشد والهادي وجعبة الأهداف التي تسعى المجموعات الإنسانية لتحقيقها.

وبهذا المعنى، فإن التكتيك يُعتبر السلوك التفصيلي لخدمة الإستراتيجية،

(١) زهير غزاوي. المؤسسات الدينية الإسلامية والكيان الصهيوني. دار الغدير. بيروت ١٩٩٦. ص ١١٧.
(٢) المرجع السابق. ص ١١٣.

وغالباً ما يعزى الفشل والنجاح في الوصول إلى الهدف للتكتيك وأسلوب استخدام هذا الجانب الهام من العمل... أسلوباً وأدوات ووسائل.

في العصر الحديث، ومنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى ولأسباب عديدة، تمكنت إيران من امتلاك دور اقليمي هام، أهلتها له جغرافيا سياسية وبشرية واقتصادية احتوت عناصر بالغة الأهمية على صعيد التأثير على مسار الأحداث في المنطقة. فبدافع من تداخل المجتمع الإيراني المسلم المتميز بسيادة فكر مدرسة أهل بيت النبي (ص) وطبيعة المرجعية الدينية وتأثيرها الطاغي على المجتمع الإيراني، وبسبب هذا التداخل مع المحيط امتلكت إيران نفوذاً هاماً على محيطها العربي المتمثل بالعراق، والإسلامي المتمثل بباكستان وأفغانستان ودول الإتحاد السوفياتي الإسلامية، وتركيا، امتداداً إلى إمارات الخليج العربي الواقعة تحت نفوذ الإستعمار البريطاني.

وهكذا مارست إيران - بدعم من المرجعية الدينية، وبالرغم من طبيعة النظام الملكي المرتبط بالإستعمار البريطاني كلياً - دوراً ثورياً بدعم الشعوب الإسلامية المحيطة، شيعة كانوا أم سنّة[1]. ولن ينسى دور المرجعية في النجف في ثورة العشرين من العراق أو في دعم تركيا في مواجهة الدول الإستعمارية الطامعة إلى تقسيمها واستعمارها رغم كل الخلافات الطائفية والتاريخية بين إيران والدولة العثمانية المعادية إلى درجة شن الحروب وفتاوى الإبادة للشيعة[2].

جاء ظهور النفط مبكراً في إيران بكميات كبيرة قبيل الحرب العالمية الأولى ومن خط حديد برلين بغداد، ولهذا السبب تحديداً، داعماً لدور إيران الاقليمي، ناهيك عن مساحتها الكبيرة (١.٦٤ مليون كلم٢) وعدد سكانها الذي يبلغ الآن حوالى ٦٠ مليون نسمة، وتنوع اقتصادها الزراعي والصناعي والثروات الباطنية الإستراتيجية كالنفط وغيره.

كل ذلك ساهم حتى قبيل الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩ وبزمن بعيد

(١) راجع سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، دار الغدير، بيروت ١٩٩٥.
(٢) المرجع نفسه، ص ٦٣-٨١-١٠٩.

(١٩٦٣) في جعل المرجعية الدينية في إيران - وهي تقود عملياً الشارع الإيراني - وعلى رأسها الإمام روح الله الخميني:

وقد تمكن لأسباب شخصية وموضوعية لا مجال لذكرها هنا من قيادة هذا الشارع منذ بداية الستينيات من هذا القرن؛

ساهم في جعل هذه المرجعية تطرح قضية فلسطين ونزال الصهيونية ومن يدعمها، خاصة أمريكا وبريطانيا، متوازية، وبالأحرى متلاحمة، مع قضايا الإصلاح والتغيير الداخلية (وهو ما سنشهده لاحقاً عبر النصوص)، ما أدى في ما أدّى إليه أن تقف المرجعية الدينية في غالبيتها، ليس في مواجهة السلطة الملكية الفاسدة العميلة وحسب، بل وفي مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية تحديداً، وهي المسيطرة الوحيدة على مقدرات إيران ومنطقة ما يسمى بالشرق الأوسط بكاملها. وقد أدت هذه المواجهة أيضاً إلى أن يدرك الإمام ببصيرته النافذة ضرورة استغلال الدور الأوروبي الغربي وخاصة فرنسا في تناقضاته الجذرية مع الدور الأمريكي سياسياً واقتصادياً.

كان نجاح الثورة الإسلامية في إيران مرتبطاً جذرياً بتكثيف ممارسة دور إيران الاقليمي بشكل نشيط، ولكنّه باتجاه إيجابي مناقض تماماً لدور إيران السابق على الثورة، وهكذا احتلت القضية الفلسطينية وتحرير القدس (قلب العالم الإسلامي)، مكانها الرئيسي في الإستراتيجية الإيرانية.

وعلى هذا الأساس، برزت إلى العيان في استراتيجية الدولة بقيادة الإمام الخميني رضوان الله عليه (وهو صاحب القرار الأول في توجيه السياسة الإيرانية الخارجية) مجموعة من العناصر الرئيسية التي سعى الإمام لكي تكون المرشد لتحقيق الهدف الرئيسي في مواجهة الأمبريالية الأمريكية وصولاً إلى تحرير فلسطين. وبالتأكيد، وانطلاقاً من دراسة شخصية الإمام القائد المحب لله والمؤمن بأن هزيمة «اسرائيل» ممكنة وحتمية مهما بلغت التضحيات، فقد عمل الإمام فعلاً على جعل التحرير عبر الصراع بكل الوسائل المتاحة هدف السياسة الإيرانية، وجاء

طرحه للوحدة الإسلامية (ذاتها) أو التضامن الإسلامي في الحد الأدنى (رغم أنها فكرة استراتيجية) خطوة على هذا الطريق.

أسس الدور الإستراتيجي الإيراني

الأيديولوجيا الإسلامية: الدين الإسلامي واحد بكل تأكيد، ولكن واقع الحال أبدى تعدداً في التأويل القرآني، والاجتهاد في السنة، رفضاً أو قبولاً أو تعديلاً بما في ذلك سيرة رسول الله (ص) تمحيضاً ودمجاً لها بالرسالة لتصبح الرسالة والرسول كلاً لا ينفصل، أو فصلاً عنها لدى البعض بحيث أصبح الإسلام بعد أربعة عشر قرناً مجموعة من الإجتهادات المستندة كلها إلى صحة النص في الحديث النبوي أو تأويل النص من القرآن الكريم سواء بسواء.

وجهة نظر الإمام تستند بالإستنباط إلى أن المسلم مكلف بمقاومة الإستكبار العالمي وربيبته «اسرائيل»، هذا التكليف الشرعي يصل في أهميته إلى مرتبة العبادات الأساسية في الإسلام، وهو بذلك يتوازى مع العمل في تشكيل الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه فيها[1] مع العمل لنشر الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا ينفصل أبداً، مناقضاً بذلك ما أفرزه التاريخ الإسلامي واجتهادات علماء كثير من (فصام نكد بين الدين والسياسة) كما عبر الإمام ذاته في كتابه الشهير بذات العنوان.

الإسلام هو العمود الفقري في نظر الإمام لاستراتيجية إيران الإسلامية في التوجه إلى الأمة الإسلامية بكاملها، سعياً لتشكيل وحدة إسلامية تقف في وجه المطامع الغربية والشرقية في بلاد الإسلام وثرواتها. وعلى هذه القاعدة بنى الإمام مشروعه في استعادة الهوية لبناء شخصية إسلامية مكلفة بالنضال (شرعاً) لاثبات تلك الهوية (وهو ما سنراه في ما بعد) عبر الكفاح ضد الغزو الثقافي الغربي الذي يعادل في نظره الإحتلال العسكري لأراضٍ إسلامية، لأن الغرب يسعى

(١) الإمام الخميني، الحكومة الإسلامية، مقدمة حول صلاحيات الولي الفقيه، مركز بقية الله الأعظم دمشق ١٩٩٨. القضية الفلسطينية في كلام الإمام الخميني (قده)، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني، الشؤون الدولية، طهران ١٩٩٥.

لتحطيم تلك الشخصية وصولاً إلى تحقيق الإستلاب الكامل والرضوخ والإستكانة، ولن يتمكن المسلمون من التصدي لذلك إلا بالتمسك بتعاليم الإسلام، والإجتهادات التي تعزز دور الإسلام الجهادي.

دور إيران الاقليمي

سعى الإمام بكل ما يستطيع إلى تأكيد دور إيران الاقليمي في عالمها الإسلامي ومحيطها الشمالي، وهو إسلامي أيضاً، ولكنه يقع تحت سيطرة الإتحاد السوفياتي. هذا الدور الإقليمي اكتسبته إيران في العصر الحديث من خلال الجغرافيا السياسية والبشرية منذ قرون، وخاضت من أجل تأكيده حروباً مع الدولة العثمانية وروسيا القيصرية والسوفياتية وبريطانيا. ورغم احتلال تلك الدول أجزاء من أراضيها، وحتى العاصمة طهران، فإن ما أفرزته الحربان العالميتان الأولى والثانية كان تأكيد هذا الدور - خاصة بعيد اكتشاف النفط - وبروز أهمية منطقة الخليج بالذات وصولاً إلى الحفاظ على وحدة أراضي المملكة الإيرانية رغم تعدد الأعراق فيها. وقد ساعد على ذلك غلبة مذهب أهل البيت عددياً على أراضي المملكة، وطبيعة تكوين بنية المرجعية الدينية المبنية على الإستقلالية والإيجابية في ممارسة دورها في تقرير مصير شعب إيران وشعوب المنطقة بأكملها، رغم أن الإمام ظل ضد التفريق بين المذاهب الإسلامية.

لقد كانت ثورة الإمام تتويجاً لنضال طويل منتصر أخيراً، ولكنها عززت بالفعل دور إيران الإقليمي، ولكن بأسلوب إيجابي ومختلف جذرياً عن دورها في زمن الحكم الشاهنشاهي المرتبط بالغرب والملتزم بتحقيق المصالح الغربية - والأمريكية خاصة - عندما أصبحت إيران ذراعاً ضارباً لتحقيق تلك المصالح.

وهكذا جاء طرح الإمام رضوان الله عليه لمقولة تصدير الثورة خطوةً تتفق مع دورها الفعلي في التأثير على محيطها تاريخياً من جهة، ولكنه من جهة أخرى كان استجابة واقعية لفلسفة أية ثورة إلى الأيديولوجيا، والأيديولوجيا الإسلامية بالتحديد، عن حتمية انتشار الثورة في المحيط؛ حفاظاً على المركز الثوري، ثم تحقيقاً

للتكليف الشرعي الإسلامي في التبشير والأمر بالمعروف.

كان الإمام في هذا المجال أميناً لتقاليد رسول الله (ص) وأسلوبه في العمل عندما شكل جيش أسامة وأمره بالتحرك نحو الشمال. وهنا لا بد من توضيح جدلية إمكانية نجاح ثورة إسلامية في بلد واحد فقط دون التعرض للحصار والحروب والإستئصال. هذا الأمر تعرضت له الثورة الإشتراكية في روسيا عام ١٩١٧ وأفرزت جدلاً فكرياً نتيجته استحالة نجاح ثورة إيديولوجيا شمولية في بلد واحد (وقد أثبتت الوقائع صواب هذا الرأي في نهاية هذا القرن) وظل الإمام متمسكاً بشعار نقل الثورة إلى العالم الإسلامي، ولكنه لم يطرح مسألة العنف منطلقاً لتحقيق ذلك من قبل إيران الإسلامية على الأقل، فقد كان يعرف يقيناً قدرات بلاده العسكرية، لهذا جاءت الحرب التي شنها نظام العراق على إيران عام ١٩٨٠ ضربة استباقية أمريكية لمنع تصدير أو انتشار الثورة بالدرجة الأولى لأنهم كانوا يعلمون استحالة إسقاط نظام شعبي ثوري كالذي بناه الإمام[١].

تصدير الثورة - بأية وسيلة كان - يعني الصدام الحتمي (على أية حال) مع القوى المهيمنة على ما يسمى (منطقة الشرق الأوسط)، وهي كلها غربية بنسب متفاوتة، وعمودها الفقري أمريكا. وقد سعى الإمام بداية لتجنب حرب مع العراق يعلم بالتأكيد القوى الدولية التي ستنخرط فيها، ولكنه عندما نشبت الحرب سعى جاهداً (رحمه الله) لكسبها عبر استنهاض القوة الإيمانية (وليس العنصرية) في شعب إيران المسلم، وكان يدرك أن كسبها لا يعني احتلال أراضي العراق بقدر ما يساهم في بناء خط نضالي يمتد حتى فلسطين، لهذا طرح شعار «الطريق إلى القدس يمر بالنجف»، وكان شعاراً استفزازياً بالغ الوضوح للقوى التي تحاربه بما يعني، عدم قبوله للمهادنة معها وسعيه إلى الصدام المستمر حتى تحطيم «اسرائيل» مع كل ما تمثله تلك الدولة الغاصبة من مكانة لدى أكبر دولة في العالم وأقواها.

---

(١) قدمت جهات عربية وإسلامية عديدة نصائح لصدام حسين بعدم الهجوم على ايران لاستحالة انتصاره. ولكنه أصرّ على ذلك استنادا إلى وعود أمريكية بدور اقليمي بديل لإيران في المنطقة.

شعار نقل الثورة إلى العالم الإسلامي بدا للعالم في بداية انبعاث ثورة (اعتبرت زلزال المنطقة) يظل من أهم أسس الإستراتيجية التي أعلنها الإمام لدولة منهكة وتعيد تركيب مؤسساتها كإيران في عام ١٩٧٩. وليس من شك في أن الحرب الإستباقية زادت الإقتصاد الإيراني إنهاكاً، وحملت شعب إيران أعباءً جديدة، فوق أعباء الحرب وإعادة البناء، وأدت إلى قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة الأميركية بعيد حصار السفارة الأميركية في طهران، ثم مبادرة دولٍ مرعوبة من امتداد الوهج الفكري (أكثر) كتونس ثم الجزائر إلى قطع العلاقات ناهيك عن معظم دول الخليج العربي، ما عدا قطر وعمان، تأييداً لنظام صدام حسين بعيد شنّه الحرب، امتداداً إلى حصار السلاح واستيراد النفط والحصار الإقتصادي الجزئي الذي حاولته أمريكا ولم تستجب له أوروبا. ومع ذلك ظل الشعار استراتيجياً من أفضل ما طرح الإمام رحمه الله كاستجابة مزدوجة، لمصلحة القضية الإسلامية، ولمصلحة إيران ودورها الإقليمي والعالمي وحتى الإقتصادي. فقد كان الإمام يؤمن بأن شعب إيران في العصر الحاضر أفضل من شعب الحجاز في عهد رسول الله (ص) وشعب الكوفة والعراق في عهد أمير المؤمنين والحسين بن علي صلوات الله وسلامه عليهما»[١].

ويقول «أما اليوم، فإننا نرى شعب إيران (...) خلف الجبهة بكل شوق ولهفة، أية تضحيات يضحون وأية ملاحم يسطرون (...) وهذا سر التوفيق والنصر، ويجب أن يفتخر الإسلام بأنّه ربى مثل هؤلاء الأبناء» فهل أخطأ الإمام أم أصاب في مراهنة كهذه على شعب كهذا على طريق هزيمة العدوان والإنطلاق إلى الهجوم لنشر الثورة وتحرير فلسطين وهزيمة الهيمنة الأميركية على المنطقة؟.

الباحث هنا ليس في معرض الإجابة عن سؤال كهذا حتى وهو يطرحه، ذلك أن الإجابة رهن بالمستقبل، والنظام القائم بعد رحيل الإمام، هذا النظام الذي ترك له الخميني (رض) وصية بالغة الأهمية والتفصيل ضماناً للمستقبل، وهو ما يكفينا

(١) وصية الإمام الخميني سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، دمشق، ص ٢٥ ـ ٢٦.

عرضه في بحث موجز كالذي نحن بصدده.

مراهنة الإمام على الجماهير المسلمة التي رفعته إلى سدة القيادة جعلته يعتمد تكتيك الهجوم المستمر اعتماداً على الطاقة الثورية في تلك الجماهير وإيمانها المطلق بنهج القائد، ذلك أنّ اعتماد خطة نقل الثورة إلى المحيط يحتاج إلى تكتيك الهجوم المستمر حتى تحقيق الخلخلة في جبهة الخصم، وهو ما حققه الإمام الخميني رضوان الله عليه بالفعل إقليمياً وعالمياً، وإن لم يمكنّه العمر من حصد ثمار ما زرع.

تحليل تطبيقي: الفكر والممارسة

الفكر يتحول إلى قوة مادية فاعلة عندما تتبناه الجماهير، وقد تمكن الإمام عبر طرحه للفكر الثوري خلال السنوات الممتدة منذ عام ١٩٦٣ حتى قبيل شباط ١٩٧٩ من صنع ثورة بدت كالمعجزة في العصر الأميركي عبر إيمان جماهير إيران بصوابية هذا الفكر. وإذا استعرضنا حصاد فكر الإمام خلال ستة عشر عاماً في ما يختص بدور إيران في الصراع مع الكيان الصهيوني وأميركا، أمكننا استخلاص الخطوط العامة لأساليب العمل التي انتهجها الإمام بعيد نجاح الثورة وتوليه القيادة، فقد باشر فوراً بالعمل لتحقيق أفكاره على أرض الواقع، ولم يتنازل عن فكرة واحدة منها رغم معرفته بوضع إيران الداخلي وانحلال الجيش النظامي، وإعادة بناء المؤسسات جميعاً على أسس جديدة تتفق والإسلام، ناهيك عن تكييف النظام الإجتماعي برمّته مع الأسس الجديدة والحالة الثورية، والإقتصاد المتغير جذرياً إلى آخر ما هنالك من متغيرات ومستجدات.

وإذا نظرنا إلى حالات مشابهة لثورات كبرى في العالم والمنطقة لمسنا اتباع الإمام لنهج مناقض بإطلاق في أساليب العمل، فهو كرجل متمسك بالثوابت بدأ الهجوم فوراً، في حين مارس قادة كبار غيره أسلوب مهادنة الخصم انتظاراً لاستقرار النظام الجديد، وهو ما فعله لينين، وماوتسي تونغ على سبيل المثال، وهكذا حدد الإمام (رض) معسكري الأصدقاء والأعداء مباشرة، وأعلن مجدداً عداءه المباشر للولايات المتحدة الأميركية (أكبر متحكم في سوق النفط في العالم، وإيران

تعتمد جذرياً على هذه المادة) فقطع علاقات إيران مباشرة مع تلك الدولة عبر احتلال الجماهير للسفارة الأميركية عام ١٩٧٩، وأغلق سفارة «اسرائيل» وأعطاها لمنظمة التحرير الفلسطينية.

وقف المراقبون يومها في حيرة بالغة أمام أسلوب كهذا يتسم بالتناقض مع منطق مصلحة الثورة الناشئة (ظاهرياً)، ولكن العالم الإسلامي والقوى الثورية في العالم بأسره أيدت موقف الإمام، ومع ذلك لم يكن لهذا الإستقطاب أن يقدم كبير مساعدة لنجاح فوري للتكتيك المتبع، رغم أن كثيراً من المتشبعين أدركوا أن القائد يعمل للمستقبل في ظل تحليل دقيق للواقع القائم والصعوبات المواجهة. أما من زاوية الصراع مع الكيان الصهيوني فيمكن استنباط مجموعة من الأفكار ثم استقاؤها من أقوال الإمام وتلخص في ما يلي:

١ ـ استعادة الهوية الإسلامية للشخصية الإسلامية :

المقصود باستعادة الهوية للشخصية الإسلامية ليس في إيران وحسب وإنما في العالم الإسلامي برمته، ويتم ذلك على صعيد الممارسة مستنداً إلى استراتيجية الإسلام ذاته كدور لإيران انطلاقاً إلى الوحدة. كان الإمام يعلم أنّ الفكر يقود السلوك ولهذا ركز على مسألة الهوية، ونجد في أقواله عبر زمن طويل، وأخيراً في وصيته:

«من جملة المؤامرات التي تركت ـ للأسف ـ أثراً كبيراً في مختلف البلاد وبلدنا العزيز وما تزال آثارها باقية إلى اليوم، جعل الدول المنكوبة بالإستعمار تعيش الغربة عن هويتها لتصبح منبهرة بالغرب أو بالشرق بحيث إنها لا تقيم أي وزن لنفسها وثقافتها وقوتها...» (الوصية ص ٣٠).

استعادة الهوية هي الثقة بالذات وبالحضارة الإسلامية المشرقية ومقاومة الغزو الحضاري الغربي وعدم الإستسلام له، فالغرب في نظر الإمام كسب المعركة الحضارية بعد أن كسب المعركة العسكرية، لهذا يجدر أن يقاوم غزوه الحضارة أولاً من خلال التقدم الشامل على كل الجبهات ومنها إعادة الإعتبار للحضارة الإسلامية أولاً.

ولكن الإمام وهو يقود إيران، أو قبل ذلك حين كان يعمل للثورة، أراد من شعب إيران أن يكون قدوة الشعوب الإسلامية بتمثله لهويته الوطنية والثقافية من جهة والحفاظ على الثورة كأغلى مكسب «واليوم، فإن من الواجب على شعب إيران خصوصاً وعلى جميع المسلمين عموماً أن يحفظوا بكل ما أوتوا من قوة هذه الأمانة الإلهية التي أعلنت رسمياً في إيران (...) والمأمول أن يسطع نورها على جميع الدول الإسلامية وأن تتفاهم جميع الدول والشعوب على هذا الأمر الحياتي ويقطعوا إلى الأبد أيدي القوى الكبرى أكلة العالم وجناة التاريخ...» (الوصية ص ١٧).

استعادة الهوية والثورة الإسلامية الشاملة يحددها هدف واحد هو قطع أيدي القوى المستعمرة التي تنهب خيرات الأمة. والإمام بذلك يحسم تماماً مهمة الأمة في إطار دور إيران الإستراتيجي كقدوة.

٢ ـ آفاق الصراع :

لا يتم وقف الصراع حتى يتم استعادة الهوية بل إنّه يتم عبر الصراع، والإمام رحمه الله قائد متمرس في الصراع مع السلطة الفاسدة في بلاده، ويعلم أن هذه السلطة بدعم من إسرائيل تحديداً وبتحالف مع الولايات المتحدة الأميركية عملت على فرض التغريب على الشعب الإيراني. لهذا كانت الثورة تعني بالنسبة له ليس اسقاط النظام وحسب، بل والدخول في الصراع المباشر مع حليفي هذا النظام الأساسية: اسرائيل وأميركا.

في الأدبيات الفكرية للإمام الخميني يتردد اسم «إسرائيل» كثيراً، إن قبل الثورة أو بعدها، فقد دمج الصراع لإزالتها بالقضايا الأساسية للثورة تماماً كأولوية إقامة النظام الإسلامي في البلاد وتحقيق التقدم العلمي والتقني، وتكوين الجيش القوي للدفاع والتحرير معاً. وإذا نظرنا إلى أقوال الإمام وأحاديثه وخطاباته عبر ربع قرن من الزمن تأكد لنا هذا الدمج.

في صحيفة النور الجزء الثامن من إعلان يوم القدس العالمي على سبيل المثال يقول: «لقد حذرت المسلمين خلال سنوات طويلة من خطر إسرائيل الغاصبة (...)

إنني أطلب من عموم مسلمي العالم والحكومات الإسلامية الإتحاد مع بعضهم من أجل مواجهة هذا الغاصب وحماته (...) ويجب أن تعلم أن اسرائيل عدوّة البشرية نحن نقول إن اسرائيل يجب أن تمحى من الوجود» (صحيفة النور ج ١٧).

«لقد نهضنا للدفاع - الذي هو فريضة إلهية - وجوب إنساني - وليس لدينا أية نية للإعتداء على البلدان الأخرى، إننا نريد من الدول الإسلامية أن تكون إلى جانب بعضها وأن تصمد عبر الالتزام بالدفاع عن حقوق المسلمين مقابل المعتدين المتجاسرين أمثال اسرائيل المعتدية» وهو يعتبر هذا الإلتزام الأمل القديم للشعب الإيراني ويطالب الأمة الإسلامية «أن يمدوا لشعب إيران وحكومته يد الاخوة من أجل طرد اسرائيل الغاصبة» (صحيفة النور ج ١٦ ص ٤٨).

ثم أكد بحزم أن القرآن يأمر بالقتال ضد أعداء المسلمين، واسرائيل وقفت ضد المسلمين وتقاتلهم، وأميركا وقفت أيضاً وهي تقاتل المسلمين، وأن تحرير القدس واجب على كل المسلمين (صحيفة النور ج ٤ ص ٣١) إلى آخر ما هنالك من فتاوى أصدرها وحدد فيها موقف إيران بعد الثورة.

أما قبل الثورة فكانت «إسرائيل» مادة التحريض ضد شاه إيران لإسقاطه ونظامه إلى الأبد: فإسرائيل تسيطر على الإقتصاد الإيراني «إن الخطر الجسيم الذي يتهدد الإسلام واستقلال البلاد عن طريق هذه اللائحة (لائحة المجالس المحلية التي ألغت شرط الإسلام في الإنتخاب عهدة لضرب الإسلام في البلاد) التي ربما أعدت بأيدي جواسيس اليهود والصهاينة لتدمير البلاد وتحطيم اقتصادها»[1].

«إنني - بناءً على ما يفرضه علي الواجب الشرعي - ألفت نظر الشعب الإيراني ومسلمي العالم إلى أن القرآن الكريم والإسلام عرضة للخطر، وأن استقلال البلاد واقتصادها عرضة للسقوط في قبضة الصهاينة».

(١) صحيفة النور، ج ١، ص ٣٤، سنة ١٩٦٢.

وإذا دققنا في هذه العبارات نلمس التزام الإمام الدائم بمخاطبة مسلمي العالم حتى في قضية داخلية كالتي هو بصددها، سيطرة الحركة الصهيونية على إيران الشاه. والواقع، إن الخطر الصهيوني الذي لامسه الإمام مباشرة عبر صراعه مع النظام، لم يشكل الدافع لحركة الصراع مع الصهيونية لأسباب محلية، فهو يعمم العلل باتجاه الأسلحة الكاملة لهذا الصراع عبر استنباط الأحكام من القرآن والسنة تحركاً نحو الدعوة لوحدة المسلمين في اطار المعركة معها. هو ذاته دائماً... الإنسان الرباني الشمولي الملتزم، الذي جعل الإسلام بوصلته، لم يفرق بين مسلم وآخر ومذهب وآخر، وقطر إسلامي وآخر، وهو عندما يحدد خطابه أحياناً نحو الطرف الإسلامي الآخر (السنّة) فلأجل الدفاع عن مذهب أهل البيت وتبرئته من وصمة شاه إيران بانحيازه إلى جانب «إسرائيل» «إنني أعلن لجميع البلدان الإسلامية، والبلدان العربية وغير العربية أن علماء الإسلام والمراجع العظام والشعب الإيراني المتدين والجيش الإيراني الشريف هم اخوة لكل المسلمين، وأنهم يشجبون ويستنكرون التحالف مع اسرائيل عدوّة الإسلام وإيران» (النور ١٩٦٢).

أو حين يقرر بحزم «إنكم بذلك تشوهون صورة الشعب الإيراني، وحينئذٍ سيظن الإخوة السنّة أن الشيعة أتباع اليهود وعبيدٌ لهم. أيها الناس، اعلموا أن شعبنا يرفض التحالف مع إسرائيل (...) فديننا يفرض علينا أن لا نوادَّ أعداء الإسلام» ١٩٦٣، ومع ذلك فهو يفرق تماماً بين اليهود والصهيونية: (النور ج ١٠ ص ١٧٠/ ١٩٧٩).

مقاربة الإمام لحركة الصراع إذن تنطلق من ميزان واحد هو قوانين القرآن التي حددت هدفه ووسائله، وبهذا اعتبر العمل لازالة اسرائيل وحليفتها أميركا، أو بالأحرى ازالة الهيمنة الأميركية تحديداً عن مقدرات الأمة الإسلامية بؤرة الفعل الثوري وعامل وحدة الأمة، فإذا كان النضال يوحد الأمة فإن النصر يؤدي إلى تحقيق هذه الوحدة.

٣ ـ الوحدة الإسلامية:

الغاية والوسيلة في عمل الإمام الدائم لنهوض الأمة الإسلامية. هي وسيلة نهضة وعامل هزيمة أميركا وإزالة اسرائيل، وقد جعلها بؤرة اندفاعه لثورة في إيران تكون منطلقاً للتوحيد هدفها الأساسي إزالة إسرائيل واستعادة بيت المقدس.

ينطلق الإمام الخميني من وحدة وطنية لشعب إيران أولاً، ويقرر أن «رمز انتصارنا بالوحدة كلمة الشعب والتوكل على الله تبارك وتعالى وقوة الإيمان» مروراً بوحدة الأمة العربية كخطوة ضرورية لتحرير فلسطين «يجب على الدول العربية أن تجتمع في ما بينها وتطرد إسرائيل من أراضيها وتقطع أيدي المستعمرين» (صحيفة النور ج ٥ / ٢٤٢، ١٩٧٩)، وصولاً إلى الوحدة الإسلامية الشاملة «على المسلمين والحكومات الإسلامية أن يتحدوا مع بعضهم ويبادروا للقضاء عى جرثومة الفساد هذه واقتلاعها من أصلها، وأن يحولوا بينها وبين من يقدم لها الدعم، وأسأل الله تبارك وتعالى أن يحقق العزّة والعظمة للإسلام والمسلمين وأن يوحّد كلمتهم» هذه الوحدة كما يبدو في كلامه بمختلف درجاتها تدور حول التضامن الإسلامي في الحد الأدنى، فهو من منطلق واقعي يتحدث عن وحدة كلمة لأنه يعلم صعوبة تحقيق دولة إسلامية موحدة في ظل الظروف الراهنة.

التفرق الإسلامي أتاح لإسرائيل وحماتها التمكن في فلسطين، ولأن «إسرائيل جرثومة الفساد لن تكتفي بالقدس، بيت المقدس وإذا أمهلت فإن جميع الدول الإسلامية ستتعرض للخطر»، فإن هذه التفرقة والتشرذم يجب أن «يُصححا عن طريق اتحاد المسلمين وتشكيل حزب المستضعفين ضد حزب المستكبرين الذي تقف في مقدمته أمريكا المجرمة وخادمتها الفاسدة اسرائيل» (النور ج ٨ عام ١٩٧٩).

الإمام الخميني رحمه الله يؤمن بأن العمل لتحقيق دولة إسلامية موحدة، والذي يبدأ بوحدة الكلمة والهدف والتضامن لمواجهة العدو، سوف يؤتي ثماره في النهاية، ولكنه في خطابه الموجه للمؤتمر الإسلامي في الجزائر عام ١٩٧٩ تحدث عن وحدة كلمة وهدف بالدرجة الأولى «تعالوا لنتّحد ونقطع أيدي المجرمين من

اليسار واليمين وفي مقدمتهم أمريكا ولنجتث اسرائيل من جذورها ونعيد الحق إلى الشعب الفلسطيني».

لكن الإمام من جهة أخرى ينطلق من هذا السعي إلى درجة تحريضية أعلى بعد ذلك ليدعو إلى ثورة وحدوية إسلامية، ويتم ذلك بالرجوع إلى إسلام رسول الله (ص).. «أن تعود الشعوب إلى صدر الإسلام، وإذا عادت الحكومات أيضاً مع الشعوب إلى الإسلام فليس هناك مشكلة، وإذا لم يعودوا، فالواجب على الشعوب أن تفصل موقفها من الحكومات وأن تتعامل مع الحكومات بنفس الطريقة التي تعامل بها الشعب الإيراني مع حكومته» أي أنه يدعو صراحة إلى اسقاط هذه الحكومات بالثورة الشعبية من أجل حل المشكلات الإستعمارية وتحرير فلسطين وأفغانستان وغيرهما (١٩٨٠ صحيفة النور ج ١٢).

هذا الخطاب المتغير صعوداً من الحد الأدنى إلى الحد الأعلى، ثم العودة إلى الحد الأدنى، ظل سمة تكتيك الإمام لتحقيق الحد الأدنى من منطلق الواقعية «لتبق كل مجموعة على حالها، لتبق الحكومات على حالها، فقط ليكُن الجميع معاً تحت لواء الإسلام».

لقد كان يعلم أن أسلمة المجتمعات في الدول الإسلامية خطوة صحيحة لتحقيق الوحدة الشاملة في المحصلة الأخيرة، وبصيرته النافذة المطلة على نهضة إسلامية مؤكدة كرد فعل على التحديات الإستعمارية الطاغية، لم يسعَ إلى تصدير الثورة الإيرانية بالقوة (كما اتهم من قبل جهات عربية وإسلامية وعالمية) بل إن الوقائع تؤكد أن إيران تحت قيادته اكتفت بالدعوة السلمية، ومساعدة القوى الإسلامية على الثبات بمختلف الوسائل، وكان تحرير فلسطين شعاره النضالي التوحيدي المرفوع بإصرار حتى رحيله عن هذه الدنيا.

٤ ـ خطوات تكتيكية في العمل:

لم يتوقف الإمام عن السعي لتحرير فلسطين وتحطيم الهيمنة الأمريكية انتظاراً للوحدة الإسلامية بأية درجة كانت، فقد طرح مجموعة محددة من الأساليب الممكنة

على طريق تحقيق نصر جزئي، وربما صمود يمكّن من كسب معارك متفرقة تبعاً للظروف الموضوعية القائمة في مختلف بقاع العالم الإسلامي، وفلسطين تحديداً.

طرح الإمام (رض) دعم المقاومة الفلسطينية المتمثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية، رغم أن المنظمة لم تمثل يوماً طموحه التنظيمي النضالي لشعب فلسطين، فإلى جانب فتاواه التي تلزم المسلمين بالجهاد ضد «إسرائيل» وكان أبرزها عام ١٩٨٢ عند غزو «إسرائيل» للبنان، فقد استبق ذلك في منفاه بالنجف عام ١٩٦٨ جواباً عن رسالة من قيادة فتح لبيان رأيه في اعطاء الحقوق الشرعية من قبيل الزكاة وسهم الإمام إلى المجاهدين.

قال «من المؤكد أن ذلك أمر مناسب، بل إن من الواجب تخصيص جزء كافٍ من الحقوق الشرعية من قبيل الزكوات وسائر الصدقات لهؤلاء المجاهدين...» وفي معرض إجابته ذكر اسم مقاتلي (فتح) المميزين أضاف: «ورفاقهم في السلاح مقاتلي (قوات العاصفة) وسائر الفدائيين المجاهدين الأحرار (في سبيل الله) وأن ذلك واجب وبجميع الطاقات والإمكانيات». كان ذلك على مستوى المعركة الدائرة على الأرض، أما على المستوى العربي العام، فقد دعا بوضوح إلى استخدام سلاح النفط في المعركة، وبدأ بقطع النفط عن «إسرائيل» في بدء نجاح الثورة عام ١٩٧٩ الشهر الرابع. وقبل ذلك طالب الدول النفطية بقطع إمداداتها النفطية عن أميركا، ورغم علمه بتحكم هذه الدولة بنفط المنطقة فقد تمكن من الوصول إلى استقلالية بارزة لإيران في هذا المجال عبر اليابان وأوروبا والإتحاد السوفياتي، داعياً الدول الإسلامية جميعاً إلى الإقتداء بهذه الخطوة.

لقد ظل موقف إيران في منظمة أوبك لدعم استقلاليتها وتحطيم الهيمنة الدولية عليها أحد أهم مساعي الإمام التي أراد أن يوظفها في معركته ضد الولايات المتحدة الأميركية، وأشدها تأثيراً، رغم معرفته بمدى مقدرة أميركا على خلق المشكلات الإقتصادية لمنع تسويق أكبر مورد اقتصادي للجمهورية الناشئة.

وعلى جبهة اختراق «إسرائيل» للنظام الإسلامي برمته، ولمعرفة الإمام جلياً

بمدى هذا الاختراق دعا إلى عدم الإعتراف بإسرائيل كحد أدنى. وبدأ بإيران (قبيل الثورة) عندما انزلقت مصر إلى كامب ديفيد عام ١٩٧٨ فصرح للتلفزيون الأميركي قائلاً «إسرائيل مرفوضة عندنا ولن نعطيها النفط أبداً، ولن نعترف بها مطلقاً»، وكان ذلك من منفاه في فرنسا في ذروة اشتعال الساحة الإيرانية بالثورة (صحيفة النور ج ٤ ص ٥٢).

والإمام رحمه الله في سبيل تعزيز الموقف العربي ضد كامب ديفيد، حارب هذه المعاهدة قبيل وبعيد انتصار الثورة، ولم يشهد المراقبون قائداً وقف في وجه أنور السادات وحرض الجماهير عليه كما فعل الإمام، وهو ما أدى إلى قطع علاقات مصر مع إيران، ضمن أسباب أخرى.

وانتقالاً من المحلي الإسلامي إلى العالمي الإنساني الشامل دعا الإمام إلى جبهة موحدة للمستضعفين في كل مكان على هذه الأرض لمواجهة الإستكبار العالمي، وكان يقصد أميركا بالدرجة الأولى، وأعلن أن هذا القرن «هو بإذن الله قرن انتصار المستضعفين على المستكبرين وانتصار الحق على الباطل» فهل كان الإمام رحمه الله شديد التفاؤل؟!.

وجاء إعلانه ليوم القدس العالمي إحدى أبرز خطواته التكتيكية المتعددة الأهداف؛ التحريض لتحرير القدس عبر حملة عالمية تشمل المسلمين وغيرهم في مواجهة الصهيونية وحماتها، والدعوة إلى الوحدة الإسلامية أو التضامن الإسلامي على حد سواء، وجاء الإعلان بتاريخ ٧/٨/١٩٧٩ بعد ستة شهور من انتصار الثورة، إعلاناً للوحدة النهائية بين المحلي الإيراني، والإسلامي النضالي من خلال مدينة مقدسة لجميع المسلمين.

وكان من ضمن خطواته الأخيرة في المعركة المحتدمة دعمه لانتفاضة شعب فلسطين عام ١٩٨٧، وقارنها بالثورة الإسلامية في إيران رغم العلاقة المتوترة مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية التي بدأت تنزلق علناً إلى الخيانة الوطنية.

وفي هذا السياق، لا بد أن يشار إلى أن الإمام كان يعلن على الدوام أنّه قادر

بدعم شعب إيران المؤمن على القتال على جبهات متعددة: الجبهة العراقية بدعم أميركي بارز، وجبهة فلسطين لمواجهة الصهيونية، ودعم الصحوة الإسلامية ومستضعفي العالم ضد الإستكبار، يقول «لقد ابتلينا هنا بمثل هذا الحزب (يقصد صدام حسين) وابتلينا هناك بمثل ذاك النظام الفاسد ـ إسرائيل ـ لكننا على استعداد للقتال في كلتا الجبهتين.. نقاتل هنا دفاعاً عن أنفسنا ونقاتل هناك أيضاً» وجاء حديثه هذا في مجموعة من القيادات العسكرية إبان الإجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان[1]، وهو حديث يعبر عن حقيقة هذا القائد المؤمن ومصداقيته، ويثير الدهشة أيضاً، فلم يتوقف عمل إيران الإسلامية بقيادة الإمام ومن خلال سفرائها في الديار الإسلامية رغم الحرب الضارية مع العراق، على الحرب فعلاً على كل الجبهات، ولن ينسى جهد إيران في مواجهة الإحتلال الصهيوني الأميركي الفرنسي للبنان، ودور إيران في إخراجه عبر دعم المقاومة الإسلامية في لبنان[2]، التي تمكنت من القيام بعمليات هزت العالم، كان أبرزها تفجير مقر قيادة قوات العدو الصهيوني في مدينة صور. وفي هذا الصدد تتحدث الكثير من الوثائق عن حقيقة الدور الإيراني في هذا المجال إضافة إلى دور سوريا والقوى الوطنية اللبنانية والفلسطينية مما لا مجال للحديث عنه هنا[3]، ناهيك عن البناء المستمر على الجبهة الداخلية، وتنمية الإقتصاد، ومتابعة تصدير النفط، واستيراد السلاح، والعلاقات الأساسية مع القوى المعادية لأمريكا أو المنافسة لها.

(١) صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣/ ٢/ ١٩٨٢.

(٢) تم تأسيس حزب الله رأس حربة المقاومة الإسلامية اللبنانية عام ١٩٨٢.

(٣) راجع القضية الفلسطينية في كلام الإمام الخميني (قدد) (مرجع سابق).

خاتمة

رحل الإمام عن هذه الدنيا في تموز عام ١٩٨٩ عن عمر يناهز التاسعة والثمانين... رحيلاً لا مفر منه، وهزيمة وحيدة أمام الموت بعد انتصارات هزت العالم، هذا الرحيل طرح أمام الباحث والمراقب مجموعة من الأسئلة لن يجاب عليها في هذا البحث لأن المستقبل هو الذي سيتكفل بذلك:

هل سيكون دور إيران الإستراتيجي في الصراع مع الكيان الصهيوني وحماته هو ذاته بعد رحيل الإمام؟ هل سيتمكن القادة الجدد، وهم تلاميذ الإمام والمؤمنون به وبنهجه، من الحفاظ على تماسك الجبهة الداخلية ومتابعة النهوض حتى تحقيق النصر وإزالة إسرائيل وتحقيق الحد الأدنى من التضامن الإسلامي، ومتابعة دور إيران الاقليمي والعالمي؟!.

ولكن لا بد من تسجيل نقطة بالغة الأهمية: لقد كان الإمام يدرك ببصيرته النافذة أن مصلحة إيران هي في ممارسة دورها الإستراتيجي الذي أهلها الله للقيام به على مختلف الصعد، ولذلك كانت وصيته بالغة الوضوح في هذا المجال... ونعتقد أن أي انكفاء عن القيام بذلك (مهما بلغت التكاليف) سيؤدي إلى هزيمة مؤلمة، ذلك أنّ النصر رهن باتباع تعليمات الإمام الخميني رضوان الله عليه.

التعقيبات

● الشيخ طه الصابونجي

حول ما ورد في بحث د. رفعت سيد أحمد.

لمحاضرنا أفكاره وتحليلاته، وشكراً له التزامه بالوقت، وتلك قضية تخص فكرنا الحضاري، لأن الوقت في شريعة الإسلام مقدر ومقدس، ولكنه في عالم المسلمين مبتذل ومبذر.

لي كلمة موجزة جداً:

أسمع كثيراً تعليقات وارتباطات لموضوع الألفية الثالثة، هذا الموضوع الإستلحاقي لإلحاق العالم الإسلامي بقضية الألف الثالثة مفصلٌ خطير. أرجو أن نتنبه له، فنحن لا نربط تحولاتنا ونهضاتنا ومشكلاتنا وحلولنا باستلحاقٍ لسوانا. نحن أمة لها تاريخ مستقل وزمن مفرغ من كل الترهات ومن كل الإسقاطات النفسية المشوّهة. أرجو أن يكون موضوع الإحتفال بالألفية الثالثة ليس موضوعاً مطروحاً على الفكر الإسلامي.

الأمر الثاني الطريف الذي ورد بالمحاضرة القيمة، إشارة لدعوة أمريكا للتوبة، فأنا أسأل هل الشيطان يتوب! إذا كانت أميركا هي الشيطان الأكبر فإلامَ ندعوها؟ ندعوها الى التوبة؟ نحن لا ندعوها للتوبة، نحن ندعو الله أن يسلط على الشيطان قوة، تطفئ جمره وتنهي ظهوره.

ثم يا أخي الكريم المبارك، أراك معنياً، كما العالم الإسلامي، بموضوع الفتاوى. اليوم موضوع الفتاوى موضوعٌ هام وخطيرٌ جداً وأساسي في تحديد مسيرتنا وانطلاقتنا، ولكن موضوع الفتوى حين يظل في دائرة الفتوى والموقف النظري سوف يجيب عن هذه الفتوى مفتون من مختلف الإتجاهات، وكم سمعنا وكم رددنا على فتاوى أُصدرت، لا صدرت، بدعم وضغط من أنظمة عربية وغير عربية.

نحن نتشرف بالفتاوى ولكننا نريد مواقف. نسأل أولاً سؤالين أساسيين: ما هو موقف منظمة المؤتمر الإسلامي في موضوع القدس التي تصفى اليوم وموضوع فلسطين التي يغلق ملفها؟ ثم من يحق له التفاوض على المرحلة الأخيرة وخاصة موضوع القدس؟ من الذي أعطى الحق لهؤلاء حتى يفاوضوا؟ إذا كانوا يقولون فلسطين لنا وملكنا ونحن أحرارٌ باتخاذ موقفٍ خارج نطاق الموقف العربي، فالقدس، وهي محور التاريخ والصراع العالمي، هل أصبحت ملكاً لمنظمة أو لسلطة هزيلة، أو لآراء شخصية. لا يفاوض بإسم القدس لا السلطة الفلسطينية ولا المنظمات الفلسطينية ولا الشعب الفلسطيني ولا الشعوب العربية؟ القدس لا يفاوض بشأنها إلا العالم العربي والإسلامي بأكمله. من هنا أي اتفاق، وأرجو أن يضم هذا في بياننا الختامي، أي إتفاق يؤسَّس على تفاوض بشأن القدس، هو ساقط إلاَّ أن يطرح وأن يكون صادراً عن الأمة العربية بأكملها والأمة الإسلامية بشموليتها. هذا موضوع خطيرٌ ودقيقٌ اليوم يبحث في أروقة العالم لتمطط القدس، لتضاف الى القدس قدس جديدة بإسم القدس وتُرى هنالك حدود ومساومات وتوقيعات والعالم الإسلامي يرفضها، إذا كان قد رفض التنازل عن فلسطين فبالأولى أن يرفض حتى مجرد التفاوض بإسم القدس وبإسم فلسطين، وهذا موضوعٌ أرجو أن نعود إليه تفصيلاً.

● **الشيخ طه الصابونجي**

حول ما ورد في كلمة الشيخ د.حسّان مجذوب

نشكر الأستاذ المحاضر على هذه النفحة الوجدانية وعلى هذه المشاعر الإيمانية.

أيها السادة، هناك مفصل لا يجوز أن يغيب عن الفكر في أية لحظة. الثورة الإيرانية ثورة إسلامية، ولكن المواقع تتعدد ويصبح الموضوع أشمل وأبعد، فالموضوع الفلسطيني جانبه الأكبر والأهم جانبٌ إسلاميٌ دون شك، ولكن لا يجوز أن نفصل عن القضية الفلسطينية في بعدها الديني والحضاري، فنحن في جهادنا في فلسطين، لا نجاهد في سبيل الإسلام وحده، وإنما نجاهد من أجل الدفاع عن كل الأديان وكل الحضارات وكل القيم وكل البشر، لأن المشروع اليهودي لا يتوجه بالعداء الى الإسلام وحده، لا يعمل من أجل القضاء على الإسلام دون سائر العقائد ودون سائر الأمم، إنه مشروعٌ عنصري واستعماري وتدميري. من هنا كان هذا المثلث يتجه للقضاء على سواه من الأديان ومن التاريخ ومن العقائد ومن التطلعات والطموحات البشرية.

لذلك كان من المطالبين بالموقف الجهادي والنضالي إخوة لنا شركاء في موقع الجهاد، الإيماني والإنساني. القضية الفلسطينية، قضية تستوجب منّا استفراغ الجهد الإسلامي واستدعاء الجهد المسيحي من أجل مقاومة الشر السرطاني الذي يكيد للمسيحية أكثر مما يكيد بالإسلام والذي يعادي المسيح وقد عاداه أكثر مما عادى رسول الإسلام.

فنحن شركاء في معركة كبرى وبكل أسف لا يجوز أن تأخذنا الحماسة والغيرة الدينية الى تجاهل واقع معاشٍ ومحضّر لهذه الأمة. ليست الأمة المسلمة وحدها ولكن الأمة العربية من جهة والعالم الإنساني من جهة أخرى.

أولاً: الفكر اليهودي التلمودي تعرفون شروره وأبعاده وركائزه، التخطيط الإسرائيلي اليوم معروفٌ بأبعاده التي وصلت الى أندونيسيا وموريتانيا وإلى كل شعوب العالم.

السلاح الذري النووي الإسرائيلي، هذا ليس معداً للمنطقة العربية فقط، بل هو معدٌ لما هو أبعد من ذلك وأخطر وأعمق.

إن التعانق التركي الإسرائيلي يكشف أن الموضوع ليس موضوعاً إسلامياً محضاً. إنه موضوعٌ استعماري تدميري ،وإنه لمشروع الأخطبوط الصهيوني المتفجر، نقول هذا الكلام لكي يعلم العالم العربي حقيقة موقفه ولكي يأخذ العالم المسيحي مواقفه في دعم هذه القضية ، وبكل أسف، نسجل ما حدث بالأمس من قصور نظر ومن غباء ومن استمرار الخديعة الإسرائيلية على المسلمين والمسيحيين في الناصرة من أجل إيقاظ فتنة ومن أجل تدمير وحدة ومن أجل خديعة العالم ومن أجل الإعداد لمشكلاتٍ في عالمنا العربي والفلسطيني بالذات ضد المسجد الأقصى لإلقاء التهم على المسيحيين هنالك لأخذ الثأر، ومن أجل إيقاظ عداوات لا محل لها ولا مبرر لها بين الفلسطينيين الذين ورثنا ثقافاتهم وعلاقاتهم التاريخية دون أن نعلم من هو المسيحي منهم ومن المسلم.

هذه فتن مدبرة،ولا بد في قراراتنا الأخيرة من أن نشير إليها ونلفت نظر المخدوعين والمستفيدين في فلسطين وبين عالمنا العربي بالغيرة على المسجد وبالغيرة على كنيسة البشارة وبالغيرة على مقام شهاب الدين، نغار هنا لنستغفل، لنستجهل، لتمر المؤامرة باسم أديانناوعقائدنا وعواطفنا، من أجل أن تكون القضية لا قضية مقام شهاب الدين ولا كنيسة البشارة وإنما ليكون الإلتفاف حول كنيسة القيامة والمسجد الأقصى وحول المسيحية والإسلام وحول محمدٍ والمسيح وحول الإنسانية بأجمعها. لذلك نريد أن نلفت النظر الى أننا نحن في خندق واحد مع المجموع المسيحي الواعي المتبصر غير المنخدع بالترهات والأباطيل والإستعداءات التاريخية. لنقف جمعاً متراصاً في مواجهة المشروع العدواني العنصري التدميري الإستعماري الذي في أول مخططاته إلغاء المسيحية والإسلام وإلغاء التاريخ كله وتزوير الحضارات وكشف الخباءات النفسية التي يضمرها بنو إسرائيل.

● الشيخ خضر نور الدين

النظر الى فلسطين من وجهة نظر الإمام الخميني، كما أفهم شخصياً، كان بما تمثل من خلفيات فكرية سياسية دولية وإقليمية على ما في الأرض وقضية الشعب الفلسطيني الإنسانية من أهمها:

أن فلسطين هي اليوم محور القضايا العربية والإسلامية، حيث إن إرادة الغرب منذ بداية القرن العشرين وإلى يومنا واضحة في دعم الكيان الصهيوني تأسيساً واستمراراً لما يمتد من مصالح للغرب، اقتصادية،سياسية، أمنية، يدفع ثمنها الشعب الفلسطيني ومعه العرب والمسلمون.

من هنا أرى أن الإمام الخميني المقدس دعا الجميع في المنطقة، التي استهدفت بإيجاد الكيان العبري، ليبتعدوا عن كل ما يمكن أن يكون مانعاً من مواجهته، وأعلن يوماً يحتفل به كل المستقيمين في العالم بالقدس، لتبقى في ذاكرة كل المستقيمين.

وأسماه بالغدة السرطانية لما في ذلك من خطر للغدة السرطانية على الجسم كله، وعندما يعاني الجسم من السرطان نركز المعالجة عليه حتى لو شكا الجسم من أمور أخرى كالصداع أو داء آخر بل حتى ولو كان للعلاج انعكاسات صحية لأن المطلوب إبقاء الجسم حياً للقضاء على تلك الغدة السرطانية أولاً. ثم ننصرف الى المسائل الأخرى التي يعاني منها الجسم.

ولن أدخل للدلالة على ما قلت بلغة الأرقام بل أكشف بالقول إن إيجاد هذا الكيان منع من تقدم أهل المنطقة كلهم، حيث إن قدراتهم استنزفت بفعل الإعتداءات والحروب الصهيونية، ومن جهة أخرى تأخر النمو والإعمار والتقدم التكنولوجي والصناعي وما شابه ذلك هذا كله لصالح الغرب أولاً ثم لليهود ثانياً، حيث إن المستفيد من بيع السلاح وتأخر الصناعة والزراعة وغيرها هو الدول الغربية وعلى رأسها أميركا.

وأختم كلامي بنقطتين:

الأولى: إن مشكلة فلسطين تعني كل المسلمين والعرب وليس الفلسطينيين فقط.

الثانية: إن معركتنا أولاً مع الغرب الذي أسس وما زال يدعم هذا الكيان، ولا

يذهب أحد لتحصيل حقوقه منهم (أميركا كانت أو أوروبا) فهم أصل المشكلة وهم المستفيدون من بقاء هذا الكيان قوياً مسيطراً.

● **الأستاذ فضل شرورو:**

جواباً عن تساؤلات طرحت من قبل الإخوة المحاضرين. اليوم صباحاً ومنذ الصباح تتناقل وكلات الأنباء والإذاعات خبراً مفاده باختصار أن القائد علي خامنئي قد نزع فتيل الأمان في قنبلة العلاقات الاميركية الإيرانية، اذ كشف السر أن أميركا طلبت رداً على تساؤل، هل بعد الآن ستتابع الثورة هذا النهج؟ وشكراً.

● **الدكتور حسان مجذوب:**

الأستاذ الدكتور زهير غزاوي مما تطرق إليه في محاضرته قوله إن الإمام رضوان الله عليه يؤمن بأن شعب إيران في العصر الحاضر أفضل من شعب الحجاز في عهد رسول الله (ص)، وزاد فقال وشعب الكوفة والعراق في عهد أمير المؤمنين. رد الدكتور زهير الغزاوي وقال: أنا أقرأ في وصية الإمام وهذا ليس من عندي. فقال د. المجذوب: هل يمكن أن توضح لنا ما المراد من قول الإمام في ما أتى عليه. أجاب الغزاوي قائلاً: بعد المحاضرة.

● كلمة الختام: **الشيخ طه الصابونجي**

أيها الإخوة، أيها السادة، أيها المؤمنون جميعاً، أليست المقاومة التي ترفع اليوم قبضة الجهاد وسلاحنا المقاومة والتصدي هي من آثار الثورة الاسلامية في ايران وبركة من بركات الامام الخميني .. أيها الإخوة، ستبقى القضية متوهجة ومتلألئة كلما بقيت أمتنا على عهدها مع إيمانها وحقها وعقلها وحضارتها، والسلام عليكم.

المحور الخامس

نظرة الإمام الخميني (قده)
إلى الغرب والإستكبار العالمي:
شروط التفاعل وخطوط المواجهة

الجلسة السادسة

● **رئيس الجلسة: الدكتور علي الشامي**

● الإمام الخميني (قده) والإستعمار: جذرية الرؤية والمواجهة / **سماحة الشيخ حسين كوراني**

● رؤية الإمام الخميني (قده) الى الغرب والحضارة الغربية: خطوط المواجهة... وشروط التفاعل / **الأستاذ عادل رؤوف** ـ العراق

● الإستكبار ومفهومه في الواقع الدولي المعاصر / **الدكتور عبد الرحيم علي محمد ابراهيم** ـ السودان

● الإستكبار العالمي: الولايات المتحدة نموذجاً / **الأستاذ جهاد المحيسن** ـ الأردن

● المناقشات

كلمة رئيس الجلسة

الدكتورعلي الشامي

مدير معهد العلوم الإجتماعية في الجامعة اللبنانية ـ الفرع الخامس ـ صيدا

أظهرت الثورة الإسلامية في ايران التمايز العملي بين نظرة الإمام الخميني(قده) الى الغرب والإستكبار العالمي، ونظرة غيره من العلماء الذين وجدوا أنفسهم، منذ بدايات القرن التاسع عشر، أمام إشكالية معقدة، وضعتهم بين حدين: حد الحاجة للتفاعل والاقتباس من الحضارة الغربية، وحد المواجهة والممانعة ضد السيطرة الغربية الشاملة على العالم الإسلامي. وإذا كانت عقدة هذه الإشكالية قد قامت على استحالة التفاعل والإقتباس والحوار وسط علاقات غير متكافئة (غالب ومغلوب)، فإن الثورة أسهمت في حلّ هذه العقدة انطلاقاً من تأسيسها لعلاقة جديدة، تتوسّل التوازن كحدّ فاصل بين التفاعل والمواجهة، فالثورة، حيث تتماهى الأقوال والأفعال، وفيها تتجلى العقيدة في جمهورية وهوية، في استقلالية وسيادة، أحدثت إنقلاباً في علاقات الغلبة، وأسهمت في فتح آفاق أغلقها حكام الغرب باستمرار، وهي آفاق الحوار والتفاعل والتكامل بدون إكراه أو استكبار أو هيمنة من أي نوع.

وفي هذا السياق، تتجاوز نظرة الإمام الخميني (قده) المعاني الظاهرة لمواقفه وكلماته الى الدلالات العميقة للثورة، بما هي تجسيد لإرادة حرّة في التفاعل على قاعدة التوازن. فالغرب الغالب اشترط دائماً مقايضة قشور حضارته بجذور الهوية الخاصة بالمقلوب، حيث تتحصن الممانعة وتنهل المواجهة وسائل الدفاع عن الذات ضد السيطرة الشاملة في السياسة والإقتصاد، في المعتقدات والأخلاق، في الثقافة والإجتماع وطريقة الحياة... وقد تمظهرت نظرة الإمام الخميني (قده) في إثباته إمكانية التفاعل والحوار بدون التضحية بالذات، أو في اعتماده المواجهة الحافظة للتوازن بما هو شرط حاسم من شروط التفاعل الحرّ.

وبهذا المعنى، تشير نظرة الإمام الخميني (قده) الى مجموعة من العوامل التي يتأسس عليها مستقبل العلاقات مع الغرب، من وجهة نظر إسلامية عامة وايرانية خاصة، ونتوقف عند ثلاثة من أهم هذه العوامل:

أولاً: إن قيام علاقات متكافئة يفترض توفر عامل الإستقلالية الشمولية لكل طرف، وهذا لن يتحقق بدون تحصين الذات والثورة والهوية، وهوتحصين يختزل التوازن في القوى ويلغي معادلة الغالب والمغلوب النافية لكل تفاعل حرّ.

ثانياً: إن القدرة على التفاعل والحاجة الى الحوار والتكامل تفترض وعياً أولياً بتفاصيل الحضارة الغربية يكون قادراً على التمييز بين إيجابياتها وسلبياتها وتعيين الحدود الفاصلة بين اقتباس ما يتلاءم واحتياجات الذات ورفض ما يتناقض مع الهوية.

ثالثاً: إدراك أن الغرب لم يعد إدارة استعمارية مباشرة، وإنما أصبح حالة داخلية ذات وجود مقيم في أنظمة السياسة والإقتصاد والإجتماع والثقافة، ويعتمد، من الخارج، على شركات وأسلحة وإعلام، ومن الداخل على مؤسسات وأحزاب وشخصيات تحمل أفكاره ومشاريعه وتلبسها لباساً وطنياً، بحيث يمتد الصراع ضد السيطرة الغربية الى داخل الذات المنقسمة الى متغربين ولّوا أنظارهم شطر الغرب، هوية وخياراً، وكل الآخرين الذين لاذوا بحمى العقيدة دفاعاً عن إرادة تقرير مصير بلادهم ومن دون تفريط بالهوية والحرية والسيادة.

تشكل هذه العوامل، أي إقامة علاقة متكافئة ومعرفة الآخر وتحصين الذات هاجساً من أهم الهواجس التي داهمت المجتمعات الإسلامية في ممانعتها للسيطرة الغربية منذ أكثر من قرنين، تماماً مثلما داهمت الثورة الإسلامية منذ اليوم الأول لانتصارها، وفرضت عليها البحث عن الوسائل التي تساعدها في تحقيق هذه العوامل التي بدونها لن يقوم التفاعل ولن تثمر المواجهة، وبدونها أيضاً لن تتمكن الثورة من التحول الى أنموذج يحتذى به في العالم الإسلامي.

وهنا بالذات تكمن أهمية الرؤية الثاقبة التي خصَّ بها الإمام الخميني(قده)

الغرب، حضارةً واستكباراً، وتحديداً لجهة المخاطر التي يمثلها إصرار الغرب على فرض ثقافته ومصالحه على مستوى العالم كله، ولجهة المساحة الإنسانية العامة للحوار والتفاعلات والتكامل بين الشعوب والأمم. ومما لا شك فيه، أن رؤية الإمام الثاقبة قد أنهكت الباحثين في محور هذه الجلسة، بقدر ما أنهكت ولا تزال، جميع المهتمين بهذه المسألة منذ قرّر الغرب السيطرة على العالم الإسلامي، ومنذ قرّر المسلمون مقاومة هذه السيطرة.

ولن تسعفهم الدقائق الممنوحة لهم في تفصيل وتحليل هذه الرؤية، فكان الله في عونهم.

الإمام الخميني (قده) والإستعمار :

جذرية الرؤية

سماحة الشيخ حسين كوراني

هل تثبت المقاربة الموضوعية لتجربة الإمام الخميني أنه قدم منهجاً متكاملاً في النظرة إلى الإستعمار منطلقاتٍ وأهدافاً وخططاً وأساليب.. وفي آلية مواجهة ذلك؟

هل كانت تجربة الإمام العملية تطبيقاً لرؤية في تحديد المشكل.. وفي المواجهة.. أم أنها إلى البرنامج العملي أقرب؟.

وهل هذا المنهج - إذا ثبت - أكبر من الخصوصية الإيرانية، صالح لإلتزامه على مستوى الأمة في مختلف أجزاء الوطن الإسلامي، أم أنه «ليس نموذجاً في هذا المجال، بل كان علامة فارقة وله ظروفه الخاصة، وهو ما وصل به إلى النجاح»[1].

هذا ما أحاول الإجابة عنه.

ويتركز الحديث على:

تحديد الإستعمار، طبيعته، أهدافه، خططه، أساليبه.

أولاً: تحديد الإستعمار:

والمراد به معرفة من يطلق عليه الإمام هذا التوصيف..

من اللافت أن الإمام رغم عدائه المميز لأميركا يحرص في خطابه الثوري غالباً على الحديث عن الإستعمار الغربي والشرقي معاً.. وقلما استعمل كلمة «الغرب» وحدها في سياق الحديث عن الإستعمار..

(١) الإمام شمس الدين (رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى)، الشرق، ٢١/ ١٠/ ١٩٩٩ م.

إنه على العكس من السائد في الأوساط الثورية من تركيز الإستهداف للغرب وحده، يعمد إلى التعميم «الشرق المخادع، والغرب المعتدي»[١].

وفي الحديث عن الإستعمار الشرقي لا يقتصر على الإتحاد السوفياتي أو روسيا.. بل يخص الصين أيضاً بنصيب وافر من الإدانة.

وفي الحديث عن الإستعمار الغربي يركز بعد أميركا بشكل خاص على بريطانيا.. خصوصاً عندما يتصل الحديث - بطبيعة الحال - بالمرحلة السابقة التي كانت تقود فيها الدول الإستعمارية.

إلا أن اللهجة المتميزة في الإدانة تبقى مقتصرة على «أم الفساد في هذا القرن»[٢]، الشيطان الأكبر، الإرهابية ذاتاً، أميركا التي نفخر بعدائنا لها.

يقول الإمام:

أ - «لقد تصدت اليوم الصين الحمراء الثورية بالإسم، وأميركا مظهر الإستغلال العالمي، والاتحاد السوفياتي منبع الرياء والكذب، وبريطانيا العريقة في الإستعمار، لقمع شعبنا الذي يريد أن يحقق استقلاله دون تمايل إلى الشرق أو إلى الغرب.. وها هم يدافعون عن الشاه»[٣].

ب - «يتحرك الإستعمار اليساري واليميني اليوم يداً بيد للقضاء على أمة الإسلام والدول الإسلامية (ويسيران معاً) في طريق تشديد استعباد الشعوب الإسلامية والغارة على رأسمالها الوافر وثرواتها الطبيعية»[٤].

---

(١) اعتمدت في استخراج النصوص على برنامج «صحيفة نور» فارسي/ ٢٢ مجلداً وهو يضم الأعمال السياسية الكاملة للإمام، إصدار منظمة الوثائق الثقافية للثورة الإسلامية، التابعة لوزارة الإرشاد الإسلامي، وحيث لم يمكن تحديد الصفحات الداخلية لكل نص... فقد أوردت رقم الصفحتين الأولى والأخيرة.

(٢) صحيفة نور /فارسي/ ج ١٠/ ٣١١ - ٣٢٠ بتاريخ ١٣٥٨/٨/٢٩ هـ. ش = ٧٩ م.

(٣) صحيفة نور (فارسي) ج ٢/ ١٠٧ بتاريخ ١٣٥٧/٦/٢٨ هـ. ش = ٧٨ م وانظر إدانة الرئيس الصيني الذي لم يكترث بمجازر الشاه وعبر عن تأييده له ج ٢/ ١١٢/ ١١٥.

(٤) ج ١/ ١٨٥-١٨٦ بتاريخ ١٣٥١/ ٤/ ٢٢ هـ. ش = ٧٦ م.

ج - «هذه المائدة المنهوبة (إيران) التي تتعرض منذ مدة طويلة لهجوم اليساري واليميني (...) من جهة نجد الخبراء اليساريين الذين يهدفون إلى استعباد الشعوب الإسلامية (...) ومن جهة أخرى (نشهد) هجوم الخبراء الرأسماليين الأمريكيين الكبار...»[1].

ويتكرر دائماً في نص الإمام مصطلح الإستعمار الشرقي والغربي، إلا أن هذا لا يتم أبداً على حساب أولوية التصدي لأميركا واعتبارها رأس الحربة، ومصدر كل شر.. فقد سأله مراسل الـ «إن.بي.سي» عن تعريف الأجانب... فأجاب:

«على رأسهم أميركا التي أصبح نفوذها في كل شؤون الدولة معروفاً»[2].

ولدى التأمل في قراءة الإمام السياسية نجد أنه ينطلق في هذا التركيز على الشرق والغرب من قناعة راسخة يعتبرها - بحق - شديدة الأهمية في العمل التحرري، تتلخص في أن نهوض الأمة من كبوتها، رهن الخروج من أسر المراهنة على الشرق في مواجهة الغرب، وعلى الغرب في مواجهة الشرق.

وخلافاً لما قد يتبادر إلى الذهن من أن هذه المعادلة - إن سُلِّم بها - فإنما هي في مرحلة انقرضت وقبل مرحلة تبلور الراهن السياسي.. فضلاً عما بات بالإمكان استشرافه.. خلافاً لذلك .. تبقى هذه المقولة الحقيقة من وجهة نظر الإمام ضرورة شديدة الحيوية حتى في أشد المراحل من استفراد أميركا بالعالم وهيمنتها عليه.

إن المتغير هو درجة المراهنة لا أصلها.. وحديث الإمام منصب على الأصل.. لا على التفاصيل.. وهو يرى أن الحديث عن «مشروع الأمة» يبدأ عندما يبنى بكل خصوصياته على القناعات الأصيلة للأمة وإمكاناتها الذاتية.. أما عندما يكون مشوباً بقناعات الآخرين وإمكاناتهم فإنه هجين.. فكيف إذا كان الآخر، الغير، الأجنبي، يشكل عموده الفقري؟

صحيح أن الإتحاد السوفياتي أصبح الآن في «مهملات التاريخ» وأن روسيا

---

(١) ج ١/ ١٥٤-١٥٥ بتاريخ.. / ٤/ ١٣٤٩ هـ.ش = ٧٠ م.

(٢) ج ٣/ ١٠٧/ ١٠٩ بتاريخ ٣/ ٧/ ١٣٥٧ = ٧٨ م.

في هامش الجغرافيا السياسية إلا أن إمكانية المراهنة على غيرها.. بمستوى المراهنة عليها من قبل.. أو دون ذلك تظل قائمة باستمرار خاصة أن قناعة الوصول إلى الحكم عبر الكواليس ولعبة العلاقات الدولية هي الأكثر انتشاراً... مما يجعل المراهنة على الآخر حتى على الأميركي مصدر خطر دائم على الأمة..

ونجد في طرح الإمام هذا تقاطعاً حاداً بين نهجه السياسي... وكل الإتجاهات التي لا تصدر من الإسلام.. حيث يستعصي عليها تعقل أن تفرض الأصالة.. ويحتم الإستقلال حدية الرؤية إلى حيث يُضطر العمل الثوري لتحمل تبعات هذا الإستعداء.. وإن كان باستطاعة هذه الإتجاهات تعقل أن إرادة الشعوب تتناقض مع مصالح جميع الدول المستعمرة.. مهما أظهرت من التعاطف مع هذا الشعب أو ذاك..

والعصي على التعقل يتماهى مع مبدأ ﴿**كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله**﴾.

كما يتقاطع طرح الإمام وإن بشكل غير حاد في الظاهر مع كثير من الطروحات التي تصدر من الإسلام إلا أنها لا تمتلك من الأصالة ما يحصنها من الهجانة ونزعة التلفيق وعقدة التبرير.. خصوصاً عندما يتوقف إحراز النصر على «وسائل» وتنازلات يحجب جامح الرغبة موضوعية تقويمها.

وتحكم رؤية الإمام في هذا المجال ـ تحديد الإستعمار ـ تجربة تزخر بالأدلة القاطعة وتحسم الجدل.

إنها تجربة العالم الإسلامي في الصراع مع الكيان الصهيوني.. حيث لم يكن خداع الإتحاد السوفياتي أقل خطراً في الإخفاقات وما آلت إليه، من دور أميركا...

يقول الإمام:

«وُلدت إسرائيل من فساد الدول الإستعمارية الغربية والشرقية وتفاهمها.. والهدف من وجودها قمع الشعوب الإسلامية واستعمارها ،وهي تحظى اليوم بالدعم والإمداد من جميع المستعمرين. الإنكليز وأميركا يحرضون إسرائيل

ويحملونها على اعتداءاتها المتتالية على العرب والمسلمين والإستمرار في احتلالها لفلسطين وسائر الأراضي الإسلامية، عبر تقويتها سياسياً وعسكرياً بتقديم الأسلحة الفتاكة لها، والإتحاد السوفياتي يتكفل بقاءها بالحيلولة دون تسليح المسلمين عبر الخداع والخيانة وسياسة اللعب على الحبلين»[1].

ويجد المتتبع لنص الإمام أنه يولي هذا الأمر ـ التعميم في تحديد الإستعمار ـ أهمية قصوى.. فالإستعمار لا يتلخص في هذه الدولة أو تلك.. إنه ذهنية مريضة ترى تحقيق سعادتها في مصادرة وجود الآخرين ونهب ثرواتهم... وأية دولة حكمت هذه الذهنية تصرفاتها فهي دولة استعمارية، يمينية كانت أو يسارية، غربية أو شرقية..

بل إن الإمام يرى أن إدراك الأمة لهذه الحقيقة هو المنطلق الوحيد لاستعادة الحرية والإستقلال والحقوق المغتصبة..

باليأس من جميع الدول الإستعمارية يتم التأسيس لوعي أصيل يمكِّن من إطلاق «مشروع الأمة».

وجَّه مراسل التلفزيون البريطاني إلى الإمام السؤال التالي:

نلاحظ اليوم أن كثيراً من الشعوب الإسلامية تنمو فيها نهضة إسلامية مثل تركيا، باكستان، (...) فما هو السبب؟

أجاب الإمام:

«لقد أدت الحملات الإعلامية لدول الشرق والغرب على نطاق واسع إلى أن تطلب الشعوب المسلمة الدعم منها ظناً بأن تطور هذه الدول الضعيفة رهن الميل إلى إحدى هاتين القوتين الأعظم.. إلا أنهم كلما مالوا إلى طرف كانوا يكتشفون بعد فترة أنه لا يتحرك إلا في خط استعبادهم ومصادرة خيراتهم ونهب ثرواتهم (...) ولأن (المسلمين في) الدول الإسلامية أدركوا من خلال تصفحهم لتاريخ العلاقة بالقوى

(١) ج ١/ ١٨٥ـ١٨٦ بتاريخ ٢٢/ ٤/ ١٣٥١ هـ. ش = ٧٢ م.

العظمى هذه الحقيقة المرة، أن جميع مصائبهم من هذه القوى العظمى.. كان من الطبيعي أن يعرضوا عنها ويُقبلوا على الإسلام (...) إن المسلمين بعد سنين متمادية في الغفلة يعيشون اليوم إرهاصات اليقظة وما يزال إقبالهم على الإسلام في بداياته.. والأمل أن يتعمق توجههم إلى الإسلام ويعرفوا الإسلام كما هو، عندها تنتفي ميولهم إلى الشرق والغرب نهائياً ويبذلون الأرواح لتطبيق أحكام الإسلام»[1].

ومن الواضح أن الامام يريد أن يفتح الآفاق على أن الصحوة الإسلامية التي يشهدها العالم الإسلامي ليست حالة عابرة.. وإنما هي نتيجة اكتمال دورة اختبار الأمة للأطراف الفاعلة على الساحة الدولية.. واليأس منها.. الأمر الذي يعطي العودة إلى الإسلام بعداً آخر ينبغي التوفر على استلهامه.

ولا يفوت الامام أن يؤكد في كثير من المناسبات أن جذرية الرفض للإستعمار لا تعني الوقوع في أسر العقدة من الأجنبي.. بل ينبغي التفريق بين الدول المستعمرة وشعوبها..

رداً على سؤال لمراسل «فرانس برس» يقول الإمام:

«أنا أدين الدول الكبرى المعتدية (...) لا شعوب هذه الدول.. وأنا أشكر الناس الغربيين الذين دافعوا عن شعبنا»[2].

ويقول أيضاً «بالإضافة الى أننا لا نضمر أية نية سوء للشعوب في الغرب.. فإننا نكنّ لهم مشاعر الوُد إلا أننا لا ننظر بإيجابية إلى الدول التي أساءت معاملة الشعب الإيراني.. على أي حال فإن موقفنا تجاه الغربيين موقف عادل ولن نقف على الإطلاق من أحد موقفاً ظالماً»[3].

غير أن ذلك لا يعني إعفاء الشعوب في الدول المستعمرة من المسؤولية مطلقاً..

---

(١) ج ٤/ ١٨٢ بتاريخ ١٩/ ١٠/ ١٣٥٧ هـ. ش = ٧٨ م.

(٢) ج ٢/ ٢٠٣ـ ٢٠٥ بتاريخ ٣/ ٧/ ١٣٥٧ هـ. ش = ٧٨ م.

(٣) ج ٣/ ٢٥٧ بتاريخ ٨/ ٩/ ١٣٥٧ في مقابلة مع التلفزيون الإيطالي.

فإن عليها أن تقول كلمتها في ممارسات حكامها.. خشية أن تؤدي هذه الممارسات إلى تأجيج روح العداء بين الشعوب.

يقول الإمام:

«إن شعبنا متنفر من حكومة أميركا ودولتها، بسبب الهيمنة الأمريكية (...) وأنا قلق من أن تؤدي هذه التدخلات إلى تنفر الشعب الإيراني من الشعب الأمريكي.. يجب على الشعب الأميركي أن يحمل دولته على عدم التدخل في شؤوننا الداخلية»[1].

«إننا نفرق بين الشعب الأميركي والإدارة الأمريكية ونريد من الشعب الأمريكي أن يدعم الثورة الإسلامية في إيران»[2].

ولا تقتصر إيجابية الإمام على النظرة إلى الشعوب.. فهو يؤكد أن أية دولة مستعمرة تقرر أن تضع حداً لممارساتها الجائرة، وتفتح صفحة جديدة على قاعدة حفظ الحرية والإستقلال والاحترام المتبادل، فإن التعامل معها سيكون على هذا الأساس... فالموقف من هذه الدول ليس محكوماً للمواقف المسبقة.. بل يحكمه موقف مبدئي ضد روح التسلط والإستعمار.

«ستكون علاقاتنا مع أميركا وكذلك مع سائر دول العالم على قاعدة الإحترام المتبادل لن نعطي لأميركا حق تقرير مصيرنا»[3].

«في الحال الحاضر يقف الإتحاد السوفياتي والصين في الصف المعادي لشعبنا من خلال دعمهما للشاه، وفي المستقبل ستبنى سياستنا الخارجية على أسس ضمان حرية البلد واستقلاله والإحترام المتبادل، وعليهم أن يتخذوا قرارهم وفقاً لذلك»[4].

---

(١) ج ٣ / ١٠٧، ١٠٩ بتاريخ ٣٠ / ٨ / ١٣٥٧ هـ. ش = ٧٨ م.

(٢) ـ ج ٤ / ٨٦ بتاريخ ١١ / ٩ / ١٣٥٧ = ٧٨ م في مقابلة مع التلفزيون الإيطالي.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ج ٣ / ١٥٦ بتاريخ ٢٤ / ٨ / ١٣٥٧ هـ. ش = ٧٨ م.

وهكذا يتضح أن قراءة الامام متأنية وهادئة، بعيداً عن ردات الفعل والإسقاطات.. منطلقة من رؤية عميقة، ترفدها التجربة.

إن إخفاقات حركات التحرر التي أصبحت طابعها العام، ترجع إلى أنها ولدت مرتهنة... وكافحت وهي ترسف في الأغلال... وسلامة القصد وحدها لا تجدي..

هنا بالتحديد.. يجب البحث عن الأزمة الثورية التي يعاني منها العالم بأسره.. والتي تجعل كثيراً من دعاة التغيير بالأمس أشرس «المحافظين» و «اليمينيين» يُنظرِّون لراهنهم كما كانوا ينظرون لمستقبل ثوري.. يتبرأون الآن منه..

إن تجاوز حركة الممانعة والإعتراض لأزمتها الخانقة رهن القناعة باعتماد استقلالية القرار الثوري... فبذلك وحده يتم التأسيس لفعل استراتيجي.. تتراكم تداعياته، ليستعصي على مسارب التمييع.. وأمراض التآكل والانقلاب على المواقف.

يقول الإمام:

«إن التنمية والإستقلال والحرية في ظل تدخل الأجنبي من أية جنسية ومنهج، وأية مدرسة فكرية، في أي أمر من أمورنا السياسية أو الثقافية أو الإقتصادية أو العسكرية ليست إلا حلماً وخيالاً لا أكثر.. إن أي شخص في أي موقع كان (...) يسمح بتدخل الأجنبي (...) صراحة أو بواسطة الطروحات التي تؤدي إلى استمرار تسلط الأجنبي أو التسبب بتسلط جديد، هو خائن للإسلام والوطن.. ويجب الإحتراز منه.. وذلك لأنه مع تدخل الأجانب خصوصاً أميركا والإتحاد السوفياتي وبريطانيا فإن أي نظام يصل إلى الحكم لن يكون إلا وسيلة لإبقاء الشعب متخلفاً واستمرار تعاسته وحرمانه من جهة واستمرار النهب والتجبر والقمع من جهة أخرى»[1].

ولئن كان الإتفاق على مفهوم «استقلالية القرار» يستدعي حواراً جاداً في

(١) ج ٢: ١١٢ ـ ١١٥ بتاريخ ١٦/٧/١٣٥٧ هـ. ش = ٧٨ م.

الإطار التحرري بشكل عام.. فإن الاتفاق على مفهوم «التوكل على الله تعالى» في الإطار التحرري الإسلامي يبدو أقرب منالاً... خاصة.. وأننا أمام تجربتي الجمهورية الإسلامية.. وثمرتها المباركة المقاومة الإسلامية.

ولا يلغي مفهوم التوكل على الله تعالى... استنفار الوعي السياسي والحكمة وترتيب الأولويات، إلا أن لذلك كله حداً هو أن لا يلغي مبدأ التوكل على الله ويستبدله بالتوكل على هذا المعسكر أو تلك الدولة أو هاتيك المعادلة المادية... تنكراً للواقع ـ وهو غيب وشهادة ـ بحجة الواقعية.

يقول الإمام:

«لو أن الدول الإسلامية اعتمدت على الإسلام بدلاً من الإعتماد على المعسكر الشرقي أو الغربي وجعلت نصب عينها تعاليم القرآن المنيرة والتحررية، وعملت بها لما كانت اليوم مرعوبة من فانتوم أميركا مقهورة (الإرادة) لإرادة الإتحاد السوفياتي الشيطانية المتواطئة والمخادعة»[1].

ثانياً: طبيعة الإستعمار:

من بديهيات العمل التحرري معرفة طبيعة المستعمر.. بنائه النفسي والذهني، طرق تفكيره.. وقناعاته بثوابتها والمتغيرات.. وسائر مكونات شخصيته وموقفه.

وإذا كانت أية مواجهة ولو على صعيد واحد تقتضي معرفة كل من الطرفين بالآخر.. فكيف يمكن للمواجهة الشاملة وفي شتى الصعد، السياسي منها والثقافي والإعلامي والإعلاني والإقتصادي والأمني والعسكري، أن تتعايش مع التقصير في معرفة المستعمر.. فضلاً عن الإقتصار على العموميات.. فضلاً عن انفصام الشخصية في إدارة عملية المواجهة معه الذي يصل أحياناً إلى حد اعتباره القدوة والعدو في آن.. ويصل كثيراً إلى مراتب من ذلك تختلف شدة وضعفاً.

أن تصدر المواجهة للمستعمر من ثقافته.. وتفكر بذهنيته.. وتعتمد أساليبه

---

(١) ج ١/ ٨٥-١٨٦ بتاريخ ٢٢/ ٤/ ١٣٥١ هـ. ش = ٧٢ م.

محكومة بعقدة النقص إزاءه.. فذلك يعني أننا أمام نحو استنساخ للإستعمار عاجز عن محاكاته طامح إلى منافسته إلا أن ضعف العدة واختلاف مصب الاهتمام وإن في الظاهر يحتم الإستمرار في «منازلته».. وسرعان ما تتبدى الأمور على حقيقتها.. فإذا بالثائر بالأمس دمية المستعمر اليوم.. ولا غرابة في ذلك فلقد ظهر الخبيء وانكشف المستور.

هذه الحقيقة لا بد من استحضارها.. عند محاولة تفسير ظاهرة التقاعد الثوري بكل ما تحفل به من سوداوية وظلامية وإحباط غالباً ما تؤول إلى الردة. وهو خطر يتهدد كل فصائل التحرر الوطني بشتى اتجاهاتها.. إسلامية وغيرها.

قبل أن نلعن الظلام.. لنتأكد من سلامة الشمعة التي نزعم أنا سنهتدي بها.. ولا يكفي أن نشعل أية شمعة.. فقد تكون بداية النهاية.

ولا سبيل إلى ذلك إلا بمعرفة طبيعة المستعمر.

إن مدى زمنياً يتجاوز نصف قرن في مراقبة الإستعمار ومواكبة مؤامراته.. مكّن الإمام وهو القلب المتوهج والعقل المتوقد.. والروح الوثابة، أن يبدع في تشخيص طبيعة الإستعمار.. فيصبح المرجعية الحكم في ذلك.. خاصة وأنه ارتكز في رصده لهذه الطبيعة إلى فرادة تخصص نوعي في القراءة الآفاقية والأنفسية جعلته «خاتمة الحكماء الربانيين[1]» الذين لا يشق لهم غبار في اكتناه خصائص النفس البشرية.. وتشريح إشكاليات اشتباكها بالسلطة والإستئثار..

وسنجد أن رصيد الإمام العرفاني حاضر أبداً في حديثه عن الإستعمار.. فهو ينطلق من مقولة تلازم الدين والسياسة بل تماهيهما.. الأمر الذي يحول خندق المواجهة مع الإستعمار إلى محراب.. كما هو المحراب خندق ومتراس.. حتى لا تبقى إمكانية للفصل بين التسلط السياسي ومساوئ الأخلاق.. أو بين القوى العظمى

(١) أطلق هذا الوصف على الإمام الفيلسوف الإسلامي الكبير المعاصر السيد جلال الدين الاشتياني، وذلك قبل انطلاقة الثورة الإسلامية. راجع تقديم السيد الآشتياني لشرح القيصري على فصوص الحكم (ص ٣٣).

وحب الدنيا والنفس الأمارة بالسوء أو بين أميركا والشيطان..

يقول الإمام:

«في هذا العصر الذي نعيش.. حيث تعاني الدنيا من القطبين القويين فإن مرارة العذاب التي يتجرعها قادة تلك الدول.. وضروب القلق المدمرة التي تعصف بكل قطب تجاه الآخر، لا يمكن أن تقارن بها آلام الشرائح المتوسطة وغير الفقيرة ومشاكلها.

إن التنافس بينهم ليس تنافساً بناءً بل هو تنافس مدمر، وكأن كلاً منهم في مقابل الآخر ذئب مفترس يقف فاغراً فاه شاهراً أسنانه الحادة يريد افتراس الآخر»[1].

ونقرأ في وصيته:

«وشعبنا بل الشعوب الإسلامية، ومستضعفو العالم فخورون بأن أعداءهم الذين هم أعداء الله العظيم والقرآن الكريم والإسلام العزيز هم حيوانات مفترسة.. لا يتورعون عن ارتكاب أية جناية وخيانة لتحقيق أهدافهم المشؤومة (...) ولا يميزون في طريق الوصول إلى الرئاسة وتحقيق مطامعهم الدنيئة بين العدو والصديق، وعلى رأسهم أميركا الإرهابية ذاتاً.. هذه الدولة التي أضرمت النار في جميع أرجاء العالم... وحليفتها الصهيونية العالمية التي ترتكب لتحقيق مطامعها جنايات تخجل الأقلام والألسنة عن كتابتها وذكرها»[2].

ويلاحظ هنا أن توصيف المستعمر الأميركي وغيره بالحيوانات المفترسة قد تكرر في النصين، فهل هو من باب المبالغة.. والنزوع إلى إطلاق أسوأ الأوصاف على العدو.. أم أنه مصطلح مدروس تم اختياره بدقة..

ويكشف رصد هذا المصطلح في نص الإمام أنه يلتزم معناه بكامل دلالته.. بل ويعتبره الأساس الذي يفرع عليه كل التوصيفات التي اعتمدها لكشف طبيعة

---

(١) بلسم الروح/ ١٥ (بتصرف).

(٢) الوصية الخالدة.

الإستعمار العدوانية والمفترسة.

ويرجع اختيار الإمام الدقيق لهذا المصطلح إلى الرؤية القرآنية عن الإنسان والحيوان والتي نجد تكثيفاً لها في الآيتين:

﴿إن الذين كفروا يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام﴾.

﴿إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾.

ولا يمكن فهم موقف الإمام من الإستعمار وعملائه الحكام الدمى.. إلا في ضوء هذه الرؤية ومرتكزاتها القرآنية.

وليس في التذكير بذلك التباس بين الأخلاقي والسياسي، بل هو غوص في العمق السياسي لمعرفة مكامن النزعة الإستعمارية التي تتوقف الواقعية في العمل التحرري على مدى معرفتها.

ويستدعي إيضاح منطلق الإمام في هذا التوصيف لطبيعة الإستعمار، الرجوع إلى نصوصه بهذا الصدد...

«يختلف الإنسان عن سائر الحيوانات في أن للحيوانات حدوداً في روح الافتراس فيها (...) أما الإنسان فليس محدوداً... لا في بُعد الفضائل ولا في بُعد الرذائل..

في البعد الأول يصل إلى حيث تصبح كل صفاته إلهية.

وفي البعد الثاني يصل إلى جميع مراتب الظلمة ﴿يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ جميع الظلمات وذلك لغلبة الشهوة والافتراس والشيطنة...»[1].

«إن للإنسان ملكاتٍ لا تظهر هنا.. إلا أنها تظهر في الصفحة التالية، صفحة ظهور السرائر، بأشكال مناسبة.. فمن يكون الآن في صورة إنسان.. قد تكون ملكاته الباطنية غاية في السوء.. وعليه فهو الآن حيوان مفترس وليس إنساناً... إن ذاته ذات حيوان مفترس»[2].

---

(١) ج ٤، ١٤٧-١٥٦ بتاريخ ١٧/١٠/١٣٥٧ هـ. ش = ٧٨ (بتصرف يسير).

(٢) المصدر نفسه.

ما ذكر ليس إلا مفتاحاً نستحضر به رؤية متكاملة حفل خطاب الإمام السياسي بالعناية بها والصدور منها... الأمر الذي يكشف بجلاء أنه استعمل هذا المصطلح وهو يتبنى كامل دلالته..

ولا مجال على الاطلاق لقراءة متَّسقة لتجربة الإمام بمعزل عن هذه الرؤية... كما لا يمكن الإنتماء إلى خط الإمام، والنسج على منواله إلا انطلاقاً منها.

إن معرفة طبيعة الإستعمار.. تشكل إحدى أهم الضمانات لجذرية العمل التحرري.. وصلابة عوده وديمومته.. وتبرز أهمية هذه الضمانة بصورة خاصة في تحديد الموقف من وعود المستعمر وعهوده التي قد يبادر فيقطعها على نفسه عند تصاعد المد الثوري بهدف خداع الجماهير أو قياداتها وفي تحديد الموقف من التفاوض معه في الشأن السياسي.. أو الحوار معه في الشأن الفكري... وبديهي أن الحوار مع الشعوب في الدول المستعمرة باب آخر لا علاقة له بموضوع البحث.

وبالرغم من أن يمتلك ناصية معرفة طبيعة المستعمر لا يوصد أبواب الإفادة الممكنة من نقاط ضعف العدو، إلا أنه سيكون عصياً على محاولات الإيقاع به محصناً - في هذا المجال - إلى أقصى حد ممكن.

وقد شكلت نظرة الإمام هذه إلى الإستعمار الأصل الذي صاغ من مداره كل المفردات التي يزخر بها خطابه السياسي التعبوي في توصيف المستعمرين.. ومنها:

أ- القوى الشيطانية[1].

ب- القوى الجهنمية[2].

ج- اللصوص الدوليون[3].

د- مصاصو الدماء[4].

---

(١) ج ٣ / ٢٥١-٢٥٦ بتاريخ ٤/٩/١٣٥٧ هـ. ش = ٧٨ م.

(٢) ج ٢/ ٢١٠-٢١٢ بتاريخ ٤/٨/١٣٥٧ هـ. ش = ٧٨ م.

(٣) ج ٤/ ١٢٨-١٣٠ بتاريخ ١٢/١٠/١٣٥٧ هـ = ٧٨.

(٤) ج ١٥/ ١٥٣-١٥٤ بتاريخ ٢١/٦/١٣٦٠ هـ. ش = ٨١.

هـ ـ الجشعون[1].

و ـ المغيرون الرُّحَّل[2].

ز ـ الذين ملأوا الدنيا دماً ودماراً ودفنوا عشرات الآلاف من أجل شهواتهم[3].

ويؤكد الإمام أن المستعمرين عاجزون عن إدراك البعد المعنوي.. لا وجود للقيم في قاموسهم.

وبديهي أن الإنسان إذا تنكر للقيم فهو مجرد حيوان.. فإذا امتلك من أسباب القدرة ما يمكنه من التسلط.. بادر إلى ذلك مهما كان الثمن.. ولن يتعامل مع كل من يحول بينه وبين اشباع غريزته إلا بروح الافتراس..

يقول الإمام:

«الماديون لا يفكرون إلا بالمادية.. لا يمكنهم التفكير بغير ذلك.. لا يمكنهم أصلاً أن يفهموا (مثلاً) معنى الشرف.. إن الشرف بالنسبة إليهم أن يكون أثاثهم فاخراً، أن تتعدد العمارات وأن تكون هندستها مميزة.

لا يفكرون بالإنسانية أبداً.. ليسوا في هذا الوارد.. ولو أنهم كانوا يفكرون بذلك لعبَّروا عن أسفهم لقتل هذا العدد الكبير من الناس في إيران من المفكرين والعلماء الأبرياء والمظلومين ومن النساء والأطفال والصغير والكبير، إلا أنهم لم يعبّروا عن أسفهم أبداً.. بل لا يرون ذلك مورداً للأسف، إنهم يرون أن عدداً من الذين كانوا يحولون دون تحقيق مآربهم قد قتل..

أما عندما يقتل «هويدا» فإن صوتهم يرتفع.. يتأسفون.. هؤلاء لا يتصورون وجود شيء (...) اسمه البعد المعنوي.

بالنسبة إلينا ثمة أمور أخرى قائمة في هذا العالم غير العمارة والسيارة.. وغير

---

(١) ج ٢/ ١٤٢ ـ ١٤٤ بتاريخ ٢٠/٧/١٣٥٧ = ٧٨ م.

(٢) ج ٤/ ٩٥٣٢٤ ـ ١١ بتاريخ ١١/٩/١٣٥٧ هـ. ش.

(٣) ج ٦/ ٥٥ ـ ٦٢ بتاريخ ٢/٢/١٣٥٨ هـ. ش = ٧٩ م.

القدرة الحيوانية.. إن ذهن أمثال كارتر لا يستوعب هذه الحقيقة ولا يمكنه التفكير بها.. هذا السناتور الأمريكي الذي اعترض على هذه الإعدامات.. لا يمكنه أن يدرك أن في العالم شيئاً آخر غير الحيوانية.

الإنسان الذي يفكر بأن في الدنيا اموراً أخرى لا يمكن أن يكون كل همه أنه لم يعد يحصل على النفط مجاناً أو أن فلاناً خدمنا وكان قتلُه للناس لصالحنا».

«البعد المعنوي هو الميزان.. طبعاً أولئك الذين لا يفهمون ليس لهم إلا عين حيوانية وكل إدراكهم حيواني، العين عين حيوان والإدراك إدراك حيوان وكل شيء يدور عندهم مدار البعد الحيواني».

«هذه الدول يجب أن تكون طعمة لأميركا.. تصطاد منها ما يحلو لها.. ومن يَحُلْ بينها وبينه فهو مدان.. يدينه الكونغرس الأميركي. لا يمكنهم أن يدركوا غير ذلك.. لقد تربوا عليه منذ الصغر.. وعندما يتحدثون عن حقوق الإنسان.. فإنهم لا يدركون منها إلا هذه الطبيعة المادية.. أما الحقائق المعنوية فإنهم لا يستطيعون فهمها»[1].

ويكفي التأمل في هذه النصوص - وهي غيض من فيض - والتنقل بينها وبين مشاهد التشوه النفسي والخلقي للمستعمر التي تتبدى جلية في الموقف والممارسة... لندرك أننا بحاجة إلى التذكير الدائم بهذه الحقيقة المغيبة... بل المجهولة... إلى الحد الذي بات فيه الحديث عن مواجهة الشيطان الأكبر الأميركي يعتبر في كثير من الأوساط ضرباً من الجنون... بحجة أن أميركا تمسك بكل مفاصل القدرة في أربع رياح الأرض عبر ثالوث المال والتكنولوجيا والمخابرات!..

لا مجال لاستئصال هذا الوهم السرطاني... إلا بجذرية الرؤية التي تزداد تجذراً ورسوخاً كلما ازداد المستعمر سطوة وبطشاً...

إنها الرؤية التي لا تتعامل مع الواقع بطوباوية من يدرس بعض الواقع «عالم الشهادة» وإنما تتعامل معه بواقعية لأنها تحدق في الواقع كله... بعده المادي..

---

(١) ج ٦ / ٥٥ - ٦٢ بتاريخ ٢/ ٢/ ١٣٥٨ هـ. ش = ٧٩ م.

وبعده المعنوي «الغيب والشهادة».

وتحت هذا المجهر.. تظهر صورة المستعمر على حقيقتها شوهاء نكراء ليس بينك وبينها إلا ما بينك وبين الذئب الكاسر. حد السيف.. وما صنع الحداد.. وخزين الحكمة في وجه الخطر الداهم..

شتان بين من يواجه المستعمرين وهو ينطلق من يقين أين منه الطود بأنهم حيوانات مفترسة وبين من يواجههم من منطلق إمكانية التفاهم معهم أو اقناعهم بوجهة نظره.. ريثما يسمح له وزنه «الثوري» بذلك.

أوضح مثال ما شهده الصراع مع العدو الصهيوني... إن مرض القناعة العضال بإمكانية التفاوض قد أوصلنا إلى أن يعطي البعض عبر المفاوضات أضعاف ما سلب بالبطش والمجازر.. في حين أن واحة الضوء اليتيمة في لبنان وفلسطين لم تسطع إلا في هدي رؤية الإمام الجذرية التي لا تترجم عملياً إلا بالجهاد وفوار الدم.. دون اكتراث بلهاث المهرولين في عصر انعدام الوزن.

ثالثاً: أهداف الإستعمار:

ونحن نصغي للإمام في حديثه عن أهداف الإستعمار، سنجد أنه يشاطر الرؤى الثورية الأخرى الرأي في أن الإستعمار يهدف إلى بسط النفوذ وإحكام السيطرة لنهب ثروات الأمة والتحكم بمواقعها الإستراتيجية، ومصادرة وجودها.. وتحويلها إلى مستهلك لمنتجاته، ولا نجد فرقاً جوهرياً في تحديد الأهداف... لذلك سأكتفي بالإرجاع إلى جملة من النصوص التي عالج الإمام فيها هذا الموضوع.. دون إيرادها[1] وذلك نظراً إلى أن تاريخ الإستعمار الطويل والمرير قد كشف أهدافه

(١) حول استعباد الشعوب الاسلامية ج ١/ ١٨٥-١٨٦ وحول المصالح السياسية والاقتصادية للاستعمار في العالم الإسلامي ج ١/ ١٥٤-١٥٥ وحول نهب الثروات الذهب الأسود والأصفر ج ١/ ٨٦-١٠٠ وج ٢/ ٢٤٦-٢٥٤ وحول إقامة سوق سوداء للدول التي تسمى متطورة لبيع فائض إنتاجها، المصدر نفسه، ج ١/ ٨٦-١٠٠، وحول السيطرة على المواقع الاستراتيجية ج ٣/ ٢٤٥-٢٥٠، ج ٤/ ٧٣-٨٠، ج ٥/ ١٦٤-١٦٩، ج ١١/ ١٠٧-١١٥، ج ١٤/ ١٩٩-٢٠٠.

للأمة.. حتى باتت أوضح من الشمس في رابعة النهار.. بخلاف المخططات والأساليب التي ساهمت عوامل متعددة في خفاء بعضها أو تظهير بعضها الآخر في غير حجمه الحقيقي كما سيأتي.

رابعاً: خطط الإستعمار:

من الطبيعي أن يلجأ الإستعمار إلى رسم سياسة عامة ووضع خطط، تحكم الأساليب التي سيعتمدها ليصب ذلك جميعاً في تحقيق أهدافه النهائية...

١ ـ القضاء على الإسلام.

٢ ـ تمزيق الأمة وزرع الشقاق في صفوفها.

٣ ـ إبقاء العالم الإسلامي رهن التبعية والتخلف.

٤ ـ إقامة الكيان الصهيوني.

وقد اندرجت تحت كلٍ من هذه الخطط أساليب متعددة.. حفل نص الإمام بالتنبيه إليها والتحذير من مغبة الغفلة عنها.. أو التساهل فيها.

وقد يستغرب البعض إدراج القضاء على الإسلام في عداد الخطط وعدم اعتباره أحد أهم الأهداف.. الأمر الذي يستدعي التوضيح..

يرفض الإمام أن يمنح الإستعمار شهادة ثقافة وتحضر لا يستحقها.. وذلك من خلال الإيحاء بأنه يحارب الإسلام من منطلق ثقافي صرف.. من هنا نجده يؤكد أن الإستعمار رغم معرفته بمكامن القوة في الإسلام ـ فهو يحاربه بحكم طبيعته الحيوانية.. لأنه يشكل السد المنيع أمام تحقيق أهدافه التي تمليها عليه غرائز الجشع والإستحواذ والافتراس.

لذلك ينبغي اعتبار القضاء على الإسلام سياسة عامة للإستعمار، وإحدى خططه، وهو بعد هدف قريب ومركزي.. إلا أنه بالتأكيد ليس هدفاً نهائياً.

يقول الإمام:

«إنهم يريدون أن يستغلوا (بلادنا) ويستولوا على ثرواتها.. من هنا كان لا بد أن يعملوا على إزالة الموانع التي تحول بينهم وبين تحقيق مآربهم (...).

هم يعلمون أن الإسلام ليس كما يقدمونه.. لقد درسوا وبحثوا جيداً، ولذلك فهم يخططون في ضوء دراساتهم.. لقد درسوا النص القرآني، ودرسوا الإسلام وأدركوا أن القرآن كتاب إذا تواصل معه المسلمون، فإنه كفيل بإحباط كل محاولات أولئك الذين يريدون السيطرة على المسلمين.. لقد درسوا وعرفوا ما هو القرآن وما هو الإسلام وما هي نصوص الإسلام.. وأن المسلمين إذا تربوا على ثقافة هذه النصوص والتزموا بالقرآن وعملوا به، فسيشكل ذلك نهاية هذه الغارات (التي يشنون) وألوان التسلط التي يمارسون.. فماذا يفعلون.

رأوا أنه لا بد من فصل الأمة عن الإسلام»[1].

بناءً على ذلك، كان من الطبيعي اعتبار «القضاء على الإسلام» في عداد الخطط والأهداف القريبة لا الأهداف النهائية.

وعلى العكس ممن يرى أن استهداف الإسلام من الأهداف النهائية.. ثمة من يستغرب حتى اعتباره من جملة الخطط، لأنه يصدر من قناعة مادية لا تقيم للدين وزناً.. وهو في أحسن الحالات لا يعتبر الدين طرفاً في الصراع.. وفي أسوأها يزعم أنه أحد أهم عوامل التخلف.

أصحاب هذه القناعة هم الشريحة التي نجح الإستعمار في اقتطاعها من الأمة والتي ينبغي أن يشكل الإحساس بآلامها الحافز الأكبر لاستنقاذها.. وبذل قصارى الجهد في تعميق تفاعل الأمة مع دينها.. وصد حملات التشويه التي تستهدفه.

يحتل دفاع الإمام عن الإسلام مساحة كبيرة من نصه.. إلى حد أنك على مدى

---

(١) ج ٣/ ٣-١٢ بتاريخ ١٤/ ٨/ ١٣٥٧ هـ.ش= ٧٨م.

أكثر من ربع قرن.. لا تكاد تجد له حديثاً أو بياناً يخلو من التركيز على عظمة الإسلام ورد الشبهات المثارة حوله..

وعندما حط الرحال في فرنسا.. لم يقتصر خطابه السياسي على مجريات الثورة وجرائم النظام.. وإنما اعتبر الفرصة السانحة منبراً للدفاع عن الإسلام وكشف مؤامرات الإستعمار.

وتحس بوضوح تميزاً في لهجة هذا الدفاع.. يلح عليك أن تدرك سره.. تتساءل.. هل يكمن هذا السر في أن الإمام فقيه ومرجع.. فلا بد أن يدافع عن الإسلام.. وهل يكمن في أن الإستعمار جعل استهداف الإسلام النقطة المركزية لكل أساليبه فكان من الطبيعي أن يبذل الجهد في المقابل بحجم هذا الإستهداف.

بالإضافة إلى هذا وذاك يعتبر الإمام أن الإسلام كان وما يزال خط الدفاع الأول عن الأمة وحصنها الحصين الذي تتكسر على أقدامه كل أمواج الغزو العاتية.. ولئن أسقط المستعمرون الكيان السياسي للمسلمين.. فإنهم لم يستطيعوا أن يسقطوا الإسلام في نفوسهم.

بالرغم من كل الأضرار التي لحقت بالتزام الأمة بدينها.. فإنها ما تزال وفية له وإن انطلى عليها الكثير من ألوان الخداع..

لقد أسقط المغول الكيان السياسي للمسلمين آنذاك.. إلا أن الإسلام كان أقوى منهم... فاندثرت حملاتهم وبقي الإسلام...

فليست الحملات الإستعمارية بدعاً من العدوان على الأمة.. وليست قدراً بل هي موجة عاتية وإن طال بها الزمن.. فلا بد أن تزول.

من هنا جاء دفاع الامام عن الإسلام مختلفاً.. فهو دفاع عن حصن قائم.. وليس بكاءً على الأطلال، إنه شد الإنتباه إلى سلاح تتهاوى أمامه كل الأسلحة.. وهو الآن في قلب المعركة التي تدور رحاها.. وعلى كل مسلم أن يأخذ موقعه فيها..

سر لهجة الإمام.. نفاذ بصيرته إلى العمق.. ليرى أن الأمة ما تزال لا تعدل

بالإسلام غيره وإن غطى الغبار الأفق، وسدَّ الزبد كل مسارب الضوء.

وما مثال مصر منذ كامب ديفيد إلى الآن إلا نموذج صغير يكشف عن أن كل ألوان التشويه للإسلام لم تزل قاصرة عن القضاء عليه.

وعلى هذا الأساس، يرى الإمام أن المعركة الحاسمة مع الإستعمار هي في إفشال مخططه الرامي إلى إسقاط الإسلام في أعين المسلمين. أما المعارك الأخرى.. فإنها على خطورتها... تأتي في الدرجة الثانية..

وهو يرتكز في ذلك على فرادة في النظرة إلى الفطرة، والدين، والإجتماع، تمكنه من التمييز بين الوافد الطارئ.. والذاتي الثابت.. يأتي مزيد إيضاح لها.. في الحديث عن رؤية الإمام في المواجهة..

ونظراً للترابط بين الخطط والأساليب.. فسأكتفي حول الخطط بما تقدم منتقلاً إلى الأساليب التي يشكل الحديث عنها حديثاً عن الخطط أيضاً.. وإنما وقفت عند «القضاء على الإسلام» لأنه الموضوع الوحيد المختلف فيه من بين خطط الإستعمار وما عداه موضع اتفاق.. أو يكاد...

خامساً: أساليب الإستعمار:

وأذكر هنا كل خطة من الأربع المذكورة.. ثم أورد في سياقها الأساليب المرتبطة بها.

في المجال الأول: القضاء على الإسلام:

يؤكد الإمام أن معرفة المستعمرين بقدرة الإسلام على تحصين الأمة ضد مخططاته الهدامة هي السبب الرئيس الذي جعلهم يستهدفون الإسلام بأنواع التهم والإفتراءات، وكان من جملة ذلك:

١ ـ تشويه صورة الإسلام.

وقد عملوا من أجل ذلك على أكثر من صعيد.. مركزين على أمرين:

أ ـ اتهام الإسلام بالتخلف:

يقول الإمام:

«أحد الأساليب التي اعتمدها الإستعمار في الدول الإسلامية، تقديم الإسلام على أنه متخلف ورجعي (...) عمدوا إلى التأكيد على أن أحكام الإسلام ترجع إلى ما قبل ألف سنة»[1].

ب ـ اتهام الإسلام بالتخدير:

أولى الإمام عناية خاصة لفرية «الدين أفيون الشعوب» وخصص لها وهو في باريس حيزاً مهماً من بعض خطبه.. خاصة وأن إحدى الصحف في الاتحاد السوفياتي ـ آنذاك قد أبرزت هذه المقولة بالعنوان العريض... فيتحدث الإمام مطولاً عن مواجهة الأنبياء للفراعنة، وعن الزخم الجهادي الهائل الذي أطلقه الإسلام في صدره الأول، وما يزال، وأن العلماء الحقيقيين لم يكونوا يوماً أداة بيد الرأسماليين للسيطرة على الشعوب المستضعفة.

٢ ـ تشويه صورة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

يقول الإمام:

«ومن المصائب على الدول الإسلامية والشعوب المسلمة أن الأعداء في الدول الإستعمارية يركزون منذ سنين طويلة على تشويه صورة رسول الله صلى الله عليه وآله وتصغيره.. لقد عملوا طويلاً من أجل ذلك»[2].

وينطلق الإمام في اعتبار ذلك «من المصائب» من الخطورة الفائقة التي تنتج عن الإساءة إلى موقع المصطفى صلى الله عليه وآله في أذهان المسلمين..

يرى الإمام كما تقدمت الإشارة أن المستعمرين درسوا بعناية طبيعة البناء

---

(١) ج ٣/ ٣-١٢ بتاريخ ١٤/ ٨/ ١٣٥٧هـ. ش = ٧٨م.

(٢) نفس المصدر ٣٥ ج ٢/ ٢٣٦-٢٤٥ بتاريخ ٨/ ٨/ ١٣٥٧هـ.ش=٧٨م.

النفسي والثقافي للمسلمين... وعرفوا كل خصوصياتهم.. ومن الطبيعي أن يقودهم ذلك إلى فهم الآثار المترتبة على هز اعتقاد المسلمين بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله باعتباره واسطة العقد في البناء الإسلامي.

من هنا وجدنا أن تصديه لمؤامرة «الآيات الشيطانية» جاء مبكراً.. وفوق كل التوقعات وبحجم المؤامرة.. ولم ينطلق في ذلك من ردة الفعل.. بل أعاد التأكيد على حكم كان قد دونه في رسالته العملية «تحرير الوسيلة» قبل ربع قرن حول المرتد..

ولقد كان تعاطي الإمام مع كل تهديد للإسلام أو إحدى ركائزه... من موقع المدرك لأبعاد ذلك.. الواضع له في سياق اجتثاث جذور الإسلام.. واستئصال المسلمين...

ولا ركيزة للإسلام تبلغ أهميتها... أهمية الإعتقاد برسول الله صلى الله عليه وآله.

٣ ـ إسقاط منطق القرآن:

من الأساليب التي اعتمدها الإستعمار محاولة إخراج القرآن من حياة المسلمين.

يقول الإمام:

«السبب في حربهم على القرآن، أن يفصلوا المسلمين عن القرآن... ويسقطوا منطق القرآن بين المسلمين.. حتى لا تبقى للشعوب التي يطمعون بثرواتها أية إمكانية مقاومة»[١].

وبديهي أن منطق القرآن.. هو المنطق العقلي السليم لا المدعى الموهوم منطق القرآن.. منطق تحرير الإنسان من أسر الباطل، خرافة كان أو طاغوتاً أو غير ذلك.

يقول الإمام:

«القرآن الكريم الذي تنزل من مقام الأحدية الشامخ إلى الكشف التام المحمدي (صلى الله عليه وآله) لترشيد العالمين ومحور جمع (توحيد) لكل المسلمين بل للعائلة

---

(١) مقدمة الوصية الخالدة (بتصرف في الترجمة).

البشرية، ليوصلها إلى حيث يجب أن تصل... ويحرر وليدة علم الأسماء هذه (الإنسانية) من شر الشياطين والطواغيت ويحقق القسط والعدل في العالم.. ويودع الحكومة أيدي أولياء الله المعصومين عليهم صلوات الأولين والآخرين ليأمروا بكل ما فيه صلاح البشرية»[1].

كما يتحدث بالتفصيل عن منطق القرآن التحرري.. مركزاً على أن الأصل فيه التصدي للباطل وفراعنته[2].

فمنطق القرآن إذاً.. هو منطق الحق.. والغيب أساس فيه بل يتماهيان.. فليس عالم الشهادة إلا الإنعكاس والظل.. من هنا كان منطق القرآن نقيضاً للباطل، والتسلط والإستعباد والإستعمار أسوأ تمظهرات الباطل.

٤ ـ تشويه صورة العلماء:

من البديهي أن تتقاطع مهمة الإستعمار في القضاء على الإسلام مع إسقاط العلماء في أذهان المسلمين وتشويه صورتهم لديهم.

يقول الإمام:

«الإسلام سدٌّ في وجه الأجانب وعملائهم، والعلماء حماة الإسلام سد لا يستطيع الأجانب بوجوده أن يتصرفوا في الدول الإسلامية كما يحلو لهم... وخصوصاً في إيران.. لذا فهم يخططون منذ قرون لتحطيم هذا السد بحيل مختلفة»[3].

ويقرن في نص آخر بين القرآن والعلماء فيقول:

«بدون القرآن والعلماء لا تستطيع الجماهير أن تقاوم (من القرآن والعلماء

---

(١) ج ٢/ ٣٢-٣٤. بتاريخ ٢٩/ ١١/ ١٣٥٦ = ٧٧م وج ٢/ ١١٢/ ١١٥ بتاريخ ١٦/ ٧/ ١٣٥٧هـ. ش = ٧٨م.

(٢) ج ١/ ٢٢٨-٢٢٩. بتاريخ .../ ٤/ ١٣٥٦ هـ. ش = ٧٧م.

(٣) ج ٢/ ٢٣٦ - ٢٤٥. بتاريخ ٨/ ٨/ ١٣٥٧ هـ. ش = ٧٨م.

تنطلق المقاومة) لقد أوصلتهم دراساتهم إلى أن كلاً من القرآن والعلماء سدٌّ في وجه المصالح الغربية .. السدُّ هو القرآن والذين فهموه فيجب إذاً تحطيم هذين السدَّين»[1].

وفي نص آخر، يجمع الإمام بين الحديث عن الإسلام والقرآن والعلماء، مؤكداً أن أميركا هي التي تعمل على تحطيم هذه السدود التي تحول بينها وبين تحقيق أهدافها:

«بالأمس كانت الدول الإسلامية قد ابتليت بمخالب الإنكليز وعملائهم واليوم.. بمخالب أميركا وعملائها (...) إنها (أميركا) التي ترى أن الإسلام والقرآن مضران بمصالحها.. وتريد إزاحتهما من طريقها..

أميركا ترى أن العلماء عقبة في طريق الإستعمار ويجب أن تلقي بهم في السجن وتواجههم بالتضييق والإهانة»[2].

كان المستعمرون... وما يزالون.. يصرون على ملاحقة العلماء بالتهم وازدراء الدور والطرح والممارسة لتعميق النظرة السلبية بين المسلمين تجاههم... ليصب ذلك في تشويه الإسلام من خلال تشويه حملته... ويخدم الخطة المركزية «القضاء على الإسلام».

لذلك نجد الإمام شديد الحساسية أيضاً تجاه هذه المؤامرة.. نظراً إلى آثارها الخطيرة.

٢ ـ فصل الدين عن السياسة:

حيث إن مهمة الإستعمار في تشويه الإسلام شاقة وعسيرة.. كان لا بد من أن يردف ذلك بمحاولة الفصل بين الدين والسياسة... وقد بذلت جهود كبيرة... في هذا المجال ـ وما تزال ـ وقد أثبتت نتائجها ـ للأسف ـ أن هذه المؤامرة هي السلاح الأمضى.

---

(١) ج ١/ ١٠٩-١١٣. بتاريخ ١٣٤٣/٨/٤ هـ. ش = ٦٤م.

(٢) ج ١/ ٢٣٣-٢٤٢ بتاريخ ١٣٥٦/٧/٦ هـ. ش = ٧٧م.

يقول الإمام:

«طبعاً في كثير من الأذهان بل في أكثرها.. من الناس وأهل العلم (العلماء والطلاب) والمقدسين ـ أنه ما دخل الإسلام بالسياسة. الإسلام والسياسة منفصلان عن بعضهما (...) هذا ما ألقاه في أذهاننا هؤلاء الأجانب، وهذه الحكومات. عندما يريدون أن ينتقصوا معمماً يقولون: شيخ سياسي.. هؤلاء لم يعرفوا الإسلام (...) أحكام الإسلام السياسية أكثر من أحكامه العبادية... أبواب الفقه السياسية أكثر من أبوابه العبادية (...) الإسلام تصدى للظالمين، أمر بالقتال وأمر بالقتل في مقابل الكفار والمعتدين»[1].

ونقرأ في مقدمة وصيته:

«وقد رأينا كيف أنه إذا تلفظ أحد بشيء عن الحكومة الإسلامية وتحدث عن السياسة التي هي المهمة الكبرى للإسلام والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، والقرآن والسنة مشحونان بها، فكأنه ارتكب أكبر المعاصي.. وكيف أصبحت كلمة «شيخ سياسي» مرادفة لشيخ بلا دين.. وما يزال الأمر كذلك»[2].

وبالرغم من أن الإمام يحمّل الإستعمار تبعة تأجيج نار هذه المؤامرة «فصل الدين عن السياسة»، إلا أنه يرى أن جذورها تمتد إلى عهد الأمويين... فيقول حول ذلك:

«إن ذلك مخطط شيطاني تم اعتماده منذ زمن الأمويين والعباسيين.. واستمر بعدهم كلما جاءت حكومة اعتمدته.. وأخيراً عندما فتح طريق الشرق والغرب إلى الدول الإسلامية... بلغ هذا المخطط الذروة... زعماً بأن الإسلام علاقة بين الفرد وربه ولا علاقة بين السياسة والدين ولا ينبغي أن يتدخل المسلمون ولا العلماء في السياسة»[3].

---

(١) مقدمة الوصية الخالدة، ١٢.

(٢) ج ١٦/ ٢٣١-٢٣٥ بتاريخ ٣/ ٥/ ١٣٦١ = ٨٢م.

(٣) ج ١/ ٨٦-١٠٠ بتاريخ ١٨/ ٦/ ١٣٤٣ هـ .ش = ٦٤م.

وفي المجال الثاني: تمزيق الأمة، وزرع الشقاق في صفوفها:

هنا تطول القائمة التي يوردها نص الإمام، لتشمل - في ما وجدت - أحد عشر أسلوباً هي كما يلي:

١ - إسقاط الدولة العثمانية:

«رأى المستعمرون أنه مع وحدة العالم الإسلامي، فلا مجال لفرض ما يريدون (...) كانت الدولة العثمانية من القوة بحيث إنها إذا دخلت في حرب مع روسيا فقد تنتصر عليها ولم تكن سائر الدول نداً لها.. كانت الدولة العثمانية دولة امتد نفوذها من الشرق إلى الغرب... فرأوا أنهم مع وجود دولة بهذه القوة لا يمكنهم أن يحققوا شيئاً، لا يمكن السيطرة على الثروات، «لعل بعضكم يتذكر ماذا فعلوا في الحرب العالمية الأولى بالدولة العثمانية الكبرى»[١].

٢ - إلغاء الإسلام في تركيا:

«رقعة الإنتشار الواسعة (للدولة العثمانية) أيام ارتكازها إلى الإسلام، جعلت المستعمرين يدركون أن الإعتماد على الإسلام عنصر شديد الأهمية... ومعه لا سبيل إلى القضاء على الدول الإسلامية.. لذلك خططوا لإلغاء الإسلام رسمياً في تركيا، وفصلوا الدين عن الدولة»[٢].

ومن الواضح أن الإمام يعتبر أن إلغاء الإسلام في تركيا جزء متمم لاستهداف قلب العالم الإسلامي ورمز وحدته.. فإسقاط الدولة وحده لا يكفي... بل لا بد من إلغاء الإسلام رسمياً مخافة نهوض الأمة من كبوتها.. ومحاولة الأخذ بزمام المبادرة مجدداً.. خاصة وأن مسألة تقسيم العالم الإسلامي كانت تحتاج إلى مزيد من الوقت لتصبح أمراً مستساغاً... فضلاً عن أن تصبح أمراً واقعاً.. أو أن تنسى الأمة دولتها الموحدة كما هو الحال الآن.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

٣ ـ التمزيق الجغرافي:

«بعد أن انتصروا على الدولة العثمانية، كما هو معروف، عمدوا إلى تقسيمها إلى دول صغيرة جداً، وجعلوا لكل منها إما أميراً أو سلطاناً أو رئيس جمهورية»[١].

٤ ـ التمزيق العرقي:

«الأمر المهم الذي أذل الدول الإسلامية، وهو يبعدها عن ظل القرآن الكريم، هو لعبة التمييز العرقي.. هذا العرق تركي يجب أن يؤدي صلاته باللغة التركية... وهذا إيراني يجب أن تكون أبجديته كذا.. وهذا عربي يجب أن تحكمه العروبة لا الإسلام... العرق الآري يجب أن يحكم لا الإسلام، العرق التركي يجب أن يحكم لا الإسلام... عبادة العرق والعنصر هذه مسألة طفولية، أشبه ما تكون بلعبة الأطفال (...) للأسف أنهم سلبوا المسلمين نقطة ارتكازهم.. وما يزالون... ولا أعلم إلى أين ينتهي الأمر»[٢].

«إنهم يخافون من الإسلام لأنه دين المساواة والأخوة... ولا وجود فيه للتمييز العنصري.. كل ما فيه التقوى والصفاء والأخوة والمساواة... وهم يعلمون أنه إذا طبق الإسلام كما هو في هذا البلد فسيعجزون عن الإستمرار في تجبرهم ونهبهم»[٣].

ويؤكد الإمام على احترام جميع العناصر والأعراق.. وعلى قاعدة المساواة... وأن مصب الإدانة هو التمييز بين عنصر وعنصر أو عرق وآخر.. كما هو منطق هتلر، أو حزب البعث العراقي وصدام بل كما هو منطق الإستعمار... فيقول:

«لسنا ضد العربية، أو العجمية، أو التركية أو أي عنصر وعرق.. ولكن لا بذلك المعنى الذي يقول به حزب البعث في العراق نعم للعرب ولا للعجم أو الأتراك أو أي عرق آخر.. هذا ما كان يقول به هتلر أن عرقه هو الأرقى وقد فعل بالعالم ما سمعتم أو رأيتم»[٤].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ج ٨/ ١٠٢-١٠٣ بتاريخ ٢١/ ٤/ ١٣٥٨ هـ. ش = ٧٩م.

(٤) ج ١٤/ ٦٦- ٦٨ بتاريخ ٢٢/ ١١/ ١٣٥٩ هـ. ش = ٨٠م.

«كان قد اقتنع هذا الشعب المظلوم إثر الحملات الإعلامية التي أطلقتها القوى الكبرى المتطورة والحملات الداخلية التي أطلقها عملاؤهم بأن علينا استيراد كل شيء من الخارج.. واقتنعنا أو أكثرنا بأن الغرب عنصر أرقى!»[1].

٥ ـ التمزيق المذهبي:

أحد أمضى الأسلحة الفتاكة.. التي أثخنت جسد الأمة بالجراح، سلاح التمزيق المذهبي البغيض..

يقول الإمام:

«والدول المستعمرة التي تريد الإستيلاء على ذخائر المسلمين (...) بحيل مختلفة، منها الخلاف الشيعي ـ السني.. تبث أموراً للإيقاع بين طوائف المسلمين وتلقي الاختلاف بينهم، ليتسنى لها السيطرة على ذخائرهم.. ويبقى المسلمون عاجزين عن أي فعل.. (...) يجب أن يتنبه قادة الدول الإسلامية إلى أن هذه الاختلافات هي التي تذهب بحيثيتهم أدراج الرياح».

«يجب أن يواجهوا ذلك بالعقل والتدبير ملتفتين إلى أن الأعداء يريدون القضاء على الإسلام باسم المذهب وباسم الإسلام.

الأيدي الملوثة التي تزرع الشقاق بين الشيعة والسنة في هذه الدول لا شيعية هي ولا سنية.. إنها أيدي الإستعمار الذي يريد أن يستولي على الدول الإسلامية ويستولي على ثرواتها..

(...) إنهم يضعفون الدول الإسلامية بإيجاد الإختلاف المذهبي، ليقضوا على المذهب وعلى الدين أيضاً..»[2].

---

(١) ج ١٣/ ٢٨٢-٢٨٩ بتاريخ ٢٩/ ١٠/ ١٣٥٩ هـ. ش = ٨٠م.
(٢) ج ١/ ٨٦-١٠٠ بتاريخ ١٨/ ٦/ ١٣٤٣ هـ. ش = ٦٤م.

٦ ـ ابتداع المذاهب الباطلة:

ومن جملة أساليب المستعمر في شرذمة الصف الإسلامي، ابتداع «المذاهب» الباطلة لاقتطاع جزء من الأمة ـ على الأقل ـ وتوظيفه لصالح أهدافه.

يقول الإمام:

«.. هم يخططون منذ قرون لتحطيم هذا السد (الإسلام) بحيل مختلفة (...) وتارة عن طريق إيجاد المذاهب الباطلة وترويج البابية والبهائية والوهابية»[١].

ولئن اقتصر خطر البابية والبهائية على إيران.. وأجزاء صغيرة متناثرة من الوطن الإسلامي ما تزال براثنهما ناشبة فيها.. فإن للوهابية حديثاً آخر..

يعتبر الإمام أن الوهابية «مذهب ملؤه الخرافات، يسوق الشعوب الغافلة إلى (أحضان) القوى العظمى عبر استغلال الإسلام العزيز والقرآن الكريم»[٢].

ويولي الإمام أهمية خاصة لكشف زيف الصورة المشبوهة التي قدمت عن الإسلام تحت برقع الوهابية، فيعبر عن خزين الغضب والمرارة الذي تتلاطم أمواجه في نفسه الكبيرة.. لما لحق بالإسلام من أضرار فادحة نتيجة التباس الإسلام الحقيقي في أذهان أجيال من المسلمين وغيرهم بالإسلام الأميركي الذي روجت له الوهابية ومراكزها في جميع أرجاء العالم، فيقول:

«إن سجل العار المظلم للحكام عديمي الإحساس في الدول الإسلامية يكشف عن تزايد الألم وشدة المصيبة التي تحل بكيان الإسلام المثخن بالجراح..».

«ليس نبي الإسلام بحاجة إلى المساجد المترفة والمآذن المزينة.. كان نبي الإسلام يهتم بمجد أتباعه وعظمتهم، وللأسف فإنهم جراء السياسات الخاطئة للحكام أصبحوا أذلاء (...)».

ألا يرى المسلمون أن مراكز الوهابية في العالم تحولت إلى مراكز فتنة

---

(١) ج ١ / ٢٢٨-٢٢٩ بتاريخ ../ ٤ / ١٣٥٦ هـ. ش = ٧٧م.

(٢) ٥٣ - ج ٢١ / ١٦٩-٢٠٦. الوصية. بتاريخ ١٥ / ٣ / ١٣٦٨ = ٨٩م.

وجاسوسية وهي تروج لإسلام الأعيان.. إسلام أبي سفيان، إسلام الملالي القذرين، إسلام أدعياء القداسة عديمي الشعور في الحوزات العلمية والجامعات.. إسلام الذل والنكبة، إسلام المال والقوة، إسلام الخداع والمساومة والإستعباد، إسلام حاكمية الرأسمال والرأسماليين على المظلومين والحفاة.. وبكلمة: الإسلام الأمريكي!.

«ومن جهة أخرى تسجد على أعتاب أسيادها أميركا آكلة العالم! لا يعرف المسلمون إلى من يشكون هذا الألم»[1].

تجدر الإشارة إلى أن السبب في تشديد النكير إلى هذا الحد أن شرذمة الأمة عبر تمويه الإسلام سلاح شديد المضاء والفتك ويصب في النتيجة في مخطط القضاء على الإسلام عبر أخطر الأساليب.

ينطلق الإمام إذاً من أن سر قوة الأمة ونقطة ارتكازها في تفاعلها مع الإسلام الأصيل... ولذا، فإن كل الأساليب الأخرى يبقى خطرها محدوداً ما دامت الأمة محصنة بالإسلام.. أما إذا تسرب الخلل إلى نقطة الإرتكاز هذه.. فإن الأمة تغدو بمثابة جيش اختلس منه سلاحه الحقيقي في قلب المعركة.. واستبدل بسلاح وهمي، عندها يصبح أضعف الأساليب، الأسلحة الأخرى، خطيراً وفتاكاً.

ولقد كان عصياً على المستعمرين أن يقطعوا هذه الأشواط المرعبة في تحقيق مآربهم لولا «الإسلام الأمريكي» الذي أطلق على قاعدة التضليل.. لإيهام الأمة أنها بارتكازها إلى هذا الإسلام المموه ما تزال وفية للقرآن متمسكة بأهداف الإسلام، معتصمة بحبل الله.. ويكشف التأمل في نص الإمام المتقدم أنه يعتقد بتعدد عوامل انتشار الإسلام الأميركي.. فإن له في كل وسط زمراً.. إلا أن الوهابية تأتي في طليعة هذه العوامل.. وقد مكنتها من ذلك الأموال الطائلة التي سهلت لها تقديم نسخة الإسلام الأمريكي منقحة.. مرصعة بالجواهر والدولارات..

---

(١) ج ٢٠/ ٢٢-٣٤٤ بتاريخ ٢٩/ ٤/ ١٣٦٧ هـ. ش = ٨٨م.

حَرِص المستعمرون وما يزالون، على أن تشكل الوهابية مرجعية دينية، تستقطب المسلمين في العالم... منطلقين في ذلك من موقع مكة المكرمة والمدينة المنورة في أذهان المسلمين.. وعلى هذا الأساس قامت مراكز الوهابية في جميع أنحاء العالم التي يتحدث الإمام عن دورها الخطير في شل إرادة الأمة.

إن دور الوهابية هو القضاء على المناعة في الكيان الإسلامي.. والمحور في الفكر الوهابي هو تجميد العلاقة بالله تعالى، والرسول، والقرآن، والإسلام، في إطار الإعتقاد العقلي الجاف.. وعدم السماح بنقله إلى القلب... مركز الإحساس والتفاعل وأمير الجوارح.. فإن أية حزمة إحساس، أو خفقة قلب، أو ومضة روح.. هي - عندهم - شرك وكفر وخروج عن الإسلام... الأمر الذي يعني إخراج الإسلام من دائرة الفعل والتأثير والتحكم بالسلوك.. وبالتالي إخراجه من حياة الأمة.. ليفتح الباب على مصراعيه أمام أميركا وأضرابها.. وكل محاولات الإفساد والتغييب والإذلال..

من هنا كان من الطبيعي أن يكون تحذير الإمام من هذا الخطر المركزي متناسباً مع حجمه.

٧ ـ اختلاق الأحزاب المضلِّلة:

من الثوابت في رؤية الإمام السياسية... معرفة المستعمر الدقيقة بالعالم الإسلامي وخصائصه الروحية والثقافية والنفسية.. وأنه انطلق من هذه المعرفة لاعتماد مختلف الأساليب التي تؤمن له تنفيذ مخططاته.

ومن جملة هذه الأساليب أن ثمة فريقاً من المسلمين يمكن استيعابهم في أطر حزبية.. فلا بد إذاً من اختلاق هذه الأطر لاجتذابهم وتوظيفهم في الإتجاه المناسب.

ولا يعني ذلك التعميم على الإطلاق.. فليس كل إطار حزبي مفتعلاً ومشبوهاً بل يعني أن بين الأحزاب في العالم الإسلامي أحزاباً اختلقها الإستعمار.. وهي بمستوى الظاهرة: يقول الإمام:

«... يخططون منذ قرون لتحطيم هذا السد (الإسلام) بحيل مختلفة (...) وتارة عن طريق الأحزاب المضلِّلة (بالكسر)»[1].

ويتحدث عن الأحزاب في إيران.. مشيراً إلى أن ذلك يشمل العالم الإسلامي كله، إلا أن مصب حديثه آنذاك هو إيران فيقول:

«هذه الأحزاب القائمة، لا تتصوروا أن السبب في تشكيل كل منها أن مجموعة تفاهمت فأسست حزباً.. بل تم تأسيس الأحزاب وفق خطة شيطانية لكي تحول القوى العظمى دون اتحاد الشعب.. من أجل ذلك اعتمدوا تعدد الأحزاب وإلقاء الإختلاف بينها.. أوجدوا الأحزاب والجبهات المتعددة في قلب الشعب، لا لكي يقوم كل من الأحزاب والجبهات بواجبه.. بل لكي يختلفوا في ما بينهم.

إن إحدى طرق استغلال الغرب لنا، استغلال أميركا والإتحاد السوفياتي لثرواتنا وبلادنا، أن يوجدوا الاختلاف في قلب المجتمع الذي يريد النهوض والتقدم، وبطرق مختلفة (منها) تصادم القناعات (...) لينشغل بصراعاته فيما يشن المستعمرون الغارة على نفطه وثرواته»[2].

ويكشف النص بوضوح أن الإدانة تشمل الخلافات بين الأحزاب حتى إن لم تكن مختلقة.. عندما تؤدي إلى التصادم.. واستنزاف الجهد في معارك هامشية...

٨ ـ التمزيق الثقافي:

عَنيْتُ به الحديث المستفيض للإمام حول بذر الخلاف بين الحوزة والجامعة ويحظى هذا الأسلوب الإستعماري ـ هو الآخر ـ بحساسية فائقة وعناية مميزة في نص الإمام..

ذلك أنه حديث عن شطر قلب الأمة إلى نصفين.. إن كل أمة تريد النهوض من وهدتها... ترى في مفكريها ومثقفيها وحملة راية العلم فيها الأمل المنشود.. فإذا

(١) ج ١/ ٢٢٨-٢٢٩ بتاريخ ../ ٤/ ١٣٥٦ هـ. ش = ٧٧م.
(٢) ج ٢/ ٢٤٦-٢٥٤ بتاريخ ٩/ ٨/ ١٣٥٧ هـ. ش = ٧٨م.

شبت نار العداوة بين هؤلاء وتطاير شررها.. فإن الأمل يتبدل إلى خيبة... بحجم ضراوة الصراع..

والسبب.. أن هذا الخلاف يعني في جوهره أن المحرك المرشح لقيادة المجتمع قد انشطر.. وكل محاولات الثورة بعد إما أن تصبح عقيماً أو تلد جنيناً مشوهاً.

ولن تنفع كل محاولات الترقيع، إلا إذا استعاد هذا القلب المحرك عافيته، لينبض بالحياة.. ويسري دفؤه في الشرايين.

ويشكل هذا الهم، أحد أبرز مرتكزات الخطاب السياسي للإمام.

وتبلغ أهميته لديه إلى حد أنه لم يتفاءل بإمكانية انتصار الثورة الإسلامية.. إلا عندما لاحظ أن حركة التوحد بين الحوزة والجامعة في إيران ماضية قدماً.

يقول في ذلك:

«إني ورغم كوني أمضي فترة نقاهة الشيخوخة، ولم أحقق أياً من الآمال التي كنت أصبو إليها... إلا أن هذه النهضة التي تحققت في السنوات الأخيرة... وتسببت بالتقارب بين الشرائح الطلابية وعلماء الدين.. جعلتني أعيش الأمل الواثق بأن لا يطفأ هذا النور.. ليقضي على هذا الشرخ - الذي أوجد بأيدي الخونة الغربيين والشرقيين، بغية استعمار الدول الإسلامية - عبر النهضة العالمية والشاملة للشرائح الطلابية الأعم من الحوزة والجامعة ويتم الإنصراف إلى العلاج والبناء بعد تشخيص الآلام ومواطن الخلل»[1].

والتصور الذي نخرج به من متابعة معالجة الإمام لهذا الموضوع هو أن الأعداء عملوا لتحقيق هذا الهدف على مسارين:

الأول: ضرب موقعية العلماء.

الثاني: تأجيج الصراع بين الحوزة والجامعة.

وقد تقدم ما يكفي لإيضاح الأول.. ويأتي ما يسلط الضوء عليه.

---

(١) ج ١/ ١٦١-١٦٢ بتاريخ ٦/ ٢/ ١٣٥٠ هـ. ش = ٧١م.

وحول الثاني يقول الإمام:

«يجب أن نبذل الجهد لإزالة الإختلافات التي زرعها الأجانب بيننا ويجب أن نعلم أن استمرارها بين شرائح الشعب، خصوصاً بين العلماء والطلاب أو مثقفيهم، تعني اليأس من النصر»(١).

وفي خطبة تاريخية إثر استشهاد نجله العالم الجليل السيد مصطفى، وانطلاقة المرحلة الأخيرة من مراحل الثورة، والتي تواصلت حتى النصر.. يعبر الإمام عن عتبه على العلماء لعدم التنبه إلى أن إثارة الإختلاف بين الحوزة والجامعة تهدف إلى استنزاف الجهود في معارك جانبية.. ويوصي بالحذر الشديد ومواجهة ما يثار بالحكمة... وعدم اللجوء إلى الإدانة فضلاً عن التكفير أو الحكم بالإرتداد وغيره..

كما يدعو الجامعيين إلى عدم الإساءة إلى العلماء واتهامهم بالرجعية:

«أسجل عتبي على العلماء الأعلام.. حيث إنهم ولصفاء أذهانهم يقعون تحت تأثير الدعاية السيئة للنظام (...) بين الحين والآخر يفتعل أمر.. فينشغل الجميع به بدل الانشغال بالأمور الأساسية... ويتركز الجهد في أن زيداً كافر وعمرواً مرتد وذاك وهابي (...) على العلماء أن لا يبعدوا هذه الأجنحة التي تعمل للإسلام (...) لا ترموا الجامعيين بالفسق.. وعلى الجامعيين أن لا يتهموا العلماء بالرجعية»(٢).

وفي المجال الثالث: إبقاء العالم الإسلامي رهن التبعية والتخلف:

يمكن رصد الأساليب التالية:

١ ـ تنصيب الحكام العملاء.

أحد أهم المفاصل في العمل الثوري.. تحديد الموقف من الحاكم بموضوعية وتجرد.. فإما أن يكون وطنياً.. فيتم التعامل معه على هذا الأساس، وإما أن يكون تابعاً عميلاً فلا مجال للتلاقي معه..

---

(١) ج ١/ ٢٥٢-٢٥٤ بتاريخ ٢٤/ ٩/ ١٣٥٦ هـ. ش = ٧٧م.

(٢) ج ١/ ٢٥٥-٢٦٦ بتاريخ ١٠/ ١٠/ ١٣٥٦ هـ. ش = ٧٧م.

وتجارب شعوبنا في هذا القرن مع الحكام غنية جداً... وهي تكشف ـ للأسف ـ أن الحكام الوطنيين كانوا وما يزالون الإستثناء لا القاعدة...

ويكمن مقتل العمل الثوري في ضبابية التصور والممارسة.. فإذا بلغ الأمر حد التبرير للمواقف الإنهزامية والخيانية ـ وتحت أي عنوان يفترض ـ فإن ذلك يعني ببساطة التحول من موقع العمل التغييري الثوري... إلى موقع اللعبة السياسية التي يمسك العدو بكل خيوطها.. ومنها تلك التي يوهم هذا الفصيل أو ذاك أنه هو الذي يحركها..

ثمة مساحة من حركة المستعمر.. لا غنى له فيها عن السواتر وتمتد هذه المساحة لتشمل كل المجالات.. إلا أن أهمها بالتأكيد إضفاء الصبغة الوطنية على ممارساته.. المباشر منها.. أو ما يعهد به إلى الأنظمة الطيعة. ولا ساتر يفوق اندفاع بعض فصائل حركة التحرر الوطني والإسلامي التي تعاني من ضبابية الرؤية فيحملها ذلك إلى خندق المستعمر.. وهي تحسب أنها تحسن صنعاً. واليقين بخطورة النتائج.. يغني عن تقويم الدوافع والمنطلقات التي يعسر فيها اليقين.

ومذ قال كلمته الأولى كان الإمام الخميني بصيراً بالحكام في الدول الإسلامية... وأنهم ليسوا حكامها إلا أنه اعتمد النصيحة حتى للشاه رغم معرفته بشد وثاقه الإستعماري الأمر الذي يرسي مبدأ في التعامل مع الحاكم المرتبط... هو النصح أولاً... تقدمة للحجة غير أن روح النصح الحذرة.. لا تضعف أمام التظاهر بالإصغاء.. ولا يستخفها الإطراء فضلاً عن أن تخدع بالوعود.. أو تتخذ المساومة سلماً إلى المواقع وسنرى أن قاطعية الإمام في هذا المضمار لم تحمله إلى التعميم.

يقول:

«كثير من حكومات الدول الإسلامية... نتيجة استلاب الهوية أو العمالة، تنفذ مخططات أعداء الإسلام الخيانية والمشؤومة»[1].

(١) ج ١/ ١٩٥-١٩٧ بتاريخ ٢٤/ ١٢/ ١٣٥١ هـ. ش = ٧٢م.

إلا أن ندرة المستثنى تجعل نص الإمام في الغالب متصفاً بالشمول.. فيقول مثلاً:

«الأعداء يستعمرون الحكام.. والحكام يذلون الشعوب»[1].

وبعد انتصار الثورة الإسلامية وتحرير إيران من يد المستعمرين يقول الإمام:

«لقد خرج بلد من يدهم.. وهم يخشون تكرار ذلك في الدول الإسلامية الأخرى و(عسى) أن يتحقق ذلك»[2].

ويحمل الحكام تبعة تخلف العالم الإسلامي وكل مصائبه فيقول:

«الدول الإسلامية المخدوعة هي التي أوصلتنا إلى هذا الوضع السيئ... مصائبنا من حكام المسلمين، هؤلاء الرؤساء المساكين الذين هم في غفلة عن مصلحتهم، أو أنهم لا يريدون التنبه لها.. هم الذين تسببوا بالنكبة لشعوبهم... وأوصلوا المسلمين إلى هذا المصير السيئ»[3].

٢ ـ الصراع بين الدول الإسلامية:

بديهي أن إبقاء العالم الإسلامي في دائرة التخلف، يحتم افتعال الصراعات والنفخ الدائم في ضرمها لتستنزف الموارد ويستحكم الشعور بالحاجة إلى الإستقواء.. والإرتهان.. ويُخنق الحلم بالوحدة ويصبح التضامن حلماً بعيد المنال... كما هو الآن.

يقول الإمام:

«إحدى خصائص واقعنا.. أن الدول الإسلامية تستهدف بعضها يصطف قسم معاً ضد فريق آخر.. ويجهز كل منهم الجيوش (...) هل ثمة سبب غير اليد

(١) ج ١ ٨٦-١٠٠ بتاريخ ١٨/٩/١٣٤٣ هـ. ش = ٦٤م.
(٢) ج ٦ ٢٢٦-٢٤٠ بتاريخ ١/٢/١٣٥٨ = ٧٩م.
(٣) ج ١ ٨٦-١٠٠.

الإستعمارية ؟»[1].

«ما يمكنني أن أقوله للدول الإسلامية... وآمل أن يصل إليهم ويصغوا إليها أن يقيموا وحدة اسلامية واقعية، ليعرضوا عن بعض شهواتهم ويمدوا يد الأخوة إلى بعضهم ولا يطلب كل منهم التفوق على الآخر.. وليقفوا جميعاً في مقابل الغرب دون انبهار بالشرق»[2].

ويسجل الإمام إدانة صريحة للإنقلابات وسياسة الأحلاف والمحاور، ويعتبرها إمعاناً في التفتيت .

«لماذا تغفل الدول الإسلامية عن هذه الحقائق ؟.. لماذا تحدث هذه الانقلابات داخل كل دولة ؟... لماذا التخاصم والجبهات بين الدول الإسلامية ؟... هؤلاء يقيمون اتحاداً ثلاثياً في مقابل أولئك... وأولئك اتحاداً آخر...

«لا تقيموا أنتم حلفاً ثلاثياً وتتحدوا مع إسرائيل في مقابل اتحاد أولئك (...) ليتحد الجميع.. إنكم جميعاً مسلمون... ليكن اعتمادكم على القرآن...»[3].

٣ ـ الثقافة الإستعمارية:

«الأمر الذي يمكن وصفه بأنه «أم الأمراض» هو الرواج المتزايد للثقافة الأجنبية الإستعمارية التي ربت شبابنا لسنين متمادية على الأفكار المسمومة، وقد عمل عملاء الإستعمار الداخليون على نشرها أكثر فأكثر...

«ولا يمكن أن تنتج الثقافة الإستعمارية الفاسدة إلا موظفاً ورب عمل منبهرين بالإستعمار.

يجب أن تبذلوا الجهد في البحث في مفاسد الثقافة الحالية وتبينوها للشعب، وتنحوها جانباً بإذن الله تعالى وتحلوا بدلاً منها الثقافة الإسلامية الإنسانية لتتربى

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المصدر نفسه.

الأجيال القادمة على نهجها الذي هو بناء الإنسان وبسط العدل...

يجب السعي لاسترداد كل ما خسرتموه على مدار حكم الحكومات العميلة... والأهم في ذلك كله هو الإستقلال الروحي فإن من لوازم خسارته عقدة الحقارة في مقابل أنظمة الجور»[١].

وبمناسبة إصدار الشاه كتاباً تحت عنوان «مأموريتي من أجل وطني» يتحدث الإمام عن مفردات مأمورية الشاه - وغيره مثله - فيذكر منها:

«إنه مأمور أن يوصل ثقافة الإستعمار الحديث إلى أقصى نقاط البلد النائية»[٢].

ويدعو الإمام إلى إحلال الثقافة الإستقلالية... محل الثقافة الإستعمارية.

«إذا أردتم أن يكتمل استقلال بلدكم فإن ذلك يتوقف على (التحول الثقافي) لتحل الثقافة الإستقلالية محل الثقافة الإستعمارية... ليصبح كل شيء مستقلاً... تتحول الأدمغة الإستعمارية إلى أدمغة مستقلة... وما لم يتحقق ذلك فلن نصل إلى النصر النهائي»[٣].

«الثقافة الإستعمارية يفوق خطرها كل خطر بل هي أسوأ من أسلحة هؤلاء المتغطرسين المستعمرين»[٤].

ويحدد الثقافة الإستقلالية بأنها الثقافة الذاتية، الإلهية، والإنسانية[٥].

٤ ـ سرقة الشباب:

حيث إن أحد الأهداف النهائية للمستعمر هو نهب الثروات، فمن الطبيعي أن

---

(١) ج ١/ ١٦١-١٦٢ بتاريخ ٦/ ٢/ ١٣٥٠ هـ. ش = ٧١م. في رسالة جوابية إلى الطلاب المسلمين المقيمين في أوروبا.

(٢) ج ١/ ١٨٩-١٩١ بتاريخ ٣٠/ ٦/ ١٣٥١ هـ. ش = ٧٢م. وانظر ص ٢١١-٢١٤.

(٣) ج ١٠/ ١٢٠-١٢٤ بتاريخ ١٢/ ٨/ ١٣٥٨ هـ. ش = ٧٩م.

(٤) ج ١/ ٢٦٢-٢٧٦ بتاريخ ١٩/ ١/ ١٣٥٦ هـ. ش = ٧٧م.

(٥) انظر ج ٥/ ٩٨ و ١٠٥ و ١٩٨.

تستهدف غاراتهم أعظم ثروات هذه الأمة... الشباب: «أغلى من ثروات باطن الأرض... الثروات التي على ظهرها... أيها السادة إنهم يسرقون شبابنا... يعلم الله أنهم يسرقون شبابنا... فريق تأخذه أميركا وفريق الجهة الفلانية... وفريق يأخذونه الآن إلى «إسرائيل» توجد لدي الآن «مجلة منظمة الطلاب الإيرانيين في إسرائيل».

أيها السادة، إن هؤلاء الشباب هم ذخائرنا وثرواتنا... وهم يضللونهم، إنهم يحقنونهم بأن كل مصائبكم من الإسلام»[1].

«عملاء الإستعمار الذين يدركون أن معرفة الشعوب خصوصاً الجيل الشاب المتعلم بمبادىء الإسلام المقدسة، تؤدي إلى سقوط المستعمرين وزوالهم الحتمي وقطع أيديهم عن مصالح الشعوب المستعمرة، بادروا إلى نصب العراقيل وهم يحاولون عبر بث السموم وتشويش أذهان الشباب وأفكارهم إلى الحيلولة دون جلاء الصورة المشرقة للإسلام... ويعملون على حرف شبابنا بعناوين خداعة ومدارس فكرية منمقة..

يجب عليكم أيها الشباب التركيز على الحقائق... والبحث في حقائق الإسلام في المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية وغيرها... ولا يفوتنكم التأكيد على الخصائص التي تميز الإسلام عن غيره من جميع المدارس الفكرية الأخرى حذراً من الخلط بين القرآن المقدس وقانون الإسلام المنقذ... وبين المدارس الخاطئة المضللة التي هي إفرازات فكر البشر.

يجب التنبه إلى أنه ما دامت أمة الإسلام متعلقة بهذه المدارس الإستعمارية... أو أنها تقارن القوانين الإلهية بها وتضعها في مصافها فلا أمل بالإستقلال والحرية...

«هذه المدارس، اليساري منها واليميني، لا تقدم إلى الأمة الإسلامية إلا لتضليلها. إنهم يريدون أن يبقى المسلمون إلى الأبد حقراء وأذلاء ومتخلفين ورهائن وبعيدين عن تعاليم القرآن التحررية»[2].

---

(١) ج ١ ٨٦-١٠٠. بتاريخ ١٨/٦/١٣٤٣ هـ. ش = ٦٤.

(٢) ج ١ ١٨٥-١٨٦ بتاريخ ٢٢/٤/١٣٥١ هـ ش = ٧٢م.

ويتحدث الإمام عن تركيز المستعمر على إدارة الجامعات ومراكز التعليم في العالم الإسلامي وفق السياسة التي تتيح له التحكم بالجيل الشاب... موضحاً أن العلم الذي يتاح لشبابنا الحصول عليه محدود... يحكمه مخطط الأعداء بإبقائنا متخلفين:

«مراكز التربية والتعليم التي أنشأها هؤلاء... من الجامعة إلى آخر مدرسة... إنها أيضاً مراكز استعمارية، إنها ضمن حدود لا يسمحون بتجاوزها ثم إنهم يوجدون موانع متعددة لإبقاء أبنائنا في دائرة التخلف»[1].

«إن تطور البلد مرتبط بالجامعة»[2].

«جامعتنا ليست مستقلة... بل لا توجد عندنا جامعة لأن الجامعة التي يتحكم بقرارها فرد، ليست جامعة. لا بد وأن يكون المحيط العلمي حراً..»[3].

«إذا كانت الجامعات سليمة كما نريد فسيتخرج منها رجال كبار يمكنهم أن يقفوا في وجه محاولات الإستغلال والعدوان والنهب لثرواتنا ولأن (المستعمرين) لا يروق لهم ذلك ،فهم يعملون على تربية أبنائنا كما يريدون، وإذا أمكنهم أن يربوهم على الإنبهار بالغرب... فعلوا... أي يطرحون لهم أفكار الغرب بطريقة تقنعهم... فيعيشوا الغربة عن الذات والتبعية لهم أي يصبحون عملاء لهم.

هذه التربية كما هو عليه الأمر حتى الآن إلى أنه إذا كان ثمة أفراد يمكنهم التصدي للشأن العام فإنهم لن يفعلوا إلا ما يعود بالنفع على المستعمرين لا على شعوبهم، وذلك لأنهم ذابوا إلى أقصى حد في تلك التربية وذلك التعليم الأمريكي والأجنبي، وقد أصبح الأجانب في نظرهم من العظمة بحيث إنهم (تنكروا) لكل مآثرهم وأمجادهم وكل ما يرتبط بهم أنفسهم، وانصب اهتمامهم وتركز على الغرب

---

(١) ج ٣/٨٣-٨٧، ٦/١٠/١٣٥٧ = ٧٨م.
(٢) ج ١/١٦-٢١، ١١/٩/١٣٤٦ = ٦٧م.
(٣) ج ١/٢٦٧ - ٢٧٦، ١٩/١٠/١٣٥٦، ٧٧م.

وما يرتبط به، (يريدون أن) يبقى أبناؤنا أسرى التخلف والدليل على ذلك أننا بعد مضي سبعين سنة على تأسيس المدارس وثلاثين سنة على تأسيس الجامعة ما نزال نضطر إلى إرسال مرضانا إلى الخارج للعلاج»[1].

وتتوثب روح الإمام الشابة أبداً، لدى الحديث مع الشباب.. لتفصح عن الآمال الكبار التي يعقدها عليهم... وبالتالي عن عظيم خطر الثروة التي يمثلون.

«أعزائي... شمِّروا عن ساعد الجد، ومزقوا أغلال العبودية واحداً تلو الآخر وأخرجوا من الساحة العملاء الخونة... واقطعوا أيدي أسيادهم الجشعين التي امتدت إلى البلاد الإسلامية... السعادة والحرية والإستقلال خلف سد العملاء الداخلين وأسيادهم في الخارج... دمروا السدود... وحطموها...»[2].

٥- إشاعة الفساد:

يتقاطع الحديث عن إشاعة الفساد مع الحديث عن الشباب .. إلا أن الفساد يستهدف كل شرائح المجتمع .. وإن كان يتركز على الشبيبة والناشئة.

يقول الإمام:

«الإسلام يعارض جرّ الشباب و(سائر) المسلمين إلى الفساد»[3].

ورغم أن مصطلح الفساد أعم من السياسي والاداري والمالي ... إلا أن المراد به هنا الفساد الأخلاقي والمسلكي.

وهو دون شك مصدر كل فساد.

ويعتبر الفساد الأخلاقي أخطر الأمراض التي تسببت وما تزال بولادة حركات تحرر معاقة .. لا تلبث أن يلفّها النسيان ويطويها الموت.

تنتمي روح التغيير إلى مدرسة العقل .. وينتمي التسلط إلى مدرسة الغرائز.

---

(١) ج ٤/ ٨٢-٨٧، ٦/ ١٠/ ١٣٥٧ هـ .ش = ٧٨م.

(٢) ج ٢/ ١٤٢-١٤٤، ٢٠/ ٧/ ١٣٥٧ = ٧٨م.

(٣) ج ٣/ ٧٧، ١٨/ ٨/ ١٣٥٧ (٧٨م).

والتعايش بين روح التغيير وسلطة الغرائز .. ضربٌ من المحال..

التحرر عصارة قيم فاضلة، العدل والحب والإيثار، والفساد الأخلاقي إمعان في الأنانية وانغلاق الذات ... وليس من الحرية في شيء..

يقول الإمام:

«الحرية في إطار القانون .. ما منحنا اللّه تعالى الحرية فيه .. فنحن فيه أحرار .. لسنا أحراراً في الإفساد .. لا حرية لأي إنسان في أن يفعل ما ينافي العفَّة» (١).

وفي أقدم وثيقة جهادية للإمام عام ١٩٤٤ للميلاد يتحدث عن محاولات السلطة لنشر الفساد في المجتمع فيقول:

«إن ترك القيام لله تعالى (في وجه الظالمين) هو الذي سمح وما يزال بتمرير (مؤامرة) نزع حجاب النساء العفيفات وتحويل الصحف إلى سلع لنشر الفساد والأخلاقي (...) إذا تركتم القيام لله (والجهاد في سبيله) ولم تعملوا على إعادة الشعائر الدينية فستتحكم بكم زمرة من المنحلّين عبيد الشهوات ويسخّرون دينكم وشرفكم لأهدافكم الباطلة»(٢).

ويربط الإمام بوضوح بين الإستعمار والفساد:

«من وجهة نظر الشاه يجب أن يبقى الشعب الإيراني متخلفاً وتبقى ثقافة القرآن والإسلام مهجورة ... ويستمر خرق الدستور، وتمتد الفحشاء إلى أعماق ساحة هذا المأتم التي اسمها إيران ليواصل الإستعمار الحديث النَّهب والسلب بطمأنينة بال ... ويواصل عملاؤه التافهون الرقص على رأس هذه المقبرة (على أنغام) اللهو والطرب وادخار الثروة» (٣).

وفي بيان له إثر هجوم الشرطة على المراكز العلمية في الحوزة ... وعلى

---

(١) ج ٧/ ٢٠١-٢٠٣، ٤/ ٤/ ١٣٥٨ (٧٩).

(٢) ج ١/ ٣-٤، ١٥/ ٢/ ١٣٢٣ هـ. ش = ١٩٤٤م. وقد وصفت هذه الوثيقة في المصدر بأنها أقدم وثيقة تاريخية جهادية للإمام الخميني.

(٣) ج ١/ ١٨٩- ١٩١، ٢٠/ ٦/ ١٣٥١ (٧٢م).

الجامعات ورد القول:

«المدرسة الفيضية، ومدرسة دار الشفاء قاعدة الفقه الإسلامي، ومركز الأحرار والشباب الفدائيين ... تحتل وتعطل .. وفي المقابل مراكز الفساد والفحشاء تزدهر أكثر فأكثر ... ليجتذبوا شبابنا إلى الفساد ويحولوا دون تنميتهم المعنوية ... ليصبحوا عاجزين عن الوقوف في وجه إرادة الأجنبي»[1].

ويعلن الإمام رفضه للمظاهر الإستعمارية .. وأنه يعارض إخراج مظاهر التمدن من الإطار الضار والمفسد الذي يوهن العزائم، ويشل الإرادة ... ويقتل روح المانعة:

«إنهم يضعفون (عزيمة) الناس عبر هذه البرامج في الإذاعة والتلفزيون والصحف والكتب التي ينشرون ... وكل ذلك في قبضة الإستعمار الذي يريد أن تكون وسائل إعلامنا في خط الإبتذال ... ليسمِّم أفكار شبابنا.

يخطط الإستعمار لبرامجنا على قاعدة إضعاف إرادة الناس وشل قوتهم وضرب مناعتهم...

«نحن نرفض هذه المظاهر الإستعمارية (...) نحن نرفض الفساد (...) نحن لا نرفض حرية المرأة ... وإنما نرفض الفحشاء. وهل الرجال أحرار، لتتحدثوا عن حرية المرأة؟!»[2].

«قدموا لنا سينما تلتزم الأخلاق، مفيدة ... ولن تجدوا شخصاً يعارضها.. نحن نعارض مراكز الفساد لا التمدن .. وهل التمدن في أن يفوق عدد دور الفساد في البلد عدد المكتبات؟!»[3].

---

(١) ج ١/٢٢٣-٢٢٤، .../٧/١٣٥٥ (٧٦م).
(٢) ج ١/٦٧-٨٢، ٢٦/١/١٣٤٣ (٦٤م).
(٣) ج ٣/٥٩-٧٠، ١٧/٨/١٣٥٧ (٧٨م).

وفي مقابلة مع صحيفة إيطالية:

«من حيث المبدأ، لا يحول الإسلام (...) دون التقدم العلمي، بل يهيئ له المناخ الأفضل ويعطي لهذه الحركة البعد الإنساني والإلهي.. ولقد أدهش التقدم العلمي للبشرية بعد ظهور الإسلام الباحثين في الحقل التاريخي... إلا أن ما يجدر ذكره أن الفساد الأخلاقي والشخصية الإستهلاكية، وتركيز الجهد على المزيد من إشباع اللذة، ووزن جميع القيم بالمال، مفاهيم غير تحديث الدولة»[1].

ويتحدث الإمام عن إشاعة الفساد كأسلوب استعماري يهدف إلى إلهاء أكبر عدد ممكن من أبناء الأمة ... بل عمودها الفقري الجيل الشاب .. بأمور غرائزية.. كلما استجاب لها ... ازداد بعداً عن حمل الهموم الكبيرة.

«كل البرامج التي وضعها هؤلاء، الفكرية منها أو الفنية أو غيرها ... هي برامج استعمارية.. يريدون أن يُسخِّروا شبابنا لتحقيق أهدافهم أو يحوِّلوهم إلى أعضاء فاسدين.

«عندما يتردد الشاب لفترة إلى مراكز الفساد التي أنشأها هؤلاء - وهي أكثر من المكتبات - فإنهم يصبحون وبطرق مختلفة إما عاطلين أو لا مبالين، بحيث إن محاولات استغلال الأجانب لا تعنيهم أو يصبحون مدمنين على المخدرات أو الخمر أو القمار.. فتنحصر أهدافهم في إشباع رغباتهم الفاسدة»[2].

ويلخص الإمام كل ما تقدم بقوله:

«نحن نعارض كل ما يصب في خدمة الأجانب وإبقاء شبابنا متخلفين، ويجعلنا نخسر قوتنا (وثروتنا) الإنسانية»[3].

---

(١) ج/ ١٨٨-١٩١، ١٩/ ١٠/ ١٣٥٧ (٧٨م)

(٢) ج ٤: ٨٣-٨٧، ٦/ ١٠/ ١٣٥٧ (٧٨م).

(٣) ج٤/ ٢٨١، ١٢/ ١١/ ١٣٥٧ (٧٨م).

وفي المجال الرابع : إقامة الكيان الصهيوني:

بمقدار صفاء استلهام الثقافة القرآنية ... تتجذر الرؤية عن الكيان الصهيوني.. ذلك أن القرآن الكريم لا يستهدف أحداً كمّاً وكيفاً كما يستهدف الشيطان واليهود..

وثقافة الإمام تجسيد بامتياز للثقافة القرآنية «لو أن أميركا وإسرائيل قالتا لا إله إلا الله فلن نقبل منهما ذلك»[1]. فإذا أضفنا إلى ذلك أن تسلل الصهيونية إلى إيران كان مبكراً جداً أمكننا الإقتراب بشكل أفضل من سر جذرية رؤية الإمام عن الكيان الصهيوني التي ترفدها النظرية ورصد الممارسة.

تسلل الصهاينة عبر البدعة البهائية ... وأمسكوا بمفاصل النظام حتى غدت إيران في قبضتهم.

واستشعر الإمام الخطر الداهم على الإسلام وإيران ... وعلى المسلمين عموماً ... والصهيونية في حد ذاتها خطر سرطاني... حتى إذا لم تتخذ البهائية ستاراً، والبهائية بمفردها يجب أن تحارب بلا هوادة... فكيف إذا اشتبكت بالعامل الصهيوني ... وتداخلا معاً بالموقف من أداتهما الشاه... ولا تنتهي الروافد التي شكلت رؤية الإمام... وحتمت الموقف... عند هذا الحد، فهذه العوامل جميعاً تتحرك في إطار إحدى خطط الإستعمار الجهنمية لاستبعاد العالم الإسلامي... واجتثاث أية إمكانية للرفض والممانعة فيه..

وتحفل نصوص الإمام بالشواهد الكثيرة جداً على ما تقدم... وحيث إن الهدف من هذا البحث هو تسليط الضوء على تكامل هيكلية رؤية الإمام عن الإستعمار... وجذريتها... فسأكتفي بما يكشف عن قناعة الإمام بأن إقامة الكيان الصهيوني هي إحدى خطط الإستعمار المرسومة في سياق تحقيق أهدافه... مشيراً باختصار الى الأساليب التي اعتمدها المستعمرون في إطار هذه الخطة.

---

(١) ج ١٥/٢٠٩-٢١٠/٦/٨/١٣٦٠ (٨١م).

يقول الإمام:

«وقد ولدت إسرائيل من فساد الدول الإستعمارية الغربية والشرقية وتفاهمهما ... وقد وجدت بهدف قمع الشعوب الإسلامية واستعمارها... وهي تحظى اليوم بالدعم وإلإمداد من جميع المستعمرين.. الإنكليز وأميركا يحرضون إسرائيل ويحملونها على اعتداءاتها المتتالية على العرب والمسلمين والإستمرار في احتلالها لفلسطين وسائر الأراضي الإسلامية... عبر تقويتها سياسياً وعسكرياً بتقديم الأسلحة الفتاكة لها... والاتحاد السوفياتي يتكفل بقاء إسرائيل بالحيلولة دون تسليح المسلمين من خلال الخداع وسياسة اللعب على الحبلين»[1].

والأساليب التي يمكن استنتاجها من نص الإمام... حول إقامة الكيان الصهيوني بما يشمل التثبيت والتعزيز هي كما يلي:

١- الدعم السياسي.

٢- الدعم العسكري.

(وهما يشملان مرحلة التأسيس).

٣- ضمان تفوقه العسكري.

وفي النص المتقدم ما يكفي لايضاح ذلك... ويصب الحديث عن خداع العرب الأسلوب الثالث.

كسر الحاجز النفسي تجاه العدو الصهيوني :

وقد تراوح حديث الإمام حول ذلك بين التشديد على خطر «سكوت دول المنطقة»[2] إزاء جرائم إسرائيل، والتحذير مبكراً... من مغبة إعطاء الفرصة للعدو الصهيوني وعدم المبادرة للتصدي له..[3] والتذكير بذلك بين الحين والآخر...

---

(١) ج ١/ ١٨٥-١٨٦، ٢٢/ ٤/ ١٣٥١ (٧٢م). وقد تقدم إيراد النص في الحديث عن تحديد الاستعمار.

(٢) ج ١٦/ ١٩٧- ٢٠١، ٢٢/ ٣/ ١٣٦١ (٨٢م).

(٣) ج ١٦/ ٣٦-٤٠، ٢١/ ١١/ ١٣٦٠ (٧١م) وج ١/ ٦، ١٤٤/ ٦/ ١٣٤٧ (٦٨م).

والحديث عن خيانة بعض الحكام[1] والتمهيد للاعتراف باسرائيل مركّزاً في هذا المجال على خطورة «مشروع فهد[2]» كخطوة متقدمة على طريق كسر الحاجز النفسي...

إقامة علاقات للعدو مع بعض الدول الإسلامية :

وبالرغم من أن هذا الأسلوب يلتقي مع كسر الحاجز النفسي إلا أن بناء العلاقات في مختلف المجالات للعدو مع هذه الدولة الإسلامية أو تلك يهدف إلى تعزيز كيانه ويسهم في الوقت ذاته في كسر الحاجز النفسي.. لذلك جاء اعتباره أسلوباً مستقلاً، وقد تحدث الإمام عن متانة العلاقة التي كانت قائمة في المجال الأمني والسياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي والزراعي ومجال النقل بين العدو الصهيوني ونظام الشاه المخلوع[3].

انتزاع «الإعتراف بشرعية العدو»:

وقد أعطى الإمام هذا العنوان لحديثه عن مؤامرة «كامب ديفيد».

«إتفاقية كامب ديفيد ونظائرها، مؤامرة للاعتراف بشرعية اعتداءات إسرائيل، الأمر الذي أدى إلى تغيير (المعادلة) لصالح اسرائيل وضد مصلحة العرب والفلسطينيين»[4].

وتهدف هذه الأساليب جميعاً مع خطتها المركزية من وجهة نظر الإمام إلى احتلال الدول العربية كلها: «يجب أن يعلم الجميع أن هدف الدول الكبرى من إقامة إسرائيل لا يقف عند حد احتلال فلسطين... إنهم يخططون (...) لتواجه الدول

---

(١) ج ٣/ ١١٦، وج ١٦/ ٢٢٦، وج ٨/ ٢٣٥ في استقبال السيد عبد الحليم خدام نائب الرئيس السوري.

(٢) ج ٥/ ٢٢٠ وج ١٦/ ١٧٩-١٨٢، ج ١/ ٥٠٦ (٧٢م).

(٣) راجع في ذلك على سبيل المثال: ج ١/ ٤٤-٤٥، ج ١/ ٥٠-٥٥، ١٦/ ٢/ ١٣٤٢ (٦٣م)، ج ١/ ٨٣-٨٥، ١٥/ ٣/ ١٣٤٢ (٦٣م)، ج ١/ ٦٤-٦٦، ٢١/ ١/ ١٣٤٣ (٦٤م)، ج ١/ ٥٦-٥٩، ١٩/ ١١/ ١٣٤٩ (٧٠م)، وج ٣/ ٢٥١، وج ٢/ ٢٧٠.

(٤) ج ٣/ ٥٥-٥٦، ١٦/ ٨/ ١٣٥٧ (٧٨م).

العربية كلها نفس المصير الذي واجهته فلسطين»[1].

كانت هذه الجولة ضرورية للتعرف على الخطوط العامة لرؤية الإمام للإستعمار... ومدى شموليتها وجذريتها... وقد رأينا كيف لامست معالجة الإمام للنقاط المثارة كل الكوامن، إن في التحديد، أو الطبيعة، أو الأهداف والخطط.. وكيف جاء الحديث عن الأساليب منسّقاً.. يسهل الربط بين كل فرع وأصله.. الأمر الذي كشف عن رؤية متكاملة لا تشوهها الثغرات، ولا يكتنفها الغموض، ولا يسقطها التناقض أو الإرباك... مستقيمة كحد السيف لم تُفَلّ، ولم تتثلّم.. ولم تشِمها الإستكانة، أو الحنين إلى الغمد.

ولا يخفى أن كل محور من المحاور الآنفة يتسع في ضوء نصوص الإمام... لكتاب.

وقد اقتطفت من ذلك ما سمح به الوقت، وحسبته مجزياً في تقديم تصور شامل عن رؤية جذرية شاملة، أسست لمنهج جذري وشامل في المواجهة.

(٣) ج ١/ ١٩٢-١٩٣/ ٨/ ٩٠١/ ١٣٥١ = ٧٢م.

رؤية الإمام الخميني (قده) إلى الغرب والحضارة الغربية :
خطوط المواجهة ... وشروط التفاعل

الأستاذ عادل رؤوف

مدير المركز العراقي للإعلام والدراسات - دمشق

استندت رؤية الإمام الخميني (قده) إلى الواقع الدولي والأنظمة السياسية التي تحكمه، ومراكز القوى الأساسية، وأنماط العلاقات السياسية الدولية والجانب المؤسسي فيه، وما يعرف بالنظام الدولي الذي كان سائداً آنذاك، استندت هذه الرؤية - وتأسست - إلى منهج تعاطٍ شمولي نابع من قاعدتين أساسيتين، قاعدة مبدئية - فكرية - ثقافية تقضي بمواجهة الإستعلاء الدولي، النازع نحو الهيمنة والقائم على الظلم والإستغلال، مهما كان مصدر هذا الإستغلال، أو الجهة الدولية التي تمارسه. وليس هنالك حاجة إلى التأكيد أن مضمون المعرفة الإسلامية الأصيلة يفرض هذا المنهج الشمولي...

أما القاعدة الثانية، فهي قاعدة ميدانية، تجريبية، إذ إن حياة الإمام (قده) اختزنت مراقبة السياسات والإستراتيجيات الدولية، والتطبيقات السلوكية لها، التي حولت العالم إلى معسكرين، ومناطق نفوذ تابعة لها. وانطلاقاً من هذا الواقع الثنائي الدولي الغربي - الشرقي فإن تجارب الحركات والشعوب التي حاولت الإفلات من هذا الطوق الحديدي، كانت تتحرك في فضاء العثور على ممكن جديد للإنتصار من داخل هذا الواقع، ولم تجرب الخروج عليه بشكل كلي وترفضه بصورة اجمالية، وتسعى إلى مواجهته مواجهة شاملة، لأن مثل هذا المنهج يكاد يصنف في إطار المستحيل السياسي، أو أنه أساساً لا ينتمي إلى البديهيات السياسية أو العرف السياسي المتبع، وحتى لو تبلور هذا الطموح في تفكير بعض الزعماء أو برامج بعض الحركات الإسلامية التي سبقت الثورة التي قادها الإمام الخميني الراحل

(قده)، فإنه بقي في إطار التفكير الداخلي، ولم يتبلور على شكل خطاب واضح المعالم، وسياسة معلنة وواضحة، ولغة تجسد تحدياً هائلاً. وبناءً على ذلك، فإن الإمام (قده) لم يقترب في منهجه السياسي التعاملي مع الواقع الدولي من آليات التعامل التقليدية المعمول بها في عالم الطامحين نحو التغيير، ولم يقترب من مقولات «التكتيك» السياسي، أو تأجيل الخصومة مع طرف دولي، للإستقواء به ضد طرف آخر، أو المناورة السياسية أو الخداع السياسي، لأن اللجوء إلى هذه الآليات والسلوكيات والمقولات قد يصلح في مرحلة معينة وظروف معينة، إلا أنه يشكل خطراً كبيراً في مراحل الانطلاق الثوري، والتأسيس لمعالم المشروع الإسلامي، والطموح نحو إرساء سياسة دولة يفترض لها أن تنهض من جذور فكرية ـ عقيدية ـ ثقافية، ومن رؤية إسلامية طامحة نحو اقامة العدل الإلهي.

فهذا التأسيس يتطلب وضوح الآليات والأهداف معاً، وفي ظل انعدام هذا الوضوح سيقع منهج التعاطي السياسي مع الواقع الدولي في الكثير من حالات الغموض والتشويش، هذا فضلاً عن أن ضرورة التعبئة الثورية، وتأسيس الوعي الثوري والإطاحة بأهداف الحرب النفسية للأعداء والحاجة إلى نظرية لتحريك الأمة... كل ذلك يفرض الإبتعاد عن المنهج التجزيئي ـ أي المنهج الساعي إلى التغيير من داخل الواقع السياسي الدولي ومن داخل الأنظمة الصراعية التي تحكمه وتتحكم به ـ وتوجب العمل بمنهج شمولي، كلي، ولا سيما أن الإمام، بثقافته القرآنية، وسلوكه العرفاني، كان يمتلك شجاعة مستمدة من شجاعة الأنبياء ومهامهم الكبرى، الذين لا ينظرون إلى المواجهة بتجلياتها المادية ورموزها الطاغوتية، بل ينظرون إليها من قاعدة التكليف، وأساس المسؤولية، ووجوبية الاخلاص في أداء الدور بعيداً عن نتائج الإنتصار السريع، فمتى ما توافرت هذه الشروط، وهي قد توافرت لدى الإمام الخميني (قده) فبالإمكان تصور «طبيعية» الأسباب التي دفعته إلى الخروج عن «المألوف» في قراءة الوضع السياسي الدولي، والإنفراد بقراءة ورؤية مغايرة، جسّدها في خطاب مغاير، بدا للوهلة الأولى بالنسبة للعاملين في الحقل السياسي العالمي على أنه خطاب يغرد خارج السرب،

ويصّنف في خانة الأحلام، ولا ينتمي إلى عالم الواقع أو ما يسمى بـ «السياسية الواقعية» المحكومة إلى أسباب وقوانين مادية، وإلى.. موازين قوى ومعالم صراع لا يمكن الخروج عليها. وعليه حتى لو بدت الحاجة إلى استدعاء النصوص المرتبطة برؤية الإمام الخميني (قده) في هذا الإطار غير ضرورية، لأنها أصبحت بعد تراكمها وتحويل ما تصبو إليه إلى واقع معيش بديهية من بديهات المعرفة العامة لدى الجميع، إلا أن آليات البحث العلمي وضروراته تفرض استدعاءها ولو بشكل مضغوط وموجز.

إن عينة من نصوص الإمام ستظهر هذا التوجه الكلي في مقاومة الحالة الطاغوتية، في أي اسم تمظهرت، ولا سيما أنه توجه ينسجم مع طموح التغيير الشمولي لكل العالم لدى الإمام (قده)، يقول الإمام الخميني (قده):

- «في يومنا هذا تقوم كل من الصين الشيوعية التي تدّعي الثورية وأميركا مثال الإستعمار العالمي، وروسيا مصدر الكذب والرياء، وبريطانيا العجوز، بدعم نظام الشاه ضد ثورة ونهضة شعبنا المطالب بالحرية والإستقلال. لكنني على يقين كبير بأن انتصار شعبنا حتمي وقريب بإذن الله»[1].

- «إننا نعادي الشيوعية العالمية بقدر مناهضتنا القوية للمستعمرين الغربيين بزعامة أميركا والصهيونية وإسرائيل»[2].

- «لو وجدت اتجاهات وميول شرقية أو غربية بين معلمينا، فإن بلادنا ستميل إما إلى الشرق أو الغرب، وسوف تكون خالية من محتوى الجمهورية الإسلامية التي شعارها: لا شرقية ولا غربية»[3].

- «إن أسواق البلدان الإسلامية أصبحت مركز تنافس لبضائع الغرب والشرق وتتجه إليها سيول البضائع الكمالية المبتذلة واللعب والإستهلاكيات»[4].

---

(١) الحياة السياسية للإمام الخميني.

(٢) في حديث لمناسبة حلول السنة الهجرية الشمسية. ٢٢ مارس ـ ١٩٨٠.

(٣) في كلمة للإمام (رض) أمام موظفي مدرسة الشهيد مطهري بتاريخ .

(٤) في نداء للإمام (رض) إلى حجاج بيت الله الحرام غرة ذي الحجة ١٤٠٥ هـ. ق.

- «علينا أن نصنع من إيران بلداً مستقلاً، سياسياً وعسكرياً وثقافياً واقتصادياً، ومحرراً من الإتكاء على أميركا والإتحاد السوفياتي وبريطانيا، هذه القوى الدولية الطامعة.. وعلينا أن نعلن هويتنا الأصلية للعالم... ومع الأسف، إن «المثقفين» لا يستطيعون أن يتحرروا من تبعيتهم للشرق أو الغرب... ونأمل أن يعود هؤلاء الموتورون على الأمة إلى رشدهم في ظل التغيير الثقافي الإسلامي القائم، وأن يستعيدوا أصالتهم...»[1].

- «إن مخطط نزع البلدان المستعمرة عن هويتها وتغريبها وتشريقها هو من المخططات التي كان لها، مع الأسف، تأثير بالغ على كثير من البلدان وعلى بلدنا العزيز، وقد بقيت نسبة كبيرة من آثارها حتى عادت هذه البلدان لا ترى نفسها ولا ثقافتها وقوتها بشيءٍ وترى في القطبين القويين الغرب والشرق العنصر الأفضل، وثقافتهما هي الأسمى، وأنهما قبلتا العالم، وصوروا التبعية لأحدهما بأنها من الفرائض التي لا مناص منها، وقصة هذا المخطط مؤلمة طويلة، والضربات التي وجهها إلينا هذا المخطط كان وما زال مهلكة قاصمة»[2].

- «إني أوصي أبناء الشعب، في العصر الراهن وفي المستقبل، بأن ينتخبوا بإرادة راسخة وانطلاقاً من التزامهم بأحكام الإسلام، وحرصهم على مصالح البلد، أن ينتخبوا في كل دورة انتخابية نواباً مؤمنين بالإسلام وبالجمهورية الإسلامية. وغالباً ما يكون هؤلاء من الطبقة المتوسطة في المجتمع ومن المحرومين... نواباً، غير منحرفين عن الصراط المستقيم ولا متحزبين إلى الغرب أو الشرق»[3].

إن هذه العينة من النصوص تشرح رؤية الإمام الخميني (قده) العامة إلى السياسة العالمية... وهي رؤية شارحة لصيغها وأنظمتها التي كانت سائدة، ونازلة إلى الإيضاح الضمني لأهداف هذه السياسة وأساليبها وآلياتها ومجالاتها، كما أنها

---

(١) في خطاب قاله الإمام (رض) بتاريخ ١١ تموز ١٩٧٩.

(٢) من وصية الإمام الخميني (قده).

(٣) المصدر نفسه.

داعية إلى مقاومتها ـ دفعة واحدة ـ للأسباب التي ذكرناها، وهي أسباب يمكن ايجازها بالشكل التالي:

أولاً: لأن تأسيس المشروع الإسلامي يقتضي هذه الشمولية في الرؤية.

ثانياً: ولأن عملية تراكم الوعي السياسي السليم تتطلب الوضوح في تشخيص الواقع الدولي، فيما «التحييد» أو «المناورة» أو «التأجيل» في تشخيص هذا الواقع سيؤثر على صيرورة هذا الوعي.

ثالثاً: وتنطلق رؤية الإمام الكلية من مبادئه وقيمه وأفكاره الإسلامية ذات الطابع العالمي الإنساني.

رابعاً: كما أن هذه الرؤية تأخذ مصاديقها من مجسّ ميداني تمثل في مواكبة التجربتين الغربية والشرقية، الرأسمالية والشيوعية في العالم، وتطبيقاتهما، وواقع الظلم الإنساني الذي عانته البشرية من جراء ذلك.

وبالتأكيد، فإن هذه الشمولية لا تعني، في رؤية الإمام، إلغاء التمايز في هذه الرؤية على ضوء الواقع السياسي الذي يتحرك على الأرض، فعندما يتحرك هذا الواقع ميدانياً لمصلحة الهيمنة الغربية، أو عندما تتراجع في ظله مساحة نفوذ المعسكر الإشتراكي، فإن رؤية الإمام كانت دائماً ترصد هذا التغيّر، وإن خطابه السياسي يفي بتوصيفاته عبر نصوص مركزة تجعل من إمكانية بلورة الموقف من الغرب والحضارة الغربية أمراً أكثر سهولة وأكثر تبريراً لأسباب تتعلق بالواقع الميداني الذي جعل مواجهة الإمام الخميني (قده) مع الغرب أكثر من الشرق.

رؤية الإمام إلى الغرب

جاءت نظرة الإمام الخميني إلى الغرب والحضارة الغربية مبثوثة في كل نصوص المشروع التغييري ـ الثوري له، ولا سيما أن النص الخميني، نص ترابطي مركّب مازج بالعادة لأكثر من مفهوم ومعنى ودلالة، ويغطي أكثر من مجال من مجالات الحياة.. وهو نص امتاز بقدرة الاختزال والتركيز في آن معاً، بحيث يمكن

الجزم بأن هذه القدرة شكلت خصوصية من خصوصيات خطابه التغييري انفرد بها عن باقي الخطابات، ونعني بالإختزال هنا: اختزال مضمون المشروع التغييري له في النص الواحد، مهما كان حجم هذا النص... وبمعنى آخر القدرة على إعطاء «هوية» للنص -إذا صح التعبير- تعكس الجزء الأكبر من مضمون أو مضامين مشروعه التغييري. ومشروع الإمام (قده) -كما هو معلوم- ارتبط ارتباطاً جدلياً برؤيته للغرب والحضارة الغربية، وهذا الارتباط كان نابعاً من طبيعة مشروع الإمام النظرية والميدانية.

أولاً: بما أنه مشروع سعى إلى تحرير إيران الشاه من النفوذ الغربي والتبعية الغربية، وإعادتها إلى أحضان الإسلام.

ثانياً: وبما أنه مشروع يختزن قضية الإسلام المركزية «قضية فلسطين»، ويضع القضاء على «إسرائيل» في سلّم أولياته وأهدافه، بما تعنيه مواجهة «إسرائيل» من مواجهة للغرب واستراتيجياته إزاء العالم الإسلامي.

ثالثاً: وبما أنه مشروع أسس في جزء من المواجهة منه على محاربة التبعية الثقافية والإقتصادية والسياسية والنفسية للغرب أو الشرق، ولما كان العالم الإسلامي واقعاً تحت الهيمنة الغربية بجزئه الأكبر، فلقد جاءت ثقافة المقاومة في مشروع الإمام مستهدفة للغرب أكثر من الشرق كتحصيل حاصل، مع التركيز على وحدة موقفه من القوى الطاغوتية في العالم.

رابعاً: وفي البعد الإنساني لمشروع الإمام (قده) وهدف تحرير الإنسانية المستضعفة من ربقة الإستكبار العالمي، تساهم مئات -إن لم نقل الآلاف- من النصوص الخمينية التي استهدفت تجليات الطاغوتية الغربية، وزعيمتها الولايات المتحدة الأميركية.

إنطلاقاً من هذه النقاط ونقاط أخرى يرتبط بعضها بالقواعد الغربية العسكرية في المنطقة الإسلامية، وموقف الغرب من المسلمين، ومشاريعه في الترويج لأشكال أخرى من الإسلام كالإسلام الرسمي، والإسلام الشكلي، والإسلام الترقيعي، جاء

مشروع الإمام للنهوض بمهمتين متداخلتين ومترابطتين: مهمة مواجهة الغرب في استراتيجية الهيمنة التي يتبعها في المنطقة، والجزء الفاسد من حضارته الذي يعمد على إشاعته فيها، وكشف كل الأساليب والسياسات والإستراتيجيات والخطط والمؤامرات والآليات التي اتبعها الغرب لفرض هذه الهيمنة... ومهمة تأسيس المشروع الإسلامي الأصيل، ولقد طالت هذه المهمة كل ما يدخل في حيز المشروع من رؤى ثقافية وفكرية، ورؤى بنيوية للنص والخطاب، ومن استدعاء للتاريخ الإسلامي الثوري، ومن تأهيل للكوادر والقيادات ومن نظريات للحكم والإدارة وقيادة القضية.

وإذا كانت النصوص المطلوبة في سياق هذا البحث، لا ترتبط بالمهمة الثانية، فإنه بحكم التداخل والترابط الذي أشرنا إليه، فإن أي عينة حتى لو كانت غير منتقاة من نصوص الإمام (قده) يمكن أن تبرز مضمون رؤيته عن الغرب والحضارة الغربية، فهي رؤية لا يمكن توصيفها بالسلبية أو اللاإيجابية فقط، أو لا يكفي حتى الإرتقاء بتوصيفها إلى أنها نابعة من الصراع المفتوح الذي خاضه الإمام (قده) مع الغرب. فلقد حكمت هذه الرؤية وتأسست على ما يتجاوز الأسباب التي أشرنا إليها، أو تلك الأسباب النظرية ـ الميدانية المرتبطة بفكر الإمام (قده). إنها أسباب تغوص بعيداً إلى ادراك جذور الخطط السرية التي عمل بها الغرب في إيران الشاهنشاهية، وإلى ادراك السرقة الغربية المنظمة لثروات إيران ودول المنطقة وشعوب العالم، وإلى مداليل الغزو الفكري والثقافي وتجلياته.

وخلق تيار الخضوع والإخضاع النفسي الذي ربط العالم الإسلامي بتبعية شاملة منظمة للغرب.

فهذه الأسباب وإدراكها عبر مواجهة مفتوحة خاضها الإمام مع الغرب، صاغت رؤيته إليه صياغة حدية قاسية قاطعة، تقوم على ما يقترب من معنى الرفض الكلي للواقع الغربي، ولا يترك إلا هامشاً محدوداً وضيقاً لإمكانية «التصالح» مع هذا الغرب. فخطاب الإمام الثوري الذي ترجم هذه الحدية الواضحة ازدحم بتوصيفاته

للواقع الغربي السلبي، بنزعاته التوسعية والإستغلالية، ولاحق حضور هذا الواقع وأساليبه وآلياته في الساحتين الإسلامية والعالمية وفي شتى مجالات الحياة، وقبل أن نبوّب رؤية الإمام (قده) في هذا الاطار، لا بد من التوقف أولاً على بعض نصوصه المتعلقة بالغرب:

- «أيها المسلمون المؤمنون بحقيقة الإسلام، انهضوا ووحدوا صفوفكم تحت راية التوحيد وفي ظل تعاليم الإسلام، واقطعوا أيدي القوى الكبرى الخائبة عن بلدانكم وثرواتكم الوفيرة، وأعيدوا مجد الإسلام وتجنبوا الإختلافات والأهواء النفسية، فإنكم تملكون كل شيء. واعتمدوا على الثقافة الإسلامية، وحاربوا الغرب والتغرب، وقفوا على أقدامكم، واحملوا على المثقفين الموالين للغرب والشرق، وجددوا هويتكم»[1].

- «إنكم لن تحققوا الإستقلال ما دام الغرب موجوداً هنا... وإذا لم يذهب المتفرنجون من هذه البلاد أو يتم إصلاحهم فإنكم لن تصلوا إلى الإستقلال»[2].

- «كل تيارات التغرب هي انغماس في الظلمات، ولكن أولئك الذين اتخذوا من الغرب والأجانب قبلة لهم ضلوا في الظلمات وأضحوا أولياء الطاغوت. شعوب الشرق اتجهت نحو الغرب بفعل الدعايات التي بثها الطواغيت وعملاؤهم في الداخل. وأضحى الغرب قبلة آمالهم وانهزموا داخلياً، ونسوا أنفسهم ومفاخرهم.. وأضحت العادة أن يضعوا على كل شيء اسماً غربياً وأن يهتموا بالكتب المليئة بالمصطلحات الغربية»[3].

ولم يغفل خطاب الإمام (قده) توصيف زعيمة العالم الغربي، الولايات المتحدة الأميركية، التي كانت حاضرة في هذا الخطاب بشكل مميز، فهو يقول ازاءها:

- «هم حيوانات مفترسة لا يتورعون عن ارتكاب أية جناية وخيانة لتحقيق

---

(١) في نداء للإمام (رض) إلى حجاج بيت الله الحرام.
(٢) في كلمة للإمام (قده) مع طلبة جامعة مفيدي.
(٣) في حديث للإمام (رض) بتاريخ ٣٠ شوال ١٤٠٠هـ.

أهدافهم المشؤومة، ولا يميزون ـ في طريق الوصول إلى السيطرة ومطامعهم الدنيئة ـ بين العدو والصديق، وعلى رأسهم أميركا، هذه الارهابية ذاتاً، هذه الدولة التي أضرمت النار في جميع أرجاء العالم، وحليفتها الصهيونية العالمية التي ترتكب، لتحقيق مطامعها، جنايات تخجل الأقلام والألسن عن كتابتها وذكرها.. ويحملهم الخيال الأبله بإسرائيل الكبرى على ارتكاب أي جناية»[١].

ـ «إن أولئك الذين يظهرون معارضتهم للإرهاب هم اليوم يشكلون مراكز للإرهاب. فأميركا التي أقامت الدنيا ولم تقعدها في الحديث عن حقوق الإنسان وحب البشرية «ورئيس جمهوريتها الذي ما فتىء يتحدث عن حبه للإنسان» هل هؤلاء حقاً يحبون الإنسان؟.. هل أميركا تحب الإنسانية حقيقة؟... أميركا التي ما انفكت تشعل نيران الحروب في العالم وتبيد البشرية عن هذا الطريق، هل هي حقاً تحب الإنسان والإنسانية؟ وهل حقاً أن الإسلام كما يصف هؤلاء، وإيران الإسلام هي كما يتهمها هؤلاء»[٢].

ـ «نجح شعبنا، بفضل اللطف الإلهي، في تطبيق الشعارات التي أطلقها في أكثر المجالات. شعار الحرية والإستقلال، أضفنا لجماله جمالاً بعملنا، شعار الموت لأميركا رأينا مصداق تحققه على أيدي فتية الملاحم الإسلامية الأبطال، عبر اقتحامهم لوكر الفساد والتجسس الأميركي، لقد عرضنا جميع شعاراتنا لمحك الإختبار العملي»[٣].

ـ «أميركا هي التي تقف وراء إسرائيل، وأميركا هي التي تساند إسرائيل لدحر العرب والمسلمين وتشريدهم، أميركا هي التي تسيّر أمور بلدنا عبر عملائها مباشرة، أو بصورة غير مباشرة، أميركا هي التي ترى أن القرآن والإسلام خطر عليها وتريد وقفهما، أميركا هي التي ترى علماء الدين المجاهدين عائقاً وسداً منيعاً

---

(١) وصية الإمام الخميني (قده).

(٢) الثقافة الإسلامية. العدد الواحد والأربعون. رجب ـ شعبان ١٤١٢. كانون الثاني ـ شباط ١٩٩٢.

(٣) «كيهان العربي» العدد ١٦٠٦.

حائلاً أمام أهدافها ومآربها، أميركا هي التي تأمر النظام بالإمتثال لأوامرها، وهي التي أمرته بالموافقة والمصادقة على هذا القانون الشنيع المذل للمسلمين ولمفاخرهم الإسلامية والوطنية. اليوم اقتصاد بلادنا بيد الأميركان والاسرائيليين، الأسواق التجارية والعجلة الإقتصادية خرجت من أيدي المسلمين، أمور المسلمين اليوم بأيديهم وبإمرتهم»[1].

أولاً: إن هذه النصوص التوصيفية للولايات المتحدة الأميركية، ولاسيما النص الأخير، واعطاءها هذا التمايز في الدور القيادي لعالم الغرب وسياسته، لا يخرج فيها الإمام (قده) عن فهم محدد للغرب تعكسه اجمالية النصوص المرتبطة به، وعمومية الخطاب الخميني، ويقوم هذا الفهم على النظر إلى الغرب كـ «كتلة» منسجمة في سياساتها وأهدافها العليا، سواء في اشاعة ثقافة التغريب وتعميمها على العالم، أو في موقفها وسياسة دولها مجتمعة في معاداة الإسلام، والعمل على مواجهته، ولذا، فإننا لا نجد الإمام يستغرق كثيراً أو يتطرق بالعادة إلى ما يوحي بالتمايز بين سياسات الدول الغربية ازاء القضايا المتعلقة بالعالم الإسلامي، والشعوب الرازحة تحت نير الأنظمة الدكتاتورية في العالم، فيما هو يركز ضمناً على الدور الأميركي، ويستغرق في توصيفاته، وإرساء ثقافة المقاومة إزاءه باعتباره عنوان هذه الكتلة الغربية. ويقترب فهم الإمام هذا للغرب إلى طرح «المركزية الأوروبية» في العالم الذي رصده بالمعالجة تيار من المفكرين المهتمين بقضايا الفكر العالمي وتجليات منظوماته وأنظمته السياسية.

وينسجم فهم الغرب من قبل الإمام الخميني (قده) ككتلة منسجمة موحدة السياسات والأهداف، مع فهمه للوضع السياسي العالمي الذي ابتعد عما أسميناه منهج تأجيل الخصومة مع طرف دولي، ضد طرف آخر، لأن تأسيس المشروع الإسلامي الأصيل - كما أشرنا - يتطلب صناعة وعي سليم، ومعرفة واضحة لواقع السياسة العالمية.

---

(١) في عام ١٩٦٤.

ثانياً: استغرق الإمام (قده) في توصيفه لعملية التغريب نازلاً بها من السلاح الذري إلى أسماء الشوارع، بما يوحي أنها عملية مسخ كاملة لشخصية الأمم الأخرى، لا تتوقف عند مجال من مجالات الهيمنة الثقافية والفكرية والإقتصادية، وأن هذا المسخ الضخم ينمّ عن جهود خطيرة وكبيرة، وعن مؤامرات متشابكة ومتداخلة حولته إلى تيار خطير في جسد الأمم المستهدفة وإلى واقع أفقدها خصوصياتها، ولقد أبيح لهذا الواقع أن يطبق بأدوات «الجريمة المنظمة، وكل فنون الشر والأنانية». وعليه فإن رؤية الإمام إلى الغرب لا تستهين بما قطعه هذا الغرب من أشواط في تنفيذ عملية التغريب، وبالتالي، فإنها لا تستهين بالإمكانات والقوة الضخمة التي بيد الغرب والتي أتاحت له هذا النفوذ والإمتداد والتفوق.

ثالثاً: إلا أن الإمام (قده) استطاع أن يفصل بدقة بين هذه القوى ونفوذها وامتدادها وتفوقها الحقيقي، وبين ما هو «وهمي» فيها، أي شخّص فيها استراتيجية الردع وسياسة التخويف، القائمة على أسس وهمية وليست حقيقية. وهذا التشخيص أنجزه الإمام (قده) من خلال الخطاب النظري والتجربة الميدانية معاً، ليثبت بشكل عملي أن جزءاً كبيراً من هذه القوة هو مفتعل، وأن جزءاً آخر نابع في سياق استراتيجية الردع من الحرب النفسية التي تسعى إلى تفكيك وتذويب إمكانات النهوض والقوة لدى الأمم المستهدفة، فعندما استنهض الإمام (قده) إرادة الإنسان المسلم بشكل صحيح، استطاع أن يعيد بناء الثقة المحطمة بتلك الحرب النفسية، واستطاع أن يسجل إنجازه الثوري في ما بعد. يقول الإمام في هذا الإطار «إن الشعوب التي فقدت ذواتها فقدت بلادها، وإن الأفكار التي رسخت في ذاتهم، والمتمثلة بعدم إمكانية المقابلة مع القوى العظمى، وأنها سوف تعمل كذا وكذا، يجب أن تزال من أدمغتهم، أي يجب أن يزال من أدمغة الشعوب هذا «اللاممكن» وإحلال «الممكن»... كلا، فبالإمكان أن نعمل ذلك كاملاً»[1].

- «ما أريد التأكيد عليه هو أن تُخرجوا من رؤوسكم ما يقال من أنه لا يمكن

(١) في خطاب للإمام (رض) مع المشاركين في مؤتمر القدس العالمي بتاريخ ٩/٨/١٩٨٠.

مواجهة الدولة الكبرى، صمموا على ذلك تقدروا، لأن الله يدعمكم ويحميكم. إن الهمسات التي يشيعها عملاء الإستعمار من أنه لا يمكنكم الحياة من دون اللجوء إلى إحدى الدول العظمى ، كلها خطأ مئة بالمئة وغير صحيحة. قفوا على أرجلكم باستحكام وقوة ، وكونوا مع الله واسعوا قبل كل شيء إلى الرقي في الإنسانية، عندها يمدنا الله بعونه ونستطيع أن نحصل على استقلالنا وحريتنا وحفظ إسلامنا ونوفق إلى ذلك إن شاء الله»[1].

رؤية الإمام إلى الحضارة الغربية

ما هو الحد الفاصل في خطاب الإمام الخميني (قده) في رؤيته بين العالم الغربي، كأنظمة سياسية منفردة، ونظام سياسي عام له سياقاته الإستغلالية، وبين الحضارة الغربية بما هي حصيلة علمية ـ ثقافية وذات ارتباط وتمثيل للأمم والشعوب الغربية أكثر من الأنظمة؟.

فهذا السؤال يحتاج إلى قراءة متأنية ودقيقة لمعرفة الحصيلة الكلية لرؤية الإمام (قده) للغرب، إذ يمكن القول ببساطة إن رؤية الإمام للغرب كأنظمة سياسية أو تيار أو «كارتل» دولي يتحكم بجزء كبير من السياسة العالمية وفق آليات مجردة من السياق الأخلاقي ـ المعنوي، وقائمة على الحساب المادي ـ المصلحي الذي ينتهي إلى استباحة العالم... يمكن القول ببساطة إن هذه الرؤية واضحة، وهي رؤية لا تقف عند الرفض أو التنديد أو التوصيف، بل إنها تؤسس لثقافة مواجهة مفتوحة لاستيلاد كل الفرص الممكنة لإعادة العالم إلى توازنه السياسي المنطقي المفترض.

وربما كانت الإشكالية في هذا الجانب تبدأ من هنا، من مقدار هذا الوضوح الهائل في موقف الإمام (قده) من الغرب والتغريب، فهذا الوضوح وما يقتضيه من تكرار محسوب في خطاب الإمام غطى على الموقف من الحضارة الغربية ـ كما اختصرناها ـ على أنها حصيلة علمية ـ ثقافية. فالإمام (قده) الذي لم يصادر هذه

(١) في حديث للإمام (قده) بتاريخ ٥ ٨ ١٤٠٦هـ. ق المصادف ٢٦ ١١ ١٩٨١م.

الحقيقة بشكل ضمني، ومن خلال الإعتراف الضمني بقدرات الغرب العلمية والتقنية والتصنيعية.. يحاول أن يقترب من الشق الثقافي في الحضارة الغربية بشكل غير مباشر.

فهذه الثقافة لكونها نتاجاً عاماً، ساهمت فيه الأنظمة الغربية الحاكمة، من خلال اشاعة الثقافة المادية، وهي مساهمة تعبّر عن تراكم لأزمات تاريخية عاشها الغرب، وأدت في ما بعد إلى الإصطدام مع الدين والكنيسة التي تمثله، ولأن المسألة الثقافية تنطوي على تعقيدات كبيرة في الواقع والتاريخ الغربي، فإن نصوص الإمام (قده) تحاشت الخوض فيها بشكل مباشر، إلا أنها لم تهملها... بل هي أحكمت المدخل الذي يؤدي إلى عمق الأزمة الثقافية المتمثلة بإبعادها عن الدين والمعنويات وعن الارتباط الحقيقي بالله سبحانه وتعالى.. والمدخل كان خطاب الإمام الموجه إلى رجل الدين المسيحي لممارسة دوره الرسالي في المجتمع الأوروبي. لاحظ ماذا يقول الإمام في هذا الإطار: «أنا أعلم أن الدين المسيحي وكل من يتبع المسيح عليه أن يدافع عن المظلومين ويجابه الدول الكبرى، كما أن الذي يتبع دين الإسلام عليه أن يخالف الدول الكبرى، وأن يخلّص المظلومين من هؤلاء»[1].

- «ومن الأفضل أن تقرع النواقيس بأمر رب الكون وتعاليم عيسى المسيح لمصلحة الشعوب المستضعفة التي تئن تحت وطأة الطغاة من أمثال كارتر... هنيئاً لجياع وعطاشى العدالة، والذين يكدحون من أجل العدل، والويل للذين يكدحون - خلافاً لتعاليم المسيح وتعاليم كل الأنبياء - لمصلحة الظالمين والجواسيس الذين يسحقون الشعوب»[2].

هذان النصان هما نموذج لتعاطي الإمام مع العالم الأوروبي، ويوضحان:

١ - أن أزمة المجتمع الأوروبي تكمن في ثقافته المادية المجردة عن المعنويات.

---

(١) في كلمة للإمام (رض) رداً على رسالة البابا التي حملها إليه الاسقف كابوجي حول مدرسة النصارى في طهران بتاريخ ٢٢ بهمن / شهر رمضان المبارك لسنة ١٤٠٠ هـ ١٥ آب ١٩٨٠.

(٢) في نداء للإمام (رض) له لمناسبة مولد السيد المسيح عليه السلام بتاريخ ٢٣/ ١٢/ ١٩٧٩.

٢ ـ وأن الخروج من هذه الأزمة يتحمل مسؤوليته رجل الدين المسيحي الذي يجب عليه أن لا يخضع لانحرافات أنظمته التي تلحق الظلم بالإنسانية.

٣ ـ وان الإمام (قده) يطمح إلى اعادة التوازن داخل هذا المجتمع.

٤ ـ وأنه بعد كل ذلك يربط الغرب والشرق والعالم كله في وحدة مصير وهدف، ويقترح تواصلاً مع الجزء المستضعف في هذا الكون من خلال ما أسماه بحزب المستضعفين، فهو يقول بصدد هذا الحزب: «إن يوم القدس يوم إسلامي، ويوم لتعبئة عامة المسلمين، وإني لآمل أن يكون مقدمة لتشكيل حزب المستضعفين في كل أرجاء الدنيا، وآمل أن يشكل حزب المستضعفين في العالم، يشارك فيه جميع المستضعفين ليعملوا على حل مشكلاتهم، ويتحدوا للقيام بمواجهة المستكبرين والمستعمرين، اللصوص الشرقيين والغربيين»[١].

ومن خلال كل ذلك لا يؤسس الإمام لقطيعة مع العالم الغربي أو غير الغربي، وإنما هو يؤسس لتعامل وتفاعل مشروط مع الغرب كأنظمة، ويؤسس لاندماج إنساني ـ استضعافي يقاوم حركة الظلم في العالم.

ويتضح أن الإمام (قده) يفرّق في موقفه وخطابه ورؤيته بين الغرب كسياسات استعلائية وأنظمة نازعة نحو استغلال الشعوب واضطهادها، وبين الغرب كحضارة ترمز إلى دور الشعوب الغربية.

خطوط المواجهة وشروط التفاعل

لا بد، في ظل ما تقدم من أبعاد رؤية الإمام الخميني (قده) للغرب، من افتراض خطوط مواجهة محددة معه. إنها مواجهة بقدر ما هي شمولية، بكل ما تتسع له هذه الشمولية من أبعاد فكرية وثقافية وعسكرية واقتصادية ونفسية وإعلامية، فإنها أيضاً مواجهة مرتهنة إلى مجموعة من الشروط والعوامل.

أولاً: إنها مرتهنة إلى القضاء على تيار التغريب داخل أوساط الأمة الإسلامية.

---

(١) في نداء للإمام (رض) إلى حجاج بيت الله الحرام عام ١٤٠٠ هـ.

ثانياً: ومرتهنة إلى تحقيق الإستقلال الحقيقي.

ثالثاً: ومرتهنة إلى إيجاد علاقات متوازنة لا مجال فيها للإستغلال الغربي والسكوت إزاء هذا الإستغلال.

رابعاً: وهي مواجهة مشروطة بانتباه الدول الكبرى إلى خطاياها.. وهذا أمر مستبعد.

وربما كانت هذه الشروط والعوامل هي ذاتها التي يتوقف عليها التفاعل مع الغرب من الناحيتين النظرية والعملية، فتجربة إيران الإسلامية الثورية، بعد أن تحولت إلى دولة، عكست شكلاً من أشكال التعامل والتفاعل مع الغرب على المستويات السياسية والإقتصادية والدبلوماسية، وهي لم تعش قطيعة كاملة، وعزلة تامة عن العالم الغربي، إلا أن ذلك خضع لقراءة دقيقة ورصد دقيق، فهو لم ينضبط نظرياً بما «انضبطت» به أشكال العلاقات الدولية والأعراف السائدة عالمياً في الخطاب الدبلوماسي، فهذه العلاقات والأعراف رفضها خطاب الإمام (قده) واعتبرها جزءاً من منظومة النظام العالمي القائم على منطق التبعية، ولذا، فإن الإمام مارس التفاعل مع العالم الغربي انطلاقاً من مقاييس خاصة به ترصد حركة التعامل الدولي والغربي مع الدولة الإسلامية وقضايا المسلمين وقضايا المستضعفين في العالم. فهو تفاعل لم يعطّل أولاً ماهية الخطاب الثوري الذي اعتمده الإمام تحت ثقل «الضرورة» الدبلوماسية، بل بقي خطابه يسير على وتيرة ثابتة من حيث ماهيته الثورية، وما يصبو إليه من أهداف، وهو تفاعل ـ وفق المقاييس الخاصة ـ قاوم أي محاولة للمناورة والإبتزاز الغربي للثورة وثوابتها وقيمها.

إن التعامل والتفاعل مع الغرب لم يتوقف على طول عمر المشروع الإسلامي بعدما تحول إلى دولة، لأنه نابع أساساً، في حسابات الغرب، من مصلحته الذاتية وحاجته الخاصة في العلاقات مع الأمر الواقع الذي تخلقه الحالات الإسلامية الثورية في سياق حركة المشروع الإسلامي الكلي. والإمام الخميني (قده) كان مدركاً لهذا المنهج الغربي. فهو منهج تتعدد آلياته في استيعاب الإنهيارات التي

تتعرض لها مصالحه في مناطق نفوذه، ولأنه منهج يتحرك أساساً على إمكانات مادية وعلمية حقيقية زائداً امكانات وهمية كاذبة يوحي بها وتعكسها استراتيجية الردع والتخويف التي يعمل بها. والإمام الخميني (قده)، عندما اكتشف بحسه السياسي هذه الإستراتيجية الغربية وعمل على مقاومتها، فهو من ناحية أخرى يدرك امكانية تعامل الغرب مع الثورة انطلاقاً من الأمر الواقع. وبهذا التشخيص الدقيق، «استطاعت الثورة الإسلامية الإيرانية أن تمر بذكاء من خلال مضيق التنافس السياسي بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية، من دون أن تنزاح إلى هذه الكتلة أو تلك»[1].

وعوداً إلى كيفية تعاطي الإمام (قده) مع منعطفات الإبتزاز الغربي ربما يبلور شكلاً من مقايس التفاعل التي اعتمدها مع الغرب، فلنقرأ النص التالي حول قضية المرتد سلمان رشدي والإبتزاز الذي مارسته الدول الغربية من خلال سحب سفرائها من طهران، يقول الإمام (قده): «لا ضرورة أبداً لأن نهتم في هذه الظروف والأجواء بعلاقات وروابط واسعة، إذ قد يتصور الأعداء أننا أصبحنا نهتم بالعلاقة معهم والحاجة إليهم، بحيث إننا نسكت ولا نحرك ساكناً عند اهانة معتقداتنا ومقدساتنا الدينية، أولئك ما يزالون يعتقدون ويحللون أننا كنا بسطاء في سياستنا ومبادئنا الدبلوماسية وأنه ينبغي أن نعيد النظر فيها وأن لا نكرر الأخطاء السابقة، ويعتقدون أن شعارات الحرب الحادة بسبب إساءة ظن الغرب والشرق بنا، أدّت في نتيجتها إلى انزواء البلد، ولو أننا كنا اعتمدنا سياسة واقعية لكانوا عاملونا معاملة إنسانية وكانوا احترموا الإسلام والمسلمين كما احترمناهم»[2].

يوضح هذا النص طبيعة التفاعل والتعامل المفترض مع الغرب ويوضح أننا «لسنا بحاجة إليهم» بل إن حاجة الغرب إلى هذا التفاعل والتعامل أكبر من حاجتنا، كما أنه نص يكشف أيضاً عن استراتيجية الردع الوهمية المتبعة من جهة، وعن

---

(١) الدكتور رياض سلمان عواد. الإمام الخميني (قده) والاستكبار العالمي والماسونية. ص ٤٨.

(٢) نص ما قاله الإمام حول قضية المرتد سلمان رشدي بتاريخ ٢١ ٣ ١٩٨٩م.

الحرب النفسية واسقاطاتها في اطار شروط التفاعل مع الغرب من جهة أخرى، فمقولة «الإنزواء» في اطار هذه الحرب النفسية التي ولدت تخوفاً لدى تيار من الإسلاميين من وقوع الإسلام وكياناته في عزلة عن العالم، هذا «الإنزواء» أعطاه الإمام (قده) معنى آخر في ذات الإطار النفسي، يقول (قده): «ومع الأسف يفكر البعض بأننا منزوون بسبب مخالفتنا لأميركا. كلا؛ إن أميركا هي المنزوية، إن الميزان عندنا هو الشعوب»[1].

وهكذا يسحب الإمام (قده) مضمون مقولة الإنزواء من يد الخصم ليستخدمها ضده بطريقة مشروعة، وتقوم على مصاديق في سياق المواجهة النفسية وبما يبلور الأطر السليمة للتفاعل والتعامل مع الغرب.

وعودة إلى نموذج النص الأصلي المتعلق بقضية المرتد سلمان رشدي تصلح لأن تكشف وتثبت موضوعين في آنٍ واحد، فلنقف على تكملة هذا النص الذي يقول الإمام فيه «إن سفراء دول المجموعة الأوروبية يعودون إلى طهران مجللين بالعار، نادمين على ما فعلوا، وربما أن دول المجموعة الأوروبية لم تكن تتوقع هذا الخزي والعار في محاولة تحقيق هدفها المشؤوم»[2].

أولاً: إن هذا النص يأتي منسجماً مع خطاب الإمام الثوري الذي ـ كما أشرنا ـ سار على وتيرة مضمونية واحدة بعيدة عن المجاملة الدبلوماسية، وهو نص كما النصوص الأخرى التي ترتقي بالخطاب النظري للإمام (قده) في سياق المواجهة مع الغرب إلى حالة عدم ربط ثوابت هذا الخطاب بمجاملات واقع التفاعل الميداني مع الغرب ،بحجج الحاجة إلى مبدأ العلاقة مع الدول الغربية، فهذه الحاجة ـ كما أشرنا ـ هي حاجة غربية قبل أن تكون حاجة إسلامية، وهذا المعنى بدوره يرتبط بمعنى آخر.

ثانياً: والمعنى الآخر الذي يوحي به النص أيضاً، يتجاوز الكشف عن

(١) من كلمة له لمناسبة عيد الأضحى المبارك ١٤٠٠ هـ.

(٢) المصدر نفسه.

استراتيجية الردع الغربية إلى إثبات المضمون الوهمي الذي تتحرك به هذه الإستراتيجية.

خيار الإنزواء

لقد فجّر خطاب الإمام الخميني (قده) السياسي إزاء الواقع الدولي والغربي تساؤلات كبيرة وخطيرة ومهمة، لا سيما في ما يتعلق بموضوع العلاقة مع الغرب، أو الحوار معه، أو مقولات الإنغلاق والإنفتاح إزاءه، أو مقولات العزلة والإنزواء الذي قد يجره منهج الإمام (قده) التعاملي إزاء الغرب بما انطوى عليه من تشخيصات سابقة تطرقنا لها في سياق البحث، أو حتى في ما يتعلق بشعار سياسة «لا شرقية ولا غربية» كخيار حكم مسيرته السياسية، وكمؤشر لسياسة الدولة التي أرسى بناءها، فهذا الشعار شكل جزءاً من منظومة الفكر السياسي التي عمل بها الإمام (قده)، وهي منظومة مترابطة لا يمكن تفكيك أجزائها، وعزل مفاهيمها وإعمال هذه المفاهيم بحركة انفرادية، منفصلة... وإنما هي منظومة تعمل مجتمعة، ويكمل بعضها بعضاً في الحركة السياسية، فشعار «لا شرقية ولا غربية» أثار تحفظات ومخاوف حقيقية ووهمية من إمكانية تطبيقه، أو من إسقاطاته العازلة للحركة السياسية الإسلامية عن الواقع السياسي الدولي بما فيه الواقع الغربي والرؤية إزاءه التي نحن بصددها. ومن هذه التحفظات ما يقول «ثم يطرح الخطاب الإسلامي المعاصر شعاراً بعنوان «لا شرقية ولا غربية»، مع أن الباحث في التراث الإسلامي، يجد أنه لا مبرر لمثل هذه الدعوة، وهي تكشف عن تسرع في الأحكام، والموقف التراثي يناقض ذلك من حيث: إن في القرآن الكريم العديد من الكلمات، غير عربية ومنها القلم «سريانية»، القرطاس «يونانية»، ثم صراط وسندس وإستبرق، التي يرجعها بعض الباحثين إلى أصول فارسية، وبذلك يبدو الخطاب الإسلامي خطاباً منفتحاً على الحضارات الأخرى غير العربية، شرقية وغربية، وربما يكون في ذلك ما يمثّل درساً للمسلمين في ضرورة الإنفتاح على الحضارات الأخرى،

وبذلك تكون مسألة الإنفتاح مسألة مشروعة»[1].

إن ما تضمنه هذا البحث في ما مضى من فقراته يشكل إجابات عن هذه الإشكالات، وهي اشكالات كما يبدو لا تنطلق من واقع حيادي أو قراءة حيادية، فهذا الشعار ومجمل رؤية الإمام الخميني (قده) التي تطرقنا لها لا تلغي ضرورات التفاعل الحضاري مع العالم، بل هي رؤية تسعى إلى التكامل معه، ولكن بشروط التوازن والطموح نحو حركة إنسانية (حزب المستضعفين) تعمل على إزاحة الظلم القائم في سلوكية الدول الكبرى، وخاصة الدول الكبرى الغربية، ولكن لأن خطاب الإمام (قده) طغى عليه طابع المقاومة والمواجهة، فبعض القراءات إما أنها استثمرت طغيان هذا الطابع، أو أنها وقعت في خطأ قراءة منهجي أدى بالنهاية إلى إيجاد هذه المخاوف التي تحولت في مجالات أخرى إلى إرباك في رؤية تيار من الإسلاميين إلى الضوابط الدقيقة التي تحكم التعامل مع الغرب، والمقاييس التي على ضوئها يعرف هذا التيار أين حدود الإنفتاح؟ وأين حدود الإنغلاق؟ ما هو الأصل في الرؤية؟ وما هي التفريعات أو التطبيقات التي تخضع للمرحلة والواقع السياسي الدولي والغربي المتحرك؟ وما هي الحدود الفاصلة بين التكتيك والإستراتيجيا؟ ولقد أخذت هذه الأسئلة صداها، انطلاقاً من مجالات المواجهة المتعددة وشموليتها وطبيعتها والخلفيات التاريخية لها، فـ«في ضوء ذلك، انطلقت الحركة الإسلامية في مواقع التحدي في داخل الضوضاء السياسية المتحركة في خط العنف الذي لم تضعه هذه الحركة، بل كان موجوداً بفعل الهزات السياسية المتنوعة التي فرضتها القضايا الكبيرة المتحركة على أكثر من خط، ما جعلها معنية بتثبيت موقعها على الأرض، وتأكيد موقعها، وتحريك شعاراتها من أجل إيجاد قاعدة واسعة في الساحة الإسلامية العامة، بحيث تستطيع أن تقف في خط المواجهة من موقع القوة، وهذا جعلها تشعر بالحاجة إلى الإستغراق في تعبئة الطاقات الشعبية الإسلامية بالفكر الإسلامي الثوري الذي تنطلق ثوريته لتحدد له مساره في ساحة الصراع، ولتدفعه

(١) علي نوح. مجلة المستقبل العربي. العدد ١٧٧. ص ١٣٥.

إلى الواجهة من خلال بعض المواقف البارزة في دلالتها السياسية، ولتفصله عن الإندماج في التيارات الأخرى التي سبقته إلى الساحة، وعملت على احتواء الذهنية العامة بطروحاتها وشعاراتها السياسية الفكرية وأساليبها في العمل، ومنهجها في التحرك، الأمر الذي يجعل عملية الفرز الفكري والسياسي بحاجة إلى كثير من الجهد، في تأكيد الفواصل التي تثير العقدة هنا، وتنصب الحواجز النفسية والمادية هناك، وتحرك بعض الأوضاع الخاصة التي تحمي الذهنية الإسلامية من عدوان الفكر والضلال»[1].

وفي ظل الحاجة إلى تأسيس المشروع الإسلامي وتحصينه «يكون الإنغلاق المؤقت، والعزلة المرحلية، خطاً سياسياً على مستوى الطرف المحدد، أو الموقع المحدد، ريثما تزول بعض السلبيات أو تتجمد بعض المشكلات الصعبة أو تختفي من الأساس.. وهذا هو الذي قد يفسر بعض حالات الإنغلاق أو العزلة، في ما يمكن أن يتمثل في مبادرة بعض الإسلاميين في هذا الإتجاه، نتيجةً لاجتهاد سياسي معين في تقويم المرحلة أو في فهم الساحة، بحيث يشعر هؤلاء بأن الإنفتاح قد يدفع الكثيرين من أعداء الإسلام للإلتفاف عليه في مواقعه الداخلية الحصينة، في غياب الحالة النفسية الرافضة للأوضاع السياسية الطارئة المحصنة بالكثير من وسائل القوة والهجومية، وبذلك يكون الإنغلاق محاولة لتثبيت الموقع وتأصيل الشخصية، وتحصين الساحة، بحيث تنطلق إلى الإنفتاح - في الظروف الأخرى - على أساس ما تملكه من قوة كبيرة لا تضعفها العواصف القادمة من هنا وهناك»[2].

ومن خلال هذا الفهم يتضح الخط الفاصل بين الإنفتاح والحوار مع الغرب، وبين العزلة والإنزواء، فهذا الخط يتجسد أولاً بحركة الواقع السياسي (مرحلياً)، وبصلابة الأرضية التي يقف عليها المشروع الإسلامي ثانياً، وبضمان تصاعدية

---

(١) المنطلق. العدد السادس والخمسون. ذو الحجة ١٤٠٩ هـ - تموز ١٩٨٩. الصحوة الإسلامية... اشكالات ومواقف. العلامة السيد محمد حسين فضل الله.

(٢) المصدر نفسه.

حركة هذا المشروع، وحفاظه على استقلالية قراره السياسي ثالثاً. وبعد ذلك، فإن القيادة الإسلامية هي التي ترصد مؤشرات هذا الخط، ومن ثم تقرر على ضوء هذه المؤشرات، ما إذا كانت المرحلة تتطلب الحوار، أو أنها تتطلب «الإنكماش الإيجابي» الذي يحصّن المسيرة، ومن هنا لا توجد إطلاقات نهائية، كما أن شعار «لا شرقية ولا غربية»، ليس دعوة إلى العزلة بقدر ما هو دعوة إلى الحوار المتكافىء الذي يحفظ الهوية الإسلامية، ويؤسس للشخصية الإسلامية. ومن هنا يبدو الأصل في رؤية الإمام إلى الغرب وغيره، هو التفاعل المتوازن المتكافئ، ولا طريق لذلك إلا المواجهة الواعية.

خلاصة

عبر كل ما تقدم يتضح ما يلي:

أولاً: إن رؤية الإمام إلى الغرب والحضارة الغربية تأتي في سياق الإطار الكلي لرؤيته إلى واقع العالم السياسي، بقواه الكبرى وتكتلاته وأنظمته ومؤسساته الدولية، وهي رؤية تقسم هذا العالم إلى معسكرين شرقي وغربي.

ثانياً: وهذه الرؤية الشمولية لواقع العالم، التي تأتي كشرط من شروط تأسيس هوية المشروع الإسلامي، وتأسيس الوعي الثوري ومن ثم تحصين هذا الوعي برؤى ونظريات ثابتة، لا تلغي تمايز الرؤية إلى الغرب انطلاقاً من واقع مواجهة إسلامي ـ غربي ميداني ، في إيران وفلسطين وعموم البلدان الإسلامية جعل من الغرب الخصم الأكثر مسؤولية عن معاناة المسلمين، فضلاً عن تيارات التغريب التي تعمل في واقعهم بما يفقدهم هويتهم وأصالتهم، وفضلاً عن الواقع التغريبي في شتى المجالات الحياتية الإسلامية. هذا الواقع الذي ضاعف من التأكيد على وجوب مقاومته في خطاب الإمام (قده).

ثالثاً: وتفرق رؤية الإمام (قده) بين الغرب كأنظمة وحكومات، والغرب كشعوب وحضارة، وهو حاول في المجال الثاني أن يستنهض القيم الروحية التي يمثّل فقدانها الأزمة الحقيقية في المجتمعات الغربية في ظل طغيان المنهج المادي.

رابعاً: وفي ظل رؤية الإمام الشمولية للصراع، فهو لم يحدد خطوطاً مسماة للمواجهة معه، بل اعتبر الصراع صراعاً مفتوحاً في كل الميادين، مع تركيزه على الحرب النفسية التي يخوضها الغرب في سياق هذا الصراع، واستراتيجية الردع والتخويف التي تتأسس على الوهم أكثر مما تتأسس على الحقيقة.

خامساً: وفي ظل تجربة الثورة الإسلامية في إيران، فإن إدارة علاقاتها الدولية تجسد مقداراً من التعامل والتواصل والتفاعل المشروط مع الغرب، إذ يفترض بهذا التفاعل أن لا يعطل تحت أي ضغط من الضغوط في حركة المشروع الإسلامي، وقوة الخطاب الثوري، كما أنه تفاعل محكوم إلى الإستقلال في السلوك السياسي

الإسلامي، والتوازن في العلاقات. أما الثقل الأكبر من التفاعل الذي يصل إلى حد التكامل في وحدة الهدف، فيكمن في رؤيته إلى عالم المستضعفين، وهو الأساس الذي يمكن أن تنطلق منه مقولة «حوار الحضارات».

سادساً: ويأتي الإنعزال أو الإنزواء في سياق المواجهة كضرورة لتحصين الموقع الإسلامي أو كخيار مرحلي تقتضيه ظروف المواجهة المحكومة إلى سياقات مختلفة من الحرب النفسية، وهي ضرورة تقدرها القيادة الإسلامية، فلا يشكل هذا الإنعزال أو الإنزواء أساس الرؤية الخمينية للواقع الإسلامي، فهي رؤية تواصلية، ولكنها مشروطة ـ كما أشرنا ـ بالصيرورة للمشروع الإسلامي.

الإستكبار ومفهومه في الواقع الدولي المعاصر

الدكتور عبد الرحيم علي محمد إبراهيم
مدير جامعة أفريقيا العالمية / الخرطوم. السودان

لقد كان من خصائص عبارات الإمام الخميني أنها واضحة وصريحة وقوية الدلالة على المراد، وذلك دليل على وضوح الرؤية عنده، وعلى قدرة لديه هائلة في الغوص العميق لاستكناه جوهر المشكلات المعقدة والتخلص من ملايين الحقائق التفصيلية التي تربك أكثر المفكرين بتشابكها وتعارض اتجاهاتها، فيتعذر عليهم رؤية الأصل وتمييز الأهم من المهم، وينتج عن ذلك اختلاف الرؤى وتعدد مدارس التحليل والتشخيص، لا سيما في المشكلات السياسية والدولية الكبرى. لكن الخميني كان ملهماً في تبسيط القضايا المعقدة حتى يراها أبسط الناس، ونافذ البصيرة بحيث يرى جوهر المشكلة وأصل أصولها دون أن تحجبه التفصيلات. وإن تلك القدرة لهي شرط من شروط التجديد، وتلك خاصية هي من خصائص المجددين.

إن عبارة الإستكبار العالمي ومثلها عبارة المستضعفين، والمقابلة بينهم وبين المستكبرين لهي عبارة بسيطة مأخوذة من آيات القرآن الكريم، وقبل أن يستخدمها الإمام في وصف الواقع الدولي المعقد لم يكن يخطر ببال القارئ إلا أنها وصف للملأ من قوم فرعون أو قوم شعيب الذين استكبروا كما في آيات سورة الأعراف:

﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون، قال الذين استكبروا إنّا بالذي آمنتم به كافرون﴾ ومثلها في سورة سبأ (٣١ - ٣٣).

ولكن استخدام الإمام الخميني لهذا المصطلح القرآني أحياه وأعطاه حيوية

جديدة في وصف حقائق عصرنا، وبدا المصطلح لا كأنه صفة تاريخية انصرمت لطائفتين تاريخيتين، بل هو وصف انقسام تاريخي بين نوعين من الناس يتكرر وجودهم في المجتمعات عبر التاريخ.

لماذا كان هذا الوصف مناسباً للواقع الدولي المعاصر؟

بعد الحرب العالمية الثانية خرج الحلفاء الغربيون بقيادة أميركا منتصرين نصراً نهائياً، وأقاموا المنظمة الدولية الأمم المتحدة لتعبّر بقوانينها وأجهزتها عن واقع الانتصار المطلق، فأعطى حق النقض (الفيتو) للدول الخمس الأقوى، وقسمت الثروات والامتيازات وفق اتفاقيات دولية تعبر عن واقع القوة التي خرجوا بها. ولا تزال الدول التي انهزمت في الحرب تدفع تعويضات مالية كبيرة هي أشبه بالجزية تعبيراً عن الخضوع والإستسلام، كما أن مناهج التعليم والإعلام قد رسمت بحيث تؤكد الإعتذار في البلاد المنهزمة، وترسخ لدى أجيالها فكرة أنها اعتدت وخسرت.

أما بقية العالم الفقير، فقد كان أصلاً منذ أوائل القرن مستعمراً أي مملوكاً بواسطة الدول الغنية (المستكبرة) وخاضت بعض الشعوب المستعمَرة الحرب مع المستعمرين لقاء أجور زهيدة ولم يقسم لها من الغنيمة شيء!

هذا الواقع المأساوي لا يزال يتطور في اتجاه مزيد من السيطرة، ومزيد من الإستغلال رغم استبدال شكل الإستعمار المباشر بأشكال أخرى من السيطرة المباشرة وغير المباشرة.

عندما بدأ الخميني ثورته، كان الواقع في الشرق الأوسط كله يعبر عن حالة من اليأس حيث كانت إسرائيل قد فرضت سيطرتها وبدأت تتوسع على حساب جيرانها، وهي تتمتع بتأييد الولايات المتحدة وتلقى مساعدة وترحيباً في كثير من الدول الإسلامية التي كانت أفلاكاً للولايات المتحدة.

وجاء الخميني رحمه الله ليصرخ بأعلى صوت في وجه هذه الأوضاع المؤلمة، وامتلأت الدنيا باحتجاجاته الصريحة على نهب ثروات الشعوب، وعلى إفقار المواطنين وإذلالهم من أجل أن تستمتع حفنة من أولياء الشيطان، وعلى الحملة

الثقافية الواسعة التي هدفت إلى قتل روح الشباب المعنوية وإلهائه عن الأمور الجادة وعن المطالبة بحقوق الأمة بأنواع المغريات والشهوات.

عندما ظهر الإمام الخميني لم يكن الوعي بهذه المظالم الإقتصادية غائباً، فقد كانت المدارس الإشتراكية في العالم الإسلامي تعبر بطرق مختلفة عن فكر ثوري مستمد من الماركسية والتصنيف الطبقي للمجتمعات الإنسانية، وكان الإشتراكيون في نشاط ملحوظ في إيران والعراق وسوريا والسودان وكذلك في مصر وكثير من بلاد العالم الإسلامي.

وكانت الحركات الوطنية القومية نشطة في مقاومة الإستعمار وأنواع التدخل الأجنبي، فظهرت القومية العربية في مصر والشام، وبرزت أنواع الوطنيات في إيران وآسيا، واستمدت كلها من الفكر القومي الذي برز مع الثقافة الأوروبية.

لكن الإمام الخميني تميز في ثورته بنظرة جديدة إلى الواقع الدولي. تميزت نظرته بالشمول، فلم يكن يرى المظالم الإقتصادية بمعزل عن الواقع الثقافي الذي تميز بالإستتباع وعقدة النقص. ولم يكن الخميني يرى المشكلة من منظور إيراني وطني بحت، بل نظر إلى الواقع الدولي نظرة كلية لا ينفصل فيها واقع إيران عن واقع العالم الإسلامي الكبير، وجاءت أقواله موجهة لا إلى الإيرانيين وحدهم ولكن إلي جمهور المستضعفين.

كذلك، فإن الفكر السياسي الذي ساد المنطقة كان أسيراً لوجود قطبين متنافسين هما حلف الأطلسي، وغريمه الإتحاد السوفياتي، وكان زعماء الوطنية يجتهدون في إيجاد مساحة للمناورة بين القطبين ويتنامى نجاحهم السياسي في الإستفادة من هذا التناقض الظاهري.

وكانت رؤية الخميني كلية وملهمة جداً ،حيث استبق سقوط الإتحاد السوفياتي، كأنه ألهم بالمستقبل، فلم يلق بالاً للتناقضات الظاهرية بل تجاوزها إلى اعتبار العالم منقسماً إلى أمم مستكبرة يقودها شيطان أكبر، وأمم أخرى مستضعفة. ولذلك تلخصت رؤيته في خلاص هذه الأمم في معادلة بسيطة وهي أن

تنهض هذه الأمم وتمنع الأقوياء من استغلالها وإذلالها، ولا تعتمد في ذلك على أي عون دولي مهما كان، بل على الإيمان بالله وقبول التضحيات مهما كانت جسيمة والثقة بالنفس وبقدرات الشعوب.

قال مرة في لقاء خاص: «من الممكن القضاء على التبعية العسكرية خلال شهر أو بضعة أشهر. وهكذا، فإن التبعية الإقتصادية يمكن تلافيها. إلا أن القضاء على التبعية الروحية والإنسانية صعب جداً. إن هذه التبعية الروحية أسوأ وأقبح من كل شيء».

لقد كانت نظرة الإمام الخميني ثاقبة، لأن السنوات العشرين التي مضت منذ قيام الثورة دلت على كثير من الحقائق الجديدة:

أولاً: سقط الإتحاد السوفياتي وورثه الغرب كقوة أحادية لا موازن لها، ولم يكن عجيباً أن أكثر اليساريين والشيوعيين تحولوا إلى الولاء للغرب وسقطت كل شعاراتهم القديمة.

ثانياً: تكشفت مظاهر السيطرة العالمية عن وجوه جديدة تعدت الهيمنة الإقتصادية، والإخضاع العسكري، إلى محاولة لفرض أحادية ثقافية تحميها قوانين دولية، وما المؤتمرات المتعددة حول الإسكان والمرأة والأسرة إلا مظاهر أولية من التفكير الغربي المشحون بمركب الإستعلاء والهادف إلى محو شخصية الأمم كلها، خاصة الإسلامية، وإحلال قيم الثقافة الغربية في جوانب الحياة المختلفة.

لقد شهد العالم أمبراطوريات متعددة، وكانت الأمبراطوريات دائماً قوة تستتبع وتستلحق إلى المركز الواحد أطرافاً من العالم تغذي المركز بالجنود والمال وتستمد منه الشرعية. وظل الخروج على الأمبراطورية (أياً كانت) يعاقب بعقوبات صارمة، فتجرد الجيوش وتغزى البلاد المتمردة لتأكيد إخضاعها وإقامة أمراء موالين في الأقاليم المختلفة.

لكن الوجه المعاصر لنظام الأمبراطورية هو العولمة والشرعية الدولية، المستمدة من القوة الإقتصادية والعسكرية، وتقوم على حماية هذا النظام العالمي الجديد

مؤسسات دولية، وأجهزة إعلامية وثقافية ضخمة، ويعتمد النظام على التخويف بالتجويع وبالمحاصرة وبالتهديد العسكري في كثير من الأحيان.

لقد كانت نظرية الإمام الخميني بسيطة ومباشرة، تعتمد على الخروج الكامل على فلسفة الغرب.

ثالثاً: لقد ثبت في تجربة السنوات الماضية أن الإعتماد على الغرب والتحالف معه من أجل الحماية أو التقدم لم تلق منه الدول المتحالفة إلا وبالاً، فقد افتقرت دول الخليج ونهبت ثرواتها، واستلبت أرصدتها طوعاً وكرهاً. وكذلك، فإن الدول التي استعانت على ثورة الخميني بالتأييد الغربي والمساعدات الدولية عاد الغرب فحطم تقدمها العلمي ودمر أسلحتها التي جمعتها. وخرجت إيران التي كانت تواجه تحت قيادة الخميني كل القوى الدولية ويحاربها جيرانها، عادت أقوى دول المنطقة وأولاها بالاحترام.

ومن هنا نفهم قول الإمام الخميني في وصيته:

«وأقول لكم يا إخوتي في الإيمان: لو أننا فنينا عن ظهر البسيطة باليد الآثمة الأميركية والسوفياتية، ولاقينا ربنا بدم قانٍ لقاءً مشرفاً، لكان ذلك أفضل من أن تكون لنا حياة مترفة مرفهة تحت راية الجيش الأحمر والأسود الغربي.

وهذه كانت سيرة الأنبياء العظام وأئمة المسلمين وأعلام الدين المبين ويجب أن نقتدي بها».

«يجب أن يسودنا الاعتقاد بأن أمة من الأمم تستطيع أن تعيش متحررة من التبعيات إن أرادت ذلك. القوى المتجبرة العالمية لا تستطيع أن تفرض على شعب شيئاً يخالف معتقداته. خذوا العبرة من أفغانستان...».

رابعاً: لقد ثبت أن ما وعد به الإمام الخميني صحيح، وأن الشعب إذا ما توجه إلى الإبتكار والتصنيع معتمداً على الله فإنه يستطيع أن يستغني عن التبعية والإستجداء. فها هي إيران اليوم تنتج كل ما تحتاج إليه من أنواع الصناعة، وها هي تكسب الإحترام الدولي في التصنيع الحربي وغيره من المجالات، حيث فازت

بالميداليات في مهرجانات السينما وفي مجال الرياضة حيث هزم فريقها الفريق الأميركي.

خامساً: إن انقسام العالم إلى مستكبرين ومستضعفين قد ظهرت معالمه وخطوطه أكثر من ذي قبل، ولم يعد خافياً أنه حتى اليهود في إسرائيل ينقسمون إلى مستضعفين ومستكبرين، وفي ظل هذا الوضع العالمي الذي يزيد فيه القوي قوة بحكم القوانين التي يضعها لصلحته، ويزيد الضعيف ضعفاً بحكم خضوعه لعدوه، فإن صيحة الإمام الخميني تصبح المخرج الأوحد للشعوب، حيث يقول:

«أيها المسلمون في أرجاء العالم، أيها المستضعفون الرازحون تحت سلطة الظالمين، انهضوا وتعاضدوا متحدين، ولا تهابوا ضجيج الطواغيت، فهذا القرن بإذن الله القادر قرن غلبة المستضعفين على المستكبرين وغلبة الحق على الباطل...».

الإستكبار العالمي : الولايات المتحدة نموذجا

الأستاذ جهاد المحيسن

باحث / الأردن

ليس من شك في أن الإمام الخميني رحمه الله شخصية استثنائية ومميزة، استطاع أن يوظف خير توظيف الظروف الموضوعية والذاتية للقيام بالثورة الإسلامية في إيران، مستلهماً رحمه الله في ثورته، أصول عقيدته ومواكباً متطلبات الحياة العصرية.

فقد لامس ببعد بصيرته، عمق الخطر الكامن الذي تشكله الولايات المتحدة والصهيونية العالمية، لذلك، فقد عرف هذا الخطر من موقع المواجهة معه في سياق معرفي ينم عن إدراك غير عادي لجدلية الصراع مع الآخر.

ومع مطلع العقد الحالي تبدلت السياسة العالمية تبدلاً أساسياً بطريقتين:

الأولى: أنه أعيد تشكيل هذه السياسة على نحو جوهري وفق خطوط ثقافية وحضارية جديدة تسعى الى نفي الآخر والسعي لفرض هيمنة ثقافية جديدة ذات طابع منسلخ عن الجذور الأصلية للثقافات الأخرى.

والثانية: أن هذا التشكيل ارتبط دوماً بالقوة والصراع من أجل السيطرة. لذلك، فإن العلاقات الدولية تتبدل اليوم وفق ذلك البعد الحاسم، فالبنية الكونية للقوة في الحرب الباردة كانت ثنائية القطب بصورة أساسية، في حين أن البنية التي تتكون اليوم مختلفة تماماً، فهي أحادية القطب تدار بإرادة الولايات المتحدة وقوتها، إذ يميل المسؤولون الأميركيون على نحو طبيعي، إلى العمل كما لو أن العالم وحيد القطب، ويتباهون بالقوة الأميركية والفضيلة الأميركية، وتحسب الولايات المتحدة المهيمن الأوحد. ويورد نائب وزير الخارجية ستروب تالبوت في تناوله لمشكلة

مشاعر الأجانب إزاء نزعة الهيمنة الأميركية التعليل التالي «إن الولايات المتحدة، بطريقة ما وبفرادتها إلى حد ما في تاريخ القوى العظمى، لا تحدد قوتها وعظمتها حقاً بمعنى قدرتها على تحقيق سيطرتها على الآخرين أو التمسك بها، بل بقدرتها على العمل مع الآخرين من أجل مصالح المجتمع الدولي ككل»، وهذا القول يتجلى في مفردات ثلاث: تبجيل الفرادة الأميركية والفضيلة الأميركية، والقوة الأميركية.

إن مثل هذه المقولات هي التي تدير إلى حد فاضح السياسة الخارجية الأميركية فقد سعت الولايات المتحدة، خلال السنوات القليلة الماضية، إلى الضغط على الدول الأخرى ودفعها إلى تبني القيم والممارسات الأميركية بشأن حقوق الإنسان والديمقراطية، والحيلولة دون أن تحوز الدول الأخرى القدرات التقنية والعسكرية التي يمكن بها أن تجابه التفوق الأميركي التقليدي، وفرض تعميم القانون الأميركي في المجتمعات الأخرى وتصنيف الدول وفقاً لدرجة تمسكها بالمعايير الأميركية حول حقوق الإنسان، والمخدرات والإرهاب وانتشار الأسلحة النووية، ومؤخراً الحرية الدينية، كما حصل لمصر والهند، وفرض العقوبات على الدول التي لا تلتزم بالمعايير الأميركية حول هذه المسائل، وتعزيز المصالح الأميركية في المنطقة تحت شعارات التجارة الحرة والأسواق المفتوحة، ورسم سياسة البنك الدولي وصندوق النقد الدولي لخدمة تلك المصالح المشتركة، والتدخل في النزاعات المحلية، وإجبار الدول على تبني سياسات اقتصادية واجتماعية وثقافية، تعود بالفائدة على المصالح الإقتصادية الأميركية، وترويج مبيعات الأسلحة الأميركية في الخارج، فيما تمنع المبيعات المماثلة للدول الأخرى، والإلتزام بالعمل العسكري ضد العراق، والإبقاء على العقوبات الإقتصادية الصارمة المفروضة عليه، وتصنيف كل من سوريا وليبيا والسودان وإيران بالداعمة للإرهاب واستبعادها من المؤسسات الدولية لأنها تأبى الخضوع لرغبات الولايات المتحدة.

والأداتان الرئيسيتان من أدوات القسر اللتان تستخدمهما الولايات المتحدة اليوم، هما العقوبات الإقتصادية والتدخل العسكري.

إن التهديد الخارجي الاعظم الذي يواجه امتنا في عالم اليوم يتمثل بالولايات المتحدة، فهي ليست مجرد خطر عسكري، بل هي خطر على وحدة أراضينا واستقلالنا الذاتي والإقتصادي، فهي دولة متطفلة تتدخل في شؤوننا مستغلة منفردة في قرارها، مهيمنة، منافقة وتطبق معايير مزدوجة، على أن ذلك لا يمنع قيام أشكال من التعاون المعادي للهيمنة الأميركية مثل اللقاءات الثنائية بين كل من إيران والسعودية، وإيران والعراق، والنجاح الذي حققه اجتماع دول منظمة المؤتمر الإسلامي الذي استضافته إيران، مع الإخفاق الذريع للمؤتمر الذي عُقد في قطر حول التنمية الإقتصادية لدول الشرق الأوسط الذي رعته الولايات المتحدة.

مما لا شك فيه أن التحرك الأمثل لتكوين تحالف معادٍ للهيمنة الأميركية هو قيام تعاون عربي إسلامي يتفاعل ما بين القوة والثقافة، فدينامية القوة تشجع على المنافسة، والتماثل الثقافي يسهل التعاون. ويعتمد إنجاز أي هدف عربي إسلامي على انتصار العامل الثاني على العامل الاول.

فالإشكالية الأبرز في واقعنا ، هي وقوعه في ازدواجية على مختلف المستويات العمرانية والإقتصادية والثقافية، ازدواجية تتمثل بوجود نمطين من الحياة الفكرية والمادية، أولهما عصري مستنسخ من النموذج الغربي ومرتبط به ارتباط تبعية، وثانيهما تقليدي، وهو استمرار للنموذج التراثي في صورته المتأخرة.

من هنا ،تلح ضرورة إيجاد قاسم مشترك يجري فيه توحيد كل التناقضات المجتمعية للخروج من مأزق التبعية الذي يمزق أشلاء الأمة. لذلك، تنبعث ضرورة البحث عن عوامل التوحد بين مختلف الأفكار التي تشكل الثقافة الحضارية للأمة، وليس الإنقسام، دون أن تكون هنالك مصادرة فكرية لأي من الأفكار التي تسعى في عمقها إلى مواجهة الخطر الأميركي والصهيوني، فالسجالات الجانبية التي تدور هي التي تطغى على القضية الأساسية. من هنا ،نرى ضرورة نقد الآخر واستيعابه حتى يعطي دفعة إلى الإمام.

فالإمام الخميني استند في رؤيته المعرفية للغرب إلى زاويتين، الأولى تراثية

ثقافية تجديدية تستند إلى رفض الهيمنة والظلم والإستغلال، والثانية: الرؤية النقدية للسياسات الدولية والثقافات الأخرى.

وفي غياب فكر عالمي بديل يواجه الليبرالية الجديدة، خصوصاً بعد سقوط الإتحاد السوفياتي والشكل العدائي الذي تمارسه العلمانية على الكنيسة وإبعادها قصراً كل البشرية ... من هنا يبقى الإسلام المنفتح على الثقافات الأخرى المرشح الوحيد الباقي لمنازلة الليبرالية الجديدة بصورتها الرأسمالية البشعة: عولمة طغيان رأس المال.

لقد استطاع الإمام الخميني أن يستنبط مفاهيم عالمية إنسانية من الشريعة متقدماً على نظرائه الإسلاميين، وقدمها بصورة إنسانية تتجاوز الزواجر والنواهي.

التعقيبات

● **د. طراد حمادة :**

بسم الله الرحمن الرحيم

بداية، أرغب بالتنويه بمستوى المحاضرات، وبشكل خاص محاضرة الأستاذ عادل رؤوف التي قرأتها، والتي صيغت بعناية، بدت لي كأنها تريد أن تقول شيئاً ولم تقله، وإذا كنت أرغب في مصارحة مفيدة فإن الأمر يتعلق بالنسبة للعلاقة مع الغرب في وقتنا الراهن الذي يشهد متغيرات أساسية وكبرى، ليس على قاعدة التاريخ الميلادي والألفية الثالثة، بل على قاعدة تغير علمي وسياسي واستراتيجي وثقافي حقيقي، إن الأمر يتعلق الآن بالعلاقة مع الآخر، وبأطروحة الحوار مع الآخر أو عدم الحوار معه، فالسؤال الذي يهدف الى الإفادة الأولى هو هل ما يطرحه السيد خاتمي، برأي الأستاذ عادل رؤوف من حوار الحضارات يتفق من حيث المبدأ والأصل مع مجمل وحصيلة موقف الإمام من الغرب. السؤال الآخر الذي يريد أيضاً فائدة ثانية يتعلق بالشيخ حسين كوراني وأيضاً الأستاذ رؤوف، هو في الواقع له علاقة بماذا نأخذ عن الآخر، وهذا يذكرني دائماً بموقف ابن رشد القديم عندما قال: لن نأخذ عن المشارك لنا في الملة أو غير المشارك لنا في الملة، بل ماذا نريد أن نأخذ؟ حل المشكلة بأننا نضرب بأيدينا الى كتبهم، نأخذ منهم ما نجده على صواب، وما لا نجده على صواب فننبههم إليه، وبالتالي، حُلت المشكلة الرشدية على طريقة الأخذ عن الآخر ولكن ضمن المصلحة وضمن الفائدة العامة، ولا يزال هذا الموقف حتى الآن يعني الموقف الإسلامي من العلاقة مع الآخر، هذا الموقف يدور حول الموقف الرشدي في العلاقة مع الغرب، هل يمكن أن تأخذ منه ما يتفق مع هذه القاعدة الرشدية. وشكراً.

● **الاستاذ المهندس ليث شبيلات**

بسم الله الرحمن الرحيم

أحببت أن أستطرد في هذا الموضوع ،ولعل مداخلتي السابقة لم يحظَ هذا الجانب منها بالنقاش، وهي بلا شك مستمدة من فكر الإمام ومن نظرته العالمية التي ذكر سماحة الشيخ حسين مدى سعتها. الغرب يستفيد، وهو عنصري، ويحب أن يهيمن ويزعم أننا لا نريد أن نحاور ونحن لا ننطلق من الحوار فقط تكتيكياً لأن الغرب لا يريد الحوار ﴿**قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً**﴾ ويستمد هذا الطرح أهميته أولاً من أننا نعيد خلط الأوراق، ونضرب الحشد الغربي اللاديني العلماني الذي همش الكنيسة وحارب الكنيسة، ويزعم في الوقت نفسه أنه رافع راية الكنيسة والمسيحية العالمية ضد العالم، في الوقت الذي يحارب فيه الكنيسة داخلياً إلا أنه يطرح أنه يمثل الكنيسة، بعدما نفرض عليه الحوار وبداية الهزيمة أن يقبل الحوار ولن يقبل الحوار. اذا قبل الحوار فلن يطرح فيه، كما تفضل الشيخ حسين، أموراً استكبارية يفرضها علينا. نقول تعال الى أصول فكرك نحن نقبل المنطلقات المسيحية الحقيقية للنظرة الى الله والإنسان والكون والحياة، هذه النظرة متطابقة عند المسلمين والمسيحيين ومنها تنبثق جميع النظم الإقتصادية والإجتماعية والسياسات.

كل السياسات المفروضة الآن عالمياً علينا مستندة الى منظور معادٍ لله معادٍ للإنسان يجعل الطبيعة مركز الكون وليس الإنسان عندما نطرح الحوار نفضحه بين أبناء جلدته أيضاً، حيث نقول له: أين مركز الإنسان، أين الله، أين الإنسان، هل هو المركز أم أن الطبيعة هي المركز؟ نحن نقول إن الإنسان هو المركز، إذن مثلاً في البيئة نحمي الفقراء. في ريو دي جينيرو وفي جميع المؤتمرات الدولية لماذا كنا ضعافاً لا ندرك، أنظروا الى مهاتير محمد في ماليزيا، فهو متقدم جداً في فهمه لهذا الطرح. عندما طرحت الهند وماليزيا وغيرهما وضعوا على قائمة حماية البيئة رأس الأولويات أن الفقر هو أكبر ملوثات البيئة. الغرب رفض ذلك، وقال لا نحن نتكلم عن

الخضرة والخضار. هنا الخلاف الرئيسي. أين الإنسان من طرحكم. عندما نفرض عليه الحوار ويفرض أنه يزعم الحوار ونفتح هذا الباب نبدأ بهزيمته داخلياً.

وأختم فقط بموقف الإمام رحمه الله عندما جاءه وفد من البابا في قضية الرهائن كيف أنه وقف موقفاً في الدفاع عن اضطهاد المسيحيين، وقال لم أرَ البابا يتحرك ولم أرَ الفاتيكان يتحرك للقمع الذي يحدث في جنوب أميركا للكاثوليك من قبل أميركا. المصداقية أن نرى هذا، وأنا أتبنى قضية جنوب أميركا وأتبنى قضية المستضعفين في جنوب أميركا.

● **الشيخ محمد عبدالعال**

بسم الله الرحمن الرحيم

حول الكلام عن الحضارات. إذا أردنا أن نتحدث بدقة هل هناك حضارات أو حضارة غربية أو تصدق التسمية على شيء نسميه حضارات خارج إطار الحضارة الموضوعية التي هي منتمية الى دين الله سبحانه وتعالى وهل يصنع الإنسان بمعزل عن الإنتماء الى عالم الدين حضارة؟ يبدو أننا بحاجة الى إعادة النظر في مفهومنا حول الحضارة مصطلحاً وعمقاً ودلالة. النقطة الثانية كذلك لو خرجنا الآن وسألنا أحد الناس من ذوينا أين كنتم وقلنا لهم لقد كنا في مؤتمر فكري فإلى أي حد نكون صادقين بهذا الجواب، وشكراً.

● **الدكتور علي الفليطي**

السلام عليكم. كنت أحب أن أتكلم بعد كلام الأستاذ الأخ ليث على أساس أنه وصل به الى موضوع الإنسان والتي هي برأيي أهم نقطة كانت عند أو في فكر الإمام الراحل الخميني (قده)، وهي علاقة كانت، حسب اعتقادي، السبب الرئيسي لنجاح الثورة، هي نقطة علاقته بالجماهير في إيران حتى وصل به الأمر الى أن

يقول وبالحرف الواحد إن الخميني يقبل أيديكم واحداً واحداً، ويحترمكم واحداً واحداً ،ويعتبر كل واحد منكم قائداً له. قلت مراراً وتكراراً أنا وأنتم شيء واحد. ماذا يوجد بعد كل هذه المحبة التي كنها الإمام لشعبه؟ بقدر ما نلامس الروح الحقيقية للإمام الخميني لإسلامه بقدر ما نكون قد وصلنا الى النصر، وشكراً.

ردود المحاضرين

رد/ **الأستاذ عادل رؤوف**

أقول : فيما يتعلق بسؤال الدكتور حمادة، وهو سؤال جوهري، وقد قال كأن الاستاذ عادل يحاول أن يطرح شيئاً، ولكن لم يقترب من طرحه بشكل جوهري، وهذا وارد، ولكن طبيعة البحث الذي كتبته لا تسمح بأن أدخل، ولكن في المضمون أقول إن الحقبة حقبة الإمام وما بعد الإمام جسدت أنماطاً في العلاقة والتفاعل مع الغرب وما يتعلق بما يطرحه رئيس الجمهورية سماحة السيد خاتمي في مسألة حوار الحضارات مع الغرب هو في أساسه، كما أعتقد أنه يشكل امتداداً في كل عمق يشكل امتداداً لحقيقة هي أن الإمام الخميني رحمة الله عليه كان يعيش في بيئة سياسية ومرحلة سياسية مغايرة تماماً للمرحلة التي يعيشها خاتمي، وأنا ذكرت، في البحث الذي لم أكمله، ذكرت أن هناك حاجة لدى الغرب مثلما لدينا حاجات يجب أن نحققها مع الغرب. فهذه الحاجات المتبادلة يفترض بها أن تخلق أولاً تعاملاً وحصل تعامل مع الدول الغربية على صعيد العلاقات التجارية وغير التجارية مع الدولة الإسلامية في إيران. هذا فيما يتعلق بالحاجات إذن، حتى في مرحلة الإمام كانت هنالك علاقات مع الغرب ولكن علاقات محكومة أولاً الى مبدأ الإستقلال والى تحييد الهيمنة الأميركية قدر المستطاع والى استنهاض أقصى حدود ممكنة وأقصى فرص تثمير لطاقات الأمة الإسلامية، وهذا ما استطاع الإمام أن يحققه في حضور أذهل الغرب.

رد / الشيخ حسين كوراني:

بسم الله الرحمن الرحيم

بتقديري، ضروري أن نفرق بين موضوع الحديث الذي هو الإستكبار وبين الآخر. هناك فرق كبير واضح. تارة نتحدث عن الإستكبار، فالموقف منه محكوم بطبيعة الإستعمار، وتارة يكون الحديث عن الآخر. فطرح الإمام لا يحمل أي عقدة عن الآخر إطلاقاً. فعدى نصوص أنا ذكرتها في موقف الإمام من الغرب الآخر الإمام صريح بالإنفتاح والتفاعل الى أقصى حد ممكن، لكن عندما يكون الحديث عن الإستكبار الوضع يختلف جذرياً. بهذا السياق، ضروري أن نفرق بين حوار الحضارات مع المستعمر، وحوار الحضارات مع الغرب، مع الناس، مع المتحضرين، حوار الحضارات في طرح السيد خاتمي ليس معناه حواراً مع كلنتون. فإذن، يجب أن لا نخلط الأمور ببعضها البعض، فيظهر لدينا صورة واضحة. جداً هذا ما أردت أن أوضحه فقط.

رد / كلمة الختام : الدكتور علي الشامي

بالنسبة للإشكالية التي طرحها فضيلة الشيخ حول تسمية حوار الحضارات. أنا أنضم لسماحته. أتمنى أن نستخدم عبارة حوار الثقافات بدلاً من حوار الحضارات لأن الموضوع موضوع يحتاج الى جلسة خاصة، ولكن أعتقد أن جزءاً كبير من الصراع الحالي يدور حول مسألة الثقافة كيف تختار المجتمعات طريقة الحياة الخاصة فيها.

إسمحوا لي أن أعود الى محور الجلسة وأختمها بتجربة صغيرة سنة ٧٩ عندما كنت أناقش أطروحة الدكتوراه في فرنسا، وهي عن لغة السياسة عند الشيعة. فرئيس اللجنة، عادة الشخص الذي يريد أن يناقش الأطروحة في بداية المناقشة يقدم عرضاً موجزاً للأطروحة، فقال لي رئيس اللجنة لا تحدثنا عن الأطروحة حدثنا

عن الخميني عام ٧٩، وشاءت الصدف أنه عام ٨٧ كنت في فرنسا لمناقشة أطروحة أخرى عن الإسلام والغرب، فكان يهرب هذا الدكتور، وأراد أن يعطل المناقشة كلياً قال أنت آتٍ من عالم أفكاره غير مقبولة، وكذا قلت له في ٧٩ قال أخرج عن موضوع الأطروحة وحدثنا عن الخميني، فما الذي تغير؟ إعتقد الغرب أن الإمام الخميني سوف ينجز ثورة داخلية ونقطة على السطر. أي أن الإقتصاد الإيراني والنظام العام للحياة في إيران سوف يظل يسير على السياق السابق، وعندما اكتشفوا أن الثورة فتحت باباً جديداً وفرضت نمطاً جديداً وعنواناً جديداً للعلاقة مع الغرب أصبحوا يتحدثون عن الإمام الخميني، ولكن بطريقة أخرى، أولاً غلبهم في الثورة وعندما أصبح بواسطة الثورة قادراً على بدء الحوار من موقع المتوازن معهم رفضوا ذلك.

الجلسة السابعة

● **رئيس الجلسة:** الدكتور طلال عتريسي

نظرة الإمام الخميني (قده) الى صراع الإستكبار والإستضعاف في الإطار الحضاري / **الشيخ محمد مهدي التسخيري**

● الأسس الإيمانية والفكرية والسياسية لمدرسة الإمام الخميني (قده) / **الأستاذ رشاد بولس سلامة**

● مدرسة الإمام (قده) في مواجهة الإنحرافات الفكرية والتحديات الأميركية والصهيونية / **الدكتور فتحي يكن ممثلاً بعقيلته الدكتورة منى يكن**

● نظرة الإمام الخميني (قده) للحوار والتفاعل بين الثقافات / **الأمير حارس شهاب**

● المناقشات

كلمة رئيس الجلسة

الدكتور طلال عتريسي

أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم أيها الإخوة والأخوات ورحمة الله وبركاته.

المحور الخامس والأخير في مؤتمرنا هذا بعنوان «نظرة الإمام الخميني إلى الغرب والإستكبار العالمي شروط التفاعل وخطوط المواجهة». أطلق الإمام الخميني على الولايات المتحدة الشيطان الأكبر لأنها كانت تدبر المكائد والإنقلابات في إيران وتدعم سلطة الشاه ولأنها كانت تتدخل في شؤون الدول الإسلامية وتنهب الخيرات والثروات. لقد جعل الإمام الخميني الولايات المتحدة رمزاً للإستكبار في هذا العصر قبل رواج موجة العولمة وقبل نهاية الحرب الباردة التي ذهبت بعدها الولايات المتحدة للتفرد والسيطرة على العالم.

بعد سقوط الشاه في عام ١٩٧٩ أصبحت الثورة الإسلامية وجهاً لوجه أمام السياسة الأميركية في إيران وفي المنطقة. وبعد مضي عقدين على انتصار الثورة الإسلامية لا تزال العلاقات الأميركية الإيرانية على حالها من التوتر والعداء، على الرغم من الأصوات الخجولة حيناً والجريئة حيناً آخر التي تصدر في كلا البلدين لإعادة النظر في طبيعة هذه العلاقات. ومن المعلوم أن الطرفين الأميركي والإيراني يضعان شروطاً يصعب تحقيقها لاستئناف العلاقات بين الطرفين، فالولايات المتحدة الأميركية لها شروط ثلاثة: عدم معارضة إيران لعملية التسوية، وقف إيران لدعم الإرهاب. وقف برامج التسلح النووي. أما إيران فتشترط: عدم تدخل الولايات المتحدة في شؤونها الداخلية وعدم ممارسة الضغوط عليها، الى إطلاق الأرصدة المالية التي تحتجزها.

ومن الواضح أن شروطاً مماثلة يصعب تلبيتها أو الجلوس الى طاولة التفاوض

حولها، ولكن يبدو من خلال متابعة ما يجري على هذا الصعيد أن ثمة أسباباً أخرى تكمن في ما نعتقد في مكان آخر، إذ لا يزال الرأي السائد في الولايات المتحدة الأميركية يرى التفاوض بدون شروط، ابتداءً من سياسة الإحتواء الى الموافقة على مشروع مد خط أنابيب النفط الذي سيربط باكو بميناء جيهان التركي بدون المرور بإيران، على أن المرور في إيران هو أقل تكلفة اقتصادية لنقل نفط بحر قزوين الى أسواق العالم، بينما لا تزال القيادة الإيرانية تعتبر أن المعركة الثقافية والسياسية مع الولايات المتحدة وما ترمز اليه أهم من المعركة الإقتصادية التي تدفع إيران ثمنها غالياً جداً.

الى أين يمكن أن يؤدي استمرار هذا التوتر وهذه القطيعة؟ الى أي مدى يمكن أن يصمد الثقافي والسياسي أمام الإقتصادي؟ وما هي خطوط هذه المواجهة في هذا الصراع؟ ما هي شروط التفاعل؟ نبدأ بداية مع مداخلة سماحة الشيخ محمد مهدي التسخيري، المستشار الثقافي للجمهورية الإسلامية الإيرانية في لبنان حول نظرة الإمام لصراع الإستكبار والإستضعاف في الإطار الحضاري.

نظرة الإمام الخميني (قده) إلى صراع الإستكبار والإستضعاف في الإطار الحضاري

الدكتور الشيخ محمد مهدي التسخيري

المستشار الثقافي للجمهورية الإسلامية الإيرانية في بيروت

مقدمة:

تحتاج البشرية في كل الأزمنة والأمكنة لمصلحين يقوّمون الإعوجاج الطارئ أو المتراكم في الأنظمة السائدة على المستوى السياسي والإجتماعي والإقتصادي والثقافي، أو يبدلون تلك الأنظمة بأخرى تلبي رغبات الشعوب والأمم في العدالة والحرية وتوكيد الهوية الثقافية.

وقد شكّلت الثورة الإسلامية في إيران منعطفاً بارزاً في التاريخ المعاصر، كما شكّلت شخصية الإمام الخميني (قده) نموذجاً فريداً للمصلح أو الثائر نظراً للصفات الجليلة التي اتسمت به شخصيته، إن على المستوى الشخصي أو القيادي.

وكانت هذه الثورة وما زالت موضع بحث ودراسة شغلت بال السياسيين والعلماء ومراكز الأبحاث والدراسات، وكذلك الحال بالنسبة إلى شخصية الإمام الفريدة التي لفتت أنظار العالم في هذا القرن، ولا يسمح المقام هنا بالحديث الشامل عن مرتكزات الثورة وعن فكر الإمام الخميني وعناصر التجديد في حركة الإصلاح أو التغيير الإسلامي التي قادها، لذا سأتناول قضية المستكبرين والمستضعفين والصراع بينهما من منظور الإمام الراحل (قده).

وقبل الدخول إلى صلب الموضوع أشير إلى رأي الإمام الخميني في الثورة الإسلامية، إذ يعتبرها امتداداً واستمراراً لنهضة الأنبياء(ع) الذين عملوا على خطين متكاملين لإصلاح المسيرة الإنسانية: خط إرساء مبادئ التوحيد، وخط إحلال

العدالة الإجتماعية بالتحرر من نير الظالمين، قال تعالى: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت...**﴾.

فقد تلازمت الدعوة إلى التوحيد مع الدعوة إلى الإبتعاد عن الظالمين وإقامة العدل وبسط الحرية. وكان للتوحيد مفاعيله على الأرض تمثلت بعدم الرضوخ للقوى التي تسلب البشرية عقلها وفكرها وروحها وحريتها، كعبادة الأوثان أو المظاهر الطبيعية التي أرهبت الإنسان فجعلته يؤمن بأساطير وخرافات أبعدته عن عبادة الله الواحد، وجعلته تالياً يرضخ للظالمين والطغاة الذين استأثروا بمقدارت العباد والبلاد.

من هذا المنطلق الرسالي للأنبياء(ع) انطلقت الثورة الإسلامية في إيران، وفي هذا قال الإمام الخميني(قده): «إن معتقداتي أنا وجميع المسلمين هي تلك المسائل نفسها المطروحة في القرآن الكريم والتي بيّنها الرسول الأكرم(ص)، وأئمة الحق(ع) الذين جاؤوا من بعده، وأساس تلك الإعتقادات هو أصل التوحيد، أغلى عقائدنا وأهمها، وطبقاً لهذا المبدأ، فإننا نعتقد بأن الذات الإلهية المقدسة هي وحدها التي خلقت هذا العالم وكل عوالم الوجود والإنسان، وإنها مطلعة على جميع الحقائق وقادرة على كل شيء ومالكة كل شيء، ويعلمنا هذا المبدأ أنه يجب على الإنسان أن يخضع للذات الإلهية الحقة فقط وأن لا يطيع أي إنسان إلا أن تكون طاعته طاعة الخالق».

فمن هذا المنطلق الرسالي انبرى الإمام الخميني في مقارعة النظام الشاهنشاهي الذي عمل على تغريب المجتمع الإيراني، وحاول طمس هويته الإسلامية، ورهن مقدرات البلاد الإقتصادية للمستعمر، وربط قراراته السياسية والمصيرية بفلك السياسة الأميركية.

واستطاع الإمام الراحل أن يحيي الإسلام في هذا العصر، مؤكداً دائماً أن مجد المسلمين وكرامتهم وعزهم لا يكون إلا في ظل الإسلام الذي أغنت حضارته المسيرة الإنسانية بما قدمته من معارف وعلوم.

مجتمع مستكبر وآخر مستضعف:

تزخر خطب الإمام الخميني وكتاباته وأقواله بالكلمات والعبارات القرآنية التي دبت فيها الحياة مجدداً في هذا العصر.

فقد كان همّ الإمام الراحل(قده) إخراج القرآن الكريم من طقوس الجنائز والأموات لينبعث من جديد في الحياة اليومية على كل المستويات، واللافت في خطاباته كلمات لم تكن مألوفة من قبل في قاموس السياسيين الإسلاميين مثل: الشيطان الأكبر، والطواغيت، والإستكبار، والإستضعاف إلى غيرها من الكلمات والعبارات التي شكّل كل منها موقفاً بحد ذاته. وهنا سأتحدث عن الإستكبار والإستضعاف والصراع بينهما أو الأصح بين المستكبرين والمستضعفين والصراع بينهما بحسب رأي الإمام(قده).

أولاً:

- **الإستكبار لغةً:** مصدر استكبر أي امتنع عن قبول الحق معاندة.
- **الإستضعاف لغةً:** مصدر استضعف. استضعف فلاناً، وجده ضعيفاً فركبه بسوء، أو عدّه ضعيفاً وأذلّه.

ثانياً: الإستكبار والإستضعاف إصطلاحاً:

الإستكبار هو تعدّي فرد أو جماعة أو دولة أو دول مجتمعة على الآخرين نظراً لمؤاتاة الظروف الآنية لصالح المستكبر، كامتلاكه قوة اقتصادية أو عسكرية أو علمية أو غير ذلك. ويحشد كل طاقاته ومبرراته لتبرير أو تسويغ اعتداءاته المباشرة وغير المباشرة. والإستضعاف هو الوجه الآخر للإستكبار، حيث يستضعف القوي الضعيف بما يملك من قوى ونفوذ، فيرزح المستضعفون تحت نير المستكبرين وتكون مصائرهم مهددة، وخيراتهم منهوبة ما لم ينتفضوا ويضعوا حداً لأطماع المستكبرين.

للإستكبار صور ودرجات تتمظهر بحسب موقع المستكبر في الخريطة العالمية

والمحلية ،وكذلك الحال بالنسبة إلى المستضعفين ومكامن ضعفهم وقوتهم.

أشكال الصراع بين الفئتين:

إن الصراع بين المستكبرين والمستضعفين صراع دائم بدوام الحياة لأن الإنسان إن لم يهذب نفسه ويزكّها دوماً فإنه عرضة للطغيان وظلم بني جنسه.

وقد عرفت البشرية هذا الصراع منذ وجودها على الأرض وتجلى هذا الصراع وما يزال بصور مختلفة وأشكال متعددة، فطوراً كانت الغلبة للمستكبرين وتارة أخرى كانت للمستضعفين الذين كانوا يهبّون وينتفضون بوجه المستكبر، وكما يقول الإمام الخميني(قده): «كان المستضعفون طوال التاريخ إلى جانب الأنبياء وأوقفوا المستكبرين عند حدهم».

ورأى الإمام الخميني(قده) أن الإستكبار في العصر الحديث يتمثل بأميركا بشكل أساسي والإتحاد السوفياتي قبل سقوطه، والأيادي العميلة المحلية لكليهما. فنبّه في خطبه وبياناته الى أن أميركا هي العدو الأول للشعوب المستضعفة، فسماها الشيطان الأكبر منطلقاً في هذا ،لا من عقدة نفسية اتجاه أميركا، بل من السياسة السلطوية الأميركية تجاه الدول المستضعفة، ولا سيما منها الدول الإسلامية، تلك السياسة التي خلّفت مآسي ومشكلات متفاقمة، أدخلت الشعوب المستضعفة ودولها في دوامة العجز الإقتصادي والمشكلات الإجتماعية والهزات السياسية التي لا تنتهي فصولها، ولذلك قال الإمام الراحل(قده): «أميركا هي العدو الأول للشعوب المستضعفة»، وذلك بسبب سياستها كما أسلفنا، وقد سُئل الإمام عن علاقة الدولة الإسلامية بأميركا في المستقبل، فأجاب: «يجب أن نرى ما هو دور أميركا في المستقبل، إذا أرادت أن تتعامل معنا كما تتعامل الآن مع الشعب الإيراني، فإننا سوف نعاديها، أما لو تعاملت مع حكومة إيران من خلال الاحترام فإننا سوف نلتزم بالإحترام المتقابل، ونتعامل معها بشكل عادل فلا نظلمها ولا تظلمنا، ولا نبرز أي إشكال».

وقد كان ينبّه الإمام دوماً لمخططات الإستكبار في الإستيلاء على مقدرات الدول

والشعوب المستضعفة، وكان يحث على مجابهة ذلك بمختلف الوسائل المتاحة لدى الشعوب وبالطرق المتعددة، مؤكداً ذلك في مختلف المناسبات السياسية والإجتماعية والدينية وأمام الأحزاب والمنظمات والشخصيات والوفود الإيرانية وغير الإيرانية وأمام أبناء الديانات السماوية، فكان يوجه نداءاته إلى كل الشعوب المستضعفة بغض النظر عن دياناتها وانتماءاتها العقيدية، يحثهم على مقارعة الإستكبار بما أمكن من الوسائل، وعلى التحرر من تبعات الصلة به ومن هيمنته على المستوى السياسي والإقتصادي والإجتماعي والثقافي، ومن جملة ما قاله الإمام في هذا الصدد: «أوصي الشعوب الشريفة المظلومة والشعب الإيراني العزيز أن لا يحيدوا عن الطريق المستقيم الذي لا يرتبط بالغرب الكافر الظالم ولا بالشرق الملحد وأن يظلوا على الصراط المستقيم... بثبات وعزم، وأن لا يدعوا الأيادي الخبيثة لعملاء القوى الكبرى في الخارج أو الداخل الذين هم أسوأ من الأجانب تزعزع إيمانهم وإرادتهم الصلبة».

وإذا تمظهر الإستكبار جلياً على مستوى السياسة والإقتصاد فإن الإمام أولى المستوى الثقافي أو الجانب الثقافي من الإستكبار اهتماماً كبيراً لمحاربته، ذلك لأن الغزو الثقافي ولا سيما عبر وسائل الإعلام يعمل على تدمير بنية المجتمع الثقافية وما يستتبع ذلك من اتباع تقاليد الغربيين وعاداتهم في المأكل والمشرب والملبس وأساليب الحياة كلها، إذ يتوهم المتغرّبون أن الأخذ بتكنولوجيا الغرب يلزم محاكاة العادات الإجتماعية المتبعة عندهم.

ويمتد الإستكبار ليشمل بعض مناهج وطرق التفكير عند عدد من علماء الغرب، فوجود روح الإستكبار أو روح العنصرية في الثقافة الغربية، كما يقول الدكتور علي شريعتي، بارز للعيان، فهي موجودة في أفكار كثير من علمائهم أمثال نيتشه وهيغل وكانت وفرويد وزيغفريد وأرنست أرنان الذي يقول: إن الغربي بطبيعته رب عمل والشرقي عامل!

كما حاول بعض علمائهم تمييز مخ الإنسان الغربي عن سواه تأكيداً لتفوقه

بالخلقة والطبيعة، وبالتالي، تسويغ المبررات التي ترى أن الشعوب المستضعفة غير قادرة على حكم نفسها بنفسها، ولذا، فإنها تحتاج دوماً إلى الغربي المتفوق لقيادة بلادها!

أما بعض مؤرخيهم فإنهم يغضون النظر عن حضارة بلاد ما بين النهرين وذلك لأهميتها، وكل الشعوب من غير أصل غربي، هم برابرة (أي همج رعاع) بالنسبة إليهم، فعندما يتحدثون عن حرب الفرس والرومان فإنهم يقولون: حرب اليونانيين والبربر، وكذا حديثهم عن الشعوب الشرقية الأخرى.

وقد وعى الإمام الخميني أهمية الثقافة في بناء المجتمعات أو في هدمها، فقال: «مما لا شك فيه أن ثقافة أي مجتمع تُعد أهم وأعظم عنصر يؤثر بشكل أساسي في كيان ذلك المجتمع، وأساساً، فإن ثقافة أي مجتمع إنما تشكل هوية ووجود ذلك المجتمع، وإن الإنحراف الثقافي يؤدي إلى خواء ذلك المجتمع وشعوره بالفراغ على الرغم من أنه قد يكون قوياً ومقتدراً في المجال الإقتصادي والسياسي والصناعي والعسكري».

وقد عقد آماله على الطلبة الجامعيين في التصدي للمسائل الثقافية، واسترجاع الهوية الثقافية الإسلامية التي أضاعها الشباب في سني الإستيلاب الثقافي، وكان يحثهم دوماً على عدم القبول بكل ما هو وافد دون تمحيص أو تدقيق ودعاهم إلى عدم التخلي عن هويتهم الثقافية الخاصة بهم أمام حركة الإستكبار الثقافية. مقراً أو متقبلاً أن الغرب تقدم على مستوى العلوم التي تطورت بعد تنامي الحضارات الإنسانية وتفاعلها وتأثيرها المتبادل في ما بينها، وبرز تطورها في هذا القرن، إلا أن الإمام لا يقبل جانب الفساد الأخلاقي الذي ترافق مع الثورة الصناعية والثورة العلمية، فيقول: «إننا نقبل التقدم الحاصل في الغرب لكننا نرفض فساده».

كما كان يرفض الروح الإستكبارية والسلطوية التي رافقت اكتشاف بعض العلوم واستخدمت تلك الإكتشافات لتدمير شعوب وجماعات بدلاً من إدراجها في مصلحة الإنسانية.

إذاً، الإستكبار بنظر الإمام قد يكون سياسياً وقد يكون اقتصادياً أو اجتماعياً أو علمياً أو ثقافياً، والشعب الذي يتعرض لأي نوع من أنواع الإستكبار يكون شعباً مستضعفاً.

المستكبرون... غرباً وشرقاً

إذا كان الإمام الخميني(قده) قد ركّز على أن الإستكبار العالمي يتمثل اليوم بالغرب كقوة سياسية واقتصادية تعمل على نهب ثرواتنا وعلى رأسها أميركا، فإنه لم يغفل عن المستكبرين في الشرق وداخل الدول المستضعفة ذاتها، وربما بين أفرادها، والمستضعفون كما رأينا، هم الشعوب والجماعات والأمم والدول والأفراد الذين هم عرضة لأطماع المستكبرين، وهذا يعني أن الإمام الخميني(قده) قد صنّف العالم إلى عالم مستكبر وآخر مستضعف، دون خصوصية الجغرافيا والحضارة، مع تأكيده أن أميركا تمثل الإستكبار العالمي، وذلك للجرائم الظاهرة والخفية التي تقترفها بحق الشعوب المستضعفة.

صراع المستكبرين والمستضعفين لا صراع الحضارات

وهنا يبرز السؤال التالي: هل هذا يعني أن قدر الغرب والشرق هو قدر الصراع والتصادم، وبالتالي، تأكيد نظرية هنتنغتون حول صراع الحضارات أم أن الصراع هو صراع بين قوى ظالمة وأخرى مظلومة؟

في الواقع، إن مروجي فكرة صراع الحضارات أو تصادمها ينطلقون من فكرة استكبارية لا ترى إلا التقاتل والتصادم بين الحضارات المتمايزة وتكون، بالتالي، الغلبة للأقوياء، وينفون إمكانية وجود أي حوار بين الحضارات أو الديانات.

وإذا كان الإمام الخميني يؤكد أن الصراع مستمر بين المستكبرين والمستضعفين، فلا يعني هذا عدم قبول الآخر المختلف ومحاورته والإعتراف به، فمجابهة المستكبر الذي يصر على التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد الأخرى وعلى نهب خيراتها وثرواتها بالطرق المباشرة أو الملتوية شيء، ومحاورة من يعترف بكيان الأمم والشعوب واستقلال بلادهم شيء آخر، ومما قاله الإمام في هذا المجال:

«إننا لا نعادي أي شعب، لقد جاء الإسلام لجميع الملل... إننا أصدقاء مع من يتعامل معنا إنسانياً»، وقال أيضاً: «إننا نحب الإنسان، وكان نبينا العظيم يحب الإنسان أيضا، وتحمل من أجل البشر المشاق والصعوبات، وإننا نتبعه في ذلك، ونقيم علاقات حسنة مع جميع فئات البشر، ومع كل المستضعفين في العالم، بشرط أن تكون هناك علاقات متبادلة واحترام متقابل»، ثم يتابع ويقول: «إننا نريد السلم، نريد العيش في ظل السلم مع جميع الناس في العالم، نريد أن نكون مسالمين مع جميع الناس، نريد العيش وسط شعوب العالم، لكنهم (أي المستكبرون) لا يسمحون لنا به».

من خلال أقواله، حدد الإمام الراحل(قده) أساس التعامل مع الآخر، وهو الإحترام والتعامل الإنساني بالمثل دون طغيان أو استكبار، وحتى الذين خالفوا الإسلام فكراً وعقيدة فإن الإمام سمح لهم ببيان أفكارهم ومعتقداتهم شرط عدم الإخلال بالأمن والتعامل مع أعداء الجمهورية.

وفي هذا قال(قده): «إن الماركسيين أحرار في بيان عقائدهم في المجتمع الذي نفكر بإقامته لأننا واثقون بأن الإسلام يلبي حاجات الناس وأن إيماننا واعتقادنا قادران على مواجهة عقيدتهم، وقد طرحت الفلسفة الإسلامية منذ البداية موضوع أولئك الذين ينكرون وجود الخالق، إننا لم نسلب حريتهم أبداً، أو لم ننل منها، فالكل حرّ في بيان عقيدته، لكنه ليس حراً في التآمر».

فالحضارة الإسلامية لم تستكبر على باقي الحضارات الأخرى، بل استطاعت استيعاب ثقافات الأمم المغلوبة ومزجها وهضمها داخل منظومتها الفكرية بعد طرح ما خالف أصولها، فقد أخذ المسلمون من تلك الثقافات ما واءم دينهم ومعتقداتهم، وهذبوها وطوعوها إيذاناً بأسلمتها.

إذاً، ليس هناك محل مقارنة بين صراع المستكبرين والمستضعفين وبين صراع الحضارات التي يروج لها بعض علماء الغرب وعلى رأسهم هنتنغتون، فالمستضعفون حقوقهم مغتصبة، وإرادتهم مسلوبة وثرواتهم منهوبة ودولهم

غارقة في الديْن والعجز الإقتصادي، لذلك فإن الصراع سيبقى قائماً بينهم وبين المستكبرين حتى ولو لم يتجلّ هذا الصراع على شكل ثورات.

أما الحضارات، فلا بد لها من الحوار والتلاقي والتفاعل خدمة للبشرية في طريق تكاملها الإنساني، وأما أفول بعض الحضارات القديمة أو انقراضها فله أسبابٌ ليس مقام بحثها هنا.

وفي حوارنا مع الآخرين يؤكد الإمام(قده) على وجوب استقلاليتنا حتى على المستوى الفكري، وإلا تحوّل الحوار إلى آراء تُفرض بالقوة وإلى استضعافنا، فكان يحث على التخلص من التبعية للغرب بما فيها التبعية الفكرية، ومما قاله في هذا المجال: «ما لم نتخلص من التغرّب ونبذل منهجنا في التفكير ولم نعلم قيمة أنفسنا، فلن نستطيع أن نكون مستقلين» وقال أيضاً: «إن هذه التبعية الفكرية للغرب هي سبب أكبر المصائب التي لحقت بالشعوب وبشعبنا أيضاً» ذلك لأن التبعية الفكرية تستتبع التبعية الإقتصادية والسياسية، والمستلب فكرياً لا يرى ما حوله إلا من خلال النظارات الغربية، فيصعب عليه عندئذ معرفة العدو من الصديق، والمستكبر من المستضعف، لا بل يروج لمخططات عدوه من غير قصد الخيانة.

وقد أمل الإمام الخميني أن تصبح إيران والدول المستضعفة مكتفية ذاتياً على كل المستويات لا من أجل قطع الحوار مع الغرب بل من أجل قطع التبعية له، وإذا كان لا بد من الحاجة إلى صناعات الغرب فلتكن من الدول التي تكن الاحترام لنا، فيقول الإمام(قده): «إن احتياجنا بعد كل هذا التخلف المصطنع إلى الصناعات الكبيرة للدول الأجنبية هو حقيقة لا يمكن إنكارها، بيد أن هذا لا يعني أننا يجب أن نرتبط في العلوم المتطورة بأحد القطبين: أميركا والإتحاد السوفياتي سابقاً، إلا أن يأتي يوم إن شاء الله تعالى تقر فيه هاتان القوتان باشتباههما وتسلكان طريق الإنسانية وحب الإنسان واحترام حقوق الآخرين، أو أن يقوم مستضعفو العالم إن شاء الله والشعوب اليقظة والمسلمون بإيقاف هؤلاء عند حدهم...».

هذا غيض من فيض من أقوال الإمام الخميني الراحل ومواقفه من التحديات

الكبرى التي عصفت بالجمهورية الإسلامية الفتية، وإن أفكاره وآراءه ما زالت تشكل منارة لجميع الشعوب المستضعفة ولا سيما للشعب الإيراني، خلافاً لما يصوره إعلام الدول المستكبرة عن أن نهج الإمام الخميني آيل للسقوط والاندثار، وكما يقول الإمام الخامنئي حفظه الله: «إن فكرة انتهاء عصر الإمام الخميني التي يطرحها العدو بمئات الأساليب والتعابير، إنما هي خداع ومكر استكباري لا غير، وإن الإمام الخميني سيبقى رغم أنف أميركا وأعوانها بين شعبه ومجتمعه حاضراً بكل قوة».

وها هي إيران الإسلام اليوم تسير على هدي الإمام الخميني في الحفاظ على منجزات الثورة وتعزيز دولة المؤسسات والقانون التي شدد عليها إمامنا الراحل، كما أنها تسعى لإيجاد الوحدة بين الدول الإسلامية، على أمل تحقيق جبهة موحدة في مواجهة مخططات الإستكبار العالمي وعلى رأسه أميركا وربيبتها إسرائيل التي ما فتئت تبث سمومها في كل أنحاء العالم الإسلامي ولا سيما في فلسطين السليبة، وأروع ما سمعه الإعلاميون الغربيون من السيد خاتمي أثناء زيارة فرنسا، دفاعه بكل جرأة عن حقوق الشعب الفلسطيني ومقاومة حزب الله الشريفة في الجنوب والبقاع الغربي ضد العدو الصهيوني إلى جانب تأكيده على مبدأ حوار الحضارات لا تصادمها.

أخيراً ،ونحن نحتفل بذكرى ولادة الإمام المهدي حامل راية العدالة، نتمنى ما تمناه الإمام الراحل لجميع المستضعفين الإتحاد وتوحيد صفوفهم والإتكاء على مقوّماتهم الداخلية لمجابهة المستكبرين بشتى السبل، فالصراع لن ينتهي وهو باق ببقاء الخير والشر في النفوس، والغلبة إن شاء الله للمستضعفين.

الأسس الإيمانية والفكرية
والسياسية لمدرسة الإمام الخميني (قده)

كلمة الأستاذ

رشاد بولس سلامة

النائب الأول لرئيس حزب الكتائب اللبنانية

أصحاب السماحة والفضيلة، حضرة رئيس الجلسة

أيها الإخوة الأحباء

إن الدعوة الى المشاركة في الإحتفالات القائمة بمناسبة مئوية روح الله الموسوي الخميني، هي بلا ريب حظوة للمشاركين وشرف عظيم، ولكنها أيضاً وبالتأكيد منبرٌ للشهادة لمؤسس وقائد نضال الثورة التي نقلت إيران من الظلام الى النور ومن الظلم الى الحرية، وأعادت السلطة الى الشعب، ممثلاً بقادته الشرعيين وأخرجت إيران من حيز الحدود الجغرافية الى الآفاق الواسعة للفكر المناضل والإيمان المجاهد، حيث لا حواجز تعيق انطلاقة الصحوة، ولا وجود لاعتراضات الحدود. ولعل مشاركتي في هذه المناسبة تأخذ أبعاداً خاصة، بعضها مستمدٌ من كوني مواطناً مسيحياً لبنانياً، وقد نشأت في بيتٍ حافظ للإيمان، واقف على مطل القيم، مسترشد سيرة الأئمة العظام، حتى لكأن بيتي الوالدي هو أحد الأوقاف الموقوفة على فكر الإمام علي (ع) وسيرته وشهادة ولديه الإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام).

وليؤذن لي أن أرى في هذه المشاركة معنى التواصل مع تراث بولس سلامة ومعنى التلاقي العفوي بين الإنتماء الفكري والوجداني على مستوى القيم وواقع

المدرسة الإيمانية والفكرية والسياسية التي أرسى قاعدتها الإمام الخميني (رضوان الله عليه) في بعض كلامه حول الحكومة الاسلامية وبعض ما جاء في الوصية الالهية السياسية الخالدة.

وليس بعيداً عن جوهر المشاركة أن أشهد من موقعي كلبناني لنضال المناضلين وجهاد المجاهدين الذين ترسموا خطى صاحب الذكرى، بل صاحب العيد، وتحصنوا بعقيدته وتوسلوا رسالته، وقادوا معركتهم برسم حرية الإنسان وحرية الأوطان، فحملوا راية المقاومة ضد إسرائيل العدو الغاصب للحق في المطلق ولحقوق الانسان في كل مكان مدنس. وطننا والجولان بواقع الإحتلال والعدوان، ولو كان لي أن أتكلم هنا وفي هذا المقام على منجزات المقاومين الأبطال المجاهدين لاقتضى ذلك مناسبة بحالها، وقد لا أفي هؤلاء حقهم، ولن يفي إلا الله جل جلاله أجر الشهداء الذين رفعوا الى ربهم من أرض الوطن.

حسبي أن أؤكد هنا استحقاقهم وأن أكرّم بالذكر مواكب الذين نهضوا نيابة عن أمة كاملة وعن مجتمع الحق بأشرف وأنبل قتال.

فمن أجل منجزات المقاومين ومن أجل معالم البهاء في نضالهم والتقوى والنقاء وجهادهم جهاد المجاهدين الشرفاء، باتت المقاومة في لبنان محصنة بالدولة الداعمة للعمل المقاوم، وعلى رأسها فخامة العماد إميل لحود رئيس الجمهورية وحكومة البلاد وجيشها الوطني القادر بإذن الله وبالتفاف المجتمع اللبناني بكامل عائلاته الروحية وأحزابه وتياراته السياسية، حول خيار المقاومة سبيلاً لا بديل عنه وواجباً لا مفر منه. ومما لا ريب فيه أن المقاومة، وهي أكثر عناوين هذه المرحلة من تاريخنا الحديث إشراقاً والتماعاً، هي بعض نسائم الثورة التي قادها الإمام الخميني (رض) منذ إطلاقه الدعوة الى قتال المستكبرين الظالمين ونصرة الفقراء والمحرومين ومنذ رفع راية المستضعفين في كل أرض وأبناء كل شعب ودين، فبهذا المعنى كتب في الوصية الخالدة: «ومن اللازم أن أذكر بأن وصيتي لجميع الشعوب الاسلامية ومظلومي العالم من أي شعب ودين».

وإذ أتكلم على نسائم هذه الثورة التي واجهت تحديات العصر بل باكرت هذه التحديات، لا يسعني إلا أن أتذكر طليعة هذه النسائم، سماحة المغيب الحاضر الإمام موسى الصدر الذي أعلى في بلدي راية الفقراء والمحرومين وبشّر بالمقاومة وأعدّ الأرض والعدة لمقاتلة الصهاينة، فكانت حركة أمل طليعة أفواج المقاومة اللبنانية، ولا تزال تخوض مع حزب الله وقادته أصحاب السماحة العلماء وأهل الصلاح والعطاء وأرباب الشهادات وآباء الشهداء أشرس المعارك ضد العدو الإسرائيلي. فيما يحصي الله حصاد النصر ويندهش العالم بأرقى أنواع البطولات.

إن لإيران أن تفخر طبعاً بثورة القائد الإمام الخميني لأنها كانت المهد والساحة وكانت بداية النهضة وطليعة البشائر النيرات.

ولكن إيران كانت تختصر في واقعها السائد قبل الثورة واقع العديد من البلدان، حيث تبدو مقدرات الشعب والدولة وثروات الشعب والدولة والمصير السياسي والإجتماعي، محميات وأملاكاً خاصة ومغانم تتحكم بها قوى الإستعمار والإستكبار، فيما الحكام أدواتٌ يتحركون بإمرة هذه القوى ويخدمون مصالحها على حساب مصلحة الشعوب وحرمة الأوطان.

ويعود للإمام الخميني (رض) الفضل في إدراكه العميق لمكمن العلة في ما يصيب الناس من مصائب وما يلحق بهم وبأوطانهم من ظلم وطغيان، ثم في انتقاله من معاينة مواضع المرض والعلة الى مرحلة المعالجة بالتوعية والهداية وبأشكال الممانعة والمعارضة وبالتصدي والمقاومة الى أن ينزاح الظلم عن صدر العباد وتسود العدالة، وتعود مقاليد البلاد الى أهلها والى قادتها المؤمنين الصالحين.

في هذا الجانب من الموضوع، وربما وجد الباحثون في الثورة الإسلامية بعضاً من معاني الثورات التي رفعت شعار الحرية والعدالة والإخاء، وربما وجدوا بعضاً من الثورة الإجتماعية التي حملت أماني بعض طبقات المجتمع وعاندت قوى الإستعمار، ولكنها تصادمت مع رسالة الروح وحرمة الإيمان وقيم الحرية على مستوى الفرد وجعلتها ذوباً في حرية الجماعات، غير أن من الثابت أن الثورة

الاسلامية كانت الاكثر شمولاً والأكثر تكاملاً على مستوى الرؤية والوسيلة والأداء، فتجاوزت مقاييس البلد الجغرافية ومساحة الطبقة الإجتماعية، وأحلت الإيمان في مقام الصدارة، وأناطت القيادة بأصحاب الهداية، وحفظت لكل صاحب موهبة دوره، ورسمت للسلطة صورتها وهيكليتها، وأهدافها مبنية على قيم السيادة والإستقلال وما يكفل سعادة الإنسان ويصون عزة الأوطان.

ربما يكفي على صعيد هذه المنطقة، بالمنظار السياسي لأحوالها وواقع صراعنا ضد العدو الإسرائيلي أن نتوقف عند سؤال افتراضي بل لعله في غاية الواقعية وهو الآتي: كيف كانت لتبدو صورة ميزان القوى بهذه المنطقة لو لم تنطلق الثورة الإسلامية وبقي النظام البهلوي سائداً في إيران، او كيف كانت لتبدو صورة موازين القوى عبر التحالفات العسكرية الحتمية بين نظام الشاه مدعوماً بالدول الإستعمارية والكيان الإسرائيلي؟

والجواب عن السؤال واضحٌ طبعاً وأكيد، فلولا ثورة الإمام الخميني لكانت المنطقة العربية ترزح تحت أعباء الأحلاف الجهنمية التي تزيد قضية التحرير مشقة وتضاعف حجم الهموم الوطنية والقومية التي ينهض منها لبنان من خندقه المقاوم المتراص مع سوريا الأسد.

ولولا تلك الثورة المجيدة لكان مدى الفساد في هذه المنطقة وفي بلدان أخرى من العالم أوسع، وكان الظلم في المجتمعات أشد وقعاً وأكثر هولاً. وإن هذا الجانب بالذات أي الموضوع الإجتماعي حظي باهتمام صاحب العيد وصاحب الذكرى فعالجه معالجة القائد الساعي الى توطيد عالم أكثر نقاءً وأجمل عدلاً. ومن هنا كانت دعوته للحكومة الإسلامية أي إشباع حاجات الناس الأساسية وتقديم الخدمات العامة صحية وثقافية وتربوية ودفاعية وعمرانية.

وفي هذا السياق إياه قال «نحن مكلفون بإنقاذ المحرومين المظلومين، نحن مأمورون بإعانة المظلومين ومناوأة الظالمين تأسيساً على وصية أمير المؤمنين (ع) لولديه: كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً».

أيها الإخوة ،من دواعي الواجب أن أشكر للهيئة الكريمة التي أشرفت على تنظيم هذا الإحتفال تلطفها بدعوتي الى المشاركة فيما هو عندي بمستوى المهرجان، ولعل أحب ما في هذه الدعوة الى نفسي أن تكون في جملة أسبابها صفة الحزب السياسي الذي أنتمي إليه حزب الكتائب اللبنانية وهو الحزب المنخرط في النضال وفي بناء الدولة وفي دعم المقاومة المنفتح على الحوار البنّاء مع سائر الإخوان الشرفاء، المؤمنين بحرمة الأوطان وبالقيم الروحية الإنسانية، وهي الذرى التي يتلاقى عليها أهل الوحي في كل بلد ودار. نصر الله جميل قصدنا ونبيل مسعانا جميعاً والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مدرسة الإمام الخميني (قده) في مواجهة الإنحرافات الفكرية والتحديات الأميركية والصهيونية

الدكتور فتحي يكن
نائب سابق وداعية إسلامي

مقدمة:

تعتبر التحديات الفكرية والثقافية من أخطر التحديات وأشدّها فتكاً وتدميراً لبنية الأمّة، وتفتيتاً لصفوفها، وإجهاضاً لمشاريعها، وإضعافاً لقوتها.

وكما واجه الإسلام في عهدالنبوة هذا النوع من التحديات، الى جانب التحديات الأخرى الأمنية والعسكرية والإقتصادية، فإن الثورة الإسلامية في إيران، واجهت ولا تزال تواجه أعتى المؤامرات وأضراها.

والأمة الإسلامية التي تجابه اليوم كلَّ أنواع المؤامرات العسكرية والأمنية والإقتصادية الأميركية والصهيونية وغيرها، تدرك أن التطبيع الذي يمثّل استراتيجية الإختراق الصهيوني لتراث الأمّة وثقافتها، هو الأشد خطراً وفتكاً من قاذفات القنابل، والطائرات العملاقة، والصواريخ العابرة للقارات، بل وحتى الأسلحة النووية. ذلك أن هذا السلاح يعمل على تدمير المجتمعات من داخلها، وبدون ضوضاء، ومن غير أدنى مقاومة. يقول الإمام الخميني: «من جملة المؤامرات التي تركت أثراً كبيراً في مختلف البلاد وبلدنا العزيز، وما تزال آثارها قائمة الى حدّ كبير، جعل الدول المنكوبة بالإستعمار تعيش الغربة عن هويّتها لتصبح منبهرة بالغرب والشرق، بحيث إنها تقيم وزناً لنفسها وثقافتها وقوتها، وتعتبر قطبي الشرق والغرب العنصر المتفوّق والإرتباط بأحدهما من الفرائض». ويقول: «الإذاعة والتلفزيون والمطبوعات ودور السينما والمسرح من الوسائل المؤثّرة في تدمير

الشعوب وتخديرها خصوصاً جيل الشباب، أية خطط كبيرة نفّذتها هذه الوسائل سواء في الدعاية المضادة للإسلام والمضادة للروحانية المخلصة، والدعاية للمستعمرين الغربيين والشرقيين. وطبيعي أن لا ندع هذه الأجهزة الخبرية والمطبوعات والمجلات تنحرف عن الإسلام ومصالح البلد، ويجب أن نعلم أن العقل والإسلام يدين الحرية بشكلها الغربي التي هي سبب لدمار الشباب والشابات».

وقبل أن استعرض معالم مدرسة الإمام الخميني أود أن أتناول، في الذكرى المئوية لميلاده (رحمه الله)، محور رؤية مفجّر الثورة الإسلامية في إيران لأساليب مواجهة الانحرافات الفكرية.

أنواع التحديات الفكرية:[1]

هناك أنواع شتى من التحديات الثقافية والفكرية التي واجهت الثورة الإسلامية في إيران، وددتُ أن أصنفها الى ثلاثة عناوين كبرى، على سبيل المثال لا الحصر:

الأول: تحدياتٌ فكرية عبر البوابة الإسلامية

الثاني: تحدياتٌ فكرية عبر البوابة الليبرالية الغربية

الثالث: تحدياتٌ فكرية عبر البوابة الراديكالية الشرقية

الأول: تحديات فكرية عبر البوابة الإسلامية:

هذا النوع من التحديات يعتبر الأخطر لأنه يأتي على البنيان من داخله وبدون سابق إنذار...

والعهد النبوي لم يخلُ من مثل هذا التحدي، الذي تندرج تحت عنوانه حركة النفاق، وأصحاب مسجد الضرار الذي نزل القرآن الكريم بهدمه. فقال تعالى: **﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله**

---

(١) المصدر:

- وثائق مركز الإمام الخميني الثقافي في بيروت
- محاضرة للدكتور فتحي يكن - شباط ١٩٩٩

ورسوله من قبل، وليحلفنّ إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون* لا تقم فيه أبداً ،لمسجدٌ أسّس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبّون أن يتطهروا والله يحب المطّهرين﴾(التوبة – ١٠٧و١٠٨).

ولقد أشار الإمام الخميني الى أنواع من هذا التحدي:

ففي نوع منها يقول: «انظروا الهيئات الدينية فستجدون آثار ونتائج تلك الدعايات واضحة، فهنالك البطالون من عديمي الهمم، هناك الكسالى الذين يكتفون بالدعاء والثناء والتحدث في بعض المسائل الشرعية وكأنهم لم يخلقوا لغير ذلك». ويقول: «الأفكار البلهاء التي يثبتها الأعداء مما ذكرنا بعضها، يوجد فينا من يؤمن بها، وفي هذا إدامة للإستعمار والنفوذ الأجنبي. هؤلاء يمنعوننا من الإصلاح والتقدم والنهوض»، ويقول: «هؤلاء ليسوا بفقهاء، وقسم منهم قد ألبستهم دوائر الأمن والإستخبارات العمائم. هؤلاء يجب فضحهم لأنهم أعداء الإسلام».

وفي نوع آخر يقول: «إن الفقهاء يجب أن يقودوا الشعب ويحصّنوا المسلمين من اندراس معالم الإسلام وتعطّل أحكامه. إنهم اليوم حجة على الشعب، كما كان الرسول (ص) حجة على الأمّة، وكانت الأمور كلها موكلة إليه، فكل راد عليه محجوج».

ويقول: «إن عليكم أن تهذبوا أنفسكم الى الحد الذي يترك سلوككم وأخلاقكم وإعراضكم عن الدنيا أثره في إصلاح الناس، فيقتدون بكم. لا أريدكم أن تتركوا التفقّه. بل عليكم الدراسة المتواصلة بكل جدّية، وما لم تتفقّهوا فإنكم لن تستطيعوا أن تخدموا إسلامكم».

وفي نوع آخر يقول: «يجب أن نحذف من قاموسنا منطق الهزيمة القائل بأننا لا نستطيع الإلتحام مع القوى الكبرى. إنكم إذا شئتم حققتم ما تريدون بإذن الله».

ويقول: «إن ما حدث في إيران من ثورة يرجع لعاملين، الأول وهو الأهم من غيره، هو أن الشعب التحم مع الإسلام في مسيرته، بمعنى أن إيران من أقصاها

كانت تطالب بالإسلام، والأمر الثاني أن جميع الأصناف والقطاعات اتحدت وتلاحمت في ما بينها».

ويقول: «أنت أيها الشعب إذا أصررت على الطريق المستقيم، وقمت بالأمر فإنك ستمسك أزمّة الأمة بيدك. وستصدر منك الأمور وإليك تعود، وإذا تحققت الحكومة التي أرادها الإسلام، فإن الحكومات الفعلية في العالم لن تستطيع الوقوف أمامها».

ويقول: «إن الإسلام كاد أن يُنسى، وكادوا يقضون عليه، وكادوا يسحقون القرآن، إلا أن ثورتكم يا شباب، ونهضتكم يا أبناء الشعب هي نهضة إلهية أحيت القرآن وأحيت الإسلام وأعطت الإسلام حياة جديدة»، وقول: «إنني لأخجل حقاً حينما أشاهد هذا الجيل الشاب الذي يطالبني - وهو في عنفوان شبابه - أن أدعو له كي يرزق الشهادة».

ويقول: «إنني أنصحكم أيها السادة وأنتم على رأس بعض الأقطار الإسلامية أن تسعوا لتحكموا القلوب لا أن تحكموا الأبدان، والقلوب عنكم بعيدة».

ويقول: «إن أحد العوامل التي حققت لكم النّصر، هذا التصاعد في الظلم والإرهاب، ذلك أن الرعب والإرهاب عندما يطغيان فإن الانفجار سيتبعه، ويتجمع الحقد الشعبي لتطلقه صرخة شجاعة».

ويقول: «وأنت إذا كنت لا تمس السياسة الإستعمارية، وكنت في دراستك للأحكام لا تتجاوز النطاق العلمي، فلا شأن لهم معك».

وفي معرض كلامه عن أهمية الدور الذي تقوم به المعاهد والجامعات في إطار البناء والهدم يقول الإمام الخميني: «يجب أن يعلم الشعب الذي واجه الغارة عليه أن القسم الأكبر من سبب الضربة المهلكة التي وجهت الى إيران والإسلام في نصف القرن الأخير يعود إلى الجامعات، لو أن الجامعات ومراكز التربية والتعليم كانت تسير وفق برامج إسلامية ووطنية تهدف إلى تحقيق مصالح البلد في تعليم الشباب لما أمكن أبداً أن تبتلع وطننا بريطانيا وبعدها أميركا وروسيا».

الثاني: تحديات فكرية عبر البوابة الليبرالية الغربية :

لقد نشط الغرب في مواجهة الثورة الإسلامية نشاطاً استثنائياً على كل صعيد، وفي مقدمة ذلك الصعيد الفكري والثقافي..

- فهو اتّهم الثورة بالرجعية والتخلّف، وعدم مواكبة العصر.

- واتهمها بالتعصّب والعنف والإرهاب.

- وحرك المبهورين به من (المستشرقين) و (المستغربين) لتشويه صورتها.

- وحرّض العلمانيين على الإيقاع بها والنيل منها.

- ثم إنه عمد الى تجنيد أقلام الساقطين والمنحرفين، للطعن في الإسلام والقرآن والرسول عليه أفضل الصلاة والسلام. وفي إشارة لافتة من الإمام الخميني الى أخطار هذا الفريق من الناس يقول: «إن الكتاب والخطباء الجهلة المنبهرين بالغرب والشرق يسخرون من ثقافتنا وأدبنا وصناعتنا واختراعنا ويقللون من شأن فكرنا وإمكاناتنا المحليّة ويزرعون فيها اليأس ويروجّون بأعمالهم وأقوالهم وكتاباتهم العادات والتقاليد الأجنبية مهما كانت مبتذلة ومنحطة... وإذا كان في كتاب ما أو في مقالة أو خطابة عدّة مفردات أجنبيّة فإنهم يقبلونه بإعجاب دون التحقيق في محتواه ويعتبرون الكاتب أو الخطيب عالماً ومثقفاً».

- وليس المرتد سلمان رشدي ومصطفى جحا ومنصور فهمي ونجيب محفوظ إلا نماذج لهذه الشريحة التي باعت نفسها لإبليس والشيطان الأكبر.

- لم يتورّع سلمان رشدي من تسمية كتابه «آيات شيطانية»، ولم يخجل من اتهام ابراهيم عليه السلام بأنه ولد غير شرعي، وأن عائشة رضي الله عنها داعرة، وأن القرآن الكريم قد أباح الشذوذ الجنسي وشجّع عليه، وأن القرآن نفسه من تأليف النبي (ص).

- بل إن زوجة هذا المرتد ماريان فيغنز، لم تُخف صهيونيّتها من خلال

(القصة) التي أعلنت فيها الحرب على المسيحيّة والإسلام، منفذة نصوص بروتوكولات حكماء صهيون بدقّة، ومنها البروتوكول القائل: «لن يكون هنالك سوى دين واحد هو ديننا الذي يرتبط به مصيرنا. ومن أجل ذلك لا بد من القضاء على كل العقائد».

من هنا.. كان الحكم بإعدام رشدي إجراءً وقائياً لوقف هذه العربدة الخسيسة، ولتحصين العالم الإسلامي والمقدّسات الدينية من المروق والفسوق والتخريب...

هذا من جانب، ومن جانب آخر، يبيّن الإمام الخميني رأيه في الرأسمالية وموقف الإسلام منها، حيث يقول: «إن الإسلام لا يوافق الرأسمالية المطلقة الظالمة التي تتولى حرمان الجماهير المضطهدة والمظلومة بل إنه يدينها بشكل جدّي ويعتبرها مخالفة للعدالة الإجتماعية».

الثالث: تحديات فكرية عبر البوابة الراديكالية الشرقية:

ومن التحديات الشرسة التي واجهتها الثورة الإسلامية، تحدّيات الفكر الراديكالي الشيوعي، الذي يعتبر المرتع الخصب لكل أطروحات الزندقة والإلحاد المبنية على مقولة ماركس: «لا إله والحياة مادة».

ولقد واجه الإمام الخميني هذا التحدي باطمئنان المؤمن وثقة الموقن بانتصار الحق وأهله، وانهزام الباطل وجنده ﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون**﴾ (الصافات - ١٧١ و ١٧٢ و١٧٣).

وابتداءً أرسل الإمام الخميني رسالة الى غورباتشوف يدعوه فيها الى إعادة النظر بالماركسية ودراسة الإسلام.

وانتهاءً أدرك الإمام الخميني أن الفلسفة الماركسية الى زوال، وأن الإتحاد السوفياتي الى أُفول، وكان ما كان. ﴿..**فأما الزّبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال**﴾(الرعد - ١٧). يقول الإمام الخميني: «الى اليساريين كالشيوعيين وفدائيي الشعب وسائر التجمعات المتمايلة الى اليسار،

إنكم بأي دافع أرضيتم أنفسكم وأقبلتم على عقيدة هي اليوم في الدنيا فاشلة. أنتم لاحظوا منذ بداية وجود الشيوعية كيف أن المدّعين لها هم أكثر حكومات الدنيا ديكتاتورية وحب سيطرة وأنانية. كم هي الشعوب التي سحقت تحت مقولة الشيوعية...».

وبين إفلاس الحضارة الغربية، وسقوط الفكر الماركسي، وانهيار معاقل الباطل، يتردد قول الشاعر:

لا رأسمال الغرب يسعدنا ... ولا فكر شيوعي دخيل ملحد
الله أكرمنا بنور محمد ... فعن البصائر يا ظلام تبدّد
يا أمّة الإسلام لا تترددي ... هبّي فمثلك أمّة لا تقعد
يا هذه الدنيا أصيخي واشهدي ... أنّا بغير محمد لا نقتدي

مدرسة الإمام الخميني: ملخص منهجية الثورة:[1]

يرى الإمام الخميني أن الغاية هي إقامة الحكومة الإسلامية التي يعتبرها ضرورية لتطبيق أحكام الشرع فترة غيبة الإمام المنتظر حتى لا يدب الهرج والمرج. كما أنها الوسيلة لتحقيق الوحدة الإسلامية وحفظ حقوق الضعفاء ومنع الظلم.

أما آلية التنفيذ، فهو يراها على الشكل التالي فيقول: «علينا أن نسعى بجد لتشكيل الحكومة الإسلامية، ونبدأ عملنا بالنشاط الدعائي ونتقدم فيه. ففي كل العالم على مر العصور، كانت الأفعال تتفاعل عند مجموعة من الأشخاص، ثم يكون تصميم وتخطيط، ثم يبدأ العمل، ومحاولة نشر هذه الأفكار وبثها من أجل إقناع الآخرين تدريجاً، ثم يكون لهؤلاء نفوذ داخل الحكومة يغيّرها على الشكل الذي تريده تلك الأفكار، أو أن يكون هناك هجوم من الخارج لاقتلاع أسسها وإحلال حكومة قائمة على هذه الأفكار محلها.

والأفكار تبدأ صغيرة ثم تكبر، ثم يتجمع من حولها الناس، تكتسب القوة، ثم

(١) راجع كتابي رواد الإصلاح في القرن العشرين/ طبعة بيروت ١٩٩٨ (ص ٢٨١).

تأخذ بيدها زمام الأمور. ولم تكن القوة - كما ترون حليفة الأفكار من أول يوم. وفي هذا كله ينبغي أن تتخذ من الشعب بكل قواه قاعدة رصينة يُرتكز عليها ويُركن إليها، مع العمل الدائب على النوعية الجماهيرية من أجل فضح خطط الإجرام، وكشف الإنحراف الموجود لدى السلطات الوقتية، ويتم تدريجاً استقطاب الجماهير، ويتم الوصول بعدها الى الحقوق»[1].

العمل الإسلامي بين النخبوية والجماهيرية:[2]

لإلقاء الضوء على معالم مدرسة الإمام الخميني ينبغي أن نقوم بإطلالة - ولو سريعة - على مسيرة العمل الإسلامي منذ مطلع القرن العشرين حتى نهايته.

فقد شهدت الساحة الإسلامية تجاذب مدارس وتيارات كثيرة.. ولسنا نريد أن نتناول هذه المدارس والتيارات إلا من زاوية موقعها، وحدود قربها وبعدها، من نهجي (النخبوية والجماهيرية) كما لا تدخل في إطار هذا البحث المدارس والتيارات التي تحمل مشروعاً تغييرياً كاملاً.

وفي ضوء كل ذلك، يمكن تحديد ثلاثة محاور أساسية تمثل ثلاث مدارس حركية تتقاسم ساحة العمل الإسلامي على امتداد العالم.

المدرسة الأولى: تجمع بين النخبوية والجماهيرية. لقد أسس هذه المدرسة الإمام حسن البنا في الأربعينيات في أعقاب عدد من المدارس الإسلامية الإصلاحية، كانت أبرزها مدارس الأفغاني وعبده ورشيد رضا.

المدرسة الثانية: اصطفائية المنحى، نخبوية التشكيل، أسسها الفكر المثالي الذي طرحه الشهيد سيد قطب في الستينيات حيث كانت الحركة الإسلامية تتعرض لمحنة ضارية جاوزت في بشاعتها كل التصورات، وتكاتفت على تنفيذها السلطة الحاكمة في مصر، والأجهزة العسكرية البريطانية المتحكمة فيها.

---

(١) المرجع: آية الله الخميني (الحكومة الإسلامية) - دار الطليعة / بيروت - ط ١ ١٩٧٩

(٢) راجع كتابي: المتغيرات الدولية والدور الإسلامي المطلوب (ص ٦٧) مؤسسة الرسالة - بيروت / ط ٢ / ١٩٩٥.

وأما المدرسة الثالثة[1] (وهنا ما يمكن اعتباره مدخلاً الى مدرسة الخميني في مواجهة الإنحرافات الفكرية والتحديات الأميركية والصهيونية): فهي (علمائية جماهيرية) شكّلتها أفكار وطروحات الثورة الإسلامية في إيران، وبخاصة أفكار قائد هذه الثورة الإمام الخميني (رحمه الله).. وهذه المدرسة تقضي بوجوب اشتراك الجماهير بدور أساسي وفعّال في نطاق التغيير الإسلامي، وأن العلماء يجب أن يضطلعوا بقيادة هذه الجماهير وبقيادة العملية التغييرية برمّتها.

الخطاب الإسلامي للإمام الخميني:

في ما يلي نثبت بعض أقوال الإمام الخميني وكلماته حول القضايا المحورية للمشروع الإسلامي:

العالمية في المشروع الإسلامي:[2]

يقول الإمام الخميني: «إننا نعتبر الأقطار الإسلامية جميعاً جزءاً من وجودنا دون أن يعني ذلك أن تفقد وجودها المستقل. وإنما نريد لها أن تتمتع بما يتمتع به الشعب عندنا من مزايا الخلاص من براثن القوى الكبرى، وقطع أيديها عن منابعه الحياتية، نريد لهذه الحالة أن يتّسع مداها لتشمل كل الشعوب»[3].

ويقول: «إن الثورة الإسلامية بتأييد الله المنّان تتسع على المستوى العالمي، وهي بمشيئته الله سوف تجر القوى الشيطانية الى التقوقع والإنزواء»[4].

التغييرية في المشروع الإسلامي:[5]

يقول الإمام الخميني: «إن تحطيم الطاغوت، أي القوى السياسية المنحرفة الحاكمة في وطننا الإسلامي إنما هو من واجبنا»[6].

---

(١) المصدر السابق (ص ٦٨).

(٢) فتحي يكن المتغيرات الدولية (ص ١٥٣) - وقد تم هنا أخذ المقاطع الخاصة بمدرسة الإمام الخميني فقط.

(٣) كلام الإمام، ج١٥، (ص ٣١٧).

(٤) المصدر السابق، ج١٥، (ص ١٨٧).

(٥) المتغيرات الدولية / (ص ١٥٥ - ١٥٦).

(٦) ولاية الفقيه، (ص ٢٠٣).

ويقول: «لا سبيل لنا إلا أن نعمل على هدم الأنظمة الفاسدة المفسدة، ونحطم زمر الخائنين من حكام الشعوب»[١].

الحكم في المشروع الإسلامي:

يقول الإمام الخميني: «إن كل من يتظاهر بالرأي القائل بعدم ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية فهو ينكر ضرورة تنفيذ أحكام الإسلام، ويدعو الى تفضيلها وتجميدها، وهو ينكر بالتالي شمول خلود الدين الإسلامي الحنيف».[٢] (أنموذج علي عبدالرزاق وعموم المستشرقين).

الإصطفائية في المشروع الإسلامي:[٣]

يقول الإمام الخميني: «نحن(أي الفقهاء) مسؤولون عن تهيئة الجو المناسب لتربية وتنشئة جيل مؤمن فاضل يحطم عروش الطغاة»[٤].

المعنوية القيادية:

يقول (رحمه الله): «على المسلمين أن ينهضوا فهم منتصرون في نهاية المطاف. إن أميركا لن تستطيع أن تقف قبال الإسلام»[٥].

الإمام الخميني في مواجهة الشيطنة الأميركية:[٦]

لم يكن الإمام الخميني متجنياً على الولايات المتحدة الأميركية ظالماً لها حين سماها بـ(الشيطان الأكبر). فلقد كانت شيطاناً قبل الثورة الإسلامية في إيران، وتزايد شعارها الشيطاني بعد الثورة التي قادها الإمام الراحل حتى هذه اللحظة.

وإن ما واجهته الثورة الإسلامية في إيران منذ اليوم الأول لسقوط الشاه، دفع

---

(١) الحكومة الإسلامية (ص ٣٤).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٧).

(٣) المتغيرات الدولية - الفقرات الخاصة بمقولات الإمام الخميني/ (ص ١٥٨).

(٤) ولاية الفقيه (ص ٢٠٣).

(٥) كلام الإمام، ج١٩، (ص ١٦٧).

(٦) من دراسة قدمتها الى مؤتمر (الثورة الإسلامية. المشروع الحضاري للإمام الخميني) الذي عقدته السفارة الإيرانية في مكتبة الأسد بدمشق في أيلول عام ١٩٩٧

بالإمام الخميني الى عقد أول مؤتمر في طهران (٢-٦ حزيران ١٩٨٠) لإدانة الجرائم الأميركية.. ولكن هل توقفت هذه الجرائم؟

منذ ذلك الوقت وحتى هذه الساعة والولايات المتحدة تتآمر على العالم العربي والإسلامي وعلى العديد من الدول الأوروبية والآسيوية والأفريقية.. الخارجة على بيت الطاعة الأميركي، وهي تركز بصورة خاصة على إسقاط المشروع الإسلامي وإجهاض الصحوة الإسلامية العالمية.

وواجه المشروع الإسلامي بشكل عام وما يزال يواجه، وبخاصة بعد قيام الثورة الإسلامية في إيران، وسقوط الإتحاد السوفياتي وقيام حالة الإنبعاث الإسلامي في كل مكان، تحديات شرسة على كل صعيد، ومن هنا تتضح دقة الصفة التي أطلقها الإمام الخميني على أميركا حينما وصفها بالشيطان الأكبر، وما تمثله من بعد استراتيجي في قراءة الأحداث واستكشاف القوى الظاهرة والخفية.

ولا أذيع سراً حين أقول إن عدداً من المواقف النوعية والظواهر الصحية قلبت المعادلات الدولية رأساً على عقب.

- فمن معاناة القمع الصهيوني في فلسطين انطلقت انتفاضة (حماس) و(الجهاد الإسلامي).

- ومن قلب معاناة الجنوب اللبناني تفجّرت المقاومة الإسلامية.

- وفي وجه الإحباط والإذعان العربي أنقل ما سمعته بأذني من الرئيس حافظ الأسد بعد مؤتمر مدريد: «لن أسجل في حياتي وحياة سورية أنني وقّعت على اتفاقات استسلام وإذعان مع العدو الصهيوني، أما التطبيع، فلن يكون له أي منفذ الى واقعنا العربي السوري».

أما بالنسبة للإمام الخميني، فقد كانت قضية فلسطين الشغل الشاغل والقضية المركزية، ويكفي أن (يوم القدس العالمي) من شعاراته، وأن تحرير القدس هدف من أهدافه، وأن المقاومة الإسلامية الباسلة أثر من آثاره.

والإمام الخميني الذي أدرك ببصيرته نهاية (الشيطان الأحمر) المتمثل بالإتحاد السوفياتي، ودعا إلى مؤتمر محاكمة الجرائم الأميركية في بدايات تأسيسه الجمهورية الإسلامية في إيران، يجعلنا نثق أكثر فأكثر بأن المشروع الإسلامي والوطني على موعد مع سقوط الشيطان الأكبر وانهياره ﴿**إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين * ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين**﴾ (القصص - ٤و٥).

نظرة الإمام الخميني [قده]
للحوار والتفاعل بين الثقافات

الأمير حارس شهاب
الأمين العام للجنة الوطنية الإسلامية. المسيحية للحوار

ينعقد هذا المؤتمر لمناسبة الذكرى المئوية الأولى لولادة آية اللّه الإمام الخميني رحمه الله، والذكرى تُشكّل محطّة هامة في وقت يشهد فيه المجتمع الدولي حالاً من القلق في خضمّ تساؤلات وتطوّرات على جانب كبير من الخطورة، وما تصاعد ظاهرة العولمة إلا أحدها، ممّا يتطلّب منّا وقفة تأمّل وفحص ضمير واستشرافٍ لآفاق المرحلة المقبلة.

ليس بمقدور أحد أن يُنكر الأثر الفكري العظيم الذي خلفه الإمام الخميني على مستويات الدين والسياسة والنضال في العقود الثلاثة الأخيرة من هذا القرن، وكانت الثورة الإسلامية الإيرانية من بواكيره، فأصبح للفِقْه كلمته العالية في مختلف المواضيع التي تهمّ الإنسان، وفي البحث عن حلول للمعضلات التي تواجهه.

لن أتحدّث عن فكر الإمام الخميني، لأنّ من سبقني أفاض وأحسن في هذا المجال، بل أقصر مداخلتي على كيفيّة تثمير نتاج هذا الفكر، وما يُطرح في مجتمعنا من أسئلة حوله.

إن تأثير الثورة الإسلامية لم يقتصر على إيران، بل تعدّاها إلى العديد من الدول. لقد أوجدت الثورة ديناميكية جديدة تغييريّة بعد فترة طويلة من السُبات والركود الفكريّ، ومن الضروري الإفادة من هذه الحركة لمواجهة تحدّيات القرن الحادي والعشرين الذي لا مفر له من أن يتميّز بتفعيل الحوار بين الثقافات إذا ما

أردنا تحاشي الصراع الذي يُحذّر الكثيرون منه. على هذه الديناميكية أن تبحث مع ذوي الإرادة الخَيّرة في كلّ مكان عن أسس جديدة لحوار الثقافات والأديان وخصوصاً للحوار الإسلامي المسيحي بحيث يُصبح آية من آيات الرجاء، حاضراً ومستقبلاً، من أجل عالم أفضل، إذ كيف يمكن للناس أن يتقاربوا تقارباً حقيقياً إلاّ من خلال أديانهم، وهي ما دعت إلاّ إلى المحبّة والعدالة والسلام، فيعقدوا ميثاقاً في ما بينهم ويكونوا تجاه العالم مؤمنين بالله وأمناء نحو الإنسان وكرامته وحقوقه، وحينها تُصبح المفارقات عناصر تكامل وتناغم بدلاً من أن تكون بذور شقاق يُولّد الصراع والعنف.

إنّ أدبيّاتنا الحوارية التقليديّة في لبنان قامت على اعتبار أن الإختلاف هو من سمات الحياة، كما أن الإعتراف بالآخر كما هو يؤدّي إلى وعي الذات، فيصبح وجودُ الواحد شرطاً لوجود الآخر. كذلك وعينا أنّ في أديانّنا السماوية قيماً كبيرة يجب أن تقوم السياسة عليها، ولكن دون أن يُصادر الدينُ السياسة، ولا تُناصِب هذه الأخيرة الدين العَداء وتبتلِعهُ فَتُغَوّل. كما عملنا لكي يكون لبنان صاحب رسالة في العيش الواحد المسيحي - الإسلامي، فلا تُنجز طائفة مشروعاً خاصاً بها، بل يتعاون الجميع في تحقيق مشروع الدولة العادلة الواحدة.

لقد استعاد فكر الإمام الخميني مشروع الإسلام في المجتمع، فوضع له تنظيماً مع صِيغ إجرائيّة تنفيذيّة، ونجح في تحويل الواقع المعيش إلى سلطة. كان الإسلام يُطبَّق في الدائرة الفرديّة فقط، وكانت هناك شعارات كالقول مثلاً بأنّ الإسلام هو مصدر التشريع للسلطة دونما ترجمة عمليّة لهذه الشعارات، ورسم مشروعاً إسلاميّاً لهذه السلطة وخطّ له مساراً واضحاً، فتماهى الإسلام والسلطة.

نحن نؤمن بأن الدين جزء ثابت من الحياة الإنسانيّة، ولكننا نرى أن الثورة الإسلاميّة تواجه تحدّي إعطاء الدليل على أنّ الدين، وهو مبني أساساً على ثوابت أزليّة، ليس جامداً أو متحجراً يُعيق التقدم بل بالعكس، كما أنّ التقدّم والتطوّر ليس مادياً تقنياً بحتاً، بل هو ماديّ - روحي، ونحن نتطلّع إلى معرفة إلى أيّ حدّ يمكن

الوصول من خلال تطبيق الشريعة، مع الأخذ بعين الإعتبار التطوّر والتغيير وفقاً لمقتضيات الوقت والضرورة، مع البقاء على الأمانة للأصل. وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «لا تَقصروا أولادكم على أخلاقكم، فإنّهم خُلقوا لزمان غير زمانكم». إنّ عصرنا يتسم بحاجة ملحّة إلى التغيير، وعنصر الإجتهاد يمكن أن يكون مفتاحاً رئيسياً في سبيل تطوير المجتمعات كي تتمكّن من مجابهة الأخطار التي تترصّد بنا جميعاً، وفي طليعتها العولمة، وموجة الإلحاد.

ومن منطلق الصراحة التامة في منطقة تملك تاريخاً عريقاً في الحفاظ على التعدديّة الدينيّة، لا ضَيْرَ من طرح السؤال البديهي الذي يهمّ من لا يَدينون بالإسلام حول الوضع الحقوقي للمواطن غير المسلم، وهل هو مواطن يتمتّع بذات الحقوق التي يتمتّع بها المسلم؟ وتحضرني هنا كلمة للإمام علي بن أبي طالب يقول فيها لأحد عمّاله في مصر (مالك الأشتر) كيف يسوس الناس في رعيّته: «إنّهم صنفان، إمّا أخٌ لك في الدين أو نظير لك في الخَلق». وبهذا يكون أمير المؤمنين قد وضع حجر الزاوية في الأصول الواجب اعتمادها لبناء حوار جدّي ومُثمر، لا سيّما بين الديانات الموحِّدة.

إن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين أصبحت اليوم نقطة جوهريّة تُشكّل محوراً أساسيّاً في تركيز السلام في السنوات المقبلة في عالم يُشكّلون أكثر من نصف سكّانه. وقد برز الحوار وسيلة مُثلى، ليس من أجل إيجاد الحلول لنزاعات قائمة بين دول أو بين جماعات، بل في مجال تعزيز التفاهم والتكامل والإنسجام بينها لخير البشريّة جمعاء. وهذا الأمر يحصل من خلال حوار الحياة أولاً وتنقية الذاكرة من رواسب الماضي السلبيّة، والقيام بعملٍ مشترك مبني على القيم الواحدة والكثيرة التي يَدين بها كلّ المؤمنين باللّه في مواجهة تحدّيات العدالة الإجتماعية والتنمية وحقوق الإنسان ومجابهة العولمة، وهذه مبادئ طرحها فكر الإمام الخميني عندما تحدّث بشكل خاص عن الإستكبار العالمي والمستضعفين ومقاومة الظلم.

نحن نرى أنّ التطوّر التقني الهائل الذي اتّسم به القرن العشرون، وانفتاح

البلدان والمجتمعات بعضها على بعض، بلْوَر مبادى مشتركة لا خلاف حولها تتعلّق بالعدالة والأخلاق وتكافؤ الفرص والمساواة بين البشر. كما أنّ العادات عند معظم الشعوب قد تبدّلت بحيث طغى نمطٌ احادي من العيش على غيره، فتوحّد تقريباً شكل المسكن والملبس والمأكل.

ولكن الحقيقة هي غير ذلك. فانتهاك المبادئ التي ذكرنا قائم في أمكنة عديدة، والضعيف وحده هو الذي يدفع الثمن، والمجموعات الكبرى تجهد لكي تقضي على الأقليّات وعلى حقّها بالتمايز، وبذلك أصبح القرن العشرون الذي ينقضي بعد فترة، الأكثر دمويّة في تاريخ البشرية، وأضحى رمزاً لطغيان سياسة النمط الموَحَّد، فكان كلام كثير عن الحق بالاختلاف، وكلّما اتسعت دائرة هذا الكلام وجدنا أنّ بقعة تطبيقه على الأرض أصبحت أكثر ضيقاً من ذي قبل.

إن الخوف على الهوية والثقافة من الذوبان أضحى خوفاً مشروعاً، ولكن من العبث مجابهته بالتقوقع والإنكماش والاكتفاء بالتجديد من الداخل، إذ إنّ مثل هذا التجديد سوف يبقى منقوص الجدوى إذا لم يقترن بانفتاح تواصلي وحواري، فعالم اليوم لم يعد عالماً تتجاوز فيه الحضارات المتنوّعة ضمن حدود محصّنة ومنفصلٍ بعضها عن بعض، بل عليها أن تتحاور وتتفاعل دون أن تؤثر هذه العملية على تمايزها وعلى هويّتها. وإلى مثل هذا الحوار دعا رئيس جمهورية لبنان العماد إميل لحود في خطابه في كندا أمام مؤتمر الفرنكوفونيّة.

إنّ الحق في الإختلاف هو رمز للحرية، ولكنّ حدوده تتوقف عند احترام تمايز الغير دون أن يكون كلّ تمايز مبرَّراً. فوحدها تستحق الإحترام والحياة التمايزات المؤسِسة لحرية الأشخاص دون تعرّضها للتطلّعات الأخلاقية المشروعة عند غيرهم.

ألف سنة جديدة تطلّ علينا والعالم يعيش منعطفاً كبيراً في حالٍ من القلق والإرتباك، حيث كلّ بلدٍ تقريباً يشهد صراعاً علنيّاً أو مكبوتاً بين مناحٍ فكريّة متضاربة، والحاجة ملحّة لبلورة رؤية صحيحة لمواجهة التحديات المقبلة، وإعادة

تحديد مفهوم جديد للعلاقات الدوليّة بما يكفل ما يصبو إليه كلّ إنسان من احترام لحقوقه وخصوصيّاته وسيادة دولته في غياب المساواة بين الدول في العالم، وهذا ما دعا إليه الإمام الخميني عند رفضه للتَبَعيّة ومجابهته للهيمنة.

هناك شعور أكثر فأكثر بوحدة البشريّة، وهذا ما يُثبته الفكر الإجتماعي كما الوقائع. ولكن في الوقت ذاته، فإنّ كلّ إنسان وكلّ مجتمع وكلّ شعب يريد المحافظة على شخصيّته وتأكيد هويّته واحترام خياراته. إنّ هذين الاتجاهين سيتحكّمان في القرن المقبل. الأوّل يحكم توجّه العالم، والثاني توجّه المجتمعات، وهذا ما يقودنا إلى توازن غير ثابت، سيكون لمنطقتنا منه نصيب.

إن التغيير الذي أحدثه فكر الإمام الخميني يجب أن يقود إلى تطوّر فكري يُمكّن إيران التي تتمتّع بثقلٍ كبير على الصعد الثقافيّة والإقتصاديّة والسياسيّة، من أن تكون عامل استقرار في منطقة تعيش منذ فترة فوق برميل من البارود، وقانا الله شره، وهو ولي التوفيق.

التعقيبات

● الحاج علي فياض

عندي تعليق على ملاحظة السيدة يكن، وذلك في ما يتعلق بالتحديات الثلاثة أو تحديات البوابات الثلاث، البوابة الإسلامية والبوابة الليبرالية وبوابة الراديكالية الشرقية، إن صح التعبير، وعندما عالجت سقوط الإتحاد السوفياتي وكأن هذا السقوط أمام الإسلام، أو على الأقل هكذا أوحت الدلالات البعيدة لسياق النص، في الوقت الذي أرد هذه التحديات الثلاثة في الوقت المعاصر الى تحدٍ هو حقيقة خطر جداً وعميق جداً هو التحدي الليبرالي.

في الواقع ،عندما عالج «فوكوياما» في مقولته نهاية التاريخ التحديات التي واجهت الليبرالية ادعى أن الليبرالية هي النموذج النهائي الآن لحركة التاريخ، وعندما درس تحديات القرن الماضي وجد أن كل تحدٍ واجه الليبرالية مسقط، التحدي الفاشي في الحرب العالمية سقط وأدرج في قلب الإطار الليبرالي الأوروبي الغربي، والتحدي الشيوعي الذي أيضاً أسقطته الليبرالية نفسها، وعندما تساءل «فوكوياما» عن تحدي الإسلام قال إن الإسلام في الوقت المعاصر عاجز عن أن ينوب كخيار شامل عمّا مثلته الماركسية سابقاً من تحدي الليبرالية، وفسَّر ذلك بالقول إن الإسلام الآن لا يقدم تلك الجاذبية المطلوبة على المستوى الدولي، وهو لا يعني شيئاً لشباب طوكيو وباريس ونيويورك وما الى هنالك. في الواقع، ما يقوله صاحب هذه المقولة لا يخلو بتقديري من دلالة، وكان قوله صائباً تماماً لو لم يتحدث عن الإسلام، بل لو تحدث عن أشكال تقديم الإسلام، هناك أزمة المواجهة القائمة بين

الإسلام والليبرالية.

أريد إن أقول أن في فكر الإمام الخميني (قده) ركيزة جوهرية وهي شمولية الإسلام وكليه الإسلام. للأسف الشديد، نحن كإسلاميين، كمجتمعات، كحركات إسلامية، كمثقفين، لا نراعي شمولية الإسلام في كثير من الأحيان وكثيراً ما نتعاطى مع الإسلام أو نختزله في ما يتعلق بالمواجهة مع الغرب وفي ما يتعلق بتقديم الإسلام كأطروحة متكاملة، نختزله في بعده السياسي. وهذا الأمر بتقديري خطأ فادحاً وقاتلاً، الإسلام ليس أداة للتغيير السياسي فقط، والإسلام ليس أداة للتعبئة الثورية فقط، الإسلام هو أطروحة متكاملة، وعلينا أن نخوض هذه المسؤولية التاريخية في إثبات الدور الكبير وإرساء الإسلام على كل المستويات، في الإطار الحضاري، كما في الإطار الاجتماعي، كما الثقافي والاقتصادي. وهذا كله يردني الى مستوى آخر في المعالجة، إلى تلك الأزمة المثلثة التي طبعت التاريخ الإسلامي والتي تضاعفت في التاريخ المعاصر، وهي أزمة العقل والعلم والعمل على مستوى المجتمعات الاسلامية. بتقديري، المسألة في عمقها هي معرفية وعملية في آن. وشكراً.

● **الشيخ كاظم ياسين**

أريد أن ألاحظ على الكلمتين، كلمة سماحة الشيخ التسخيري وكلمة الأمير حارس شهاب.

جرى الحديث كثيراً وتكراراً عن الآخر وعن حوار الحضارات، وربط الأمير الحوار بين الحضارات وبين الحوار بين المسيحية والإسلام.في هذا النمط من هذا الحديث ملاحظة أريد التنبيه إليها، وهي أن هذا لفظ «الآخر» وحتى لفظ «حوار الحضارات» لم يرد أبداً في فكر الإمام (قده)، وأعتقد أن هذا نهج وكأنه مصطلح مبهم غامض أصله غربي وكأنه ينبع من مركب نقص موجود عندنا، وكأن المشكلة أصلاً بيننا وبين الغرب هي عندنا، المشكلة في الحقيقة ليست عندنا أبداً، الغرب

مسيطر تماماً ويذبحنا وينهبنا ويسيطر على بلادنا وثرواتنا، ولا مجال أبداً لحوار بين مذبوح وذابح. الغرب يقوم بأوسع وأكبر وأضخم عملية تصفية ونهب في تاريخ الانسانية. العلاقة بيننا وبين الغرب ليست علاقة حوار.

هذه نقطة مهمة جداً. الإمام الخميني ركّز على هذه النقطة كثيراً بأن العلاقة بيننا وبين الغرب هي علاقة بين مستكبر ومستضعف، نحن دائماً عند الغرب قطيع غنم، هو يأكلنا ويستثمرنا فقط، لا توجد أي علاقة إنسانية.

ثم لا أعرف هذا التركيز على مسألة حوار الحضارات، وكأن هذا المصطلح ينبغي أو نحن ملزمون بالترويج له أو بالدعاية له أو بالتفتيش عن واقع له لإسقاطه قسراً على فكر الإمام ومنهج الإمام.

والمسألة لم تبت بعد وما زالت قيد الكلام، وحديثه ولا ينبغي أبداً إسقاطه على فكر الإمام.

أريد أن أقول إن الغرب ليس مسيحياً، الغرب لا علاقة له بالمسيحية أبداً، الغرب إرهابي، قاتل. المسيحية دين فيه طهر، فيه نقاوة، الغرب إجرامي علماني ملحد.

حتى لو قلنا بحوار الحضارات جدلاً، الغرب لا علاقة له أبداً بمسألة الحوار بين المسيحية والإسلام فنحن ـ المسيحية والإسلام ـ عائلة واحدة، ليس للغرب علاقة بنا.

وعندما تدخل البابا لمصلحة جواسيس السفارة الأميركية في طهران، أشار الإمام له بأن يقف موقفاً مسيحياً. ولا يقف موقفاً استكبارياً غربياً، فصّل الإمام بين موقفين.

ردود المحاضرين

رد / الأمير حارس شهاب

أولاً، أشكرك سماحة الشيخ كاظم على مداخلتك، ولكن إذا كنت أعرتني إنتباهك، أنا ولا مرة أوردت كلمة الغرب، ولم أورد إطلاقاً كلمة الحوار مع الغرب، ولكني قلت إن علينا أن نجابه الإلحاد والغرب ملحد إذا كان هذا يرضيك. فأنا موافق بل سبّاق في هذا الموضوع، أنا تكلمت عن حوار الثقافات، لا أعرف بأية طريقة أنت تحاول أن تدخل الغرب في حوار الثقافات، هذه ليست لها علاقةأبداً، الحوار الإسلامي المسيحي ليس حواراً مطلقاً بيننا وبين الغرب، نحن نرفض الغرب من حيث هو ملحد، وأستغرب كيف فهمت الموضوع كذلك.

رد / الشيخ محمد مهدي التسخيري:

بالنسبة لما تفضل به سماحة الشيخ كاظم، أنه في كلام الإمام لم نجد قضية صراع الحضارات، لكن نحن نستوحي هذا من بيانات الإمام، حيث صنَّف أن الصراع ليس بين الحضارات، بل هو صراع بين الإستكبار والإستضعاف، وهذا موجود في كل العالم، شرقاً وغرباً. لاتجد كلمة واحدة عن الامام فيها صراع، هناك معانٍ عديدة للصراع، وهذا يرجع الى المباني؛ هناك مبنى يقول إن الحضارة التي لا تستلهم مبادئها وفكرها من الوحي ليست بحضارة، والصراع هو بين الحضارة واللاحضارة، هذا مبدأ. وهناك مبدأ يقول إن هناك واقعاً اسمه حضارات وصراعاً بين الحضارات أو حواراً بينها، هذا مبنى ثانٍ، نحن نتحدث بالنسبة الى من يعترف بهذا المبنى لكي لا يكون صراعنا على الأنقور (الأنقور هو العنب)، نقول وفقاً لهذا الواقع الموجود تعالوا لكي نفسِّر تفسيراً دقيقاً أن الصراع بين المستضعفين في العالم وكثير من الصراعات والخلافات موجودة في داخل الحضارة الإسلامية لكن لا من منطلق صراع بين الحضارة في داخلها بل من منطلق صراع بين المستكبر والمستضعف وهذه هي الطريقة. وهذا هو الخط الرائع الذي استطاع أن يبينه الإمام الخميني للعالم.

أوراق إضافية

● التعددية والوحدة في الولاية والإمرة / **سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي** - العراق.

● الإسلام أيديولوجية الفقراء: الإمام الخميني (قده) نموذجاً / **محمد مورو** - مصر.

التعددية والوحدة في الولاية والإمرة

العلامة الشيخ محمد مهدي الآصفي

مفكر إسلامي ـ العراق

لم يتناول الفقهاء هذا البحث بشكل كامل في حدود تتبعي لهذه المسألة. ولذلك فإني أقدّر أنّ الطريق إلى هذه الدراسة لم تعبّد من ناحية الفقهاء بصورة كافية، ولا بدّ من العمل في هذه الدراسة من البدايات.

لا يختلف فقهاء أهل السنّة في القول بوجوب توحيد الإمرة والولاية، وإذا قام أحد بالتصدّي لإمامة المسلمين مع قيام إمام عادل كفوء بأمر الإمامة من قبله وجب على المسلمين منعه ونهيه من ذلك، وإن لم يرتدع تجب مقاتلته حتى يكفّ عن هذا الأمر.

وأما عند الشيعة الإماميّة، فالمسألة عندهم واضحة في الفقه الكلامي، في عصر الحضور، فلا يجوز لأحد أن يتصدّى للإمامة مع قيام الإمام المعصوم، ولا يصح قيام إمام معصوم إلاّ بعد وفاة الإمام المعصوم، والروايات في ذلك كثيرة. ولا نريد الدخول في هذا البحث لأنه أشبه بأبحاث (الكلام) منه إلى (الفقه)، أما في عصر غيبة الإمام المعصوم، فلم تتفق كلمات الفقهاء على أمر واضح، ولم يبحث الفقهاء هذه المسألة بصورة واضحة في ما أعلم.

وقبل أن أدخل في تفاصيل هذا البحث أجد من الضروري الإشارة إلى أنّ الذي يُهيمن في هذه الدراسة على البحث هو الحكم الشرعي في هذه المسألة من ناحية العنوان الأولي. أمّا ما يتعلق بحكم هذه المسألة من ناحية العناوين الثانوية من قبيل الضرورات والظروف الدولية والعالمية الضاغطة، وأمثال ذلك فليس مما يدخل في صلب مهمة هذا البحث، وإنما نوّهت بهذه النقطة قبل الدخول في البحث لئلا يحصل

الإلتباس خلال البحث بإدخال ما تتطلبه العناوين الثانوية أحياناً من التعددية في أمر الولاية والإمامة.

وقد أتعرض إن شاء الله خلال هذا البحث إلى الحكم الثانوي من هذه المسألة التابع للعناوين الثانوية، ولكن بعد الفراغ من دراسة الحكم الأوّلي من هذه المسألة.

وبناءً على ذلك، فإن الذي يهمنا في هذه الدراسة هو الحكم الأوّلي من هذه المسألة. وأمّا الحكم الثانوي لها فيتقرّر في ضوء الضرورات الدولية وضرورات المنطقة بعد وضوح الحكم الأوّلي فيها، كي يتسنّى لنا أن نقتصر في الخروج عما يقتضيه الحكم الأولي إلى الحكم الثانوي بمقدار الضرورات المقدّرة من العنوان الثانوي، ونعود إلى الحكم الأوّلي كلما انتفى العنوان الثانوي، أو شكّكنا في تحقّقه.

تحرير محل النزاع:

لهذه المسألة فروض غير واقعية يتحدّث عنها الفقهاء، ولا نعتقد أنّ هذه الفروض قد وقعت في وقت مضى أو أنها تقع مستقبلاً.

من قبيل أن يتصدّى شخصان للحكم في دائرة إدارية وسياسية واحدة، كلٌ منهما يتصدى لغير ما تصدى له الآخر.

أو يتصدّيان في دائرة واحدة بشرط أن يكسب كلّ منهما موافقة الآخر قبل إصدار الحكم واتخاذ القرار وأمثال ذلك من الفروض النادرة والتي هي من سنخ الافتراضات النظرية.

وعليه، أرى من المفيد أن أبتعد عن الفروض النظرية العديدة لهذه المسألة، وأدخل مباشرة في البحث عن الحالة الوحيدة التي حصلت كثيراً في الشارع الإسلامي، ونقدّر أنها تحدث في ما بعد أيضاً. وهي أن يتصدّى شخصان أو أكثر للحكم في دوائر سياسية وادارية عديدة من العالم الإسلامي، كل منهم يتصدى للحكم بصورة مستقلة عن الآخر. هذه الصورة هي الصورة الوحيدة التي تحقّقت في ما مضى ونقدّر أنها تتحقّق في ما يأتي كذلك.

وأول من دعا إلى هذا النهج من التعددية في الحكم هو معاوية بن أبي سفيان.

روى الطبري أن معاوية طلب من الإمام (ع) أن يستقلّ كلٌّ منهما في الحكم، هو في الشام والإمام (ع) في العراق فقبل الإمام (ع) ذلك.

نحن لا ننفي ذلك، لكننا ننفي بشكل جازم أن يكون الإمام (ع) قد وافق معاوية على ذلك. وقد اتّفق المؤرخّون أن الإمام (ع) كان قد أعلن قبل شهادته عزمه على قتال معاوية، وأنه سيخرج بمن معه من أهل بيته وأصحابه الأقربين إلى معاوية، حتى لو لم يخرج معه أحد غيرهم، إلاّ أن عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي (لعنه الله) لم يمهل الإمام (ع) وعاجله بالشهادة.

ومهما يكن من أمر فلو كان مثل هذا الأمر حادثاً، ولم يحدث، فلا بدّ أن يكون بعد أحداث صفّين وما كان في صفّين من شغب الخوارج ـ المحكّمة ـ وأذاهم لعليّ (ع) وتثبيطهم لجيش الإمام (ع) عن القتال...

وهو أمر آخر يرتبط بالعناوين الثانوية، وليس من الأحكام الأوّلية في شيء، على أننا لا نشك في رفض الإمام (ع) لمشروع معاوية حتى الأيّام الأخيرة من حياته(ع).

ومهما يكن من أمر، فإن معاوية كان أوّل من طرح هذا المشروع السياسي... وقد حصل شيء من هذا القبيل في بدايات الحكم العباسي، حيث كان يحكم فيها بقايا بني أمية في الأندلس، وبنو العبّاس يحكمون العراق ومناطق واسعة من العالم الإسلامي ،ونقدِّر أن المستقبل السياسي للعالم الإسلامي يشهد أحداثاً من هذا القبيل.

وعليه، فإن دراسة هذه المسألة بعد عودة الإسلام إلى السيادة والحكم وإلى الساحة السياسة حاجة حقيقيّة.

وعلينا أن نتناول هذه المسألة بصورة جديّة، حتى نصل إن شاء الله إلى نتائج عملية يمكن الإعتماد عليها.

الأدلّة على نفي مشروعيّة التعدّديّة

نحن نذكر في هذا البحث إن شاء الله طائفة من الأدلة على عدم مشروعية التعدّديّة في الإمرة والولاية في العالم الإسلامي.

ولست أدّعي أنّ هذه المجموعة من الأدلّة لا يمكن التشكيك في بعضها أو في جملة فيها، إلاّ أنّي أدّعي عدم إمكان التشكيك في مجموع هذه الأدلّة.

وفي ما يلي أحاول إن شاء الله أن أستعرض هذه الأدلة واحداً بعد الآخر، وأحاول أن أتجنّب استخدام المصطلحات الفقهية كلّما وجدت إلى ذلك سبيلاً إلا أن اضطر إلى ذلك، فأوضّحه بقدر ما يسعني من التوضيح.

الدليل الأول: من الروايات:

الرواية الأولى: [1] ما رواه الصدوق في «علل الشرائع» و«عيون أخبار الرضا»(ع)، ونحن ننقل من هذه الرواية ما يتعلق ببحثنا هذا.

فإن قال (قائل): فلم لا يجوز أن يكون في الأرض إمامان في وقت واحد وأكثر من ذلك؟.

قيل: لعلل منها أن الواحد لا يختلف فعله وتدبيره والإثنين لا يتّفق فعلهما وتدبيرهما، وذلك أننا لم نجد اثنين إلا مختلفي الهمم والإرادة، فإذا كانا اثنين ثم اختلفت هممهما وإرادتهما وتدبيرهما وكانا كلاهما مفترضي الطاعة لم يكن أحدهما أولى بالطاعة من صاحبه، فيكون في ذلك اختلاف الخلق والتشاجر والفساد؛ ثم لا يكون أحد مطيعاً لأحدهما إلا وهو عاصٍ للآخر، فتعمّ معصية أهل الأرض ثم لا يكون لهم من ذلك السبيل إلى الطاعة الإيمان ويكونون إنما أتوا في ذلك من قبل الصانع الذي وضع لهم باب الإختلاف والتشاجر والفساد، إذ أمرهم باتباع المختلفين، ومنها أنه لو كانا إمامين لكان لكل من الخصمين أن يدعو إلى غير الذي يدعو إليه صاحبه في الحكومة، ثم لا يكون أحدهما أولى بأن يتبع صاحبه فيبطل

(١) عيون أخبار الرضا ٢/ ١٠١ الباب ٣٤ ح ١ وعلل الشرائع ١/ ٢٥٤ الباب ١٨٢ ح ٩.

الحقوق والأحكام والحدود ،ومنها أنه لا يكون واحد من الحجتين أولى بالنطق والحكم والأمر والنهي من الآخر، وإذا كان هذا كذلك وجب عليهما أن يبدآ بالكلام وليس لأحدهما السكوت إذا جاز السكوت للآخر، وإذا جاز لهما السكوت بطلت الحقوق والأحكام وعطلت الحدود وصار الناس كأنهم لا إمام لهم.

مناقشة سند الرواية:

هذه الرواية واضحة من حيث المتن، ولست أعرف مجالاً للمناقشة في دلالة هذه الرواية، ولذلك لا أتعرّض لدراسة هذه الرواية من حيث المتن. أما السند، فقد روى الصدوق رحمه الله هذه الرواية في (العلل) و (العيون) عن.... الواحد بن محمد بن عبوس النيسابوري عن علي بن محمد بن قتيبة النيسابوري عن فضل بن شاذان عن أبي الحسن الرضا (ع).

وكذلك يروي هذه الرواية عن أبي محمد جعفر بن نعيم بن شاذان عن عمه أبي عبد الله محمد بن شاذان عن فضل بن شاذان.

و (فضل بن شاذان الذي ورد ذكره في السندين من أجلاء أصحاب علي الهادي والإمام العسكري(ع).)

إلا أن هذه الرواية تدل على أنه قد أدرك الإمام الرضا (ع) في مقتبل شبابه أو في أيام المراهقة، ولكن ذلك لم يكن بحدود الصحبة التي اختص فيها بعد ذلك بالإمامين علي الهادي والعسكري (ع) وهو رحمه الله يقول في نهاية هذه الرواية: «سمعتها من مولاي أبي الحسن علي بن موسى الرضا المرة بعد المرة والشيء بعد الشيء فجمعتها».

وعليه، فإن ما يذكر من اختصاص فضل بن شاذان بالإمامين علي الهادي والحسن العسكري (ع) لا ينفي سماعه عن الإمام الرضا (ع).

أما الراويان الآخران في السند الأول لهذه الرواية، وهما الراويان النيسابوريان (محمد بن عبوس وعلي بن محمد بن قتيبة) فقد اختلفت كلمات

أصحاب الجرح والتعديل فيهما، سلباً وإيجاباً.

هذه في السند الأول، وأما في السند الثاني، فقد ورد فيه ذكر (جعفر بن نعيم)، ولم يرد فيه توثيق، إلا أن الصدوق رحمه الله ترضّى عنه.

وأما عمه (محمد بن شاذان) الذي روى جعفر عنه هذه الرواية فهو من وكلاء الناحية المقدسة، ويكفي ذلك في توثيقه.

الرواية الثانية: صحيحة حسين بن أبي العلاء: قلت لأبي عبد الله (ع) تكون الأرض ليس فيها إمام؟.

قال: لا.

قلت: يكون إمامان؟.

قال: لا، إلاّ وأحدهما صامت[1].

الرواية الثالثة: صحيحة ابن أبي يعفور: سأل أبا عبد الله (ع) هل يترك الأرض بغير إمام؟.

قال: لا. قلت: فيكون إمامان؟ قال: لا إلاّ وأحدهما صامت[2].

الرواية الرابعة: موثقة هشام بن سالم قال: قلت للصادق (ع) هل يكون إمامان في وقت واحد؟ ناطقاً إماماً لصاحبه، وأما أن يكونا إمامين ناطقين في وقت واحد فلا[3].

والتشكيك في دلالة هذه الروايات بأن السؤال منها عن الإمام المعصوم، وقياس غير المعصوم على المعصوم من القياس الباطل... لا يضر بالإستدلال، ذلك أن التعليل الوارد في الرواية الأولى يعمّ الحكم على عصري الحضور والغيبة وما ورد في الروايات الأخرى بحكم التعليل «إلاّ أن يكون أحدهما صامتاً مأموناً لصاحبه».

---

(١) الكافي ١/ ١٧٨ كتاب الحجة باب أن الأرض لا تخلو من حجة ح ١.

(٢) بحار الأنوار ٢٥/ ١٠٦.

(٣) بحار الأنوار ٢٥/ ١٠٦.

فإنهما إذا كانا إمامين ناطقين ينتفي الأمن بينهما بمقتضى صريح الرواية، وإذا صح هذا في الإمامين المعصومين فهو في غيرهما أولى.

فالروايات هنا إما أن تكون عامة للمعصومين وغير المعصومين، وهو الأرجح، وإما أن تكون خاصة بالمعصومين، فتدل الرواية على وجوب ذلك في غير المعصومين، بنحو أولى، ويكون المورد من موارد (التنصيص بالعلّة)، وهو ليس من القياس، أو من موارد (قياس الأولويّة)، وهو من القياس الصحيح.

الدليل الثاني: الاحتجاج بسيرة أمير المؤمنين (ع)

والدليل الآخر على وحدة الولاية والإمرة سيرة أمير المؤمنين (ع)، وهي سيرة حادثة في هذا الأمر. وقد خاض أمير المؤمنين (ع) في السنين الأربع التي حكم فيها حروباً ثلاثة متعاقبة، وهي الجمل و صفّين و النهروان.

وحجة الإمام (ع) في الحروب الثلاث هي تمرّد جمع من المسلمين عن إمامته وولايته، ولو كان تعدّد الإمرة والإمامة أمراً سائغاً في الشريعة... لم يكن هناك من سبب لخوض هذه الحروب الثلاث... إذاً، الحروب الثلاث التي خاضها الإمام (ع) مع الناكثين والقاسطين والمارقين دليل كافٍ، في رأينا، للقول بوحدة محور الإمامة والولاية، ذلك أن الإمام (ع) كان هو المبادر لقتال خصومه في الحروب الثلاث، وليس العكس.

المسوّغ لقتال معاوية في صفين:

حتى إذا افترضنا أن قتال الإمام (ع) للناكثين في (الجمل) والمارقين في (النهروان) كان بسبب نقض البيعة من ناحية الناكثين والمارقين، وليس بسبب الإقدام على الإعلان عن حكومة جديدة ونظام جديد في عرض ولاية الإمام (ع) وحكومته... أقول: حتى على هذا الفرض لا يصح مثل هذا الإفتراض في صفين، فإن معاوية ومن كان يتبعه من أهل الشام لم يبايعوا الإمام (ع) من قبل، كي يصح أن يقال عنهم نقضوا البيعة، وأن الإمام (ع) قاتلهم بدليل نقضهم للبيعة، كما كان شأن الإمام (ع) مع الناكثين والمارقين، حسب هذا الفرض.

ولا يبقى سبب آخر للقتال، إلا أن الإمام (ع) كان يرى أنه لا يحق لأحد، أن يتصدى للولاية والإمرة مع قيام حكومة شرعية على وجه الأرض. وكان يرى أن البيعة التي تمت له في المدينة من قبل المهاجرين والأنصار ملزمة لكل المسلمين على وجه الأرض، وكل تمرد وعصيان لهذه الولاية، بعد انعقادها بالبيعة من (البغي) الذي يأمر الله تعالى بمكافحته والقضاء عليه، وكلام الإمام (ع) صريح وواضح في هذا الشأن.

يقول (ع): «وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج عنه، فإن أبى فاقتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى» [1] ويقول (ع) في موضع آخر برواية الشريف الرضي في النهج: «لأنها بيعة واحدة، لا يثنى فيها النظر، ولا يستأنف فيها الخيار، والخارج منها طاعن، والمروي فيها مداهن». [2] ويمكننا أن نختصر كلام الإمام(ع) في نقطتين:

١ ـ مساحة الولاية والإمرة لا تتحدد بمساحة البيعة.

٢ ـ قتال المتمردين الذين يرفضون طاعة الحكومة الشرعية القائمة بالفعل.

وإليك توضيح هاتين النقطتين:

١ ـ مساحة الولاية لا تتحدد بمساحة البيعة

لا إشكال في أن الإمام (ع) كان يرى أن مساحة الولاية والإمرة لا تتحدد

---

(١) نهج البلاغة صحيح صالح ٣٦٧ الكتاب ٦ وقد روى هذا الكلام عن الامام الشريف الرضي ...
نصر بن مزاحم في كتابه (صفين) ص ٢٩.
وكذلك ابن قتيبة في الامامة والسياسة ١/ ٩٣.
وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ٤/ ٣٢٢.
والطبري في التاريخ ٥/ ٢٣٥ طبعة لندن.
وابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة معاوية بن أبي سفيان وشك المعتزلة بهذا الكلام على شرعية الإمامة بالاختيار والبيعة. شرح النهج لابن أبي الحديد ٣/ ٣٠٢.

(٢) برواية الشريف الرضي في المنهج الكتاب رقم ٧ وكذلك ابن الأعظم في (الفتوح) ٢/ ٤٣١ وكذلك المبرد في الكامل ١/ ١٩٣ ونصر بن مزاحم في (صفين) ٦٤.

بمساحة البيعة، ولا يمكن أن تتحدد، ولاسيّما في تلك الأيام: فقد كان من غير الممكن أن تتم البيعة للمرشح للإمامة من قبل المسلمين في كل أقطار العالم الإسلامي.

وعليه، فليس من الضروري أن تنطبق مساحة الولاية والسيادة على مساحة البيعة. فتعمّ البيعة الشرعية كل المسلمين، في مختلف أقطار العالم حتى وإنْ تمت البيعة في رقعة صغيرة محدودة، بشرط أن تكون منطقة البيعة من الناحية الكميّة والكيفيّة بحجم مناسب.

وقد أجمع فقهاء المذاهب الأربعة من أهل السنّة على ذلك، على اختلاف في تقدير حجم مساحة البيعة، حتى قال بعضهم إن البيعة تكون ملزمة حتى وإن تمت من قبل شخص واحد، ويتمسكون بقول العباس لعلي (ع) بعد وفاة رسول الله (ع): أمدد يدك أبايعك فيقول الناس عم رسول الله (ع) بايع ابن عم رسول الله، فلا يختلف فيك أحد. وهو قول شاذ بالتأكيد، ولكن مما لا خلاف فيه أن البيعة لو تمّت في مساحة مناسبة ألزمت عامّة المسلمين، وعلى ذلك اجماع فقهاء أهل السنة. ولم أجد لدى فقهاء الإمامية حسب تتبعي لهذه المسألة خلافاً.

يقول أمير المؤمنين (ع)؛ برواية الشريف الرضي، بهذا الصدد: «ولعمري لئن كانت الإمامة لا تنعقد حتى يحضرها عامة الناس، فما إلى ذلك سبيل، لكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد أن يرجع، ولا للغائب أن يختار. ألا وإني مقاتل رجلين: رجلاً ادّعى ما ليس له، وآخر منع الذي عليه»[1].

٢ ـ قتال المتمرّدين على الحاكم الشرعي

النقطة الثانية من كلام الإمام (ع) قتال المتمردّين على الطاعة، وأنّ كل من تمرّد على الحكومة الشرعية يعتبر باغياً، والموقف من الباغي النصيحة والنهي عن المنكر، فإن لم يرتدع فالقتل.

(١) نهج البلاغة صحيح صالح خط ١٧٣.

خطاب الإمام (ع) إلى المسلمين وإلى معاوية في صفين:

وللإمام (ع) لدى التوجه إلى صفين خطابان، جديران بالدراسة والتأمل.

الخطاب الأول إلى معاوية، والخطاب الثاني إلى عامة المسلمين. أمّا خطاب الإمام(ع) إلى معاوية: «أدخل فيما دخل فيه الناس»[1]. وأما خطابه (ع) إلى عامة المسلمين، فهو الدعوة إلى قتال معاوية، بسبب (البغي) والتمرد والخروج عن الطاعة. ويقول الإمام(ع) في ذلك صريحاً: «فإن شغب شاغب استعتب، فإن أبى قوتل»[2].

المناقشة السنديّة في خطابي الإمام:

والتشكيك في سند نهج البلاغة، وبالتالي في خطابي الإمام(ع) لدى التوجه إلى صفين بحث غير ذي جدوى، ذلك أن المؤرخين وأرباب السير قد رووا هذين الخطابين وغيرهما بصورة مستفيضة لا تترك مجالاً للشك. وقد حصل فيه ما يشبه التواتر المعنوي.

والأمر الآخر أن السيرة القطعية لأمير المؤمنين(ع) تؤكد هذين الخطابين أو حسب تعبير الشيخ المفيد رحمه الله: المعروفة هي من الدراية، وليست من الرواية. وإذا كان أصل الخطاب الذي يرويه الشريف الرضي في النهج من الرواية، فالسيرة القطعية لأمير المؤمنين من الدراية التي لا تحوج الباحث إلى بحث سندي.

فقد دعا الإمام (ع) عامة المسلمين من الحجاز والعراق واليمن وسائر أقاليم الإسلام إلى قتال معاوية، وقد سقط في هذه الحرب من الطرفين عدد كبير من القتلى.

روح خطاب الإمام في صفين.

والآن نتساءل هل يمكن ألاّ يكون للإمام (ع) خطاب إلى ذلك الجمع الغفير من

---

(١) نهج البلاغة. الكتاب رقم ٦٤.

(٢) نهج البلاغة. الخطبة رقم ١٧٣.

الجيش الذي صحبه إلى صفين. وهل يجوز أن يأخذ الإمام (ع) ذلك الجيش الكبير إلى صفين، دون أن يكون له إليهم خطاب.

وإذا كان لا بد من خطاب، ولا بد، فما هو روح هذا الخطاب؟

أوليس هذا الخطاب هو أن يقول لهم الإمام(ع):

أ ـ إنه قد تولى إمامة المسلمين بحق، وإنه الإمام الشرعي للمسلمين. وقد بايعه على ذلك المهاجرون والأنصار ولا يشك في ذلك أحد.

ب ـ وإن معاوية ومن معه من أهل الشام قد بغوا عليه وخرجوا عما دخل فيه المسلمون من الطاعة.

ج ـ وهو يدعو المسلمين إلى قتاله وقتال من يدافع عنه ويخرج معه.

في عقيدتي: كما أنّ أصل الخطاب أمر لا بد منه وليس فيه شك، كذلك محتوى الخطاب وروحه هو ما ذكرناه من دون ريب.

فهو الأمر الوحيد الذي يمكن أن يجمع الإمام(ع) المسلمين عليه يومذاك. وكل ما كان يقوله الإمام(ع) غير ذلك كان يكسب طائفة من المسلمين ويبعد أخرى.

عود إلى خطابي الإمام في صفين:

ولكي لا نسترسل مع هذه النقطة أكثر من ذلك نعود إلى صلب البحث، مرة أخرى، فنقول لقد كان للإمام(ع) في هذه الحرب خطابان:

خطاب إلى معاوية، يطلب فيه منه أن يدخل في ما دخل فيه المسلمون ويكفّ عن التمرّد والعصيان.

وخطاب الى المسلمين يطلب فيه منهم أن يقاتلوا معاوية ومن معه من جند الشام، ويصدّوه عن التمرّد والعصيان.

وروح هذين الخطابين وجوهرهما أنه إذا قامت للمسلمين دولة وحكومة شرعيّة، وقام بينهم إمام يحكمهم بالحق فلا يحق لأحد أن يتصدى لإمامة المسلمين،

ويدعو الناس إلى نفسه، في عرض الولاية الشرعية القائمة، وليس في طولها.

وهذا هو روح هذا البحث، وهو الذي نريد إثباته في هذه الدراسة من وحدة محور الولاية والإمرة الشرعية في العالم الإسلامي.

هل كان خطاب الإمام(ع) من الجدل أم هو الحقيقة؟.

قد يقول أحد إن لخطاب الإمام(ع) باطناً وظاهراً، وكل منهما صحيح.

أما باطن خطاب الإمام(ع) إلى المسلمين يومذاك فهو دعوة المسلمين إلى قتال معاوية، لأن رسول الله (ص) نصّ على إمامته يوم الغدير، وإمامته تستند إلى نص الغدير وليس اختيار المسلمين وبيعتهم. ولا يجوز لأحد أن يخرج عما أوجبه الله تعالى على المسلمين عامّة من الطاعة، بموجب هذا النص.

ومعاوية قد خرج من الطاعة. فهو يدعو المسلمين إلى قتاله بهذه الخلفية وليس بسبب البيعة، وهذا هو باطن القضية.

ولكن لّما كان الناس في جيش الإمام(ع) يومئذٍ، لا يؤمنون بنص الغدير، وكانوا يعتقدون أن الإمامة انعقدت لعليّ(ع) يومئذٍ بسبب البيعة يلزمهم الإمام، جدلاً، برأيهم.

وكأن الإمام (ع)يقول لهم إن طاعته واجبة على كل المسلمين بموجب نص الغدير، ويجب بنفس السبب قتال الخارجين عليه... فإذا أصرّوا على إنكار نص الغدير، وأصروا على أنّ ولايته(ع) كانت بسبب بيعة المهاجرين والأنصار، فإنّ عليهم أيضاً أن يقاتلوا الباغين عليه والخارجين على طاعته. وهذا هو ظاهر القضية.

إلا أنّ هذا الظاهر ليس حجة علينا شرعاً. فإنّ من الممكن أن هذه اللوازم كانت مما يؤمن به ويراه فقهاء مدرسة الخلفاء. والإمام(ع) لا يرى ذلك ولا يصححه، غير أنه يلزمهم بما يلتزمون به.

هذه هي خلاصة للشبهة التي يمكن أن تثار على الإستدلال السابق.

الدليل الثالث: وحدة الأمة:

ويشير القرآن الكريم إلى وحدة الأمة المسلمة في التاريخ، وعلى وجه الأرض في موضعين:

في سورة الأنبياء ٩٢، وفي سورة المؤمنون ٥٢.

أما آية الأنبياء: ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون**﴾ وفي سورة المؤمنون: ﴿**وإنّ هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون**﴾.

والوحدة من أهم أسس (الدعوة) و (السياسة) في القرآن.

أما عن (الدعوة)، فإن الله تعالى أرسل رسوله للناس جميعاً من دون استثناء. يقول تعالى: ﴿**وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً**﴾ (سبأ:٨) و: ﴿**يا أيها الناس... رسول الله إليكم جميعاً**﴾ (الأعراف: ١٥٨) و: ﴿**وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ**﴾ (الأنعام: ٩) ﴿**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه**﴾ (التوبة: ٣٣).

ومعنى ذلك أن هذا الدين لعامّة البشريّة، وليس ديناً قومياً أو إقليمياً. هذا أولاً.

وثانياً ،الوحدة السياسية للأمة، وإزالة الحواجز القومية والإقليمية التي تفرق هذه الأمة. وقد تلونا عليكم آيتي الأنبياء والمؤمنون من قبل، وهما صريحتان واضحتان في الوحدة السياسية للأمة. ولا نتصوّر معنى لوحدة الأمة غير الوحدة السياسية.

فإن وحدة العقيدة مفروضة في الأمة، ومن دونها لا تكون الأمّة أمّة. فلا بد من أن تكون الوحدة في أمر آخر غير العقيدة.

وإلا فلا تكون هي وحدة العقيدة، والقرآن يقول: ﴿**وإن هذه أمتكم**﴾. ولا معنى للوحدة، إذا لم تكن في العقيدة، إلاّ أن تكون من البنية السياسية للأمة، فيكون معنى وحدة الإمامة وحدتها في الكيان السياسي، ووحدة الكيان السياسي بوحدة الولاية

والسيادة لا محالة: والمقياس الذي وضعه الله تعالى للتقسيم في هذه الأمة هو (التقوى) وليس اختلاف الناس في الأقوام والعشائر والأقاليم إلاّ للتعارف والتلاقح في ما بينهم، وليس للافتراق والتباعد.

﴿يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

وقد ورد في القرآن والحديث شواهد كثيرة على هذه الحقيقة في دين الله.

ففي الكتاب الذي كتبه أمير المؤمنين(ع) لواليه على مصر مالك الأشتر رحمه الله يوصيه بالناس، ويقول له في ذلك «ولا تكن عليهم سبعاً ضارياً، تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان، إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق»[1] وقال رسول الله(ص) للناس في خطابه التاريخي في العودة من حجة الوداع:

«ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأعجمي على عربي إلاّ بالتقوى»[2] وفي رواية أخرى: «أيها الناس إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، ألا إنكم من آدم، وآدم من طين» [3] وعنه(ص): «ألا إن العربية ليست بأبٍ والد، ولكنها لسان ناطق، فمن قصر به عمله لم يبلغ به حسبه»[4].

وعنه صلى الله عليه وآله أيضاً: «ألا إن خير عباد الله أتقاه، إن الناس من عهد آدم إلى يومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأحمر على أسود إلاّ بالتقوى»[5].

وأيضاً عنه(ع): «عن رجال فخرهم بأقوام أسماهم فحم من فحم جهنم، أو

(١) نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.
(٢) سيرة ابن هشام، ٢/ ٤١٤.
(٣) سيرة ابن هشام، ٢/ ٤١٤.
(٤) سنن ابي داوود، ٢/ ٦٢٥.
(٥) أصول الكافي، ص ٢٤٦.

ليكون أهون على الله من الجُعلان التي ترفع بأنفها النتن»[1].

وبالتأمل في ما ذكرناه من الآيات والروايات، وهو غيض من فيض، نصل إلى نتيجة قطعية، لا نشك فيها، وهي أن الإسلام يرفض التفريق والتفاضل في ما بين الناس ويعمل دائماً لإزالة الفواصل والحدود الطبقية، والقوميّة والإقليمية، ويجعل الناس أمة واحدة على الصراط المستقيم إلى الله.

ومع وضوح هذا الإتجاه في دين الله، كيف يمكن أن يقر الإسلام التعدديّة في النظام السياسي والسيادة والدولة والولاية في الأمة الواحدة.

ونحن إذا راجعنا التاريخ الإسلامي، نجد أن التعددية في النظام السياسي والولاية والسيادة هي من أكثر أسباب الإختلاف والصراع والتقاطع في ما بين المسلمين.

والمنافسة والصراع على السلطة من أكثر أسباب القتال والحروب في تاريخ الإسلام وتاريخ البشرية، والدين الذي يعتمد في أساسه ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة**﴾ و ﴿**تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم**﴾ لا يمكن أن يقبل التعددية في السيادة والنظام السياسي.

الأمة والطاعة:

ومما يؤكّد هذا المعنى وتعميقه اهتمام الإسلام الأكثر بأمر الطاعة لأولياء الأمور، وهذه الطاعة غير الطاعة لله في الأحكام والتشريعات الثابتة التي ورد ذكرها في الكتاب والسنة.

يقول الله تعالى: ﴿**أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾.

وواضح لمن يتأمّل في هذه الآية: أن الطاعة الثانية غير الطاعة الأولى. فالطاعة الأولى هي الطاعة لله، والطاعة لله تخص الأحكام الثابتة التي نطق بها الكتاب والسنة كالصلاة والصوم وتفاصيلهما، والطاعة الثانية هي الطاعة للرسول

(١) سنن أبي داوود، ٢ / ٦٢٤.

ولأولياء الأمور من بعده، وهي من الأمور السياسية والإداريّة التي تقتضيها وتتطلبها الضرورات السياسية والإدارية والإقتصادية وما يشبه ذلك، وهي المنطقة التي يصطلح عليها الشهيد الصدر رحمه الله بـ «منطقة الفراغ»، وهذه الطاعة غير الطاعة الأولى التي تفرضها الآية الكريمة لله.

وقد ورد ذكر هاتين الطاعتين معاً، في أكثر من آية في كتاب الله. فيقول تعالى:

﴿**قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾ (النور: ٥٤).

﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، ولا تبطلوا أعمالكم**﴾ (محمد: ٣٣).

التقوى والطاعة في سورة الشعراء:

وهذه الطاعة هي الأساس الثاني لدعوة الأنبياء بعد التقوى ففي سورة الشعراء يلخص القرآن دعوة الأنبياء في كلمتين:.

التقوى والطاعة، (تقوى الله وطاعة الأنبياء).

والتقوى هي الإلتزام بحدود الله تعالى، والطاعة هي طاعة الأنبياء وأولي الأمر في الأمور السياسية والادارية، وفي كل شأن يتّصل بالولاية والسيادة السياسية، بشكل من الأشكال، تأملوا في هذه الآيات المباركات من سورة الشعراء:

﴿**إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتّقون، إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون**﴾.

﴿**كذبت عاد المرسلين، إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتّقون إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون**﴾.

﴿**كذبت ثمود المرسلين، إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون إني لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون**﴾.

﴿**كذبت قوم لوط المرسلين، إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون، إنّي لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون**﴾ (الشعراء من ١٠٦ إلى ١١٣).

وكلمة (أطيعون) هي في الأصل أطيعوني حذفت منها الياء.

وهذه الآيات بمجموعها تؤكّد أنّ دعوة الأنبياء(ع) تدور حول هذين المحورين التقوى والطاعة.

ولا يمكن أن تكون (الطاعة) غير الطاعة السياسة، فإن أية طاعة أخرى غير الطاعة السياسية ترتبط بمحور التقوى، وهو المحور الأول من هذين المحورين.

فالطاعة السياسية، إذاً، عنصر مقوّم وأساس في بناء الأمة، وتعدد الطاعة في الحقيقة ضرب من التمرد والخروج على الولاية والسيادة في الأمة.

والآيات الكريمات بمجموعها تؤكد أن الوحدة تتحقق، بعد وحدة العقيدة، ووحدة الطاعة ووحدة النظام، وهذان هما العنصران المقومان للأمة (العقيدة والنظام السياسي).

وتعدّد الطاعة بمعنى تعدد النظام السياسي، وهو بمعنى انشطار الأمة وتعددها معنى آخر غير هذا المعنى، فإن الإنتماء إلى عقيدة أخرى غير التوحيد يخرج صاحبه من هذه الأمة إلى أمّة الكفر. والقرآن يقول إن أمة التوحيد أمة واحدة ﴿**وإن هذه أمتكم أمة واحدة**﴾ وهذا المعنى واضح في آيتي الأنبياء والمؤمنون بأدنى تأمل.

الدليل الرابع :عموم المنزلة في النيابة:

في صياغة هذا الدليل نحتاج إلى التمسّك بنوعين من الأدلة وهما:

١ ـ أدلة ولاية رسول الله والأئمة (ع) من بعده.

٢ ـ أدلة نيابة الفقهاء عن الإمام المهدي عجل الله فرجه في الولاية في عصر الغيبة.

وبضم هذين الدليلين إلى بعض وضم عموم المنزلة في النيابة تتم صياغة هذا الدليل؛ اذاً عناصر هذا الدليل تتألّف من ثلاث نقاط:

١ ـ الولاية لرسول الله وأولياء الأمور من بعده (الأئمة) في عصر الحضور وهي ولاية عامّة شاملة لكل المسلمين لا شك في ذلك، كما سيأتي توضيح ذلك. إن

شاء الله ـ ولا يقول أحد بالتفكيك والتجزيء في هذه الولاية البتّة، فهي ولاية واحدة ليس فيها التعدد والتجزيء.

٢ ـ نيابة الفقهاء عن الأئمة(ع) وعن الإمام المهدي (عج) في عصر الغيبة في أمر الولاية أدلة هذه الولاية لا محالة ناظرة إلى نيابة الفقهاء عن الإمام الحجة في عصر الغيبة.

٣ ـ عموم المنزلة في نيابة الفقهاء عن الإمام الحجة عجل الله فرجه، فإن أدلة هذه النيابة لا محالة دالة على إحلال الفقهاء في الولاية بمنزلة الحجة، وإطلاق النيابة في الولاية يقتضي أن يكون للفقهاء كما يكون للإمام المعصوم من شؤون الولاية إلا ما ورد فيه دليل بالإستثناء والتقييد، ويقتضي أن تكون مساحة ولاية الفقيه هي نفس المساحة التي جعلها الله للإمام المعصوم إلا ما ورد فيه دليل بالإستثناء والتقييد، وهذا حصر (معنى عموم المنزلة) في النيابة.

ومقتضى ذلك وحدة الأمر والولاية في عصر الغيبة.

وإذا لم يكن هذا الحدّ من التوضيح كافياً، نضطرّ إلى بسط الكلام في ذلك بشكل أوسع، وإليك هذا البسط والتوضيح.

١ ـ أمر الله تعالى المسلمين بطاعة رسول الله(ص) وجعل له الولاية العامة الشاملة على المسلمين بلا إشكال ولا شك، وورد الأمر بذلك في أكثر من موضع من القرآن ومن أصرح هذه الآيات وأوضحها قوله تعالى في سورة الحجرات ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ وقد اختلف المفسّرون في أمر هذه الولاية، فماذا تكون؟.

وأقوى هذه الآراء وأوضحها أن النبي(ص) له الولاية على المؤمنين في كل ما يرتبط بشؤون الولاية السياسية والحكم، والرأي الآخر لا يقيد الولاية حسب هذا الرأي، وإنما يوسّعها ويطلقها من غير هذا الشأن من شؤون الإنسان.

ومعنى الولاية في هذه الآية أن يكون رسول الله(ص) أولى في هذه الأمور على المؤمنين من أنفسهم، وإرادته(ص) فيها مقدمة وحاكمة على إرادتهم، وهو معنى

قوله تعالى ﴿أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾.

وحذف المتعلق في كلمة (أولى) دليل على عموم الولاية، وشمولها لكل الشؤون الداخلة في دائرة الولاية السياسية، وهو القدر المتيقّن من الأمر، والقول الآخر وهو شمولها لما وراء هذه الدائرة.

وأما الكلام في مساحة هذه الولاية من المجتمع، فإنّ كلمة المؤمن (الجمع المحلى باللام) إن لم يكن نصاً في العموم فهو ظاهر فيه بلا كلام.

وعليه، فإن الولاية النبويّة تتضمن نوعين من العموم والشمول: العموم في أبواب الولاية وأنحائها، والشمول لمساحة المجتمع والأمة.

وهذه الولاية بكل ما فيها من الشمول والعموم انتقلت إلى الإمام علي أمير المؤمنين في غدير خم بموجب نص الغدير الشهير: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، ومن أمير المؤمنين(ع) انتقلت الولاية نفسها إلى أحد عشر إماماً من ذرية أمير المؤمنين، وهي الآن للإمام الثاني عشر من أهل البيت(ع).

والمسألة إلى هذا الحدّ ليس فيها خلاف أو ترديد لدى فقهاء الإمامية ومتكلميهم وعليه، فإن الولاية النبوية تتضمن نوعين من العموم، العموم في شؤون الولاية، والعموم في مساحة الولاية من المجتمع.

٢ ـ أمّا المسألة الثانية فهي ولاية الفقيه المتصدّي في عصر الغيبة بالنيابة عن الإمام المعصوم عجّل الله فرجه.

ومن الفقهاء من يذهب إلى ولاية كلّ فقيه بالنيابة عن الإمام عجل الله فرجه في عصر الغيبة. وهو رأي لبعض الفقهاء الأجلاء، ومن الفقهاء من يذهب إلى ولاية الفقيه المتصدي في عصر الغيبة بالبيعة والانتخاب من قبل المسلمين وهو الرأي الذي أميل إليه.

وقد يكون اشتراط الفقاهة في ولي الأمر بالنص، وقد يكون هو القدر المتيقّن الذي نشك في أجزاء ما عداه.

وعلى أيّ، فإن الفقيه المتصدّي ينوب عن الإمام عجّل الله فرجه في ولاية الأمر.

والمسألة في هذه الحدود ليس فيها خلاف كبير.

٣ ـ المسألة الثالثة تتعلق بعموم المنزلة في تنزيل الفقهاء منزلة الإمام المعصوم، ومقتضى عموم المنزلة أن الفقهاء ينزلون منزلة الإمام المعصوم في كل حكم وحق تشريعي جعله الله للإمام، إلا في ما خصه الله تعالى بالإمام المعصوم. وليس من شك في أن (الوحدة في الإمامة) من أهم الشروط في عصر الحضور ومقتضى عموم المنزلة هو اعتبار هذا الشرط في النيابة العامة في عصر الغيبة، لعدم ورود دليل على الاستثناء والاختصاص.

الوحدة بالإمام المعصوم في عصر الحضور في لسان الأدلة:

وهذا هو مقتضى عموم التنزيل.

والدليل على عموم التنزيل هو إطلاق الأدلّة الدالة على تنزيل الفقهاء منزلة الإمام المعصوم في أمر الإمامة مثل قوله(ص) «اللهم إرحم خلفائي» و «العلماء ورثة الأنبياء» وغير ذلك من أدلة تنزيل الفقهاء في الإمامة والولاية منزلة الأنبياء والأئمة(ع).

واطلاق كلمة (الخلافة) والوراثة يكفي لإثبات عموم المنزلة...

وهذا الدليل يخصّ أدلّة التنزيل، والأدلة التي تؤول إلى تنزيل الفقهاء منزلة الإمام المعصوم من الحكم والولاية.

وأما الأدلّة الأخرى الدالة على نيابة الفقهاء عن الإمام المعصوم(ع) في الحكم والولاية، فإن كانت من نوع الأدلة اللفظية التي تجري فيها مقدمات الحكمة... أمكن إثبات عموم النيابة للفقيه من الاطلاق مثل رواية «جعلته عليكم حاكماً».

وإن كانت الأدلة اللفظية التي لا تجري فيها مقدمات الحكمة... أمكن التمسك بالقدر المتيقن في عموم المنزلة، وعموم النيابة، فإن القدر المتيقن من النيابة هو في شؤون الولاية والحكم. والفقيه المتصدّي ينزل منزلة الإمام المعصوم في شؤون

الولاية والحكم، وهو القدر المتيقن من التنزيل والنيابة، والوحدة من شؤون إمامة المعصوم، فهي إذاً بالنيابة والتنزيل تكون من شؤون ولاية الفقيه المتصدّي في عصر الغيبة.

ولا يصح دعوى أنّ مساحة (البيعة) هي القدر المتيقن في ولاية الفقيه، أما المساحات الخارجة عن دائرة البيعة فلا تدخل في دائرة ولاية الفقيه المتصدي.... أقول لا يمكن قبول هذه الدعوى بوجه لعدم الخلاف بين الفقهاء في أنّ مساحة الولاية لا يجب أن تكون متطابقة مع مساحة البيعة، وتجب الطاعة إذا تمت البيعة للحاكم في مساحة مقبولة.

الدليل الخامس: النهي عن الاختلاف:

ورد في القرآن النهي عن الإختلاف والأمر باجتناب النزاع والخلاف في مواضع عديدة. نذكر منها آيتين: في سورة الأنفال ٤٦: ﴿**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾ وهي واضحة في المقصود، والحكم فيها معلل بأن النزاع من أسباب الفشل والضعف ﴿**فتفشلوا وتذهب ريحكم**﴾.

وفي آل عمران ١٠٣: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾ وهذه هي المقدمة الأولى في هذا الدليل.

والمقدمة الثانية: إن التعدد في الأنظمة والحكومات من الأسباب العادية للاختلاف وقد كان يعبّر قيام حاكم جديد وولاية جديدة بـ «شق عصا المسلمين».

ولا يصح نقض هذه المقدمة بالتعايش السلمي الموجود في الأنظمة في العالم، فإن هذا التعايش يتعرض بين حين وآخر لخطر التصدع، لا سيما في الدول المتجاورة والمتقاربة. وتاريخ البشرية الحافل بالحروب بين الأنظمة والتاريخ الإسلامي شاهد على هذه الحقيقة.

على أن النهي عن التفرق والاختلاف معنى أوسع وأشمل من الحروب والقتال.

والقرآن ينهى عن كل وجوه الاختلاف والتفرق التي تعيق وحدة الأمة ونموّها

وتكاملها، ووجود أنظمة وحكومات عديدة هو بالتأكيد مظنة الإختلاف والتفرق، وإلا لم يكن مظنة للقتال والحروب الدائرة بين الأنظمة وهذه هي المقدمة الثانية، وهي وجدانية.

والنتيجة المترتبة على هاتين المقدمتين هي حرمة التعدد في الأنظمة والحكومات، ما لم يكن هناك عنوان ثانوي يغلب العنوان الأول، ويقتضي تعدد الأنظمة والحكومات.

والوجه الفقهي لهذه النتيجة أن تعدد الأنظمة مظنة الاختلاف والتفرق، فتحرم من باب حرمة مقدمة الحرام.

أما بناءً على القول بالملازمة بين المقدمة وذيها في الوجوب والحرمة، فلا مجال للتشكيك فيه، ويتعين القول بحرمة هذه المقدمة لتبعية المقدمة لذيها في الحكم.

وأما بناءً على القول بعدم الملازمة، وهو الذي يختاره المتأخّرون من المعاصرين من فقهائنا غالباً... فإنّ العقل يحكم حكماً قطعيّاً بوجوب اجتناب المقدمة التي تفضي إلى الحرام، أو ما يكون في مظنة الإفضاء إلى الحرام، ويحكم بقبح ارتكابها. وحكم العقل يكفي في إلزام المكلف بالإرتكاب أو الإجتناب. وحكم الشرع إن كان، يكون من الإرشاد إلى حكم العقل.

على أن حكم هذا المورد بالخصوص يختلف عن حكم الأقسام الأخرى من مقدمات الحرام.

فقد قسم المحقق النائيني رحمه الله مقدمة الحرام إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول من لا يتوسّط بين المقدمة وذيها اختيار الفاعل... فإذا جاء المكلف بالمقدمة يقع ذو المقدمة وارد عليها حقيقة، فإنّها هي المقدورة للمكلف دونه[1]، رغم أن المحقق النائيني ممن يذهب إلى عدم الملازمة بين حكم المقدمة وذيها.

ولست أستبعد هذا الرأي، الذي ناقشه المحقق الخوئي رحمه الله. فإن الله تعالى

(١) راجع المحاضرات. ٢ / ٤٣٩ تقريرات ... آية الله الخوئي بقلم الشيخ اسحاق الفياض.

قد أمرنا بالوقاية من الحرام، وليس باجتناب الحرام فقط، يقول تعالى ﴿**قوا أنفسكم وأهليكم ناراً**﴾، والأمر في هذه الآية الكريمة بالوقاية من الحرام أمر نفسي، وليس من الأمر الغيري.

وعليه، يكون الاجتناب من مقدّمات مظنة الحرام التي تجعل الإنسان، بصورة قهرية، في مظنة الحرام من الواجب النفسي الذي تأمر به آية (الوقاية).

ومهما يكن من أمر ،فلا إشكال في وجوب الاجتناب عن هذا القسم من مقدمات الحرام، سواء كان ذلك من باب (التلازم) بين حرمة ذي المقدمة والمقدمة، أو كان من باب (المقدمات المفوتة) أو من باب الوقاية عن الحرام[1].

وعليه ،فيتعين الاحتراز عن حالة التعدّدية في الحكومات والأنظمة الإسلامية في العالم الإسلامي، بموجب العنوان الأولي في المسألة، إلاّ أن يتطلّب ذلك عنواناً ثانوياً غالباً على العنوان الأولي وهو أمر آخر، يبحث عنه إن شاء الله في دراسة أخرى.

(١) راجع بحوث في علم الأصول للسيد محمود الهاشمي. تقريرات السيد الشهيد الصدر رحمه الله ٢/ ٢٨٨.

الإسلام أيديولوجية الفقراء :

الإمام الخميني (قده) نموذجا

الدكتور محمد مورو

رئيس تحرير مجلة المختار الإسلامي. القاهرة

آلة شيطانية ضخمة، يرأسها بشر، تقتل الأطفال، تمتص دماء البشر، تعذب المرأة وتظلمها، تجتث جذور الثقافات، تنشر المذابح والتطهير العرقي، وحروب الإبادة، والطائفية والعنصرية، والإستعمار، النازية، الفاشية، العنف، القهر، تدمير القيم، نهب ثروات الشعوب والأفراد بلا رحمة وبلا هوادة، وفي كل يوم جديد يزداد جشع تلك الآلة الشيطانية حتى أنها بدأت تأكل نفسها وتنفصل حتى عن إطارها الإجتماعي لتصبح هي ذاتها مستقلة عمن صنعوها وخطراً عليهم أيضاً.

هذه الآلة الشيطانية هي بالتحديد النتيجة الحتمية للصعود الغربي، بدءاً من الكشوف الجغرافية والإستعمار وسباق الإعلام وانتهاءً بالبورصات العالمية التي تعمل ٢٤ ساعة في الـ ٢٤ ساعة والخبراء والحاسبات الضخمة والأقمار الصناعية والبث المباشر، البنك الدولي والغات وصندوق النقد الدولي ومجلس الأمن وقوات حفظ السلام الدولية! وأخيراً الشركات العابرة للقوميات والتي أصبحت ميزانية واحدة منها أكبر من ميزانية دول، ميزانيتها مجتمعة أكبر من ميزانية الولايات المتحدة الأميركية نفسها. إنه عصر الفوضى واللاثقافة واللاحضارة.

وضحايا هذه الآلة بالملايين، بل ألوف الملايين، شعوب كاملة، قارات كاملة، أطفال، نساء، رجال، حضارات، ثقافات، فقر، جهل، مرض، مدن الصفيح وإنسان بلا جذور، تخريب بحت للهياكل الإقتصادية والإجتماعية ليحل محلها كومة ضخمة من الخردة وأناس بلا مستقبل بل بلا حاضر أيضا.

هل نقول إن هذه الآلة الشيطانية.. نعم، ولكن أيضاً لا، لأنها أصبحت نفسها

أكبر من تلك المنظومة واستقلت عنها.

وليس هناك من حل بالطبع سوى تدمير هذه الآلة الشيطانية، بالثورة. ثورة المحرومين والفقراء والمهمشين والمقهورين في كل مكان، ثورة تضم كل ضحايا هذه الآلة، الأفارقة، السود، الشعوب المطحونة في آسيا وأمريكا اللاتينية، ضحايا تلك الآلة داخل الغرب نفسه كالمرأة مثلاً، المرأة الغربية التي دفعت ثمن الشذوذ والإباحية وتعاني آلاماً مبرحة من مجتمع بلا قيم ولا ضمير.

وعلينا الآن أن نحدد طبيعة هذه الآلة الشيطانية وكذا جذورها والمنظومة الإجتماعية التي أفرزتها، وكذلك تطرزاتها حتى وصلت الى حالتها الراهنة البشعة.

وإذا كان من المفيد أن نبدأ بشيء، فهو المنظومة الإجتماعية والحضارية التي أفرزت تلك الآلة الشيطانية، وهي المنظومة الحضارية الغربية التي أعطت تلك الآلة سماتها الثابتة والمتغيرة أيضاً، والحضارة الغربية حضارة تقوم على الوثنية والعنف والقهر، ولا يمكن فهم هذه الحضارة ولا ميكانيزمات عملها بعيداً عن سمات العنف والقهر والوثنية. الحضارة الغربية هي حضارة إغريقية هيلينية في جوهرها، أما المسيحية فلم تكن إلا قشرة خارجية لتلك الحضارة، ذلك أن المسيحية تحولت الى دين إغريقي وثني داخل الغرب ولم يتحول هذا الى المسيحية، وعلينا أن ندرك في هذا الصدد أن المسيحية دخلت الى الغرب عن طريق أمبراطور آمن بها وفهمها على طريقته ثم فرضها على شعبه فرضاً، ثم تبنت ممالك أخرى هذه الديانة وأكرهت الآخرين على اعتناقها وإلا تعرضوا للذبح، وليس التنصير الوحشي للساكسونيين على يد القديس يونيفاس إلا مجرد نموذج ينطبق على كل الحالات تقريباً. وهكذا تحولت المسيحية الى ديانة إغريقية، وبدلاً من التسامح المسيحي، أصبح العنف جزءاً أصيلاً من المسيحية الغربية. وحتى اليوم يتم تنصيب بابا روما وفقاً لقواعد البروتوكول الخاص بتنصيب كهنة المعابد الإغريقية.

أضف الى هذا، أو قل نتيجة لهذا، فإن الكاثوليكية لعبت دوراً هاماً في الإستعمار الغربي للعالم، وكانت دائماً طليعة للإستعمار، وباركت دائماً أو شاركت

في قهر الشعوب الأخرى على يد الغرب في مرحلته الإستعمارية، حتى أن الإستعمار في رموزه كان عبارة عن عسكريين وتجار ومبشرين! والبروتستانتية لم تكن إلا تطوراً في المسيحية الإغريقية واكب مرحلة أخرى من مراحل تطور آلة العنف والقهر الغربي ولم تكن إصلاحاً دينياً بل كانت وصفة عالمية للنجاح في الأعمال التجارية، ولم تكن عقلانيتها المزعومة إلا نفعية حقيقية. وباختصار، كان الإقتصاد السياسي هو الديانة البروتستانتية الجديدة. ولا ننسى أن المسيحية الغربية التي أصبح العنف سمتها الرئيسية ارتبطت بالمذابح الدينية والحروب الطائفية ومحاكم التفتيش!.

مع الصعود الغربي إبان ما يسمى بعهد النهضة الأوروبية، بعثت الثقافة الإغريقية والهيلينية، وتم بعث الدول والفكرة القومية وظهرت البروتستانتية لتلائم قيم العقلانية والتنوير والنفعية، وأصبحت ديانة جوهرها الإقتصاد السياسي وبدأت مرحلة الإستعمار، أو ما يسمى بسباق الإعلام حيث تسابقت الدول الأوروبية على استعمار العالم. ومن خلال إبادة شعوب أمريكا وأستراليا، ومن خلال نهب ثروات تلك القارات المكتشفة، وكذا نهب ثروات الشعوب في آسيا وإفريقيا، تم استرقاق سواعد السود لبناء القاعدة الإنتاجية للغرب، ومن هذا التراكم للثروات المنهوبة واستخدام الرقيق تراكمت الأموال، وظهرت بنوك لتمويل عمليات الإسترقاق أو التجارة خلف البحار، وظهرت الثورة الصناعية أو التقدم الصناعي الغربي والرأسمالية التي أصبحت منذ تلك اللحظة سمة رئيسية من سمات الآلة الشيطانية، من سمات الغرب والحضارة الغربية. ويجب أيضاً أن نضع في اعتبارنا أن الرأسمالية أيضاً أصبحت أداة قاسية وحادة في المزيد من الإستعمار وفتح الأسواق والنهب والقهر وتطوير الآلة العسكرية للغرب. ومع عام ١٩١٤ كان معظم العالم خاضعاً للإستعمار الأوروبي، ولكن كان من الطبيعي أن الآلة الشيطانية لا تكف عن العنف، فبعد أن مارست هذا العنف والنهب على العالم بأسره مارسته أيضاً مع نفسها، فكانت الحرب العالمية الأولى والثانية.

واستطاعت الآلة الغربية الشيطانية أن تطور نفسها، فكانت مرحلة ما يسمّى

بتصفية الإستعمار، أو قل مهزلة تصفية الإستعمار، ذلك أنه لم يكن أكثر من تطوير الوسائل في عملية النهب والقهر الغربية المستمرة.

ويعبر المفكر الفرنسي (ك . موريل) عن ذلك قائلاً: «إن أروع ما حققه الإستعمار هو مهزلة تصفية الإستعمار، لقد انتقل الرجل الأبيض الى الكواليس، لكنه لا يزال مخرج العرض المسرحي».

وبدلاً من العسكر والتجار والمبشرين، أصبحت هناك حكومات وطنية تقوم بمهمة القهر نيابة عن عسكر الغرب وتقوم أيضاً بالوكالة بتسهيل عملية النهب، أصبح هناك جيش وطني وشرطة وطنية مهمتهما الوحيدة هي القمع والقهر، وأصبح هناك وكلاء تجاريون يمررون عملية النهب، وأصبح هناك مثقفون مغتربون يساهمون في اجتثاث جذور الثقافة الوطنية وترويض الإنسان المحلي وتنويمه دائماً.

تطورت آلة النهب والقهر، فأصبحت عبارة عن خبراء وبورصات عالمية تعمل ليلاً ونهاراً، أقمار اصطناعية ومحطات بث مستمر لاجتثاث الثقافات، مجلس أمن وقبعات زرقاء، شركات عابرة للجنسيات، شعارات ومبادئ تسهل عملية النهب وتزيده قوة مثل حرية التجارة، حقوق الإنسان، التنمية، التصنيع، التنوير.. إلخ.

والأمر الآن أشبه بمركز كبير للنهب تمتد منه شبكة ضخمة من الأنابيب الى كل مكان على وجه الأرض، إنه وحش مفترس يمد خراطيمه في كل اتجاه يمتص دماء الآخرين، ويتغذى على خلاياهم العصبية ويحولهم الى حالة غير مسبوقة من البؤس، وهناك آلات دفع ضخمة تساهم في سرعة تدفق الثروات المنهوبة مثل البنك الدولي، البورصات، حرية التجارة، المؤتمرات العالمية، مجلس الأمن.. إلخ، وحتى القروض والمنح التي تمنح للمنهوبين من وقت لآخر ليست إلا وسيلة لتنظيف أنابيب النهب وزيادة كفاءتها والمزيد من بناء وتشييد محطات لرفع الثروات المنهوبة والقضاء على أية نتوءات اقتصادية أو ثقافية أو هياكل اجتماعية تعرقل أو تبطئ عملية النهب.

وفي كل يوم يزداد الوحش جشعاً ويزداد جوعه، وفي كل يوم تتطور الآلة، آلة النهب والقهر الوحشية، وتزداد شراهته ويزداد الضحايا كماً ونوعاً بالتالي، وآخر التطورات في هذا الصدد هو الشركات العابرة للجنسيات، وبدلاً من أن تقوم بعملية النهب دول قومية، هولندا ثم انكلترا ثم الولايات المتحدة مثلاً. أصبحت الفكرة القومية وسيادة الدول ذاتها في مهب الريح، وإذا كانت تلك الشركات العابرة للجنسيات اليوم يمثل رأس مال إحداها أكبر من ميزانية دولة، وتمثل ميزانيتها مجتمعة أكبر من ميزانية الولايات المتحدة الأمريكية ذاتها فإن الأمر مرشح للإتساع في هذا الإتجاه.. وهكذا، فنحن أمام تطور جديد لشكل وطبيعة النهب سيؤدي بالضرورة الى قيام علاقات جديدة واقتصاد سياسي جديد، ومزيد من الضحايا، ولن يفلت منه هذه المرة حتى الغرب ذاته، فالأمر أصبح أكبر من الدول القومية وحتى من قارة بأكملها.. إن الوحش أصبح غير خاضع لأحد ولم يعد له مروضون أو مسيطرون.. إنه المزيد من البؤس.. والفوضى والجنون أيضاً.

إن إحدى علامات هذه الفوضى هي تنميط الإنسان وفقاً لثقافة واحدة، وإذا كان الغزو الثقافي والبث المباشر وغير المباشر وسيطرة الغرب على وسائل مهيمنة لنشر ثقافة معينة كان بهدف اجتثاث جذور الثقافات الأخرى وتحويل الإنسان من خاضع بالقوة للنهب الى مدمن لهذا النهب بمعنى أن يسعى هو نفسه الى الوحش مصاص الدماء ويطلب منه ويلح على أن يمص دمه، فإن الأمر سوف يصل الى العالم بلا ثقافة على الإطلاق أو نهاية العالم... ولكن ينبغي أن يكون نهاية الغرب وحده وليس نهاية العالم، وهذا يقتضي الثورة لتحطيم الآلة الشيطانية.

على أية حال، يجب أن نفكر في معنى العالمية، الثقافة العالمية، وأن نفكر في ما يروّجون له من قيم حضارية واحدة وغيرها، وأن نديم التأمل في معنى أن مراكز البث الإعلامي الغربي تسيطر على إذاعة الأخبار والمعلومات والفنون، وبالتالي، المشاهد والأذواق والأوامر، في إطار تغريب بالقوة بهدف قتل واقتلاع جذور الثقافات الأخرى، وأيضا هو في النهاية معاداة لكل ثقافة، لأنه في عالم ذي ثقافة واحدة لا ثقافة على الإطلاق، إنه عصر القرود والكائنات المنحطة.

سنبحث الآن الضحايا من جهة.. والمستفيدين من جهة من آلة القهر والنهب الشيطانية.. مع الأخذ في الإعتبار أن الضحايا يزدادون دائماً كماً ونوعاً، وأن المستفيدين يقلون باستمرار لأن الآلة الشيطانية تزداد شراهة بمتوالية هندسية. وسنبحث عن حل أيضاً.. سنبحث عن العدل المفقود وهو بحث الإنسان الدائم.

وسنبدأ بسؤال: هل يمكن إقناع المستفيدين بالكف عن النهب والقهر؟ هل يمكن إيقاف عمل الآلة الشيطانية عن طريق الإقناع، أي هل يمكن تحقيق عدل شامل أو حتى جزئي بالطريق السلمي؟ والإجابة الوحيدة هي (لا).. لأن طبيعة الآلة وجوهرها عدواني، قهري، نهبي، ومن العبث طبعاً إقناع الوحش بالكف عن امتصاص الدماء.

إذاً، لا طريق إلا الثورة، ولكن ما هي إيديولوجية تلك الثورة، والى أي جذر اجتماعي وثقافي تستند، ومن هم جنودها؟ وهذا السؤال سوف نجيب عنه بعد فرز المعسكرين، معسكر الإستكبار وكهنة الآلة الشيطانية، ومعسكر الضحايا وبالتالي جنود الثورة.

وسنبدأ في دراسة معسكر الإستكبار والمستفيدين، وسوف نرجع قليلاً باتجاه الماضي.. في بداية الإستعمار كان من الممكن أن نجد في المستفيدين دولاً قومية، أو حتى طبقات اجتماعية فقط داخل هذه الدول الإستعمارية، التجار، البرجوازية الصناعية، العسكر، المبشرين.. أما الآن ومع التطور الهائل للآلة الشيطانية مع الشركات العابرة للجنسيات ومع ازدياد شراهة آلة النهب والقهر لم يعد هناك سوى كبار رجال المال وأصحاب الشركات العابرة للجنسيات والجنرالات الكبار وأصحاب البنوك الكبرى وشبكات البث، وعلى مستوى أقل الخبراء، المثقفون المغتربون الذين يبيعون كلماتهم لقاء شيء من دماء الفريسة، والمرتبطون بالترويج للآلة الشيطانية، الوكلاء التجاريون والحكام المحليون في العالم المستضعف الذين يشاركون في ذبح شعوبهم ونهبها لقاء ثمن كبير أو صغير.

أما معسكر الضحايا فهو كل الشعوب المقهورة والمنهوبة في آسيا وأفريقيا

وأميركا اللاتينية، وهو أيضاً المرأة في الغرب التي حولتها الآلة الى سلعة تجارية والتي أتعسها السباق الإجتماعي الغربي الذي يسمح بالشذوذ، فمثلاً لو كان هناك ٣٠٪ من هذه المجتمعات شواذ وهؤلاء يستهلكون مثلهم في إشباع شذوذهم، فماذا يبقى للمرأة الغربية سوى العنوسة والحرمان، ثم لماذا تتحمل المرأة مثلاً عبء الجنين غير الشرعي وحدها وحتى لو كان هناك حديث عن إجهاض آمن.. ليس هناك طبعا إجهاض آمن لأنها عملية جراحية في النهاية لها آثارها الصحية مهما كانت الوسائل الصحية متقدمة، أليس هذا دليلاً على الظلم الواقع على المرأة، لماذا لا تحتفظ بجنينها ويتحمل الرجل معها أعباء ولادته وتربيته بدلاً من اجهاضه وقتله. المرأة إذن في الغرب ضمن معسكر الضحايا وضمن جنود الثورة، والطبقة العاملة الغربية وصغار الموظفين والعاطلون أيضاً والأطفال اللقطاء، كل هؤلاء جنود في الثورة لأنهم ضحايا. وإذا كان الغرب في مرحلة تاريخية من تطور آلة النهب والقهر قد نجح في رشوة البروليتاريا وتحييدها بالتالي عن طريق شيء من المكاسب الإقتصادية والإجتماعية فإن استمرار تطور الآلة، وبالتالي، زيادة جشعها ونهمها اللانهائي سيجعل من المستحيل استمرار تقديم هذه الرشوة، وبالتالي، فإن هؤلاء الآن أو غداً سيجدون أنفسهم في معسكر الثورة. ويجب الأخذ في الاعتبار هنا تزايد معدلات البطالة والتخلص من العمالة باستمرار في الغرب، وهذا أمر مرشح للإتساع والتفاقم.

بقي علينا أن نبحث في أيديولوجية تلك الثورة، وينبغي في البدء أن نقرر حقيقة لا يمكن الشك فيها من منظور فلسفي ومن منظور واقعي وتجريبي أيضاً، ذلك أن أيديولوجية أي ثورة لا يمكن أن تكون مستمدة من نفس الأرضية الإجتماعية والفلسفية بل والمعرفية التي نشأت فيها الأوضاع التي سوف نثور عليها، ولعل هذا بالتحديد كان السبب في فشل تجربتين ثوريتين هما الثورة الإشتراكية الماركسية، ولاهوت التحرير المسيحي في أميركا اللاتينية. ولا شك الآن - من منطلق تجريبي ومعرفي - في أن ثورة تستند في أساسها الأيديولوجي والثقافي الى ثقافة أفرزت الحالة التي ينبغي الثورة عليها، هي ثورة زائفة، بل هي تكريس

وتقوية للأوضاع التي يجب الثورة عليها. لا بد إذاً من أن تكون الأيديولوجية الثورية نابعة من سياق ثقافي مخالف بل ومعادٍ للأرضية الفلسفية والثقافية التي أفرزت الحالة والظاهرة التي تستهدف الثورة الاطاحة بها.

فالماركسية مثلاً نشأت من قلب الفلسفة الأوروبية، وبالتحديد الألمانية، واستندت في تحليلها الإقتصادي والتاريخي الى علم الإقتصاد السياسي وعلم التاريخ الغربي والأوروبي بالتحديد، ولذلك فشلت، وما كان لها إلا أن تفشل بل إن فشلها الطبيعي كان دليلاً جديداً على فساد المنظومة الحضارية الغربية برمتها.

يقول المفكر الفرنسي (سيرج لاتوش) في كتابه تغريب العالم: «إن الإشتراكية كما تحققت في الواقع ليست سوى شكل خاص مختلف من النظم الرأسمالية والمجتمعات الغربية، فنحن نلقى بكل تأكيد التصنيع مع التمدن وتحويل الجماهير الى بروليتاريا، بوجه خاص عبادة الآلة والتقنية والعلم والتقدم واستئناف مشروع الحداثة المتمثل في قهر الطبيعة.. إنها نفس ميكانيزمات الرأسمالية».

ويقول: «الرأسمالية مجرد آلية – طبيعية عند الليبراليين، اصطناعية عند الإشتراكيين، وبالتالي، فالرأسمالية هي الليبرالية والاشتراكية معاً، وهي مظهر من مظاهر الخصوصية الغربية للغرب»، ويضيف «أن النموذج السوفياتي مثل شكلاً مختلفاً للمشروع الغربي أكثر مما مثل بديلاً حقيقياً له».

ويقول المفكر الإنكليزي (أرنولد توينبي): «إن المنافسة بين الإتحاد السوفياتي – السابق – والولايات المتحدة على زعامة العالم وبين الشيوعية والمذاهب الحرة بالتالي على اجتذاب ولاء البشرية، هي موضوع نزاع عائلي داخل أسرة المجتمع الغربي».

وللأسباب نفسها كان من الطبيعي أن تفشل أيضاً مسألة لاهوت التحرير المسيحي في أمريكا اللاتينية وأن تكون ثورة زائفة أيضاً، لأن جذورها الثورية نبعت من نفس المنظومة الحضارية الغربية ومن نفس الوضع الإجتماعي الذي كان ينبغي الثورة عليه. فلاهوت التحرير المسيحي في أمريكا اللاتينية ينبع من

الكاثوليكية وهي مسيحية غربية وجزء من المكون الثقافي والحضارى الغربي تحمل نفس سماته وعيوبه أيضاً، بل أكثر من هذا فإن الكاثوليكية بالتحديد تتحمل جزءاً كبيراً من جريمة استعمار أمريكا اللاتينية وما حدث فيها من إبادة للسكان الأصليين ثم نهب مستمر في ما بعد لثرواتها وشعوبها، وفي هذا الصدد يقول سمير مرقص في مقال له في مجلة القاهرة عدد يناير ١٩٩٤ تحت عنوان «تجربة لاهوت التحرير» «كانت الكنيسة الكاثوليكية جزءاً من المشروع الكلي لغزو واستعمار شعوب القارة الجديدة وقد ساهمت الكنيسة بفاعلية في فرض القانون الإستعماري على المواطنين الأصليين للقارة اللاتينية، ومن المعروف تاريخيا أن البابا الكسندروس السادس هو الذي قضى بتقسيم القارة الجديدة بين الأسبان والبرتغال».

كانت الدودة إذن داخل الثمرة في كل من الثورة الإشتراكية ولاهوت التحرير المسيحي في أمريكا اللاتينية لأنها نتجت من الشجرة نفسها التي كان ينبغي أصلاً قطعها وحرقها، وكان من الطبيعي أن تفسد الثمرة.

وعلينا إذن أن نبحث عن جذر أيديولوجي للثورة العالمية على الآلة الشيطانية آلة النهب والقهر الغربية خارج شجرة الحضارة الغربية.

ينبغي إذن أن تكون ثورة تستند الى ثقافة مغايرة، وذات جذر حضاري مختلف، وبما أن جنود الثورة هم كل شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية بل والمرأة والعمال، والعاطلون وصغار الموظفين في أوروبا وأميركا، فإن أيديولوجية الثورة ينبغي أن تستند الى حضارة ذات قيم عالمية، ولا شك بأن الإسلام هو وحده الذي يمتلك كل هذه الخصائص التي ترشحه لأن يكون جذراً ثقافياً لتلك الثورة، فالحضارة الإسلامية حضارة عالمية بكل المقاييس، فمن ناحية، فالخطاب الإسلامي لم يوجه الى منطقة جغرافية أو عرق بشري معين بل للعالم كله ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾، ومن ناحية أخرى، فإن الحضارة الإسلامية ساهم فيها الأسود، الأصفر، والأبيض والأحمر، الأفريقي والآسيوي والأوروبي، التركي والهندي

والعربي والفارسي.. الخ.. وإذا كانت التجربة قد أثبتت أن تلك الحضارة استوعبت مساهمات الجميع فكانت عالمية بالتجربة، وأن خطابها عالمي في أصله، فإنها وحدها القادرة مرة أخرى على احتضان الثورة العالمية الجديدة وأن تكون جذراً أيديولوجياً لها.

وكذلك، فإن الحضارة الإسلامية – انطلاقاً من الإسلام – لم تحاول إكراه أحد على اعتناق الدين الإسلامي «لا إكراه في الدين»... ومن هنا، نجد أنه ما زال في العالم الإسلامي أقليات مسيحية ويهودية..إلخ.. بل نجد أن تلك الأقليات من خلال جو التسامح اندمجت في الحضارة الإسلامية دون أن تدخل الإسلام، مما يدل على أن الإسلام - وهو دين رباني – يمكن أن تكون حضارته وثقافته أيديولوجية لغير المسلمين.

نلاحظ أن الحضارة الأوروبية غير عالمية رغم زعمها وترويجها لهذا المصطلح، لأن العالمية تقتضي معايير عالمية، ولا يمكن لحضارة أفرزت العنصرية ونهب الآخر أن تكون عالمية، ولا يمكن لحضارة قامت على استلاب الآخر وقهره أن تكون عالمية.

وبالإضافة إلى ما سبق، فإن الإسلام لم يعرف العنصرية «كلكم لآدم وآدم من تراب» «لا فرق بين عربي وأعجمي ولا اسود ولا أبيض» وكذلك دعا الى استثمار البيئة وليس قهرها، ودعا الى العدل والإنصاف والحرية، فالجهاد الإسلامي مثلاً يتوجه لإزالة القهر والنهب وتحقيق الحرية دون أن يكون فرضاً للإسلام على الآخرين، وبالتالي، فالتراث الثوري للإسلام عظيم جداً، وهذا التراث الثوري يجعل الإسلام صالحاً كجذر لإيديولوجية الثورة العالمية، فإذا كان الجهاد هو في حد ذاته ثورة على الظلم والقهر والنهب وإزالة الإستكبار والإستبداد ومحكوماً أيضاً باعتبارات وقيم رفيعة بحيث لا يكون هناك عدوان إلا على الظالمين ﴿**قاتلوهم حتى لا تكون فتنة**﴾ فتنة الظلم والكفر والنهب، والقهر، ﴿**فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين**﴾. فغايات الثورة الإسلامية، وبالتالي، العالمية هي القضاء على النهب والقهر والعنصرية والتغريب وتدمير الآلة الشيطانية الغربية وتحقيق العدل

والمساواة واللاعنصرية بل والمجتمع اللاطبقي واحترام كرامة الإنسان، أليست المبادئ الإسلامية نفسها.

وكراهية الظلم - بل وجعل الثورة عليه فريضة إسلامية - هي من الأمور المعلومة من الإسلام تماماً «وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان» وفي الحديث القدسي «..وانتقمنا ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل» أي أن رؤية الظلم ولو على الآخرين وعدم الثورة على الظالم إنصافاً للمظلوم أمر يستوجب انتقام الله تعالى وغضبه.

ويقول الرسول (ص) «لا يقفنّ أحدكم موقفاً يقتل فيه رجل ظلماً فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يرفعوا عنه».

وفي إطار الآداب والقيم المعروفة للثورة والجهاد الإسلامي «إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم».

والتراث الإسلامي نصوصياً وحضارياً غني بالدعوة الى الثورة على الظالمين وفق قيم وآداب رفيعة تحول بين الخلط بين الثورة والفتنة والبغي، وتحدد هدف الثورة «الظالمين». ولا شك في أن آلة النهب والقهر الغربي وهؤلاء المستفيدين بها ظالمون جائرون لهم ضحايا ومظلومون بالملايين والأمر يستحق الثورة. وحتى في إطار إنصاف الفقراء والمحرومين وتحقيق العدل الإجتماعي، فإن التراث الإسلامي غني بالنصوص والمواقف والرؤى والمناهج التي تجعل منه جذراً ثقافياً لأيديولوجية الثورة العالمية ثورة الفقراء والمطحونين والمحرومين «ليس منا من بات شبعان وجاره جائع» والجار هنا قد يكون فرداً أو أسرة أو دولة أو قارة أو حتى كوكباً «من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، من كان عنده فضل مال.. أو فضل زاد أو ملبس.. إلخ.. فليعد به على من لا مال له.. إلخ» وهي دعوة لتحقيق المجتمع اللاطبقي، ودعوة أيضا للثورة على هؤلاء الذين يمنعون ما زاد عن حاجتهم في حين يحتاج إليها الآخرون.

وعلي بن أبي طالب يقول: «ما متع غني إلا بما حرم منه فقير» أي أن تراكم المتعة

والغنى والمال يأتي من سرقة حقوق الفقراء، سواء بسوء توزيع الثروة المتاحة – السرقة من المنبع – أو بأكل فائض قيمة عمل هؤلاء الفقراء بإعطائهم أقل من حقهم في عملهم وكدحهم، أو بتعطيلهم عن العمل أو الفساد والرشوة.. الخ.

وأخيراً ،قول أبي ذر الغفاري رضى الله عنه: «عجبت لمن لم يجد قوت يومه ثم لا يخرج على الناس بسيفه»، وهو يؤكد هنا وجوب ومشروعية ثورة الفقراء والمحرومين. وهكذا، فالإسلام من حيث عالميته، ومن حيث كونه ثقافة مغايرة ومعادية للثقافة والحضارة الغربية، ويحكم نصوصه وتراثه الثوري عموماً والدعوة الى ثورة الفقراء والمحرومين خصوصاً، يصلح كجذر أيديولوجي للثورة العالمية المنشودة.

ويبقى هنا أن يضطلع علماء الإسلام بعبء الثورة العالمية كجنود لها وكطليعة أيضاً ليأتي المطحونون والمحرومون في العالم وأن يضطلعو أيضاً بتقديم الإسلام كأيديولوجية للثورة العالمية، وأعتقد أن الإسلام كدين وكحضارة وأيديولوجية يمكن أن يحرك المسلمين للثورة، وهو أيضاً كحضارة قادرة على تحريك كل هؤلاء المنتمين الى الحضارة الإسلامية من مسلمين وغير مسلمين باتجاه الثورة العالمية، وهو قادر كأيديولوجية ثورية على تحريك كل البشر بمن فيهم حتى أبناء الحضارة الغربية – المرأة والعمال وغيرهم – باتجاه الثورة العالمية، والأمر هنا ليس تفضيلاً بلا مبرر للإسلام على غيره، بل لأن الثقافات التي نحترمها ولا نريد القضاء عليها هي ثقافات إما غير ثورية أصلاً، أو أنها غير عالمية، أو أنها غير قادرة من الناحية الفلسفية على مواجهة ناجحة مع الحضارة الغربية، وبالتالي، مع آلة النهب والقهر الغربي. إن الأمر ليس أكثر من قراءة علمية محايدة، قراءة تقول بأن عدة قرون من الظلم والقهر والفقر والنهب والبؤس على يد الحضارة الغربية وآلتها الشيطانية ينبغي أن تنتهي، ولن يكون ذلك إلا بالثورة التي يشارك فيها كل الضحايا وهذه الثورة تحتاج الى جذر ثقافي وأيديولوجي لا بد أن يكون عالمياً ومعادياً للحضارة الغربية في الوقت نفسه ويحمل تراثاً ثورياً واضحاً، وليس هناك إلا الاسلام كدين وكحضارة للثورة، الذي يمكنه أن يكون هذا الجذر الثقافي للثورة العالمية المنشودة.

الإمام الخميني نموذجاً

الإمام الخميني، فكراً وسلوكاً وثورة، يؤكد أن الإسلام هو الأيديولوجية البديلة، ولا يمكن، بالتالي، إنقاذ العالم إلا عن طريق الإسلام، ولا بد للثورة العالمية من جذر ثقافي إسلامي، وبالطبع، فإن هذه الفكرة، فكرة أن الاسلام هو أيديولوجية الفقراء والمستضعفين والطريق الوحيد لإنقاذ العالم من ويلات الحضارة الغربية، وخاصة في مرحلتها الأخيرة، مرحلة سيادة الرأسمالية، هذه الفكرة كانت تواجه عدداً من المعضلات على المستوى النظري والتطبيقي، ولا شك بأن الثورة الإسلامية في إيران التي فجرها الإمام الخميني، استطاعت أن تحل على المستوى التطبيقي والنظري هذه المعضلة، فمن ناحية، فإن قدرة الإمام الخميني من خلال الخطاب الإسلامي على تحريك الجماهير، وبالملايين، أثبتت أن الخطاب الإسلامي أو الايديولوجية الإسلامية قادرة على تحريك أوسع الجماهير، مسلمين وغير مسلمين، ليس تحريكهم فحسب، بل وحشدهم وتأطيرهم ودفعهم للمواجهة مع أعتى الانظمة والديكتاتوريات وقوى الشر والبغي، عالمياً ومحلياً، ومسيرة الثورة الإسلامية في إيران منذ اندلاعها على يد الإمام الخميني ورفاقه تؤكد أن الإسلام يمتلك منظومة تحريضية قادرة على تحريك الجماهير بل وتحقيق انتصار هذه الجماهير على أعتى القوى.

انتصار الجماهير الإيرانية تحت راية الإسلام عام ١٩٧٩ على نظام الشاه والسافاك، لم يكن مجرد انتصار على أفظع النظم الديكتاتورية على الإطلاق، بل كان انتصاراً على الغرب وأمريكا وإسرائيل بالتحديد، أي أن الإمام الخميني بانتصاره عام ١٩٧٩ قد أعطى الجماهير في كل مكان زاداً هائلاً من الأمل وأثبت أن بالإمكان - عن طريق الخطاب الإسلامي والجماهير - الإنتصار على أميركا وإسرائيل، وأنه إذا كان الفقراء والمستضعفين وضحايا الحضارة الغربية عموما قد يئسوا من إمكانية الإنتصار على الرأسمالية بالأفكار الشيوعية أو الإشتراكية أو لاهوت التحرير المسيحي أو غيرها، فإن انتصار الثورة الإسلامية في إيران قد أعاد الى هؤلاء الثقة بإمكانية استمرار النضال الثوري ضد الإستكبار والنهب.

إذا كان الإمام الخميني قد فجر الثورة، فإن قدرة الثورة على إدارة اقتصاد إيران في مواجهة تحديات دولية، تثبت أن هناك طريقاً ثالثاً غير الرأسمالية والإشتراكية يمكن أن تطبقه الدول والشعوب في إدارة مواردها ويحقق تنميتها، وهكذا، فإن الثورة الإسلامية، وبالتالي، الإمام الخميني أثبت أن بالاسلام منظومة اقتصادية متكاملة تقوم على أسس مختلفة شكلاً وموضوعاً عن الرأسمالية والإشتراكية.

- إن الإمام الخميني حين فجر الثورة وقاد الجماهير، فإنه قد أثبت، بما لا يدع مجالاً للشك، أن هناك استمراراً وتواصلاً في الحضارة الإسلامية، وأن التواصل الحضاري الإسلامي لم ينقطع، وبالتالي، فإن الحديث عن جذر ثقافي داخل المنظومة الحضارية الإسلامية للثورة العالمية ضد الإستكبار هو حديث حقيقي ويستند الى أصول علمية سليمة، وقد كان من أراجيف ومزاعم الإستكبار دائماً أن الإسلام ليس ديناً وأنه لم يفرز حضارة، أو أنه دين وحضارة نعم، ولكن حدث انقطاع في التواصل الحضاري الإسلامي، ولكن الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني قد ردت على تلك المعضلة الفكرية، وأثبتت أن الإسلام دين حضارة وأيديولوجية للثورة، وجذر ثقافي وحضاري للثورة العالمية على الإستكبار.

- على المستوى الإستراتيجي، فإن إسقاط نظام الشاه في إيران على يد الإمام الخميني، قد عجل بانهيار الشيوعية وأضعف في الوقت نفسه جبهة الغرب الإستكباري بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة والعالم.

- إن الإمام الخميني، قد حقق على مستوى النظرية والتطبيق، تقدماً هاماً على صعيد الثورة العالمية ضد الإستكبار، وذلك بالتحامه الفكري والعمل بالجهاد والنضال ضد إسرائيل، فهو أولاً قد كشف الطبيعة الإستكبارية للكيان الصهيوني، وهو أول من حرك الملايين باتجاه الاهتمام بالقضية، وإذا كانت إسرائيل وكيلاً عن الإستعمار والإستكبار الدولي، ومفرزة أمريكية متقدمة، فإن الإمام الخميني قد وصفها بالغدة السرطانية، وهو بذلك قد عرفها التعريف الصحيح، وكذا، فإن الدعم

الثوري للإمام الخميني شخصياً وللثورة الإيرانية عموماً لحركات الكفاح ضد إسرائيل، وللقضية الفلسطينية عموماً، ودعم صمود سوريا ولبنان ويوم القدس، وغيرها من أشكال الدعم الفكري والسياسي والمادي، لآلية الجهاد ضد إسرائيل، هي جزء من تحقيق الثورة العالمية باعتبار أن إسرائيل من أهم ركائز الإستكبار الدولي.

- وبالطبع، فإن الآثار السياسية والثقافية للإمام الخميني شخصياً، داخل حقل المعرفة الإسلامية، وحقل الثورة الإسلامية، ومواقفه وأفكاره الإسلامية مع الحرية ضد الإستبداد، مع الثورة ضد الخضوع، مع العدل ضد الظلم، تمثل بدورها تثويراً للفقه السياسي الإسلامي المعاصر، وهذا بدوره يصب في النهاية في خانة الثورة العالمية على الإستكبار ودعماً للمستضعفين في كل زمان ومكان.

•

الجلسة الختامية

● **كلمة** رئيس المؤتمر سماحة الشيخ نعيم قاسم.

● البيان الختامي

الكلمة الختامية لرئيس المؤتمر

سماحة الشيخ نعيم قاسم

نائب الأمين العام لحزب الله

قبل بيان تلاوة المؤتمر أحببت أن أتحدث لخمس دقائق حول المؤتمر بشكل عام، خاصة أني شعرت خلال الجلسات التي انعقدت واللقاءات المتواصلة بين الإخوة جميعاً بأننا في جو عائلي حميم، وشعرت باستئناس خاص بهذه اللقاءات المباركة. لا أريد أن أتحدث عن تقييم المؤتمر، فأنتم الأساس في تقييم إيجابياته وسلبياته ونجاحاته وغير ذلك. هذا أمر يعود للمؤتمرين، وإن شاء الله سنأخذ استمارة التقييم حتى نستفيد منها وحتى يستفيد غيرنا أيضاً إذا أحب أن يعقد مؤتمرات أخرى على غرار هذا المؤتمر أو بعناوين أخرى.

وأريد أن أشكر من كل قلبي كل الذين شاركونا في الكلام والحضور والمساعدة والتعاون ،لأنكم، كما تعلمون، أن مثل هذا المؤتمر يحتاج الى جهود طويلة حتى ينجز في الصيغة التي أنجز فيها، وقد بدأنا من أول فكرة للمؤتمر بتاريخ الخامس من آب، يعني أن عمر هذا المؤتمر ثلاثة أشهر ونصف، حاولنا أن نجتاز الكثير من العقبات لأننا كنا نعتقد في البداية أن المدة غير كافية، ولذا عقدت لجنة المؤتمر خلال عشرة أيام حوالى ثماني جلسات لتهيئة المادة الأولى التي أرسلت للباحثين والتي تتضمن العنوان الرئيس والمحاور الخمسة وبعض التعليمات الموجودة، خاصة للذين قدموا من الخارج، لأن المخاطبة معهم تحتاج الى تفاصيل خاصة، وعبر وسائل الإتصال. والحمد لله، كان الإخوة الذين شاركوا بشكل أساسي في لجنة المؤتمر حفظاً لجهودهم. طبعاً، عند الله كل شيء يسهل، لكن لكل واحد منهم جهد معين. سماحة الشيخ علي دعموش كان رئيس اللجنة العلمية. وأعتقد أن المؤتمرين يعرفونه جيداً، بسبب الإتصالات الدائمة والتذكير والهاتف والفاكس والتأخّر

والتقدم. سماحة الشيخ علي خازم والأخ الحاج محمود قماطي، وكلاهما كان معنياً بالشؤون التنظيمية للمؤتمر في ما يتعلق باستقبال الوفود وتهيئة المقدمات والإشراف على ما يجري في داخل الفندق والغرف والقاعات وتنظيم الأمور الداخلية. والأخ الحاج علي فياض (رئيس المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق) كان معنياً بشؤون المطبوعات وإعداد المواد، والسيد خضر الموسوي معنياً بالشؤون الإعلامية وتهيئة المواد المناسبة لذلك. الدكتور طلال عتريسي كان مشاركاً في اللجنة المركزية وكذلك في اللجنة العلمية. الشيخ عبد الناصر الجبري كان أيضاً مشاركاً في الإتصالات التي أجريت ،وخاصة في زيارة رؤساء الطوائف، وكان عضواً في اللجنة المركزية ومشاركاً مباشراً، الأخ رودباري من سفارة الجمهورية الإسلامية أيضاً كان معنا من اللحظة الأولى، وشارك بشكل مباشر. الأخ أحمد فياض كان أميناً للسر، وكان يتابع شؤون المؤتمر.

في الواقع، أريد أن أشكر جميع الذين قاموا بالمساهمة بشكل أو بآخر، ابتداءً من كتابة الأبحاث، ومروراً بكل الذين حضروا، وناقشوا، وشاركوا، ومروراً أيضاً بكل الإخوة الذين خدموا أعضاء المؤتمر، وسهروا على راحتهم وأمنهم وكل المستلزمات المناسبة. وأعتقد أنكم أنتم ترون في الممرات وفي كل مكان الإخوة يقومون بالتسهيلات المناسبة. أنا أشكرهم فرداً فرداً، وهم الجنود المجهولون الذين ساعدونا في إنجاح هذا المؤتمر، ليس على مستوى الأبحاث فقط وإنما في مجموعة أنشطة وتفاصيل كثيرة يشارك فيها.

وبإسم الإخوة المؤتمرين أيضاً أنقل الشكر لكل الذين ساهموا في إنجاح هذا المؤتمر وشاركونا، وأيضاً، لا أنسى الإخوة في تلفزيون المنار الذين نقلوا كل وقائع الجلسات بشكل مباشر، أي أن كل شيء كان على الهواء مباشرة، ومع ذلك قال لي أحدهم هل كنتم تتوقعون أن تحصل بعض الإختلافات ويظهر هذا مباشرة على الهواء؟ قلت: نحن نجري مؤتمراً، لا نخبئ ما هو فيه، ونريد أن يتحدث الناس بالقناعات الموجودة عندهم، والدليل على ذلك التنوع الذي اخترناه في المؤتمر. ولعلمكم، لم نجر قلم الرقابة على أي بحث من الأبحاث، تركنا الأبحاث كما هي،

وطبعت كما هي، صعد الإخوة الى المنبر وتحدثوا بما يحلو لهم وما يتحملون مسؤوليته أمام الجمهور الذي يستطيع أن يوافق أو يعارض. هذا أمر يعني كل شخص بمسؤوليته في تحدي وجهة نظره وفي محاولة إقناع الآخرين.

آمل أن يكون هذا المؤتمر قد فتح المجال لقدر من الوفاء الإضافي، لا لأن هناك وفاءً كبيراً للإمام الخميني (قده) من المجاهدين، من الشرفاء، من المعطائين في كل مواقع العمل وفي كل ساحات الجهاد، لكن هذا النمط من الأبحاث الفكرية يساعد بشكل أو بآخر على تسليط الضوء على بعض المفردات، آمل أن تستمر وتعمق حتى نستطيع تحقيق الفوائد الأكبر مجدداً.

أشكر الجميع بدون استثناء، وطبعاً، فكرت قبل أن أصعد كيف سأعد وسأحصي، وعلى من سيكون التركيز، وعلى أي صفة أريد أن أقول، ولكن قلت بعدها أي شخص يسأل تحت الجميع كل الأسماء ستكون موجودة إن شاء الله تعالى.

بالنسبة الى البيان الختامي، أستطيع القول إن هذا البيان هو بيان أولي، حتى إذا وردت ملاحظات من الإخوة في هذه الليلة نأخذ الملاحظات مكتوبة، لأنه لا يمكن مناقشة بيان أمام هذا العدد الكبير، لكن ترد بعض الملاحظات، وغداً صباحاً إن شاءالله نحاول أن نعممه على وسائل الإعلام كبيان للمؤتمر.

البيان الختامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدنا ونبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الأبرار المنتجبين وعلى جميع الأنبياء والصالحين إلى قيام يوم الدين.

في الذكرى المئوية لولادة باعث النهضة الإسلامية في القرن العشرين الإمام روح الله الموسوي الخميني(قده)، وبالتزامن مع ولادة الإمام المهدي(قده) اليوم الذي أعلنه الإمام الخميني(قده) يوماً عالمياً للمستضعفين، وبناءً على إعلان ولي أمر المسلمين الإمام الخامنئي (حفظه المولى) إحياء هذه الذكرى على مدى العام وفي بيروت العاصمة الثقافية للعالم العربي، نظمت لجنة إحياء ذكرى مئوية الإمام الخميني(قده) في لبنان «مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني(قده) على ضوء التحديات المعاصرة».

أقيم المؤتمر في فندق الميريديان - كومودور - بيروت ١٥ و ١٦ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ٢٣ و ٢٤ تشرين الثاني ١٩٩٩، وانعقدت خلاله جلسة إفتتاح وسبع جلسات لعرض ومناقشة محاور المؤتمر الخمسة. وقد شارك في هذا المؤتمر سبع وأربعون شخصية، من علماء وأساتذة جامعات ومفكرين وسياسيين، من لبنان وسوريا ومصر وفلسطين والأردن والسودان والعراق وإيران.

حضر حفل الإفتتاح معالي الوزير غازي زعيتر ممثلاً فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية العماد إميل لحود، ومعالي الوزير عصام نعمان ممثلاً دولة رئيس مجلس الوزراء الدكتور سليم الحص، وحفيد الإمام الخميني(قده) السيد حسن الخميني، الذي حضر خصيصاً للمشاركة وألقى كلمة بالمناسبة.

تكلم في جلسة إفتتاح المؤتمر رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، وسماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله، ومعالي وزير الثقافة محمد يوسف بيضون، وممثلو كل من: مفتي الجمهورية اللبنانية سماحة الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني، ونيافة الكردينال الماروني مار نصرالله بطرس صفير، وغبطة البطريرك أغناطيوس الرابع هزيم، وغبطة بطريرك الأرمن الأرثوذكس الكاثوليكوس آرام الأول كشيشيان.

كما حضر معالي وزير الداخلية الأسبق السيد محتشمي، وسفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في بيروت السيد محمد علي سبحاني، وممثل قائمقام شيخ عقل الطائفة الدرزية الشيخ بهجت غيث، وجمع من النواب والوزراء والعلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات وممثلي الأحزاب والجمعيات والهيئات النسائية.

وخلص المؤتمر في أبحاثه ومناقشاته ـ التي ستصدر لاحقاً في كتاب مستقل ـ الى الطروحات التالية:

١- اعتبر الإمام الخميني(قده) أن صلاح الإنسان هو ركيزة النهضة وبداية التغيير، وقد شكلت تجربته الشخصية تطبيقاً عملياً لهذا المبدأ، فبلغ أعلى رتب السمو الإنساني من خلال تزكية النفس والعبودية الخالصة لله تعالى.

٢- أكد الإمام الخميني في فكره الفقهي والسياسي على المكانة الجوهرية للجهاد الدفاعي، واعتبره واجباً على الأمة بشرائحها ومستوياتها كافة. أعطى الإمام معنى شمولياً للجهاد في مواجهة الأخطار التي تتهدد الأمة، بحيث يطال كل أشكال السيطرة والإستعباد والإعتداء، وبالإستناد الى كل الوسائل المتاحة.

٣- تأخذ «ولاية الفقيه» لدى الإمام الخميني قيمة قصوى ومركزية في بناء الوجود السياسي للأمة. وتوفر حلاً أصيلاً للإشكاليات المتعددة التي واجهت الأمة على الدوام في محاولات بناء سلطة إسلامية قادرة على قيادة مسيرتها التاريخية. ولا يخفى أن ولاية الفقيه قادرة بإمتياز على الحؤول دون فصل الدين عن السياسة،

بما يشكل إستمراراً لرسالة الأنبياء ودورهم الإلهي.

٤- جسد الإمام فكرة الحكومة الإسلامية بعد إنتصار الثورة في صيغة الجمهورية الإسلامية، وهي مقارنة بصيغ الحكم الأخرى تشكل صيغة متقدمة وفريدة من نوعها، على الصعيد العالمي عموماً، وفي المجال الإسلامي نفسه خصوصاً، نظراً لاحتوائها على مرتكزات دينية وشعبية على حدٍ سواء.

٥- ركز الإمام(قده) على أهمية استنهاض المستضعفين في إطار التأسيس لدحر الظلم والإستكبار في العالم، وأعلن الخامس عشر من شعبان يوم ميلاد المهدي المنتظر(عج) يوماً للمستضعفين في سياق التأكيد على إنتصار قيم العدل وعلى البعد الإنساني للصراع.

٦- شكل انتصار الشعب الإيراني على الإستبداد أنموذجاً للشعوب المقهورة، وقد دعا الإمام الى التواصل مع هذه التجربة والإستفادة من دروسها في إطار نهضة الشعوب وتعاونها وانفتاحها، داعياً الى الحوار البناء والعودة الى قواعد الحق.

٧- اعتبر الإمام(قده) أن وحدة الأمة لا تلغي تنوعها وأن هذه الوحدة شرط أساسي في وجودها وفاعليتها، ودعا الى تجاوز عوامل التفرقة وأسباب التجزئة، ليس فقط بين المسلمين وإنما على مستوى المستضعفين في العالم كله في مقابل المستكبرين.

٨- احتلت قضية الإستقلال حيزاً أساسياً في فكر الإمام وخطابه السياسيين، فرفض كل أنواع التبعية الثقافية والسياسية والإقتصادية، ودعا الى مشروع حضاري، يحفظ عناصر القوة الذاتية، ويؤدي الى التنمية المستقلة والإكتفاء الذاتي.

٩- اعتبر الإمام(قده) الكيان الصهيوني جرثومة فساد، يتجاوز خطرها حدود فلسطين الى الأمة بأكملها، وأكد في الوقت نفسه حتمية إزالة «إسرائيل» من الوجود، وقد عين يوم الجمعة الأخير في شهر رمضان يوماً للقدس، ودعا الى إحيائه تركيزاً

على السعي لتحريرها ووجوب ذلك على كل المسلمين.

١٠- أكد الإمام على الرفض المطلق للإعتراف «بإسرائيل»، وعلى أهمية الجهاد والقتال في معركة تحرير فلسطين والأراضي المحتلة، وعلى أهمية الدور الذي تضطلع به الحركات الجهادية في المنطقة والمقاومة الإسلامية في مواجه الإحتلال الصهيوني الغاصب وتحرير الأراضي والمقدسات.

١١- أكد المشاركون على ضرورة إستكمال هذا المؤتمر بعقد ندوات ومؤتمرات وإعداد دراسات معمقة حول نتاج هذا الإمام العظيم المجدد.

والحمد لله رب العالمين

بيروت في ٢٤/ ١١/ ١٩٩٩.

رئيس المؤتمر

سماحة الشيخ نعيم قاسم

وثائق
مؤتمر الجهاد والنهضة

التحضير لأعمال مؤتمر الجهاد والنهضة :

دعوة رؤساء الطوائف

قاسم دعاه للمشاركة بمئوية الإمام الخميني

شمس الدين: الدولة تتساهل مع المتسلطين على الشواطئ والغابات

□ الامام شمس الدين والشيخ قاسم □ (ا ا الكبير وسمراء)

استقبل رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين أمس في مكتبه نائب الأمين العام لحزب الله، الشيخ نعيم قاسم الذي قال ان السبب الاساسي للقاء هو الذكرى المئوية لولادة الإمام الخميني حيث حضرنا لدعوة الشيخ شمس الدين لمؤتمر مخصص لهذه المناسبة وهو «مؤتمر الجهاد والنهضة لفكر الإمام الخميني في ضوء التحديات المعاصرة». وتمنينا أن يشارفنا في هذا المؤتمر، وان تكون له كلمة. وقد وافق على هذا الامر وجرى ايضا التداول في مضمون محاور هذا المؤتمر كما تحدثنا في أمور عامة تتعلق بالوضع القائم في البلد».

وسئل قاسم عن الوضع الداخلي فاجاب: «أعتقد ان الجميع بحاجة الى مزيد من الاتفاقات في المسائل الداخلية اكثر وللبناء وللتخفيف من المناقرات الهامشية التي لا تقدم حلولا والتي لا تقلع في تنشيط الاقتصاد ولا في الحلول السياسية المؤسفة بمأساتنا في هذا البلد».

ورد الشيخ لقاسم على سؤال عن اطلاع قيادة «حزب الله» على خروقة وسطاء «وليد بزدي» المخفية في هذه المرحلة فقال: «نحن مطلعون على كل هذه الخروقة ونعرف تماما انها تهدف لتسهيد الاجواء من أجل استئناف المفاوضات ومن أجل الاجابة عن الغير من الاسئلة ومنها وضع الجنوب بعد الاحتلال ومنها حدود الشروط السورية من أجل استئناف المفاوضات او ما يقدمها في ما يتعلق بالانسحاب الكامل. وهذه الامور مكشوفة للعيان من خلال ما تتداوله وسائل الاعلام وعليه لا أعتبر انه يوجد شيء جديد. بل فقط حركة طبيعية لتسهيد الأجواء السياسية المقبلة».

شمس الدين التقى وفدا بيئيا

قاسم دعاه الى مؤتمر الجهاد: اجواء المفاوضات الحالية معقدة

رأى نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم ان الأجواء الحالية بالنسبة للمفاوضات معقدة وليست ميسرة، ودعا الجميع الى مزيد من الاتفاقات في المسائل الداخلية اكثر للبناء والتخفيف من المناقرات الهامشية.

جاء ذلك بعد زيارة الشيخ قاسم الى رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى الامام الشيخ محمد مهدي شمس الدين وقال عن سبب الزيارة انها لدعوة الامام شمس الدين للمشاركة والقاء كلمة في مؤتمر الجهاد والنهضة لفكر الامام الخميني لمناسبة الذكرى المئوية لولادته. وقد وافق الامام شمس الدين.

وردا على سؤال عن الوضع اجاب في الجنوب اعتبر الشيخ قاسم ان الامور معقدة ولا يمكن ان نطلق الاجواء الايجابية التي تم الحديث عنها في السابق بعد انتخاب (رئيس وزراء اسرائيل ايهود باراك) بالاجواء الحالية

● تلقى العلامة السيد محمد حسين فضل الله دعوة للمشاركة في «مؤتمر الجماد والنهضة لفكر الامام الخميني» نقلها اليه نائب الامين العام لـ« حزب الله» الشيخ نعيم قاسم.

● العلامة السيد محمد حسين فضل الله استقبل في دارته نائب الامين العام لـ"حزب الله" الشيخ نعيم قاسم ودعاه الى المشاركة في "مؤتمر الجماد والنهضة لفكر الامام الخميني".

قاسم متشائم بمضمون المفاوضات

وفد من «حزب الله» في بكركي دعا صفير الى مئوية الخميني

عبّر نائب الأمين العام لـ«حزب الله» الشيخ نعيم قاسم عن تشاؤمه لمضمون ما يمكن أن يسفر عن المفاوضات التي قد تنعقد بعد فترة من الزمن، معتبراً انها «لن تكون لمصلحة أمتنا وشعبنا».

استقبل البطريرك الماروني الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير في بكركي أمس، وفداً من «حزب الله» برئاسة الشيخ قاسم، يرافقه عضو «تجمع العلماء المسلمين» الشيخ عبد الناصر الجبري وعضو لجنة الحوار الاسلامي ـ المسيحي الأمير حارث شهاب، وجرى عرض للأوضاع والمستجدات في لبنان والمنطقة.

وأوضحت مصادر المجتمعين لـ«المستقبل» ان البطريرك صفير «أكد خلال اللقاء على رسالة لبنان والعيش المشترك»، مشيرة الى أن الأجواء كانت ممتازة وتناولت المباحثات التوطين والمقاومة.

وأكد البطريرك صفير على «استمرار الحوار وضرورة فتح آفاق جديدة، كما جرى عرض وتقييم لمراحل الحوار الاسلامي ـ المسيحي».

وأعلن الشيخ قاسم انه دعا البطريرك صفير الى المشاركة في مؤتمر «الجهاد والنهضة لفكر الامام الخميني» الذي سينعقد في تشرين الثاني المقبل بمناسبة مرور مئة عام على ولادة الامام الخميني، و«ان شاء الله سيشارك البطريرك في هذا المؤتمر وسنتابع التفاصيل معه لاحقاً».

وهل تطرق البحث الى اللقاء الوطني المزمع عقده لرفض التوطين؟ أجاب قاسم: «ان الجميع متفق على رفض التوطين، والجميع يتمنى ويرغب، لا بل ان بعضهم يدعم بشكل أساسي عودة الفلسطينيين الى بلادهم وهو حقهم الطبيعي قبل أي عنوان آخر».

ولم يُعلّق أهمية على موضوع استئناف المفاوضات أو عدمها، «فموقفنا واضح بأنها لتسهيل الاحتلال الاسرائيلي الرسمي برعاية دولية وتيرئة بعض الحكام العرب من تهمة التآمر على القضية الفلسطينية وقضية الاحتلال في المنطقة».

واعتبر ان زيارة ملك الأردن عبدالله بن الحسين الى لبنان هي «لتشجيعه على مناخ التسوية، وليس لأي أمر آخر، وكنا نتمنى أن يكون هناك اطلاق للمعتقلين من حركة «حماس» برفع الحظر عنهم، لأن من يواجه اسرائيل يجب أن يكرّم». ودعا من يريد التهدئة في الجنوب الى العمل لإزالة فتيل التفجير والتوتر الناشئ من الاحتلال «فليخرج الاحتلال من دون قيد أو شرط وعندها تهدأ المناطق».

وأكد أن الحزب مع الدائرة الوسطى «التي تعبر عن حسن التمثيل» ولسنا مع القضاء الذي «تتداخل فيه رؤوس الأموال والمحسوبيات» طالما أننا لسنا مع المحافظة التي تشكل «عربة يصعد عليها كثيرون».

واستقبل صفير بعد ذلك الرئيس رشيد الصلح الذي تمنى أن تعتمد المحافظة في قانون الانتخاب «التي تؤمن صحة التمثيل في كل لبنان».

ومن زوّار بكركي أيضاً، النائب السابق شفيق بدر.

كلمة في السجل

دوّن نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم في سجل التشريفات في بكركي الكلمة الآتية: «تشرّفنا بزيارة هذا الصرح المعطاء للتداول في الشؤون المشتركة وللدعوة إلى مؤتمر إحياء مئوية ولادة الإمام الخميني. وقد كانت الزيارة موفقة، في ما تداولنا في موضوعات، آملين تعزيز الحوار الإسلامي المسيحي نحو الأفضل».

المستقبل ١٥/٩/١٩٩٩

صفير عرض مع زواره قضايا داخلية واقليمية

قاسم: نرفض التوطين ونريد الدائرة الوسطى

بكركي - «الأنوار»

اعتبر نائب الامين العام لـ «حزب الله» الشيخ نعيم قاسم زيارة العاهل الاردني للبنان من ضمن سياسة تشجيع الدول العربية على منح التسوية مؤكداً أن «حزب الله» غير معني بأستئناف المفاوضات.

البطريرك صفير مستقبلا الشيخ نعيم قاسم

التقى البطريرك صفير نائب الامين العام لحزب الله الشيخ نعيم القاسم يرافقه عضو مجلس العلماء المسلمين الشيخ عبد الناصر الجبري والامير حارس شهاب.

بعد اللقاء قال قاسم: الموضوع الاساسي لزيارة هذا الصرح هو دعوة نيافة الكاردينال الى مؤتمر مرور مئة عام على ولادة الامام الخميني وقد شكلت لجنة من شخصيات وفاعليات مختلفة في لبنان من اجل احياء هذه الذكرى بعقد مؤتمر في تشرين الثاني يتعرض لفكر الامام الخميني تحت عنوان «الجهاد والنهضة لفكر الامام الخميني» في ضوء التطورات والمستجدات المعاصرة وقد كان الموضوع الرئيسي لهذه الجلسة دعوة نيافته الى المشاركة في هذا المؤتمر خصوصا وان الامام الخميني يمثل شخصية اساسية في هذا القرن وقد شكل قطبا اساسيا لكل احرار العالم واعتقد ان جميع المشاركين في المؤتمر سيكون لهم مساهمات قيمة ان شاء الله

● هل وعدكم غبطة البطريرك بالمشاركة في المؤتمر؟

□ ان شاء الله سيشارك في هذا المؤتمر وسنتابع التفاصيل معه لاحقا

الأنوار ١٥/٩/١٩٩٩

نائب أمين "حزب الله" في بكركي

قاسم: المفاوضات لتسهيل الاحتلال في رعاية دولية للكيان الاسرائيلي

وصف نائب الأمين العام لـ"حزب الله" الشيخ نعيم قاسم مفاوضات السلام في المنطقة بأنها "مفاوضات تسهيل الاحتلال الاسرائيلي في رعاية دولية للكيان الاسرائيلي".

استقبل البطريرك الماروني الكاردينال مار نصرالله بطرس صفير في بكركي امس. الشيخ قاسم يرافقه عضو "تجمع العلماء المسلمين" الشيخ عبد الناصر الجبري.

وبعد اللقاء صرح قاسم ان "الموضوع الاساسي لزيارة هذا الصرح هو دعوة نيافة الكاردينال الى مؤتمر في مرور مئة سنة على ولادة الامام الخميني، وقد شكلت لجنة من شخصيات وفاعليات مختلفة في لبنان من أجل احياء هذه الذكرى بعقد مؤتمر في تشرين الثاني يتعرض لفكر الامام الخميني بعنوان "الجهاد والنهضة لفكر الامام الخميني" في ضوء التطورات المعاصرة وقد كان الموضوع

البطريرك صفير لدى استقباله الشيخ قاسم وعبدا الشيخ الجبري والامير حارس شهاب. (أميل عبد)

الرئيسي لهذه الجلسة دعوة نيافته الى المشاركة في هذا المؤتمر وخصوصا وان الامام الخميني يمثل شخصية اساسية في هذا القرن وقد شكل قطبا اساسيا لكل احرار العالم واعتقد ان جميع المشاركين في المؤتمر ستكون لهم مساهمات قيمة ان شاء الله".

وسئل هل وعدهما البطريرك بالمشاركة في المؤتمر؟ فاجاب: "ان شاء الله سيشارك في هذا المؤتمر وستتابع التفاصيل معه لاحقا".

النهار ١٥/٩/١٩٩٩

النهار

قاسم زار كاثوليكوس الارمن

زار نائب الامين العام لـ"حزب الله" الشيخ نعيم قاسم يرافقه عضو تجمع العلماء المسلمين الشيخ عبد الناصر الجبري كاثوليكوس الارمن الارثوذكس ارام الاول ووجه اليه دعوة للمشاركة في المؤتمر الفكري الذي يعقد لمناسبة مرور مئة عام على ولادة الامام الخميني.

ورحب ارام الاول بالدعوة ووعد بتلبيتها مثنيا على "هذا النوع من الاعمال التي تكرس البعد الانساني والثقافي في افكار الامام الخميني الذي كان له الدور الكبير في ايقاظ جذوة الايمان في الشرق عموما".

● استقبل المنسق العام لـ"تجمع اللجان والروابط الشعبية" معن بشور عضو المجلس السياسي في "حزب الله" السيد نواف الموسوي في حضور عضو التجمع عبدالله عبد الحميد وجرى البحث في شؤون الساعة.

ونوه المجتمعون بتحرك الجمعيات العربية في الولايات المتحدة التي منعت احدى الشركات الاميركية من فتح فرع لها في مستعمرة اسرائيلية.

وشددوا "على ضرورة ان تبادر الحكومة الاردنية الى التراجع عن اجراءاتها في حق حركة "حماس" التي يجب ان تكون كما كل حركات مقاومة الاحتلال الصهيوني، موضع اسناد ودعم وتشجيع".

النهار، ١٦/٩/١٩٩٩

البيرق

البطريرك كشيشيان تسلم دعوة لحضور مؤتمر ولادة الخميني

بمناسبة مرور مائة عام على ولادة الامام الخميني وفي اطار الاستعدادات للمؤتمر الفكري الذي سيعقد في المناسبة، وضمن الجولة على رؤساء الطوائف الروحية.

قام وفد برئاسة رئيس المؤتمر نائب امين عام حزب الله الشيخ نعيم قاسم وعضوية عضو تجمع العلماء المسلمين الشيخ عبد الناصر الجبري بزيارة كاثوليكوس الارمن البطريرك ارام الاول كشيشيان لدعوته للمشاركة في هذا المؤتمر.

ورحب البطريرك كشيشيان بالدعوة وقبلها مثنيا على هذا النوع من الاعمال التي تكرس البعد الانساني والثقافي في افكار الامام الخميني الذي كان له الدور الكبير في ايقاظ جذوة الايمان في منطقة الشرق بشكل عام.

البيرق، ١٦/٩/١٩٩٩

الشرق

قاسم دعا للمشاركة بمئوية الخميني

قام نائب امين عام حزب الله الشيخ نعيم قاسم يرافقه عضو تجمع العلماء المسلمين الشيخ عبد الناصر الجبري بزيارة كاثوليكوس الارمن ارام لدعوته للمشاركة في المؤتمر الفكري الذي سيعقد بمناسبة مرور مائة عام على ولادة الامام الخميني. وقد رحب الكاثوليكوس بالدعوة وقبلها.

الشرق، ١٦/٩/١٩٩٩

دعا قباني للمشاركة في مئوية الخميني

قاسم: الدائرة الوسطى اكثر تمثيلاً والتنصت على المقاومة سيتعب المتنصتين

اكد نائب الامين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم ان التنصت على اخبار المقاومة متعب لان الاحتياطات المتخذة رافعت امكان التنصت من قبل العدو الاسرائيلي. واعلن تاييد حزب الله للدائرة الوسطى انتخابياً "لانها اكثر تمثيلاً من كل الاقتراحات المطروحة".

لقاء دار الفتوى

استقبل مفتي الجمهورية اللبنانية الدكتور الشيخ محمد رشيد قباني امس في دار الفتوى الشيخ قاسم يرافقه عضو تجمع العلماء المسلمين الشيخ عبد الناصر جبري. وجرى استعراض التطورات العامة.

اثر اللقاء اعلن الشيخ قاسم ان الزيارة هي لدعوة المفتي قباني للمشاركة بكلمة في المؤتمر الذي سيقام بمناسبة مرور مئة عام على ولادة الامام الخميني بعد شهرين من الآن، واشار الى ان مفتي الجمهورية وافق على المشاركة. وبذلك نكون قد جلنا على اكثر الرؤساء الروحيين.

المفتي قباني مستقبلاً الشيخ قاسم (محمد عواضة)

الدائرة الوسطى

وعما اذا كان الوقت لا يزال مبكراً بالنسبة الى قانون الانتخاب اجاب: "اعتقد ان المطلوب ان يتاجل الى اللحظة التي لا يمكن تاجيلها اكثر من اجل ان ياتي مفصلاً بطريقة لا تنسجم مع المعيار الواحد حسب كل الظروف التي نوحي بهذا الاتجاه، كنا نتمنى ان يكون المعيار واحداً. واشار الى ان موقف الحزب هو ان

الشرق، ١٩٩٩/٩/٢٢

قباني استقبل الترك ولجنة احياء مئوية ولادة الامام الخميني،

قاسم: مع قانون للتنصت حتى لا تكون الامور مبعثرة

■ الدوائر الوسطى الاكثر تمثيلاً من كل الاقتراحات المطروحة

استقبل مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد رشيد قباني في مكتبه في دار الفتوى نائب الامين العام لـ «حزب الله» الشيخ نعيم قاسم يرافقه عضو تجمع العلماء المسلمين الشيخ عبدالناصر جبري، ودام اللقاء ساعة جرى خلاله عرض للتطورات الداخلية العامة.

وبعد اللقاء قال الشيخ قاسم: «في اطار الجولة التي بدأناها منذ فترة بمناسبة مرور مئة عام على ولادة الامام الخميني واقامة مؤتمر بهذه المناسبة ومؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني وعلى ضوء التحديات المعاصرة زرنا سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية من اجل دعوته للمشاركة بكلمة في هذا المؤتمر الذي سيعقد بعد شهرين من الآن احياءً لمئوية ولادة الامام الخميني وقد اعطى سماحته الموافقة على هذه المشاركة ونكون بذلك قد جلنا على اكثر الرؤساء الروحيين واخذنا الموافقة للمشاركة في هذا المؤتمر من خلال اللجنة التي تتابع هذا الموضوع وقد حضرت مع سماحة الشيخ عبدالناصر لتمثل لجنة الاحياء ودعوناه في هذه المناسبة».

البيرق، ١٩٩٩/٩/٢٢

زار قباني وهزيم ودعاهما الى مؤتمر منوية الإمام الخميني

قاسم: مع قانون ينظم التنصت

قاسم خلال لقائه قباني

في إطار التحضير الجاري لمؤتمر منوية الامام الخميني (قده)، زار نائب الأمين العام لحزب الله سماحة الشيخ نعيم قاسم مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد رشيد قباني لدعوته للمشاركة في المؤتمر الذي سيعقد بعد شهرين، وقد وافق الشيخ قباني على تلبية الدعوة.

وادلى الشيخ قاسم بعد الزيارة بتصريح قال فيه «ان التنصت بشكل عام يعتبر اعتداءً على الحريات، ويفترض ان يكون مرتبطاً بما يمكن ان يخل بالأمن العام او الأمن الداخلي او التعامل مع العدو الصهيوني، لما التنصت على الاحزاب والسياسيين فهو اعتداء على افكار وآراء الناس، ويفترض ان يوضع له حد وضوابط، ونحن مع إيجاد قانون يحدد تفاصيل التنصت حتى لا تكون الأمور مبعثرة وحتى لا تقع الخصوصيات الداخلية والثقافية بأيدي اشخاص غير امناء او تستخدم في غير محلها الصحيح.

واوضح سماحته انه بحث مع المفتي قباني موضوع التعليم الديني في المدارس، ولفت الى وعد سابق من الجهات الرسمية بما فيها وزير التربية بأن مرسوم عودة التعليم الديني الى المدارس سيصدر قريباً، داعياً المعنيين الى البت في هذا الموضوع في أسرع وقت ممكن لا سيما مع بدء السنة الدراسية.

كما وزار سماحته لهذه الغاية بطريرك الروم الأرثوذكس اغناطيوس الرابع هزيم في مقره في دمشق.

وقد اثنى غبطته على هذه الخطوة واسلوب الإحياء للفكر الذي اثر في الحقبة الأخيرة في هذه المنطقة وخاصة على مستوى مواجهة العدو الاسرائيلي، كما اشاد بنوعية وبلغة المواضيع المطروحة، واعداً بالمشاركة.

العهد، ٢٤/٩/١٩٩٩

المفتي قباني يتوسط الشيخ قاسم والشيخ جمري (رضوان مطر)

الشيخ قاسم دعا هزيم الى المشاركة في منوية الخميني

تابع نائب الامين العام لحزب الله، الشيخ نعيم قاسم لقاءاته مع المسؤولين الروحيين لدعوتهم الى المشاركة في مؤتمر منوية الامام الخميني وزار لهذه الغاية بطريرك الروم الارثوذكس المغناطيوس الرابع هزيم في مقره في دمشق.

وقد اثنى البطريرك هزيم على هذه الخطوة «واسلوب الاحياء للفكر الذي اثر في الحقبة الاخيرة في المنطقة وخصوصاً على مستوى مواجهة العدو الاسرائيلي واشاد بنوعية المواضيع المطروحة واعداً بالمشاركة.

النهار، ٢٢/٩/١٩٩٩

نص المؤتمر الصحفي الذي عقده

سماحة الشيخ نعيم قاسم ، (رئيس المؤتمر)

في نقابة الصحافة بتاريخ: ١٨/ ١١/ ١٩٩٩م.

باسمه تعالى

لقد أحدث الإمام روح الله الخميني (قدس سره) تغييراً هاماً أثَّر على المنطقة وترك انعكاساته على الواقع العالمي، ويمكن القول إنّ الثورة الإسلامية المباركة في إيران، والمستندة الى فكر وقيادة الإمام الخميني(قده)، كانت الحدث الأبرز في الربع الأخير من القرن العشرين، بما أسست له من رؤيا فكرية واتجاه عملي يؤكد الاستقلال عن الشرق والغرب.

وها نحن على مشارف القرن الواحد والعشرين، والفكر الإسلامي المحمّدي الأصيل - كما عبّر عنه الإمام الخميني(قده) - داخلٌ في ساحة المناظرة والمناصرة والاعتراض بحيوية بارزة في مواجهة تحديات مهمة.

وحيث أعلن الإمام الخامنئي (حفظه الله) هذا العام بكامله مناسبةً لإحياء مئوية الولادة للإمام الخميني(قده)، اخترنا يوم ولادة الإمام المهدي(عج)، في الخامس عشر من شهر شعبان، الذي أعلنه الإمام الخميني(قده) يوماً عالمياً للمستضعفين في العالم، لإقامة مؤتمر فكري يهدف الى تقديم قراءات معمّقة ومتنوعة لفكر الإمام: معالمه وطروحاته التأسيسية، وبالتالي محاولة استكشاف المباني الرئيسة لمدرسته الجديدة الرائدة، ولا سيما المتعلقة منها بقضايا: فلسطين والقدس والاستكبار والصهيونية، وسائل الجهاد والمقاومة والاستقلال والعلاقة مع الغرب، ووحدة الأمة الإسلامية.

وتزامن اختيارنا مع إعلان هذه السنة «لبنان عاصمة ثقافية»، مما يزيد الإسهام في إغناء الحوار، خاصة عندما تكون الموضوعات المطروحة منسجمة

مع واقعنا المعاش، ولا تخفى الآثار التي تركتها وستتركها ثورة الإمام في هذه المنطقة.

انسجاماً مع ما تميّز به الإمام الخميني(قده)، واختياراً لما له تماس مع واقعنا في لبنان والمنطقة، اخترنا عنوان مؤتمرنا: «الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني(قده) على ضوء التحديات المعاصرة»، وطلبنا من الباحثين التركيز على المعالجة بروح علمية وأسلوب منهجي متجرّد. وقد وزعنا الأبحاث على خمسة محاور رئيسة هي:

١- نظرية الجهاد والمقاومة في فكر الإمام الخميني(قده): المفاهيم والوظائف على ضوء التحديات الخارجية المعاصرة وقضايا الداخل الإسلامي.

٢- الدين والسياسة في فكر الإمام الخميني(قده): قراءات في الخطاب والتجربة.

٣- الإمام الخميني(قده) ومشروع الاستنهاض العالمي.

٤- فلسطين والقدس في فكر الإمام الخميني(قده): أولويات المواجهة.

٥- نظرة الإمام الخميني(قده) الى الغرب والاستكبار العالمي: شروط التفاعل وخطوط المواجهة.

سنعقد المؤتمر - بإذنه تعالى - يومي الثلاثاء والاربعاء، ٢٣ و ٢٤ تشرين الثاني ١٩٩٩م الموافقان لـ ١٥ و ١٦ شعبان ١٤٢٠هـ، في فندق «الميريديان» (الكومودور سابقاً) - الحمراء - بيروت. وسيشارك فيه سبع وأربعون شخصية من علماء وأساتذة جامعات ومفكرين، ومن طوائف متعددة، وشخصيات إسلامية وغيرها. كما أنّ عدداً من المشاركين، يصل الى سبعة عشر

مساهماً، سيأتون من الدول العربية.

وأما عدد الأبحاث الفكرية المعنونة فهو ٢٦، والمداخلات ٦، وكلمات الافتتاح ٩، ضمن برنامج تفصيلي محدّد.

إننا نأمل تقديم إسهام فكري ثقافي في الذكرى المئوية لهذا الرجل التاريخي الاستثنائي، وسنعمل بإذن الله تعالى على طبع أعمال المؤتمر في كتاب خاص لتعميم الفائدة.

نص الرسالة الموجهة إلى المشاركين
في مؤتمر الجهاد والنهضة

بسم الله تعالى

لجنة إحياء ذكرى ولادة الإمام الخميني (قدس سره)
- لبنان -

الذكرى المئوية لولادة الإمام الخميني (قدس سره)

مؤتمر "الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني (قدس سره) على ضوء التحديات المعاصرة"

حضرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

تتشرف "لجنة إحياء مئوية ولادة الإمام الخميني (قده) – لبنان" بدعوتكم للمشاركة في المؤتمر العلمي الموسع الذي سينظم تحت عنوان:

"الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني (قدس سره) على ضوء التحديات المعاصرة"

وذلك في الذكرى المئوية لولادة باعث النهضة الإسلامية في القرن العشرين الإمام روح الله الموسوي الخميني (قده)، وبالتزامن مع ولادة الإمام المهدي (عج)، اليوم الذي أعلنه الإمام يوما عالميا للمستضعفين.

يهدف المؤتمر الى تقديم قراءات معمقة ومتنوعة لفكر الإمام، معالمه الرئيسية، وطروحاته التأسيسية، ولا سيما المتعلقة منها بقضايا: فلسطين والقدس والإستكبار والصهيونية، وسائل الجهاد والمقاومة والإستقلال والعلاقة مع الغرب ووحدة الأمة الإسلامية..

في سبيل تخليد ذكرى هذا التاريخي العظيم، ومن أجل الإستفادة من طروحاته، وتحري مضامينها واستكناه أسرارها، وبالتالي محاولة استكشاف المباني الرئيسية لمدرسته الجديدة الرائدة.

تتوزع موضوعات المؤتمر على محاور رئيسية خمسة، يتضمن كل منها العديد من العناوين الفرعية، حيث يصلكم ربطا لائحة كاملة بهذه العناوين وتلك المحاور.

وإذ تعول اللجنة على أهمية مشاركتكم في واحد من ميادين البحث المذكورة، ويسرها الإستفادة من مساهمتكم في إغناء النتائج، ترجو التركيز على فكر الإمام وتجربته ومواقفه، وتنتظر أن تتسم المعالجة بروح علمية وأسلوب منهجي مجرد. والمحاور هي:

المحور الأول:

"نظرية الجهاد والمقاومة في فكر الإمام الخميني (قده): المفاهيم والوظائف على ضوء التحديات الخارجية المعاصرة، وقضايا الداخل الإسلامي".

1) الجهاد: مجالاته ومنطلقاته، كما يراها الإمام الخميني (قده).
2) دور الجهاد في حياة الأمة: بناء الذات والتكافؤ مع الآخر.
3) تجربة الإمام (قده) الجهادية: الخصائص والدلالات.
4) مفهوم الجهاد عند الإمام وتأثيراته على تجارب الحركات الإسلامية.
5) مفهوم الجهاد عند الإمام: "المقاومة الإسلامية" في لبنان نموذجا.

المحور الثاني:

"الدين والسياسة في فكر الإمام الخميني (قده): قراءات في الخطاب والتجربة".

1) "ولاية الفقيه" عند الإمام (قده): الرؤية والتجربة.
2) دور "ولاية الفقيه" عند الإمام (قده) في تطور الفكر السياسي الإسلامي.
3) موقف الإمام (قده) من أشكال الحكم ونماذجه المعاصرة.
4) مقاربات مقارنة بين "ولاية الفقيه" وأشكال معاصرة في الحكم.
5) محورية القيادة بين الخصوصية والعالمية على ضوء أطروحة "ولاية الفقيه".
6) التبعية والإستقلال في فكر الإمام (قده) (مبدأ "لا شرقية ولا غربية").
7) إشكاليات الوحدة والتنوع في المجتمع الإسلامي على ضوء فكر الإمام الخميني (قده).
8) منهج الإمام (قده) بين الثوابت الفكرية ومصالح الأمة.

المحور الثالث:

"الإمام الخميني (قده) ومشروع الإستنهاض العالمي".

1) الإسلام المحمدي الأصيل في فكر الإمام الخميني (قده).
2) الوحدة والإستنهاض في فكر الإمام الخميني (قده).
3) موقع الأمة الإسلامية في المعادلات الدولية: عوامل الضعف ومنابع القوة.
4) دور الشعوب، وموقعها، في عملية التغيير والإصلاح، على مستوى العالم الإسلامي.
5) دور المستضعفين في عملية التغيير على المستوى العالمي.

المحور الرابع:

"فلسطين والقدس في فكر الإمام الخميني (قده): أولويات المواجهة".

1) موقع القضية الفلسطينية في فكر الإمام (قده).
2) المنطلقات الدينية والسياسية لإزالة "إسرائيل" من الوجود.
3) الأبعاد التعبوية والسياسية والجهادية لـ"يوم القدس العالمي".
4) مسؤولية العالم الإسلامي والشعب الفلسطيني في تحرير فلسطين.
5) الكيان الصهيوني: حتمية الصراع ومخاطر التسوية والإعتراف.
6) دور إيران، الإستراتيجي والسياسي في الصراع مع الكيان الصهيوني والقوى الكبرى الداعمة له، في نظر الإمام (قده).

المحور الخامس:

"نظرة الإمام الخميني (قده) الى الغرب والإستكبار العالمي: شروط التفاعل وخطوط المواجهة".

1) الإستكبار، والإستكبار العالمي: المفهوم والدلالات.
2) رؤية الإمام (قده) الى الغرب والحضارة الغربية: شروط التفاعل وخطوط المواجهة.
3) صراع الإستكبار والإستضعاف في الإطار الحضاري.
4) المؤسسات الدولية في خطاب الإمام (قده): الواقع، والدور المنشود.
5) الإستكبار العالمي: أميركا نموذجاً.
6) الإستكبار العالمي: أبعاد المواجهة وعناصرها المتنوعة.

تعليمات أساسية:

1) ينعقد المؤتمر على مدى ثلاثة أيام في 14-15-16 شعبان 1420 هـ، الموافق 23-24-25 تشرين الثاني 1999م.

2) آخر مهلة لاستلام الأبحاث (النصوص الأصلية وملخّصاتها) العاشر من تشرين الأول 1999م، الواقع في 1 رجب 1420 هـ.

3) تبلّغ الموافقة خطيّاً، مع تحديد للموضوع الذي تم اختياره، على أن يُرفق بعدة عناوين أخرى من العناوين المطروحة، وبحسب الأولوية التي يراها الباحث، ليتم الإختيار من قبل الهيئة العلمية، وذلك رغبةً منا في تنسيق الموضوعات، وعدم التكرار. وتشجع الإجابة خلال أيام للإستفادة من الوقت.

4) مدة إلقاء البحث 15 دقيقة، حيث يقتصر على إلقاء ملخّص عن النص الأصلي الكامل.

5) تخضع الأبحاث المرسلة لتقويم دقيق من قبل الهيئة العلمية التابعة للمؤتمر، وبعد المصادقة عليها تُطبع وتُنشر.

6) إذا ارتأت الهيئة العلمية ضرورة إجراء بعض التعديلات على محتوى البحث، فسوف تقوم بذلك بالتنسيق مع كاتبه.

7) يجب أن يكون البحث جديداً، فلا يُقبل ما كان منشوراً أو معروضاً في مؤتمر سابق.

8) تؤمّن تذاكر السفر والإقامة للمشاركين الوافدين من الخارج على نفقة المؤتمر.

> لكافة مراجعاتكم الإتصال بأمانة السر (الأخ أحمد لياض) على الأرقام التالية:
> هاتف: 03/393624 * تلفاكس: 01/821235 – 01/825093 * ص.ب: 25/327 و 135-24.
>
> للإستشارات مع الهيئة العلمية: سماحة الشيخ علي دعموش، 03/732818.

رئيس المؤتمر
الشيخ نعيم قاسم

التغطية الصحفية لوقائع وأعمال المؤتمر

فكر الإمام الخميني (قده)

عقدت لجنة أحياء ذكرى مئوية الإمام الخميني (قده) في لبنان مؤتمراً تحت عنوان: «الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة» لمناسبة الذكرى المئوية لولادة الإمام الخميني (قده) وذلك في فندق الكومودور حضره وزير الدفاع غازي زعيتر ممثلاً رئيس الجمهورية العماد اميل لحود وزير البريد والاتصالات السلكية واللاسلكية عصام نعمان ممثلاً رئيس مجلس الوزراء الدكتور سليم الحص، وزير التربية الوطنية والشباب والرياضة محمد يوسف بيضون، الامين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصرالله، رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين المطران نبيل العنداري ممثلاً الكاردينال البطريرك مار نصرالله بطرس صفير، قاضي شرع صيدا الشيخ احمد الزين ممثلاً مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني، المطران الياس نجم ممثلاً البطريرك أغناطيوس الرابع هزيم، الارشمندريت بارين فارتيان ممثلاً بطريرك الارمن الارثوذكس الكاثوليكوس آرام الاول كيغيشيان، نائب أمين عام حزب الله الشيخ نعيم قاسم، حفيد الإمام الخميني السيد حسن الخميني على رأس وفد من الجمهورية الاسلامية الايرانية، سفير ايران في لبنان محمد علي سبحاني، الشيخ مرسل نصر على رأس وفد من مشايخ الدروز وعدد من الفاعليات السياسية والاجتماعية والنيابية والدينية والفكرية من لبنان وعدد من الدول العربية تخلل المؤتمر القاء كلمات عدة ومحاضرات ومناقشات وتوصيات.

الإمام شمس الدين مجدداً

.. والقاضي الزين

.. والمطران العنداري

والوزير بيضون

والسيد حسن الخميني

والسيد نصرالله

والأرشمندريت بارين

والمطران نجم

إحدى الجلسات

جانب من الحضور

افتتاح مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني والخطباء أكدوا أن صراعنا مع اسرائيل حتى زوالها

□ الحران قارتيبان □

□ أحوان نحم □

□ الامام شمس الدين □

□ الوزير بيضون □

□ السيد نصر الله □

□ السيد حسن الخميني □

□ مقدمة حضور المهرجان □ (تصوير جمال الشعمة)

□ القاضي احمد الزين □

□ الحران العنداري □

افتتحت أمس أعمال مؤتمر «الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة» الذي يقام بالتنسيق مع لجنة احياء ذكرى مئوية الامام الخميني في لبنان وذلك في فندق المريديان «الكومودور سابقا» بحضور ممثل رئيس الجمهورية العماد اميل لحود الوزير غازي زعيتر، ممثل رئيس مجلس الوزراء الدكتور سليم الحص الوزير عصام نعمان، وزير التربية والثقافة والتعليم العالي محمد يوسف بيضون، القاضي أحمد الزين ممثلا مفتي الجمهورية الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني، رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى الامام الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المطران انطوان نبيل الدنداري ممثلا البطريرك مار الله بطرس صفير، المطران الياس نجم ممثلا البطريرك الانطاكي سوس الرابع هزيم، الارشمندريت بارين قارتانيان ممثلا مطران الارمن الارثوذكس، الكاثوليكوس آراء الأول كشيشيان، الامين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، السيد حسن احمد الخميني على رأس وفد من الجمهورية الاسلامية الايرانية، وحشد من الشخصيات الاسلامية والرسمية وعلماء الدين، والنواب ربيعة كبوز، علي «الخليل، عبد الله قصير، محمد رعد، عمار الموسوي، ومروان فارس، النائب السابق محمد وتستهدي الزمن الى ما هو أعم وأرحب.

وقال لقد أثبت الامام بجدارة ان الاسلام كدين وكولاة هو لكل العصور.

□ والقى المطران العنداري كلمة قال فيها: إن رفض الامام الخميني للتبعية غربية كانت ام شرقية ودعوته الى الاستقلالية عن الغرب والشرق في آن، هو موقف استشرافي يستمد جذوره من مصورات ايديولوجية وسياسية واقتصادية وثقافية.

□ ورأى الشيخ الزين في كلمته ان الحديث عن شخصية الامام الخميني وفكره وانجازاته يحتاج الى اكثر من مؤتمر واكثر من كتاب وخطاب.

وتطرق الى موقف الامام الخميني المتشدد حيال القضية الفلسطينية حيث قام بالقفال السفارة الاسرائيلية في طهران ودعا منظمة التحرير الفلسطينية لتقيم في نفس المبنى، كما اطلق شعارا اصبح يردده جميع الناس وهو «اسرائيل غدة سرطانية يجب ان تزول». كما احتضن وساند المقاومة الفلسطينية التي استمرت بعد وفاته.

ودعا العرب الى مراجعة الذات والتفكير بعمق وتجرد بالحالة التي وصلوا اليها والخسارة الجسيمة التي تكبدوها سياسيا وماليا وانسانيا بسبب السياسة الخاطئة والقائمة على التفرقة والتذابر بالرأي.

□ والقى المطران نجم كلمة تحدث فيها عن الثورة الخمينية بقيادة الامام الخميني كانت نافذة لمعنى البطولة العربية والاسلامية. للبطولة الزاحفة قدما للتجاوز للتحرير الى ما هو ابعد من الاحتلال الصهيوني كبأن مزيف زائل لا محالة. والصراع معه صراع تاريخي لشعوب المنطقة الاسلامية والعربية.

وأكد ان فلسطين عربية ومستقبلها عربية طالما أن صراعها مع العدو الاسرائيلي صراع تاريخي لن ينتهي الا بزوال اسرائيل. وعلى الجميع ان يعلموا ان هدف الدول الكبرى من ايجاد اسرائيل لا يقف عند احتلال فلسطين، فهؤلاء يخططون للوصول الى الدول العربية الى نفس المصير الذي وصلت اليه الفرس.

□ واوضح الارشمندريت قارتانيان في كلمته أن مفهوم الكفاح هو قاسم مشترك بين المسيحيين والمسلمين وانه كان له المكان والدور الاساسي ومثل دائم ولا يزال.

ورأى أن الديمانتين الاسلامية والمسيحية لا تستطيعان البقاء ساكنتين لغير مبالتين فالمجتمع يتدمر عندما تنعدم فيه القيم الاخلاقية. لذلك يجب ان تبادر الديانتان الى التعاون من أجل اعادة تعزيز المبادئ الاخلاقية للانجيل والقرآن.

□ ورأى السيد نصر الله في كلمته ان الامام الخميني لم يقف عند حدود التنظير وانما اطلق مشروعه في ساحات التحدي الكبير، واطلق اعظم صحوة اسلامية وعربية في هذا العصر على الاطلاق.

واعتبر أن عظمة انجاز الامام على في فكر الامام الخميني معتبرا ان الكيان الصهيوني كبأن مزيف زائل لا محالة. والصراع معه صراع تاريخي لشعوب المنطقة الاسلامية والعربية.

وأكد ان فلسطين عربية ومستقبلها عربية طالما أن صراعها مع العدو الاسرائيلي صراع تاريخي لن ينتهي الا بزوال اسرائيل. وعلى الجميع ان يعلموا ان هدف الدول الكبرى من ايجاد اسرائيل لا يقف عند احتلال فلسطين، فهؤلاء يخططون للوصول الى الدول العربية الى نفس المصير الذي وصلت اليه الفرس.

□ واوضح الارشمندريت قارتانيان في كلمته أن مفهوم الكفاح هو قاسم مشترك بين المسيحيين والمسلمين وانه كان له المكان والدور الاساسي ومثل دائم ولا يزال.

ورأى أن الديمانتين الاسلامية والمسيحية لا تستطيعان البقاء ساكنتين لغير مبالتين فالمجتمع يتدمر عندما تنعدم فيه القيم الاخلاقية. لذلك يجب ان تبادر الديانتان الى التعاون من أجل اعادة تعزيز المبادئ الاخلاقية للانجيل والقرآن.

□ ورأى السيد نصر الله في كلمته ان الامام الخميني لم يقف عند حدود التنظير وانما اطلق مشروعه في ساحات التحدي الكبير، واطلق اعظم صحوة اسلامية وعربية في هذا العصر على الاطلاق.

واعتبر أن عظمة انجاز الامام على

□ معد فلاوة آيات من الذكر الحكيم، القى رئيس المؤتمر نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم كلمة الافتتاح ركز فيها على أن الامام الخميني شخصية استثنائية ومميزة. أحدث ثورة في نقطة حساسة من العالم في ايران لتنتشر آثارها في كل الاتجاه وتؤسس لاستمرارية وفعالية عبر الاجيال القادمة وفي مواقع كثيرة.

□ وتحدث الامام شمس الدين موضحا ان القيادة التاريخية الرائدة والواعية التي تمثلت بالامام الخميني تجاوزت الحدود الجغرافية للجمهورية الاسلامية الايرانية، وانتجت خطابا تنويريا على مستوى الامة الاسلامية، اسهم في ترسيخ قناعة لدى الاغلبية الساحقة من المسلمين بان خلاص الامة الاسلامية لا يكون الا بالعودة الى الاسلام على مستوى التنظيم المجتمعي السياسي.

وأكد على مواجهة فضيحة التطبيع مع العدو الذي يجب ان تجند الامة لمقاومته كل طاقاتها وتستنفر من أجل الحيلولة دونه جميع امكاناتها لتحول دون تحقيق مآرب الصهيونية في أن تكون جزءا من هذه المنطقة.

□ والقى الوزير بيضون كلمة اعتبر فيها ان الثورة الخمينية بقيادة الامام الخميني كانت نافذة لمعنى البطولة العربية والاسلامية. للبطولة الزاحفة قدما للتجاوز للتحرير الى ما هو ابعد

صحيفة اللواء

وخصوصا في مسائل الدولة انه استطاع تحطيم الكثير من الاسوار التي كانت تحيط بالاسلام ومنها تأكيد علاقة الدين بالسياسة، تقديمه مفهوما مختلفا لمسألة الحرية وشروطها، رفض فكرة اسباغ الطهارة والقداسة على اصحاب العمامة والزهد المتخلين عن المسؤولية الشرعية تجاه الامة تقديم رؤية اسلامية محكمة حول مسألة القيادة الشرعية في هذا العصر، المعالجة الفقهية لاحدى معضلات الحركة الاسلامية في كيفية التوفيق بين البعد الوطني والاهداف الاسلامية العامة، والرهان الكبير على الارادة الشعبية، وعدم الاتكال او الرهافة على الشرق او الغرب.

□ والقى السيد حسن الخميني حفيد الامام الراحل كلمة الجمهورية الاسلامية الايرانية تناول فيها رؤية الامام الخميني ونظرته العرفانية الكونية لمبادئ الفكر السياسي والاجتماعي. بعد ذلك عقدت الجلسة الاولى برئاسة السيد محمد حسن الامين حول نظرية الجهاد والمقاومة في فكر الامام الخميني: المفاهيم والوظائف على ضوء التحديات الخارجية المعاصرة وقضايا الداخل الاسلامي، وشارك فيها الشيخ مرسل نصر، فضل شرورو، الشيخ محمد يزبك، الدكتور انور ابو طه من فلسطين والشيخ عفيف النابلسي.

ثم عقدت الجلسة الثانية برئاسة المحامي منتصر الزيات حول «الدين والسياسة في فكر الامام الخميني: قراءات في الخطاب والتجربة»، وشارك فيها ممدوح الشيخ من مصر، الشيخ مصطفى ملص، الدكتور شبلي ملاط، الدكتور خليل احمد خليل، عن المجدد الجمهوري موقف الامام من اشكال الحكم ونماذجه المعاصرة وبيان جبر من العراق.

وترأس الجلسة الثالثة الاب سليم غزال وتحدث فيها الدكتور علي لاغا، النائب الحاج عبد الله قصير، السيد هاني فحص، حسن البنا من مصر.

هذا وتستمر اعمال المؤتمر حتى مساء اليوم على ان يصدر البيان الختامي في نهايته.

تغطية: غادة فرحات

صحيفة اللواء

• الشيخ احمد الزين يلقي كلمته.

• مقدمة الحضور وعلى اليمين فاطمة رحيم مغنية، الحنداري، الزين وشحود.

افتتاح مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة

كلمات اشادت بنهج الخميني ودعت الى الوحدة والتضامن

• الحاج الياس نجم مخاطبا.

• الرئيس بيت فارس الحاج.

• السيد حسن محمد الله يتحدث.

• فضيلة حسن الخميني يلقي كلمته.

كتبت بارعة الفقيه

افتتح امس مؤتمر «الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة» لماسبة الذكرى المئوية لولادة الامام الخميني في فندق المرتبال بحضور ممثل رئيس الجمهورية الوزير عازي زعتر، ممثل رئيس الحكومة الوزير عصام نعمان، والوزير محمد يوسف حسبون، النواب: مروان فارس، وعلي الخليل وربيعة كرم ونواب كتلة الوفاء للمقاومة، رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى الامام الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الامين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، فقيد الامام الخميني السيد حسن الخميني على رأس وفد عدمايي ايراني، ممثل الكاردينال مار مصر الله بطرس صفير المطران انطوان نبيل الحنداري، ممثل مفتي الجمهورية فاضي شرع صيدا الشيخ احمد الزين، ممثل البطريرك اغناطيوس الرابع هزيم المطران الياس نجم، ممثل بطريرك الارمن الارثوذكس الكاثوليكوس ارام الاول كشيشيان الارشمندريت مارمن فارسابيان، سفير ايران في لبنان محمد علي سبحاني، اصدر صدر الدين الصدر، وحشد من العلماء والشخصيات السياسية والحربية والاجتماعية من لبنان ومختلف الدول العربية.

وبعد أي من الذكر الحكيم القى رئيس المؤتمر نائب الامين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم كلمة نوه فيها بشخصية الامام الخميني الاستثنائية والمميزة.

وقال: كان منطلقا في حياته الخاصة وراعيا للقانون وتنظيم الدولة، اسبوع كل خصوصيات وتفاصيل الساحة الايرانية والم بواقع القوى في العالم وتأثيرها احب شعبه واحب الشعب بل لامس مشاعر الصنضعفين في العالم واعالمهم داعيه، وانه بموقفه اعتى المظالمين واسقط عرش الشاه.

واشار الى استفادة شباب المقاومة الاسلامية من الروح الجهادية للامام الخميني ما ارهب اسرائيل وجعلها تتراجع في بعض قراراتها ومواقفها على الرغم من عدم التكافؤ في ميزان القوى فالجهاد واستعدادات التضحية تضيف قوة مؤثرة في ساحة المعركة وتؤدي الى تغيير معادلات وتصحيح رؤى وتحقيق انجازات.

شمس الدين

ورأى الامام شمس الدين في كلمته ان القيادة التاريخية الرائدة والواعيه التي تمثلت بالامام الخميني تجاوزت الحدود الجغرافية للجمهورية الاسلامية الاسلامية وانتشت خطابا تنويريا على مستوى الامة الاسلامية اسهم في ترسيخ قناعة لدى الاغلبية الساحقة من المسلمين بان خلاص الامة الاسلامية لن يكون الا بالعودة الى الاسلام على مستوى التنظيم المجتمعي السياسي.

وكرر الدعوة الى اطلاق مبادئ جديد للقدس يحدد الالتزام بفلسطين ويحدد الالتزام بالقدس بوصفها من امانات الله فينا ويجب ان نسلح ونحرب انفسنا للقيام بها بدلا من تنتفي كل الخلافات والنزاعات والخصومات بين المسلمين ونوجد الكلمة في مواجهة الاعداء الذين يسعون جاهدين من اجل تهويد القدس.

ان الموقف الاسلامي يؤكد ان تهويد القدس من الناحية الشرعية مستحيل وانه لا وجود لاية قوة سمح بان تكون القدس او فلسطين بموجبة او صهيونية وان اي اتفاق تعرضه معادلات السياسة وصوراتب الدول لا يمكن ان يسمح باعطاء وضع شرعي لقضية التهويد.

ولاحظ تصاعد وهج المشروع الصهيوني في مواجهة العرب خاصة والمسلمين عامة وهنا ما ينبغي ان يدفعنا اكثر باتجاه توحيد الكلمة والتضامن والتعاون على المستوى العربي والاسلامي.

واعتبر ان ذكرى الامام الخميني ينبغي ان تعيد الثقة الينا باننا قادرون على التغلب على عدونا والانتصار على وجوه الضعف فينا.

واكد على مواجهة قضية التطبيع مع العدو الذي يجب ان تجند الامة لمكافحته كل طاقاتها وتستنفر من اجل الدينولة دونه جميع امكاناتها لتحول دون تحقيق مآرب الصهيونية في ان تكون جزءا من هذه المنطقة وتدخل في نسيجها الحياتي وكون الصهيونية امرا واقعا لا يبرر الاعتراف بها والخضوع لها ورأى ان مقاومة الاحتلال ومشروعه واجب شرعي وقومي ووطني وسياسي يستدعي منا جميعا التعاون والوحدة وتضافر كل الجهود والقوى والامكانات لمواجهته وافشال مخططاته.

بيضون

ورأى الوزير محمد يوسف حسبون في كلمته ان «الواقع الجديد الذي ترتب على ثورة الامام الخميني غير كل المعادلات والتوازنات وحفز في جسد العالم العربي والاسلامي اخذوا من الامل المفقود بالنخوة والمروءة والنصر. ولفت الى ان الثورة الخمينية المباركة كانت نافذة لمعنى البطولة العربية والاسلامية الراحفة قدما

لنتجاوز التحرير الى ما ابعد والتجاوز النصر الى ما هو ابعد. واشار الى ان الامام الخميني هو بحق صاحب اول تجربة حكم اسلامي في عصرنا الحاضر وهي تجربة رائدة وغير مسبوقة.

الهنداري

والقى المطران الهنداري كلمة تحدث فيها عن نهج الامام الخميني وقال: انطلق الامام الخميني من نظرية الامامة متبنيا مبدأ «عموم ولاية الفقيه» ومتخصاه الواقع الذي يعيش فيه المسلمون كاشفا بعض اوجه هذا الواقع وبين ما يقول به الاسلام ويدعو اليه وبالتالي الى الثورة على الظلم والظالمين كما يسميهم على حد سواء منا هذا مبدأه المعروف «لا شرقية ولا غربية» وهو ترجمة لدعوته الى الاستقلالية ورفضه التبعية.

واعتبر ان لحظة الاستقلال تحمل مضامين سياسية والتصادية واجتماعية وثقافية.

ولكن مضامينا الفلسفي العصري يعاني عدم المواجهة الى الاخرين وعدم الخضوع لشريعة مفروضة من الخارج.

وان رفض الامام الخميني للحتمية غربية كان لم شرقية ودعوته الى الاستقلالية عن الغرب والشرق في آن هو موقف استشرافي يستمد جذوره من مبررات ايديولوجية وسياسية واقتصادية وثقافية.

وراى ان ملامحات ثلاث تطرح نفسها في ضوء هذه الرؤية التي اطلقها الامام الخميني.

الملامحة الاولى: اذا كانت حدود الاستقلالية (استقلالية الدول) حدودا هشة في الماضي القريب بحيث لا يمكن الحديث عن استقلال تام لاية دولة فما الذي يمكن قوله اليوم في زمن العولمة؟.

اليس ان المعجمة صارت اكثر تعقيدا وصعوبة وان لم تصبح مستحيلة؟ الا تتطلب مواجهة واقية وفاعلة بمختلف الاساليب وفي مختلف ميادين المعرفة للارتقاء الى مستوى التحدي الذي تفرضه على العالم قوى التأثير والهيمنة الثقافية؟

الملامحة الثانية: هل يمكن ان نواجه عالم الغد والمستقبل بانسان مملوح في فكره وخياله وتعبيراته ام بانسان مستقبلي قادر على الخروج من دائرة التاريخ الماضي الى افاق الانسان الحر المبدع والصانع في صناعة التاريخ وبنائه في آن؟

الملامحة الثالثة: ان تتبدد الامام الخميني على رفض التبعية والدعوة الى الاستقلال يطرح على ضميرنا وضميركم وضمير كل لبناني وعربي واعجمي مسألة مصير لبنان: الانسان الدولة والكيان.

الا يستحق هذا البلد الذي وصفه البابا يوحنا بولس الثاني بانه بلد رسالة ووصفه الرئيس الايراني خاتمي بانه موئل للفكر ومحض للثقافة ومنبر للحوار بين الديانات والحضارات والثقافات الا يستحق ان ندافع جميعا من استقلاله وسيادته وان نرفض تبعيته اي كان. فالحرار القول بالعمل والعمل بالممارسة.

الزين

والقى الشيخ الزين كلمة تحدث فيها عن شخصية الامام الخميني وفكره وانجازاته معددا مواقفه التي لها علاقة بنا كلبنانيين وبالقضية الفلسطينية والمستضعفين والاسلام وقال: ان النظر الكثير والفادح على لبنان انما يكمن في اسرائيل ومشروعها العدواني والتوسعي والتي وصفها الامام الخميني بانها «غدة سرطانية».

ذلك ان العدوان من طبيعتها والتوسع والهيمنة والتسلط هو من اهم اهدافها وما حديث قيادتها عن السلام الا لخداع الراي العالمي مؤكدا ان الخطر الاسرائيلي سيبقى يهدد الانتفاضة واستقرارها.

ودعا الزين العرب الى مراجعة الذات والتفكير بعمق وتجرد بالطاقة التي وصلوا اليها والخسارة الجسيمة التي تكبدوها سياسيا وعسكريا واقتصاديا وثقافيا بسبب السياسة الخاطئة.

ودعا في لبنان وسوريا الى خطوات على هذا الطريق ونشكو من حاجة لمساندة اخواننا العرب والمسلمين وسائر الشعوب المحبة للعدالة والسلام كلها ان عدونا يحظى بموازرة ومساندة الولايات المتحدة الامريكية وكثير من الدول المتفوقة باكاذيبه.

نجم

وتطرق المطران الياس نجم في مداخلته الى مواقع القضية الفلسطينية في فكر الامام الخميني وهي قضية حق مطلق انتصبه شر مطلق ولا يدان يعود الحق الى نصابه ولكد ان اسرائيل المزعومة تشكل الخطر الاساسي الذي يهدد الدول العربية والاسلامية منه الدول مجتمعة التي عليها دعم استعدادها العسكري لتحرير فلسطين فالتضامن العربي والاسلامي ينبغي ان يلجم المطامع التوسعية العدوانية.

وراى ان ما يقوم به عرفات اليوم مع من يتأمر معه من المتشددين الفلسطينيين من المظاهرات ذل واذعان في «اوسلو وواي ريفر» ليس سوى تآمرا على فلسطين والعرب والمسلمين والمسيحيين لانه يبيع فلسطين لاعداء الامة الصهاينة الاجانب فالقضية فلسطين قضية عربية اسلامية مسيحية ومصيرية، وهي وقوم الصراع مع العدو الصهيوني ومن يدعمه من المستكبرين وان ابناء الامة العربية ومعهم جمهورية ايران الاسلامية معنيون بما ويلتزمون بالتضامن من اجلها وتقديم كل التضحيات المادية والمعنوية المطلوبة في سبيلها.

وتحدث نجم في مداخلته عن المنظمات الدينية المسيحية والاسلامية والسياسية لازالة اسرائيل من الوجود والابعاد الشعوبية والسياسية والجهادية ليوم القدس العالمي ومسؤولية العالم الاسلامي والشعب الفلسطيني في تحرير فلسطين وحتمية الصراع ومخاطر التسوية والاعتراف بها وشدد على عروبة القدس وضرورة العمل على تحريرها من الاحتلال الصهيوني ومن شر اسرائيل المطلق.

فارتانيان

واعتبر الارشمندريت فارتانيان في كلمته ان الكفاح احتل موقعا خاصا في مفهوم وعمل وحياة الامام الخميني والكفاح هو قاسم مشترك بين المسيحيين والمسلمين وهو عبارة عن موقف شجاع ونبيل وراسخ بالمعنى الاخلاقي والروحي والفكري هو موقف ليس لعنصرية ومجاهة الشر فقط، بل للعمل على الخير والنضال من اجل كل شيء ايجابي وراى ان الاسلام والمسيحية ليستا ديانتين بعيدتين عن الحياة بل مندمجتان في عمل الحياة اليومية.

ولفت الى ان العالم يشهد اليوم انعدام القيم الاخلاقية والروحية وغالبا ما يطغى نمط حياة الغرب والفكر والعادات الغربية على مجتمعاتنا الشرقية المحافظة فتؤدي الى سقوط وانهيار القيم الاخلاقية فيها وقال: اني لؤمن ان هنا يكمن المردود الكبير لكفاح الامام الخميني الذي قام به لخير الانسان والمجتمع.

واضاف: امام انهيار القيم الاخلاقية لا تستطيع الديانتان البقاء ساكتتين غير مبالتين بل يجب ان تبادرا الى التعاون من اجل افادة تعزيز المبادئ الاخلاقية للانجيل المقدس والقرآن الكريم وهما هي الدعوة المشتركة اليوم.

نصر الله

واشار السيد حسن نصر الله في كلمته الى الامام الخميني لم يقف عند حدود التشهير وانما انطلق مشروعه في ساحات التحدي الكبير وانطلق لعظم صحوة اسلامية وسياسية في هذا العصر. ورأى ان جملة عوامل مكنت الامام الخميني من تحقيق الانجاز التاريخي وابرزها تركيزه على اهمية وخطورة عاملي الزمان والمكان في عملية الاجتهاد حتى عد العملية الفقهية التي تتجاوز هذين العاملين ليست اجتهادا ولم يعترف باجتهاد صاحبها.

واعتبر ان عظمة انجاز الامام على صعيد الفكر السياسي الاسلامي وخصوصا في مسائل الدولة انه استطاع تخطيم الكثير من الاسوار التي كانت تحيط بالاسلام في مفهوم الدولة المسلمين ومفهوم فصل الدين عن السياسة. واضاف ان الامام الخميني في ثورته لم يكتف بصراع الشاه والاميركيين بل كان يصارع ما هو اشد خطرا في مستوى الساحة الداخلية مشيرا الى ان الامام عانى من العلماء المتحجرين وادعياء القداسة اكثر مما عانى من الشاه والقلة قام عرض بعض المفاهيم التي تشكل تصحيحا لبعض المفاهيم الخاطئة وهي: تأكيد علاقة الدين بالدنيا، تقديمه مفهوما مختلفا لمسألة الثقافة وشروطها. رفض فكرة لصباغ الطهر والقداسة على اصحاب العمامة والمزيد المتقلين عن المسؤولية الشرعية تجاه الامة، تقديم رؤية اسلامية محكمة حول مسألة القيادة الشرعية في هذا العصر، الرهان الكبير على الارادة الشعبية وعدم الاتكاء والمراهنة على الشرق او الغرب.

واشار الى تجربة المقاومة الاسلامية في لبنان التي تنتمي الى فكر هذا الامام اولا وعملا حين قال ان المقاومة.

وكلمة في نهجه فعل عبادة ولكد لن المقاومة تعلمت من نهج الامام الخميني مشروع الوحدة الوطنية وكيفية صنع مشروع وطني، ومن نهجه كانت المقاومة تعبيرا انسانيا واخلاقيا مؤكدا وهكم ان المقاومة الاسلامية في لبنان ستبقى وفية لتلك الروح العظيمة مجد الوطن وكرامة الامة وسيبقى الخميني عنوانها ودمها الذي يجري في العروق.

الخميني

والقى السيد حسن الخميني كلمة قال فيها: يذكرنا اسم لبنان وشعبه بكل المجاهدين الكبار الذي سطروا بدمائهم وتضحياتهم وتصميمهم للمحتل الصهيوني ملاحم مظفرة في صلب التاريخ ووجدان الاحرار في العالم مدوها بالامام موسى الصدر الذي نذر حياته دفاعا عن المظلوم ووقف في وجه العدو الاسرائيلي الغاشم شارحا رؤية الامام الخميني ونظرته العرفانية الكونية لمبادئ الفكر السياسي والاجتماعي واضاف: الامام الخميني اثبت حقيقة ان المكانة الحقيقية للعرفان ليست نائية من النشاطات والاعمال الفردية للانسان فحسب بل بما ان الله هو الحاكم المطلق الموجود فيجب ان تشمل سيادته جميع مراحل حياة الانسان ويجب ان تبنى جميع العلاقات الاجتماعية على اساس القيم الالهية وتأسيسا على هذا فان الذات العرفانية للامام الخميني قد القت بظلالها على الفكر الثوري له فلم يبق محدودا بين العمومية والسياسة ولم يقر ابدا بوجود اختلاف بين عالم العبودية وعالم السياسة والاجتماع فكان الامام الخميني يؤمن بان عدم التركيبة والاثنائية والهوى وحب الدنيا هي من جملة الامور التي تحد من اقيام الانسان وكفاحه المستمر حيث في ظل وجودها لن يستطيع الانسان المبادرة الى الثورة ابدا وانا تحققت الثقافة ما قائما لن تستمر وفي حال استمرارها وتجاهها فانه يكون مستحيلا بلؤها وبلوغها لاهدافها المرجوة.

افتتاح مؤتمر «الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني»

رؤساء الطوائف وممثلوها يدعون الى الوطنية والتضامن

صحيفة اللواء

«حزب الله»: الترتيبات قبل الانسحاب الإسرائيلي وبعده لا تعنينا بشيء

نصر الله يرعى تكريماً لعناصر المقاومة اللبنانية لمناسبة ذكرى الاستقلال

بيروت، «الشرق الأوسط»

كرمت «السرايا اللبنانية لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي» سرية من عناصرها المنتمين الى مختلف الطوائف والمناطق اللبنانية والعاملين تحت إشراف «حزب الله»، في حفل اقيم لمناسبة عيد الاستقلال رعاه الأمين العام لحزب الله الشيخ حسن نصر الله

والقى نصر الله كلمة اكد فيها بان مشروع السرايا «لم يكن عملاً اعلامياً بل كان مطلباً لجميع اللبنانيين بانتماءاتهم الطائفية والحزبية والمناطقية كافة». وقال: «ان الاستقلال لن يكتمل وارضنا محتلة وشبابنا في الاسر وقرانا تقصف وطائرات عدونا تنتهك الاجواء وتدمر المنازل وان الاستقلال لن يتحقق الا بكم وبالمقاومة بالرغم من الصعوبات الكثيرة وان كل الترتيبات قبل وبعد الانسحاب لا تعنينا بشيء». واكد «ان العدو اعتمد جميع الوسائل لمحاصرة المقاومة فاغتال القيادات والكوادر وحتى العناصر وحاول بث الفتن بيننا ولكننا لم ولن ننجر لانا نعلم بان الإنجرار وراء الفتن لن يحسب الا ضرراً بمقاومتنا وشعبنا». مشدداً على ان اطار السرايا هو «اقوى وانجح عمل مقاوم على الساحة اللبنانية بعد المقاومة الإسلامية».

الامين العام لحزب الله، اللبناني، الشيخ حسن نصر الله يتبادل الحديث مع الشيخ حسين الخميني، في صورة عدت في بيروت أمس احتفاء بالذكرى المئوية لولادة آية الله الخميني (أ ف ب)

صحيفة الشرق الأوسط

افتتاح مؤتمر عن فكر الخميني في مئوية ولادته

إنجازاته في الحكم ودوره الجهادي

في الذكرى المئوية لولادة الامام الخميني، عقدت لجنة احياء الذكرى مؤتمراً في فندق البريجيان امس عنوانه "مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني في ضوء التحديات المعاصرة".

وحضر ممثل رئيس الجمهورية وزير الدفاع غازي زعيتر وممثل رئيس الوزراء وزير البريد والمواصلات اسكلكية والاسكلكية عصام نعمان ووزير التربية الوطنية والشباب والرياضة محمد يوسف بيضون وكتوف، روبيكة كيبروز، علي الخليل، عبدالله شمير، مروان فارس، محمد رعد، عمار الموسوي وابرهيم بيان.

كذلك حضر ممثل البطريرك الماروني الكاردينال البطريركي العام على جونيه البطران فطوان نبيل العنداري، وممثل مفتي الجمهورية قاضي الشرع في صيدا الشيخ احمد الزين، ورئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين، وممثل بطريرك الروم الارثوذكس الاسقف الياس نجم، ممثل كاثوليكوس الارمن الارثوذكس لبيت كيليكيا الارشمندريت بارين فارتانيان والشيخ مرسل نصر متقدما وهنا من مشايخ الدروز والامين العام لـ"حزب الله" السيد حسن نصرالله وناثبه الشيخ نعيم قاسم وحفيد الامام الخميني السيد حسن علي رأس وفد من الجمهورية الاسلامية الايرانية والسفير الايراني محمد علي سبحاني والمستشار الثقافي في السفارة الايرانية الشيخ محمد مهدي التسخيري وشخصيات سياسية وحزبية وفكرية.

القاسم

افتتح المؤتمر بآي من الذكر الحكيم، ثم القى رئيس المؤتمر الشيخ قاسم كلمة ترحيب تحدث فيها عن الامام الخميني "الذي احدث ثورة في نقطة حساسة من العالم في ايران لتنفتح أقفالها في كل انحاء وتتأسس لاستمرار وخاطبة غير الاجيال المقبلة وفي مواقع كثيرة". وقال: "لا يمكن التصدير بمعزل عن العمل العسكري المباشر، وأي اخراج له من ساحة الصراع والمواجهة مع العدل، اسقاط لاعداد العدة وشروط النصر، وليس الامر مقتصراً على الاحتلال بل يجب ان نكون مستعدين فالعالم يتسلق الضعفاء، والقدرة العسكرية تردع الاخطار، ان المتوقع تقييم التحديات الكثيرة من اجل الاهداف السامية، ولا استسلام عن مواجهة الصعاب مهما بلغت (...)".

واضاف: "مع معرفة بمكامن الخطر بتحدد العدو واولويات المواجهة، وقد حدد الامام الخميني الخطر الكبير الذي نواجه شعوب هذه المنطقة وينعكس على واقعها منذ فترة طويلة، لما التغيير فيحتاج الى معلومات ورمن، والنهضة المتهلكة عندما تكون اسسها سليمة تحقق اهدافها مع البناء والعمل للمؤلف واستكمال الخطوات الضرورية، ولا معنى لليأس او استعظام قوة الانحراف، وبناء على الترابط الوثيق بين الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني اخترنا عنوان مؤتمرنا "الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني في ضوء التحديات المعاصرة"، واتعقاده في لبنان يؤكد اهمية هذه الساحة في المساهمات الفكرية المتنوعة وفي فحوارات الثقافية البناءة".

شمس الدين

وتحدث الشيخ شمس الدين عن انجازات الخميني "التي تتجاوز بها حدود ايران الى العالم الاسلامي كله، وهو الذي ساهم في ترسيخ الافتتاح لدى المعالجة المنطلقة من المسلمين بأن خلاص الامة الاسلامية لا يكون الا بالعودة الى الاسلام على مستوى التنظيم المجتمعي السياسي". واشار الى "تصاعد درجة الهيمنة على العالم الاسلامي وتصاعد نمو المشروع الصهيوني في مواجهة العرب، مما يدفعنا لكثر في اتجاه توحيد الكلمة والتضامن والتعاون على المستوى العربي والاسلامي". وقال: "ان فكرة الامام الخميني ينبغي ان تعيد الينا الثقة بأننا قادرون على التغلب على عدونا والانتصار على وجوه الضعف فينا". ودعا الى "اعلان ميثاق جديد للقدس يجدد التزام فلسطين، ويجدد الالتزام القدس بوصفها من ثابتات الله فينا (...)".

كذلك دعا "الى تشكيل هيئات عالمية واسلامية ووطنية يكون في صلب اهتمامها احياء موضوع القدس في الوجدان العالمي والشعبي"، مؤكدا "ضرورة مواجهة قضية التطبيع مع العدو الذي يجب ان تبذل الامة لمكافحته". وشدد على "التعاون شرعي وقومي ووطني وانساني، وهي التي تشكل النقطة البيضاء والمضيئة في الوضع العربي والاسلامي المعاصر (...)".

ايحون

وعدد بيضون في كلمته بعض المحطات المميزة والبارزة في مسيرة الخميني، "مما غير كل المعادلات والتوازنات وحفر في جسد العالم العربي والاسلامي اخدودا من الامل المحفوف بالمنعة والنصر والعطاء المعمور بالتضحية".

وقال: "ان الامام الخميني هو صاحب اول تجربة حكم اسلامي في عصرنا الحاضر"، مشيرا "ان الاسلام كدين ودولة هو لكل العصور، فيما التجارب الاخرى فشلت في تطبيق الاسلام بل نفرت بالفكر الاسلامي ومساهمته وشموليته".

واضاف: "بورق دم الشهادة الاسلامية العربية في كل بقعة من بقاع المسلمين التي استفاقت ونهضت كما استفاقت ونهضت المقاومة في الجنوب اللبناني المقاوم، وخلعت عن كاهليها برودة الخنوع والاستسلام لتقاتل وتقاوم وتناضل مسلحة وبشكل اساسي بالحق والعقيدة المؤيدة لمبادئ الامام الخميني وتوجيهاته".

الوزيران زعيتر ونعمان وشخصيات دينية في مقدم الحضور في مؤتمر "فكر الامام الخميني" في فندق الكومودور أمس. (علي حسن)

العنداري

والقى المطران العنداري كلمة تحدث فيها "عن نجم الامام الخميني الذي رفض التبعية أكانت غربية أم شرقية"، ودعا الى الاستقلال وقال: "ثلاث ملاحظات تطرح نفسها علينا وعليكم في ضوء رؤية الامام الخميني:

– أولاً: اذا كانت حدود الاستقلالية حدوداً هشة في الماضي القريب، فما الذي يمكن قوله اليوم في زمن العولمة؟ الا تتطلب مواجهة راهنة وفائقة بمستلك الاسلوب؟

– ثانياً: هل يمكن ان نواجه عالم الغد والمستقبل بانسان مقموع في فكره وخياله وتعبيراته؟

– ثالثاً: ان تشهد الامام الخميني على رفض التبعية والدعوة الى الاستقلال يطرح على ضمير وضميركم وضمير كل لبناني وعربي مسألة مصير لبنان: الانسان والدولة والكيان؟

الزين

وعرض الشيخ الزين شخصية الامام الخميني وفكره ونضاله، معدداً مواقفه التي لها علاقة بنا كلبنانيين وبالقضية الفلسطينية والمستضعفين والاسلام. وقال: "ان الخطر الأكيد والفادح على لبنان قما يكمن في استراتيجية ومشروعها العدواني والتوسعي والتي وصفها الامام الخميني بانها "غدة سرطانية". ذلك أن العدوان من طبيعتها، والتوسع والهيمنة والتسلط من لهم اهدافها، وما حديث قاتيتها عن السلام الا لخداع الرأي العام العالمي". وأكد "ان الخطر الاسرائيلي سيبقى يهدد المنطقة واستقرارها".

ودعا العرب الى "مراجعة الفت والتفكير بعمق وتدبر بالدقة التي وصلوا اليها، والدسارة الجسيمة التي تكبدوها سياسياً وماليا واخلاقيا بسبب السياسة الخطأة"، وقال: "تمن في لبنان وسوريا لمقاومة خطوات على هذا الطريق ولشكو من حاجة لمساندة إخواننا العرب والمسلمين وسائر الشعوب المحبة للحطة والسلام ما دام عدونا يحظى بمؤازرة الولايات المتحدة الاميركية وكثير من الدول المخنوعة بأكاذيبه ومساندتها".

نعيم

وأشار نعيم في كلمته الى "ان القضية في فكر الامام الخميني هي قضية حق مطلق اغتصبه شر مطلق، ولما كان يعرف لجمهرة القادس على العالمين، عمل جاهداً على اطلاق "يوم للقدس العالمي" ليثبت للعالم اجمع ما نقوم به فسرائيل ضد البشرية جمعاء في تجميعها لهذه المجموعة العربية المرتبطة في التاريخ، لنفك فان كل مسلم ومسيحي في الامة الاسلامية وكل عربي مدعو الى الالتحاق بالمقاومة القومية والاسلامية من اجل العمل على تحرير فلسطين".

وقال: "ان الكيان الصهيوني، كيان مزيف زائل لا محالة، وفلسطين عربية وستبقى عربية".

فارتانيان

ورأى فارتانيان في كلمته "ان مفهوم الكفاح هو قاسم مشترك بين المسيحيين والمسلمين، فحيثما الاسلام والمسيحية ليستا دينيتين بمعنيين عن الحياة، بل مندمجتان في عمق الحياة اليومية، الاسلام والمسيحية كلاهما يشدد على القيم الاخلاقية وعلى الحقائق السموية التي اعطيت لنا لتفسير بها ومن خلالها حياة الانسان والمجتمع، والتكفاح يعني الحفاظ على القيم الاخلاقية للدين، فهو يعني الانفتاح والحوار مع الاديان الاخرى".

نصرالله

وألقى نصرالله كلمة نشار فيها الى ان الامام الخميني "لم يقف عند حدود التنظير، انما اطلق مشروعه في ساحات للتحدي الكبير واطلق اعظم صحوة اسلامية وبدينية في هذا العصر"، مبيناً جملة عوامل مكنت الامام الخميني "من تحقيق لانجاز التاريخي، وفرزها: تركيزه على اهمية عاملي الزمان والمكان في عملية الاجتهاد وتطويرها".

وقال: "الامام الخميني عانى من العلماء المتحجرين وادعياء الفقاهة اكثر مما عانى من الشاه وظلمه، عارضاً بعض العناوين التي تشكل تصحيحاً لبعض المفاهيم الخاطئة وهي: تأكيد علاقة الدين بالدنيا، رفض فكرة انساع الظهارة والقداسة على اصحاب العبادة والزهد المنقطعين عن المسؤولية الشرعية تجاه الامة (...)".

واشار الى تجربة "المقاومة الاسلامية" في لبنان "التي تنتمي الى فكر الامام الخميني قولاً وعملاً" معلناً "ان المقاومة تعلمت من نهج الامام الخميني مشروع الوحدة الوطنية وكيفية صنع مشروع وطني، ومن نهجه كانت المقاومة تعبيراً انسانياً واخلاقياً مؤثراً"، مؤكداً "ان المقاومة الاسلامية في لبنان ستبقى وفية لتلك الروح العظيمة".

الخميني

وألقى حسن الخميني كلمة قال فيها: "يذكرنا اسم لبنان وشعبه بكل المجاهدين الكبار الذين سطروا بدمائهم وتضحياتهم وتصديهم للمحتل الصهيوني ملاحم محفورة في صلب التاريخ ووجدان الاحرار في العالم"، ونوه بالامام موسى الصدر "الذي لذر حياته دفاعاً عن المظلوم ووقف في وجه العدو الاسرائيلي الفاشم"، شارحاً رؤية الامام الخميني ونظرته العرفانية الكونية لمبادئ الفكر السياسي والاجتماعي.

واضاف: "الامام الخميني اثبت حقيقة ان المكانة العليائية للعرفان ليست نابعة من النشاطات والاعمال الفردية للانسان فحسب، بل بما ان الله هو الحاكم المطلق الموجود فيجب ان تشمل سيادته جميع مراحل حياة الانسان، ويجب ان تبنى جميع العلاقات الاجتماعية على اساس القيم الالهية وتأسيساً على هذا فإن الذات العرفانية للامام الخميني قد القت بظلالها على الفكر الثوري له فلم يبق حدوداً بين العبودية والسياسة، ولم يقر ابداً بوجود اختلاف بين عالم العبودية وعالم السياسة والاجتماع".

٣ جلسات

ثم عقدت ثلاث جلسات الاولى عنوانها "نظرية الجهاد والمقاومة في فكر الامام الخميني" "المفاهيم والوظائف في ضوء التحديات الخارجية المعاصرة والنفايا الداخل الاسلامي" وترأسها السيد محمد حسن الامين وتحدث فيها، الشيخ مرسل نصر، فضل شرورو، الشيخ محمد يزبك، النور ابو طه (فلسطين)، الشيخ عفيف النابلسي.

وكان عنوان الجلسة الثانية "الدين والسياسة في فكر الامام الخميني: قراءات في الخطاب والتجربة" وترأسها رفعت سيد احمد وتحدث فيها: ممدوح الشيخ (مصر) الشيخ مصطفى ماص، الدكتور خليل احمد خليل، بيان جبر (العراق).

وترأس الجلسة الثالثة الرئيس العام للرهبانية الباسيلية المخلصية الارشمندريت سليم غزال وتحدث فيها، علي لاغا، النائب عبد الله قصير، السيد هاني فحص، حسن البنا (مصر).

كتب محمد خليل السباعي

افتتح مؤتمر «الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة» اعماله قبل ظهر امس، في اوتيل الميريديان (الكومودور سابقا) في الحمراء، بدعوة من «لجنة احياء ذكرى مئوية الامام الخميني». حضر وزير الدفاع الوطني فايز زعيتر، ممثلا رئيس الجمهورية، وزير الاتصالات السلكية واللاسلكية عصام نعمان ممثلا رئيس مجلس الوزراء، وزير التربية الوطنية والشباب والرياضة والتعليم العالي والثقافة محمد يوسف بيضون والنواب: عبد الله فصير، ربيعة كيروز، علي الخليل، مروان فارس، محمد رعد، عمار الموسوي، ابراهيم بيان.

الافتتاح بآيات من القرآن الكريم تلاها الشيخ سلمان الخليل. ثم القى رئيس المؤتمر الشيخ نعيم قاسم كلمة عن الامام الخميني الذي «كان يمثل شخصية استثنائية ومميزة، احدث ثورة في نقطة حساسة من العالم في ايران لتنتشر اثارها في كل الانحاء».

وقال: «ان انعقاد المؤتمر في لبنان يؤكد على اهمية هذه الساحة في الاستراتيجيات الفكرية المتنوعة وفي الحوارات الثقافية البناءة».

الامام شمس الدين

والقى رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى الامام الشيخ محمد مهدي شمس الدين كلمة قال فيها: ان ذكرى الامام الخميني ينبغي ان تعيد الثقة الينا باننا قادرون على التغلب على عنوما والانتصار على وجوه الضعف فينا.

وفي هذا الصدد قالنا ملاحظة باستبشار كبير ايجابيات مصيرية الجمهورية الاسلامية على المستوى الاسلامي العام، بتعزيز التضامن الاسلامي - الاسلامي وتعزيز التضامن العربي - الايراني. وفي هذا الصدد قالنا نتوه بالخطوات المباركة لقيادة الجمهورية الاسلامية الايرانية. كما نتوه بالخطوات التي قامت بها من زعماء ودول الدول العربية. ونرى في هذه اللقاءات انجازا مباركا للعرب والمسلمين.

ونحن ادعو تشجع التقارب الايراني - الاسلامي والايراني - العربي ونباركه ونسوده، فاننا نرى في هذا التقارب المصلحة الكبرى للعرب والمسلمين في مواجهة تحديات المرحلة.

اننا في الذكرى المئوية لولادة الامام الخميني نكرر الدعوة الى

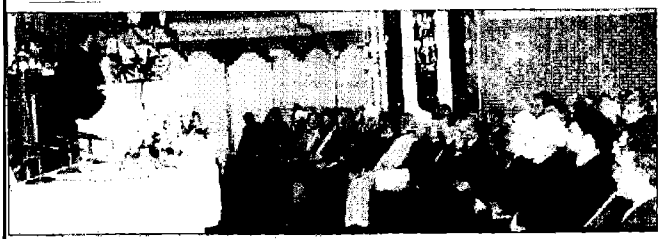

جلسة الحضور في المؤتمر

(رضوان مطر)

نسمح بان تكون القدس او فلسطين يهودية وصهيونية. وان اي اتفاق تفرضه معادلات السياسة وضرورات الدول لا يمكن ان يسمح بايجاد وضع شرعي لقضية الذهويد.

وفي ذكرى الامام الخميني نؤكد على مواجهة قضية التطبيع مع العدو الذي يجب ان نجند الامة لمكافحته كل طاقاتها، ونستنفر من اجل الحيلولة دونه جميع امكاناتها لتحول دون تحقيق مارب اصهيونية في ان تكون جزءا من هذه المنطقة وتدخل في نسيجها الحياتي. وكون الصهيونية امرا واقعا لا يبرر الاعتراف بها والخضوع لها.

ان مقاومة الاحتلال ومشروعه واجب شرعي وقومي ووطني وانساني يستدعي منا جميعا التعاون والوحدة وتضافر كل الجهود والقوى والامكانات لمواجهته واشتال مخططاته.

ونعتبر ان هذه المقاومة تشكل النقطة البيضاء والمضيئة في الوضع العربي والاسلامي المعاصر. ولا يمكن التراجع فيها والتسامح بشانها او المساومة عليها على الاطلاق ما لم يتحقق الحد المطلوب من الموقف، وهو التحرير الكامل وغير المشروط.

ومع هذه المقاومة نؤكد الحرص على التلازم بين سوريا ولبنان في الموقف لمواجهة اسرائيل التي كانت ولا تزال في هذه الايام واكثر من اي وقت تحاول تفكيك هذا التلازم.

الوزير بيضون

ثم القى الوزير بيضون كلمة قال فيها: عندما نقلب اطوار عصور المسلمين وامسهم القريب والبعيد، لا بد وان نقف عند محطات مميزة ظاهرة، محطات قوية برجالاتها منهم استثنائيون تغييريون ظواهر احدث قدومهم اثرا بارزا على طريق الحياة مشكل عام، وعلى صعيد مستوى اوطانهم. ومن هؤلاء الامام الخميني الذي اوقع الدهشة لتتجاوز التحرير الى ما هو ابعد، وتتجاوز النصر الى ما هو ابهى وتتعدى الزمن الى ما هو اعمق وارحب. فتعداه الى امل عظيم هتاقل بعسر وقوة وعناد لا حدود له».

لقد اسقط الامام الخميني اعتى نظام امبراطوري في العصر الحديث، ونفخ في روح العصر بالاسلام فكان المسلمون يقبلون على كلماته المرسلة من منفاه اكثر مما يقبلون على خبزهم اليومي. وشكل صاحب اول تجربة حكم اسلامي في عصرنا الحاضر تجربة رائدة.

والتمت الامام الخميني بجدارة ان الاسلام كدين ودولة هو لكل العصور، فيما التجارب الاخرى فشلت في تطبيق الاسلام، بل هي اضرت بالفكر الاسلامي وبمساحته ورحابته وشموليته ولعل المقاومة في الجنوب والبقاع الغربي خير دليل على هدي التزام شعبنا بفكره وخطه لمواجهة المشروع الصهيوني في المنطقة العربية وخطرها على امتنا العربية والاسلامية».

كلمة البطريرك صفير

ثم القى المطران انطوان عندراوي كلمة البطريرك الماروني الكاردينال مار نصر الله بطرس صفير، فقال:

يسرنا ان نلبي الدعوة الى المشاركة بالذكرى المئوية لولادة الامام الخميني، احد كبار المصلحين في تاريخ الاسلام. انطلق الخميني من نظرية الامامة منبنيا مبدأ، عموم ولاية الفقيه، وشخصنا الواقع الذي يعيش فيه المسلمون، كاشفا بعض اوجه هذا الواقع، وبين ما يقول به الاسلام ويدعو اليه.. وبالتالي الى الثورة على الظلم وعلى الظالمين، كما يسميهم على حد سواء من هما ميداء المعروف، لا شرقية ولا غربية». وهو ترجمة لدعوته الى الاستقلالية ورفضه التبعية.

هناك ثلاث ملاحظات نطرح نفسها علينا وعليكم في ضوء الرؤية التي اطلقها الامام الخميني.

الملاحظة الاولى: اذا كانت حدود الاستقلالية (استقلالية الدول) الاسلوب وفي مختلف ميادين المعرفة للارتقاء الى مستوى التحدي الذي تفرضه على العالم قوى التاثير والهيمنة الثقافية».

الملاحظة الثانية: هل يمكن ان نواجه عالم الغد والمستقبل بانسان مقموع في فكره وخياله وتعبيراته، ام بانسان مستقبلي قادر على الخروج من دائرية التاريخ الماضي الى افاق الانسان الحر المبدع والمساهم في صناعة التاريخ وبنائه في ان.

الملاحظة الثالثة: ان تشديد الامام الخميني على رفض التبعية والدعوة الى الاستقلال يطرح على ضميرنا وضميركم وضمير كل لبناني وعربي واعجمي مسالة مصير لبنان: الانسان، الدولة والكيان. الا يستحق هذا البلد الذي وصفه قداسة البابا يوحنا بولس الثاني بانه بلد رسالة، ووصفه الرئيس الايراني خاتمي بانه موطل للفكر وحصن للثقافة ومنبر للحوار بين الديانات والحضارات والثقافات، الا يستحق ان ندافع جميعا عن استقلاله وسيادته وان نرفض تبعيته لاي كان، لنقرن القول بالعمل والمدا بالممارسة؟

نحن مدعوون وإياكم، ليس فقط الى كلمة سواء بل الى مواقف تاريخية تستوحي البعدين الروحي والوطني من فكر الامام الخميني، ومن اعماق ايماننا وبياناتنا، نتحقق لنا جميعا الخير العام والنفع الوفير.

كلمة المفتي قباني

ثم القى قاضي شرع صيدا والجنوب الشيخ احمد الزين كلمة مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني قال: وقف الامام الخميني الى جانبنا من اللحظة الاولى لدخول القوات الاسرائيلية الى لبنان واحتلالها لعاصمتنا بيروت، فتجيب العدوان الاسرائيلي. ودعا في اجتهاده: واعلن تاييده ومساندته للمقاومة الاسلامية بجميع الوسائل حتى

لبنان لمواجهة العدو الصهيوني.

أما القضية الثانية التي حمل همومها الامام الخميني والتي كانت من الأسباب الأساسية التي دفعت الدول الغربية، وعلى راسها الولايات المتحدة الاميركية لمحاربته، فهي القضية الفلسطينية وموقفه المتشدد منها، والذي تمثل مثلا بالقبل السفارة الإسرائيلية في طهران ودعوته منظمة التحرير الفلسطينية للاقامة في ذات المبنى، واطلاقة شعار «اسرائيل غدة سرطانية يجب ان تزول من الوجود» واحتضانه ومساندته للمقاومة الفلسطينية.

ان الخطر الاكبر والقادم على لبنان انما يكمن في اسرائيل ومشروعها العدواني والتوسعي، وان لبنان لن ينعم بالأمن والاستقرار وكذلك المنطقة العربية برمتها مع وجود العدوان الاسرائيلي. وسيبقى الخطر الاسرائيلي يهدد المنطقة واستقرارها وبعوق نموها وتقدمها وان عقدت المعاهدات وابرمت الاتفاقات والتسويات مع العدو.

والعرب مدعوون لمراجعة الذات والتفكير بعمق وتجرد بالحالة التي وصلوا اليها والخسارة الجسيمة التي لحقوها سياسيا وماليا واخلاقيا بسبب السياسة الخاطئة والقائمة على التفرقة والتقدير بالراي فهل بعد الذي اصابهم قد ادركوا الحاجة للقاء والتشاور وتوحيد القرار السياسي والتعاون والتكامل. ويحق لي لبنان وسوريا قطعنا خطوات على هذا الطريق سائر الاخوة من العرب.

اننا في لبنان نشعر بحاجتنا لمساندة اخواننا العرب والمسلمين وسائر الشعوب المحبة للعدالة والسلام والحرية طالما ان عدونا يحظى بموازرة ومساندة الولايات المتحدة الاميركية وكثير من الدول المخدوعة باكاذيبه واضاليله.

وفي الذكرى المئوية لميلاد الامام الخميني اول المساندين للمقاومة في لبنان نعلن اننا بجميع فئاتنا وطوائفنا ومذاهبنا واحزابنا بدا واحدة وقلبا واحدا مع المقاومة حتى تحرير كل حبة تراب من ارضنا اللبنانية في الجنوب والبقاع الغربي مشيدين بموقف الدولة اللبنانية من المقاومة ومساندتها لها.

كلمة البطريرك هزيم

والقى المطران الياس نجم كلمة بطريرك الروم الارثوذكس انطاكيا، الذي هنأ وحياء فيها

افتتاح مؤتمر «الجهاد والنهضة»

تركها فكر الامام الخميني قد تحول تبصرا في تحولات الزمان ينهل منها جيل صاعد وثائر انسامًا ورياحا وشرودا في الجرود يزرعونها جياد حرية ويأخذونها صلابة فيردونها عنفوانا..

وعرض لموقع القضية الفلسطينية في فكر الامام الخميني، حيث هي «القضية حق مطلق، اغتصبه شر مطلق، ولا بد ان يعود الحق الى نصابه، وان تعود فلسطين الى اصحابها الحقيقيين، ولا بد ان يزول الاغتصاب والاحتلال، ويزول الشر فتحرر فلسطين مهما كلف الامر من تضحيات ونضال واستشهاد، فاسرائيل المزعومة تشكل الخطر الاساسي الذي يهدد الدول العربية والاسلامية، هذه الدول مجتمعة، التي عليها دعم استعدادها العسكري لتحرير فلسطين، فالتضامن العربي والاسلامي - ينبغي ان يلجم المطامع التوسعية العدوانية، ومن اجل ذلك يجب انشاء قيادة عربية - اسلامية - مسيحية، وطنية - قومية موحدة، لمواجهة احتمالات العدوان المرتقب، ولظهر العدو، واعادة الحق الى نصابه. فالمطلوب الآن وجوب استعمال جميع الطاقات العربية والاسلامية والمسيحية في قارتنا هذه لمواجهة تحدي الاستعمار والصهيونية، واصرار اسرائيل على سياستها العدوانية، قضية فلسطين هي قضية العرب جميعا، وقضية المسلمين جميعا، وقضية المسيحيين جميعا، ولا يجوز لاي طرف التنازل عن التزام الدفاع عن الحق المسلوب.

بالمحصلة، فان تضافر الجهود العربية وتضامن العرب ووحدتهم المصيرية، كذلك تكاتف هذه الجهود مع الاشقاء المخلصين والاصدقاء، وبنوع اخص مع جمهورية ايران الاسلامية، وعملا بفكر القائد الامام الخميني (قده) سينتصر الحق بعونه تعالى (وإن ينصركم الله فلا غالب لكم).

للعالم نقول، ونخص المستكبر الاميركي: فلسطين عربية وستبقى عربية طالما ان صراعنا مع العدو الاسرائيلي صراع تاريخي لن ينتهي الا بزوال اسرائيل. على الجميع ان يعلموا، ان هدف الدول الكبرى من ايجاد اسرائيل لا يقف عند احتلال فلسطين، فهؤلاء يخططون - نعوذ بالله - للوصول بكل الدول العربية الى نفس المصير الذي وصلت اليه القدس.

نيابة عن مولانا صاحب الغبطة، اغناطيوس الرابع، بطريرك انطاكية وسائر المشرق، نقدم الاجلال والاحترام لفضيلة الامام المجاهد الخميني (قده)، لان صوته يبقى في وجه الظالمين، في وجه المستكبرين. وهناك منذ الفي سنة «صوت صارخ في البرية اعدوا طريق الرب» يوحنا ٣:١.

كلمة الكاثوليكوس آرام الأول

والقى الارشمندريت بارني فارتانيان كلمة بطريرك الارمن الارثوذكس الكاثوليكوس آرام الأول كيشيشيان. وقال فيها: الكفاح احتل موضعاً خاصاً في مفهوم وعمل وحياة الامام الخميني. تلك الكلمة التي كانت ثابتة دوماً في صميم حياته وعمله، كلمة كانت ولا تزال تحتل موقعاً هاماً في الديانتين الاسلامية والمسيحية.

إن مفهوم الكفاح هو قاسم مشترك بين المسيحيين والمسلمين، عندما ندرس تاريخ الاديان، وعن نشاتها وتطوراتها وتعاليمها، سنجد هناك - بكل تاكيد - ان الكفاح كان له المكان والدور الاساسي بشكل دائم ولا يزال. بهذا المضمار اود ان اوضح بعض نقاط مفهوم الكفاح من المنظور المسيحي.

اولاً: يجب ان لا يختلط معنى الكفاح بالاستبداد والسيطرة والقهر والاضطهاد ولا بالدمار والموت والحرب. الكفاح عبارة عن موقف شجاع ونبيل وراسخ بالمعنى الاخلاقي والروحي والفكري، هو موقف ليس لمعاكسة ومجابهة الشر فقط بل للعمل على الخير والنضال من اجل كل شيء ايجابي.

ثانياً: الكفاح بالمفهوم المسيحي هو موقف انساني ضد الشر والخطيئة والمنكلمات والهيئات التي تحاول ابعاد وجود الله من حياة الانسان، والتي تحاول نشر الكره والضغينة عوض المحبة الالهية، والظلم عوض العدل، والموت عوض الحياة في حياة المجتمع والمجتمعات.

ثالثاً: الكفاح ليس ضد اعداء الله فقط بل ايضا من اجل ترسيخ ملكوت الله على هذه الارض.

السيد نصرالله

والقى الامين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله كلمة وفيها:

لقد كان إمامنا الخميني (قدس) يحق مجدداً للدين وللقيم وللمفاهيم الاسلامية في هذا العصر، حيث استطاع ان يقدم الاسلام من جديد كرسالة الهية ومشروع حضاري وصيغة حياة للفرد وللامة، محافظاً على صفاء هذا الاسلام وعلى اصوله ومبادئه وحتى على مصطلحاته الاساسية. ولم يقف عند حدود التنظير وتقديم الاطروحة وانما تمكن من اطلاق هذا المشروع في ساحات التحدي الكبرى، حركة ثم ثورة عارمة ثم دولة في اطار انتصار مدوٍ، أطلق معه اكبر واعظم صحوة اسلامية ودينية في هذا العصر على الاطلاق.

ما أردت ان أقوله ان الامام لم يكن فقط يواجه الشاه او اسياد الشاه الاميركيين او المشروع الحضاري الغربي والوافد الى بلادنا، بل كان يصارع في الساحة الداخلية ما هو اشد خطراً في موقع الفكرة، وما هو اشد المّا في موقع المعاناة حتى قال ان قلبه قد نالم بسبب العلماء المتحجرين وادعياء القداسة اكثر ما عاناه من الشاه وظلمه.

على كل حال اعاد الامام الحياة الى المفهوم الاسلامي الاصيل للجهاد والنهضة والبنت التجربة ان ما قاله الامام لا ينحصر في واقعة الثورة الاسلامية في ايران حتى يقول البعض منا، ان نجاح التجربة هناك مرتبط بالخصوصيات الايرانية وليس بالمفهوم فلحد فبين ابديا تجربة المقاومة الاسلامية التي انطلقت في لبنان بعد اجتياح ١٩٨٢، والتي كانت وما زالت تنتمي الى فكر هذا الامام قولا وعملاً، ويملا الامام عقلها وقلبها والعيون، هو اعطاها الأمل ورسم لها الطريق وفتح امام عشاقها ابواب الاستشهاد، وحدد لها الافق. وفي نهجه كانت المقاومة الاسلامية فعل عبادة في مواقع الجهاد والدفاع لا في كهوف الانزواء وزوايا المساجد. وفي نهجه تعلمت المقاومة الاسلامية مشروع الوحدة الوطنية وكيفية صنع مشروع وطني، وفي نهجه استمدت النصر من الله ووثقت بنصرها اهلها ومجاهديها، وفي نهجه كانت المقاومة تعبيرا انسانيا واخلاقيا مؤثرا، وفي نهجه عرفت قائدها ووالى امرها وبايعته، وفي نهجه نظمت اولوياتها اخلصت لها، وفي نهجه شخصت العدو وعرفت الصديق، وفي نهجه تقدمت في دروب التضحية والفداء وايقنت ان الجهاد اقصر طريق لصنع النصر للامة وان الشهادة اقصر طريق لوصول العشاق الى الله تعالى.

في حضور ميشال لحود والحص وبشارة وسعة وشيخ ميشال عون

انعقاد مؤتمر الخط والنضال في فكر الإمام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة والكلمات شددت على التحاور البنّاء - الإسلامي الاستعراض الأمة

صحيفة الديار

كشيشيان

وألقى كلمة البطريرك الارمن الارثوذكس الكاثوليكوس ارام الاول كشيشيان، الارشمندريت بارثي قارتيقيان. فقال: يجب ان لا يختلط معنى الكفاح بالاستبداد والسيطرة والقهر والاضطهاد ولا بالدمار والموت والحرب. الكفاح عبارة عن مواقف شجاع ونبيل وراسخ بالمعنى الاخلاقي الروحي والفكري. هو موقف ايمان لمعاكسة ومجابهة الشر فقط، بل للعمل على الخير والنضال من أجل كل شيء ايجابي.

واضاف «اليوم الكفاح ذاته مستمر في حياتنا لان مجتمعنا المعاصر محاصر بالشرور والاخطار نفسها فالاسلام والمسيحية ليستا ديانتين بعيدتين عن الحياة بل هما مندمجتان في عمق الحياة اليومية وكلاهما يشددان على القيم الاخلاقية. اذا كلا الديانتين لا يمكن ان تكونا غير مبالتين بالاخطار المحدقة بحياة الانسان وتبقيا ساكتتين».

وتابع «الكفاح يعني الحفاظ على القيم الاخلاقية للدين. الكفاح يعني الانفتاح والحوار مع الاديان الاخرى التي تعمل على نشر القيم والحقائق السماوية ذاتها في حياتنا الانسانية. انا لؤمن باننا نستطيع ايجاد تعاون مشترك حول هذه الثقافة الانسانية بين الديانتين المسيحية والاسلامية».

نصرالله

والقى امين عام حزب الله السيد حسن نصرالله كلمة قال فيها ان الامام الخميني غير وجه التاريخ المعاصر وانه اطلق مشروعه في ساحات التحدي الكبير، واطلق امة صحوة اسلامية ودينية في هذا العصر، ورأى ان جملة عوامل مكنت الامام الخميني من تحقيق الانجاز التاريخي وابرزها تركيزه على اهمية وخطورة عنصري الزمان والمكان في حياتنا الاجتماعية، عدا العملية الثقافية التي تتجاوز قابلية العاملين ليست اجتهادا ولم يعترف باجتهاد صاحبها.

وقال: «ان الامام الخميني في ثورته لم يكن يصارع الشاه والاميركيين، بل كان يصارع ما هو اشد خطرا في مستوى الساحة الداخلية». واشار الى ان الخميني علمنا من العلماء المتحجرين وادعياء القداسة اكثر مما علمناه من الشاه وقلمه.

واشار الى ان تجربة المقاومة الاسلامية في لبنان التي تنتمي الى فكر هذا الامام لولا وعسى، حيث قال ان المقاومة كانت في نهجه فعل عبادة، ولكد ان المقاومة تعلمت من نهج الامام الخميني مشروع الوحدة الوطنية وكيفية صنع مشروع وعي وانها من نهجه كانت المقاومة تعبيرا انسانيا واخلاقيا مؤثرا.

حسين الخميني

والقى كلمة الجمهورية الاسلامية الايرانية حفيد الخميني حسين احمد الخميني، فقال: «ان الروح التي اوجدها الامام الخميني عمت المجتمع الاسلامي برمته من شرقه الى غربه، حيث تمخضت من خلق ملاحم ابدية نرى في لبنان المقاوم بعضا منها، حيث ان العدو الاسرائيلي رضخ وركع امام الشعب اللبناني المقاوم العظيم الذي يرى اليوم الكيان الاسرائيلي صاغرا امام شبابه وسوف يتذكر الذل والعار والخزي الذي لحقه بالعدو من خلال تحليه بالصمود والمثابرة.

الجلسات

وبعد جلسة الافتتاح عقدت الجلسة الاولى من المؤتمر وكانت تحت عنوان «نظرية الجهاد والمقاومة في فكر الامام الخميني: المفاهيم والوظائف على ضوء التحديات الخارجية للعناصر، وقضايا الداخل الاسلامي» وترأسها العلامة محمد حسن الامين وتحدث فيها كل من الشيخ مرسل نصر، فاضل شرورو، الشيخ محمد يزبك، الدكتور النور ابو طه (فلسطين)، الشيخ عفيف قانديلي.

والجلسة الثانية كانت تحت عنوان «الدين والسياسة في فكر الامام الخميني قراءات في الخطاب والتجربة» ترأسها الدكتور منتصر الزيات من مصر، وتحدث فيها كل من: ممدوح الشيخ، والشيخ مصطفى ملص، الدكتور شبلي ملاط، الدكتور خليل احمد خليل، بيسان جبر (العراق).

واختتم اليوم الاول من المؤتمر بالجلسة الثالثة التي ترأسها الاب سليم غزال وتحت عنوان «اشكالية الوحدة والتنوع في المجتمع الاسلامي على ضوء فكر الامام» وترأسها الاب سليم غزال وقدمت مجموعة ابحاث للدكتور علي لاذا، الغالب عبد الله المسير، هاني فحص، وحسن البنا.

ومن المقرر ان تستمر اعمال المؤتمر اليوم الاربعاء.

صحيفة الديار

افتتاح حاشد لمؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الخميني
حضور سياسي وروحي ومشاركة حفيد الإمام ومحتشمي

نجحت «لجنة إحياء ذكرى سنوية الإمام الخميني في لبنان» في تأمين انعقاد حاشد لمؤتمر «الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة». سواء في الجلسة الافتتاحية التي انعقدت في فندق البريديان ـ كومودور وتميزت بحضور رسمي لرئيس الجمهورية فالعماد اميل لحود ممثلا بوزير الدفاع غازي زعيتر ولرئيس الحكومة الدكتور سليم الحص ممثلا بوزير الاتصالات عصام نعمان كما تميزت بحضور روحي لممثلي رؤساء الطوائف المسيحية والاسلامية وبحضور سياسي لبناني وفلسطيني وعربي خاصة للفصائل المعارضة في ساحات فلسطين والاردن والعراق ومصر، فضلا عن شخصيات إسلامية من سوريا والسودان.

وبدا الاهتمام الايراني بالمؤتمر واضحا من خلال طبيعة التمثيل الذي فاجأ الحاضرون كونه لم يكن محددا بشكل مسبق، فإذا بحفيد الإمام الراحل الخميني السيد حسن الخميني يحضر برفقة وفد من أبرز اسمائه وزير الداخلية السابق والشخصية المتشددة علي اكبر محتشمي، ومرد هذا الاهتمام كون المؤتمر هو الوحيد الذي ينعقد في الساحة العربية في ذكرى مئوية الإمام الخميني بينما ستنعقد مؤتمرات اخرى في ساحات مختلفة في آسيا وأوروبا وكندا وايران.

والملاحظ أن منظمي المؤتمر قد اختاروا عناوين واطروحات تنطبق على واقع الأمة العربية والاسلامية بحيث بدا الحديث عن الإمام الخميني على تماس مع نبض الأمة وقضاياها الحية: الجهاد والمقاومة، فلسطين، القدس، الاستكبار العالمي، الصهيونية، العلاقة مع الغرب، وحدة الأمة الإسلامية.

وأكدت اللجنة أن الهدف من تقديم قراءات معمقة ومتنوعة لفكر الإمام وأطروحاته المتعلقة بهذه القضايا هو الاستفادة من افكاره والتواصل مع تجربته وبالتالي «محاولة استكشاف البناني الرئيسية لدرسته الجديدة الرائدة».

أول المتحدثين في الجلسة الافتتاحية نائب امين عام «حزب الله» الشيخ نعيم قاسم بصفته رئيس لجنة احياء ذكرى مئوية الإمام الخميني في لبنان لـ«شدد على الترابط الوثيق بين الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني، وقال: «اخترنا يوم الخامس عشر من شهر خرداد يوم واحدة الإمام المهدي، يوم المستضعفين في العالم، كمحطة هامة ركز عليها الإمام الخميني وربط الأمة بها، اعلن ان تصوم الإمامات الفكرية في تسليط الضوء على ما قدمه هذا الرجل العظيم للبشرية جمعاء مؤكدا على اهمية الساحة اللبنانية في الإمكانيات الفكرية وفي الموازنات الثقافية البناءة».

شمس الدين

وقال رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين ان القيادة الفذة التاريخية والواعية التي تمثلت بالإمام الخميني تجاوزت حدود ايران الجغرافية وانتجت خطابا ثوريا إسلاميا أسهم في ترسيخ قناعة لدى الأمة المسلمة «بان خلاص الأمة الإسلامية لا يكون إلا بالعودة الى الإسلام على مستوى التنظيم الاجتماعي والواعية التي تمثلت بالإمام الخميني تجاوزت حدود ايران الجغرافية وانتجت خطابا ثوريا إسلاميا أسهم في ترسيخ قناعة لدى الأمة المسلمة «بان خلاص الأمة الإسلامية لا يكون إلا بالعودة الى الإسلام على مستوى التنظيم الاجتماعي والسياسي». وتوقف عند نقطة مرتكزية في فكر ومنهج الإمام الخميني وهي القدس مكررا الدعوة الى تشكيل هيئات عالمية وإسلامية ووطنية مهمتها احياء موضوع القدس في الوجدان الشعبي العالمي وبلورة اطر عن تشكيل هيئة ستعمل على تنفيذ هذا الالتزام الديني وشدد على مقاومة التطبيع والاحتلال مؤكدا على تلازم المسارين بين سوريا ولبنان.

العنداري

وتحدث المطران انطوان نبيل العنداري باسم البطريرك الماروني بطرس صفير فانطلق من رفض الخميني للتعددية غريبة فانت ام شرقية» ودعوته الى الاستقلالية لطرح الاطلاقات الآتية: ما الذي يمكن قوله عن الاستقلالية في زمن العولمة وهل يمكن ان نواجه عالم الغد والاستقبال بإنسان متموع في فكره وخياله وتعبيراته ام بإنسان مستقبلي قادر على الخروج من مأزرة التاريخ الماضي الى افاق الإنسان الحر المبدع وفي ضوء ذلك لا يستحق لبنان ان نداقع عن استقلاله وسيادته وان نرخص لمقاتلة لاي كان لمقتمن القول بالعمل وإلا بقا بالموسة.

الزين

كلمة مفتي الجمهورية الشيخ محمد رشيد قباني القاها الشيخ شرح صبحا الشيخ احمد الزين واستذكر الإمام الخميني بمواقفه الرائعة ازاء لبنان والقضية الفلسطينية وقال اننا نعلن اننا في لبنان بجميع طوائفنا وشرائحنا وفئاتنا وعائلاتنا واحزابنا يدا واحدة وقلبا واحدا مع المقاومة حتى تحرير آخر حبة تراب من ارضنا اللبنانية في الجنوب والبقاع الغربي، مشيدا بموقف الدولة من المقاومة ومساندتها لها ومشددا على تلازم المسارين اللبناني والسوري.

نجم

كلمة البطريرك الغناطيوس الرابع عزيز القاها المطران الياس نجم وقال ان المقاومة والنضال والجهاد امور مقدسة تشرف طبعا الاجيال حتى يتحقق العدل ويعزم اسرائيل وتزول وما اعاسيك الشريعة سوى تكتيك مرحلي من اجل تحقيق مكاسب، واكد ان فلسطين عربية ويجب ان تعود الى اصحابها الشرعيين، الى الفلسطينيين العرب، مسلمين ومسيحيين.

فارطانيان

كلمة بطريركية الارمن الارثوذكس القاثوليكوس آرام الاول كيشيشيان القاها ممثله الارشمندريت بارين فارطانيان وقال: «الإمام الخميني ذكرنا بانه ليس من السهل الافلاس لتلك القيم الإخلاقية، وخاصة في عالمنا اليوم، لذلك يتطلب كفاحا دائما ومستمرا، كفاحا من اجل العمور بين الاديان وبيانات الوقت والحفاظ على عالميتها وقابليتها وحيويتها

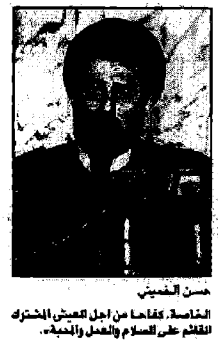

حسن الخميني

الخاصة، كفاحا من اجل التعيش المشترك القائم على السلام والعدل والمحبة».

بيضون

وقال وزير الثقافة والتربية محمد يوسف بيضون ان الإمام الخميني هو بحق صاحب اول تجربة حكم إسلامي في عصرنا الحاضر وهي تجربة رائدة وغير مسبوقة وانه منذ الغداء لم تقم دولة الإسلام الوضعية فسارت الدولة الإسلامية مجرد فكرة نظرية شكك البعض بقدرتها تصلح للزمن الراهن.

نصر الله

واشار امين عام «حزب الله» السيد حسن نصر الله الى جملة عوامل مكنت الإمام الخميني من انطلاق اعظم صحوة إسلامية ومبينة بينها تركيزه على اهمية وخطورة عامل الزمان والمكان في عملية الإجتهاد الفقهي. وقال ان الإمام لم يقن فقط بواجه الشاه او اسياد الشاه الاميركيين او المشروع الصهيوني الغربب والوقوف الى جانب المحرومين والمستضعفين في الساحة الداخلية ما هو اخطر في مواقع الفكرة، وما هو اخذ الما في مواقع المعاناة حتى قال ان القيد قد تألم بسبب العلماء المتحجرين وادعياء القداسة اكثر مما عانته من الشاه وظلمه.

واشار الى تجربة المقاومة الإسلامية في لبنان التي تنتسب الى فكر الإمام اولا وعملا، حيث قال ان المقاومة عانت في نهجه فعل عباءة، واكد ان المقاومة تخلصت من نهج الخميني مشروع الهوية الوطنية وعملية صنع مستقبل لبناني وكيف تكون تعبيرا إنسانيا وأخلاقيا مؤثرا.

الخميني

اخر المتحدثين في الجلسة الإفتتاحية هو حفيد الإمام الخميني السيد حسن الخميني رئيس مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني في ايران وقال ان الإمام الخميني اوجد اعظم الثورات التي تتحكم بها القيم في القرن العشرين الذي سيحق ان تسميه بالقرن الثورات. واكد ان شعب لبنان وشعبه العظيم وبعيد الى الذين اسماء كل اولئك الذين تركوا من خلال اعمالهم الخالدة بصماتهم الخيرة لبناء الإنسان في هذا البلد من المفكرين والمثقفين واصحاب الرأي والقلم. فما يكونوا امم لبنان وشعبه بطل الجهاديين الكبار الذين صنعوا بدمائهم وتضحياتهم وتسديدهم المستحيل الصهيوني المتدي ملاحم مخفورة في صلب التاريخ وتسير ووجدان الاحرار في العالم وهنا لا بد ان نتذكر امام الإمام الغيب الإمام موسى الصدر الذي نذر حياته فداءا عن المظلوم والمحروم ونبل العزة والكرامة للانسان كما ادى الإمام دورا رياديا في استنهاض الشعب اللبناني وتحفيزه للوقوف في وجه العدو الاسرائيلي».

الجلسات

وحملت الجلسة الاولى عنوان: «تلقيح الجهاد والمقاومة في فكر الإمام الخميني: المفاهيم والوظائف على ضوء التحديات الخارجية المعاصرة وقضايا الداخل الإسلامي» وتراسها السيد محمد حسن الامين وتحدث فيها كل من: الشيخ مرسل نصر (الجهاد: حيثياته ومنطلقاته كما يراها الإمام الخميني)، فيصل شرورو (التأثير الفكري والعملي لفكر الخميني في الساحة العربية ـ الإسلامية)، الشيخ محمد يزبك (دور الجهاد في حياة الأمة: بناء الذات والتفاعل مع الآخر)، الدكتور أنور ابوسليم (الإمام الخميني في خطاب حركة الجهاد في فلسطين)، الشيخ عفيف النابلسي (دور الجهاد في حياة الأمة).

وحملت الجلسة الثانية عنوان: «الدين والسياسة في فكر الإمام الخميني: قراءات في الخطاب والتجربة» وترأسها د. رفعت سيد احمد وتحدث فيها على التوالي: ممدوح الشيخ (دور ولاية الفقيه عند الإمام الخميني في تطوير الفكر السياسي الإسلامي)، الشيخ صطفى ملص (الإمام الخميني والأنظمة السياسية المعاصرة)، د. خليل احمد خليل (موقف الإمام من اشكال الحكم وتطبيقاته المعاصرة)، بيان جبو (موقف الإمام من اشكال الحكم ونماذجه المعاصرة: العراق نموذجا).

الجلسة الثالثة والاخيرة في اليوم الاول من المؤتمر كانت تحت عنوان: «الثقافية الوحدة والتنوع في المجتمع الإسلامي على ضوء فكر الإمام» وترأسها الإرشمندريت سليم غزال وتحدث فيها كل من: الدكتور علي لاريا والمثقف عبد الله المصري والسيد هاني فحص والمفكر حسن البنا.

ويتابع المؤتمر اعماله اليوم في جلسات اربع يتلى في ختامها البيان النهائي الصادر عن المشاركين في المؤتمر.

صحيفة السفير

مؤتمر فكر الإمام الخميني في الذكرى المئوية لولادته

شمس الدين: تصاعد الهيمنة على العالم يدفعنا الى التوحيد

نصر الله: الخميني قدم الإسلام كمشروع حضاري

عقدت لجنة إحياء ذكرى مئوية الإمام الخميني في لبنان صباح أمس مؤتمراً بعنوان «مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة»، لمناسبة الذكرى المئوية لولادة الإمام الخميني في فندق «البريديان» بهدف تقديم قراءات متنوعة لفكر الإمام ومعالمه الرئيسية، وطروحاته التأسيسية، لاسيما منها المتعلقة بقضايا الجهاد والمقاومة والقدس ووحدة الأمة الإسلامية.

وحضر المؤتمر عدد من المرجعيات الدينية والشخصيات السياسية والثقافية والحزبية.

افتتح المؤتمر بآي من الذكر الحكيم، ألقى بعدها رئيس المؤتمر نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم كلمة ترحيب تحدث فيها عن مزايا الإمام الخميني، مشيراً الى أنه «بناء على الترابط الوثيق بين الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني اخترنا عنوان مؤتمرنا «الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة»، وانطلاقا في لبنان يؤكد أهمية هذه الساحة في الإسهامات الفكرية المتنوعة وفي الحوارات الثقافية المتابعة».

وألقى الإمام شمس الدين كلمة تحدث فيها عن إنجازات الإمام الخميني مشيراً الى «تصاعد درجة الهيمنة على العالم الإسلامي وتصاعد نمو المشروع التصحيحي في مواجهة الغرب، مما يدفعنا لتكثير باتجاه توحيد الكلمة والتضامن والتعاون على المستوى العربي والإسلامي».

وتحدث الوزير محمد يوسف بيضون في كلمته الى بعض الملحقات المميزة والطريفة في مسيرة الإمام الخميني مؤكداً أنه صاحب أول تجربة حكم إسلامي في عصرنا الحاضر منبهاً أن الإسلام كدين ودولة هو لكل العصور، فيما التجارب الأخرى فشلت في تطبيق الإسلام بل أضرت بالفكر الإسلامي وبمساحته وشموليته».

وشارك المطران نبيل العنداري ممثلاً الكاردينال البطريرك ماربشارة بطرس صفير في كلمة تحدث فيها عن «نهج الإمام الخميني الذي رفض التبعية غربية كانت أم شرقية»، داعياً الى مواجهة «عالم الغد بإنسان مستقبلي فكر على الخروج من التاريخ الى الإنسان الحر» ومعتبراً أن «العولمة تتطلب مواجهة واقية وفاعلة».

وتطرق الماضي شرح صيدا الشيخ أحمد الزين ممثلاً بمفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد رشيد قباني، الى فكر الإمام وإنجازاته.

ودعا الزين الجميع الى الوحدة الوطنية لنلتقي جميعاً في بناء وطننا والنهوض به وللدفاع عنه بوجه العلامين بخياراته وخصوصاً العدو الإسرائيلي.

وألمح المطران العابس نجم بدلاً البطريرك الغناطيوس الرابع هزيم، الى أن «القضية في فكر الإمام الخميني هي قضية حق مطلق المتعصبه ملم مطلق». مشيراً في الوقت نفسه الى «أن الكيان الصهيوني، كيان سرطاني زائل لا محالة، وفلسطين عربية وستبقى عربية طالما أن صراعنا مع العدو الإسرائيلي صراع تاريخي لن ينتهي إلا بزوال إسرائيل».

واعتبر الأرشمندريت بارين فاخوري ممثلاً بطريرك الأرثوذكس الكاثوليكوس آرام الأول كيشيشيان «أن مفهوم الكفاح هو قاسم مشترك بين المسيحيين والمسلمين، فديانتنا الإسلام والمسيحية ليستا ديانتين بعيدتين عن الحياة، بل مندمجتان في عمق الحياة اليومية». مشيراً الى أن «الكفاح يعني الحفاظ على القيم الأخلاقية للدين، فهو يعني الانفتاح والحوار مع الأديان الأخرى».

أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله تحدث عن إنجازات الإمام الخميني الذي «استطاع أن يقدم الإسلام من جديد كرسالة إلهية ومشروع حضاري وصيغة حياة للفرد والأمة، محافظاً على صفاء هذا الإسلام وعلى أصوله ومبادئه وحتى على مصطلحاته الأساسية».

واعتبر نصر الله أن «الإمام لم يكن فقط يواجه الشاه أو أسياد الشاه الأميركيين أو المشروع الحضاري الغربي والوافد الى بلادنا، بل كان يصارع في الساحة الداخلية ما هو أشد خطراً في موقع الفكرة، وما هو أشد لماً في موقع المعاناة، حتى قال إن قلبه قد تألم بسبب العلماء المتحجرين وأدعياء القداسة أكثر ما عاناه من الشاه وظلمه».

وأضاف السيد نصر الله أن «الإمام أعاد الحياة الى المفهوم الإسلامي الأصيل للجهاد والمنهضة، وأن التجربة أثبتت أن ما قاله الإمام لا ينحصر في واقعة الثورة الإسلامية في إيران»، مشيراً الى أن «المقاومة الإسلامية في لبنان كانت ثمرة فكر الإمام وروحه وتضحيته».

وشارك حفيد الإمام الخميني السيد حسن الخميني الذي حضر المؤتمر على رأس وفد من الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وألقى كلمة اعتبر فيها أن «اسم لبنان وشعبه يذكرنا بكل المجاهدين الكبار الذين سطروا بدمائهم وتضحياتهم وتصديهم للمحتل الصهيوني».

وكانت الجلسة الثانية التي حملت عنوان «الدين والسياسة في فكر الإمام الخميني: قراءات في الخطاب والتجربة» وترأسها د. رفعت سيد أحمد من مصر، وتحدث فيها بداية د. خليل أحمد خليل الذي بحث في «موقف الإمام من أشكال الحكم ومعالجته المعاصرة».

وناقش الباحث في المركز الدولي للدراسات في القاهرة ممدوح الشيخ في «دور ولاية الفقيه عند الإمام في تطور الفكر السياسي الإسلامي»، مشيراً إلى أنه «على الصعيد الفلسفي حسمت ولاية الفقيه نزاعاً بين قيمتي الحق والنظام، فالحق في الإسلام فوق النظام، كما أن النظرية يمكن الاستناد إليها في فكر أهل السنة لطرح اجتهاد قريب منها».

ثم عه الشيخ مصطفى ملص الذي تحدث عن «الإمام الخميني والأنظمة السياسية المعاصرة». قراءة في الفكر والواقع».

وتحت عنوان «موقف الإمام من أشكال الحكم ومعالجة المعاصرة»، متخذاً العراق نموذجاً استعرض بيان جبر العلاقة التي نشأت بين نظام صدام والثورة بعد انتصارها وعنونها ثمن الحرب بعد غربي آثر به صدام لاحقاً، أما الإمام فاختضع الحرب لمؤشر الأمة فجاءته وهي أشد زخماً وقوة والشعار السياسي الذي رفعه الإمام هو حماية الثورة بوصفها إنجازاً للأمة، كما أن الإمام حينما اعتبر الحرب أعلناً غربياً - صهيونياً لتقويض مشروع الدولة الإسلامية ورفع شعار تحرير كامل الأراضي المحتلة بالعدوان والإرهاب، فنجح في تحويله الى عقيدة وثقافة في حياة المجتمعات العربية والإسلامية وقد أتخذ في لبنان شكلاً مغايراً باندلاق المقاومة الإسلامية.

أما الجلسة الثالثة والأخيرة في اليوم الأول للمؤتمر، فقد افتتحت تحت عنوان «إشكالية الوحدة والتنوع في المجتمع الإسلامي على ضوء فكر الإمام».

ترأس الجلسة الأرشمندريت سليم غزال وبدأها د. علي لاغا الذي اعتبر أن «الوحدة أمر إلهي وهي صفة ملازمة للإيمان وقيمة كونية وإسلامية»، لافتاً الى أن الإمام «دعا الى وجوب اعتماد الثقافة الإسلامية ومحاورة الثقافة الغربية».

وتحت عنوان «منهج الإمام الخميني بين الثوابت الفكرية ومصالح الأمة»، تحدث د. حسن الهنا عارضاً «لأحكام الشريعة الإسلامية في المارسات العملية الثائرة للإسلام»، لافتاً الى أن العناصر الفكرية للإمام الخميني هي القرآن، وعرض للتوجهات الإيديولوجية الإسلام، والنظرة الكونية والنبوة والإنبياء والإمامة والتشيع.

وتحدث هاني فحص عن الوحدة في منظور الإمام الخميني فلفت الى أن الحالة العربية للوحدة انتهت الى البحث القائم على الوحدة الوطنية أي القطرية للطروحة الآن كصيغة ملحة في أكثر من قطر عربي، وأشار الى مشروعات التكتلات العربية التي سادت بعد انتصار الثورة الإسلامية.

وأخيراً تحدث النائب عبد الله قصير عن التبعية والاستقلال في فكر الإمام الخميني.

صحيفة الكفاح العربي

ذكرى مئوية الخميني

شمس الدين دعا لرفض اشكال التطبيع
نصر الله: الامام عانى من العلماء المتحجرين

اعلن الامين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله ان المقاومة الاسلامية ستبقى وفية للامام الخميني وحي تعلمت منه مشروع الوحدة الوطنية وكيفية صنع مشروع وطني، فيما شدد رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين على ضرورة مواجهة التطبيع مع العدو، واكد ان المقاومة تشكل النقطة المضيئة في الوضع العربي والاسلامي المعاصر ولا يمكن المساومة عليها على الاطلاق.

وكانت ليلة احياء ذكرى مئوية الامام الخميني عقدت في لبنان صباح امس مؤتمراً بعنوان "الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة" في فندق "البريستول" (الكومودور سابقاً) في حضور وزير الدفاع الوطني غازي زعيتر ممثلاً رئيس الجمهورية العماد اميل لحود، ووزير البريد والاتصالات السلكية واللاسلكية جهاد شعبان فعثلاً رئيس مجلس الوزراء الدكتور سليم الحص، وزير التربية الوطنية والشباب والرياضة محمد يوسف بيضون، النواب ربيعة كيروز علي الخليل، عبد الله قصير، فروان فارس، محمد رعد، عمار الموسوي، وابراهيم بيان، امين عام "حزب الله" السيد حسن نصر الله، رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى الامام الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المطران نبيل الحجدراي ممثلاً الكاثوليك البطريرك مار نصر الله بطرس صفير، قاضي شرع صيدا الشيخ احمد الزين ممثلاً مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ الدكتور محمد رشيد قباني، المطران الياس نجم ممثلاً البطريرك انطاكيوس الرابع هزيم، الارشمندريت بارين فارتانيان ممثلاً بطريرك الارمن الارثوذكس الكاثوليكوس آرام الاول كيشيشيان، نائب امين عام حزب الله الشيخ نعيم قاسم، مشاور الامام الخميني السيد حسن الخميني على راس وفد من الجمهورية الاسلامية الايرانية سفير ايران في لبنان محمد علي سبحاني، المستشار الثقافي في السفارة الايرانية الشيخ محمد مهدي التسخيري، الشيخ مرسل نصر علي راس وفد من مشايخ الدروز، عدد من القاعليات السياسية والاجتماعية والحزبية والفكرية من لبنان والدول العربية.

قاسم

والقى نائب الامين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم كلمة قال فيها ان المقاومة الاسلامية استفادت من نهج الامام الخميني "مما اربك اسرائيل وجعلها تتراجع الى بعض ازراتها ومواقعها على الرغم من عدم التكافؤ في ميزان القوى العسكرية واستعدادات التضحية تفسيك قوة مؤثرة في ساحة المعركة وتؤدي الى تغيير معادلات وتصحيح رؤى وتحقيق انجازات".

شمس الدين

والقى الامام شمس الدين كلمة تحدث فيها عن انجازات الامام الخميني التي تجاوز بها جمهور ايران الى العالم الاسلامي كله، وهو الذي اسهم في ترسيخ قناعة لدى الاغلبية الساحقة من المسلمين بان خلاص الامة الاسلامية لا يكون الا بالعودة الى الاسلام على مستوى التنظيم المجتمعي السياسي، مشيراً الى "تصاعد درجة الهيمنة على العالم الاسلامي وتصاعد نمو المشروع الصهيوني في مواجهة العرب، مما يدفعنا اكثر باتجاه توحيد الكلمة والتضامن والتعاون على المستوى العربي والاسلامي".

ودعا الامام شمس الدين "الى تشكيل هيئات عالمية واسلامية ووطنية يكون في صلب اهتماماتها احياء موضوع القدس في الوجدان العالمي والشعبي، مؤكداً على ضرورة مواجهة قضية التطبيع مع العدو، داعياً الى التعاون والوحدة مع المقاومة، وهي التي تشكل النقطة البيضاء والمضيئة في الوضع العربي والاسلامي المعاصر، ولا يمكن التراجع فيها والتصالح بشانها والمساومة عليها على الاطلاق ما لم يتحقق الحد المطلوب من الموقف وهو التحرير الكامل وغير المشروط، وشدد الامام شمس الدين حرصه "على التلازم بين سورية ولبنان في الموقف لمواجهة اسرائيل التي عانت ولا تزال في هذه الايام والظرف من اي وقت تحاول تكتيف هذا التلازم".

بيضون

من جهته اشار الوزير بيضون الى "محطات مميزة" في مسيرة الامام الخميني عبرت عن المعادلات والتوازنات وحفرت اثر جسد القائم العربي والاسلامي الحديث

من الاثر المحفوف بالنشوة والنصر والعظماء المشهور بالخصية.

اضاف: ان الامام الخميني استطاع بناء دولة تتراكز على المؤسسات وتسير في طريق التطور الديمقراطي وتصنع في المجال امام الراي الآخر.

العذاري

والقى المطران العنداري كلمة تحدث فيها عن نهج الامام الخميني، وقال: "ان تشديد الامام الخميني على رفض التبعية والدعوة الى الاستقلال يطرح على ضميري وضميركم وضمير كل لبناني وعربي مسالة مصير لبنان: الانسان، الدولة والكيان. لذلك نحن مدعوون وأياكم ليس فقط الى كلمة سواء، بل الى مواقف تاريخية تستوحي البعدين الروحي والوطني من فكر الامام الخميني ومن اعماق ايماننا وبيقيناتنا لتحقق لنا جميعاً الخير العام".

الزين

وتناول الشيخ الزين في كلمته شخصية الامام الخميني وفكره وانجازاته وشدد على "ان التحرر الاكيد والفذ على لبنان انما يكمن في اسرائيل ومشروعها التوسعي والتوسعي والذي وصفها الامام الخميني بانها "غدة سرطانية"، ذلك لان العدوان من طبيعتها، والتوسع والهيمنة والتسلط هو من لغم اهدافها، وما حديث ابنائها عن السلام الا لخداع الراي العام العالمي، مؤكداً ان الخطر الاسرائيلي سيبقى يهدد المنطقة واستقرارها".

ودعا العرب الى مراجعة الذات والتفكير بالخسارة التي تكبدوها بسبب المغامرة الخاطئة، كما دعا الجميع الى الوحدة الوطنية لبناء الوطن والنهوض به والدفاع عنه بوجه العدو الاسرائيلي.

نجم

والقى المطران نجم كلمة اشار فيها الى "ان الخلفية في فكر الامام الخميني هي قضية حق مطلق المضمونه شر مطلق، وبنا كان يعرف لعمية القدس على العالمين، فعمل جاهداً على اطلاق "يوم القدس العالمي" ليبقيت للعالم اجمع ما ناوم به استكبار ضد البشرية جمعاء في تهديدها لهذه المدينة العربية العريقة في التاريخ، لذلك فان كل مسلم ومسيحي في الامة الاسلامية وكل عربي مدعو الى الالتحاق بالمقاومة القومية والاسلامية من اجل العمل على تحرير فلسطين".

واعلن المطران نجم "ان الكيان الصهيوني، كيان مزيف زائل لا محالة، وفلسطين عربية وستبقى عربية طالما ان صراعنا مع العدو الاسرائيلي صراع تاريخي لن ينتهي الا بزوال اسرائيل. وعلى الجميع ان يعلم ان هدف الدول الكبرى من ايجاد اسرائيل لا يقف عند احتلال فلسطين بل يخططون للوصول بكل الدول العربية الى نفس المصير الذي وصلت اليه القدس".

فارتانيان

والقى الارشمندريت فارتانيان كلمة اكد فيها على "ان مفهوم الكفاح هو قاسم مشترك بين المسيحيين والمسلمين، فديانتنا الاسلام والمسيحية متميزتان في عمق الحياة اليومية، وكلاهما يشددان على القيم الاخلاقية وعلى الحقائق السماوية التي انعطيت لنا لنفسر بها ومن خلالها حياة الانسان والمجتمع، مشيراً الى ان الكفاح يعني الحفاظ على قيم الاخلاقية للدين، فهو يعني الانفتاح والحوار مع الاديان الاخرى. ودعا المسلمين الى التعاون لتعزيز المبادئ الاخلاقية لتاديل القدس والقرآن الكريم.

نصر الله

والقى السيد نصر الله كلمة اشار فيها الى ان الامام الخميني لم يلف عند حدود التنظير، انما اطلق مشروعه في ساحات التحدي الكبير واطلق اعظم صحوة اسلامية ودينية في هذا العصر.

اضاف: "الامام الخميني عانى من العلماء المتحجرين وادعياء القداسة اكثر مما عانى من الشاه وظلمه، وعرفن بعض العناوين التي تشكل تصحيحاً لبعض المفاهيم الخاطئة، واشار نصر الله الى تجربة المقاومة الاسلامية في لبنان التي تنتمي الى فكر الامام الخميني قوياً وعملاً معلناً ان المقاومة تعلمت من نهج الامام الخميني مشروع الوحدة الوطنية وكيفية صنع مشروع وطني، ومن نهجه كانت المقاومة تصبيراً انسانياً واخلاقياً مؤثراً، مؤكداً ان المقاومة الاسلامية في لبنان ستبقى وفية لتلك الروح العظيمة، مجد الوطن وكراحة العمد، وسيبقى الخميني اسمها وعنوانها ودمها الذي يجري في العروق.

الخميني

والقى الخميني كلمة قال فيها: "بتكرنا اسم لبنان واسمه بكل الجاهدين الابرار الذي تحاربوا بتعاليمهم وتضحياتهم وتصديهم للاجتياح الصهيوني ملاحم بطولة في صفحات التاريخ ووجدان الاحرار في العالم، مؤكداً بالجمع موسى الصدر الذي نذر حياته دفاعاً عن المظلومين وقاد في وجه الجيش الاسرائيلي المنظم كبار قادته الامام الخميني وتحركه العرفانية الكونية كبادئ الفكر السياسي والاجتماعي

اليوم الاول لمؤتمر «الجهاد والنهضة في فكر الخميني»

دعوات الى الاستفادة من تجربته في الثورة والمقاومة

بدأت امس أعمال مؤتمر «الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة» في فندق موريديان (كومودور سابقاً) بدعوة من لجنة احياء فكرى مئوية الإمام الخميني في لبنان. وبحضور ممثل رئيس الجمهورية وزير الدفاع الوطني الحاج غازي زعيتر ممثل رئيس الحكومة وزير المواصلات الملكية والاسكفية عصام نعمان ووزير التربية الوطنية والشباب والرياضة محمد يوسف بيضون، وحفيد الإمام الخميني السيد حسن أحمد الخميني.

والنواب: عبد الله نصير، ربيحة كيروز، علي الخليل، مروان فارس، عمار الموسوي وابراهيم بيان.

وشارك ايضاً رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الأعلى الإمام محمد مهدي شمس الدين، الأمين العام لـ«حزب الله» السيد حسن نصر الله، وزير الداخلية الإيراني السابق السيد علي اكبر محتشمي، ورئيس المجلس السياسي لـ«حزب الله» النائب محمد رعد ونائب الأمين العام الشيخ نعيم قاسم وممثلو وفود المؤتمر الاسلامية والمسيحية وعدد كبير من الشخصيات.

تحدث في جلسة الافتتاح رئيس المؤتمر الشيخ نعيم قاسم فعرض لأفكار الإمام الخميني حول التغيير والجهاد والنهضة واعتبر ان انعقاد هذا المؤتمر في لبنان «يؤكد أهمية هذه الساحة في الإسهامات الفكرية المتنوعة وفي الحوارات الثقافية البناءة».

شمس الدين

واستعرض الإمام شمس الدين انجازات الإمام الخميني الفكرية والسياسية ورأى انه «اعاد من خلال خطابه الثوري تقديم الاسلام باعتباره اطروحة تنظيمية حضارية متحدية للمبدئين السائدتين الليبرالية والماركسية. وهذا ما اعاد الى المسلمين الثقة بانفسهم واستطاع فيما بعد تفجير الحركة الإسلامية العالمية من ترددها، واعطاها دفعاً قوياً لتتقدم في حركتها وتتعمق في فهمها ووعيها، وبالتالي اكثر فاعلية وتأثيراً في السياسات العالمية والاقليمية».

واشاد بالتقارب الإيراني ـ الإسلامي، داعياً الى تشكيل هيئات عالمية واسلامية ووطنية للدفاع عن القدس.

بيضون

وتحدث الوزير بيضون عن «الدور الاستثنائي للإمام الخميني في تاريخ الأمة الذي غير كل المعادلات والتوازنات».

عنداري

وتحدث المطران انطوان العنداري باسم البطريرك الماروني الكاردينال مار نصر الله صفير عن مميزات ثورة الإمام الخميني. وأشار الى «ثلاث ملاحظات تطرح نفسها علينا اليوم على ضوء رؤية الإمام الخميني للاستقلال والتحرر وهي:

١ ـ إذا كانت حدود الاستقلالية محدوداً جداً في الماضي القريب، بحيث لا يمكن الحديث عن استقلال تام في مولد، فما الذي يمكن قوله اليوم أوليس الدهمة أصبحت اكثر تعقيداً وصعوبة في زمن العولمة؟

٢ ـ هل يمكن ان نواجه عالم الغد والمستقبل بانسان مقموع في فكره وضميره وتعبيره الله؟ او بانسان مستلبي قادر على الخروج من مأزمية التاريخ الماضي الى آفاق الإنسان الحر المبدع؟

٣ ـ ان تشديد الإمام الخميني على رفض التبعية والدعوة الى الاستقلال يطرحان على ضميري وضميركم وضمير كل لبناني وعربي واجبي مسألة مصير لبنان: الانسان والدولة والكيان وسأل: هل يستحق هذا البلد الذي وصفه قداسة البابا يوحنا الثاني بانه بلد رسالة، ووصفه الرئيس الإيراني محمد خاتمي بانه موئل للفكر وموئل للثقافة ومنبر للحوار بين الديانات والحضارات والثقافات ان يستحق ان نضاجع جميعاً عن استقلاله وسيادته، وان نرفض تبعيته أي كان، فتقرن القول بالعمل والمبدأ بالممارسة».

قباني

وتناول قاضي شرع صيدا الشيخ أحمد الزين باسم مفتي الجمهورية الشيخ محمد رشيد قباني مواقف الإمام من لبنان وفلسطين ودعمه للمقاومة «بجميع الوسائل حتى اجبار العدو على الخروج من الأرض اللبنانية».

وركز المطران الياس نجم نيابة عن بطريرك الروم الارثوذكس انطاكيوس الرابع هزيم على موقع القضية الفلسطينية في فكر الإمام الخميني حيث هي «قضية حق مطلق لا تقبل حسبه شر مطلق، ولا بد من ان يعود الحق الى نصابه، وان تعود فلسطين الى اصحابها الحقيقيين، ولا بد ان يزول الاغتصاب والاحتلال، ويزول الشر لتنمو السلام محيا كالف الأمر من نضحيات وبذل واستشهاد».

وركزت كلمة الكاثوليكوس ارام الأول بطريرك الأرمن الارثوذكس والتي القيت بالنيابة عنه على «الكفاح في مواجهة الاستعمار ومواقف الإمام الخميني من القضايا الإسلامية والانسانية».

واشار الى ان ملزوم الكفاح هو قاسم مشترك بين المسيحيين والمسلمين، وكان له المكان والدور الأساسي في تعاليم الاديان.

وتحدث نجل الله عن الافكار والاطروحات التي قدمها الإمام الخميني «واعتبرت تجديداً في الفكر الإسلامي عموماً وعند الشيعة خصوصاً، ورأى ان علامة انجاز الإمام على صعيد الفكر السياسي والاسلامي، وخصوصاً في مسائل الدولة، انه استطاع تحطيم الكثير من الاسوار التي كانت تحيط بالاسلام في مفهوم قيادة المسلمين، ومفهوم فصل الدين عن السياسة، وهو امر يكمن بمقارع الشاه والاميركيين، بل كان يصارع ما هو أشد خطراً في مستوى الساحة الداخلية، وخصوصاً في مواجهة العلماء المتحجرين وادعياء القداسة».

حسن الخميني

وكانت الكلمة الختامية في جلسة الافتتاح لحفيد الإمام حسن أحمد الخميني الذي تحدث عن نهج الخميني الفكري والسياسي واهتمامه بالوضع اللبناني.

ورأى ان الإمام الخميني «أوجد أعظم الثورات التي تتحكم بها قاليم القرن العشرين الذي يستحق تسميته بقرن الثورات كما احيا ايمن صور الجرأة والعطاء في ضمير المسلمين وقلوبهم واحيا فيهم روح المقاومة في معركتهم ضد عاصفة الاستكبار وعلى رأسه الولايات المتحدة وربيبتها اسرائيل، وألهن الشعوب الإسلامية ومستضعفي العالم دروس الجهاد والوقوف في وجه الطغاة ورفض الاستسلام والرضوخ لعيمنة القوة الغاشمة، كما اعلن بصراحة موقفه الجازم والصارم تجاه الكيان الصهيوني الغاصب ورفض الاعتراف به وضرورة محاربته لإزالته من الوجود».

الجلسة الأولى

وبدأت بعد ذلك جلسات المؤتمر، تناولت الجلسة الأولى «نظرية الجهاد والمقاومة في فكر الإمام الخميني: المفاهيم والوظائف على ضوء التحديات الخارجية المعاصرة والقضايا الداخلية الإسلامية».

وخصصت الجلسة الثانية للحديث عن الدين والسياسة في فكر الإمام الخميني. واختتمت أعمال اليوم الأول بجلسة ثالثة في إطار محور «فكر الإمام الخميني على صعيد الوحدة والاستقلال».

صحيفة المستقبل

مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة:

البيان الختامي: القدس، المقاومة، ولاية الفقيه، المستضعفون، والمشروع الحضاري

عقدت لجنة إحياء ذكرى مئوية الامام الخميني في لبنان مؤتمراً فكرياً تحت عنوان، «مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة»، وذلك في قاعة فندق الميريديان ـ الحمراء.

حضر الافتتاح حشد من الشخصيات النيابية والسياسية والثقافية والفكرية والدينية تقدمهم الامين العام لحزب الله سماحة السيد حسن نصر الله وحفيد الامام الخميني سماحة السيد حسن احمد الخميني، اضافة الى رؤساء الطوائف الروحية في لبنان، وممثل لكل من رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء.

جرت ندوات المؤتمر على مدار يومي ٢٣ و ٢٤ تشرين الثاني وتضمنت خمسة محاور وسبع جلسات اختتمت بالبيان الختامي، وفي ما يلي عرض لوقائع المؤتمر.

اعداد : حسان بدير
تصوير، موسى الحسيني

أسماء حضرت المؤتمر

ـ وزير الدفاع الوطني غازي زعيتر ممثلاً رئيس الجمهورية العماد إميل لحود

ـ وزير الاتصالات السلكية واللاسلكية الدكتور عصام نعمان ممثلاً رئيس الحكومة الدكتور سليم الحص

ـ وفد كبير من الجمهورية الاسلامية في إيران ضمّ سماحة السيد حسن أحمد الخميني، وسماحة السيد علي اكبر محتشمي مستشار رئيس الجمهورية الايرانية.

ـ السفير الايراني محمد علي سبحاني

ـ النواب، عبد الله قصير، وبيعة كيروز، علي الخليل، مروان فارس، محمد رعد، عمار الموسوي، ابراهيم بيان، النائب السابق محمد برجاوي.

السيد علي فضل الله ممثلاً آية الله السيد محمد حسين فضل الله

السيد صدر الدين الصدر نجل الامام السيد موسى الصدر.

رؤساء الجلسات:

سماحة السيد محمد حسن الامين
الدكتور رفعت سيد احمد
الاب سليم غزال
النائب الحاج محمد قنيش
سماحة الشيخ عبد الصاحب دخيل
الدكتور علي الشامي
الدكتور طلال عتريسي

الجلسة الافتتاحية:

افتتح المؤتمر بكلمة ترحيبية لرئيس المؤتمر سماحة الشيخ نعيم قاسم جاء فيها: «بناءً على التزامنا الوثيق بين الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني (قده) اخترنا عنوان مؤتمرنا «الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني (قده)» سبيل خوض التحديات المعاصرة». هذا المؤتمر نظيمه بالتنسيق مع اللجنة المركزية لاحياء ذكرى مئوية ولادة الامام والتي تشكلت استجابة لاعلان الامام الخامنئي حفظه الولي هذا العام لاحياء ذكرى مئوية ولادة الامام الخميني (قده).

واضاف سماحته: وقد اخترنا يوم الخامس عشر من شهر شعبان يوم ولادة الامام المهدي (عج) يوم المستضعفين في العالم كمحطة هامة ركز عليها مفجر الثورة الاسلامية وربط الأمة بها امالين ان تسهم الابحاث الفكرية في تسليط الضوء على ما قدمه هذا الرجل العظيم للبشرية جمعاء.

بعد الكلمة الترحيبية توالت كلمات الجلسة الافتتاحية:

آية الله شمس الدين

قال رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين ان القيادة التاريخية الرائدة والواعية التي تمثلت بالامام الخميني، تجاوزت حدود ايران الجغرافية وانتجت خطاباً تنويرياً اسلامياً اسهم في ترسيخ القناعة لدى اغلبية المسلمين «بان خلاص الامة الاسلامية لا يكون الا بالعودة الى الاسلام على مستوى التنظيم المجتمعي السياسي».

وتوقف عند نقطة مركزية في فكر ومنهج الامام الخميني وهي القدس، مكرراً الدعوة الى تشكيل هيئات عالمية واسلامية وطنية مهمتها احياء موضوع القدس في الوجدان الشعبي العالمي.

المطران العنداري

وتحدث للمطران انطوان نبيل العنداري باسم البطريرك الماروني بطرس صفير فانطلق من رفض الخميني للتبعية، غربية كانت ام شرقية، ودعوته الى الاستقلالية لطرح الملاحظات الآتية، ما الذي يمكن قوله عن الاستقلالية في زمن العولمة وهل يمكن ان نواجه عالم الغد والمستقبل بإنسان مقموع في فكره وخياله وتعبيراته ام بإنسان مستقبلي قادر على الخروج من دائرية التاريخ الماضي الى افاق الانسان الحر المبدع.

الشيخ الزين

كلمة مفتي الجمهورية الشيخ محمد رشيد قباني القاها قاضي شرع صيدا الشيخ احمد الزين واستذكر الامام الخميني بمواقفه لاجل لبنان والقضية الفلسطينية، وقال اننا نعلن اننا في لبنان بجميع طوائفنا ومذاهبنا واحزابنا يداً واحدة وقلباً واحداً مع المقاومة حتى تحرير آخر حبة تراب من ارضنا اللبنانية في الجنوب والبقاع الغربي، مشيداً بموقف الدولة من المقاومة ومساندتها لها ومشدداً على تلازم المسارين اللبناني والسوري.

البطريرك نجم

كلمة البطريرك اغناطيوس الرابع عزيز القاها المطران الياس نجم فقال ان للمقاومة والنضال والجهاد امور مقدسة تغربي عليها الاجيال حتى يتحقق العدل وتهزم «اسرائيل» وتزول، وما احاديث التسوية سوى تكتيك مرحلي من اجل تحقيق مكاسب. واكد ان فلسطين عربية ويجب ان تعود الى اصحابها الحقيقيين، الى الفلسطينيين العرب، مسلمين ومسيحيين.

البطريرك فارطانيان

كلمة بطريرك الارمن الارثوذكس الكاثوليكس آرام الاول كيشيشيان القاها ممثله الارشمندريت بارين فارطانيان فقال: «الامام الخميني ذكرنا، بانه ليس من السهل الاخلاص لتلك القيم الاخلاقية، وخاصة في عالمنا اليوم، ذلك يتطلب كفاحاً دائماً ومستمراً، كفاحاً من اجل الحوار بين الاديان وبذلت الوقت الحفاظ على عفيتها ونقيتها وهويتها الخاصة، كفاحاً من اجل العيش المشترك القائم على السلام والعمل والمحبة».

الوزير بيضون

وقال وزير الثقافة والتربية محمد يوسف بيضون ان الامام الخميني هو بحق صاحب اول تجربة حكم اسلامي في عصرنا الحاضر وهي تجربة رائدة وغير مسبوقة.

السيد حسن نصر الله

اشار سماحة الامين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله الى جملة عوامل مكنت الامام الخميني من اطلاق لعظم صحوة اسلامية ودينية بينها تركيزه على اهمية وخطورة عاملي الزمان والمكان في عملية الاجتهاد الفقهي. وقال ان الامام لم يكن فقط يواجه الشاه او اسياد الشاه الاميركيين او المشروع الحضاري الغربي الوافد الى بلادنا، بل كان يصارع في الساحة الداخلية ما هو اشد خطراً في موقع الفكرة، وما هو اشد لاماً في موقع المعاناة، حتى قال ان قلبه قد تألم بسبب العلماء المتحجرين وادعياء القداسة اكثر مما عاناه من الشاه وظلمه.

واشار الى تجربة المقاومة الاسلامية في لبنان التي تنتمي الى فكر الامام قولاً وعملاً، حيث قال ان للمقاومة كانت في نهجه فعل عبادة. واكد ان المقاومة تعلمت من نهج الامام الخميني (قده) مشروع الوحدة الوطنية وكيفية صنع مشروع وطني وكيف تكون تعبيراً انسانياً واخلاقياً مؤثراً.

السيد حسن الخميني

آخر المتحدثين في الجلسة الافتتاحية كان حفيد الامام الخميني سماحة السيد حسن الخميني رئيس مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني في ايران فقال ان الامام الخميني اوجد اعظم الثورات التي تتحكم بها القيم في القرن العشرين الذي يستحق ان نسميه قرن الثورات. واكد ان اسم لبنان وشعبه العظيم «يعيد الى الذهن اسماء كل اولئك الذين تركوا من خلال اعمالهم الخالدة بصماتهم الخيّرة لبناء الانسان في هذا لبلد من المفكرين والمثقفين واصحاب الرأي والقلم. كما ينكرنا اسم لبنان وشعبه بدن المجاهدين الكبار الذين سطروا بدمائهم وتضحياتهم وتصميم للمحتل الصهيوني للعتدي ملاحم محفورة في صلب التاريخ وضمير روجدان الاحرار في العالم» وهنا لا بد ان نتذكر اسم الامام المغيب الامام موسى الصدر الذي نذر حياته دفاعاً عن المظلوم والمحروم ونيل العزة والكرامة للانسان كما ادى الامام دوراً رياضياً في استنهاض الشعب اللبناني وتحفيزه للوقوف في وجه العدو الاسرائيلي».

اليوم الأول: المحور الأول

الشيخ مرسل نصر

تحدث الشيخ مرسل نصر عن الجهاد، مجالاته ومنطلقاته عند الامام الخميني. فاشار الى الدور الريادي للامام الخميني في بعث روحية الجهاد الديني من خلال ثباته وصبره واعطاء السياسة موقعها في الاسلام بالرغم مما تعرض له حتى من بعض رجال الدين.

اضاف: اما الجهاد السياسي فقد اعتمده الامام حين وقف بقوة وصلابة رافضاً التعاون وهو خارج ايران مع عملاء اميركا وخلل على جهاده الى ان تمكن من الانتصار واستمر جهاده انطلاقاً من فكرتين اساسيتين هما:

١ ـ المحافظة على الانتصار.

٢ ـ تطبيق تعاليم كتاب الله وسنة رسوله واقوال الأئمة المعصومين.

وتحدث عن الجهادين الاقتصادي والاجتماعي والجهاد العسكري حيث تبنى القضية الفلسطينية والمقاومة اللبنانية ولفتى بإعطاء الزكاة للمجاهدين.

حوارات صحفية
لسماحة الشيخ نعيم قاسم
حول مؤتمر الجهاد والنهضة

سماحة نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم :

نُنَظِّم مؤتمرات عالميـــة في مئوية الامام الخميني

على أعتاب الذكرى المئوية الأولى لولادة مفجر الثورة الاسلامية المباركة في ايران الإسلام والعالم الاسلامي: برمته الإمام الخميني (قده)، التقت «البلاغ» سماحة نائب أمين عام حزب الله الشيخ نعيم قاسم للوقوف على بعض التفصيلات حول «مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني (قده) على ضوء التحديات المعاصرة» الذي يعقد بالمناسبة وكان هذا الحوار:

● *أين تكمن اهمية إقامة هكذا مؤتمر في الوقت الحاضر وتحت هذا العنوان بالذات؟*

- في مناسبة مرور مئة عام على ولادة الإمام الخميني (قده)، والتي تصادف مع مناسبة ولادة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع)، قررنا أن نقيم مؤتمراً فكرياً بهذه المناسبة في لبنان، وبالطبع هناك مؤتمرات أخرى في عدد من أنحاء العالم تبنتها جهات مختلفة وكذلك في ايران الاسلام.. على قاعدة ايجاد مناخ للإستفادة من الفكر والعطاء اللامتناهي للإمام الخميني (قده) وتشرف لجنة مركزية على جميع المؤتمرات المنشرة بحيث تتولى مهمة التنسيق في المحاور والموضوعات كي لا تتداخل وكي تحصل الإستفادة المناسبة. ونحن أهمية هذه مؤتمرات تكمن في اختيار موضوعات فكرية وذلك من أجل الخروج من الدائرة الاستعراضية البحتة او إجترار الذكرى في حفنال بهر ويمضي، الى كذلك أبحاث فيه تحليل واستنتاجات واستفادة من فكر هذا الإمام العظيم لكي يدون هذا العطاء في

كتاب يكون ثمرة من ثمار هذا المؤتمر فيتمكن الباحثون من الاستفادة من المضامين المستنتجة. لأن طابع المؤتمر كما ذكرنا هو طابع فكري وبالتالي فإن الكتّاب الذين سيشاركون في هذا المؤتمر عن الإمام هم من المفكرين من لبنان ومن الدول العربية، وسيصل عددهم الى حوالى اربعين شخصية لها اهتمامات مختلفة إلا أن القاسم المشترك بينها هو أنها تهتم بالكتابة والبحث وتقديم الأفكار فعندما يجري تقديم هذه الأبحاث وتتم المناقشة على أساسها وتؤخذ الخلاصات والأبحاث كي تُنشر وتُعمم فمعنى ذلك أننا نقيم مؤتمراً يحقق فائدة مستمرة. والعنوان كما ذكرنا يتركز على الجهاد والنهضة بحيث اخترنا عنوان «الجهاد والنهضة في فكر الإمام (قده) على ضوء التحديات المعاصرة» لأن منطقتنا هي منطقة جهاد ومواجهة للعدو الاسرائيلي ومشاريع الإستكبار، ولأن الإمام (قده) كان رائداً في هذا المجال على مستوى ايران والعالم. وكذلك أخرجنا موضوع النهضة لانه لا جهاد بدون نهضة تنعكس على واقع حياة الناس وتُحدث تغييرات حقيقية.

واذا أردنا أن نستنتج من فكر الإمام الخميني (قده) فإننا سنجد الكثير الكثير الذي يمكن استخلاصه وتدوينه والإستفادة منه.

لجنة

● *بعرف أن هناك مركزاً ثقافياً مهماً في لبنان يُعنى بفكر وآثار الإمام الخميني (قده) وهو مركز الإمام الخميني الثقافي فما دوره في هذا المؤتمر وكيف تمكن أن يفيد او يستفاد منه. وهل هناك مشروع لإعداد حلقات اخرى من المؤتمرات غير باب النهضة كون فكر الإمام شاملاً وموسوعياً؟*

- نحن شكّلنا لجنة هي لجنة إحياء مئوية ولادة الإمام (قده) لإقامة هذا المؤتمر بتفاصيله ومتابعة نتائجه لكننا لم نؤسس مشروعاً له طابع الاستمرار في الواقع بل يمكن ان يكون أحد إهتمامات مركز الإمام الخميني الثقافي تقديم شيء له طابع الإستمرار. فعملنا في هذه اللجنة منفصل عن عمل المركز لكن يمكن للمركز أن يستفيد من نتاج هذا العمل كما يمكن أن يقدم نتاجات اخرى لان طابعه طابع الاستمرار بينما طابع مؤتمرنا طابع تحقيق نتائج معينة لها علاقة باستنتاجات فكر الإمام تحدث التلاقي بين هذه المجموعة التي ستلتقي مع الحاضرين والمعلقين وتنتج كتاباً يكون رصيداً للمستفيدين والباحثين ولكل المهتمين بفكر الإمام الخميني (قده). إضافة الى ذلك نحن اخترنا هذا العنوان لكن هناك عناوين اخرى

الإمام بين كبير علما

نصف المشاركين في أبحاث المؤتمر من لبنان ونصفهم الآخر من دول عربية

لمؤتمرات تُقام في أنحاء اخرى من العالم وتحاكي عناوين تختلف مثل عنوان: «الإمام الخميني وحقوق الانسان»، «الإمام الخميني والتمييز العنصري»... الخ وكل هذا يتأثر باهتمام الناس حسب الموقع الجغرافي طبعاً وطبيعة المنطقة.. وهذا يبرز إطلالة الإمام الشاملة والواسعة بحيث يُستطيع طرح كل الموضوعات التي نريدها.

نحن نطرح المؤتمر كمساهمة ولكن لا نعتبر أننا نقوم بما يفترضه حق الإمام (قده) علينا ولا نعتبر أننا في إطار خطة شاملة نقوم بها ونتابعها. نعم، هناك مؤسسات مهتمة مثال: مؤسسة نشر وحفظ آثار الإمام الخميني (قده)، حيث ان اهتماماتها في هذا الموضوع اهتمامات واسعة وبالتالي تستطيع أن تقوم بإنجازات أكبر بكثير من الخطوة التي نقوم بها. إلا أن خطوتنا تساهم بقدر معين إذ أن للإمام الخميني (قده) دَيْناً كبيراً علينا وأقل الوفاء هو أن نقيم مؤتمراً يساعد في تسليط الضوء على فكره وعظمة وانجازاته في تقديم ما يسمو بالبشرية وخصوصاً في لبنان الذي تأثر بفكره من خلال تجربة المقاومة الاسلامية ومن خلال الشعارات التي رفعت والتي أخذت طابعاً وطنياً عاماً شمولياً استفاد منه الجميع بصرف النظر عن مستوى اقترابهم من الفكر العام او أخذهم بجزء من هذا الفكر.

المشاركون

● *لو عدنا الى المؤتمر. فعددا عن المدعوين؟*

- المدعوون للمؤتمر نصفهم من الدول العربية والنصف الاخر من لبنان. والاتجاهات هي اتجاهات متنوعة وليست محصورة بالملتزمين إسلامياً. لكن أخذنا بعين الاعتبار رغبة من نتواصل بهم للكتابة والاستفادة والانسجام مع مثل هذا الموضوع. إذ لا يكفي أن يكون هناك تنوع في الاتجاهات وانما يفترض أن تحقق قناعة عند الأفراد بالكتابة. وهذا ما حصل بالفعل. لذا يوجد تنوع نقدي موجود ولكن القاسم المشترك هو الاستعداد للغوص في فكر الإمام وتقديم صورة معينة كل حسب قناعاته وموقعه إضافة الى ذلك فإن رؤساء الطوائف الروحية في لبنان وافقوا على المشاركة بهذا المؤتمر بمحور ما من المحاور او بمداخلة. ما يعطي للمؤتمر طابعاً شمولياً أكبر ولعل محور الاستعداد للمشاركة من المسلمين والمسيحيين على اختلاف مواقعهم المذهبية او قناعاتهم يبين القدرة الجامعة للإمام لهذا الحشد العظيم من المهتمين بشخصيته الفريدة في عصرنا هذا. ولقد لمسنا ان القناعة موجودة عندهم لتقديم شيء في هذه المناسبة.

● *لن نستبق الأحداث ولكن هل ثمة تصور عن نوعية التوصيات الممكن إصدارها؟*

- إن مدة المؤتمر هي ثلاثة أيام، وستكون - تحديداً - في النصف الثاني من تشرين الثاني (اكتوبر) أي بعد شهرين تقريباً ولقد بدأنا الإستعداد والإعداد لهذا المؤتمر منذ شهر ونصف تقريباً. وأعربنا الاتصالات مع الباحثين وطلبنا منهم البدء بإعداد أبحاثهم، وبالفعل فقد أنجزنا - تقريباً - كل الاتصالات اللازمة. ومن الأكيد أن ثمة توصيات ستصدر في نهاية المؤتمر هي أشبه ببيان ختامي إجمالي. لكن لا يمكن لهذه التوصيات ان تتدخل في عمق الأبحاث الأربعين التي ستقدم خلال المؤتمر وإنما هي إطلالة سريعة على أبرز ما يمكن ملاحظته انسجاماً مع العنوان. او مع ما يمكن ان يقدم من اقتراحات داخل المؤتمر لها طابع التفعيل او الاستدادة او التأسيس

لشيء ما في المستقبل، ولا أستطيع الآن أن أفترض سلفاً كيف سيكون التفصيل وصيغة البيان الختامي لأنه مرتبط بأجواء المؤتمر وبتأثر برأي المؤتمرين والمداخلات.

عناوين ومحاور

● *هل يمكننا ـ هنا ـ ان نأخذ فكرة عن العناوين التي ستبحث تحت العنوان الرئيسي او المحاور التي ستبحث؟*

ـ العنوان العام للمؤتمر كما ذكرنا هو مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الإمام (قده) على ضوء التحديات المعاصرة، ولقد فصّلنا خمسة محاور رئيسة تحت هذا العنوان:

ـ المحور الاول: نظرية الجهاد والمقاومة في فكر الإمام (قده) المفاهيم والوظائف على ضوء التحديات الخارجية المعاصرة وقضايا الداخل الاسلامي.

ـ المحور الثاني: الدين والسياسة في فكر الإمام قراءات في الخطاب والتجديد.

ـ المحور الثالث الإمام ومشروع الاستنهاض العالمي.

ـ المحور الرابع: فلسطين والقدس في فكر الإمام أولويات المواجهة.

ـ المحور الخامس: نظرة الإمام الى الغرب والإستكبار العالمي: شروط التفاعل وخطوط المواجهة.

وضمن كل محور من هذه المحاور الخمسة يوجد خمسة عناوين او ستة عناوين فرعية. أي أن الباحث يأخذ عنواناً فرعياً داخل هذا المحور ليكتب فيه ويفصل. وقد أبقت هذه الورقة بمحاورها وعناوينها التفصيلية من قبل لجنة علمية متخصصة قامت بالبحث في نوعية الموضوعات المختارة في جلسات عدة وذلك لنتضمن أننا لامسنا عدداً من جوانب الموضوعات التي تنسجم مع العنوان والتي تقدم شيئاً معقولاً وجديداً في آن معاً.

● *ثمة سؤال من وحي هذه المناسبة يتعلق بالشخصية القيادية او الزعيم.. نرى، من الذي يصنع الزعيم؟ هل هي البيئة أم أن الزعيم هو الذي يصنع البيئة؟*

ـ المقومات الشخصية للقائد هي في الواقع أساس في عملية تحريك الأمة وفي أخذ دوره كقيادة حقيقية، وعندما يعمل على نفسه من أجل تنمية قدرات وإمكاناته فإن هذه المكونات تبرز تدريجياً في المحيط، ويتمكن من خلال أداء العمل أن يقود من يسيرون معه وأن تكون أفكاره قادرة على اثبات نفسها وعلى إحداث تغيير في الواقع القائم

صفة الاستفادة العملية من فكر الإمام

المراجع الروحية ستشارك بمداخلات مما يعطي لفكر الإمام طابعه الشمولي

إلا أن ظروف القادة تختلف بين قائد لا تتيسر له ظروف مؤاتية ومساعدة ليبرز كمحرك ومؤثر ومغير في الواقع المعيش، وبين قائد يستطيع استثمار هذه الظروف المحيطة ليوصل الناس الى أفضل ما يمكن، وليحقق الفتاعات التي يحملها والتي تخدم هؤلاء الناس. هذا في العنوان العام.. فلا نستطيع الحكم على قائد لم ينتج تغييراً واقعياً بأن التقصير منه، لأن هذا التقصير قد يكون صادراً عن المجتمع المحيط به، وعندما نتحدث عن الظروف نتحدث عن أهلية التجاوب عند الناس، لأن القائد عندما يقود المجتمع، انما يقود مجتمعاً يعيش فيه، فإذا لم يتجاوب الناس لأي سبب معين، فإن هذا يعني أنه لا يتمكن من إحداث التغيير المطلوب. وهنا تكون الثغرة من المجتمع، من تأهيل الناس والذين يحتاجون الى فترة أطول او الى مناخات مختلفة ليستحقوا هذا القائد وليتمكن من إعطاء المطلوب. فهناك استحقاق في المجتمع للقائد وهناك أهلية ذاتية عند القائد. فإذا وُجِدَ الأمران: أهلية القائد واستحقاق المجتمع من خلال تفاعله مع من يكون قائداً.. سنرى النتيجة التي وجدناها ولمسناها في ايران الاسلام والتي تمثلت بثورة الإمام الخميني (قده).

تجديد الدين

● *ثمة حديث عن رسول الله (ص) يقول: «إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يجدد أمر هذا الدين» ما هو مصداق هذا الحديث في عصرنا هذا؟*

ـ لا شك أن الإمام الخميني (قده) هو المجدد البارز والواضح لهذا الدين الاسلامي الحنيف في القرن العشرين لأن ما أحدثه كان مميزاً ومغيّر في واقع المسلمين وفي العالم أجمع وأحدث تغييراً في النظرة الى الاسلام وفي جوانب كثيرة تعتبر بمنطق الحداثة والعصرنة من الامور الجديدة ومحل الابتلاء لدى المجتمعات المختلفة، وإذ بالإمام يطل عليها طارحاً الحلول وقادراً على جذب الشباب والطاقات المختلفة في المجتمع الايراني حول الاسلام وفي المجتمعات الاخرى حول فكر وقناعات وطروحات الإمام (قده) عند المذاهب الاسلامية المختلفة بل عند اصحاب المدارس الفكرية الأخرى. والذي تجدد في هذا الموضوع هو تقديم الاسلام بنصاعته الحقيقية. وإزالة الغبار عما علق فيه من شوائب وسلبيات. إضافة الى تقديم التجربة العلمية المعقدة في عالم متداخل، بحيث تتجاوز كل الاشكاليات التي كانت مطروحة عليها سابقاً وهنا للفتني قول الإمام في وصيته عندما أراد أن يركز أن إسلامنا وفقهنا وقناعتنا تتركز على الاسلام المحمدي الأصيل، وأن فقهنا هو فقه علمائنا القدامى في ما قدموه وما طرحوه ليكون للعالم «إذا كنتم تعتقدون بأني أتيت بفكر جديد او طروحات جديدة في ما يتعلق بالمضمون الفكري نفسه فأنتم مخطئون.. هذا فكر محمد وأهل البيت (ع)، وتفسير العلماء القدامى»

فإذاً، على مستوى الأصل هو لم يخرج عن الأصل (حلال محمد حلالٌ الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة) كما ورد في الحديث الشريف. لكن بعد الزمان أوجد تراكمات وحجب الاسلام أما عن طريقة أداء المسؤولين عن ترويجه وتفسيره وتقديمه من شخصيات وأحزاب وجهات مختلفة بحيث قدّم بطريقة مجتزأة او خاطئة في بعض الإحيان او مشوهة بحكم فهمهم الناقص وطريقة أدائهم غير المتقنة، او بسبب ما حصل من تشويه استعماري واستكباري وما رصد من امكانات وطاقات فكرية وثقافية مأجورة او معادية لتقديم صورة مشوهة وحشد كل

في لبنان تهنئة وعهداً

المؤتمر في لبنان جزء من مؤتمرات في أنحاء العالم كلٌ منها يناقش قضاياها في فكر الإمام حسب طبيعتها السياسية وموقعها الجغرافي

الاتهامات على الاسلام بحيث يخرج أو يبرز كفكرة قديمة كانت صالحة ولكنها فقدت صلاحيتها بالتطور الزماني وبالحداثة التي حصلت. وبين هذين وجد جمهور يقلدونه يسأل ويأخذ بالسطحيات ولا يتعمق، ينساق بطريقة غير مسؤولة او غير دقيقة ويكتفي بالقشور دون الجوهر.

هذا كله أوجد مناخاً عزل الاسلام عن الحياة وجعله بمنزلة التراث التاريخي.

إذاً، فالإمام الخميني (قده) جاء لينقض هذا التيار وليبرز هذه الحقيقة. ولهذا فإننا في ذكرى ولادته المئوية نريد ان نسلط بعض الضوء على هذه الجوانب ونتمنى أن نحقق المطلوب■■

أجرى الحوار: هشام عليوان

غسان عبدالله

تصوير: محمد عمر

البلاد

حوار مع سماحة الشيخ نعيم قاسم لمناسبة مؤتمر «الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني (قده)»

التجديد الفكري للإمام طال كل المواقع وأهم انجاز هو الجمهورية الاسلامية

تأتي احتفالات الذكرى المئوية لولادة الامام الخميني (قده) حاملة معها الحنين الى ذلك الرجل الذي ابدل بنور ثورته ليل المستضعفين بعدما اعاد الحياة الى الاسلام نهجاً وعملاً وسلوكاً.

من هذا الحنين والجوهر الرسالي يأتي المؤتمر الفكري الكبير الذي يُعد له اليوم، والذي سيعقد في بيروت في النصف الثاني من تشرين الثاني علامة مضيئة لاكتشاف المزيد من عظمة الامام الراحل (قده)، خاصة انه يشارك فيه اهم خمس واربعين شخصية فكرية عربية ومسلمة من مختلف الطوائف والتيارات السياسية والفكرية.

ولمزيد من الاطلالة على هذا المؤتمر الذي حمل عنوان، «مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني (قده) على ضوء التحديات المعاصرة»، كان هذا الحوار الشامل مع رئيس المؤتمر، نائب الأمين العام لحزب الله سماحة الشيخ نعيم قاسم.

دخلتم من بوابة الامام الخميني (قده) وذكرى مئويته لزيارة الطوائف الروحية اللبنانية. كيف تقيّمون هذه الزيارات، وما هي ابعادها الدينية والثقافية والسياسية؟

المؤتمر المقرر في ذكرى مئوية الامام الخميني (قده)، هو مؤتمر فكري، وقد دعونا لهذا المؤتمر مجموعة من المفكرين من لبنان والدول العربية بالتحديد، ورأينا ان الاطلالة على مجموعة من رؤساء الطوائف الروحية في لبنان بهذه المناسبة تعتبر ضرورية ومفيدة، خاصة ان الامام (قده) بفكره وتجديده وما احدثه من تغيير في الربع الاخير من القرن العشرين قد طال كل المواقع، وقد اثّر على حركة وحضور الدين بشكل عام في المجتمع، ما يعني ان الرؤساء الروحيين يقدّرون تماماً تلك الآثار التي تركها الامام (قده) على صعيد تنمية الحس الديني، وعلى صعيد ايجاد الارضية الصالحة والمعقولة في البناء الخُلقي والروحي الذي يساعد الانسان في هذه الحياة.

من هنا كانت فكرتنا لزيارة مجموعة من المقامات الروحية على تنوعها. وقد لاحظنا صحة هذه الفكرة، خاصة عندما رأينا التجاوب من جميع الذين زرناهم بدون استثناء، حيث شملت زياراتنا رئيس المجلس الاسلامي الشيعي الاعلى آية الله الشيخ محمد مهدي شمس الدين، وسماحة آية الله السيد محمد حسين فضل الله، ومفتي الجمهورية اللبنانية سماحة الشيخ محمد رشيد قباني، ونيافة الكاردينال صفير، وبطريرك الارمن ارلم، وبطريرك الروم الارثوذكس هزيمة. وجميعهم تحدثوا، كلٌ من وجهة نظره ورؤيته للإمام الخميني (قده)، بطريقة ايجابية، وابدوا الاستعداد للمشاركة في هذا المؤتمر في الطريقة التي سننسق معهم تفاصيلها، لكن شعرنا أن الامام حاضر بشكل كبير، وقد تحدثوا بإعجاب حول شخصيته، وتأكيد على اهمية ما تركه بشكل واضح في واقع الناس في لبنان وفي خارج لبنان في المسألة الدينية.

ربما هي الزيارة الأولى تقوم بها شخصية دينية وسياسية كبيرة في حزب الله للكاردينال صفير، كيف تنظرون الى هذه الزيارة، وهل من حوارات ستتبعها في المستقبل؟

مؤتمر الامام (قده) يتطلب كل الجهود المناسبة لإنجاحه، ولي الفخر ان ارأس هنا المؤتمر وان اكون في خدمة فكر الامام الخميني (قده) لتقديم بعض الوفاء، وهذا ما دفع للزيارات المختلفة التي حصلت تحت عنوان المؤتمر وليس تحت العنوان الحزبي، وان كان الفصل يصعب عند الكثيرين، لكن اللجنة التي تشكل من اجل المؤتمر تضم فاعليات مختلفة، وكانت اغلب الزيارات بصحبة الأخ العزيز الشيخ عبد الناصر الجبري لتأكيد طبيعة النشاط وخصوصية الوفد باتجاه المؤتمر، لكن عندما تحصل الزيارة، ونحن في بلد، فيه قضايا كثيرة، من الطبيعي ان يجري النقاش في الاوضاع والامور المختلفة، وقد احسسنا تقديراً لهذه الزيارة من قبل نيافة الكاردينال البطريرك صفير، لأنه اعتبر انها جزء لا يتجزأ من التواصل في مسائل الحوار والانفتاح، وجزء لا يتجزأ من متابعة الخطوات التي جرت على هذا الصعيد لتعزيز العلاقة مع الطرح الاسلامي الرسالي الذي تمثله هذه الفئة، وبالتالي كان النقاش يؤكد على المستوى الذي وصلت اليه العلاقات بيننا وبين الكاردينال صفير، وهي علاقات متقدمة، والذي يراقب ما كان عليه وضعنا قبل سنة ٩٠ يجد الفرق الواضح في الانفتاح للتبادل على الشارع المسيحي وخاصة بزعامته الدينية وما لها من انعكاس واقعي في تلك الساحة.

وقد كانت وجهات النظر متفقة في ضرورات احترام آراء الآخرين وحرية التعبير وتعزيز الواقع الديني في التربية والتوجيه، وحق الجميع ان يعود التعليم الديني الى المدارس، ورفض الزواج المدني من جهة تمييعه للشخصية المتزنة، وتضييعه لفرص الارتباطات الاسرية كما تخفظها الديانات السماوية، وما يترتب عليها من حضور، والتأكيد على ضرورة ابقاء النقاشات مفتوحة وواضحة، وان لبنان لا يمكن ان يكون وطناً لفئة دون اخرى، بل هو وطن الجميع ولا يحق لأحد الاستئثار به. واعتقد ان هذه الزيارة ستؤسس ايضاً لمزيد من التواصل والتعاون، وكان لها انعكاساتها الواضحة

في الساحة السياسية نظراً لما تمثله من معانٍ أبعد بكثير من معنى الزيارة المخصصة لمسألة المؤتمر، ونفس التجاوب في حضور هذا المؤتمر يدل على الرغبة من الطرف الآخر في التعبير عن هذه الصلة بأفضل ما يمكن.

كيف تم الإعداد للمؤتمر، وما هو الجديد الذي سيحمله من محاور وعناوين؟

فكرة المؤتمر بدأت على قاعدة إقامة المؤتمر في لبنان في الذكرى المئوية لولادة الامام الخميني (قده)، وهذا تزافق مع مجموعة مؤتمرات ستقام في عدة انحاء من العالم، وهناك لجنة مركزية تُعنى بشؤون هذه المؤتمرات هي التي ناقشت الفكرة وقدمت الاقتراحات الاجمالية في مواقع المؤتمرات والعنوان الاجمالي للمؤتمر حيث

سيعقد تسع مؤتمرات في مئوية الامام الخميني، ثلاثة منها في ايران، وستة موزعة على لبنان، باكستان، روسيا، وبريطانيا، وجنوب افريقيا، وكندا، وكل مؤتمر له موضوع ينسجم مع ما يحيط مع بلد المؤتمر والبلدان المشاركة، اما مؤتمر لبنان فعنوانه الاجمالي ينطلق من الجهاد، ودائرة اهتماماته هي لبنان والدول العربية، من هنا بدأت الفكرة بهذا الاجمال من دون ان يكون اي تفصيل آخر، اجتمعت مع مجموعة من الأخوة الفعّاليين والوجوديين على الساحة وقلنا عندهم هذا الاهتمام هنا في لبنان، واتفقنا على تعيين لجنة لتبدأ بالبحث حول تفاصيل المؤتمر، وبدأ اول لقاء في ٥ آب ٩٩ وعقدت هذه اللجنة جلسات مكثفة لأن الفاصل بينها وبين وقت المؤتمر هو فاصل قصير لا يتجاوز الثلاثة اشهر ونصف الشهر، حيث اخترنا

تواريخ المؤتمر بـ١٥ شعبان يوم المستضعفين الذي اعلنه الامام الخميني (قده) تيمناً بالامام المهدي (عج) كمنقذ للبشرية، وكونه الوقت المناسب والمتاح قبل قدوم شهر رمضان المبارك. والحمد لله اصدرنا كتاباً واضحاً حول محاور المؤتمر وكل التعليمات المرتبطة به، واطلقنا العنوان الرئيس وهو «الجهاد والنهضة في فكر الامام الخميني (قده) على ضوء التحديات المعاصرة».

وبعد ان حسمنا العنوان الرئيس جمعنا المحاور المرتبطة بهذا العنوان وهي خمسة:

المحور الاول، «نظرية الجهاد والمقاومة في فكر الامام الخميني (قده) للمفاهيم والوظائف على ضوء التحديات الخارجية المعاصرة، وقضايا الداخل الاسلامي».

- المحور الثاني، «الدين والسياسة في فكر الامام الخميني (قده)، قراءات في الخطاب والتجربة».

- المحور الثالث، «الامام الخميني (قده) ومشروع الاستنهاض العالمي».

- المحور الرابع، «فلسطين والقدس في فكر الامام الخميني (قده)، اولويات المواجهة».

- المحور الخامس، «نظرة الامام الخميني (قده) الى الغرب والاستكبار العالمي، شروط التفاعل وخطوط المواجهة».

وكل محور فصّلناه الى ستة عناوين، وكل باحث يتناول احد هذه العناوين، بحيث يكون المجموع حوالى الثلاثين عنواناً، ويقوم رئيس اللجنة العلمية فضيلة الشيخ علي دعموش بمحاولة الموازمة بين الاختيارات والكتّاب حتى لا يتكرر الجهد نحو عنوان واحد من قبل عدة باحثين.

وقد وزعنا الاهتمامات داخل المؤتمر الى عدة لجان تهتم بالشؤون العلمية والاعلامية، ومركز إقامة المؤتمر والمؤتمرين وطريقة استقبال الوافدين من الخارج، وكل التفاصيل الاخرى التي ترتبط باللوجستيات والتنظيم الداخلي، وكل شيء اصبح منجزاً والحمد لله لإطلاق المؤتمر في النصف الثاني من شهر تشرين الثاني.

ما هي الأسماء او الدول التي ستشارك منها الشخصيات الفكرية، وهل من مصاعب وعوائق واجهتكم في عملية التواصل والاتصال معها؟

تجربتنا في هذا الموضوع جديدة جعلتنا نتحدث مع شخصيات فكرية للمرة الاولى، فهناك فرق بين ان تدعو شخصاً لاحتفال عابر وبين ان تطلب منه بحثاً فكرياً عن الامام الخميني (قده) لان هذا الامر يرتبط بالقناعات والمسؤولية عن هذا البحث الذي يقدمه للباحث، خاصة اننا اخترنا تنوعاً في الباحثين شمل مسلمين من السنة والشيعة، وشمل شخصيات مسيحية ايضاً، من لبنان والعالم العربي، ولم يكن جميع الذين شملهم من المعروفين بولائهم او تأييدهم للإمام الخميني(قده) بمعنى التبني الكامل، بل هناك من له آراء اخرى، بل عنده قناعات ايجابية او معتدلة باتجاه الامام الخميني (قده)، فدعوتنا لم تكن داخلية من داخل البيت الواحد، بل شملت ٢٥ شخصية من البلاد العربية، وحوالى عشرين شخصية من لبنان كمحصلة نهائية لاننا كنا قد اتصلنا بعدد اكبر من ذلك، لكن العدد وكما توقعنا رسا على هذا العدد.

اما الدول التي ستشارك منها الشخصيات فهي: السودان، والمغرب العربي، والخليج العربي، وسوريا والاردن، ونحن حاولنا ان نشارك لكل الدول العربية، لكن ربما الظروف السياسية حالت دون مشاركة البعض.

لو اردنا ان نطل على مئوية الامام الخميني (قده) من منظاركم الفكري، برأيكم ما هو الحدث الأهم الذي صنعه الامام في هذا القرن؟

الشيخ هاشم يطوره الزميل بدير (حسام نبيس)

لعم حدث صنعه الامام الخميني (قده) هو إقامة الجمهورية الاسلامية في ايران، التي احدثت منعطفاً في القرن العشرين على صعيد الافكار المطروحة حول لشكال الحكم وحول الفكرة الاجدى لمعالجة

مختلف شؤون الانسان ومتطلبات حياته، ومنذ اقامة الدولة والحكومة الاسلامية والعالم كله يناقش ويحاور ويتحرك ويقبل ويرفض وينقسم ويجتمع حول هذه الاطلالة المذهبة للإسلام بحيث يمكن القول ان الربع الاخير من القرن العشرين هو أمن احداث التغيير العالمي لإيجاد فكره منافسة لكل من الراسمالية والشيوعية

ولإعطاء المظهر الحقيقي للإسلام الذي ابعد طويلاً عن الحياة واسيء تطبيقه في حالات اخرى، وان الحيوية التي اعطتها هذه الثورة لمواكبة العصر واختيار وسائل تعتبر معاصرة تدلل على قدرة الاسلام في هذه المواكبة، ولمواجهة التحديات التي اعتبرها البعض صعبة على الاسلام في فترة من الزمن، لكن ثبين قدرتها على تقديم انموذج افضل.

ها نحن على مشارف الالفية الثالثة، كيف العمل لنجعل الرجال العظام في تاريخنا الاسلامي مثالاً واسوة تحتذي بها الاجيال القادمة، كي يبقوا في الذاكرة ولا ننساهم؟

لا يخفى ان النتيجة التي وصلنا اليها اليوم هي ثمرة للجهود الضخمة التي بذلت عبر التاريخ لإبقاء الاسلام حياً، وهي ثمرة اللمسات الاخيرة التي وضعها هؤلاء العظماء من فقهاء الاسلام المعاصرين الذين ادوا اثرهم، وكان القطب في هذا الامر الامام الخميني (قده) الذي ابدع ابداعاً استطاع معه ان يستثمر كل هذه الذخيرة ويعطي مما اعطاه الله تعالى في اقامة الحكم الاسلامي الفريد والمميز في القرن العشرين، ومن الطبيعي مع وجود هذا الانتشار الاسلامي وهذا الارتباط الاسلامي كنتيجة طبيعية للارتباط بالاسلام من جهة، والايمان بالثورة ونتائجها من جهة اخرى ان يتعزز هؤلاء العظماء امثال: الشهيد الصدر، والشهيد مطهري، والعلامة الطباطبائي والشهيد مفتّح وغيرهم من الذين اثروا هذه المسيرة، وهم حاضرون في كتبهم وافكارهم وتلامذتهم وكل ما يطرح في الساحة حول ما قدموه، واعتقد ان المسيرة تحتاج الى كل ما انتجه هؤلاء، لانهم قدموا اشياء جديدة، معاصرة، وناقعة، ونحتاجها للتعميم والتوجيه والتثقيف، من هنا يوجد جهد كبير للاستفادة من هذه الشخصيات، واعتقد ان حضورها في الجيل القادم سيكون حضوراً فاعلاً ومؤثراً.

وختاماً، اتمنى لمن نقدم جديداً في هذا المؤتمر خاصة اننا سنطبع الابحاث في كتاب، وان تكون هذه التجربة مشجعة لآخرين لعقد المزيد من المؤتمرات، حول جوانب اخرى في فكر الامام الخميني (قده) ومع الاطلالة على القرن الحادي والعشرين هناك مسؤولية كبرى علينا جميعاً لتعريف الاجيال القادمة الى هذه الشخصية التي اعتبرت مؤثرة ومحببة لهذا الدين في الربع الاخير من القرن العشرين ليستمر التاثير طويلاً وفاعلاً ومنقذاً للبشرية من الامها ومصائبها، وهذه مسؤولية الجميع.

حوار: حسان بدير

صور من
مؤتمر الجهاد والنهضة

رئيس مؤتمر
الجهاد والنهضة
سماحة الشيخ
نعيم قاسم
لحظة افتتاح وقائع
المؤتمر في فندق
الكومودور

افتتاح المؤتمر

حفيد الامام
الخميني المقدس
سماحة السيد
حسن أحمد الخميني

أمين عام حزب الله
سماحة السيد
حسن نصرالله

افتتاح المؤتمر

رئيس المجلس
الاسلامي الشيعي
الاعلى
سماحة آية الله
الشيخ محمد مهدي
شمس الدين

وزير التربية
الوطنية والتعليم
المهني والعالي
الاستاذ محمد
يوسف بيضون

افتتاح المؤتمر

المطران
انطوان عنداري
ممثلاً
البطريرك الماروني
نيافة الكاردينال
مارنصرالله بطرس
صفير

سماحة الشيخ
أحمد الزين
ممثلاً مفتي
الجمهورية اللبنانية
سماحة الشيخ
محمد رشيد قباني

افتتاح المؤتمر

المطران الياس نجم
ممثلاً بطريرك
الروم الارثوذكس
اغناطيوس
الرابع هزيم

الارشمندريت
بارني فارتانيان
ممثلا بطريرك
الأرمن الارثوذكس
الكاثوليكوس
آرام الأول
كيشيشيان

افتتاح المؤتمر

شخصيات رسمية ودينية وسياسية في مقدمة الحضور

من اليمين : السفير سبحاني، السيد محتشمي، السيد نصرالله، السيد الخميني، الشيخ شمس الدين، الشيخ قاسم، الوزير زعيتر، الوزير نعمان، الوزير بيضون، الأب العنداري، الشيخ الزين

لحظة افتتاح المؤتمر

من اليسار : الأرشمندريت فارتنيان، الشيخ زين الدين، الأستاذ سلامة، النائب السيد، الأب غزال، الشيخ نصر، الأب نجم.

جلسة الافتتاح

مقدمة الحضور

جانب من الحضور

جلسة الافتتاح

رئيس الجلسة
سماحة السيد
محمد حسن الأمين

المحاضرون:
الشيخ عفيف النابلسي،
الشيخ مرسل نصر،
السيد محمد حسن
الأمين،
الشيخ محمد يزبك،
د. أنور أبو طه

الجلسة الأولى

رئيس الجلسة
الدكتور
رفعت سيد أحمد

المحاضرون:
أ. بيان جبر، الشيخ مصطفى ملص،
د. خليل أحمد خليل،
د. رفعت سيد أحمد،
أ. ممدوح الشيخ،
أ. فضل شرورو

الجلسة الثانية

رئيس الجلسة
الأب سليم غزال

المحاضرون:
د. حسن البنا،
السيد هاني فحص،
الأب سليم غزال،
النائب الحاج
عبدالله قصير،
د. علي لاغا

الجلسة الثالثة

رئيس الجلسة
النائب
الحاج محمد فنيش

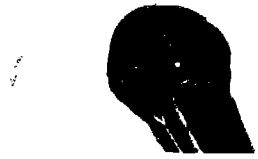

المحاضرون:
المهندس
ليث شبيلات،
الحاج محمد فنيش،
د. شبلي الملاط،
أ. بشار قوتلي

الجلسة الرابعة

رئيس الجلسة
سماحة الشيخ
طه الصابونجي

المحاضرون:
د. رفعت سيد أحمد،
الشيخ طه
الصابونجي،
د. حسان مجذوب،
د. زهير غزاوي،
د. دلال عباس

الجلسة الخامسة

رئيس الجلسة
الدكتور
علي الشامي

المحاضرون:
عادل رؤوف،
سماحة الشيخ
حسين كوراني،
د. علي الشامي،
د. عبد الرحيم علي،
أ. جهاد المحيسن

الجلسة السادسة

رئيس الجلسة
الدكتور
طلال عتريسي

المحاضرون:
الأمير حارس
شهاب،
سماحة الشيخ محمد
مهدي انتسخيري،
د. طلال عتريسي،
رشاد بولس سلامة،
د. مي يكن

الجلسة السابعة

إحدى جلسات
النقاش

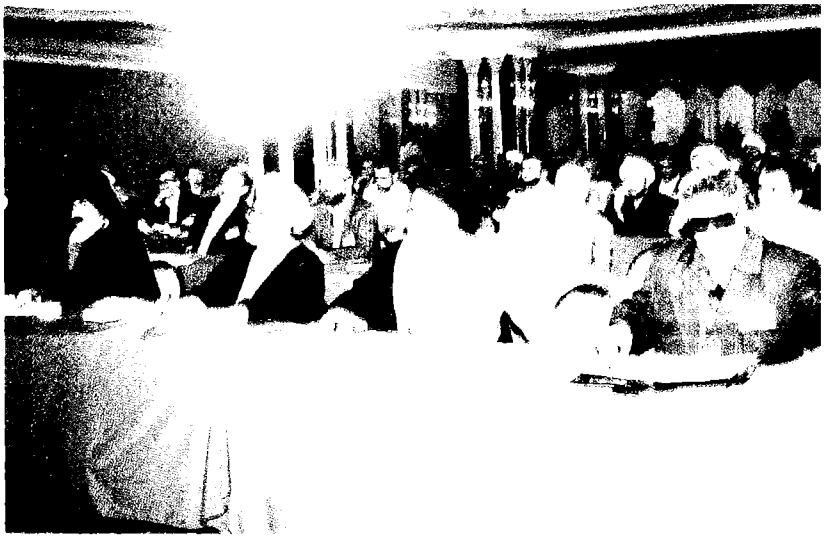

جلسة أخرى

اليوم الثاني

الجلسة الثالثة

الجلسة الرابعة

اليوم الثاني

هذا الكتاب

يتضمن هذا الكتاب الوقائع الكاملة لـ «مؤتمر الجهاد والنهضة في فكر الإمام الخميني على ضوء التحديات المعاصرة»، الذي انعقد في فندق الميريديان - بيروت، وذلك على مدى يومين بتاريخ (١٥-١٦ شعبان ١٤٢٠هـ) الموافق (٢٣-٢٤ تشرين الثاني ١٩٩٩م)، حيث شارك فيه عدد كبير من الشخصيات الروحية والسياسية والفكرية البارزة من لبنان والعالم العربي وايران.

وقد عالج المؤتمر عدداً من المواضيع الهامّة في فكر الإمام الخميني والتي تمحورت حول قضايا الجهاد والمقاومة، الدين والسياسة، الاستنهاض العالمي، فلسطين والقدس، النظرة الى الغرب والاستكبار العالمي.

لجنة احياء
ذكرى منوية الإمام الخميني - لبنان